

سلسلة الصفا

الفتوحات الكبرى

للسيّد الأكبر

محمد بن عمار ممدار العرب الطاركانى

محمّد بن لدين بن العربى

(الجزء الأول، الأسفار (1-3))

تحقيق

عبد العزيز مطهر المنصوبى



عاصمة الثقافة الإسلامية
CAPITAL OF ISLAMIC CULTURE
وزارة الثقافة - الجمهورية اليمنية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الفتوحات المكيّة

((الكتاب ذاكرة الشعوب))، وأول مبدأ في ثقافتنا الإسلامية هو (اقرأ) . .

ولأن «ترجم» كانت على الدوام المنارة الإسلامية التي أهدت أنوار معارفها إلى العالم؛ كان لابد للكتاب أن يكون في صدارة عُرْسها الثقافي في عام ترويجها عاصمةً للثقافة الإسلامية 2010م؛ إيماناً منا بدور الكلمة في خلق آفاق جديدة للتواصل والحوار من أجل أن يكون عالمنا أكثر بهاءً وإشراقاً، ولتكون هذه الإصدارات نافذة العالم على مهد المحاضرات «اليمن»، وعرفاناً بفضل مدينة نرنت الثقافة الإسلامية بأبي حُلها .

د/ محمد أبو بكر المفلحي

• وزير الثقافة

سلسلة الصفا

الفتوحات المكيّة

للشيخ الأكبر

محيي الدين بن العربي

(الجزء الأول، الأسفار 1-3)

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوب

الطبعة الأولى

[1431 هـ - 2010 م

حقوق الطبع محفوظة

لوحة الشرف

تحقق هذا العمل المبارك بمباركة هامة من عدد من الإخوة المهتمين والمحبين،
وهذه اللوحة تضم أسماء ذوي الجهود المفصلية والتميزة في الإنجاز، وهم:

توفير المخطوطات

أ.د/ محمد أبو بكر الفلحني الشيخ الدكتور/ محمد عبد الرب الظاهري

المراجعة والمقابلة والفهرسة

أ/ أحمد سعيد ناصر م/ محمود سلطان طاهر المنصوب

الدعم الفني والتقني

م.د/ سامي عبد العزيز المنصوب م/ عمر عبد العزيز المنصوب

إلى مَنْ قال صادقاً: "أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي" ..

خاتمة الأنبياء والمرسلين؛ صاحب الحوض، ومدينة العلم.

وإلى مَنْ اتبعه، على بصيرة، وخُتِمَتْ به الولاية المحمّدية ..

... في مشارف ذكره المئوية الثامنة

تقديم

د. عبدالعزيز المقالح

"ابن عربي بؤابة الإسلام الموشاة بسجوف الحكمة والحب"
جوته

هذا الكتاب مظلوم، نعم مظلوم، ظلّمه النساخون، وظلمه الناشرون دون تصحيح، وظلمته لغة المجاز التي كانت تكفي بالإشارة بعد أن ضاقت العبارة عن ثقل ما في الروح الصافية من مكنونات، وظلمه بعض العلماء وبعض الفقهاء الذين رأوا في تحريف النساخ وتصحيقاتهم لبعض نصوصه زيفًا لا يحتمل، وخروجًا لا يمكن القبول به، ومن ذلك التحريف الذي حدث في الوصية التالية: "حسن الظن بربك ولا تسيء الظن به"، فقد صارت عند النساخ على هذا النحو "حسن الظن بربك ولا تنسى الظن به!!" يضاف إلى ذلك ما أّسم به الكتاب من غموض في بعض الإشارات المجازية التي لا يدرك مكنوناتها إلا الراسخون في عالم الشعر والراسخون في دنيا التصوّف، ولغته التي تكفي بالتلميح عن التصريح وبالإيحاء عن المباشرة، وربما ساعدت الظروف المعاصرة بما جدّ عليها من صراعات فكرية ومذهبية في اتّساع دائرة الظلم على هذا الكتاب وعلى صاحبه الذي قضى منذ ثمانية قرون.

لمناسبة صدور الطبعة الجديدة من هذا الكتاب مصوّبة وخالية من المغلوط والمدسوس يأتي هذا التقديم ليشير أولًا إلى الجهد الكبير والمتميز الذي بذله الصديق العزيز الأستاذ عبدالعزيز المنصوب بعد أن عكف ما يقرب من خمسة أعوام لقراءة نص الكتاب بخطّ الشيخ الجليل محيي الدين بن عربي محققًا ومدققًا ومقارنًا النسخة الأصلية مع ما تمكّن من جمعه من النسخ المغلوطة الأخرى التي قام بنسخها أناس لا يجيدون التعامل مع المخطوطات القديمة ولا يعنون النظر في معاني الجمل والعبارات، وإنما ينقلونها خطأً ووفقًا لفهمهم المحدود، وقد يضيفون إليها من اجتهاداتهم الخاصة ما يجعلها تتناقض كليًا مع مقاصد المؤلف ومفهوماته، وعندما جاء دور الناشرين في العصر الحديث فقد نشروا الكتاب على علّاته دون تصحيح أو تدارك لما يمكن أن تسببه بعض العبارات المغلوطة في الأذهان من إرباك أو يصدر عن الفهم المغلوط لها

من جناية في حقّ مفكّر ومبدع ما تقموا منه إلاّ أنّه آمن ﴿بِاللّهِ الْغَزِيْرِ الْحَمِيْدِ﴾، ورغبته الخالصة في السعى إلى نشر- دينه القويم وإبراز ما يتّسع له صدر هذا الدين من تسامح وحبّ للناس والطبيعة والكائنات والأشياء.

ويبدو أنّ بعض المستشرقين الأوروبيين الذين نقلوا كتابات ابن عربي إلى لغاتهم كانوا أكثر دقّة وحرصاً على التنبُّث من مقاصد الشيخ وأسلوبه في التعبير عما يسكن أعماق كينونته، وكانوا يفرّقون بين فائض المعرفة لديه وفائض الجهل لدى الناسخين، لهذا فلا مراء في أنّ كتاب الفتوحات المكيّة التي فتح الله بها عليه وهو في الحرم المكيّ وغيره من كتاباته قد وصلت إلى المفكرين والمبدعين في أوروبا في صياغة سليمة جعلت شاعرًا كبيرًا مثل جوته أمير البيان في ألمانيا يقول: "إذا كان هذا الشيخ محيي الدين بن عربي قد عاش بيننا على الأرض يومًا من الأيام، وكان بهذا العقل والحكمة والرؤية؛ فإتّي اعترف بأنّ كلّ من لم يصب فطرة الإسلام على يديه فإنه قد خسر- كثيرًا، وكان ابن عربي أحقّ بأن يكون بؤابة الإسلام الموشاة بسجوف الحكمة والحبّ".

ولا أرى إلاّ أنّ هذه الكلمة صادرة عن فهم عميق وإدراك ثاقب للمعاني التي عبّرت عنها مؤلّفات هذا الشيخ الجليل الذي نقض يديه من الدنيا في مطلع شبابه، وانشغل بجمل رسالة كبرى تقوم على ترقية الروح الإنسانيّة وربطها بعالمها السرمدي، وأوقف شعره وثره لهذا المفهوم الكوني الذي لم يتنبه إليه الفكر العربي المذهبي المأزوم قديمًا وحديثًا، ولا ما يستحقّه هذا المفكر من تقدير لمحاولته في أن يجعل من بشر- الأرض على اختلاف أجناسهم واتّماءاتهم عائلة ربّانيّة واحدة؛ تدين بالإله الواحد، وتؤمن باتّباع النهج القويم في الحياة؛ وهو النهج القائم على الحبّ الجمعيّ المبرأ من الجسديّة، والهادف إلى ترقية الروح من خلال ذوبانها في الحبّ الأنقى والأكمل المتمثّل في الحبّ الإلهيّ في أسْمى تجلّياته.

ولعلّ أكثر ما كان يثير الدهشة لدى البعض في كتابات ابن عربي، وما يثير القلق والانتزاع لدى آخرين؛ أنّه سبق عصره بقرون في استخدام الرموز على نحو غير مسبوق، ونجح في استنطاق الكون الصامت الذي يتكلم بلغات لا تحصى وأفواه لا تُعدّ، فقد أصغى إلى لغة الشمس والقمر والنهر والشجر والحيوانات على اختلافها، ونقل أحاديث الطبيعة وما تقوله على لسان العناصر والموجودات مستشرقًا تجلّياتها في شعره وثره، الأمر الذي صنع له هالة من الإبهار لدى المبدعين الأوروبيين الذين كان قد سبقهم

إلى استخدام المجاز اللغوي والتحرر من المباشرة في التعبير، واستطاع أن يمثّل الصورة المتقدّمة والزاهية لما كانت قد وصلت إليه الحضارة العربية في مجال الفكر الفلسفي والإبداع.

ولم يكن غريبًا أن يصفه المستشرق بروكلمان "بأنّه من أخصب المؤلّفين عقلًا وأوسعهم خيالًا" كما لم يكن غريبًا أيضًا أن يقول عنه المفكر العالمي برتراند راسل: "ابن عربي هو إطار فلسفي لتجربة إيمانيّة كبيرة قد توصف بالإنكار والاستنكار؛ فهي إنكار لاختلاف البشر من ناحية واستنكار لفكرة التفرقة والفصل من الأساس". ولا أنسى- أنني عندما كنت طالبًا في القاهرة قد سكنت لبعض الوقت في واحد من شوارعها يسمى شارع "نوال" في منطقة العجوزة، وعرفت من جيراني في ذلك الحيّ أنّ مستشرقًا فرنسيًا مسلمًا كان يعيش في هذا الشارع سُمّي نفسه عبدالواحد يحيى، وأنّه كان من أشدّ المعجبين بابن عربي وفلسفته الصوفيّة، وقد أهداني أحدهم كتابًا من تأليف الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر -يومئذ- فأثار الكتاب إعجابي، ومنه عرفت أنّ الاسم الحقيقي لذلك المستشرق هو "رينيه جييون" ومحتويات الكتاب تدور حول حياة هذا المستشرق الذي قاده إعجابه بابن عربي إلى اعتناق الإسلام وإلى أن تتمحور أبحاثه حول أهميّة الدين الإسلامي ودور ابن عربي في تفسير الأبعاد الروحيّة للإسلام والكشف عن الجوهر الإنساني في دعوته الموجهة إلى كلّ البشر دون استثناء، وهو ما أكده فيما بعد- المفكر الفرنسي- الشهير روجيه جارودي الذي دخل الإسلام من باب المتصوّفة ومن باب ابن عربي خاصّة.

لقد كان الشيخ الجليل محيي الدين بن عربي أوّل من جعل للحروف ألوانًا وأجسامًا، وللكلمات ظلّالًا ومواقف، وكان على قارئه أن يغوص في محيطات هذه الأجسام والظلال، وأن لا يكتفي بالوقوف على سطح الحياة أو يقصر التأمل فيما يطفو عليها من فقاعات لا توحى بما في الأعماق، وما تحتضنه من إجماعات ودلالات. وأشعر أحيانًا -إن لم يكن دائمًا- أننا لم نقرأ تراثنا الديني والفكري والإبداعي قراءة جادة عميقة، وأنّ انبهارنا بما يصدره الغرب إلينا من قشور المعرفة الأدبيّة والفكريّة قد ألهاننا عن الغوص في محيطاتنا العميقة لاستخراج الحبايا التي ادّخرتها لنا أجيال سابقة من المفكرين والمبدعين العرب وفي مقدمتهم محيي الدين بن عربي، ولهذا فقد فوجئنا بمجفريات المستشرقين وبحثم الذنوب في هذا التراث، ولا شكّ أنّهم حقّقوا بذلك الحضر الكثير من المعرفة والبهجة لأبناء قومهم، وفتحوا أمامهم نوافذ وآفاقًا سرعان ما أشعلت المحيطة الأوروبيّة بعد أن كانت أسيرة الصور الحسيّة والتجارب الواقعيّة.

إنّ الروح تصدأ من همينة الواقع على رؤاها وهي تشكو من ضيق المكان وتسعى إلى إيجاد نسخة خارج هذا المكان الضيق، لكي تكتشف ما وراءه من عوالم مجهولة، وتصل إلى أمكنة لا تضيق بأصحابها، وهذا بعض ما فعله الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه هذا وفي بقية كتبه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: التفسير الكبير، ويضم 64 مجلدًا، و"التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانيّة" و"فصوص الحِكْم" و"محاضرة الأبرار" و"الجمع والتفصيل في حقائق التنزيل" و"ترجمان الأشواق" و"كشف المعنى في تفسير الأسماء الحسنى" و"مشاهد الأسرار القدسيّة" و"الجدوة المقتبسة والخطرة المختلصة" و"مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم" و"الأحاديث القدسيّة". وبعض هذه المؤلفات متوفّر ومطبوع والكثير منها مفقود.

أخيرًا في اللحظات القاسية من حياة الإنسان، وحين يشعر بأنّ وجوده على الأرض ممدّد من داخل نفسه أولًا ومن خارجها ثانيًا؛ فإنّ عليه أن يبحث عن باب للخروج إلى حيث الراحة والأمل. وما أكثر هذه اللحظات التي تترام في واقع الإنسان المعاصر وتحوّل إلى عمر قاس ومريع، لذلك ما أحوجهم إلى معرفة ذلك الباب، وهو عند كثير من أصحاب المعرفة، باب الإيمان المؤدّي إلى حديقة التصوّف والزهد عن مظاهر الحياة ومطالبها المتكاثرة، ويكون الفرار من وجه الجحيم البشريّ الراهن المتمثّل في التكالب على المناصب والمال وما يصاحب ذلك من جشع واستقتال ومن أحقاد وابتعاد عن التسامح في صورته المثلى بوصفه مطلبًا أساسيًا لرواد الفكر والإبداع يلوذون إليه، وعنده فقط تتحرّر حياتهم من اللحظات القاسية وتصفو معه إبداعاتهم وتألّق إنسانيتهم.

كلية الآداب – جامعة صنعاء

في 2010/3/19

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ثمانية قرون هجرية مرّت منذ بدأ الشيخ الأكبر إعادة صياغة كتابه "الفتوحات المكية" وواظب عليه بهمة الحكماء، الداعين إلى الحق على بصيرة، ولم يسمح لشيخوخته أن تعتذر عن كتابة آلاف الصفحات بخطّ يده في وقت كان تحت أمره المئات من الفقهاء والقضاة والأدباء والكتّاب الذين سيعتبرون طلبته منهم بالنقل بدلا عنه شرفا لهم وأبي شرف..

وإنه لأمر طيّب أن تبرز النسخة المطبوعة الأولى من هذا الكتاب الموسوعة والتي انتشرت في أجزاء المعمورة في عام 1329هـ بعد سبعة قرون بالتام من انتهاء الشيخ الأكبر من تأليفه في مسودته الأولى عام 629هـ!! ثم تظهر بعد ذلك هذه النسخة المحقّقة والمتكاملة التي بين أيدينا الآن بعد ثمانية قرون بالتام من الشروع في تنقيح هذه الموسوعة التي بدأها الشيخ عام 632هـ، ومستندةً بالكامل على هذه النسخة الثانية المنقّحة.. ويتم هذا في يوم ذكرى المولد النبوي الشريف؛ فهذا الأمر يدلّ على تقدير إلهي عظيم.

فهي إذن خير هدية تقدّمها بين يدي شيخنا الجليل -قدّس الله سرّه- للبشرية التي أحبّها وكتب لها، ولحبيبه في الشرق والغرب أولئك الذين حافظوا على خصوصية شيخهم الأكبر حتى في قلبه؛ فلم يمنحوه لغيره طيلة هذه القرون.. ولم يحاول أيّ منهم انتزاعه منه أو مشاركته فيه.. وأتى لمن يفعل ذلك.. فلن يجد أمامه أذنا تصغي إليه، أو لسانا تدعوه به..

* * *

وننتقل إلى فاس.. هذه المدينة الوداعة ذات العدوتين عدوة الأندلسيين، وعدوة القرويين- التي عرفت النور عام 192هـ في ولاية إدريس بن إدريس.. تعرّفث في شبابه بعد أربعة قرون بالتام من ولادتها- على شيخنا الأكبر.. وحدثت بينها ألفة ومودة.. حتى أنه لم يكن يغادرها في تلك الفترة إلّا ليعود إليها.. وفيها نهّل علوم الحديث والتصوّف.. وأخذ الخرقه من يد إمامها محمد بن قاسم التميمي في المسجد الأزهر، وفي هذا المسجد جاءته الفيوضات والكشوفات الربّانية: إذا دخل محرابه إماما يصلي بالناس رجع بذاته كلّها عينا واحدا، فيرى من جميع جهاته، كما يرى قبيلته، وفيه منحه الله سيرا من أسرارهِ، وهناك نال مقام ختم الولاية المحتدّية... وعند انتقاله إلى المشرق لم يعهد بشقيقتيه وابن عمه إلّا إلى فاس تتولّاهم وترعاهم حتى يقضي الله أمره.. وبادلها شيخنا هذا الوداد فخلّد ذكرها في كتبه، وفي هذا الكتاب وحده ذكرها 42 مرة..

وبعد أن غادر شيخنا هذه الحياة الدنيا بقيت فاس ترعى عهود المحبة، وكيف لها أن لا تفعل ذلك، ولا ترعى حق من منحه الله هذا المقام السامي الذي تشرّب له الأعناق، على ترابها وفي حضنها.. فكان مما عملته أنها أنشأت يوماً طريقة صوفية ستمتها باسمها "الطريقة الفاسية الشاذلية" وعهدت إليها، ضمن مهامها، بمراقبة تراث ابنها البار.. حتى لا تعبت به الأيادي، وليبقى منارا للبشرية، ومفخرة لفاس نفسها التي منحها الله شرف أمومة الختم..

وكان الاختبار الأول حين قام أخيار في مصر الطاهرة بطباعة أول نسخة من الفتوحات المكية عام 1274هـ، وأحدثوا فيها أخطاء وتشويهات من غير قصد منهم.. بسبب عدم اعتمادهم على النسخة التي نقحها صاحبها، فلم يُرُق لفاس ذلك التصرف، وعهدت إلى أحد رواد طريقتها، رب السيف والقلم، الأمير المجاهد عبدالقادر الجزائري، أن يتجه إلى المشرق، ويتدارك الأمر ويصلح الخطأ.. وكان لها ما أرادت؛ فظهرت الطبعة المصححة في مصر وفق إمكانيات عصرها عام 1329هـ..

ويبدو أن فاس قد احتاطت للعبث الذي يمكن أن يقوم به بعض أهل المشرق لاحقاً، ورأت ضرورة الاستعداد المسبق هذه المرة، فنصبت منذ أكثر من قرن خيمتها في أحد جبال اليمن، البلد الأم لشيخنا الأكبر، ورفعت بجانب الخيمة رايتها على قمة جبل الصراهم برعاية الولي الكبير الذي انتقل إليه أمر الطريقة الفاسية الشاذلية حسان بن سنان، قدس الله سره، في مديرية جبل حبشي ولعلها ذات المنطقة التي جاء منها أكثر أصحاب الشيخ قرباً منه، وصفته وخليله، وهو عبد الله بدر الحبشي اليمني..

وجاء الاختبار الثاني منذ أعوام قليلة.. وذلك بعد ظهور طبعة إلكترونية مشوهة لهذه الموسوعة، قام بها للأسف بعض أهل المشرق! سيأتي الحديث عنها لاحقاً.. وهما هم أبناء هذه الطريقة الفاسية الشاذلية في اليمن ينهضون ويقومون بواجبهم الديني والأخلاقي في مواجهة هذا العبث، ويعقدون العزم على إظهار الحقيقة كما خرجت من منبعها، ويجهزون هذه النسخة المنقحة والمحققة بأفضل المعايير المتوفرة وأدقها بالاعتماد على النسخة المنقحة من قبل الشيخ نفسه والتي كتبها بيده الكريمة..

* * *

ألف الشيخ الأكبر مئات الكتب في مختلف مجالات المعرفة الدينية والأدبية.. ومنها على سبيل المثال ثلاثة كتب في التفسير أحدها في 64 مجلداً، وألف في الحديث 12 كتاباً.. الخ، إلا أنه لم يطبع من هذه المؤلفات حسب علمي - شيء، واقتصر الاهتمام على المؤلفات الصوفية.. فحسرت المكتبة العربية وكذلك الباحثون عن المعرفة فرصة الاستزادة من معارفه في هذه المجالات الهامة.

بل إن غياب هذه المجالات عن النارسين كان دافعا قويا لأولئك الذين لا يرون في حياتهم إلا القذى

في عيونهم يسقطونه على غيرهم، وشجعهم على ذلك غياب نظرتهم في مباحث التفسير والحديث والفقہ بشكل مستقل، فراحوا يسقطون غناءهم ويتقولون عليه الأقاويل، إلى أن وصل بهم الأمر إلى تحريف كلامه والافتراء عليه..

وفي هذا المنحى أتمنى على إخواننا، الذين يحبُّ الشیخ أن يستقيم "أهل الفكر" وهم الفلاسفة والأدباء، أن لا يكونوا عوناً عليه باستنتاجاتهم الباطلة، وهم يظنون أنهم يخدمونه. فالشیخ يذكر دائماً أن علومه صنفان: الأول مما ينال بالفكر والاجتهاد، والثاني: لا ينال إلا بالكشف؛ وهو ما لم يذكره في كتبه إلا لمساعدة أهل الكشف على فهم مقتضيات كشفهم، فبعضهم يكشف له ولا يعي مدلول كشفه.

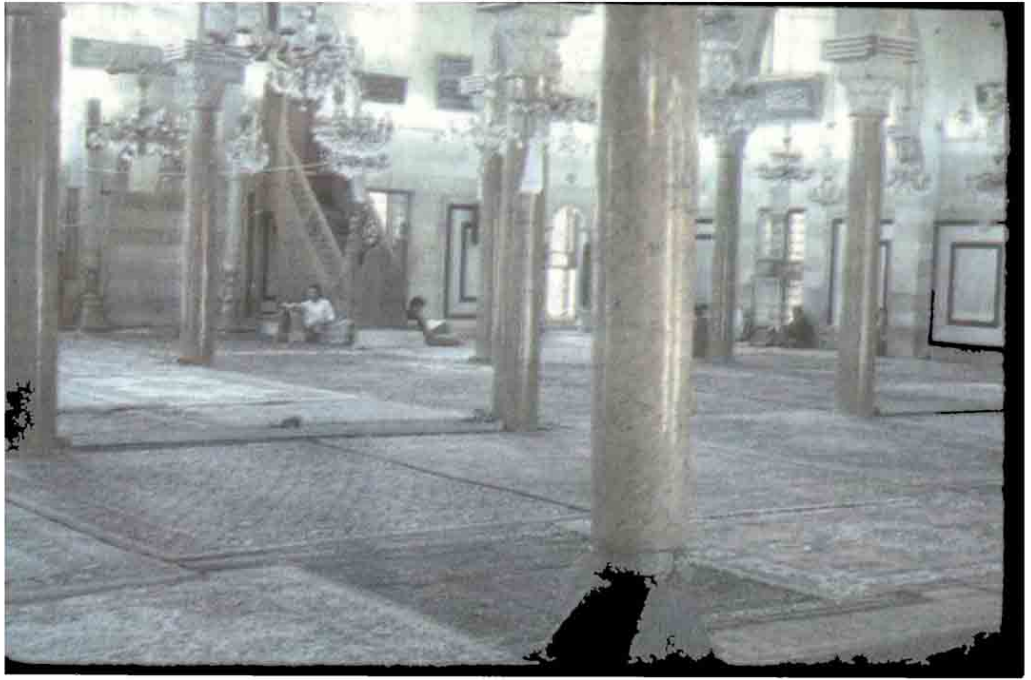
ونفهم من ذلك أن الشیخ خص "أهل الفكر" بالصنف الأول، ولم يوجّه الصنف الثاني لهم لانغلاق أبوابه عليهم.. ومن ثم فإنَّ إصرارهم على الدخول فيه يوقعهم في حرج الخوض فيما لا يدركونه، ويسعون في تفسيره بما لا يقصده صاحبه.. ولذلك كثيراً ما نجد المناوئين يتذرعون بكلام هؤلاء باعتباره مقصود الشیخ.

والدعوة موجهة إلى مراكز العلم، من جامعات ومراكز بحث، وللصوفيّة والباحثين، ودور النشر- في التوجّه لتحقيق وإبراز جميع المؤلفات لشيخنا الأكبر من دون الاقتصار على المجموعة الصوفيّة وحدها، وبروح عال من الكفاءة والمسئولية.

* * *

ستحلّ بعد سبعة أعوام -أي في سنة 1438هـ- ذكرى انتقال شيخنا الأكبر إلى رحاب ربّه، وبحسن أن تهتمّ مراكز البحث والدراسات وكذا الطرق الصوفيّة بالاستفادة من هذه الأعوام السبعة للتخصّير لإحياء هذه المناسبة بإقامة ندوات ومؤتمرات وإجراء مناقشات تتصل بالشیخ الأكبر وعلومه.. فهو يستحقّ منا ذلك، ولعلّي أقول إنّنا نحن من يستحقّ الاستفادة من بحار علمه. وأخيراً:

نحمد الله تعالى على توفيقه بإنجاز هذا الكتاب الموسوع، كسأهمة منا في ذكرى الشیخ الأكبر، ونرجو منه تعالى أن يتقبّله خير قبول، ويجعله في ميزان حسنات شيخنا قدّس الله سرّه، ونسأله تعالى أن يعفو عتاً فيما أخطأنا أو قصّرنا فيه، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.



جامع الشيخ محي الدين بن العربي في دمشق



ضريح الشيخ الأكبر

ترجمة الشيخ محيي الدين بن العربي

مدخل:

فتح المسلمون الأندلس في رمضان من عام 92هـ، وتعاقب على حكمها الأمويون ثم ملوك الطوائف ثم المرابطون الذين كانت حاضرتهم مراكش.. ثم شهد القرن الخامس الهجري سقوط المرابطين عام 537هـ، وورثهم الموحدون في المغرب العربي وغرب الأندلس، ودولة شرق الأندلس التي أقامها عبد الرحمن بن عياض وخلفه محمد بن سعد بن مردنيش وعاصمتهم مرسية.

بعد وفاة محمد بن سعد عام 567هـ آلت شرق الأندلس كلها إلى الموحدين الذين توسعوا بعد ذلك وكونوا مملكة هي الأكبر في شمال أفريقيا والأندلس امتدت من طرابلس الغرب إلى منتهى البر الأفريقي غربا، وشمالا دخلت تحت سيطرتها كل الأندلس في أقصى امتداد وصل إليه المسلمون في تاريخهم هناك¹. ومن المعلوم أن جزءا من جند الفاتحين كانوا من اليمن، وبعد الفتح انتقلت قبائل عربية يمنية إلى الأندلس لحماية الثغور، واستوطنوها، ونبغوا فيها في مجالات عدة، ولم تمنعهم مهاجرهم الجديدة من ذكر أصولهم اليمنية والاعتزاز بها.

وأسرة الشيخ الأكبر إحدى هذه الأسر العريقة التي انتقلت إلى الأندلس في تلك الأزمنة، وبقيت تحمل ذكرى الأصل والالتقاء بعد أجيال من زمان انتقالها². يقول الشيخ الأكبر في أكثر من موضع في ذلك:

إني لمن أضل أجداد نوي حسب العم من طيئ والحال خولاني³

فأخوالنا خولان والعم طيئ بناءة العلى في كل عال وسافل⁴

1 بدأ حكم الموحدين عام 537هـ على أقاض دولة المرابطين، وكانت حاضرتهم مراكش، واستمر حكمهم إلى عام 668هـ (131 عاما)، وأشهر حكامهم هو أبو يعقوب، يوسف بن عبد المؤمن (ت 580هـ) الذي اكتملت في عهده سيطرة الموحدين على الأندلس. وبعده كان ابنه أبو يوسف، يعقوب بن يوسف (ت 595هـ) وهو الذي بنى مدينة الرباط.

2 سيلاحظ المتتبع لتاريخ الأندلس والمغرب العربي كثرة الأسماء اليمنية التي كان لها شأن كبير، ومنها على سبيل المثال السمح بن مالك الخولاني الذي ولي الأندلس بعد فتحها بسنوات قليلة، ومحمد بن أبي عامر الماعفري، والقاضي عياض اليحصي، والقاضي شرح الرعيني، وابن خلون، وأبو بكر بن العربي الماعفري. وهناك القاب كثيرة أخرى تدل على أصولها اليمنية مثل الصنعاني والحضرمي والحيمي والزبيدي والمذحجي والحيمري والصبيحي والعبيسي، والشيباني.. الخ، وهناك قلعة تسمى قلعة بني حماد..

3 ديوان ابن عربي ص 248

4 ديوان ابن عربي ص 267

ومعلوم أنّ طي وخولان قبيلتان بمنيتان.. ويصرّح الشيخ في موضع آخر:
هِيَ بِنْتُ الْعِرَاقِ بِنْتُ إِمَامِي وَأَنَا ضِدُّهَا سَلِيلٌ يَمَانِي¹

اسمه ومولده:

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم أخى الصحابي الجليل عدي بن حاتم (ت 68هـ). يكنى بأبي عبد الله، ويلقب بمحيي الدين، ويعرف بالطائي الحاتمي، وبابن العربي في عصره وعند المغاربة، وبدون ألف ولام عند المشاركة "ابن عربي".

ولد هـ يوم الاثنين 17 رمضان سنة 560 هـ (1165/7/26م) في مرسية في شرق الأندلس²، في زمن حاكمها أبي عبد الله محمد بن سعيد بن مردنيش، وكانت لوالده مسؤولية عالية في جيش حاكمها³. وبعد وفاة ابن مردنيش ودخول مرسية في إطار حكم دولة الموحّدين، "انتقل علي بن محمد العربي -والد شيخنا- مع أسرته إلى اشبيلية عام 568 ليستقرّ في الشؤون العسكرية بديوان السلطان طيلة خلافة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ومدة من خلافة ابنه أبي يوسف يعقوب المنصور"⁴.

ذكر القاري البغدادي وصف ملامح الشيخ الأكبر، فقال: "لم يكن بالطويل، ولا بالقصير، لين اللحم، بطنه بين الفلظة والرقّة، أبيض، مشرب بحمرة وصفرة، معتدل الشعر طويله، ليس بالسبط ولا بالجمد، ولا بالقطط، أسيل الوجه، أعين، معتدل اللثة، ليس في وركه ولا صلبه لحم، خفي الصوت صافيه، أغظ منه، وما ورق في اعتناله، طويل البنان، سبط الكف، قليل الكلام والضحك، إلا عند الحاجة، ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء، في نظره قَدَعٌ⁵، ومشيه ليس بعجلان ولا بطيء"⁶.

والله:

تجمع المصادر التاريخية أنّ والد الشيخ كان مقرباً من الحكام سواء في شرق الأندلس أو في دولة الموحّدين، وبقي على ذلك إلى أن توفاه الله عام 590هـ. ولم يمنعه ذلك القرب من أن يكون تقياً ورعاً؛ يقرأ سورة يس على ابنه حين يمرض إلى أن يشفى ببركتها، ويستقبل الصالحين الذين يزورون ابنه ويجالسهم، ويوزورهم مع ابنه في أوقات أخرى، وتقوى علاقته بالمفكرين والفلاسفة وفي مقدمتهم قاضي قرطبة،

1 ترجمان الأشواق ص 84

2 المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ابن الدماطي، 21/1

3 أنظر: ختم القرآن، عبد الباقي مفتاح، ص 8

4 نفس المصدر

5 القَدَع: الكف والمنع، كَمُك إنساناً عن الشيء

6 البر الثمين، للقاري البغدادي (ت بعد 818هـ)، ص 24

الفيلسوف الطبيب ابن رشد، ويرسل ابنه إليه ليعلم منه حصاد الكشف الذي أعطاه الله في صغره من غير الطريق التي اعتاد الناس تلقي علومهم منها¹.. ويفخر به ابنه الشيخ الأكبر حين يذكره في كتبه بعد ذلك، ويشير إليه أنه ترقى في المقامات إلى أن أصبح من رجال نَسِّ الرحمن².

توفى والد الشيخ عام 590هـ في أشبيلية بعد عودته من زيارة الشيخ عبد العزيز المهدي في تونس برفقة الشيخ محيي الدين.

والدته:

اسمها نور، وهي من أسرة عربية أنصارية، أصولها يمنية من خولان كما قد تبين. يقول الشيخ³:
وكانت أمي تنسب إلى الأنصار:

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ بَجَلَةَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا مَدَّخْتُهُمْ مَدَّخْتُ نِجَارِي

ويبدو أنه كان ممتمًا بأمر والدته وتميية مداركها الروحية، وبأخذها لزيارة الصالحات العارفات، منهج نونه فاطمة بنت ابن المنني التي كانت تقول لها إذا جاءت إلى زيارتها: "أنا أمك الإلهية و"نور" أمك الترابية.. يا نور؛ هذا ولدي، وهو أبوك! فبريه، ولا تَقْنِيهِ"⁴.

بعد وفاة والده عام 590هـ كفلها الشيخ مع شقيقته حتى انتقلت الأم إلى جوار ربه.

عم الشيخ:

كان لشيخنا عم، شقيق والده، هو عبد الله بن محمد بن العربي، ذكر الشيخ أنه دخل في هذا الطريق وعمره ثمانون عاما وبقي عليه إلى أن مات بعد ثلاثة أعوام، وكان من المتحققين بمقام نفس الرحمن

1 السفر 2 ص 141ب

2 يذكر الشيخ عن هذا المقام بقوله: "ومن صفات صاحب هذا المقام في موته، إذا نظر الناظر إلى وجهه وهو ميت، يقول فيه حتى، وإذا نظر إلى مجس عروقه يقول فيه ميت، فيحار الناظر فيه، فإن الله جمع له بين الحياة والموت، في حال حياته وموته. وقد رأيت ذلك لوالدي رحمه الله-، يكاد آثا ما دفناه إلا على شك، بما كان عليه في وجهه من صورة الأحياء، وما كان من سكون عروقه واقطاع نفسه من صورة الأموات. وكان قبل أن يموت بخمسة عشر يوما أخبرني بموته، وأنه يموت يوم الأربعاء، وكذلك كان. فلما كان يوم موته وكان مرضا شديدا المرض، استوى قاعنا غير مستند، وقال لي: يا ولدي؛ اليوم يكون الرحيل واللقاء. فقلت له: كتب الله سلامتك في سفرك هنا، وبارك لك في لقاتك. ففرح بذلك، وقال لي: جزاك الله يا ولدي- عني خيرا، كل ما كنت اسمعه منك، قوله ولا أعرفه، وربما كنت أنكر بعضه، هو ذا أنا أشهده. ثم ظهرث على جبينه لمة بيضاء، تخالف لون جسده من غير سوء، له نور يتلأأ. فشرع يا الوالد- ثم إن تلك اللمة انتشرت على وجهه إلى أن عمت بدنه. فقبلته ووادعته، وخرجت من عنده، وقلت له: أنا أسير إلى المسجد الجامع، إلى أن يأتي نبيك. فقال لي: رح ولا ترك أحدا يدخل علي. وجمع أهله وبناته. فلما جاء الظهر جاءني نبيه. فجئت إليه، فوجدته على حالة يشك الناظر فيه بين الحياة والموت. وعلى تلك الحالة دفناه، وكان له مشهد عظيم. فسبحان من يختص برحمته من يشاء."
[السفر الثالث، ص 126ب، 127]

3 السفر 4 ص 61

4 أظن السفر 16 ص 15

حسناً ومعنى.¹

شقيقتنا الشيخ:

المراجع لا تذكر أنّ للشيخ إخوة سوى شقيقتين: الكبرى أمّ السعد والصغرى أمّ العلاء. ومات والدهم ولم تتزوجا بعد، ذكرهما الشيخ في كتابه البرّة الفاخرة.. بقوله: "واقترح عليّ أمير المؤمنين أن أتصحق بديوانه وأن يتزوج أختائي. فرفضت وسافرت بها مع أهلي وابن عمّ لي إلى فاس وزوجتهما بفاس"².
أزواجه:

يذكر الشيخ في الباب 463 أنه كان يكره النساء والجماع في بداية دخوله الطريق وبقي على ذلك ثمانية عشر عاماً، حتى شهد مقام القطب الثامن من الأولياء.. عندها تغيرت رؤيته وصدق في توجهه إلى الله وزالت عنه هذه الحالة، وحبّبت إليه.. ويبدو أنّ زواجه الأوّل كان مع نهاية هذه المدة وبالتحديد عام 593هـ التي تقابل مرور 18 عاماً بعد وصوله مرحلة البلوغ..

ويؤيد ذلك ما نلاحظه في تعبير الشيخ سالف الذكر، أنه سافر بأخيه مع "أهله" وابن عمّ له إلى فاس، وهو ما يشير إلى أنه كان قد تزوج قبل ذلك الوقت في أشبيلية، إذ معلوم أنّ تعبير "أهلي" المقصود به هنا الزوجة- ويكون الأقرب للتوقع أنّ "أهله" المقصودة هنا هي المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون البجائي³ التي بقيت في عصمته على ما يبدو- حتى انتقله إلى رحاب ربه⁴.

وكان الشيخ يشير إلى زوجته بالصلاح وسلوك الطريق.. يقول الشيخ: "حدّثني المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي، قالت: رأيت في منامي شخصاً كان يتماهدني في وقائي، وما رأيت له شخصاً قطّ في عالم الحسّ. فقال لها: تصدين الطريق؟. قالت: فقلت له: أي والله أقصد الطريق، ولكن لا أدري بماذا. قالت: فقال لي: بخمسة، وهي: التوكّل واليقين والصبر والعزيمة والصدق. فعرضت رؤياها عليّ، فقلت لها: هذا مذهب القوم"⁵، وفي موضع آخر يشير أنّه علم في إحدى وقائمه أنّ لها في التوحيد أوفر حظّ وأعظم نصيب⁶.

وفي نهاية نسخة قونية يذكر الشيخ اسم زوجة أخرى له هي فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير

1 السفر 3 ص 50ب

2 اختم القرآن، ص 20 قلا عن البرّة الفاخرة

3 البجائي: نسبة إلى بجاية؛ إحدى المدن في الجزائر حالياً.

4 ذكرها الشيخ في الفتوحات المكية بالاسم ثلاث مرات: في السفر 4 ص 82، والسفر 16 ص 149ب، والسفر 23 ص 149ب. وصيغة التعبير تدل على أنها كانت حية عند ذكره لها كونه لم يترحم عليها كعادته عند ذكر الأموات.

5 السفر 4 ص 82.

6 السفر 16 ص 149.

الحرمين. وهي أم ابنه عماد الدين محمد الكبير الذي وقف عليه النسخة الأولى من الفتوحات المكية التي انتهى من كتابتها عام 629. وصيغة التعبير توحى أيضا أنها كانت على قيد الحياة عند كتابته تلك في عام 636هـ. ويحتمل أنها أم ابنته زينب التي ذكرها في الفتوحات مرتين مع أمها وجدتها¹، ووصفها بأنها كانت رضية عمرها دون السننتين في العام الذي ذهب فيه مع أمها إلى الحج وذهب هو إلى بغداد من دمشق، وكان ذلك عام 608هـ وفق رواية ابن النجار.

وفي كتاب محاضرة الأبرار يقول الشيخ: "وكان لنا أهلٌ تفرّ العين بها ففرّق الدهر بيني وبينها فتذكرتها ومنزلها بالحلّة من بغداد"². ونظرا لأنّ آخر زيارة معلومة لنا قام بها الشيخ إلى بغداد كانت في عام 608هـ فتكون صلته بزوجه البغدادية قد انقطعت في تلك الآونة أو بعدها، ولا نعلم سبب ذلك الانقطاع؛ هل هو الطلاق أو الموت؟

هذه الحالات الثلاث هي التي ذكرها الشيخ صراحة عن أزواجه إما بذكر أسماهن، أو بتعبيره المتعارف عليه "أهل".

وذكر القاري البغدادي (توفي بعد 818هـ) أنّ الشيخ تزوج في دمشق ابنة قاضي قضاء المالكية بدمشق زين الدين أبي محمد عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي المالكي (589-681هـ) الذي "ترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ"³.

كما أنّ مصادر أخرى تشير إلى أنّه تزوج بالأناضول أم صدر الدين القونوي بعد وفاة زوجها الأوّل مجدّ الدين إسحاق الرومي. أولاده:

المعلومات المؤكدة تشير إلى أنّه كان له ولدان وبنات.. أما البنت فهي زينب التي ذكر في "الفتوحات المكية" كرامة حصلت لها في طفولتها ولم تكن قد بلغت العامين من عمرها.. والولدان هما عماد الدين محمد الكبير، قال الشيخ قطب الدين اليونيني عنه: "كان فاضلاً سمع الكثير وسمع معنا صحيح مسلم على الشيخ بهاء الدين أحمد بن عبد الباقم المقدسي، وتوفّي بدمشق في شهر ربيع الأوّل سنة 567هـ، ودفن عند والده بسفح قاسيون وقد نيف على الخمسين"⁴. والثاني سعد الدين محمد ولد في ملطية في شهر

1 السفر 20 ص 130 ب، والسفر 30 ص 91.

2 محاضرة الأبرار 58/2.

3 البر المئين في مناقب الشيخ محيي الدين ص 42. ونلاحظ هنا أنّ ابن كثير في البداية والنهاية (352/13) يؤكد مسألة ترك القضاء، إذ يقول عن القاضي الزواوي أنّه: "أول من باشر القضاء في دمشق، وعزل نفسه عنها تورعا وزهادة...".

4 الوافي بالوفيات، الصفدي، 86/1.

رمضان 618هـ، سمع الحديث ودرس، وكان شاعرا مجيدا، توفي عام 656هـ، ودفن عند والده.

دراسته:

بعد انتقال أسرة الشيخ إلى أشبيلية وعمره حينذاك ثمانية أعوام بدأ شيخنا في أشبيلية يتلقى العلوم

لدى أمتها وفقهاها..

في بداية أمره تعلم القرآن الكريم وحفظه لدى جاره، ثم تعلم القراءات السبع على الشيخ محمد بن خلف بن صاف اللخمي¹ بمسجده المعروف به، بقوس الحنية بأشبيلية وكان إذ ذاك قد بلغ الثامنة عشرة من عمره،

ودرس الحديث على أبي محمد عبد الحق بن عبد الله الأزدي الأشبيلي، وعلى أبي الحسين بن الصانع بسبته، من نزية أبي أيوب الأنصاري، وعلى أبي الصبر أيوب الفهري، وعلى أبي محمد بن عبيد الله الحجري بسبته، ومحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، ومكين الدين أبو شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني البزاز بمكة، وآخرين.

كما أنه درس واستوعب الفقه لجميع المذاهب الإسلامية، وكذا السيرة النبوية، وكتب الأدب وغير ذلك. وكان الشيخ قد ذكر في إجازته لأمر المؤمنين الملك المظفر بن الملك العادل أسماء ستين من شيوخه في القراءات والحديث والفقه والسيرة في الأندلس والمغرب العربي ومصر ومكة وبغداد والموصل وغيرها.. ومن جميع المذاهب الإسلامية.. مبيّنا وجود شيوخ آخرين استفاد منهم غير هؤلاء.

وكذا ذكر أسماء عشرات من شيوخه الآخرين في كتبه الأخرى وأهمها "رسالة روح القدس في محاسبة النفس" و"الدرة الفاخرة فيمن انتفعت به في طريق الآخرة"

تصوفه:

انتسب شيخنا للطريقة أول أمره من خلال شيخه أبي العباس أحمد العربي الذي قدم إلى أشبيلية من بلده "الغليان" بفرب الأندلس وكان ابن العربي أول من سارع إليه، ووصفه أنه كان "بدويًا أميًا لا يكتب ولا يحسب، وكان إذا تكلم في علم التوحيد فحسبك أن تسمع؛ كان يقيّد الحواطر بهيمته ويصدع الوجود بكلمته، لا تجده أبدا إلا ذاكرا على طهارة مستقبل القبلة، أكثر دهره صائما... وكان قويا في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم. كنت إذا دخلت عليه يقول: مرحبا بالابن البار، كلّ ولدي نافق عليّ

1 محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن صاف أبو بكر الأشبيلي مقرئ كامل إمام حاذق، تلا على أبي الحسن بن شريح بن محمد وأخذ العربية عن أبي القاسم بن الرماك وأجاز له أبو الحسن بن مغيث وغيره، أخذ عنه القراءات أبو جعفر القرطبي إمام كلامة دمشق وعلى بن محمد البلوي البلسني وأقرأ الناس نحو خمسين سنة، وشرح الأشعار الستة وضحى شلب، وتوفي سنة خمس ومائتين وخمسة عن قريب المائتين سنة. [غاية النهاية في طبقات القراء 338/1]

وجحد نعمتي إلا أنت؛ فإنك مقرّ بها معترف، لا أنساها الله لك... وكان ﷺ كثير التفكير مبسوطا مع الحقّ في عموم أحواله... وكان ﷺ لا يتجرّد لنوم في ثوب، ولا يبتزّ في سماع، فإذا سمع القرآن تعصّف وتصدّعت أركانه"¹

وخلال هذه الفترة التي صحب فيها شيخه العربي كان في حياته أيضا الشيخ الميرتلي²، وله معه أخبار وحكايات أوردها في هذا الكتاب.

ويبدو أنّه فقد شيخه العربي بعد عودته إلى منطقتة "العليا بغرب الأندلس" بعد أن قضى في أشبيلية ستة أشهر، وكان قد أسنّ وكفّ بصره قبل وفاته -رحمه الله-، وبقي شيخنا بعد ذلك مكثفيا بجلسات السماع الصوفي مع أقرانه مع ما يتخللها من ذكر ورقص وتواجد يستمر إلى الصباح يؤدّون في نهايتها صلاة الفجر بأسرع وقت، وهي التي ساهبا فيما بعد بالفترة، أو زمن جاهليّته..

ثم تعرّف على أحد أهم الشخصيات التي كان لها تأثير كبير في مسار حياته وهو الشيخ يوسف بن يخلف الكومي أحد أصحاب شيخ الشيوخ أبي مدين الفوث ومن خلاله عرف لأول مرة دلالة لفظ التصوّف³ -وكان قد سلك الطريق وفتح له فيه دون معرفة مسمى هذا النهج- وقرأ معه الرسالة القشيرية، إضافة إلى فنائه بشيخ الشيوخ الفوث بعد أن ذاق سيرته من شيخه وتلميذه الكومي كما ذكر ذلك في الفتوحات- ومن أحد الأبدال وهو موسى السدراقي.

والواقع إنّ عقد الثمانينات وعلى الخصوص عامي 585 و586هـ- كان حافلا بأخبار فتوحاته ومواجيده وعزلته في المقابر وتنقله في نواحي الأندلس ولقائه بعدد من أساطين الفكر والمواجيد.. ولعلّ لقاءه بالفيلسوف الطبيب أبي الوليد بن رشد قاضي قرطبة من أشهر هذه اللقاءات⁴. وكان شيخنا يتوق إلى لقاء الفوث، شيخ الشيوخ أبي مدين -الذي كان يقطن بجاية- بعد أن استفرقت محبته له أقصاها.. ولما انتقل الشيخ أبو مدين إلى رحاب ربه عام 589هـ في تلمسان، تحرّك شيخنا من الأندلس تجاه الضفة الأخرى، إلى حيث مرقد شيخ الشيوخ بتلمسان، ومنها يتّجه صوب تونس ف فيها أحد أشهر أصحاب أبي

1 روح القدس في معرفة النفس ص 66-70

2 أبو عمران موسى بن حسين بن عمران الزاهد، يعرف بالميرتلي، وأصله من نقر ميرتلة، وسكن إشبيلية، وكان لا يعدلّ به أحد من أهل عصره صلاحًا وعبادة مع قصره في فنون الأدب، وشعره في الزهديات مجموع. روى عنه ابن حوط الله. ولما احضر ما زال يكرز: "لئن الدين آمنوا وعملوا الصالحات"، إلى أن قبض. توفي ليلة السبت مستهل جادى الأولى سنة أربع وستائة. [تحفة القادم 30/1]

3 روح القدس في معرفة النفس ص 49

4 انظر السفر 2 ص 141ب، والسفر 5 ص 19، ويبدو أنّ هذا اللقاء تم عام 586هـ حين اصطحب الشيخ ابن العربي والله لزيارة الشيخ أبي محمد مخلوف القبايلي في قرطبة، وفي تلك الزيارة أطلعه الحق وأشهده "أعيان رسله عليهم السلام وأنبياؤه كلهم البشريين من آدم إلى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين" قبل وفاة الشيخ القبايلي بأيام. انظر فصوص الحكم ص 110، وشرح رسالة القدس ص 115

مدين؛ عبد العزيز المهدي. وكان ابن عمه، أبو الحسين علي بن عبد الله بن محمد بن العربي، مهاجرا هناك يتلقى علومه لدى الشيخ المهدي.

الفتح الأكبر:

يتبين من حديث الشيخ في الباب 351 أن كل الفتوحات التي تحدت عنها قبل عام 590هـ إنما كانت بمثابة مقدمات الفتح الأكبر الذي حصل له في العام 590هـ، بعد أو أثناء هذه الزيارة المباركة، وهو دخوله أرض العبودية التي ثبت عليها بقية عمره، وهي التي يصفها بعد 45 عاما بقوله:

"العبودية ذلة محضة خالصة ذاتية للعبد؛ لا يكلف العبد القيام فيها؛ فإنها عين ذاته. فإذا قام بحققها، كان قيامه عبادة. ولا يقوم بها إلا من يسكن الأرض الإلهية الواسعة التي تسع الحدوث والقدم؛ فتلك أرض الله؛ من سكن فيها تحقق بعبادة الله، وأضافه الحق إليه. قال تعالى: ﴿لَمَّا عَتَاوِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُون﴾ يعني فيها. ولي مذ عبدت الله فيها، من سنة تسعين وخمسمائة، وأنا اليوم في سنة خمس وثلاثين وستمائة".

ولعلنا نستنتج هنا أن كون حدوث هذا الأمر بعد انتقال شيخ الشيوخ الغوث أبي مدين، إنما كان إشارة إلى وراثة الشيخ الأكبر له في مقامه، وسيكون من ثم قاعدة جديدة للترقي في إطار هذا الوضع الجديد، ومنها نبهه مقام ختم الولاية المحمدي عندما كان في فاس عامي 594 و 595هـ.

وفي ذلك يقول:

أنا ختم الولاية دون شك ليوزني الهاشمي مع المسيح

وليس المقصود بختم الولاية أنه آخر الأولياء، كما قد يتبادر إلى الذهن لأوّل وهلة، وإنما المقصود به - كما بينه الشيخ- أنها رتبة لا تكون إلا "لرجل من العرب، من أكرمها أصلا وهذا" ¹ بحيث "لا يكون في الأولياء المحمديين أكبر منه" ²، كما أنه "أعلم الخلق بالله، لا يكون في زمانه ولا بعد زمانه، أعلم بالله ومواقع الحكم منه. فهو والقرآن إخوان" ³ "ومنزله من رسول الله ﷺ منزلة شجرة واحدة من جسده ﷺ ولهذا يشعر به إجمالا. ولا يعلم تفصيلا إلا من أعلمه الله به، أو من صدقه إن عرفه بنفسه في دعواه ذلك" ⁴.

تقلاته:

بعد عودته إلى الأندلس عام 590هـ قضى الشيخ الأكبر فترة 8 سنوات بعد هذا الوضع الجديد له

1 أظن السفر 12 ص 22ب

2 أظن السفر 11 ص 74ب

3 أظن السفر 25 ص 48ب

4 أظن السفر 27 ص 123ب

متقلًا بين المغرب العربي والأندلس، وعَبَّر مضيق جبل طارق ذهابًا وجيئة 3 مرات، وزار فيها جميع مدن دولة الموحّدين المعروفة والتقى خلالها بالأئمة والعلماء والسلاطين ولم يتوقف عن تلقّي العلوم الشرعية في مختلف فروعها، كما أنّه قد صار شيخًا يشار إليه بالبنان وله أصحاب ومريدون، وأشهرهم على الإطلاق صاحبه الوفي عبد الله بن بدر الحبشي اليمني هاجر إليه من مكة المكرمة إثر رؤيا رآها دعتة إلى الهجرة إليه، وبقي ملازمًا له كظله في حله وترحاله إلى أن لقي ربه في ملطية أواخر عام 618هـ.

رحلته إلى الشرق:

بدأ في أواخر عام 596هـ بالتجهز للسفر إلى المشرق العربي.. فجدّه ينتقل من الأندلس إلى المغرب، ويودّع شيخه الكومي في سلا ثم يتجه إلى مراکش، ومنها إلى فاس، ثم بجاية حيث كان شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، وأخيرا إلى تونس للبقاء مع الشيخ عبد العزيز المهدي تسعة أشهر.. وفي ختامها يشدّ الرحيل صوب الشرق لأداء فريضة الحج، وتشاء الأقدار أن تكون هذه رحلته الأولى والأخيرة إلى بلاد الشرق؛ إذ لم يعد بعدها إلى المغرب العربي والأندلس¹.

كانت القاهرة هي المحطة الأبرز للشيخ في أوّل قُوم له.. وفيها قضى شهر رمضان المبارك من عام 598هـ بضيافة أخوين من أعزّ أصحابه ورفيقي طفولته وجيرانه في أشبيلية، وكانا قد سبقاه في الرحلة إلى الشرق عام 590هـ، وهما: أبو عبد الله محمد الخياط وعرف بالقسطلاني في مصر، وأخوه أبو العباس أحمد الأشبيلي الحريري². وبعد انتهاء شهر رمضان ودّعها لزيارة الخليل إبراهيم الكحلّاء في مدينة الخليل وزيارة بيت المقدس، ومنها اتجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج في نفس العام. وبقي مجاورا في مكة عامي

1 تمت هذه الرحلة في عهد السلطان محمد بن يعقوب، أبي عبد الله (ت 610هـ) وهو الذي آلت إليه دولة المرحدين بعد وفاة والده عام 595هـ.

2 جاء في "ختم القرآن" للأستاذ عبد الباقي مفتاح ص 311 ما يلي: "ذكر الغبريني (ت: 704) في كتابه (عنوان الدراية) أنّ بعض فقهاء مصر حكروا بالإعتماد على الشيخ بسبب شطحاته، لكن الشيخ أبا الحسن علي بن أبي نصر فصح بن عبد الله البجائي شفع له وأخذ من تنفيذ الحكم. لكن الغبريني الذي هو أوّل من ذكر هذه الرواية بعد نحو قرن من وجود الشيخ بن العربي في مصر، لم يذكر سندها ولا يئن سميها أو أقرها، كما لا توجد أدنى إشارة إليها في كتب الشيخ أو تلاميذه أو المؤرخين المعاصرين له. والأرجح كما أثبتته السيدة عتاس (230-232: A) أنّ ما رواه الغبريني وهم، خصوصا أنّه زعم أنّ الشيخ كان يستي بأبن سراقه، وأنه توفي حوالي عام 640. والثابت المشهور هو أنّه توفي عام 638هـ ولم يُلقب أصلا بأبن سراقه، وإنّما هو لقب لأحد أصحابه، وهو الفقيه الصوفي محي الدين أبو بكر، مدير دار البهائية بجلب، ثم رئيس دار الحديث بمصر بين عامي 656 و660هـ. وتوفي عام 662هـ". والواقع أنّ هذه الرواية المدحوضة كما تبين قد استقبلها البعض من معجزوا عن فهم التصوف بفرح شديد ونشروها في كتبهم كدليل واضح على إدانة الصوف والشيخ الأكبر.. وهنا اضيف أنّ الشيخ قد روى قصة رحلته إلى مصر وكانت انطباعاته كلها إيجابية عنها، بل إنه عاد من جديد ليزور القاهرة بعد خمس سنوات ولقي فيها قبولا طيبا.. كما أنّ زيارته لمصر حدثا بعد أن قد رجع إلى الطريق وترك أحوال الشطخ التي تفرع بها هؤلاء، منذ قرابة الثلاثة عقود، وهي الفترة التي اعتبرها جاهلية، ووصل به الأمر إلى رفض جلسات السماع الصوفية التي تنتج مثل هذه الأحوال وصرح بذلك بدون مواربة في "رسالة روح القدس في محاسبة النفس". كما أنّ مصر في تلك الأيام كانت تعيش هما قاتلا بسبب الوباء الذي اجتاحتها حينذاك وفكّ بألاف من البشر.. ولم يكن هناك متسع لمناقشة خلاصات الأفكار والمعتقدات.

تفلاته في المشرق:

كان الشيخ الأكبر قد زار الإسكندرية والقاهرة والخليل وبيت المقدس قبل وصوله إلى مكة المكرمة أواخر عام 598هـ، وخلال فترة مجاورته بمكة زار الطائف. وفي أوائل 601هـ يبدأ الشيخ الأكبر في الطواف بين حواضر بلاد المشرق.. فنراه يزور المدينة المنورة للسلام على الحبيب المصطفى وبغداد والموصل وديسر وميافارقين من ديار بكر وقونية وسيواس وملطية وقبصرية وحرّان وحلب ودمشق وغيرها من البلاد، ويكرر زيارته لعدد منها، ويعود إلى مكة المكرمة مرتين: الأولى في عام 604هـ ويؤدّي فريضة الحج للمرة الرابعة ويجاور فيها مدة، والثانية في عام 611هـ.

وبعد عشرين عاما من الترحال في بلاد المشرق يحطّ شيخنا رحاله في دمشق وتقتصر زيارته بعد ذلك على حلب، لمقابلة أصحابه هناك ومن أشهرهم فيها تلميذه النجيب إسماعيل بن سودكين النوري¹.
شيوخه:

يصعب حصر شيوخه وأساتذته، نظرا لأنه يعتبر كلّ من أفاده شيئا شيئا له، وتزخر مؤلفاته بأسماء العشرات منهم. كما تزخر كتب التراجم المؤلفة عن الشيخ الأكبر بالعشرات من الأسماء الذين ذكر فضلهم عليه.. ولعلّ أشهرهم من قد ذكرناهم سابقا عند حديثنا عن دراسته وتصوّفه..
وكان الشيخ قد أوضح أنّ ذكره لم بهذا الأسلوب إنما هو من باب ذكر فضلهم.. فيقول في السفر 19 ص 5ب: إنّ الإمام الأيسر الواقف على يسار القطب واسمه عبد الملك "أنعم عليّ ببشارة بشرفي بها، وكنت لا أعرفها في حالي، وكانت حالي، فأوقفني عليها، ونهاني عن الاتماء إلى من لقيت من الشيوخ، وقال لي: لا تتنمّ إلا لله؛ فليس لأحد من لقيته عليك يدّ بما أنت فيه، بل الله تولاك بعنايته. فأذكر فضل من لقيت إن شئت، ولا تنتسب إليهم وانتسب إلى ربك. وكان حال هذا الإمام مثل حالي سواء. لم يكن لأحد من لقيه عليه يد في طريق الله إلا الله".

لبس الحرقة:

جاء في القرآن الكريم أنّ سيدنا يوسف عليه السلام بعد أن كشف لإخوته عن نفسه: ﴿مَقَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ النَّيْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي﴾

1 توفي أبو الطاهر إسماعيل بن سودكين بحلب بعد عوده من زيارة البيت المقدس بأيام، يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس الثالث والعشرين من صفر سنة ست وأربعين وستائة، ودفن قبل الظهر بترية أنشأها بالقرب من مشهد النساء خارج باب النصر، وكان عمره يومئذ سبعة وستين سنة. [بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، 100/2]

بَأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ¹. ومن ذلك اعتبر الصوفيةُ الحرقة؛ بمنحها الشيخ للمريد، يخلع عليه فيها أخلاقاً تناسب والمقام الجديد المهيتاً له.. وكان الشيخ في بداية أمره لا يقول بالحرقة المعروفة الآن، "فإنَّ الحرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق، ولهذا لا يوجد لباسها متصلاً برسول الله ﷺ ولكن توجد صحبة وأدبا، وهو المعبر عنه بلباس التقوى، فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحداً من أصحابهم عنده نقص في أمرٍ ما، وأرادوا أن يكملوا له حاله، يتمد به هذا الشيخ؛ فإذا اتَّحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال، ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكلمة حاله، فيسري فيه ذلك الحال، فيكمل له ذلك، فذلك هو اللباس المعروف عندنا، والمنقول عن المحققين من شيوخنا"².

واقتنع الشيخ بلبس الحرقة عندما رأى الخضر قد اعتبرها، وألبسها شيوخاً.. ومنهم تسلسلت ووصلت إلى الشيخ الأكبر بطريقين:

الأولى من يد تقي الدين عبد الرحمن بن علي بن مهون بن أب التوزري، ولبسها هو من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية وهو محمد بن حمويه³، وكان جدّه قد لبسها من يد الخضر. والثانية من يد علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب علي المتوكل، وأبي عبد الله قضيب البان، كان يسكن بالقتلى خارج الموصل- في بستان له، وكان الخضر قد ألبسه الحرقة بحضور قضيب البان، وألبسها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه، وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إيها.⁴

وفي رسالة نسب الحرقة يذكر الشيخ أنه لبس الحرقة القادرية من يد الشيخ جمال الدين يونس بن أبي الحسن العطار بمكة بالحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة بعد أن صحبه وتأدب به. كما أنه كان قد لبس الحرقة من يد أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي الفاسي.⁵ ويذكر الشيخ أنه لذلك قد ألبس الحرقة عدداً من مرهديه وأصحابه ذكورا وإناثا، وهناك عدد ممن ألبسهن الحرقة ذكرهن في ديوانه.

1 [يوسف : 92، 93].

2 السفر 3 ص 51 مخطوط.

3 صدر الدين شيخ الشيوخ، ابن حمويه، محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، صدر الدين أبو الحسن شيخ الشيوخ ابن شيخ الشيخ عماد الدين أبي الفتح الجويني البهراياني الصوفي. ولي تدريس الشافعي ومشهد الحسين، وسيرة الكامل رسولاً إلى الخليفة، وكانت داره مجمع الفضلاء.. توفي سنة سبع عشرة وست مائة.. [الروافى بالرفيات 42/2]

4 انظر السفر 3 ص 52 ب.

5 انظر رسالة نسب الحرقة (ضمن كتاب الطريق إلى الله تعالى، من كلام الشيخ الأكبر) جمع وتأليف محمود محمود الغراب ص 174-175.

أصحابه:

وكما صعب علينا حصر شيوخه، يصعب علينا أكثر حصر أصحابه وأتباعه لكثرتهم.. ومع ذلك فهناك

ثلاثة أسماء لامعة كانت مقربة لديه أكثر من غيرها..

أولهم هو عبد الله بدر الحبشي اليمني¹، والثاني هو إسماعيل بن سودكين النوري²، أما ثالثهم فهو صدر الدين محمد بن إسحق القونوي³. كما أنّ هناك العشرات من الذين شاركوا في سماعات "الفتوحات المكية" وحدها، وأسماؤهم مبيّنة في مواقعها في الكتاب.. وهم من كبار القضاة والفقهاء والمؤرخين.. وعددهم يربو على المائة والثلاثين ممن ينتمون إلى جميع المذاهب الإسلامية وفق التعريفات الواردة أمام أسمائهم..

وذكر الشيخ في كتاب "المبشرات" أنه في عام 629هـ رأى رؤيا تبشّره بأنه سيكون له ألف ولد

روحي⁴.

علاقته بعلماء عصره:

اتّسمت علاقته بعلماء عصره بالثقة الكبيرة بين الطرفين والاحترام المتبادل والإفادة والاستفادة دوماً

حرج.. فنراه يصف علاقته بأحد أهمّ رجال عصره في أشبيلية وهو الشيخ يوسف بن مخلف الكومي،

بقوله: "وما راضني أحد من مشايخي سيّواه؛ فانتفعت به في الرياضة، وانتفع بنا في مواجيدته؛ فكان لي

تلميذاً وأستاذاً، وكنت له مثل ذلك. وكان الناس يتمجّبون من ذلك!"⁵.

وهناك أيضاً يظهر مدى الاحترام الذي كان يحظى به من قبل أساتذة القراءات فيها من خلال

القصة الظريفة التالية التي يرويها في السفر 37 ص 79ب:

1 عبد الله بدر الحبشي اليمني: (ت 618هـ) ذكره الشيخ في الفتوحات المكية مشيراً إلى أنه واحد من قيد لم "الفتوحات المكية" واصفاً إيّاه بأنه حبيب الوليّ، وأخيه الزكي، وولده الرضخ، وأنه جمع بينه وإسماعيل بن سودكين وبين الحتم، وذكر له كرامة حصلت عند موته (انظر السفر 1 ص 4، و 23/12، 3/126، 23/108ب).

2 إسماعيل بن سودكين بن عبد الله، أبو الطاهر، النوري قال في "الجواهر": مولده بالقاهرة سنة ثمان، أو تسع وأربعين وخمسةائة. وقال الذهبي: سنة تسع وسبعين وخمسةائة. صحب الشيخ أبا عبد الله محمد بن علي بن العربي مدة، وكتب عنه كثيراً من تصانيفه. وسمع بمصر من أبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي، وأبي عبد الله محمد بن حامد الأرتاحي، ومجلب من الشريف أبي هاشم عبد المطلب بن [الفضل] الهاشمي. وحدث، وروى عنه ابن القراس. وكان فقيهاً، فاضلاً، محدثاً، شاعراً، له نظم حسن، وكلام في التصوف. مات بمجلب، سنة ست وأربعين وستةائة. [الطبقات السنينة في تراجم الحنفية 177/1]

3 (القونوي) (... 673 هـ = ... 1275 م) محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي، صدر الدين: صوفي، من كبار تلاميذ الشيخ محيي الدين ابن العربي. تزوج ابن العربي أمه، ورواه. وكان شافعي المذهب. وبينه وبين نصير الدين الطوسي مكاتبات في بعض المسائل الحكيمة. من كتبه (النصوص في تحقيق الطور المخصوص - خ) تصوف، و (اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعانية لابن عربي - خ) و (إنجاز البيان - ط) في تفسير الفاتحة، على لسان القوم، و (مفتاح الغيب - خ) و (شرح الأحاديث الأربعينية - ط) و (شرح الأسماء الحسنى - خ) و (الرسالة الهادية - خ) و (النفحات الإلهية القدسية - خ) و (الرسالة المنصحة - خ) و (الرسالة المرشدية في أحكام الصفات الإلهية - خ) و (لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام - خ) و (شفقة المصنوع - خ) و (تفسير البسملة - خ) و (برزخ البرازخ - خ). مولده ووفاته بقونية (1). [الأعلام للزركلي 30/6]

4 شمس المغرب ص 376 قلا عن "البحث عن الكبريت الأحمر ص 309" لكلوديا عناس
5 السفر 9 ص 49

"بتنا ليلةً عند أبي الحسين بن أبي عمرو بن الطفيل¹ بأشبيلية، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكان كثيراً ما يحتشمي، ويلتزم الأدب بحضوري، ويات معنا أبو القاسم الخطيب، وأبو بكر بن سام، وأبو الحكم بن السراج، وكلهم قد منعهم احترام جانبي الابتساط، ولزموا الأدب والسكون. فأردت أعمل الحيلة في مباسطهم، فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء من كلامنا؛ فوجدت طريقاً إلى ما كان في نفسي من مباسطهم، فقلت له: عليك من تصانيفنا بكتاب سميناه: "الإرشاد في خرق الأدب المعتاد" فإن شئت عرضت عليك فصلاً من فصوله؟ فقال لي: أشتهي ذلك. فحدثت رجلي في حجره، وقلت له كبستني. ففهم عني ما قصدت، وفهمت الجماعة؛ فانبسطوا وزال ما كان بهم من الاتقياض والوحشة، وبتنا بأنعم ليلة مباسطة دينية".

ومرة أخرى يشرح علاقته بشيوخ عصره في فاس، ويقول: "وكذلك اجتمع بقطب الزمان، سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس. أطلعني الله عليه في واقعة، وعزفني به.

فاجتمعنا يوماً ببستان ابن حيون بمدينة فاس، وهو في الجماعة لا يؤذنه له. فحضر في الجماعة وكان غريباً من أهل بجاية؛ أشلَّ اليد- وكان في المجلس معنا شيوخ من أهل الله، معتبرون في طريق الله، منهم أبو العباس الحصار²، وأمثاله. وكانت تلك الجماعة بأسرها، إذا حضروا يتأدبون معنا؛ فلا يكون المجلس إلا لنا، ولا يتكلم أحد في علم الطريق فيهم غيري، وإن تكلموا فيما بينهم رجعوا فيها إلي³.

وحين قدم إلى مكة المكرمة كانت صلته وثيقة ومثينة مع إمام الحرم المكي الشريف، مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني وأخذ عنه الحديث، وذكره في مواضع عدة في مؤلفاته مشيراً إليه بأنه شيخه⁴. وتوطدت علاقته كذلك مع مفتي الحجاز الشيخ محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف اليمني¹، وأشار

1 أبو الحسن محمد أخذ القرامات عن أبيه "عياش بن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل بن عظمة أبو عمرو العبدي الأشبيلي، أستاذ مجودة أخذ القرامات عن أبيه وعن أبي الحسن شرح" [إكمال الكمال 69/6]

2 ذكر الشيخ في الباب 309 أن الشيخ الحصار كان من الذين تحققت مقام الملامية الذي لا يكون إلا لأكابر الأولياء، وذكره في السفر 17 أنه رآه في واحد من معارجه الروحية، وما قاله: "... ورأيت الكثر الذي تحت العرش الذي خرجت منه لفظة "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"، فإذا الكثر آدم صلوات الله عليه- ورأيت تحته كوزاً كثيرة أعرفها، ورأيت طيوراً حسنة تطير في زواياها. فرأيت فيها طائراً من أحسن الطيور، فسلم عليّ. فألقي لي فيه أن أخذه صحبتي إلى بلاد الشرق، وكنت بمدينة مراكش حين كشف لي عن هذا كله. فقلت: ومن هو؟ قيل لي: محمد الحصار، بمدينة فاس، سأل الله الرحلة إلى بلاد الشرق، فخذ معك. فقلت: السمع والطاعة. فقلت له، وهو عين ذلك الطائر: تكون صحبتي، إن شاء الله. فلما جئت إلى مدينة فاس، سألت عنه، فجاءني. فقلت له: هل سألت الله في حاجة؟ فقال: نعم؛ سألته أن يجعلني إلى بلاد الشرق؛ فقيل لي: إن فلانا يحملك، وأنا أنتظر من ذلك الزمان. فأخذه صحبتي، سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وأوصلته إلى البيار المصرية، ومات بها -رحمه الله-".

3 السفر 30 ص 5

4 زاهر بن رستم ابن أبي الرجاء الأصبهاني. ثم البغدادي الشافعي هبة صالح، ولد ببغداد سنة ست وعشرين وخمسمائة ويكنى أبا شجاع. كان صوفياً وقرأ بالروايات على عبد الله بن علي سبط أبي منصور الحياط وعلى المبارك بن الحسن بن الشهرزوري وسمع من أحمد بن علي بن عبيد الواحد الدلال ومحمد بن عمر بن يوسف الأرموي وعلي بن عبد السيد بن الصباغ وغيرهم. قال محب الدين ابن النجار:

إلى ذلك في الفتوحات المكية، كما روى الحديث فيها عن يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي القصار². وفي العراق كانت له علاقة متينة مع علمائها ومنهم العلامة الحنفي أحمد بن مسعود بن شداد المقرئ الموصل³ ومع العلامة والمؤرخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي، وهو الذي كتب "مناقب ابن العربي"⁴ وفي الشام يذكر قصة ظريفة تشير إلى علاقته الطيبة بأشهر علمائها، وهو العز بن عبد السلام⁵.

كُتبت عنه وكان همة حسن الطريقة متديناً فضلاً أديباً جيد التلاوة فقيه النفس دمثاً مليح المجالسة حفظة للحكايات والأشعار. وكان يورق بالأجرة. وكتب الكتب الكبار المطولات وغيرها ويكتب خطاً حسناً وجم وتولى الإمامة بالمسجد الحرام في مقام إبراهيم. وتوفي سنة تسع وست مائة. [الوفاء بالوفيات 4/469، الصفدي، وغاية النهاية في طبقات القراء 1/126، لابن الجزري]

1 محمد بن إساعيل بن علي، الفقيه أبو عبد الله الهنزي، المعروف بابن أبي الصيف. سمع في مكة من أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق اليوسفي وأبي محمد المبارك بن الطباخ وعبد الله بن عبد المنعم الفراوي وطبقتهم. قال الذهبي: كان عارفاً بالمنهب، حصل كثيراً من الكتب وجمع أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة، سمع من الكل في مكة. وكان على طريقة حسنة وسيرة جميلة وخير، قال: وتوفي في مكة في ذي الحجة سنة تسع وست مائة، ثم أعاده في سنة تسع عشرة وقال: كان مشهوراً بالدين والعلم والحديث، حدث وضع وأفاد، والصواب هو الثاني فقد نقله الأسنوي في طبقاته عن التسلسلي في طبقاته. قال الإسنوي: وأقام بمكة مدة طويلة يدرس ويفتي. وله نكت على التنبيه مشتملة على فوائد. [طبقات الشافعية 1/72]

2 يونس بن يحيى بن أبي البركات بن أحمد أبو الحسن، وأبو محمد الهاشمي، الأزجي، القصار، الجاور بمكة. ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسة مائة. وسمع من: أبي الفضل الأرموي، وابن ناصر، وابن الطلاية، وأبي الكرم الشهرزوري، وأبي الوقت، وسعيد بن البناء، وجاعة كثيرة. وسافر إلى الشام، ومصر، وجاور مدة. وحدث بأماكن؛ روى عنه: ابن خليل، والزرقي البرزالي، والزرقي المنفري، والضياء المقدسي، ويعقوب بن أبي بكر الطبري، والتاج علي ابن القسطلاني. وروى صحيح البخاري بمكة وتوفي بها في صفر وقيل: في شعبان وروى ابن مسدي: في ثامن صفر. وقال: كان ذا عناية بالرواية. [تاريخ الإسلام للذهبي 9/381]

3 أحمد بن مسعود بن شداد بن خليفة: أبو العباس الصفار الموصل، الملقب بالثقي، شيخ حسن دمث الأخلاق، سمع بالموصل أبا جعفر أحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاص، وأبا بكر يحيى ابن سعدون بن تمام القرطبي المقرئ، وقدم حلب مراراً عدة، وسكنها بالأخرة إلى أن توفي بها، وسمعت منه في هذه التوبة جزءاً من أمالي أبي سهل القطان وغيره ومآلته عن مولده، فقال لي: في سلخ جبادي الأولى ليلة الأربعاء من سنة خمس وأربعين وخمسة مائة. ومات شيخنا أبو العباس أحمد بن مسعود بن شداد الصفار بحلب في سنة ثلاث عشرة وست مائة رحمه الله. [بغية الطلب في تاريخ حلب 1/383-384]

4 ابن النجار الحافظ الكبير محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي صاحب تاريخ بغداد وله سنة ثمان وسبعين وخمسة مائة وسمع من ذاكر بن كامل وابن يوش وابن كليب ورحل إلى أصبهان وخراسان والشام ومصر وكتب ما لا يوصف وكان همة متقناً واسع الحفظ تام المعرفة بالفن قاله في العبر وقال ابن قاضي شعبة في طبقات الشافعية كان شافعي المنهج وأول سماعه وهو ابن عشر سنين وطلب بنفسه وهو ابن خمس عشرة وسمع الكثير وقرأ بالسبع على أبي أحمد بن مكينة ورحل رحلة عظيمة إلى الشام ومصر والحجاز وأصهان وحران ومرو وهراة ونيسابور واستمر في الرحلة سبعاً وعشرين سنة وكتب عمّن دب ودرج وعمّن نزل وعرج وعنى هذا الشأن عناية بالغة وكتب الكثير وحصل وجمع قال الذهبي كان إماماً همة مقرأ مجوداً كيساً متواضعاً ظريفاً صالحاً خيراً متنسكاً أتى عليه ابن قطة والمديني والضياء المقدسي وهم من صفار شيوخه من حيث السند وقال ابن الساعي كان همة من محاسن الدنيا ووقف كنيته بالنظامية مات ببغداد في خامس شعبان ودفن بمقابر الشهداء باب حرب ومن مصانيفه كتاب القمر المنير في المسند الكبير وذكر كل صحابي وماله من الحديث وكتاب كثر الأنام في السنن والأحكام وكتاب جنة الناظرين في معرفة التائبين وكتاب الكيال في معرفة الرجال وذيل على تاريخ بغداد للخطيب في ستة عشر مجلداً وكتاب المستدرک على تاريخ الخطيب في عشر مجلدات وكتاب في التلقين والمفترق على منهاج كتاب الخطيب وكتاب في المتوفى والمختلف ذيل به على ابن ماکولا وكتاب المعجم له اشتمل على نحو من ثلاثة آلاف شيخ وكتاب العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن الخلائق وكتاب الدررة الثمينة في أخبار المدينة وكتاب نزهة الوري في أخبار أم القرى وكتاب روضة الأولياء في مسجد إيلياء وكتاب مناقب الشافعي وكتاب غرر الفرائد في ست مجلدات وغير ذلك [شذرات الذهب، ابن العباد، 5/226]

5 سلطان العلماء عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ثم المصري ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسة مائة، وتوفي بمصر في جمادى الأولى سنة ستين وست مائة. صاحب الشهرة الحسنة والمؤلفات المتنة كالتقواعد ومجاز القرآن والتناوي المصرية والموصلية. ولي تدريس الفزالية في دمشق، ثم تولى في ربيع الآخر سنة 637هـ خطابة جامع دمشق، وفي العام التالي تم عزله من الخطابة وحبس به بالقلعة بعد أن أنكر على الملك الصالح إسعيل تسليم قلعة الشقيف إلى الفرنج. وبعد الإفراج عنه انتقل إلى

وبالقاضي شمس الدين الشيرازي الشافعي. يقول الشيخ في ديوانه ص 256:

"رأيت في الواقعة عزّ الدين بن عبد السلام الفقيه الشافعي، وهو على مصطبة كالمدرسة يعلم الناس المذهب، فعدت إلى جانبه. فرأيت إنسانا قد أتى إليه يسأله عن كرم الله تعالى، فكان ينشده بيتا في عموم كرم الله تعالى بعباده، فكنت أقول له: إن لي في هذا المعنى بيتا من قصيدة. فكلما حمدت أن أتذكره لم أتذكره في ذلك الوقت، فكنت أقول له: إن الله تعالى قد أجرى على لساني في هذا الوقت في هذا المعنى ما أقوله. فقال لي: قل، وهو يتسم، فينطقني الله تعالى بأبيات لم تطرق سمي قبل ذلك، وهي:

الله أكرم أن يحظى بنعمته الطائعون ويشقى الجرم العاصي
وإن شقي فكألام يصيبُ بها المؤمنون فمن داني ومن قاصي
وكلهم عالم بالله مستند إليه: مفلسهم وزبّ أوقاص

فكان يتسم. فبينما نحن كذلك إذ مرّ القاضي شمس الدين الشيرازي رضي الله تعالى عنه¹. فلما أصرني، نزل عن بغلته وجاء فقعد إلى جانب العزّ بن عبد السلام، ثم أقبل عليّ وقال لي: أريد أن تقبطني في في. فضمتني وقبّلتني في فيه. فقال العزّ بن عبد السلام: ما هذا؟! قلت له: إنّا في رؤيا، والتقييل قبول يطلبه منّي؛ فإنّه شخص قد حسن الظنّ بي، وقد خطر له قصر أمله وتبيح عمله واقتراب أجله.

ثمّ كنت فعضدته حتى ركب وانصرف. ثمّ قال لي العزّ بالإيماء والتلويح لا بالتصريح: كيف حالك مع أهلك؟ فكنت أنشده بيتين ما طرقا سمي قبل ذلك، بل كان الله ينطقني في ذلك الوقت بها وهما:

إذا رأى أهل بيتي الكيس ممتلئا تبسمتُ ودنّتُ مِنّي تمازحني
وإن رآته خليئا من دراهمه تكرهتُ واتننتُ عنيّ تهاجني

فكان يقول لي في إشارته: كلنا مع الأهل ذلك الرجل، والله لقد صدقت. وههنا انتهت المبشرة والله

الواقئ."

وعندما قرّر الشيخ الأكبر الاستقرار في دمشق عام 620هـ، استضافه طيلة حياته فيها قضاتها الشافعيون بنو زكي، ووقروا له دارا بقي فيه حتى انتقاله إلى رحاب ربّه بعد 18 عاما، ففسلوه وكفّنوه،

مصر عام 639هـ، وأقبل عليه السلطان إقبالا عظيما، وولاه الخطابة والقضاء. فعزل نفسه من القضاء مرّتين وانقطع. [انظر ديوان الإسلام 63/1، تاريخ الإسلام للنهبي 171/10، النارس في تاريخ المدارس 176/1]

1 أبو نصر بن الشيرازي: القاضي شمس الدين محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن يحيى بن بنار بن جميل ولد سنة تسع وأربعين وخمسة وأجاز له أبو الوقت وطائفة وسمع من أبي يعلى بن الجبوي وطائفة كثيرة وله مشيخة في جزء درس وأفتى وناظر وصار من كبار أهل دمشق في العلم والرواية والرئاسة والجلالة ودرس مدة بالشامية الكبرى وتوفي في ثامن جمادى الآخرة سنة 635هـ [النارس في تاريخ المدارس 114/1]

وهيتوا مرقدہ فی ترتہم¹.

کراماتہ:

خصّص الشیخ الأكبر الباب الرابع والثمانین ومائة والباب الذي يليه للحديث عن الكرامات، وفيه يفرق بين الكرامات الحسّية التي تفهما العامة وهي التي يمكن أن يدخلها المكر الخفي والاستدراج، وبين الكرامات المعنوية التي لا يعرفها إلا الخواص ولا يدخلها مكر ولا استدراج، وهي "أن تحفظ عليه آداب الشريعة، وأن يوفق لإتيان مكارم الأخلاق واجتناب سفاسفها، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها، والمصارعة إلى الخيرات، وإزالة الفلّ والحقد، من صدره للناس، والحسد، وسوء الظنّ، وطهارة القلب من كلّ صفة مذمومة، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي الأشياء، وثقّد آثار ربّه في قلبه، ومراعاة أنفاسه في خروجها ودخولها؛ فيتلقّاها بالأدب إذا وردت عليه، ويخرّجها وعليها خلعة الحضور"².

ولذلك فهو لا يرفض فكرة وجود الكرامات وظهورها على أحد فالأمر بيد الله يعطيه من يشاء، إلا أن له موقفا معارضا لمن تتعلق همته بالكرامات..

وأشار في ثنايا الكتاب إلى عدد من هذه الكرامات التي ظهرت له وحدثت معه.. ولم يذكر أيّ من هذه الكرامات من باب الفخر أو العجب بنفسه، بل كان يأتي بها في حال دلالتها لصدق الحديث الذي يناقشه.. ويعتبر ذلك مصداقا للنبيّ محمد ﷺ. وما ذكره:

1- "ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار؛ الكشف: فقد سمعنا الأبحار تذكر الله رؤية عين، بلسان تُطلق تسمعه آذاننا منها، وتخطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله، مما ليس يدركه كلّ إنسان..³

1 من اللافت للنظر تلك اليقظة المتأخرة لما توفي التصوف والشيخ الأكبر بعد قرابة القرن من وفاته بهدف تشويه صورته بعد أن لاحظ هؤلاء كبر حجم تأثيره في المشرق العربي الذي يقبل فيه المذهب الشافعي، وأتمته هم الأغلب الذين استضافوا الشيخ الأكبر سواء في مكة المكرمة أو العراق أو الشام، ورأى هؤلاء المناوون أن مواقفهم العنائية لم تلق آذانا صاغية، فإكان منهم إلا الإيجاز لأحد المؤرخين من أتباع المذهب الشافعي (ولن نذكر اسم المؤرخ هنا ولا اسم شيخ الإسلام الذي أوعز إليه، تأتيا بالشيخ الأكبر حين يتحدث عن مخالفته) بأنه علم أنّ سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام -والذي كان قد انتقل هو أيضا إلى رحاب ربّه- كان له موقف معاد للشيخ الأكبر.. إلخ، وعندما نقله هذا المؤرخ منسوباً إلى من ذكره له لم يلق ذلك الأمر المتوخى بين أوساط أتباع المذهب، وإن كان قد لقي ترحيباً ونشراً واسعاً من قبل المناوئين الآخرين. ونسى أولئك أن العزّ بن عبد السلام -وهو الذي عاش في دمشق أثناء مكث الشيخ الأكبر فيها حتى انتزاه إلى جوار ربّه- لم يكن يخشى مواجهة أحد إن رأى خروجه عن قواعد السنن، وهو الذي هاجم سلطان دمشق من على منبر الجامع الأموي أوائل عام 638هـ، وهدم للسنن بسبب ذلك، وعندما توجه إلى مصر لم يتوان عن مهاجمة حكامها المماليك.. كما أنه قد ألف كتاباً لم يتطرق فيها إلى مثل هذا الذي قولوه افتراءً وكنياً. وما يلتفت النظر كذلك أن المؤرخ الشافعي ضه يدنو أنه لم يكن مقتنعا تماماً بما نقله إليه شيخه، إذ وجدناه يختم ترجمته عن الشيخ الأكبر في تاريخه بقوله: "ولابن العربي توسع في الكلام، ودكاه، وقوة حافظته، وتدقيق في التصوف، وتوايف جمّة في العرفان. ولولا شطحات في كلامه وشعره لكان كلمة إجماع، ولعل ذلك وقع منه في حال سكره وغيبته، فنرجو له الخير".

2 السفر 16 ص 57ب

3 السفر 2 ص 128

- 2- "وقد سمعنا بحمد الله في بدء أمرنا تسبيح حجر، ووظفه بذكر الله".¹
- 3- "فاحذر يا أخي- يوما تشهد فيه عليك الجلود والجوارح، وأنصف من نفسك، وعامل جوارحك بما تشكره به عند الله. ولقد رأينا ذلك عيانًا في الدنيا في زمان الأحوال التي كنا فيها، أعني نُطق الجوارح"².
- 4- "ولقد رأيت ذلك نوقًا من نفسي. جَرَيْنَا بالريح الشديد من ضحى يومنا إلى غروب الشمس مسيرة عشرين يوما في موج كالجبال؛ فكيف لو كان البحر فارغًا، والريح من وراء؟! كنا تقطع أكثر من ذلك"³.
- 5- " فكما لا تشبه الجنة الدنيا في أحوالها كلها، وإن اجتمعت في الأسماء، كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا، وإن اجتمعت في الأسماء والصورة الشخصية؛ فإنَّ الروحانية على نشأة الآخرة أغلب من الحسنية. وقد ذقناه في هذه النار الدنيا، مع كثافة هذه النشأة. فيكون الإنسان بعينه، في أماكن كثيرة، وأما عامة الناس فيدركون ذلك في المنام"⁴.
- 6- "وأما أنوار الرياح؛ فهي أنوار عنصرية أخفها شدة ظهورها؛ فغشيت الأبصار عن إدراكها. وما شاهدتها إلا في الحضرة البرزخية، وإن كان الله قد آتحنا بروتها جِسًا بمدينة قرطبة، يوما واحدا، اختصاصا إلهيًا، وورثا نبيًا محمدياً"⁵.
- 7- "...فنتيج هذا الذكر لصاحبه مشاهدة الحق عند قوله، وقبوله له. ومن شاهد الخبطة فمن هذا المقام شهدهم. ولما أشهدتهم الحق تعالى- تمدَّنتُ بشهودهم، ولم أتعدَّب بشهود الحق. فلم أزل أسأل الله في أن يحجهم عني؛ فلا أبصرهم ولا أكلهم. ففعل الله معي ذلك، وسترهم عن عيني"⁶.
- 8- "ولقد أدنُّتُ يوما، فكلَّمَا ذكرْتُ كلمة من الأذان كشفَ الله عن بصري، فرأيت ما لها مدَّ البصر من الحير. فعابنتُ خيرا عظيما لو رآه الناس العقلاء للهؤلاء لكل كلمة، وقيل لي: هذا الذي رأيتُ ثواب الأذان"⁷.

1 السفر 5 ص 138 ب

2 السفر 36 ص 63 ب

3 السفر 25 ص 79

4 السفر 5 ص 5

5 السفر 17 ص 136

6 السفر 31 ص 118 ب

7 السفر 36 ص 64 ب

9- "...وأودعها (يعني الكعبة) شهادة التوحيد عند قبيل الحجر. فخرجت الشهادة عند تلفظي بها - وأنا انظر إليها بعيني- في صورة سلك؛ وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق، حتى نظرت إلى قمر طول الحجر فرأيتة نحو ذراع"¹.

10- "وأما النظرة لما رَوَّيَها عن أحد، ولا سمعتها عن أحد، لكنِّي رأيتها من نفسي. نُظِرْتُ نظرةً فعلتُ ما تَضَمَّنَتْه من العلوم، وأعطيتُ نظرةً فنظرتُ بها، فَعَلِمَ بها مَنْ نظرت إليه، جميع ما تَضَمَّنَتْهُ تلك النظرة من العلوم. وهذا هو علم الأنواق"².

11- "كانت لي بنت ترضع، وكان عمرها دون السنين وفوق السنة، لا تتكلم. فأخذت ألعابها يوماً. فقلت لها: يا زينب؛ فأصفت إلي. فقلت لها: إنِّي أريد أن أسألك عن مسألة مستفتيا: ما قولك في رجل جامع امرأته ولم ينزل، ماذا يجب عليه؟ قالت لي: "يجب عليه الفسل" بكلام فصيح. وأما وجدتها تسمعان. فصرخت جدتها، وغشي عليها"³.

مؤلفاته:

أسهب الشيخ الأكبر في التأليف كما لم يفعل غيره.. ولم تمنعه تنقلاته الدائمة من الكتابة في مختلف أبواب المعرفة. وتعددت اهتماماته وتشعبت اتجاهاتها بين التفسير (3 مؤلفات أحدها في 64 مجلدا) والحديث (12 مؤلفا) والسيرة والفقہ والتصوف والتراجم والوعظ والوصايا والأدب... الخ. وقد اختلف الباحثون اختلافاً بيناً في تحديد مؤلفاته. كان الشيخ الأكبر قد ذكر في إجازته للملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل في شهر محرم 632هـ ما تيسر وذكر منها 284 مؤلفاً بين رسالة وكتاب. وذكر الدكتور عثمان يحيى أنّ مؤلفات الشيخ الأكبر بلغت 846 مؤلفاً، فُقد عدد منها والباقي 550 مصنفاً. أما الدكتور محمد حاج يوسف فقد ذكر أنّ مؤلفات الشيخ الأكبر 364 مؤلفاً⁴.

كما أنه كان شاعراً مكثرًا.. وعدد قصائده في الديوان المطبوع والفتوحات المكية رهو 2423 قصيدة- يدفعه إلى المركز الأول بين شعراء العربية. وإن كان عدد أبيات هذه القصائد (17483 بيتاً) يتراجع به إلى الموقع الرابع بعد ابن الرومي (221-283هـ) وخليل مطران (1288-1368هـ) ومحمياري الديلمي (ت 428هـ)

1 السفر 10 ص 81ب

2 السفر 19 ص 78

3 السفر 20 ص 130ب

4 انظر مؤلفات ابن عربي ص 79

5 انظر شمس المغرب ص 439-450

¹، إلا أنه سيتغير هذا الموقف لصالحه لو أننا أضفنا شعره المبثوث في كتبه الأخرى أو في ديوانه غير المنشور، وربما فاقت الأربعين ألف بيت وفق تقدير الأستاذ/ عبد الباقي مفتاح².
وفي هذا المجال يتفوق الشيخ الأكبر على أقرانه الآخرين كونه نظم في كل مجور الشعر إضافة إلى الموشحات، كما أنه نظم في كل قوافي الشعر العربي بدون استثناء.
علاقته بالحكام:

لم يكن الشيخ الأكبر غريبا عن دواوين الحكم منذ طفولته. فلقد كان والده مقربا لدى حاكم شرق الأندلس قبل وبعد ولادة الشيخ، واستمرت هذه العلاقة بعد انضمام شرق الأندلس إلى دولة الموحدين وانتقال الأسرة إلى أشبيلية وعمر الشيخ حينئذ كان 8 سنوات؛ إذ بقيت العلاقة متينة بين أسرة الشيخ وسلاطين الموحدين المتعاقبين لدرجة أن السلطان أبا يوسف كان قد تحدّث عن خطبة شقيقة الشيخ الكبرى للأمير أبي العلاء، وبعد وفاة الأمير ووفاته والد الشيخ الأكبر عام 590هـ عرض عليه العمل في ديوانه، ويُن له اهتمامه بتزويج أخته، لولا أن الشيخ رفض ذلك وفضل الابتعاد عن هذا الموقع، بل إنه رفض معونة السلطان ذات مرة معتبرا إياها مالا حراما لا يحلّ له، ولم تكن ردّة فعل السلطان سوى أن له أن يعمل وفق قناعته. ولذلك تميّزت علاقة الشيخ الأكبر بالحكام بالاحترام البالغ من قبل الحكام إليه، وبالنصح والتوجيه من قبل الشيخ لهم.

وفي المغرب العربي يتحدّث الشيخ عن علاقة طيبة ربطته بوالي وجدة أبي عبد الله الطنجي وبترضى عنه ويصفه بأنّه من الأولياء³. ويذكر أن الأمير أبو يحيى بن واجتن كان صديقه⁴.
وفي المشرق كانت بين الشيخ والملك العادل أبي بكر بن أيوب، صلة وطيدة، أشار إليها في السفر 32 ص 59ب. ومع الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، صاحب حلب (ت613هـ)⁵. وتطورت هذه العلاقة أكثر وبرزت مع اثنين من الحكام اللذين كانا يعتبران نفسيهما مرهدين وتلميذين له؛ أولهم كيكالوس الذي تولى الحكم عام 607هـ في بلاد الروم المعروفة الآن ببلاد الأناضول وتوفّي عام 616هـ، والثاني ملك دمشق الملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل الذي أجاز له الشيخ عام 632هـ في رواية كتبه عنه.

1 انظر الموسوعة الشعرية، الإصدار الثالث

2 انظر ختم القرآن ص 93

3 انظر السفر 11 ص 94

4 انظر السفر 14 ص 154

5 انظر السفر 21 ص 94

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعطاء، امتدّت 78 عاماً، توزّعت مناصفة بين المغرب العربي ومشرقه، انتقل ﷺ إلى رحاب ربه ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستائة¹. "وكان لجنائزه يوم مشهود ووقت مسعود، وشيخه صاحبُ دمشق راجلاً مع جمهور الأُمراء والوزراء والعلماء والقراء، ولم يبق بدمشق أحد إلا شيّعه. وغلّقت أهلُ الأسواق ذكائهم ثلاثة أيام تعزية له. ودفن بجبّانة محبي الدين بن الزكي بصالحية دمشق، وبني عليه بناء عظيم ومزار كريم"².

وحين دخل السلطان التركي سليم الأول دمشق بعد استيلاء جيوشه على الشام ومصر، كان من أوّل أوامره بناء مقام واسع على ضريح الشيخ في ساحة مسجد أسسه بجواره، وصليت فيه أوّل جمعة بحضور السلطان عام 924هـ (5 فبراير 1518)³.

المعترضون:

ذكر الشيخ في السفر 10 ص 126ب أنّه كان يكتب عن مقام إبراهيم الخليل عليه السلام؛ يقول: "فأخذتني سيئةٌ. فإذا قاتل من الأرواح؛ أرواح الملائ الأعلى، يقول لي عن الله تعالى: ادخل مقام إبراهيم، وهو أنّه كان أوّاهاً حلماً. ثمّ تلا علي: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ فعلمتُ أنّ الله -تعالى- لا بدّ أن يعطيني من الاقتدار ما يكون معه الحلم، إذ لا حلیم عن غير قدرة على من يحلم عنه. وعلمتُ أنّ الله -تعالى- لا بدّ أن يتليني بكلام في عِزِّي من أشخاص، فأعاملهم، مع القدرة عليهم، بالحلم عنهم، ويكون أذى كثير".

وخلال حياته بلغت شهرته الآفاق وصار قبلة العلماء ومرجعهم.. وبعد انتقاله زاد وهجه ولم يتوقف، وحرص العلماء في أرض العرب وخراسان والهند والسند والأناضول على اقتناء كتبه ودراستها وشرحها.. كل هذا أثار عليه حنق بعض الفقهاء هنا أو هناك فارتفعت أصواتهم قليلاً في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، مما دفع العشرات من أساطين العلم المشهورين للردّ على هؤلاء المناوئين وفتدوا اعتراضاتهم⁴.

1 هناك شبه إجماع في كتب التراجم على هذا التاريخ، ومصدرها الرئيسي هو ابن النجار الذي ذكر أنه كان في بيت المقدس وجامعه رسالة من أحد خواص أصحاب الشيخ وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ولها ذكر الجمعة 22 ربيع الآخر، وهو يقابل تماماً وفق الحساب الفلكي لدمشق 1240/11/9م.

2 البر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين ص 28، (وهي رسالة كتبها الشيخ الإمام الحجة أبو الحسن علي بن إبراهيم القارئ البغدادي وأرسلها إلى صوه قاضي القضاة أيام البوالة الرسولية في اليمن أحمد بن أبي بكر الرداد 817-821هـ)

3 أنظر "ختم القرآن" ص 377

4 اللادف للنظر هنا أنّ أبرز الفقهاء المناوئين الذين أطلقوا أقلامهم وألستهم ضد الشيخ الأكبر في القرن الثامن الهجري هم من كلفت قد طالتهم تهمة التكفير والمروق بسبب عقائدهم وقضوا أخصب أعوامهم في السجون جراء ذلك!! كما أنّ بعض البارزين من هؤلاء في القرن

ومع بداية القرن العاشر حسم الأمر الإمام جلال الدين السيوطي¹ بمؤلفه "تبيين الفبي على تنزيه ابن عربي"؛ فألجم المنكرين، وخفتت أصواتهم منذئذ لأكثر من خمسة قرون ونصف لم يتوقف خلالها أنصار الشيخ ومحبهه من التأليف عنه والتحليل والشرح لكتبه.

مسك الختام:

سنورد هنا موقفا حدث في بداية القرن التاسع في اليمن أثناء ظهور هذه الاعتراضات. فقد بعث السلطان الرسولي الملك الناصر بسؤال إلى قاضي القضاة الشيخ الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي (729-817هـ)، وهو من أئمة اللغة والأدب والتفسير والحديث والفقہ والسير، تزيد مؤلفاته عن 50 مؤلفا، صاحب القاموس المحيط، والسؤال هو: "ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الإسلام في الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي كالفوتوحات والنصوص؛ هل تحل قراءتها وإقراؤها ومطالعتها؟ فأجابه²:

"اللهم أنطقنا بما فيه رضاك. الذي اعتقده في حال المستول عنه، وأدين الله تعالى به، إنه كان شيخ الطريقة حالا وعلما، وإمام التحقيق حقيقة ورسما، ومحيي رسوم المعارف فعلا واسما، إذا تغفل فكر المرء في طرف من مجده غرق في خواطره، عبات لا تكتره الدلاء، وسحابت تتقاصر عنه الأنواء، كانت دعواته تخرق السبع الطباقي، وتترق بركاته فملا الآفاق، وإني أصفه وهو يقينا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبه، وغالب ظني أنني ما أنصفته.

وما علي إذا ما قلت معتقدي دع الجهول يظن العدل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن أقامه حجة الله برهاننا
إن الذي قلت بعض من مناقبه ما زدك، إلا لعلني زدك نصانا

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواجر، التي بجواهرها لكثرتها لا يعلم لها أول ولا آخر، ما وضع الواضعون بمثلها، وإنما خص الله بمعرفة قدرها أهلها. ومن خواص كتبه؛ أنه من واطب على مطالعتها،

التاسع بعد أن طالتهم هم حمة التكفير، لم يوانوا عن تكفير الشيخ الأكبر إضافة إلى تكفير زملائهم الذين كثروا الشيخ الأكبر في القرن الثامن!!.

1 (الجلال السيوطي) (849 - 911 هـ = 1445 - 1505 م) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الحضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيمًا (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وغلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وهي على ذلك إلى أن توفي. [الأعلام للزركلي 301/3]

2 انظر كتاب "الاغتياب بمعالجة ابن الحياط" للقاضي الفيروز آبادي ص 388، وورد هذا الكتاب ضمن مجلد باسم النور الأبهري في الدفاع عن الشيخ الأكبر يحتوي على 7 كتب حقها أحمد فريد المنبدي، أحد علماء الأزهر الشريف

والنظر فيها، وتأمل في مبانيها؛ افشرح صدره لحلّ المشكلات، وفكّ المضلات، وهذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس من خصّه الله بالعلوم اللدنيّة الرائيّة.

ووقفتُ على إجازة كتبها للملك المعظم، فقال في آخرها: وأجزتُ له أيضا أن يروي عني مصتفاي، ومن جملتها كذا وكذا حتى عدّ نيفا وأربعمائة مصتف، ومنها "التفسير الكبير" الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلَمًا﴾ ستين سفرا، فاستأثره الله تعالى، وتوفّي ولم يكمل.

وهذا التفسير كتاب عظيم، كلّ سفر منه بحر لا ساحل له، ولا غرو فإنه صاحب الولاية العظمى والصدّيقية الكبرى، فيما نعتده وندين الله به.

وتمّ طائفة في النعيّ يعظمون عليه النكير، وربما بلغ بهم الجهل إلى حدّ التكفير، وما ذلك إلا لتصور أفهامهم عن إدراك مقاصد أقواله ومعانيها، ولم تمل أيديهم ليقصرها - إلى اقتطاف مجانيها.

عَلَيْ نَحْتِ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِئِهَا وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَهَمَّ الْبَقْرُ

هذا الذي نعلم، ونعتده، وندين الله به في حقّه، والله يَعْلَمُ أعلم."

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين:

الفتوحات المكيّة

يعتبر كتاب "الفتوحات المكيّة" أهم مؤلفات الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي... ويمكن القول الآن إنه يمثل الموسوعة الصوفيّة الأولى، والمرجع الأساس لجميع المعارف الصوفيّة بعد القرآن الكريم والحديث النبويّ- دون منازع. قال عنه الصفدي¹: "وقفت على كتابه الذي سماه الفتوحات المكيّة لأنه صتقه بمكة، وهو في عشرين مجلّدة بخطه، فرأيت أثناءه دقائق وغرائب وعجائب ليست توجد في كلام غيره وكان المتقول والمعقول ممثلان بين عينيه في صورة محصورة يشاهدها متى أراد أتى بالحديث أو الأمر ونزله على ما يريده، وهذه قدرة ونهاية إطلاع وتوقّد ذهن وعاية حفظ وذكر، ومن وقف على هذا الكتاب علم قدره، وهو من أجلّ مصنفاته"².

بدأ الشيخ الأكبر تأليف كتابه هذا بمكة المكرمة عام 599هـ، وانتهى منه في دمشق في شهر صفر عام 629هـ، وذكر عند إتمامه: "هذا هو الأصل بخطي، فإنّي لا أعمل لتصنيف من تصانيفي مسوّد أصلاً". إلا أنّ الشيخ الأكبر رأى في عام 632هـ إعادة كتابة هذه الموسوعة بخط يده، معتبراً النسخة الأولى بمثابة مسوّد؛ حذف منها وأضاف إليها، واستغرق عمله 4 سنوات انتهت عام 636هـ وبرز، من ثمّ، الكتاب بصورته النهائيّة المنقّحة، ليكون بذلك معبراً تعبيراً أصيلاً عن خلاصة رؤيته وتجربته بعد أن بلغ عمره الثانية والسبعين.

واللافت للنظر أنّ الشيخ الأكبر لم يكتف بإعادة كتابته فقط، والتأشير على ذلك، وإنما نجده بعد كتابة كل جزء منه يعمد إلى مقابله من جديد مع النسخة الأولى بحضور عدد من أصحابه ويتم أثناء السماع إجراء التصحيحات التي يراها مناسبة، وفي نهاية كل مقابلة يثبت السماع ويثبت أسماء الحاضرين والتاريخ بخط القارئ وتأكيد الشيخ الأكبر لذلك ممهوراً بتوقيعه.. الخ.. ونجده أحياناً يكرر السماع لبعض الأجزاء في أوقات أخرى ويثبت ذلك وفق ما جرى في السماع الأوّل..

استغرقت النسخة الثانية 10544 صفحة بخط يده، وقسمها فيه إلى 37 سفرًا³، متضمّنة 560 باباً بعدد السنوات من العام الأوّل للهجرة حتى عام مولد الشيخ الأكبر، وكأنّها تتويج لهذه السنوات التي سبقته بمولده قدس الله سرّه!- موزّعة على ستة فصول. وفي الصفحة الأخيرة بخطّ الشيخ الأكبر بقلمه: "انتهى الباب بحمد الله- باتهاء الكتاب على أمكن ما يكون من الإيجاز والاختصار على يدي مُنشيّه،

1 صلاح الدين الصفدي (696 - 764 هـ = 1296 - 1363 م): أديب، مؤرخ، له زهاء مئتي مصنف.
2 الواقي بالوفيات، الصفدي - (2 / 10)، وهو يتحدث هنا عن النسخة الأولى للفتوحات المكيّة وكانت تقع في 20 مجلّدة.
3 التقسيم إلى أسفار استعمله الشيخ في النسخة الثانية

وهو النسخة الثانية من الكتاب بخط يدي.

وكان الفراغ من هذا الباب، الذي هو خاتمة الكتاب، بكرة يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وستمائة، وكتب منشيته بخطه محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي، وفقه الله.

هذه النسخة سبعة وثلاثون مجلداً، وفيها زيادات على النسخة الأولى التي وقتها على وُلدي محمد الكبير، الذي أمته فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين، وفقه الله وعلى عقبه وعلى المسلمين بعد ذلك شرقاً وغرباً، برّاً وبحراً".

وقبل عدة أشهر من انتقاله إلى جوار ربه أهدى هذه النسخة إلى تلميذه الوفي صدر الدين محمد بن إسحق القونوي، وهذا مبين في الصفحة الأولى من السفر الأول، وفيه بقلم الشيخ الأكبر: "رواية مالك هذه الجليلة محمد بن إسحق القونوي عنه" مما يشير إلى أنها منذ الآن صارت بعهد صدر الدين القونوي عنه، وبالقرب منها يحدد الشيخ صدر الدين موعد ذلك الانتقال بما نصه: "انتقل هذا السفر وسائر الكتاب من منشيته شيخ الإسلام، أيده الله تعالى، بحكم الإنعام إلى خادمه وربيب نظره محمد بن إسحق غفر الله له ولوالديه، وفقه بكل علم مقرب إليه بالشيخ فقه الله، في شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة".

واحتفظ تلميذه بالنسخة بعد أن أكل في حلب مقابلة الأجزاء التي لم يتمكن الشيخ من مقابلتها، وأثبت ذلك في حواشيا. وبدوره؛ أوقفها الشيخ صدر الدين القونوي قبيل انتقاله هو إلى جوار ربه بعد وفاة شيخه بـ 34 عاماً على دار الكتب التي أنشأها في الزاوية المجاورة لقبره، مشيراً في الوقفية إلى أنّ الغرض من ذلك هو انتفاع المسلمين بها، ولا يجوز خروجها من النار إلى غيرها من المواضع لا برهن ولا بغيره. وعرفت منذئذ بنسخة قونية.

وتشاء الحكمة الإلهية أن يكون هذا المسار لهذه النسخة هو السبب الذي حفظها لنا حتى اليوم. فهي النسخة التي من صورتها أعددنا هذا الكتاب المطبوع بمنّ الله وتوفيقه.

وصف المخطوطات

نسخة السلمانية:

هذه النسخة من محفوظات مكتبة حكيم أوغلو في السلمانية بتركيا، وتتكون من مجلدين رئيسيين: الأول يحمل رقم 488 ويتضمن 529 صفحة مزدوجة، والثاني يحمل رقم 489 ويتضمن 527 صفحة مزدوجة ويبدأ بالبواب 270. تتكون الصفحة من 39 سطرا، والسطر من 21 كلمة.

هذه النسخة منقولة من النسخة الأولى مباشرة ويتضح ذلك من العبارة قبل الأخيرة في نهاية المجلد الثاني وهي:

"قال الشيخ رضي الله عنه: انتهى الباب بحمد الله باتهاء الكتاب على أمكن ما يكون من الإيجاز والاختصار، وهذا هو الأصل بخطي، فأني لا أعمل لتصنيف من تصانيفي مسودة أصلا. وكان الفراغ من هذا الباب في شهر صفر سنة تسع وعشرين وستائة، والحمد لله وحده".

أما العبارة الأخيرة فتشير إلى كاتبها وزمان كتابته، وهي: "تمت الفتوحات المكية بحمد الله ومته وحسن توفيقه نهار الأحد في آخر شهر جمادى الأولى من شهور سنة سبع عشرة وألف على يد العبد الفقير إلى الله تعالى محمود بن خليل النابلسي لطف الله به والمسلمين آمين".

وسيتبين لنا لاحقا أنّ هذه النسخة هي التي طبع منها الفتوحات المكية لأول مرة عام 1274هـ، كما تم الاستعانة بها عند تنفيذ الطبعة الثانية عام 1329هـ وفقا للإشارة التي وجدنا باللغة التركية في كلا المجلدين.

نسخة قونية:

تعرضت النسخة في عمرها الطويل -وهو يقترب الآن من ثمانية قرون- إلى تلف بعض صفحاتها لأسباب عدة منها الرطوبة وتسرب المياه إلى بعض أجزائها وكثرة تقليب صفحاتها.. فقد كانت قونية مزارا خلال العقود الثمانية يتجه إليها النساخون من مختلف بلاد المسلمين لينقلوا نسخا لهم ولمشائخهم منها.. وكان القائمون على هذه النسخة يعملون قدر جدهم على إعادة كتابة محتويات الصفحات التالفة من خلال خطاطين يجيدون النسخ بالعربية دون معرفة مضمونها في بعض الحالات وهو ما أحدث تشويها لحق بالسفر التاسع على وجه الخصوص، وأشارنا إليه في موضعه، ومن حسن الحظ أنّه فيما عدا السفر التاسع فإنّ الصفحات التالفة في بقية الأسفار قليلة للغاية وبيّنا مواضعها في الكتاب.

وقامت الحكومة التركية منذ زمن بنقل هذه النسخة إلى مكتبة متحف الآثار الإسلامية باستامبول وأعطت مجلداتها الـ 37 الأرقام 1845-1881 ونسخت صفحاتها فوتوغرافيا، وتوزعت نسخ مصورة منها

إلى بعض المكتبات خارج تركيا، وبذلك تعددت أماكن حفظ هذا العمل الموسوعي الهام.

الكتاب كله - عدا السفر التاسع الذي أعيد نقله وعدد محدود من الصفحات الأخرى - بقلم الشيخ الأكبر، وكثيرة تلك الإشارات التي تثبت هذا، ومنها:

1- في الصفحة الأولى من السفر الأول، وتحت عنوان السفر، نجد عبارة: "رواية مالك هذه الجملة محمد بن إسحق القونوي عنه" وبجانبا بقلم صدر الدين القونوي ما يلي: "هذا السطر هو بخط شيخنا رضي الله عنه".

2- الساعات المثبتة في مواقعها في الأعوام 633هـ إلى 637هـ كلها جرت في منزله بدمشق وبحضور المذكورين عند هذه الساعات، وتوقيع الشيخ بقلمه في كثير منها يؤكد صحة شهادتها أمامه، ومنها على سبيل المثال: "كُل هذا السماع الوالي في الله تعالى الفقير محبي الدين أبي المالبي عبد العزيز بن عبد القوي بن الحسن بن الجباب - أدام الله سعادته: - علي، وكل بجمد الله. وكتب منشييه وهو المسمع له محمد بن علي بن العربي بخطه في التاسع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستائة"¹.

3- في السفر 23 هناك عبارة، اختلفت صيغتها في نسخة قونية قليلا عما جاء في نسخة السلمانية بسبب تاريخ الكتابة من قبل الشيخ نفسه، وهي: "ولي مذ عبتُ الله فيها، من سنة تسعين وخمسة، وأنا اليوم في سنة خمس وثلاثين وستائة" وكانت قد جاءت في نسخة السلمانية بنفس التعبير عدا الجزء الأخير منه الذي كان: "وأنا اليوم في سنة ثمان وعشرين وستائة"²

4- وفي نهاية الكتاب يذكر: "وكان الفراغ من هذا الباب، الذي هو خاتمة الكتاب، بكره يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وستائة، وكتب منشييه بخطه محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي، وفقه الله".

5- في كثير من الحالات نجد إشارة إلى نسبة تاريخ هجري إلى يوم معين، ولم يكن سهلا من قبل اكتشاف مطابقة التاريخ لليوم المقصود، وإذا تيسرت في هذا العصر إمكانية التأكد من ذلك، فيصير هذا أحد وسائل التحقق من نسبة صحة الكتاب. وفي هذا الكتاب هناك مواضع كثيرة ذكر فيها التاريخ واليوم وجميعها صحيحة ومنها ما جاء في النقطة السابقة الذي حدد فيها الأربعاء

1 السفر الأول ص 120

2 ق: السفر 23 ص 126، وفي س ج 2 ص 153

بأنه يقابل 636/3/24هـ. وفي السفر الأول ص 47 نجد في السماع الثاني أنه جرى يوم الأربعاء 26 من شوال عام 633هـ، والتطابق واقع بينهما، بل إنه ذكر تقييده أحد الفصول في الليلة الرابعة من شهر ربيع الآخر سنة 627هـ، وذكر مباشرة أنه يقابل ليلة الأربعاء الذي هو الموفى عشرين من فبراير، وهذا التحديد صحيح تماما وفق الحساب الفلكي لمعشق وعامه الميلادي 1230¹. كل هذه الأدلة وغيرها كثير- لا تدع مجالا للشك من صحة نسبة الكتاب إلى الشيخ الأكبر وأنه كتب نسخته الثانية بخطّ يده في السنوات الأربع الممتدة من عام 632هـ إلى 636هـ.

اسم الكتاب:

أشار الشيخ في بداية الكتاب أنّ الاسم الذي رآه هو: "رسالة الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية"²، ويبدو أنه كان يتصور أنّ حجم الكتاب سيكون صغيرا بحيث يمكن إطلاق مستوى "رسالة" عليه. ولما توسّع الكتاب وجدناه يكتب في "الفتح المكي" 9 مرات و"الفتوحات المكية" 28 مرة.

الخط:

كتب الشيخ كتابه بخطه الأندلسي المغربي.. وأهم سماته في المخطوط ما يلي:

- 1- أكثر حروفه المعجمة كانت تهمل، فلم يكن قد رسخ بعد عند العرب استعمال النقاط للحروف المعجمة. ومع ذلك نجد حرص الشيخ واضحا عند شعوره باللبس الذي يمكن حصوله عند القراءة؛ فيعمد عندئذ إلى كتابة النقاط في حالات عديدة.
- 2- موضع نقطة حرف الفاء في الأغلب- تحت تعريقة الفاء.
- 3- حرف القاف: في الأغلب له نقطة واحدة من فوق، وفي حالات أخرى ربما خوف اللبس- كان يكتبه بنقطتين.
- 4- الحروف المشددة: نوع التشديدات فيها إلى ثلاثة أنواع.. فهناك شدة تدلّ على الضم، وشدة تدلّ على الكسر، وشدة تدلّ على الفتح. الأولى شكلها قريب من رقم الثانية الهندي وموقعها فوق الحرف، والثانية مثلها وموقعها تحت الحرف، والثالثة شكلها قريب من رقم السبعة الهندي وموقعها فوق الحرف.
- 5- حرفا الطاء والظاء: نجد فيها إمالة الخط العمودي إلى اليمين.
- 6- حرفا الصاد والضاد: لا تضاف إليهما نبرة تفصلهما عما بعدهما.

1 السفر 17 ص 58

2 السفر 1 ص 15

- 7- حرف الكاف: تميل ترويسته أفقيًا إلى اليسار مع إمالة صغيرة في النهاية جهة اليمين.
- 8- وفي الإملاء يختلف رسم عدد من الكلمات عما هو عليه اليوم، ومنها على سبيل المثال:

رسم الشيخ	الرسم الحالي	رسم الشيخ	الرسم الحالي
ليلا	لتلا	إلاه	إله
ماخذ	مآخذ	إلهية	إلهية
مارب	مآرب	الرءيا، الرءية	الرءيا، الرءية
مسئلة	مسألة	آن	آن
ملايمة	ملاءمة	أتوا	أتوا
محمى	مهما	تراءى	تراءى
هاذه	هذه	تعالى	تعالى
هاكذا	هكذا	جاء	جا
هاولا	هؤلاء	جزفي	جزءي
يرا	يرى	سبحانه	سبحنه
نشأتها	نشأتها	شئت	شيت
هياتها	هياتها	قراءة	قراءة

وصف الكتاب:

الكتاب عبارة عن 37 سفرا، وجموع صفحاته 10860 صفحة منها 316 صفحة بيضاء، والصفحات المكتوبة 10544 صفحة. وعند تصوير هذه الصفحات أخذت اللوحات المصورة بواقع لوحة واحدة لكل صفحتين متقابلتين، فصار عدد هذه اللوحات أو الصفحات الجديدة المزدوجة 5430 صفحة منها 158 صفحة بيضاء و 5272 صفحة مكتوبة¹.

وضع مختصو التوثيق في تركيا أرقاما لهذه الصفحات في أعلى الجزء الأيسر في الصفحة المزدوجة يعبر

1 أدخلنا الصفحات البيضاء هنا نظرا لأنها أعطيت أرقاما في المخطوط من قبل الجهة الحافظة

عن كلا الجزئين أو الصفحتين وفق المخطوط، ولذلك كنا نشير إلى بداية الصفحة في جزئها الأيمن بالرقم المخصص لتلك الصفحة وفق ذلك التنظيم، ونشير إلى الجزء الأيسر بنفس الرقم مع إضافة حرف ب. فالصفحة رقم 5 مثلا نشير إلى جزئها الأيمن (ص 5) وإلى جزئها الأيسر (ص 5ب) وسيحتاج الباحثون إلى هذا عند بحثهم في الفهارس الملحقة بكل سفر للآيات القرآنية والأحاديث والشعر والمصطلحات والأسماء.. الخ إذ أننا اعتمدنا أرقام صفحات مخطوط قونية لمن يريد الرجوع إليها.

القاعدة العامة في صفحات المخطوط أنّ الصفحة الواحدة تتكون من 17 سطرا مستقيمة التنسيق، ومتوسط كلمات السطر الواحد 9.7 كلمة، ومتوسط كلمات الصفحة المفردة 165 كلمة.

أهم الخصائص التي لمسناها في الكتاب ما يلي:

- تعبيرات الكتاب مبسطة رغم دقائق العلوم التي يناقشها، وحرص الشيخ على إزالة أي غموض متوقع عند استطراده في أي موضوع، فنراه يلتفت إلى أي عبارة أو كلمة يخطر له أنه ربما يقف عندها أي من القراء فيعمل على شرحها أو الإتيان بدليلها من الكتاب أو السنة.. ثم يعود بعد ذلك إلى موضوعه الأصلي..
- نأى الشيخ بنفسه بعيدا عن تسفيه الآراء الأخرى المخالفة لآرائه مهما كان بعدها عنه، وكذا عدم تجريح أصحابها أو سبهم أو تكفيرهم، بل نجده يحرص على مناقشة الرأي الآخر بروية وحكمة وهدوء، وينذل جمده للبحث عن الصواب لدى ذلك الرأي الآخر سواء بمجمله أو بجزئته من جزئياته، وهذه صفة حميدة قلّ من يحملها.
- حفظه القرآن الكريم، واستيعابه للقراءات، واستشهاده من كل القراءات المختلفة.
- حرصه الدائم على دعم أفكاره بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تثبت صحة أقواله. وفي هذا الخصوص يصف الشيخ الأكبر نهجه بقوله: "فجميع ما نتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه؛ أعطيتُ مفتاح الفهم فيه، والإمداد منه".
- عاد إلى الآيات القرآنية 10634 مرة، ومن كل سور القرآن الكريم، وعدد مرات عودته إلى الحديث النبويّ زادت عن 3518 مرة، وتعبيرات الصلاة والسلام على

الرسول الكريم زادت عن 5000 مرة.¹

- احترامه البالغ لأنمة المذاهب الفقهية باعتبارهم من أكابر الأولياء، واستيعابه لاجتهادات المذاهب الفقهية جميعها، وتسليمه لكل اجتهاداتهم بل وتبريرها رغم اختلافاتها، واعتبارها كلها صحيحة وفقا للتوجيه النبوي الشريف المتعلق بالاجتهاد.
- حبه الطاغى للآخرين، وابتعاده عن منهج التنفير، واتكأه على منهج التقريب، وتوسيعه مفهوم الولاية لدرجة تجعل كل من يقرأ للشيخ في هذا الموضوع يشعر وربما يجزم- أنه من أهل هذه الدرجات.. وفي هذا الخصوص يقول الشيخ: "والله؛ إني لأجد من الحب ما لو وُضع في ظني- على السماء لانفطرت، وعلى النجوم لانكدرت، وعلى الجبال لسيرت".
- إمامه الواسع بالأدب العربي وسير الأدباء، وبلغت استشهاداته 339 مرة (647 بيتا) لأدباء من مختلف العصور إلى زمنه.
- نصوصه الشعرية في الكتاب 1500 نضا (7219 بيتا)
- ممارسته للنقد الأدبي الراقى حين يجد ضرورة لذلك.
- للشيخ مراجعاته النحوية وترجيحه -بالأدلة- قواعد لم يقل بها النحويون.

وفي الأخير.. نشير إلى أن الشيخ كان قد ذكر أن السفرين 34، 35 يمثلان خلاصة أبواب الكتاب كلها، وخص كل باب منها بعنوان رمزي وعبارات مركزة لا تزيد عن أسطر قليلة.. وكان يشير في بداية الأمر إلى صلة الخلاصة بالباب المعنى، ثم توقّف عن ذلك بعد أن اضطرت الصفحات التي بيده على ما يبدو.. ولقد حاولنا من جانبنا القيام بهذا الأمر ونجحنا في تحديد الصلة لقراءة أربعائة باب ولم يتسنّ لنا إكمال ذلك لانشغالنا بتجهيز تحقيق مادة الكتاب.. ونأمل أن نستكمل ونرفقه ضمن طبعة قادمة بإذن الله.

* * *

1 ولئنك لم تدخل لفظ الجلالة وكنا اسم النبي محمد عليه الصلاة والسلام ضمن فهرس الأسماء نظرا لأنها مذكوران بالاسم أو الإشارة في جل صفحات الكتاب.

مراحل طباعة الفتوحات المكية

المرحلة الأولى:

ظهرت أول طبعة للكتاب عام (1274هـ=1858م) في مصر في عهد الخديوي محمد سعيد باشا¹. وذيلها أحد أشهر الحققين في مصر في ذلك الوقت، وهو الأستاذ محمد قطة العدوي "بنبذة مختصرة تتضمن ترجمة صاحبه وذكر شيء من مآثره ومناقبه.. ملخصاً ذلك من كتاب فتح الطيب"².. وهذه الطبعة عرفت بطبعة بولاق، وكانت معتمدة على نسخة السلمانية وهي منقولة من المخطوطة الأولى التي كتبها الشيخ في الأعوام (599-629هـ)، وتبين ذلك من خلال الكتابة التي ذيلت بها هذه النسخة.³

لاحظ المهتمون الذين حصلوا على الطبعة الأولى وجود أخطاء كثيرة فيها ناهيك عن أنها لم تقابل بالنسخة الثانية المخطوطة بقلم الشيخ الأكبر وهي نسخة قونية المعدلة والمصححة.. وإنك فقد عهد الأمير عبد القادر الجزائري⁴ والذي كان قد استقر به المقام في دمشق- إلى اثنين من العلماء، وهما: الطيب بن الشيخ محمد المبارك الجزائري اللسي المالكي (ت 1313هـ)، والشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي، بالتوجه إلى قونية على نفقته الخاصة في عام 1287هـ، لمقابلة النسخة المطبوعة مع نسخها المكتوبة بخط مؤلفها الشيخ الأكبر، وعادا إلى دمشق بعد أن قابلا هذه النسخة مع نسخة قونية مرتين وسجلا عليها نتيجة هذه المقابلة.. وأشار شاهد الواقعة، عبد الرزاق البيطار، في كتابه "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر"، إلى أنه: "وبعد مجيئها قرأناها جميعاً على الأمير المرقوم (يقصد الأمير عبد القادر) مع التزامنا لإصلاح نسخنا على النسخة المقابلة على خط المؤلف"⁵.

وفي عام (1329هـ=1910م) قامت دار الكتب العربية الكبرى بمصر بطباعته، على نفقة الحاج فدا محمد الكشميري وشركاه بمكة، وفيها إشارة إلى أنها طبعت "على النسخة المقابلة على نسخة المؤلف

1 محمد سعيد باشا: حكم مصر بين (1270-1279هـ/1854-1863م)

2 أنظر تفصيل الكتاب، الجزء الرابع. وضع الطيب كتاب ألفه أحمد بن المقرئ التلمساني (986-1041هـ)

3 جاء فيها تفصيلاً خلاصته أنّ الخديوي عباس باشا الأول (حكم مصر في الفترة 1264-1270هـ / 1848-1854م) كان قد أمر بطبع هذا الكتاب الشرف بنية الخير وطلب نسخ من المخطوطات لهذا الغرض وكانت هذه النسخة إحداها، وأرسلت إلى مصر، وأثناء هذا العمل توفي الخديوي عباس وخلفه محمد سعيد باشا الذي استكمل الطباعة وأعاد هذه النسخة مع أربعة مجلدات مطبوعة.

4 عبد القادر الجزائري (1222-1300هـ=1807-1883م) عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسيني الجزائري: أمير، مجاهد، من العلماء الشعراء البسلاء. ولد في القنيطرة (من قرى إيالة وهران بالجزائر) وتعلم في وهران. حج مع أبيه سنة 1241هـ، فزار المدينة ودمشق وبغداد. ولما دخل الفرنسيين بلاد الجزائر (سنة 1246هـ-1843م) بايعه الجزائريون وولوه القيام بأمر الجهاد، فنهض بهم، وقاتل الفرنسيين خمسة عشر عاماً، ضرب في اثنتائها هودا سهاها "الحمدية" وأنتأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند. وكان في معاركه يتقدم جيشه ببسالة عجيبة. وأخباره مع الفرنسيين في احتلالهم الجزائر، كثيرة، لا مجال هنا لاستقصائها. ولما هادها سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام، ضعف أمر عبد القادر، فاشتراط شروطاً للاستسلام رضي بها الفرنسيون، واستسلم سنة 1263هـ (1874م) فنفيهم إلى طولون، ومنها إلى أنبواز حيث أقام نيفاً وأربع سنين. وزاره نابليون الثالث فسرحه، مشروطاً أن لا يعود إلى الجزائر. ورتب له مبلغاً من المال يأخذه كل عام. فزار باريس والأستاذة، واستقر في دمشق سنة 1271هـ، وتوفي فيها. من آثاره العلمية: ذكرى العاقل، وديوان شعر، والمواقف ثلاثة أجزاء في الصوف. [الأعلام للزركلي 4/45]

5 أنظر حلية البشر ص 1/335

الموجودة بمدينة قونية، وقام بهذه المهمة جماعة من العلماء بأمر المغفور له الأمير عبد القادر الجزائري، رحم الله الجميع وأتاهم المكان الرفيع¹.

والواقع أنّ مصححي هذه الطبعة قد استعاروا نسخة مكتبة السلطانية مجدداً وصورتها بين أيدينا- وفيها تذييل في مجلدي هذه النسخة مكتوباً باللغة التركية يشير إلى ذلك وترجمته: "هذا الكتاب من ضمن تصحيح الكتاب الشريف الفتوحات المكيّة الذي طبع في مصر. جُلب إلى مصر مرة أخرى في عهد والي مصر السابق المتوفى، عباس باشا²، وعاد إلى مكتبته".

وتقلّصت الأخطاء في هذه النسخة إلى حدّ كبير.. وطبعت في 4 مجلدات كبيرة وبقيت المرجع الرئيسي خلال القرن العشرين. ولقد أجرينا اختباراً بالعينة شمل 14% من الكتاب فوجدنا نسبة الاختلاف فيها عن نسخة قونية يعادل مرة واحدة في كل 75 كلمة. ونظراً لأنّ المتن الأصلي للكتاب يتضمن (1735000) كلمة، فهذا يعني وجود ما لا يقل عن 23000 اختلاف. وكثير من هذه الاختلافات يمكن التعامل معها، إلا أنها مع ذلك- تضمّنت أخطاء جسيمة، وفيما يلي عيّنت منها:

السفر/صفحة	كتابة الشيخ الأكبر	طبعة القاهرة
16/11	إِنْ قُلْتُ إِيَّيْ لَسْتُ غَيْرًا لَهُ ... وَهُوَ أَنَا؛ فَإِنَّهُ يَجْهَلُ	إِنْ قُلْتُ إِيَّيْ لَسْتُ غَيْرَ إِلَهٍ ³ ... وَهُوَ أَنَا؛ فَإِنَّهُ يَجْهَلُ
85/7	وَقَدْ أَعْلَظَ فِي ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَظْهَرَ الْكِرَاهَةَ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ⁴	وَقَدْ غَلَطَ فِي ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَظْهَرَ الْكِرَاهَةَ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ
96/7	فَلِهَذَا يُنْفَى الْعِلْمُ عَنِ الْمَنْجَمِ، وَكُلُّ مَا هُوَ مِثْلُهُ، مِنْ خَطِّ الرَّمْلِ، وَغَيْرِهِ.	فَلِهَذَا يُنْفَى الْعِلْمُ عَنِ الْمَنْجَمِ، وَكُلُّ مَا هُوَ مِثْلُهُ، مِنْ حِطِّ الرَّسْلِ، وَغَيْرِهِ.

1 هذه العبارة ثابتة في الصفحة الأولى في كل من المجلدات الأربعة المطبوعة، والترجم في نهايتها يدلّ على أنّ هذه الطبعة تمت بعد انتقال الأمير عبد القادر وصاحبه إلى رحمة الله.

2 حكم الخديوي عباس باشا مصر بين عامي (1309-1333هـ / 1892-1914م)

3 تكرر ورود هذا الخطأ 4 مرات في غير هذا الموضوع، انظر س 41/16 و 25/19 و 90/25 و 26/28

4 انظر الصورة رقم 1 صفحة 51

2/29	إِنَّ خَوْفَ الْكِتَابِ شَرٌّ تَوْهِي ... إِذْ لَهُ الْحُكْمُ فِي الْوُجُودِ وَفِينَا ¹	إِنَّ خَوْفَ الْكِتَابِ شَرٌّ ذَنْبِي ... إِذْ لَهُ الْحُكْمُ فِي الْوُجُودِ وَفِينَا
22/23	فَمَا كُلُّ عَيْنٍ فِي الْوُجُودِ مُغَايِرٌ ... أَلَا كُلُّ كَوْنٍ مَا سِوَى اللَّهِ إِنْسَانٌ	فَمَا كُلُّ عَيْنٍ فِي الْوُجُودِ مُغَايِرٌ ... وَلَا كُلُّ كَوْنٍ مَا سِوَى اللَّهِ إِنْسَانٌ
28/23	وَلَقَدْ رَأَيْتَ لِبَعْضِ أَهْلِ الْفِكْرِ فِي كِتَابِ سَمَاءَ "الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ" ²	وَلَقَدْ رَأَيْتَ لِبَعْضِ أَهْلِ الْكُفْرِ فِي كِتَابِ سَمَاءَ الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ
124/14	إِنَّ الْوَالِيَّةَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِهَا ... نَعْتُ اشْتِرَاكِ وَلَكِنْ فِيهِ أَشْرَاكٌ ³	إِنَّ الْوَالِيَّةَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِهَا ... نَعْتُ اشْتِرَاكِ وَلَكِنْ فِيهِ إِشْرَاكٌ
26/35	فَاعْمَلْ كَمَا يَجِبُ، إِذَا دَعَاكَ فَاجِبٌ، وَإِذَا سَقَاكَ فِطْبُ. فَإِنَّهُ مَا يَدْعُوكَ إِلَّا لِيَسْقِيكَ، وَلَا يَفْنِيكَ إِلَّا لِيَقْبِيكَ	فَاعْمَلْ كَمَا يَجِبُ إِذَا دَعَاكَ فَاجِبٌ وَإِذَا سَقَاكَ فِطْبُ فَإِنَّهُ مَا يَدْعُوكَ إِلَّا لِيَشْقِيكَ وَلَا يَفْنِيكَ إِلَّا لِيَقْبِيكَ

المرحلة الثانية:

وفي عام 1954م تم تكليف الدكتور عثمان يحيى من قبل جامعة السوربون ومنظمة اليونسكو والجلس الأعلى للثقافة في مصر والهيئة المصرية العامة للكتاب بتحقيق الكتاب بعد أن لاحظ المعنيون أن نسخة القاهرة ينقصها الكثير من متطلبات التحقيق العلمي الحديث إضافة إلى شمولها أخطاء كثيرة..

اعتمد د/ عثمان يحيى على 3 نسخ أساسية في تحقيقه وهي:

1- صورة نسخة مخطوط قونية وهي النسخة الثانية المكتوبة بخط الشيخ.

2- صورة مخطوطة منقولة من النسخة الأولى وجدها في مكتبة يازيد بتركيا.

3- نسخة القاهرة المطبوعة عام 1329هـ.

استغرق د/ عثمان يحيى حوالي 18 عاما في الأعمال التمهيدية لتظهر عام 1972م نتيجة عمله للسفر

1 انظر الصورة رقم 2 صفحة 52

2 عبارة أشار فيها إلى كتاب المدينة الفاضلة للفيلسوف المسلم أبي نصر الفارابي (ت 339هـ)، انظر الصورة رقم 3 صفحة 52

3 انظر الصورة رقم 4 صفحة 52

الأول من الكتاب. وتوالى ظهور الأسفار التالية في العقدين اللاحقين وكان آخرها السفر 14 عام 1992م.. وتوقف العمل بعدئذ لانتقال صاحبه في تسعينيات القرن العشرين إلى رحاب ربه وكان المتبقي أمامه 23 سفرا.

اتضح أن د/ عثمان يحجي قد بذل جهدا مضنيا في تحقيق الأسفار الأربعة عشر الأولى من الفتوحات المكية وتمييز بضبط المادة وفق النهج الحديث المعتمد على ضوابط علامات الترقيم لفرض تسهيل قراءة واستيعاب النصوص.. إضافة إلى وضعه فهرس عديدة لتسهيل ممة الباحثين في العثور على متطلبات أبحاثهم.¹

ولأن كل عمل وخاصة بحجم هذا العمل معرض لحدوث شوائب وأخطاء، فقد سجل الباحثون عليه عددا من الملاحظات لعل أهمها ما يلي:

- 1- استغرق جلّ عمل التحقيق في إثبات رسم الكلمات والحروف لخطوطي قونية وبيازيد بما أهدر وقتا كبيرا وهامًا في ذلك.. وكان يمكنه وضع جدول لكيفية كتابة الكلمات مرة واحدة بدلا من تكرار ذلك مع كل كلمة.. مثل الإشارة لرسم كلمة (ملانكة، ملانكة، ملانكة، ملانكة) في كل موضع كتبت فيه بهذا الرسم أو ذلك.. ومع هذا التدقيق الزائد الذي سار عليه فإنه لم يسلم من الوقوع في أخطاء إثبات الرسم؛ فكثيرا ما ينسب رسما معينا للنسخة الأولى مثلا في حين يكون هذا الرسم للنسخة الثانية..
- 2- لقد ارتاب عدد من دارسي الشيخ الأكبر بعمل الدكتور عثمان يحجي ولم يطمنوا إليه لملاحظتهم حرصه -في بداية عمله في التحقيق- على اصطناع علاقة خاصة بين مشرب الشيخ الأكبر وثقافة المدرسة الإسماعيلية، إلى حدّ اعتباره يبدو وكأنه تلميذ لشيوخ هذه المدرسة.²
- 3- كما أنه لم يحالفه الحظ في استخدامه بعض علامات الترقيم في مواقع تصادم الفطرة الدينية الإيمانية، مثل إكثاره من وضع علامة التعجب بعد صيغ التفخيم للمولى عزّ وجلّ، أو بعد صيغ

1 الواجب يستلزم منا ذكر الاستفادة من عدد من ملاحظاته

2 انظر قوله في مقدمته للسفر الثاني ص 43: "وموقف الشيخ هنا، كما هو شأنه في كثير من المواضع والميادين، ينبغي أن يدرس ويفهم في ضوء النظريات والتعاليم الشيعية وخاصة الإسماعيلية، لوحدة الاتجاه الأصيل التي انبثقت عنه هذه الألوان المعينة في الضكير الإسلامي، هنا الاتجاه، في نظرنا، هو ما يمكن تسميته: بالتيار الفكري الديني الباطني في الإسلام، الذي بنا كبار مفكري الإسماعيلية، ثم تلاه كبار عرفاء الصوفية، ثم كبار مفكري الإمامية وعرفائهم. وهذا الاتجاه العام، المحدد، المتعدد، يميز تماما عما يمكن تسميته: بالتيار الفكري الديني الظاهري في الإسلام، الذي كان خير يمثل له المعتزلة أولا ثم الأشاعرة تاليا. وهما معا (أي الاتجاه الديني الظاهري والاتجاه الديني الباطني) يميزان عما يمكن تسميته: بالتيار الفلسفي في الإسلام، بشتى مظاهره: الإفلاطونية الحديثة (مع الفارابي وابن سينا وأتباعهما) والأرسطية (ابن رشد وأتباعه) والإشراقية (السهوردي ومدرسته)"

الصلاة والتسليم على النبي محمد عليه الصلاة والسلام..

4- كما لاحظنا سقوط عبارات كاملة وكلمات كثيرة من النسخة المحققة، وورود كلمات مضافة من غير الإشارة إلى ذلك.. إضافة إلى كثرة وقوعه في أخطاء إثبات نسبة نص معين إلى نسخة معينة في حين يكون أصله للنسخة الأخرى ..

3- المرحلة الثالثة:

وبعد ظهور الإنترنت والنشر الإلكتروني استبشرنا خيراً بظهور طبعة للفتوحات المكية عبر هذا النظام.. ولكن تبين أنه بمجرد الإطلاع على أي صفحة منها يصدم القارئ للأخطاء التي لا يخلو منها سطر، وللعبارات المزورة والمنحولة التي تمتلئ بها هذه الطبعة، وللتكرار غير المنطقي لمئات الصفحات وآلاف الأسطر، ولسقوط أبواب وصفحات كثيرة.. والواقع إنها مأساة أن يطلع القارئ على تلك الإساءات الواردة في هذا الإصدار..

وواضح هنا أن مناوئي التصوف والشيخ الأكبر لجأوا إلى هذه الحيلة كونها أسهل وسيلة لتشويه الشيخ الأكبر والتصوف بدلا من مواجهة الحجة بالحجة.. ورأوا أنه يكفي تحويل القارئ المهتم إلى هذا الإصدار ليقنع من تلقاء نفسه بخطأ الشيخ ونهج التصوف بشكل عام.. والمثير للأسف هنا هو قيام بعض مواقع التصوف الإلكتروني بالتقاط هذه النسخة المزورة ووضعها ضمن الإصدارات الصوفية التي يمكن للمتابعين تنزيلها من لديها.. ولا تخفى خطورة هذا الأمر بسبب غطاء الثقة الذي تمنحه هذه المواقع للإصدارات التي تمرّ عبرها.

واللافت للنظر أنّ الجهة التي ظهرت هذه النسخة لأول مرة في أحد مواقعها الإلكترونية تنتمي للتيار المناوئ للتصوف، وكانت مراجعها الدينية منذ قرون مضت قد اتهمت الشيخ بتهم باطله وأقوال مزورة.. قد كررت هذه الجهة- تلك الأقوال في هذا الإصدار بعد تغييرها للنص الأصلي الذي قاله الشيخ رغم أنها نقلته -كما هو مفترض- من نسخة القاهرة المطبوعة منذ أكثر من مائة عام!! ولو حاول أحد الباحث عن عذر لأولئك المراجع مثل تصوّر احتمال وقوع نسخة مزورة بأيديهم جراء النقل الخطأ والتصحيح ورداءة خط الناقل وخلافه.. وهي التي دفعتهم إلى تلك المواقف المعادية للشيخ الأكبر.. فلا نعلم المبرر لهؤلاء النقلة الجدد بتغيير نسخة مطبوعة لا يحتمل خطأ التصحيح والرداءة!! أو تجاهلها والإصرار على نشر مطبوعة لا يعلم مصدرها، وحشوها بعدد لا يحصى من الأكاذيب والافتراءات الباطلة..

وفي ما يلي عيّنة من حالات التزوير الخطرة التي أضافتها هذه النسخة إلى الأخطاء الواردة في

السفر/صفحة	كتابة الشيخ الأكبر	النسخة الإلكترونية
64-59/1	عقيدة الشيخ الأكبر	حُذفت من النسخة
20/20	حتى ينتهي فيها إلى الله سبحانه-، فهو السبب الأول لا عن سبب كان به	حتى ينتهي فيها إلى الله سبحانه-، فهو السبب الأول <u>عن سبب</u> كان به
70/26ب	فاعلم أنّ هذا صراط التنزيه؛ فلا ينالُ ذوقاً إلاّ من نزه نفسه أن يكون ربّاً أو سيّداً من وجه ما، أو من كلّ وجه.	فاعلم أنّ هذا صراط التنزيه فلا يناله ذوقاً من نزه نفسه أن يكون ربّاً أو سيّداً من وجه ما أو من كلّ وجه
3/26	فما انفصل عتاً إلاّ بربوبيّته، وما انفصلنا عنه إلاّ بعبوديّتنا	فما انفصل عتاً بربوبيّته وما انفصلنا عنه إلاّ بعبوديّتنا
36/19ب	وأما الكمال الناتي، وهو غير كمال الرجولية، فهو أن لا تتخلّل عبوديّته في نفسه ربانيّة	وأما الكمال الناتي وهو غير كمال الرجولية، فهو أن يتخلّل عبوديّته في نفسه ربانية
42/19	فكلُّ من تنلّل وافترق إلى غير الله تعالى- واعتمد عليه، وسكن في كلّ أمره إليه؛ فهو عابد وثن.	فكل من تنلّل وافترق إلى الله تعالى واعتمد عليه وسكن في كل أمره إليه فهو عابد وثن.
32/25ب	وهذه الأمة المحمّدية، لَمّا كان نبيّها محمد ﷺ آخر الأنبياء، وكانت أمته خير الأمم، صحّ للوارث منهم أن يرثه ويرث جميع	وهذه الأمة الحمدية لَمّا كان نبيّها محمد ﷺ آخر الأنبياء، وكانت أمته خير الأمم، صحّ للوارث منهم أن يرثه جميع الأنبياء عليهم

1 مستجنب هنا ذكر عبارات لا أخلاقية موجّهة ضد رسول الله ﷺ نربا بأفسنا عن ذكرها، نسبت للشيخ كلبا وزورا.

الأنبياء عليهم السلام-	السلام-	
إنه سبحانه لو رحم بعضه وعذب بعضه لكان ولو عذبه إلى أجل مسمى لكان مستى لكان	إنه سبحانه لو رحم العالم كله لكان، ولو عذب العالم كله لكان، ولو رحم بعضه وعذب بعضه لكان، ولو عذبه إلى أجل مستى لكان	119/26
وصية: حسن الظن بربك على كل حال ولا تنسى <u>الظن به</u>	وصية: حسن الظن بربك على كل حال، ولا تسيء الظن به.	4/36ب
والعالم من الخلقين لا بد أن يكون علمه متناهيا، في كل حال أو زمان، وأن يكون قابلا في كل نفس لعلم ليس عنده، محدث متعلق بالله أو بمخلوق <u>يدجل على الله</u> ذلك العلم	والعالم من الخلقين، لا بد أن يكون علمه متناهيا، في كل حال أو زمان، وأن يكون قابلا في كل نفس لعلم ليس عنده محدث؛ متعلق بالله أو بمخلوق يدل على الله ذلك العلم	56/20ب
فما يزال العالم مذ خلقه الله إلى غير نهاية في الآخرة والوجود في أحوال تتوالى عليه، الله خلقها دائما بتوجيهات إدارية	فلا يزال العالم مذ خلقه الله إلى غير نهاية في الآخرة والوجود في أحوال تتوالى عليه، الله خالقها دائما بتوجيهات إرادية	87/16
فوجه الحق باق، وهو ذو الجلال والإكرام، <u>والالام الجسم</u>	فوجه الحق باق، وهو ذو الجلال والإكرام، <u>والالاء الجسم</u>	150/16
وقوله: "وعلى ربهم يتوكلون" أي يتخذونه وكيلا، فلا يتكلمون عليه <u>اتكال الموكل على</u> الوكيل	وقوله: «وعلى ربهم يتوكلون» أي يتخذونه وكيلا، فيتكلمون عليه <u>اتكال الموكل على</u> الوكيل.	75/23ب
فأسماء الأسباب من أسمائه تعالى- حتى لا يفتقر إليه	فأسماء الأسباب من أسمائه تعالى- حتى لا يفتقر إلا إليه	92/23

فطلسمه الفكر، وسلطه الله عليه أن يفكر به ليتعلم أنه لا يعلم أمر من الأمور <u>بالله</u>	فطلسمه الفكر، وسلطه الله عليه أن يفكر به ليتعلم أنه لا يعلم أمر من الأمور <u>إلا بالله</u>	143/23ب
وإنما علقت نفسي مع الله أن يستعملني فيما يباعدني عنه	وإنما علقت نفسي مع الله أن يستعملني فيما يرضيه ولا يستعملني فيما يباعدني عنه. ¹	35/25ب
واعلم أن الحق تعالى- لا يخلق شيئاً، لكن يخلق شيئاً عند شيء	واعلم أن الحق تعالى- لا يخلق شيئاً بشيء، لكن يخلق شيئاً عند شيء	102/25ب
وقد ذم الله تعالى- تعالينا في إقامة العدل في الأشياء..	وقد ذم الله تعالى- تعالينا لنا في إقامة العدل في الأشياء..	45/26
وهذا هو الصراط الجامع لكل نبي ورسول، وهو إقامة الدين، وأن يتفرق فيه	وهذا هو الصراط الجامع لكل نبي ورسول، وهو إقامة الدين، وأن لا يتفرق فيه	73/26ب
لنعلم إذا ظهرت أعياننا، وبلغتنا سفراؤه هذا الأمر- شمول الرحمة وعموماً، ومآل الناس والخلق كله إليها؛ فإن الرحمن لا يظهر عنه المرحوم، فافهم	لنعلم إذا ظهرت أعياننا، وبلغتنا سفراؤه هذا الأمر- شمول الرحمة وعموماً، ومآل الناس والخلق كله إليها؛ فإن الرحمن لا يظهر عنه إلا المرحوم، فافهم	87/26ب
وعلم، عند ذلك، هذا العقل أن الحق ما أوجد العالم إلا في العماء، ورأى أن العلماء نفس الرحمن	وعلم، عند ذلك، هذا العقل، أن الحق ما أوجد العالم إلا في العماء، ورأى أن العلماء نفس الرحمن	96/26
فلا يزال المنزه غير قابض على شيء، ولا	فلا يزال المنزه غير قابض على شيء، ولا	138/26

محصّل لأمر؛ فهم أهل البث؛ لأنّ همّهم متفرّق والوهم منهم بعيد	محصّل لأمر؛ فهم أهل البث؛ لأنّ همّهم متفرّق والوهم منهم بعيد	
فعرّفوا أنّ وراء النفس الناطقة هو العامل؛ وهو مستقّى "الله" والنفس في هذا العمل كالألة المحسوسة سواء عند أهل الله وعند أهل النظر العقلي. ومتى لم يدرك هذا الإدراك؛ فلا يتّصف عندنا بأنّه أخلص في عمله جملة واحدة	فعرّفوا أنّ وراء النفس الناطقة هو العامل؛ وهو مستقّى "الله" والنفس في هذا العمل كالألة المحسوسة سواء عند أهل الله وعند أهل النظر العقلي. ومتى لم يدرك هذا الإدراك؛ فلا يتّصف عندنا بأنّه أخلص في عمله جملة واحدة	48/27ب
وأشقى من إبليس فلا يكون وقد يكون	وأشقى من إبليس فلا يكون	95/28ب
فلا يرى العارف شيئا إلا فيه؛ فهو ظرف إحاطة لكلّ شيء. وكيف لا يكون، وقد تبّه على ذلك باسمه "الدهر"؛ فدخل فيه كلّ ما سوى الله؟ فمن رأى شيئا فما رآه إلا فيه.	فلا يرى العارف شيئا إلا فيه؛ فهو ظرّف إحاطة لكلّ شيء. وكيف لا يكون، وقد تبّه على ذلك باسمه "الدهر"؛ فدخل فيه كلّ ما سوى الله؟ فمن رأى شيئا فما رآه إلا فيه.	101/28
ولهذا النبي أشرنا إليه؛ ادّعى من ادّعى من البشر والجنّ الألوهة، وقبّل منهم، <u>وعبدوا من الله</u>	ولهذا النبي أشرنا إليه؛ ادّعى من ادّعى من البشر والجنّ الألوهة، وقبّل منهم، <u>وعبدوا من دون الله</u>	110/31ب
وما في العالم لفظاً لا يدلّ على ثناء ألبته، أعني ثناء جميلا	وما في العالم لفظاً لا يدلّ على ثناء ألبته، أعني ثناء جميلا	49/33ب
ما قال باله إلا القائل بأنّ العالم لم يزل	ما قال بالعلل إلا القائل بأنّ العالم لم يزل	131/34
الشهوة لا تكون في النفوس الطبيعية	الشهوة لا تكون إلا في النفوس الطبيعية	71/27ب

150/16ب	وهو أن يُعبد بهذا التوحيد لسبب	وهو أن يعبد بهذا التوحيد السبب
---------	--------------------------------	--------------------------------

والواقع إن هذا يبين لنا مدى التردّي النقدي الذي سلكه مناوئو الشيخ الأكبر بوجه خاص والتصوّف بشكل عام، بلجوتهم إلى التزوير والتحريف، والابتعاد عن المصادقية في مناقشة الرأي الآخر، والتعصّب الأعمى لمرجعياتهم حتى لو صادمت الحقّ عملاً بضدّ الحكمة القائلة بأنّ "العاقل هو من يعرف الرجال بالحقّ، وغير العاقل هو من يعرف الحقّ بالرجال!!"

ولنا أن نقف هنا ونسأل:

ما عذر هؤلاء حين يُسألون يوم القيامة عن الشهادة التي وضعها الشيخ الأكبر في أعناقهم كما حمل النبيّ هود عليه السلام قومه المكذّبين به شهادته وقال لهم: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.. وقد وضع الشيخ شهادته في عقيدته في صدر هذا الكتاب وجعلها أمانة في أعناق كلّ من قرأها، وهؤلاء منهم.. ماذا سيكون جوابهم عندئذ؟!..

وإذا كان هؤلاء قد انتزعوا عقيدة الشيخ من الكتاب ولم ينشروها ضمن هذا الإصدار.. اليس هذا التصرف دليلاً واضحاً على قراءتهم لها وخوفهم من محاسبة الناس قبل محاسبة الله لهم على اجترار مثل هذه الموقبات!! وأين سيذهبون من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾!!؟

وما عذر هؤلاء وهم يجحدون أن أكثر من 8% من مادة هذا الكتاب وحده هي إمّا نصوص قرآنية أو أحاديث نبوية، وبقية مادته كلها تدور في فلك هذه النصوص القرآنية والنبوية.. كيف يتجرعون على وصفها بالشرك والمروق من الدين!!..

أوليس في هذا التصرف جرأة على الله تعالى الذي حتّ على تدبّر آيات كتابه بقوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وجرأة على رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله القائل: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله، فإذا ذكروه لم ينكره إلا أهل الغرة بالله».

وما عذر هؤلاء وهم يجحدون أبواب فقه العبادات في الإسلام حاضرة في هذا الكتاب الموسوعة ويخصص لها بشكل مباشر ستة أسفار كاملة -تمثل 16% من حجم مادة الكتاب- قراءة وتحليلاً واعتقاداً وبشيت صحتها.. ويعتبرها المنهج الذي من حاد عنه هلك وخرج عن الملة.. كيف تستنّى لهم أن يقولوا عن مناقشة المذاهب الإسلامية وإقرار صحتها كلها أنّه كفر وضلال.. أوليس ذلك يقود أيضاً إلى تكفير أئمة المذاهب الإسلامية أنفسهم!!

وما عذر هؤلاء أمام جمهور علماء الأمة من المفسرين والحدّثين والفقهاء.. المتخمين إلى جميع المذاهب الإسلامية، سواء أولئك الذين عاش الشيخ الأكبر معهم وعاشروهم في الأندلس والمغرب العربي ومصر

ومكة المكرمة والعراق والأناضول والشام أو أولئك الذين جاؤوا في العصور اللاحقة، وهم الذين أشادوا بعلم هذا العلم وورعه وتقواه.. وشهدوا له بالتفوق والإمامة.. أوليس الطعن فيه يمثل طعننا وتجريحاً بهم وبعدهم.. وسيقود ذلك حتماً إلى التجريح بكل علومهم التي تركوها لنا!!

وما عذر هؤلاء وهم يحزفون كلام الشيخ ويستبدلونه بأقوال باطلة من لديهم ويرمون بها الشيخ الجليل، ويتهمونهم لذلك بأبشع التهم لهذه الأقوال؟ أوليست هذه الأقوال الكاذبة والافتراءات صادرة عنهم، وبالتالي هم أصحابها وليس الشيخ الأكبر؟! وإذا كان صاحبها يستحق تلك الاتهامات والأحكام التي أصدرها في حقّه؟! كيف سيكون أمرهم إذن حين تعود اتهاماتهم وأحكامهم عليهم؟!!

وأخيراً ما عذر هؤلاء وهم يرتكبون أكبر الكبائر دون أن يستشعروا مراقبة الله لهم فيها، أو نهي الرسول ﷺ عن أذى المؤمن ناهيك عن تكفيره.. أين سيذهبون من حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم إذ قال: «أَلَا أُبَشِّرُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ حَمَلَاتًا- قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ -وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكَيِّمًا- فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ. قَالَ: فَمَا زَالَ يَكْرُرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»!!

وسؤال أخير يبدو مشروعاً هنا.. هل اقتصر هذا التحريف والتزوير على مؤلفات الشيخ الأكبر وحده، أم أنه طال غيره من المؤلفين.. وإلى أي مدى وصل حجم هذا العمل الشائن.. وما هو دور المثقفين العرب والمسلمين اليوم في كشف هذه الجرائم المنكرة، ومراجعة وتصحيح هذا التراث الرائد..
إنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

نماذج من خط الشيخ الأكبر تبين حقيقة ما كتبه

صورة 1

الزائد مراعاة، الأصول الأولى والأصولية الأصحح الصلاة
أو عند سماع الإمامة الأولى من صلاة، روعي النجر وفراغها
في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجرات الطرايد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم، الصلاة والصحح بعام لها

صورة 2

امر عمر العادل الجبير
ان خوف الكتاب شره نوب
اذله الحكم في الوجود و فنا
وفراناء في الناب صريحا
ورائاه فيه حقا يقينا

صورة 3

الله فان الله ليس هو من
الله هذا الله ان يكلو على احد وما عصم الكلاو الا
ولفرات لبعض اهل العطر في كتاب سماه المرمية

صورة 4

ان الولاية عن العارنن بها
نعت اشترات ولا من انه اشرا كذا
بجالة نصبت للعارنن بها
صير العنقل وسند الشرع بشا
والعبر ليس له في ذكها قرع
وعدم يقضي بشي منه اشرا كذا

صورة 5

عينه واسمه وكل سببه ذلك اننا علمت نفسي في الى
حائب الخوار يكلعني على لوز من الاخران ولا ما دته من المهادث
وانا علمت نفسي مع الله ان يستعني فيما يرضه ولا يستعمني
سما بيا عرت عنه وان محض سماع لا يطون لنتج اعلى منه
ولراشردني منه في جميع من في العالم لم نشا نزل ذلك فانت محب
محض الخلب الشفوق على عبادة بل جعل الله في نفسي من

4- هذا العمل

بناء على ما سبق، يتضح أنّ التحديات التي كانت أمامنا كبيرة وكثيرة.. وأهمها ما يلي:

1- أن الكتاب هو في حقيقته موسوعة متكاملة لعلم دقيق وعميق؛ كون مساحة الجزء المكون فيه واسعة، وكثير من معارفه ودقائقه لا تُنال إلا بالكشف، وعمل التحقيق يتطلب الشروع في مهام عدة؛ مثل الترجيح، وتحديد مستوى اللفظ في حال التصحيف الذي كثيرا ما يرد في المخطوطات، ومنها قراءة المخطوط من المخطوطات.. ومعلوم أنّ هذه المخطوط تختلف باختلاف البلاد والعصر الذي كتبت فيه، واستيعاب الموضوع حتى يسهل تنسيق الكتابة من خلال تحديد الفقرات وفقا لبداياتها ونهاياتها، والنقاط والفواصل وعبارات الاعتراض.. إلخ) ومعلوم أنّ أي خلل يحدث في ذلك يؤدي في كثير من الحالات إلى اضطراب المعنى الذي أراده صاحبه.

هذه وغيرها من لوازم التحقيق تستدعي إدراكا يناسب مع موضوعات الكتاب. فإذا أضفنا إليه أنّ مؤلفه هو الشيخ الأكبر بفتوحاته وإلهاماته وقدراته التي منحه إياها المولى ﷺ ولم يجاريه فيها أحد من ذوي الشأن.. فإن التصدي لعمل كهذا يصير مخاطرة من الوزن الثقيل.

2- حجم هذا الكتاب الموسوعة كبير للغاية.. فأسفاره 37 سفرا، وأبوابه 560 بابا، وصفحاته بخط الشيخ الأكبر 10544 صفحة، وكتابه تزيد عن 1735000 كلمة. وبالتالي فإنه يتطلب وقتا وتفردا وإمكانيات ومجدا يزيد عن طاقة فرد واحد.. إلخ

3- صعوبة الحصول على مخطوطات الكتاب، وفي علمنا أنّ النسخة الأصلية المكتوبة بقلم الشيخ نفسه محفوظة في تركيا، ومن ثم يصير العمل عبثا إن لم يستند عليها، والحصول على صورة منها يتطلب إذنا خاصا من رئاسة الجمهورية التركية كما بلغنا فيما بعد.. وليس هذا الأمر باليسير. (وكنا قد طرقتنا أبواب اليونسكو وأنقرة والقاهرة ودمشق وطوكيو والإمارات.. بل وأبواب ميمين ممن توجد صورة هذه النسخة لديهم.. إلا أنّ هذه الجهود ذهبت كلها أدراج الرياح!!)

4- التجارب السابقة التي ذكرناها رغم توفر كل الإمكانيات الباعمة لها، والوقت اللازم، والتفرد لم تكتمل ولم تسلم من الوقوع في آلاف الأخطاء التي لا تليق بموسوعة عظيمة كهذه.

* * *

ولكن.. لا مفر من قدر.. وإذا أراد الله أمرا يسّر أسبابه، وأول التيسير لنا كان توفر النية والعزم

بضرورة معالجة تصحيح هذا الفساد الواقع، وإزالة العبث والتشويه اللامستول، وإبراز هذا الكتاب بحلته التي ألبسه أياها صاحبه كما هي، من غير زيادة أو نقصان، ووافق هذه النية إحساس قوي بإمكانية إنجازها، وساعد على ذلك إشارات وبشارات قبل الشروع في العمل بمدة وتعرّزت أثناءه بعد ذلك- رأيناها تدفعنا دفعا في هذا العمل.. في وقت لم يكن بأيدينا من أدواته سوى نسخة القاهرة المطبوعة.. وحينئذ فتحت الأبواب المغلقة..

فأبدى أخوان هما المهندس محمود سلطان المنصوب والأستاذ أحمد سعيد ناصر استعدادهما للعمل بتفرغ شبه كامل قرابة ثلاثة أعوام شاركاني فيها عملية المراجعة والتدقيق والفهرسة، وتكرم الشيخ الدكتور/ محمد عبد الرب النظاري بتوفير صورة من نسخة مخطوطة قونية، حصل عليها من مركز جمعة الماجد للمخطوطات في دبي، وكذا الأخ الدكتور/ محمد أبو بكر المفلحي، وزير الثقافة، قام بالتراسل مع وزارة الثقافة التركية وتأمين صورة من نسخة السلمانية.. وتوفّر الدعم التقني من قبل العزيزين الدكتور المهندس/ سامي عبد العزيز المنصوب، والمهندس/ عمر عبد العزيز المنصوب. بعد تدير أجهزة الكمبيوتر المطلوبة ولم يبق أمامنا بعدئذ سوى الإبحار في مركب الشيخ الأكبر قدس الله سرّه، مستخدمين العون والتوفيق من الحقّ تعالى جلّت قدرته.

وفي المرحلة الأولى التي ابتدأت في شهر رجب من عام 1428هـ وانتهت من غير ترتيب مسبق ليلة 27 رمضان من عام 1429هـ!!- أنجزنا ممتتين رئيسيتين:

- إخراج أولي لنسخة محكمة الفقرات والجمال ومختلف علامات الضبط والترقيم.
- استكمال المقابلة والضبط وفق نسخة القاهرة.

وفي المرحلة الثانية التي انتهت آخر ليلة من شهر رمضان عام 1430هـ!!- وكنا قد استلمنا صورتي مخطوطتي قونية والسلمانية- أنجزنا كذلك ممتتين رئيسيتين:

أجرينا المقابلة من جديد لضبط النسخة المحققة وفقا لمخطوط قونية باعتبارها الأصل الذي نعمل عليه، مع الاستفادة من نسخة السلمانية ونسخة القاهرة كنسختين مساعدتين في توضيح الكلمات المصحّفة أو العبارات التي ربما تكون سقطت سهوا عند إعادة نقلها من قبل الشيخ الأكبر، أو الحلول محلّ صفحاتها

ضبط النصوص القرآنية وتثبيت مرجعيّتها²، وكذا الأحاديث النبويّة³، والنصوص الشعرية وتشكيلها. وجدولة المصطلحات الصوفية⁴ والأعلام والأماكن... الخ.

ونظرا لأنّ عملا كبيرا كهذا لن يسلم من الأخطاء بسهولة، فقد بدأنا العام الثالث بإجراء اختبار بالعيّنة لتبيين مدى نجاحنا في إبراز النسخة التي كتبها الشيخ الأكبر كما هي تماما.. ومن البداية ظهر لنا وجود اختلاف بمقدار كلمة واحدة في كل ألف وخمسةائة كلمة. ومع أنّ هذه النتيجة تعتبر من المعايير ذات الكفاءة العالية، إضافة إلى أنّ كلّ المؤشّرات كانت تقود إلى أنّ هذه الاختلافات الباقية ناتجة كلها عن السماع عند المقابلة بحيث يسقط أو يزيد فيها حرف من غير أن يؤثر في المعنى من مثل: (وكان، كان) أو يحلّ حرف بدل حرف آخر، مثل: (وقال، فقال) أو أنها أخطاء مطبعية كأن يتبادل فيها حرفان موقعيهما.. وكلّها من النوع الذي لا يغيب عن فطنة القارئ. إلّا أنّنا رأينا مع ذلك- إعادة المراجعة والمقابلة لإزالة كلّ ما نثر عليه من اختلاف عن النصّ الأصلي نظرا لأهميّة هذا الكتاب الموسوعة الذي بين أيدينا، فقد آن الأوان أن يلبس حلّته الأصلية بعيدا عن أي تشويه وتحريف..

وانتهت هذه المرحلة بتوفيق المولى الكريم من غير ترتب مسبق متأ- يوم الجمعة 12 ربيع الأوّل من عام 1431هـ..

وإذ تزامن هذا الإنجاز مع إعلان مدينة تريم عاصمة للثقافة الإسلامية في هذا العام 2010م، فلم نجد عندئذ بداً من تسليم النسخة للطباعة ليكون عنوان وفاء تقدمه اليمن لعلم بارز من أبنائها، كان مشعل هداية، سطع وهجته فأثار للإنسانية دروبا مظلمة، ولم يخفت هذا الوهج على مدى قرون ثمانية، بل لم تزده الدهور والأزمان إلا سطوعا ولمعانا ورونقا وبهاء.

1 ولذلك لم نسجل اختلافات نسختي السلجانية والقاهرة عن نسخة قوية إلا في حالات محدودة للغاية باعتبار أنّ وجود النسخة الأصلية التي كتبها الشيخ بنفسه يعني تماما عن إضافة نسخ أخرى دخل فيها التغيير جراء أخطاء النقل المتكرر من ناقل عن ناقل، والصحيح وخلافه، ورأينا أنّ ذلك سيبتعد بنا عن تحقيق الكتاب الأصلي إلى إدخال اجتهادات الآخرين وأخطائهم ونسجها إلى الشيخ الأكبر.

2 سلاحظ القارئ الكريم أنّنا أثبتنا النصوص القرآنية وفق القراءات التي وردت فيها في مواضعها.

3 القاعدة العامة التي اتبعناها في تخرج الأحاديث النبوية هو كتابة رقم الحديث في كتابين ورد الحديث فيها بنسخ الصيغة أو أقرب صيغة جاء فيها الحديث، وجعل كتب الحديث التي رجعنا إليها هي من محتويات المكتبة الشاملة الإلكترونية.

4 استغننا هنا كثيرا من كتاب الدكتور سعاد الحكيم، الحكمة في حدود الكلمة.

شكر وتقدير

الشكر لله أولاً على عونه وتوفيقه..

وثانياً يلزم الشكر:

- لكل من حرص على إنجاز هذا العمل من تقدم ذكرهم من أعزاء لم يتوانوا لحظة واحدة في بذل الجهد والوقت والاهتمام الذي يتطلبه..
 - ولن حضر معنا للمراجعة والمقابلة في الأوقات التي كانت تيسر لهم.. ومنهم: أ/ محمد عبد الله مقبل، م/ أمين المشرقي، أ/ عبد الواسع علي سعيد، أ/ حسن القاضي. والأخ أمر الله إبراهيم من تركيا لترجمته ما جاء في نسخة السلجمانية من تعقيبات باللغة التركية.
 - ولن قدم لنا الدعم المعنوي والتشجيع، حرصاً على إخراج هذا العمل إلى النور؛ وهم الشيخ عبد الغفار عبد القادر حسان، والأستاذ الدكتور / عبد الله البار رئيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين والأستاذ / أحمد ناجي أحمد، مساعد الأمين العام للاتحاد، والأستاذ / عبد الباري طاهر رئيس تحرير مجلة الحكمة، والأخ / جمال موسى معجم.
 - ولا أنسى العزيزات آمال وبشرى وليلى على عملهن الطيب في الطباعة، وللعائلة المحترمة والعزيز محمد اللذين وقرا الهدوء والخدمة المطلوبة لنا خلال مدة العمل الطويلة.
- والحمد لله رب العالمين

عبد العزيز سلطان المنصوب

صنعاء

12 ربيع أول 1431 هـ / 26 فبراير 2010 م

الجزء الأول من الفتح المكي¹

السفر الأول من الفتوحات المكيّة²

1 العنوان في ص 2ب

2 تلى العنوان عبارة بقلم محمد بن إسحق القنوي: "إنشاء مولانا وسيدنا شيخ الإسلام، صفوة الأنام، إمام الأمة، قدوة الأئمة، سلطان المحققين، وارث الأنبياء والمرسلين، محيي الملة والدين، أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحائمي، رضي الله عنه وأرضاه به منه. ثم بخط الشيخ الأكبر: "رواية مالك هذه الجريدة محمد بن إسحق القنوي عنه" وبجانب هذه العبارة، عبارة ترضيئة بقلم محمد بن إسحق القنوي: "هذا السطر هو بخط شيخنا رضي الله عنه".

يلي ذلك: "رواية مجد الدين أبو بكر بن بندار التبريزي ساعا عليه عنه. كتبه محمد بن إسحق بن محمد، حامد الله".
يلي ذلك: "انتقل هذا السفر وسائر الكتاب من منشييه شيخ الإسلام، أيده الله تعالى، بحكم الإينام إلى خادمه ووريث نظره محمد بن إسحق غفر الله له ولوالديه، وضمه بكل علم مقرب إليه بالشيخ فقه الله، في شهور سنة سبع وثلاثين وستائة".

ثم ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1751

يليه: "وقف هذا الكتاب من أوله إلى آخره وهو سبع وثلاثون سفرا صاحبه ومالكه الشيخ الإمام العالم الراشح قدوة أكابر المحققين صدر الدين أبو المعالي محمد بن إسحق بن محمد رضي الله عنه وعن سلفه- على دار الكتب المنشأة عند قبره، لينتفع به سائر المسلمين في موضعه، وشرط أن لا يخرج منها... لا يرهن ولا يغيره. فن بمله بعد ما سمعه فأبنا إله على الذين يملونه لن الله سمع علم".

تلى ذلك كتابة باللغة التركية مؤرخة سنة 1274. وفي الصفحة السابعة وهي ص 1ب طابع دفعة يحمل رقم 1845، وطابع آخر يحمل رقم 1751، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: 304 صحيفة.

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ ﴾	آيات قرآنية
« »	حديث شريف
()	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية*
س	نسخة السلمايية
هـ	نسخة القاهرة

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

توبه هام:

ظنرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتم دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كمرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).

أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمود الذي جعل الأشياء عن عدم وجودها على وجهه لم تستحق ذلك سرحد وثبتها من عدمه وثبت عند هذا المقام على ما أحلنا به من عدم ذلك فطرسه قد نظرتما ظهر وما بهن ولكنه يخفى داويين وأثبتته الاسم الأول وهو عيون السيد

دق كان يث وأثبت له الاسم الآخر تصير الشا والفتى وتم كان برأف بنتت حرنا العصر وأنعام والمجاهل والمعار تمحى أحد من أسماء الأول والأخر ولأبى علي والظاهر ذلك كانت

أما في الحسن على هذا الطريق الأسى وكثيرا يثبتا بينه وبين الشا ذك في دعوتها فقد روي عن

الجبل لكنا من فيوم بعد الجبل هو سيد الحرم وهو سيد القصور هو سيد الكوفة فكثيرا أسمه

به يوم خرج من الدنيا أسمه يوم أسلم جهانه الذي هو على ولما كثر الذي حكمه وقام

الذي قبره ربه والقد الذي قد روي في ذلك وفيه يدرا في الذي رويهم به صفة النبي المختار محمد

لنا من عن الأربعة والشفاء بن العبد في ذلك الوقت الآخر لاحق بالتدريج لأنه سبحانه وتعالى

في ذلك التمام لأن في جنته المشبهه بقول من العبد في تلك الحرة الجاهل ويند بعد جاء في شجرة

به الألفاظ ليس عليه حين من أفسحانه علفا صفة وعلا وجل في ذاته وجله وإن

جهاد الحرة في دون سبحانه منه وأبى الوصف في علمه وقد وافقنا من أن خاطب عبدك في أسبغ

الاسم وأن كل ما أروضه فهو الظاهر المتيقن له من هذه الحقة الشدت علوم الحسن منه

الوجهين والبصحة والبسترة من الخلفه أن قلت عبد فكذلك أتت بربنا كتمه

فريسيه بطلق الله فأنا جلت ويصفه ما ليس عليه من واجب حقه طيب الأشياء حاله

على عونه ما غيره في شرح الصلاة من أشرنا البصحة الهدى وأشره نكر من عتق أن المكنت

قول الاسم له ويوم حقيقه لأجل والفرق إلا ما يحفظون حقيقة الوجود ذاته وأدوا لجهلته

جزوا من طقت من يوجد إلا الذي عتقت فأنتم مع العلم بالثابت يعرف وعن العلم في أصل

من كان يعرف فأن ما تظبط به الجمل يعرف تكلف ترى جلت فأنه الأشيا وخالفنا ذلك

جلدنا في وسطا في الوهاب الذي لا يراد ذلك الذي من سلطانه وجل اللطيف بعباد والجلد في

أبرك الله في دعوته البصر والصوت على سائر العالم وكنت وسط العالم وقت السيد انصاح كالك

في ربه الطارئ والحرق في السحاط في ربه من أرى به إليه ما يورع من الآيات والسابق فينا بوع من

الجلال الذي يربهم في عبادنا في هذه الخطية في عبادنا في الشان في حرة في الأمل كاستت

في حرة في عبادنا في هذه الخطية في عبادنا في الشان في حرة في الأمل كاستت

عونا ونحن أرسلين به به مصطنون ذاته الحق في جرائمنا خرجت عليه ملتقون ومكنته التوسر

جلد من ربه حذوق للملكة الويد من الأعمال بين غيره من ذلك وأصدق في عتق الأتقى

والعلماء من عن الأعمس للخدم عليه السلام بين ليد في قدها معجرات الامتثال في

أجله اسمه بزم من الجن بلسانه وفي القولين من سنبل في رجاياه من على ما في ذلك

بأسر الاله في الأمل والفضل لا كمن في الخلق

الصفحة الثانية من مخطوط السليمانية

التيفر الاق من الفوج الملائكة

انشاءه واول ما سجد له لاسرائيل صغوه لانام امام الامه ورواه الهنود
 المحقق فلهذا لاسرائيل واليه المولى الله عز وجل عليه السلام

الطاهر الخالص رضي الله عنه وارضاها به منتهى هذا السلام ويحفظه الله
 رواه ابن ماجة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن مالك بن عدي بن
 روافه محمد بن ابي بصير بن محمد بن عمار بن ابي بصير بن ابي بصير بن
 له محمد بن ابي بصير بن محمد بن عمار بن ابي بصير بن ابي بصير بن
 للحاكم ورواه ابن ماجة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن مالك بن
 وقف

1701

على الكتاب من اوله الى اخره وهو صحيح وملكه في سنة
 الراجح قد نزلنا له في سنة من اوله الى اخره وهو صحيح
 المكتت لسنه في سنة من اوله الى اخره وهو صحيح
 لا يرضون ولا يقبلون لسنه في سنة من اوله الى اخره وهو صحيح
 لما فيها من انوار الحكمه والهدى في سنة من اوله الى اخره وهو صحيح

الصفحة الثانية من مخطوط قونية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 كِتَابُ اللَّهِ عَلَى سَبْرٍ ثَابِتٍ

الجملة التي أوجرت الاشياء عن عدم وعمرها وأوقفها
 وجودها على توجبها كلمة لبعض نزلت سرحدونها وهداها
 من عدمها وندت عند هذا الحق على ما علمناه من خلق
 قومه مضمرة بجمانه وكفه وأطهر وما يهز ولا كنه
 يهز ويهز وأثبت له الاسم الأول وجوده عين العدم وقد
 كان ثبت وأثبت له الاسم الآخر تفدير الفناء والعدم
 وقد كان قبله إذا ثبت فلول العصور والمعاصير والحامل
 والمخار ما عرفت أحد عن اسمه الأول والآخر ولا الباطن
 والظاهر وإن كانت أسماء الحسن على هذا الطريق الإشتي
 ولا بينها تباين في المنازل بتقدير ذلك عندما تتخذ
 وسائر الجواهر النوازل فليس عبد الجليل هو عبد الكريم
 وإنما عبد العزير هو عبد المشهور وكل عبد له
 اسم غيره وهو مستعمل في الاسم فله فهو العليم

الصفحة الثالثة من مخطوط قونية

الالوية الاخرى في الاطراف بسبب وجودها على هذا النظام ما
 يكون من غير بلانه الاصورا اجمع ولسلطها من الناس من وقتها
 ومنهم من صلحها من اعمام الامان وبها الرسم وكهصور العين
 وسلطان المعاني وتمشية الاعمال من باب العقول والقوار والوحش
 نحو الامن صاحب علة يرتقى متحقق ما ذكرناه واما مؤاناه
 الزاير والصفات والاعمال على حسب الوجه على حرفه وهو واحد
 طاله من هذه الحركات اخرى واحدة ان شئنا اذ على حسب علوه
 ونوعه وطوله اذا تعدد الوجه واما مؤاناه من الحروف
 فاننا اعني الخلق المسمى لزانة من جهة تان واما مؤاناه من
 الاسما فيريد الاسما الاصله التي هي المعاني العروسه التي معنا
 كعربيه وانها في سائر اللغات لا يجرها منافع تسره عابنه
 الشان عجز العار من الازاد والتمس بها حركه الوجود مرادها
 الازاده هي لهم هنا خصوص ويا اخرى عنوع بها دعوى الفون من شأنه
 للمسمى برده كرفتن و ههنا ينوز على الخروف
 ملله على او جزيا يتبع واخصره وسعدا تقيه لاجباب اليراع
 والذروف

انتهى الجزر الرابع والتمت

(هذا كتابه على المؤلف السج الامام العدل بالعهده الفرد الحق في اعدائه من العوام والارواح وال
 العبد الفقير لعله يرد على العوام في العالم اخرها من الارواح من عزمه في شرحه
 كقولهم يردت ومن غير السج في قولهم يردت في قولهم يردت في قولهم يردت في قولهم يردت في قولهم يردت

الصفحة الأخيرة في السفر الأول من مخطوط قونية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ¹
صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

(خطبة الكتاب)²:

الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عَدَمٍ وَعَدَمِهِ. وأوقف وجودها على توجُّه كَلِمِهِ. لنتحقَّق بذلك سيرَ حدوثها وَقَدَمَهَا مِنْ قَدَمِهِ. ونقف عند هذا التحقيق على ما أعلمنا به من صدق قَدَمِهِ.

فظهر سبحانه - وظهر وأظهر. وما بطن، ولكنَّه بطن وأبطن. وأثبت له الاسم الأول وجود عين العبد، وقد كان ثبت. وأثبت له الاسم الآخر تقدير الفناء والفقْد، وقد كان قبل ذلك ثبت.

فلولا العصر والمعاصر، والجاهل والخابر، ما عرف أحد معنى اسمه الأول والآخِر، ولا الباطن والظاهر. وإن كانت أسماؤه الحسنَى على هذا الطريق الأسنَى، ولكن بينها تباين في المنازل، يتبيَّن ذلك عندما تتخذ وسائل لحلول النوازل. فليس عبد الحليم هو عبد الكريم، وليس عبد الغفور هو عبد الشكور. فكلُّ عبد له اسم هو رُبُّه، وهو جسمٌ، ذلك الاسم قلبه.

فهو العليم سبحانه³ - الذي عِلْمٌ وَعِلْمٌ، والحاكم الذي حَكَمَ وَحَكَمَ، والقاهر الذي قهر وأقهر، والقادر الذي قَدَّرَ وَكَسَّبَ ولم يقدر.

(وهو) الباقي الذي لم تقم به صفة البقاء، والمقدَّس في⁴ المشاهدة، عن المواجهة والتلقاء. بل العبد في ذلك الموطن الأنزه لا حَقُّ بالتنزيه لا أَنَّهُ تعالى في ذلك المقام الأنوّه⁵ يلحقه التشبيه. فتزول من العبد، في تلك الحضرة⁶، الجهات وينعدم، عند قيام النظرة به، منه الالتفات.

أحمد حمد من علم أَنَّهُ سبحانه - علا في صفاته وَعَلَى، وجلُّ في ذاته وجلُّ، وأنَّ حجاب العزّة، دون سبحانه، مُسَدَّل، وباب الوقوف على معرفة ذاته مُقْفَل. إن خاطب عبده: فهو المسمع السميع، وإن فعل ما أمر بفعله: فهو المطاع المطيع.

ولَمَّا حَيَّرْتِي هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، أَنشَدْتُ عَلَى حَكْمِ الطَّرِيقَةِ الْخَلِيقَةِ:

الرَّبُّ حَقٌّ وَالْعَبْدُ حَقٌّ يَا لَيْتَ شِغْرِي مَنِ الْمَكْلُفُ؟
إِنْ قُلْتَ عَبْدٌ فَذَلِكَ مَيْتٌ أَوْ قُلْتَ رَبٌّ أَنَّى يَكْلَفُ؟

1 البسملة ص 3

2 أشار المؤلف إلى هنا العنوان في ختام الخطبة.

3 ص 3ب

4 كانت في ق: "عند" وصححت بالهامش بقلم المؤلف.

5 الأنوّه: الأبرز والأظهر.

6 "في تلك الحضرة" كتب بجانبها في الهامش: "في ذلك المقام الأنزه" وبجانبه "صح" وحرف "خ" إشارة إلى أنه النص ثابت في نسخة أخرى، مع تثبيت الألفاظ الجديدة حيث كتب بجانبها لفظ "صح".

فهو سبحانه - يطعم نفسه، إذا شاء، بخلقه، وينصف نفسه مما تعين عليه من واجب حقه. فليس إلا أشباح خالية، على¹ عروشها خاوية. وفي ترجيع الصدى، سرُّ ما أشرنا إليه لمن اهتدى.

وأشكره شكر مَنْ تَحَقَّقَ أَنْ بالتكليف ظهر الاسم المعبود. وبوجود حقيقة "لا حول ولا قوة إلا بالله" ظهرت حقيقة الجود. وإلا، فإذا جعلت الجئة جزءا لما عملت، فأين الجود الإلهي الذي عقلت؟ فأنت، عن العلم بأنك لذاتك، موهوب، وعن العلم بأصل نفسك، محبوب. فإذا كان ما تطلب به الجزء ليس لك، فكيف ترى عملك؟

فترك الأشياء وخالقتها، والمرزوقات ورازقها. فهو الواهب سبحانه - الذي لا يمل، والملك الذي عزَّ سلطانه وجلَّ، اللطيف بعباده الخبير، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾².

* * *

والصلاة على سرِّ العالم ونكتته، ومطلب العالم وبغيته. السيد الصادق. المذبح إلى ربه، الطارق. المحترق به السبع الطرائق. ليريه من أسرى به ما أودع من الآيات والحقائق، فيما أبدع من الخلائق. الذي شاهده عند إنشائي هذه الخطبة، في عالم حقائق المثال، في حضرة الجلال، مكاشفة قلبية في حضرة غيبية.

ولما شهدته ﷺ³، سيِّدا معصوم المقاصد⁴، محفوظ المشاهد، منصورا، مؤيدا. وجميع الرسل، بين يديه مصطفون، وأُمَّته التي هي ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ﴾⁵ عليه ملتقون، وملائكة التسخير، من حول عرش مقامه، حاقون، والملائكة الموالدة من الأعمال، بين يديه صاقون.

و"الصدِّيق"⁶ على يمينه الأنفس. و"الفاروق" على يساره الأقدس. والختم بين يديه قد جثي، يخبره بحديث الأنبي. و"علي" ﷺ⁷ يترجم عن الختم بلسانه. و"ذو النورين" مشتمل برداء حياته، مقبل على شأنه.

فالتفت السيد الأعلى، والمورد العذب الأحلى، والنور الأكتشف الأجل. فرآني وراء الختم، لاشتراك بيني وبينه في الحكم. فقال له السيد: "هذا عدليك وابنك وخليتك؛ انصب له منبر الطِّرفاء⁸ بين يدي". ثم أشار إلي: "أن قم يا محمد - عليه، فأثني على من أرسلني وعلي. فإنَّ فيك شعرة منِّي، لا صبر لها

1 ص 4

2 [الشورى: 11]

3 أضيف في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب وحرف خ: "في ذلك العالم" ولم ترد في س، ووردت في هـ

4 ص 4، وبدا من هنا نجد الكتابة بخط حديث استغرق 4 صفحات انتهت ص 6 بسبب تلف يدو أنه أصاب هذه الصفحات.

5 [آل عمران: 110]

6 الصدِّيق، والفاروق، وذو النورين هم الخلفاء أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم.

7 س: "عليه السلام"

8 الطرفاء: نوع من الشجر ومنه الأهل.

عني. هي السلطانة في ذاتيتك، فلا ترجع إلي إلا بكتبتك. ولا بد لها من الرجوع إلى اللقاء، فإنها ليست من عالم الشقاء. فما كان متي، بعد بعثي، شيء في شيء إلا سعاد، وكان بمن شكر في الملاء الأعلى وحد". فنصب الختم المنبر، في ذلك المشهد الأخطر. وعلى جبهة المنبر مكتوب¹ بالنور الأزهر: "هذا هو المقام المحمدي الأطهر، من رقى فيه فقد ورثه، وأرسله الحق حافظا لحزمة الشريعة وبعثه". ووهبت، في ذلك الوقت، مواهب الحكم، حتى كآني "أوتيت جوامع الكلم". فشكرت الله ﷻ وصعدت أعلاه. وحصلت في موضع وقوفه ﷻ ومستواه.

ووسط لي على الدرجة التي أنا فيها كم قيص أبيض، فوقفت عليه، حتى لا أباهر الموضع الذي باشره ﷻ بقدميه، تزيها له وتشريفًا، وتنبئها لنا وتعريفًا: أن المقام الذي شاهده من ربه، لا يشاهده الورثة إلا من وراء ثوبه، ولولا ذلك لكشفنا ما كشف، وعرفنا ما عرف.

ألا ترى من تقفو أثره لتعلم خبره؟ (فأنت) لا تشاهد من طريق سلوكه ما شهد منه، ولا تعرف كيف تخبر بسلب الأوصاف عنه. فإنه شاهد مثلًا، ترابًا مستويًا، لا صفة له، فحشي عليه، وأنت، على أثره، لا تشاهد إلا أثر قدميه. وهنا سير خفي، إن بحثت عليه وصلت إليه: وهو من أجل أنه إمام -وقد حصل له الأمام- لا يشاهد أثرًا ولا يعرفه: فقد كشفت ما لا يكشفه. وهذا المقام قد ظهر في إنكار موسى صلى الله على سيدنا وعليه- على الحضير.

فلما وقفت ذلك الموقف الأسنى، بين يدي من كان من ربه في ليلة إسرائه ﴿قَاب قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾² - قمت مُقْبِعًا خَجَلًا، ثُمَّ أَيَّدْتُ بِرُوحِ الْقُدُسِ فَانْتَحْتُ مَرْتَجِلًا:

أَنْزِلْ عَلَيَّ مَعَالِمَ الْأَشْمَاءِ

يَا³ مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْأَنْبَاءِ

بِمَخَامِدِ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

حَتَّى أَكُونَ لِحَمْدِ ذَاتِكَ جَامِعًا

ثم أشرت إليه ﷻ:

جَزَدْتَهُ مِنْ دَوْرَةِ الْخَلْقَاءِ

وَيَكُونُ هَذَا السَّيِّدُ الْقَلَمِ الَّذِي

مَا بَيْنَ "طِينَةِ خَلْقِهِ وَالْمَاءِ"

وَجَعَلْتَهُ الْأَضَلَّ الْكَسْرِيْمَ وَأَدَمَ

وَعَطَفْتَ آخِرَهُ عَلَى الْإِبْدَاءِ

وَتَقَلَّتْهُ حَتَّى اسْتَدَارَ زَمَانُهُ

1 ص 5

2 [النجم: 9]

3 ص 5ب

وَأَفْتَهُ عَبْدًا ذَلِيلًا خَاضِعًا
 حَتَّى أَتَاهُ مُبْتَسِرًا مِنْ عِنْدِكُمْ
 قَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكَ أَنْتَ مُحَمَّدٌ
 يَا سَيِّدِي؛ حَقًّا أَقُولُ؟ فَقَالَ لِي:
 فَاحْمَدُ وَرِذٌّ فِي حَمْدِ رَبِّكَ جَاهِدْنَا
 وَانْزُرْنَا لَنَا مِنْ شَأْنِ رَبِّكَ مَا انْجَلَى
 مِنْ كُلِّ حَقٍّ قَائِمٍ بِحَقِيقَتِهِ
 ذَهْرًا يَتَّاجِنُكُمْ بِفَارِ حِرَاءِ
 جِبْرِئِلَ الْمَخْضُوضِ بِالْإِنْبَاءِ
 سِرُّ الْعِبَادِ وَحَاتَمُ التَّنْبَاءِ"
 "صِدْقًا نَطَقْتَ فَأَنْتَ ظِلُّ رِدَائِي
 فَلَقَدْ وَهَبْتَ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ
 لِقُرُودِكَ الْمَخْفُوضِ فِي الظُّلْمَاءِ
 يَاؤْتِيكَ مَفْلُوكًا بِغَيْرِ شِرَاءِ"

ثم شرعت في الكلام، بلسان العلام، فقلت، وأشرت إليه ﷺ: حُجِدت من أنزل عليك الكتاب المكنون، الذي ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾¹، المنزل بحسن شيمك، وتزيهك عن الآفات وتقديسك. فقال في سورة "نون": ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ² ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَفْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ. فَسَتُبْصِرُ³ وَيُبْصِرُونَ﴾⁴.

ثم غمس قلم الإرادة في مداد العلم، وخطَّ بيمين القدرة، في اللوح المحفوظ المصون، كل ما كان، وما هو كائن، وسيكون، وما لا يكون، مما لو شاء وهو لا يشاء- أن يكون، لكان كيف يكون: من قدره المعلوم الموزون، وعلمه الكريم المخزون. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁵ ذلك الله الواحد الأحد. فتعالى عما أشرك به المشركون.

فكان أول اسم كتبه ذلك القلم الأسمى، دون غيره من الأسماء: إني أريد أن أخلق من أجلك يا محمد- العالم الذي هو ملكك. فأخلق جوهرة الماء. فخلقتها دون حجاب العزة الأسمى. وأنا على ما كنت عليه -ولا شيء معي- في عما. فخلق الماء سبحانه- برده جامدة، كالجوهرة في الاستدارة والبياض. وأودع فيها بالقوة نوات الأجسام وذوات الأعراض.

ثم خلق العرش واستوى عليه⁶ اسم¹ الرحمن. ونصب الكرسي، وتدلت إليه القدمان. فنظر بعين

1 [الواقعة : 79]

2 البسطة ثابتة في الهامش

3 ص 6

4 [القلم : 1-5]

5 [الصافات : 180]

6 ص 6، من هنا تعود الكتابة بخط الشيخ المؤلف.

الجلال إلى تلك الجوهرية، فذابت حياءً، وتحللت أجزاءها فسالت ماء. وكان عرشه على ذلك الماء، قبل وجود الأرض والسماء. وليس في الوجود، إذ ذاك، إلا حقائق المستوى عليه والمستوي والاستواء. فأرسل النفس، فتموج الماء من زعره وأزبد، وصوت بحمد الحمد² الحمد الحق، عندما ضرب بساحل العرش، فاهتز الساق وقال له: "أنا أحمد" فجل الماء، ورج القهقري يريد ثبجه، وترك زبده بالساحل الذي أنتجه. فهو محضة ذلك الماء، الحاوي على أكثر الأشياء.

فأنشأ سبحانه- من ذلك الزبد، الأرض، مستديرة النشاء، مدحجة الطول والعرض. ثم أنشأ الدخان من نار احتكاك الأرض عند فتقها. ففتق فيه السماوات العلى، وجعله محل الأنوار ومنازل الملائكة الأعلى. وقابل بنجومها المزينة لها النيرات، ما زين به الأرض من أزهار النبات.

وتفرد تعالى- لآدم وولديه، بذاته جلّت عن التشبيه- ويديه. فأقام نشأة جسده، وسواها تسويتين: تسوية انقضاء أمده، و(تسوية) قبول أبله. وجعل مسكن هذه النشأة نقطة كرة الوجود، وأخفى عينها، ثم بته عباده عليها بقوله تعالى:- ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُونَهَا﴾³ فإذا انتقل الإنسان إلى برزخ "الدار الحيوان" مارت⁴ قبة السماء، وانشقت، فكانت شعلة نار سيال كالدهان.

فمن فهم حقائق الإضافات، عرف ما ذكرنا له من الإشارات. فيعلم قطعاً أنّ "قبة" لا تقوم من غير "عمد". كما لا يكون والد من غير أن يكون له ولد. فالعمد هو المعنى الماسك، فإن لم ترد أن يكون (هو) "الإنسان" فاجعله "قدرة المالك". فتبين أنه لا بد من ماسك يمسكها. وهي مملكة؛ فلا بد لها من مالك يملكها. ومن مسكك من أجله فهو ماسكها، ومن وجدت له⁵ فهو مالكتها.

ولما أبصرت حقائق السعداء والأشقياء، عند قبض القدرة عليها بين العدم والوجود وهي حالة الإنشاء-، حسن النهاية؛ بعين الموافقة والهداية، وسوء الغاية؛ بعين المخالفة والغواية، سارعت السعيدة إلى الوجود، وظهر من الشقية التثبط والإيابة. ولهذا أخبر الحق عن حالة السعداء فقال: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾⁶ - يشير إلى تلك السرعة (الوجودية). وقال في الأشقياء: ﴿فَتَجَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾⁷ يشير إلى تلك الرجعة (العدمية). فلولا هبوب تلك النفحات على الأجساد ما ظهر في هذا العالم سالك غي ولا رشاد. ولتلك السرعة و(ذلك) التثبط أخبرتنا- صلى الله عليك :- «أن رحمة

1 كانت في ق: "اسمه" وصححت بجانبها بخط الأصل: "اسم".

2 تاجية في الهامش مع إشارة الصواب.

3 [الرعد: 2]

4 ص 7

5 ق: "بسببه" وعليها إشارة استبدال وفي الهامش: "له" بقلم الأصل مع إشارة الصواب.

6 [المؤمنون: 61]

7 [التوبة: 46]

الله سبقَتْ غضبه»¹.. هكذا نَسَبَ الراوي إليك.

ثم أنشأ سبحانه- الحقائق على عدد أسماء حقّه، وأظهر² ملائكة التسخير على عدد خلقه. فجعل لكل حقيقة اسماً من أسمائه؛ تعبه وتعلمه. وجعل لكل سِرٍّ حقيقة ملكاً، يخدمه ويلزمه. فمن الحقائق من حجته رؤية نفسه عن اسمه، فخرج عن تكليفه وحكمه، فكان له من الجاحدين. ومنهم من ثبت الله أقدامه، واتخذ اسمه إمامه، وحقق بينه وبينه العلامة، وجعله أمامه؛ فكان له من الساجدين.

ثم استخرج من الأب الأول أنوار الأقطاب شموساً، تسبح في أفلاك المقامات. واستخرج أنوار النجباء نجومًا، تسبح في أفلاك النكرامات. وثبت الأوتاد الأربعة للأربعة الأركان، فانحفظ بهم الثقلان. فأزالوا مَيِّدَ الأرض وحركتها، فسكنت، فازينت بحلي أزهارها وحلل نباتها، وأخرجت بركتها، فتنعمت أبصارُ الخلق بمنظرها البهيّ، ومشاتهم بريحها العطريّ، وأحناكم بمطعمها الشهويّ. ثم أرسل الأبدال السبعة، إرسال حكيم عليم، ملوكاً على السبعة الأقاليم، لكلٍ بدلٍ إقليميّ. ووزر للقطب الإمامين، وجعلهما إمامين³ على الزمامين.

فلما أنشأ العالم على غاية الإتيان، ولم يبق أبداع منه كما قال أبو حامد⁴- في الإمكان، وأبرز جسدك صلى الله عليك- للعيان،- أخبر عنك الراوي أنك قلت يوماً في مجلسك: «إنّ الله كان ولا شيء معه»⁵ بل هو على ما عليه كان. وهكذا هي صلى الله عليك- حقائق الأكوان. فما زادت هذه الحقيقة على جميع الحقائق إلا بكونها سابقة، وهنّ لواحق. إذ من ليس مع شيء، فليس معه شيء. ولو خرجت الحقائق (في العين) على غير ما كانت عليه في العلم، لا مآزث⁷ عن الحقيقة المنزهة بهذا الحكم.

فالحقائق الآن في الحكم (=في العين)، على ما كانت عليه في العلم. فلنقل: كانت ولا شيء معها في⁸ وجودها، وهي الآن على ما كانت عليه في علم معبودها. فقد شمل هذا الخبر، الذي أطلق على الحقّ، جميع الخلق. ولا تعترض بتعدد الأسباب والمسببات، فإنها تردُّ عليك بوجود الأسماء والصفات، وأنّ المعاني التي تدلّ عليها مختلفات. فلولا ما بين البداية والنهاية سببٌ رابط، وكسبٌ صحيح ضابط، ما عُرف كلُّ واحد منها بالآخر، ولا قيل: على حكم الأول يثبت⁹ الآخر. وليس إلاّ الربّ والعبد وكفى. وفي هذا غنية

1 شعب الإيمان للسيقي 9011، مصنف عبد الرزاق 2898

2 ص 7 ب

3 كتب فوقها "صح" وحرف خ، وفي الهامش: "أمينين" وفوقها حرف خ.

4 هو أبو حامد الغزالي، وقوله: ليس في الإمكان أبداع ما كان.

5 ص 8

6 المستدرک علی الصحیحین للحاکم 3265، المعجم الكبير للطبراني 14904

7 س: لا امتازت.

8 ق: "من" وصححت بقلم الأصل: "في".

9 ق، س: "يأتي" وصحح في هامش ق: "يثبت"

لمن أراد معرفة نفسه في الوجود، وشيئا. ألا ترى أنّ الخاتمة عن السابقة؟ وهي كلمة، واجبة، صادقة. فما للإنسان يتجاهل ويعمى، ويمشي في دُجْنَةِ ظلماء، حيث لا ظلّ ولا ماء؟

وإنّ أحقّ ما سُمِعَ من النّبأ، وأتى به هدهد الفهم من سبأ، وجود الفلّك المحيط، الموجود في العالم المركّب والبسيط المسّعى بالهباء، وأشبه شيء به الماء والهواء، وإن كانا من جملة صورته المفتوحة فيه¹. ولَمَّا كان هذا الفلّك أصل الوجود، وتجلّى له اسمه النور من حضرة الجود، كان الظهور. وقبِلت صورتك - صلّى الله عليك - من ذلك الفلّك، أوّل فيض ذلك النور. فظهرت صورة مثليّة: مشاهدتها عينيّة، ومشاربها غيبية، وجنتها عذبيّة، ومعارفها قلميّة، وعلومها يمينيّة، وأسرارها مداديّة، وأرواحها لوحية، وطينتها آدميّة.

فأنت أبّ لنا في الروحانيّة، كما كان -وأشرف- إلى آدم- صلّى الله عليه - في ذلك الجمع- أبنا لنا في الجسميّة. والعناصر له أمّ ووالد، كما كانت حقيقة الهباء في الأصل مع الواحد. فلا يكون أمر إلا عن أمرين، ولا نتيجة إلا عن مقدّمتين. أليس وجودك عن الحقّ سبحانه- وكونه قادرا، موقوفا؟ وإحكامك عليه، من كونه عالما، موصوفا؟ واختصاصك بأمر دون غيره، مع جوازه عليك، عليه من كونه مريدا، معروفا؟

فلا يصحّ وجود المعدم عن وحيد العين، فإنه من أين يعقل "الأين"؟ فلا بدّ أن تكون ذات الشيء أينّا لأمر ما، لا يعرفه من أصبح عن الكشف على الحقائق أعمى. وفي معرفة الصفة والموصوف، تتبين حقيقة "الأين" المعروف. وإلا، فكيف تسأل صلّى الله عليك -ب"أين"²، وتقبل من المسئول "فأين الظرف" ثمّ تشهد له بالإيمان³ الصرف؟ وشهادتك حقيقة لا مجاز، ووجوب لا جواز. فلولا معرفتك- صلّى الله عليك - بحقيقة ما؛ ما قبِلت قولها مع كونها خرساء:- في السماء.

ثمّ بعد أن أوجد (الله) العوالم اللطيفة والكثيفة، وممّد المملكة، وهيئاً المرتبة الشريفة،- أنزل في أوّل دورة العذراء الخليفة. ولذلك جعل سبحانه- مدتنا⁴ في الدنيا سبع آلاف سنة، وتجلّى بنا في آخرها حال فناء، بين نوم وسنة. فننتقل إلى البرزخ الجامع للطرائق، وتغلب فيه الحقائق الطيّارة على جميع الحقائق. فترجع النولة للأرواح، وخليفتها في ذلك الوقت، طائر له ستامة جناح. وترى الأشباح في حكم التبّع للأرواح. فيتحوّل الإنسان في أيّ صورة شاء، لحقيقة صحّت له عند البعث من القبور في الإنشاء. وذلك موقوف على "سوق الجنة"، سوق اللطائف والمنّة.

1 ص 8ب

2 يشير هنا إلى سؤاله (ص) الأمة السوداء: أين ربك؟ فردت: في السماء.

3 ص 9

4 مصححة بخط قريب من الأصل: "مدتها"

فانظروا رحمكم الله- وأشرت إلى آدم، في الزمردة البيضاء قد أودعها الرحمن في أول الآباء. وانظروا إلى النور المبين، وأشرت¹ إلى الأب الثاني الذي سمّانا مسلمين². وانظروا إلى اللّجين الأخلص، وأشرت إلى من أبرأ الآكهم والأبرص بإذن الله، كما جاء به النص³. وانظروا إلى جمال حمرة ياقوتة النفس، وأشرت إلى من بيع بثمان بئس⁴. وانظروا إلى حمرة⁵ الإبريز، وأشرت إلى الخليفة العزيز⁶. وانظروا إلى نور الياقوتة الصفراء في الظلام، وأشرت إلى من فُضّل بالكلام⁷.

فمن سعى إلى هذه الأنوار، حتى وصل إلى ما تكشفه لك طريقها من الأسرار، فقد عرف المرتبة التي لها وجد، وصحّ له المقام الإلّهي، وله سجد. فهو الربّ والمربوب والمحّبّ والهجوب.

فَطَلْنَا تَرَ الْجُودِ الْقَدِيمِ الْمُحَدَّثَا	أَنْظُرْ إِلَى بَدْءِ الْوُجُودِ وَكُنْ بِهِ
أَبْدَاهُ فِي عَيْنِ الْعَوَالِمِ مُحَدَّثَا	فَالسَّيِّءِ مِثْلُ السَّيِّئِ إِلَّا أَنَّهُ
أَزْلًا فَبِرِّ صَادِقٍ لَنْ يَحْتَفَا	إِنْ أَقْسَمَ الرَّائِي بِأَنَّ وُجُودَهُ
عَنْ فَقْدِهِ أُخْرَى وَكَانَ مُقَلَّفَا	أَوْ أَقْسَمَ الرَّائِي بِأَنَّ وُجُودَهُ

ثم أظهرت أسراراً، وقصصت أخباراً، لا يسع الوقت إيرادها، ولا يعرف أكثر الخلق إيجادها. فتركها موقوفة على رأس مبيعها، خوفاً من وضع الحكمة في غير موضعها.

ثم زوّدت من ذلك المشهد النبويّ العلويّ، إلى العالم السفليّ. فجعلت ذلك الحمد المقدّس خطبة الكتاب، وأخذت في تميم صدره. ثم أشرع بعد ذلك في الكلام على ترتيب الأبواب. والحمد لله الغنيّ الوهاب.

1 لفظ "وأشرت" مكتوب في الهامش

2 هو سيدنا إبراهيم عليه السلام.

3 سيدنا عيسى عليه السلام.

4 سيدنا يوسف عليه السلام.

5 ص وب

6 سيدنا داود عليه السلام.

7 سيدنا موسى عليه السلام.

هذه رسالة كتبت بها

أما بعد فإنه:

لَعَا¹ انْتَهَى لِلْكَفْبَةِ الْحَسَنَاءِ جَنَسِي وَحَصَلَ زُيْتَةُ الْأَمْنَاءِ
 وَسَعَى وَطَافَ وَتَمَّ عِنْدَ مَقَامِهَا صَلَّى وَأَثَمْتُهُ مِنْ الْعَتَقَاءِ
 مَنْ قَالَ هَذَا الْفِعْلُ فَرَضَ وَاجِبٌ ذَلِكَ الْمُؤْمَلُ خَاتَمُ التَّبَنَاءِ
 وَرَأَى بِهَا الْمَلَأَ الْكَرِيمَ وَأَدَمَا قَلْبِي، فَكَانَ لَهُمْ مِنَ الْقُرَنَاءِ
 وَلَادَمَ وَلَدًا تَقِيًّا طَائِعًا فَخَمَّ الدَّسِيعَةَ أَكْرَمَ الْكُرَمَاءِ
 وَالْكُلُّ بِالْبِنْتِ الْمُكْرَمِ طَائِفٌ وَقَدْ اخْتَفَى فِي الْحَلَّةِ السُّوْدَاءِ
 يُرْجِي ذَلَالِ لَبْرَدِهِ لِيُرِيكَ فِي ذَلِكَ التَّبَخُّرِ نَخْوَةَ الْحِيَلَاءِ
 وَأَبِي² عَلَى الْمَلَأَ الْكَرِيمِ مُقَدِّمٌ يَفْشِي بِأَضْعَفِ مَشِيَةِ الزَّمَنَاءِ
 وَالْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيِ أَبِيهِ مُطَرِّقٌ فَعَلَّ الْأَدِينِ وَجِبْرَتِي لِإِزَانِي
 يُبْدِي الْمَعَالِمَ وَالْمَنَاسِكَ خِدْمَةً لِأَبِي لِيُورِثَهَا إِلَى الْأَبْنَاءِ
 فَعَجِبْتُ مِنْهُمْ كَيْفَ قَالَ جَمِيعُهُمْ³ بِفَسَادِ وَالِدِنَا وَسَفْكِ دِمَائِهِ
 إِذْ كَانَ يُحْجِبُهُمْ بِظُلْمَةِ طِينِهِ عَمَّا حَوْتُهُ مِنْ سَنَا الْأَسْمَاءِ
 وَبَدَا بِشُورٍ لَا يُعَايِنُ⁴ غَيْرُهُ لَكِنَّهُمْ فِيهِ مِنَ الشُّهَدَاءِ
 أَنْ كَانَ وَالِدُنَا مَمْلَأًا جَامِعًا لِلْأَوْلِيَاءِ مَعًا وَاللَّأَعْدَاءِ
 وَرَأَى الْمُؤَيَّةَ وَالنُّوَيْرَةَ⁵ جَاءَتَا كَرَاهًا بِغَيْرِ هَوَى وَغَيْرِ صَفَاءِ
 فَبْتَفِيسٍ مَا قَامَتْ بِهِ أَضْدَادُهُ حَكَمُوا عَلَيْهِ بِغُلْظَةِ وَبَدَاءِ
 وَأَتَى يَقُولُ: أَنَا الْمُسْبِخُ وَالَّذِي مَا زَالَ بِتَحْمَدِكُمْ صَبَاحَ مَسَاءِ

1 ص 10

2 يقصد به أبو البشر آدم عليه السلام.

3 هم الملائكة الذين قالوا لله حين أمرهم بالسجود لآدم: أتخجل علينا من نعبدك فيها ونسبك الدعاء [البقرة: 30]

4 ق، س: "ليس فيه" وصححت في هامش ق بقلم الأصل.

5 المويبة والنار: الماء والنار.

وَأَنَا¹ الْمُقَدَّسُ ذَاتُ نُورٍ جَلَالِكُمْ
 لَمَّا رَأَوْا جَمَّةَ الشَّمَالِ وَلَمْ يَرَوْا
 وَرَأَوْا نُفُوسَهُمْ عَيْنًا حُضْمًا
 لِحَقِيقَتِهِ جَمَعَتْ لَهُ أَسْمَاءُ مَنْ
 وَرَأَوْا مُنَازَعَةَ اللَّعِينِ بِجُنْدِهِ
 وَبَذَاتِ وَالِدِنَا مُنَافِقُ ذَاتِهِ
 عَلِمُوا بِأَنَّ الْحَزْبَ حُتْمًا وَقَعَ
 فَلِذَلِكَ مَا تَطَلَّفُوا بِمَا تَطَلَّفُوا بِهِ
 فُطِرُوا عَلَى الْخَيْرِ الْأَمِّ جِبِلَّةً
 وَمَتَّى رَأَيْتَ أَبِي وَهُمْ فِي مَجْلِسِ
 وَأَعَادَ قَوْلَهُمْ عَلَيْهِمْ رُبَّمَا
 فَجَرَابَةُ الْمَلَأِ الْكَرِيمِ عُثُوبَةً
 أَوْ مَا تَرَى فِي يَوْمِ بَدْرِ حَزْبِهِمْ
 بِعَرِينِشِهِ مُتَمَلِّقًا مُتَضَرِّعًا
 لَمَّا رَأَى هَذِي الْحَقَائِقَ كُلَّهَا
 نَادَى فَاسْتَمِعْ كُلُّ طَالِبِ حِكْمَةٍ
 طَيِّبِ اللَّيْلِ يَزْجُو لِقَاءَ مُرَادِهِ
 يَا زَاجِلًا² يَقْضُ الْمَهَامَةَ³ قَاصِدًا
 قُلْ لِسَلْبِي تَلْقَاهُ مِنْ هُجْرَانِي

وَأَتَوْا فِي حَقِّ أَبِي بِكُلِّ خَفَاءٍ
 مِنْهُ يَمِينُ الْقَبْضَةِ الْبَيْضَاءِ
 وَرَأَوْهُ رَبًّا طَالِبَ اسْتِغْلَاءِ
 خَصَّ الْحَيْبَ بِلَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ
 يَزْنُو إِلَيْهِ بِمُقَلَّةِ الْبَغْضَاءِ
 حَظُّ الْعِصَاةِ وَشَهْوَتَا حَوَاءِ
 مِنْهُ بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ وَإِبَاءِ
 فَأَعْدَزَهُمْ فَهَمُّ مِنَ الصَّلَاحِ
 لَا يَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ الشَّخْنَاءِ
 كَانَ الْإِمَامَ وَهُمْ مِنَ الْحَدَمَاءِ
 عَدْلًا فَأَنْزَلَهُمْ إِلَى الْأَعْدَاءِ
 لِمَقَالِهِمْ فِي أَوَّلِ الْآبَاءِ
 وَبَيْنُنَا فِي نِعْمَةٍ وَرَحْمَاءِ
 لِإِلَهِهِ فِي نُصْرَةِ الضُّعْفَاءِ
 مَغْضُومَةٍ - قَلْبِي - مِنَ الْأَهْوَاءِ
 يَطْلُوبِي لَهَا بِشِمْلَةٍ وَجَنَاءِ
 فَيَجُوبُ كُلَّ مَفَازَةٍ بَيْنَدَاءِ
 نَحْوِي لِيَلْحَقَ رُثَّةَ الشُّمْرَاءِ
 عَنِّي مَقَالَةٌ أَنْصَحَ النَّصْحَاءِ

1 ص 10 ب

2 ص 11

3 يقص المهامة: يجتاز الصحاري الواسعة.

وَاغْلَمَ بِأَنَّكَ خَاسِرٌ فِي حَيْرَةٍ
 إِنَّ الَّذِي مَا زِلْتُ أَطْلُبُ شَخْصَهُ
 السَّبْلَةَ الزَّهْرَاءَ بَلَدَةَ تُؤْنِسُ
 بِمَحَلِّهِ الْأَسْنَى الْمُقَدِّسِ تَرْبُهُ
 فِي عُضْبَةٍ مُخْتَصَّةٍ مُخْتَارَةٍ
 يَغْشِي بِهِمْ فِي نُورِ عِلْمٍ هِدَايَةٍ
 وَالذِّكْرُ يُثَلَّى وَالْمَعَارِفُ تَنْجَلِي
 بِنَزَا لِأَرْزَقَةِ وَعَشْرٍ لَا يُرَى
 وَابْنُ الْمُرَابِطِ فِيهِ وَاحِدٌ شَأْنُهُ
 وَتَبْوُهُ قَدْ خَفُوا بِعَرْشِ مَكَانِهِ
 فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهُمْ فِي مَجْلِسِ
 وَإِذَا أَنَاكَ بِحِكْمَةِ عَلْوِيَّةٍ
 فَلَزِمْتُهُ حَتَّى إِذَا خَلْتُ بِهِ
 خَبَّرَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَاشِقُ نَفْسِهِ
 مِنْ عُضْبَةِ التُّظَارِ وَالْفُقَهَاءِ
 وَاقٍ¹ وَعِنْدِي لِلتَّنْقِيلِ رِيَّةٌ
 فَتَرَكْتُهُ وَرَخَلْتُ عَنْهُ وَعِنْدَهُ
 وَبَدَا يُخَاطِبُنِي بِأَنَّكَ خُلْتَنِي
 وَأَخَذْتُ تَابِتًا الَّذِي قَامَتْ بِهِ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ نِيَّتِي وَطَوْبِي

لَمَّا جَمَلْتَ رِسَالَتِي وَنَدَانِي
 أَلْفَيْتُهُ بِالرِّبْوَةِ الْحَضْرَاءِ
 الْحَضْرَةَ الْمُرْدَانَةَ الْفَرَاءِ
 بِحُلُولِهِ ذِي الْقَبْلَةِ الزُّوْرَاءِ
 مِنْ صُفَّةِ الثُّجْبَاءِ وَالنُّقْبَاءِ
 مِنْ هَدْيِهِ بِالسَّنَةِ الْبَيْضَاءِ
 فِيهِ مِنَ الْإِنْسَاءِ لِلْإِنْسَاءِ
 أَبَدًا مُتَوَرِّزًا لَيْلَةَ قَمْرَاءِ
 جَلْتُ حَقَائِقَهُ عَنِ الْإِفْسَاءِ
 فَهُوَ الْإِمَامُ وَهُمْ مِنَ الْبُدْلَاءِ
 بِنَزْرِ تَحْفٍ بِهِ نُجُومُ سَمَاءِ
 فَكَأَنَّهُ يُنْبِي عَنِ الْعَقْبَاءِ
 أَنشَى لَهَا نَجْلًا مِنَ الْفُرْبَاءِ
 سِرُّ الْمَجَانَةِ سَيِّدُ الطَّرْفَاءِ
 لِكَيْتِهِ فِيهِمْ مِنَ الْفُضْلَاءِ
 فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ دُجَى وَضَعَاءِ
 مِنِّي تَقْرِيرٌ غَيْرُ الْإِدْبَاءِ
 فِي عِتْرَتِي وَصَحَابَتِي الْقُدَمَاءِ
 دَارِي وَلَمْ تُخْبِرْ بِهِ سُبْحَانِي²
 فِي أَمْرِ تَابِتِهِ وَصِدْقِ وَقَائِي

1 ص 11 ب
 2 الشَّجِيرُ: خَلِيلُ الرَّجُلِ وَصَفِيَّةٌ، وَجَمْعُهُ شَجَرَاءٌ.

فَأَنَا عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ مُلَازِمٌ
وَمَتَى وَقَعْتَ عَلَى مُفْتَسِحِ حِكْمَةٍ
مُتَحَبِّرٍ مُتَشَوِّفٍ قُلْنَا لَهُ:
أَسْرِعْ فَقَدْ ظَهَرَتْ يَدَاكَ بِجَمَاعِ
نَظَرِ الْوُجُودِ فَكَانَ تَحْتَ يَعَالِهِ
مَا فَوْقَهُ مِنْ غَايَةٍ يَفْتَوِرُ لَهَا
لَيْسَ الرِّدَاءُ تَرْهًا وَإِزَارَةٌ
فَإِذَا أَرَادَ تَمْتَعًا بِوُجُودِهِ
سَالَ الرِّدَاءُ فَلَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّرًا
فَبَذَا وَجُودٌ لَا تَقِيْدُهُ لَنَا
إِنْ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ وَمَنْ تَعْنِي بِهِ؟
فَمَنْسُ الْحَقِيقَةِ قُطْبُهَا وَإِمَامُهَا
عَبْدٌ¹ تَسْوَدُ وَجْهُهُ مِنْ هَمِّهِ
سَهْلُ الْحَلَالِيقِ طَيِّبٌ عَذْبُ الْجَنَى
جَلَّتْ صِفَاتُ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ
يُنْمِضِي الْمَثِيئَةَ فِي الْبَنِينِ مُقْسِمًا
مَا زَالَ سَائِسَ أُمَّةٍ كَانَتْ بِهِ
شَرِيًّا² إِذَا نَارَعْتَهُ فِي مُلْكِهِ
ضَلْبٌ وَلَكِنْ لَيْنٌ لِعَفَاتِهِ

1 ص 12
2 الشَّرِيٌّ بِالتَّسْكِينِ: الحِنَظَلُ. وَيُقَالُ: لِفُلَانٍ طَعْمَانٌ: أَرِيٌّ وَشَرِيٌّ. وَالشَّرِيُّ أَيْضًا: شَجَرُ الحِنَظَلِ. الوَاحِدَةُ شَرِيَّةٌ.
3 أَرِيٌّ: أَرِيٌّ السَّحَابُ: دَرَّتْهُ. وَالْأَرِيُّ أَيْضًا: العَسَلُ. وَعَمَلُ النَّحْلِ أَرِيٌّ أَيْضًا. وَفَدَا أَرِيٌّ أَرِيًّا، إِذَا غَمَلَتْ العَسَلُ.
4 الحَيَاءُ: العَطَاءُ.

يُعِينِي وَيُقَرِّرُ مَنْ يَشَاءُ فَأَمْرُهُ
 لَا أَنْسَى إِذْ قَالَ الْإِمَامُ مَقَالَةً
 كُنَّا بِنَا وَرِثَاءَ وَضَلِّي جَامِعِ
 فَاَنْظُرْ إِلَى السِّرِّ الْمَكْتُمِ دُرَّةً
 حَتَّى يَحَارَ الْخَلْقُ فِي تَكْوِينِهَا
 عَجَبًا لَهَا لَمْ تُخْفِهَا أَضْدَاقُهَا
 فَإِذَا أَتَى بِالسِّرِّ عَبْدٌ هَكَذَا
 أَنْ كَانَ يُبْدِي السِّرَّ مَسْخُورًا لِمَا
 لَمَّا أَتَيْتُ بِبَغْضٍ وَضِفِ جَلَالِهِ
 قَالُوا: "لَقَدْ أَخْفَيْتُهُ بِالْوَهْمِ
 فَبِأَيِّ² مَعْنَى تَعْرِفُ الْحَقُّ النَّبِيَّ
 قُلْنَا: صَدَقْتَ وَهَلْ عَرَفْتَ مُحَقَّقًا
 فَإِذَا مَدَحْتَ فَإِنَّمَا أَتَيْتَنِي عَلَى
 وَإِذَا أَرَدْتَ تَعْرِفْنَا بِوُجُودِهِ
 وَعَدِمْتُمْ مِنْ عَيْنِي فَكَانَ وُجُودُهُ
 جَلُّ الْإِلَهِ الْحَقُّ أَنْ يَمْلُؤَنَا
 لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَكَانَ فَرَدًا طَالِبًا
 هَذَا مُصَالًا فَلْيَصِحَّ وَجُودُهُ
 فَمَتَى ظَهَرَتْ إِلَيْكُمْ أَخْفَيْتُهُ

مُخْبِي الْوَلَاةِ وَمُهْلِكِ الْأَعْدَاءِ
 عَنْهَا يُقَصِّرُ أَخْطَبُ الْخَطْبَاءِ
 لِتَوَاتُرِنَا فَأَنَا بِحَيْثُ رِدَائِي
 مَجْلُوءَةٌ فِي اللَّجْمَةِ الْغَمِيَاءِ
 عَيْنِنَا كَحَيْرَةِ عَوْدَةِ الْإِبْدَاءِ
 الشَّمْسُ تَنْفِي جَنْدِسَ الظُّلْمَاءِ
 قِيلَ: اكْتُبُوا عِنْدِي مِنَ الْأَمْنَاءِ
 تَنْدِرِي بِهِ أَرْضِي فَكَيْفَ سَمَائِي
 إِذْ كَانَ عَيْي¹ وَأَقْنَا بِحِذَائِي
 فِي النَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَسْمَاءِ
 سَوَاكَ خَلَقْنَا فِي دُجَى الْأَخْشَاءِ؟
 مِنْ مُوجِدِ الْكُونِ الْأَعْمِّ سَوَانِي؟
 نَفْسِي فَتَنْفِسِي عَيْنِ ذَاتِ ثَنَائِي
 قَسَمْتُ مَا عِنْدِي عَلَى الْغُرَمَاءِ³
 فَظُهُورُهُ وَقَفَّ عَلَى إِخْفَائِي
 فَرَدًا وَعَيْنِي ظَاهِرٌ وَتَقَائِي
 مُتَحَسِّسًا مُتَجَسِّسًا لِثَنَائِي
 فِي غَيْبِي عَنِ عَيْنِهِ وَتَقَائِي
 إِخْفَاءِ عَيْنِ الشَّمْسِ فِي الْأَنْوَاءِ

1 يمكن قراءتها في ق: "عيني". والعري خلاف البيان.

2 ص 12 ب

3 هذا البيت ثابت في الهامش.

فَالظَّالِمُونَ يَزُونَ نُصَبَ عُيُونِهِمْ
وَالشُّمُسُ خَلَفَ الغَمِّ بُدَيِ نُورِهَا
فَتَقُولُ: قَدْ بَجَلْتُ عَلَيَّ وَإِنِّهَا
لَتَجُودُ بِالْمَطَرِ الغَرِيرِ عَلَى التُّرَى
وَكَذَلِكَ عِنْدَ شُرُوقِهَا فِي نُورِهَا
فَإِذَا مَضَتْ بَعْدَ الغُرُوبِ بِسَاعَةٍ
هَذَا لِيَمْتِنَهَا وَذَلِكَ لِجُحَيْهَا
فَخَاوَةٌ مِنْ أَجْلِئِنَّا، وَظُهُورُهُ
كَخَفَائِنَا مِنْ أَجْلِيهِ، وَظُهُورُنَا
نُومٌ¹ التَّفِيثُ بِالعَكْسِ زَمْرًا ثَانِيًا
فَكَانَتْ سَيَانٍ فِي أَغْيَانِنَا
فَالعِلْمُ يَشْهَدُ مُخْلِصِينَ تَأَلَّفَا
فَالرُّوحُ مُلْتَمِدٌ بِمُبْدِعِ ذَاتِهِ
وَالجِسُّ مُلْتَمِدٌ بِرُؤْيَاةِ رَبِّهِ
فَاللهُ أَكْبَرُ وَالكَبِيرُ رِدَائِي
وَالشَّرْقُ غَزْبِي وَالمَغَارِبُ مَشْرِقِي
وَالنَّارُ غَيْبِي وَالجَنَانُ شَهَادَتِي
فَإِذَا أَرَدْتُ تَرْهَا فِي رَوْضَتِي
وَإِذَا انصَرَفْتُ أَنَا الإِمَامُ وَلَيْسَ لِي

سُجْبًا نُصَرِّفُهَا يَدُ الأَفْوَاءِ
لِلشَّخْبِ وَالأَبْصَارِ فِي الظُّلْمَاءِ
مَشْفُوءَةٌ بِتَحَلُّلِ الأَجْرَاءِ
مِنْ غَيْرِ مَا نُصَبِ وَلَا إِغْيَاءِ
تَفْحُو طَوَالِغَ نَجْمِ كُلِّ سَمَاءِ
ظَهَرَتْ لِعَيْنِكَ أَنجُمُ الجُوزَاءِ
فِي ذَاتِهَا وَتَقُولُ: حُسْنُ رَعَاءِ
مِنْ أَجْلِيهِ، وَالرَّمْزُ فِي الأَفْيَاءِ
مِنْ أَجْلِئِنَّا، فَسَنَاهُ عَيْنُ ضِيَانِي
جَلَّتْ عَوَارِفُهُ عَنِ الإِخْضَاءِ
كَصَفَا الرُّجَاجَةِ فِي صَفَا الصُّهْبَاءِ²
وَالعَيْنُ تُعْطِي وَاحِدًا لِلرَّائِي
وَبِذَاتِهِ مِنْ جَانِبِ الأَكْفَاءِ
فَإِنْ عَنِ الإِخْسَائِسِ بِالتَّغْمَاءِ
وَالنُّورُ بَدْرِي وَالصَّيَاءُ ذَكَائِي³
وَالبُعْدُ قُزْبِي وَالتَّنُوءُ تَنَائِي⁴
وَخَفَائِقُ المَلْقَى الجَدِيدِ إِمَائِي
أَبْصَرْتُ كُلَّ المَلْقَى فِي مَرَائِي
أَحَدٌ أَخْلَقَهُ يَكُونُ وَرَائِي

1 ص 13

2 الصهبة: حمرة في سواد. والصهايا: الحمرة سميت بذلك بسبب لونها.

3 الذكاء: الحمرة الملتببة، شدة وجه النار.

4 البيت ثابت في الهامش بخط الأصل.

فَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنَا جَامِعٌ
هَذَا قَرِيضِي مُنِيَّ بِعَجَائِبِ
لِحَفَائِقِ الْمُنْشِي وَاللِّائِثَاءِ
فَاشْكُرْ مَعِيَ عَبْدَ الْعَزِيزِ إِلَهَنَا
ضَاقَتْ مَسَائِلُهَا عَلَى الْفُضَاءِ
شَرَعًا فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ اشْكُرْ لَنَا
وَلِنَشْكُرُنَّ¹ أَيْضًا إِلَى الْقَنْزَاءِ
وَلَوْلَا دَيْكَ وَأَنْتَ عَيْنُ قَضَائِي²

وبعد حمد الله بحمد الحمد لا بسواه، والصلاة التامة على من أسرى به إلى مستواه، فاعلم أيها العاقل الأديب، الولي الحبيب، أن الحكيم إذا نأث به الدار عن قسيه، وحالت صروف الدهر بينه وبين حممه، لا بد أن يعرفه بكل ما³ اكتسبه في غيبته، وما حصله من الأمتعة الحكيمية في غيبته⁴. (وهذا) ليسر- وليه بما أسداه إليه البر الرحيم من لطاقته، ومنحه من عوارفه، وأودعه من حكيمه، وأسمعه من كلمه. فكان وليه ما غاب عنه بما عرف منه.

وإن كان الولي-أبقاه الله- قد أصاب صفاء وودّه بعض كدر لعرض، وظهر منه اقبحاض عند الوداع لإتمام غرض، فقد غمض وليه عن ذلك جفن الانتقاد، وجعله من الولي-أبقاه الله- من كريم الاعتقاد.

إذ لا يهتم منك إلا من يسأل عنك. فليهنأ الولي-أبقاه الله- فإن القلب سليم، والود كما يعلم- بين الجوارح مقيم. وقد علم الولي-أبقاه الله- أن الود فيه كان إلتيا، لا عرضيا⁵ ولا نفسيا. وثبت عنده هذا قدما عتي، من غير علة، ولا فاقه إليه ولا قلة، ولا طلب لمثوبة، ولا حذر من عقوبة.

وربما كان من الولي-حفظه الله تعالى- في الرحلة الأولى التي رحلت إليه، سنة تسعين وخمس مائة، عدم التفات فيها إلى جانبي، ونفور عن الجري على مقاصدي ومذاهبي، لما لاحظت فيها من التقص. وعذرتة في ذلك. فإنه أعطاه ذلك متي ظاهر الحال، وشاهد النص. فإني سترت عنه وعن بنيه ما كنت عليه في نفسي، بما أظهرته إليهم من سوء حالي وشره⁶ جسّي.

وربما كنت ألوح لهم أحيانا على طريق التنبيه، فيأبى الله أن يلحظني واحد منهم بعين التنزيه. ولقد قرعت أسماهم يوما، في بعض المجالس، والولي-أبقاه الله- في صدر ذلك المجلس جالس، بأبيات أنشدتها،

1 رسمها في ق: ولنشكرا، ولنشكرا، س: ولنشكرا

2 هناك عبارتان في الهامش عند نهاية القصيدة، وهما: "بلغ قراءة على مولفه"، "بلغ قراءة على الشيخ".

3 ص 13 ب

4 العيبة: الصدر، والجمع: عياب. والعتيبة: وعاء من ادم يكون فيها المتاع، والجمع عياب وعيب. والعتيبة أيضا: زئيل من ادم ينقل فيه الزرع الحصاد إلى الجرين في لغة همدان.

5 ه: غرضيا.

6 ص 14

وفي كتاب "الإسراء" لنا أودعناها، وهي:

أنا الفزان والسبع المثاني
وروح الروح لا روح الأواني
فؤادي عند معلومي مقيم
يُشاهدُه وعندكم لِساني
فلا تُنظَر بِظرفك نحو جنسي
وعدّ عن التثنم بالمقاني
وغض في بحر ذات النابت تبصّر
عجائب ما تبدت للعيان
وأسرارًا تراءت مُبهّيات
مُسْتَرَّةً بِأزواج المقاني

فوالله؛ ما أنشدت من هذه القطعة بيتا، إلا وكأني أسمعُه ميتا. وسبب ذلك، حكمة أبي رضاها، وحاجة في نفس يعقوب قضاها، وما أحس بي، من ذاك الجمع المكرم، إلا أبو عبد الله بن المرابط، كليمهم المبرز المقدم، ولكن بعض إحساس، والغالب عليه في أمري الالتباس. وأما الشيخ المسنّ، المرحوم جراح، فكنت قد تكشفت معه على نيّة¹، في حضرة عليّة. ولم أزل، بعد مفارقتي حضرة الوليّ أبقاءه الله- له ذاكرا، ولأحواله² شاكرا، وبمناقبه ناطقا، ولآدابه عاشقا، وربما سطرّ من ذلك في الكتب ما سارت به الركبان، وشهر في بعض البلدان. وقد وقف الوليّ عليه، ورأى بعض ما لديه. فقد ثبت له الودّ منّي، قبل سبب يقتضيه، و(قبل) غرض عاجل أو أجل- يثبتُه في النفس وبمضيه.

ثم كان الاجتماع بالوليّ -تولاه الله- بعد ذلك بأعوام، في محلّه الأسنى. وكانت الإقامة معه تسعة أشهر، دون أيام. في العيش الأرعن الأهنئ؛ عيش روح وشبح. وقد جاد كلُّ واحد منا بذاته على صفته وسمح. ولي رفيق وله رفيق. وكلاهما صديق وصديق. فرفيقه شيخ، عاقل، محصل، ضابط. يُعرف بأبي عبد الله بن المرابط. ذو نفس أئمة، وأخلاق رضيّة، وأعمال زكية، وخلال مَرَضِيّة. يقطع الليل تسبيحا وقرآنا، ويذكر الله على أكثر أحيانه سِرًا وإعلانا. بطلّ في ميدان المعاملات. فهُمّ لما يرد به صاحب المنازل والمنازلات. منصف في حاله. مفترق بين حقّه ومخاله.

وأما رفيقي؛ فضياء خالص، ونور صرف، حبشي³، اسمه عبد الله، بدر لا يلحقه خسف، يعرف الحقّ لأهله فيؤدّيه، ويوقفه عليهم ولا يعدّيه. قد نال "درجة التمييز". و"تخلّص عند السبك"، كالذهب الإبريز. كلامه حقّ. ووعدّه صدق. فكنا³ "الأربعة الأركان" التي قام عليها شخص العالم والإنسان.

1 لعلها: "علانية" وفق رسم س

2 ص 14 ب

3 ص 15

فافترقنا، ونحن على هذه الحال-، لانحراف قام ببعض هذه المحالّ. فأبني كنت نويت الحجّ والعمرة. ثمّ أسرع إلى مجلسه الكريم الكثرة. فلما وصلت أمّ القرى، بعد زيارتي الخليل¹ الذي سنّ القرى، وبعد صلاتي بالصخرة والأقصى²، وزيارة سيدي، سيّد³ ولد آدم، ديوان الإحاطة والإحصاء، أقام الله في خاطري أن أعزّف الوليّ أباه الله- بفنون من المعارف حصّلتها في غيبي، وأهدي إليه -كرمه الله- من جواهر العلم، التي اقتنيتها في غربتي. فقيدت له هذه الرسالة البيّنة، التي أوجدها الحقّ لأعراض الجهل تيمّة، ولكلّ صاحبٍ صفيّ، ومحقّق صوفي، ولحبينا الوليّ، وأخينا الزكي، وولدنا الرضي، عبد الله بدر الحبشي، اليمني، مُعْتَق أبي الغنّام ابن أبي الفتح الحرّانيّ-وسميتها: "رسالة الفتوحات المكيّة في معرفة الأسرار المالكيّة والملكيّة". إذ كان الأغلب بما أودعت هذه الرسالة ما فتح الله به عليّ، عند طوافي بيته المكرّم، أو قعودي مراقبا له، بحرمه الشريف المعظّم. وجعلتها أبوابا شريفة، وأودعتها المعاني اللطيفة.

فإنّ الإنسان لا تسهل عليه شدائد البداية إلّا إذا عرف شرف الغاية. ولا سيما إن ذاق من ذلك عذوبة الجنى. ووقع منه بموقع المنى. فإذا حصر الباب البصر، تردّد عين بصيرة الحكيم فنظر، فاستخرج اللآلئ والدرر. ويعطيه الباب، عند ذلك، ما فيه من حكم روحانيّة، ونكت ربانيّة، على قدر نُفُوزِهِ وفهْمِهِ، وقوّة عَزْمِهِ وهَمِّهِ، واتّساع نفسه، من أجل غَطْطِهِ في أعماق بحار عليه.

لَمَّا لَزِمْتُ قَرْعَ بَابِ اللَّهِ كُنْتُ الْمُرَاقِبَ لَمْ أَكُنْ بِاللَّاهِي
حَتَّى بَدَتْ لِلْعَيْنِ سُبْحَةٌ وَنَجْمٌ وَإِلَى هَلْمٍ لَمْ تَكُنْ إِلَّا هِي
فَأَخْطْتُ عِلْمًا بِالْوُجُودِ لَمَّا لَمْنَا فِي قَلْبِنَا عِلْمٌ بِغَيْرِ اللَّهِ
لَوْ يَسْأَلُكَ الْخَلْقُ الْغَرِيبُ مَحْجَتِي لَمْ يَسْأَلُوكَ عَنِ الْحَقَائِقِ مَا هِي

فلنقدّم، قبل الشروع في الكلام على أبواب هذا الكتاب، بابا في فهرست أبوابه. ثمّ أتلهو بمقدّمة في تمهيد ما يتضمّنه هذا الكتاب من العلوم الإلهيّة الأسراريّة. وعلى أثرها، يكون الكلام على الأبواب، على حسب ترتيبها في باب الفهرست، إن شاء الله تعالى- ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵. انتهى الجزء الأوّل -والحمد لله- يتلوه الجزء الثاني -إن شاء الله تعالى- وصلّى الله على محمد وعلى آله الطاهرين⁶.

1 يقصد هنا مقام النبي إبراهيم الخليل عليه السلام في مدينة الخليل بـفلسطين.

2 الصخرة: مسجد قبة الصخرة. والأقصى: المسجد الأقصى. وكلاهما بيت المقدس.

3 ثابت في الهامش بخط الأصل.

4 ص 15 ب

5 [الأحزاب: 4]

6 في الهامش: "بلغ قرامة على مؤلفه لأحمد العلوي".

الجزء الثاني من الفتح المكي¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

باب في فهرست أبواب الكتاب وليس معدودا في الأبواب، وهو على فصول ستة

الفصل الأول في المعارف

الباب الأول: في معرفة الروح الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطرته في هذا الكتاب، وما كان بيني وبينه من الأسرار.

الباب الثاني: في معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم، وما لها من الأسماء الحسنی، ومعرفة الكلمات التي توهم التشبيه، ومعرفة العلم والعالم والمعلوم.

الباب الثالث: في تنزيه الحق عما في طي الكلمات التي أطلقت عليه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من التشبيه والتجسيم.

الباب الرابع: في سبب بدء العالم ونشئته، ومراتب الأسماء الحسنی في العالم.

الباب الخامس: في معرفة أسرار ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، من جملة ما، لا من جميع وجوهه.

الباب السادس: في معرفة بدء الخلق الروحاني، ومن³ هو أول موجود فيه؟ ومم³ وجد؟ وفيم³ وجد؟ وعلى أي مثال وجد؟ ولم³ وجد؟ وما غايته؟ ومعرفة أفلاك العالم الأكبر والأصغر.

الباب السابع: في معرفة بدء الجسوم الإنسانيّة، وهو آخر موجود من العالم الأكبر.

الباب الثامن: في معرفة الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم ﷺ وما فيها من الغرائب والعجائب، ونسب أرض الحقيقة.

الباب التاسع: في معرفة وجود الأرواح النارية المارجية.

الباب العاشر: في معرفة دورة الملوك، وأول منفصل فيها عن أول موجود، وآخر منفصل فيها عن آخر منفصل عنه، وبماذا عمّر الموضع المنفصل عنه منها؟ وتمهيد الله هذه المملكة حتى جاء مليكها، وما مرتبة العالم الذي بين عيسى ﷺ وبين محمد ﷺ؟

الباب الحادي عشر: في معرفة آباتنا العلويات وأمهاتنا السفليات.

الباب الثاني عشر: في معرفة دورة سيد العالم، محمد ﷺ وأنّ الزمان في وقته استدار كهينته يوم خلقه

1 العنوان ص 16، ص 16 بياض

2 البسمة ص 17

3 ص 17 ب

4 ق: الحادي أحد

الله تعالى.

الباب¹ الثالث عشر: في معرفة حملة العرش، وهم إسرئيل وآدم وميكانيل وإبراهيم وجبريل ومحمد ورضوان ومالك عليهم السلام.

الباب الرابع عشر: في معرفة أسرار أنبياء الأولياء وأقطاب الأمم، من آدم إلى محمد عليها السلام- وأن القطب واحد منذ خلقه الله، لم يمّت، وأين مسكنه؟

الباب الخامس عشر: في معرفة الأنفاس، ومعرفة أقطابها المحقّقين بها وأسرارهم.

الباب السادس عشر: في معرفة المنازل السفليّة، والعلوم الكونيّة، ومبدأ معرفة الحقّ تعالى- منها، ومعرفة الأوتاد، والأشخاص السبعة البدلاء، ومَن تولّاهم من الأرواح العلويّة؟ وترتيب أفلاكها.

الباب السابع عشر: في معرفة انتقال العلوم الكونيّة، ونبذ من العلوم الإلهيّة، المجدّة، الأصليّة.

الباب الثامن عشر: في معرفة علم المتجهّدين، وما يتعلّق به من المسائل، ومقداره في مراتب العلوم، وما يظهر عنه من العلوم في الوجود الكوني.

الباب التاسع عشر: في سبب نقص العلوم وزيادتها، وقوله تعالى:- ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾² وقوله ~~الطاهر~~: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا³ يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ بَقْبِضِ الْعُلَمَاءِ»⁴ الحديث.

الباب الموفي عشرين: في معرفة العلم العيسوي، ومن أين جاء؟ وإلى أين ينتهي؟ وكيفيته؟ وهل تعلق بطول العالم، أو بعرضه، أو بهما؟

الباب الحادي والعشرون: في معرفة ثلاثة علوم كونيّة، وتوالم بعضها في بعض.

الباب الثاني والعشرون: في معرفة علم المنزل والمنازل، وترتيب جميع العلوم الكونيّة.

الباب الثالث والعشرون: في معرفة الأقطاب المصونين، وأسرار منازل صؤنهم.

الباب الرابع والعشرون: في معرفة جاءت عن العلوم الكونيّة، وما تتضمّن من العجائب، ومَن حصلها من العالم، ومراتب أقطابهم- وأسرار الاشتراك بين شريعتين، والقلوب المتعشّقة بالأنفاس وأصلها، وإلى كم تنتهي منازلها؟

الباب الخامس والعشرون: في معرفة وتد مخصوص معمر. وأسرار الأقطاب المختصين بأربعة أصناف من العالم. ويسرّ المنزل والمنازل. ومَن دخله من العالم؟

1 ص 18

2 [طه: 114]

3 ص 18 ب

4 المعجم الكبير للطبراني 1452، مسند الحميدي 609

الباب السادس والعشرون: في معرفة أقطاب الرموز، وتلويحات من أسرارهم وعلومهم¹.
الباب السابع والعشرون: في معرفة أقطاب: "صِلْ؛ فقد نوبتُ وصالك" وهو من منازل العالم النوراني،
وأسرارهم.

الباب الثامن والعشرون: في معرفة أقطاب "الم تركيب"؟

الباب التاسع والعشرون: في معرفة سِرِّ سلمان الذي أحقه بأهل البيت، والأقطاب الذين منهم ورثه،
ومعرفة أسرارهم.

الباب الثلاثون: في معرفة الطبقة الأولى والثانية من الأقطاب الرُكائبة.

الباب الحادي والثلاثون: في معرفة أصول الرُكبان.

الباب الثاني والثلاثون: في معرفة الأقطاب المدبرين من الفرقة الثانية الرُكائبة.

الباب الثالث والثلاثون: في معرفة الأقطاب النياتيين وأسرارهم وكيفية أصولهم.

الباب الرابع والثلاثون: في معرفة شخص تحقق في منزل الأنفاس فعان أسراراً أذكرها.

الباب الخامس والثلاثون: في معرفة هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس وأسارِهِ بعد موته.

الباب السادس والثلاثون: في معرفة العيسويين وأقطابهم وأصولهم.

الباب السابع والثلاثون: في معرفة الأقطاب العيسويين² وأسرارهم.

الباب الثامن والثلاثون: في معرفة مَنْ أطلع على المقام الحمدي ولم يتلَّهُ من الأقطاب.

الباب التاسع والثلاثون: في معرفة المنزل الذي ينحطُّ إليه الوليُّ إذا طرده الحقُّ -عافانا الله وإياك- وما
يتعلَّق بهذا المنزل من العجائب والعلوم الإلهية، ومعرفة أسرار أقطاب هذا المنزل.

الباب الأربعون: في معرفة منزل مجاور ليعلم جزئي من علوم الكون، وترتبه وغرائبه وأقطابه.

الباب الحادي والأربعون: في معرفة أهل الليل واختلاف طبقاتهم وتباينهم في مراتبهم، وأسرار أقطابهم.

الباب الثاني والأربعون: في معرفة الفتوة والفتيان ومنازلهم وطبقاتهم، وأسرار أقطابهم.

الباب الثالث والأربعون: في معرفة جماعة من أقطاب الورع، وعامة ذلك المقام.

الباب الرابع والأربعون: في معرفة البهاليل وأتمتهم في البهلة.

الباب الخامس والأربعون: في معرفة مَنْ عاد بعد ما وصل، ومَنْ جملة يعود.

الباب السادس والأربعون: في معرفة العلم القليل، ومَنْ حصله من الصالحين¹.

1 ص 19

2 ص 19 ب

الباب السابع والأربعون: في معرفة أسرار ووصف المنازل السفلية ومقاماتها، وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته فيحس إليها مع علو مقامه، وما السر الذي يتجلى له حتى يدعو إلى ذلك؟
الباب الثامن والأربعون: في معرفة إنما كان كذا لكذا.

الباب التاسع والأربعون: في معرفة «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن»² ومعرفة هذا المنزل ورجاله.
الباب الخمسون: في معرفة رجال الخيرة والعجز.

الباب الحادي والخمسون: في معرفة رجال من أهل الورع قد تحققوا بمنزل "نفس الرحمن".

الباب الثاني والخمسون: في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشف من حضرة الغيب إلى عالم الشهادة.

الباب الثالث والخمسون: في معرفة ما يُلقي المرید على نفسه من وظائف الأعمال قبل وجود الشيخ.

الباب الرابع والخمسون: في معرفة الإشارات.

الباب الخامس والخمسون: في معرفة الخواطر الشيطانية.

الباب السادس والخمسون: في معرفة الاستقراء وصحته وسقمه.

الباب السابع والخمسون: في معرفة تحصيل علم الإلهام³ بنوع ما من أنواع الاستدلال، ومعرفة النفس.

الباب الثامن والخمسون: في معرفة أسرار أهل الإلهام المستقلين، ومعرفة علم إلهي فاض على القلب ففرق خواطره وشتتها.

الباب التاسع والخمسون: في معرفة الزمان، الموجود والمقدر.

الباب الستون: في معرفة العناصر، وسلطان العالم العلوي على العالم السفلي. وفي أي دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأقصى؟ وأي روحانية تنظرنا؟

الباب الحادي والستون: في معرفة جهنم، وأعظم المخلوقات عذابا فيها، ومعرفة بعض العالم العلوي.

الباب الثاني والستون: في معرفة مراتب النار.

الباب الثالث والستون: في معرفة بقاء الناس في البرزخ، بين الدنيا والبعث.

الباب الرابع والستون: في معرفة القيامة ومنزلها، وكيفيّة البعث.

الباب الخامس والستون: في معرفة الجنة ومنزلها ودرجاتها، وما يتعلّق بهذا الباب⁵.

1 ص 20

2 مسند الشاميين للطبراني 1053، كز العمال 33951

3 ص 20 ب

4 كتب بقلم آخر فوقها "خ" ومقابلها في الهامش: "إليه" مع إشارة التصويب

5 "درجاتها...الباب" تاجه في الهامش بخط الأصل.

الباب السادس والستون: في معرفة سرّ الشريعة ظاهرا وباطنا، وأبي اسم أوجدها؟

الباب السابع والستون: في معرفة "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

الباب الثامن والستون: في معرفة أسرار الطهارة.

الباب التاسع والستون: في معرفة أسرار الصلاة.

الباب السبعون: في معرفة أسرار الزكاة.

الباب الحادي والسبعون: في معرفة أسرار الصيام.

الباب الثاني والسبعون: في معرفة أسرار الحجّ، ومعرفة مناسكه، وآيات بيته المكرم. وما أشهدني الحقّ عند طوافي بالبيت من أسرار الطواف.

الباب الثالث والسبعون: في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد عند المقابلة والانحراف، وعلى كمّ ينحرف من المقابلة؟

الفصل الثاني في المعاملات

- الباب الرابع والسبعون: في التوبة.
- الباب الخامس والسبعون: في ترك التوبة.
- الباب السادس والسبعون: في المجاهدة.
- الباب السابع والسبعون: في ترك المجاهدة.
- الباب الثامن والسبعون: في الخلوة.
- الباب التاسع والسبعون: في ترك الخلوة.
- الباب الثمانون: في العزلة.
- الباب الحادي والثمانون: في ترك العزلة.
- الباب الثاني والثمانون: في¹ الفرار.
- الباب الثالث والثمانون: في ترك الفرار.
- الباب الرابع والثمانون: في تقوى الله.
- الباب الخامس والثمانون: في تقوى الحجاب والستر.
- الباب السادس والثمانون: في تقوى الحدود الدنياوية.
- الباب السابع والثمانون: في تقوى النار.
- الباب الثامن والثمانون: في معرفة أسرار أحكام أصول الشرع.
- الباب التاسع والثمانون: في معرفة النوافل على الإطلاق.
- الباب التسعون: في معرفة أسرار الفرائض والسنن.
- الباب الحادي والتسعون: في معرفة الورع وأسراره.
- الباب الثاني والتسعون: في معرفة مقام ترك الورع.
- الباب الثالث والتسعون: في معرفة الزهد وأسراره.
- الباب الرابع والتسعون: في معرفة مقام ترك الزهد.
- الباب الخامس والتسعون: في معرفة أسرار الجود والكرم والسخاء والإيثار. على الخصوصة وعلى غير الخصوصة، مع طلب العوض وتزكته.

- الباب السادس والتسعون: في معرفة الصمت وأسراره.
- الباب السابع والتسعون: في معرفة مقام الكلام وأسراره.
- الباب الثامن والتسعون: في معرفة مقام¹ السهر وأسراره.
- الباب التاسع والتسعون: في معرفة مقام النوم وأسراره.
- الباب المو في مائة: في معرفة مقام الخوف وأسراره.
- الباب الحادي ومائة: في معرفة مقام ترك الخوف وأسراره.
- الباب الثاني ومائة: في معرفة مقام الرجاء وأسراره.
- الباب الثالث ومائة: في معرفة مقام ترك الرجاء وأسراره.
- الباب الرابع ومائة: في معرفة مقام الحزن وأسراره.
- الباب الخامس ومائة: في معرفة مقام ترك الحزن وسببه.
- الباب السادس ومائة: في معرفة مقام الجوع وأسراره.
- الباب السابع ومائة: في معرفة مقام ترك الجوع وسببه².
- الباب الثامن ومائة: في معرفة الفتنة والشهوة وصحبة الأحداث والنسوان وأخذ الأرفاق منهم، ومتى يأخذ المريد الأرفاق؟
- الباب التاسع ومائة: في معرفة الفرق بين الشهوة والإرادة، وبين الشهوة التي لنا في الدنيا والشهوة التي لنا في الجنة، والفرق بين اللذة والشهوة، ومعرفة مقام من يشتهي ومن يُشتهى؟ ومن لا يشتهي ولا يُشتهى؟ ومن يشتهي ولا يُشتهى؟ ومن لا يشتهي ويُشتهى؟
- الباب العاشر ومائة: في معرفة مقام أسرار الخشوع والخضوع.
- الباب الحادي⁴ عشر ومائة: في معرفة مقام ترك الخشوع والخضوع وأسراره.
- الباب الثاني عشر ومائة: في معرفة مخالفة النفس وأسرارها.
- الباب الثالث عشر ومائة: في معرفة مقام مساعدة النفس في أغراضها، وأسراره.
- الباب الرابع عشر ومائة: في معرفة مقام الحسد والغبط، ومحودها ومذمومها.
- الباب الخامس عشر ومائة: في معرفة مقام الغيبة، ومحودها من مذمومها.

1 ص 22

2 ق: وأسراره، وصحبت بالهامش بقلم الأصل.

3 ص 22 ب

4 ق: الحادي أحد

- الباب السادس عشر ومائة: في معرفة مقام القناعة وأسرارها.
- الباب السابع عشر ومائة: في معرفة مقام الشَّرَه والحرص.
- الباب الثامن عشر ومائة: في معرفة مقام التوكل وأسراره.
- الباب التاسع عشر ومائة: في معرفة مقام ترك التوكل.
- الباب المو في عشرين ومائة: في معرفة مقام الشكر وأسراره.
- الباب الحادي والعشرون ومائة: في معرفة مقام ترك الشكر وأسراره.
- الباب الثاني والعشرون ومائة: في معرفة مقام اليقين وأسراره.
- الباب الثالث والعشرون ومائة: في معرفة مقام ¹ ترك اليقين وأسراره.
- الباب الرابع والعشرون ومائة: في معرفة مقام الصبر وتفصيله، وأسراره.
- الباب الخامس والعشرون ومائة: في معرفة مقام ترك الصبر، وأسراره.
- الباب السادس والعشرون ومائة: في المراقبة وأسرارها.
- الباب السابع والعشرون ومائة: في ترك المراقبة ومقامها وأسراره.
- الباب الثامن والعشرون ومائة: في الرضا وأسراره.
- الباب التاسع والعشرون ومائة: في ترك الرضا، وأسراره.
- الباب الثلاثون ومائة: في العبادة وأسرارها.
- الباب الحادي والثلاثون ومائة: في ترك العبادة، وأسراره.
- الباب الثاني والثلاثون ومائة: في معرفة مقام الاستقامة وأسراره.
- الباب الثالث والثلاثون ومائة: في معرفة مقام الاستقامة وأسراره.
- الباب الرابع والثلاثون ومائة: في معرفة مقام الإخلاص وأسراره.
- الباب الخامس والثلاثون ومائة: في معرفة مقام ترك الإخلاص، وأسراره.
- الباب السادس والثلاثون ومائة: في معرفة مقام الصدق وأسراره ².
- الباب ³ السابع والثلاثون ومائة: في معرفة مقام ترك الصدق، وأسراره.

1 ص 23

2 في الهامش: " بلغت قراءة لحمد بن إسحق على شيخه المنشن لهذا الكتاب ﷺ وسمع بالقراءة المذكورة نجم الدين بن عبد الواحد وشرف الدين بن الامسكاف وناصر الدين بن إبراهيم."

3 ص 23 ب

- الباب الثامن والثلاثون ومائة: في معرفة مقام الحياء وأسراره.
- الباب التاسع والثلاثون ومائة: في معرفة مقام ترك الحياء، وأسراره.
- الباب الأربعون ومائة: في معرفة مقام الحرّية وأسرارها.
- الباب الحادي والأربعون ومائة: في معرفة مقام ترك الحرّية، وأسراره.
- الباب الثاني والأربعون ومائة: في معرفة مقام الذّكر وأسراره.
- الباب الثالث والأربعون ومائة: في معرفة مقام ترك الذّكر، وأسراره.
- الباب الرابع والأربعون ومائة: في معرفة مقام الفكر وأسراره.
- الباب الخامس والأربعون ومائة: في معرفة مقام ترك الفكر وأسراره.
- الباب السادس والأربعون ومائة: في معرفة مقام الفتوة وأسراره.
- الباب السابع والأربعون ومائة: في معرفة مقام ترك الفتوة وأسراره.
- الباب الثامن والأربعون ومائة: في معرفة مقام الفراسة وأسراره.
- الباب التاسع والأربعون ومائة: في معرفة مقام الخلق وأسراره.
- الباب¹ الخمسون ومائة: في معرفة مقام الغيرة وأسراره.
- الباب الحادي والخمسون ومائة: في معرفة مقام ترك الغيرة وأسراره.
- الباب الثاني والخمسون ومائة: في معرفة مقام الولاية وأسراره.
- الباب الثالث والخمسون ومائة: في معرفة مقام الولاية البشريّة وأسراره التي تتضمّن الولاية الإلهيّة.
- الباب الرابع والخمسون ومائة: في معرفة مقام الولاية الملكيّة وأسراره.
- الباب الخامس والخمسون ومائة: في معرفة مقام النبوة وأسراره.
- الباب السادس والخمسون ومائة: في معرفة مقام النبوة البشريّة وأسراره.
- الباب السابع والخمسون ومائة: في معرفة مقام النبوة الملكيّة وأسراره.
- الباب الثامن والخمسون ومائة: في معرفة مقام الرسالة وأسراره.
- الباب التاسع والخمسون ومائة: في معرفة مقام الرسالة البشريّة وأسراره.
- الباب الستون ومائة: في معرفة مقام الرسالة الملكيّة.
- الباب الحادي والستون ومائة: في معرفة المقام الذي بين النبوة والصدّيقية.

- الباب الثاني¹ والستون ومائة: في معرفة مقام الفقر وأسراره.
- الباب الثالث والستون ومائة: في معرفة مقام الغنى وأسراره.
- الباب الرابع والستون ومائة: في معرفة مقام التصوّف وأسراره.
- الباب الخامس والستون ومائة: في معرفة مقام التحقيق والحقّيقين.
- الباب السادس والستون ومائة: في معرفة مقام الحكمة والحكماء.
- الباب السابع والستون ومائة: في معرفة مقام كيمياء السعادة وأسراره.
- الباب الثامن والستون ومائة: في معرفة مقام الأدب وأسراره.
- الباب التاسع والستون ومائة: في معرفة مقام ترك الأدب وأسراره.
- الباب السبعون ومائة: في معرفة مقام الصحبة وأسراره.
- الباب الحادي والسبعون ومائة: في معرفة مقام ترك الصحبة وأسراره.
- الباب الثاني والسبعون ومائة: في معرفة مقام التوحيد وأسراره.
- الباب الثالث والسبعون ومائة: في معرفة مقام التثنية -وهو الشُّرك- وأسراره.
- الباب الرابع والسبعون ومائة: في معرفة مقام السفر -وهو السياحة- وأسراره.
- الباب الخامس والسبعون ومائة: في معرفة مقام ترك السفر وأسراره.
- الباب السادس والسبعون ومائة: في معرفة أحوال القوم عند الموت، على قدر مقاماتهم.
- الباب السابع والسبعون ومائة: في معرفة مقام المعرفة، على الاختلاف الذي بين الصوفية فيها والحقّيقين.
- الباب الثامن والسبعون ومائة: في معرفة مقام المحبّة وأسرارها.
- الباب التاسع والسبعون ومائة: في معرفة مقام الخلّة وأسراره.
- الباب الثمانون ومائة: في معرفة مقام الشوق والاشتياق وأسرارهما.
- الباب الحادي والثمانون ومائة: في معرفة مقام احترام الشيوخ وجفّظ قلوبهم.
- الباب الثاني والثمانون ومائة: في معرفة مقام السماع وأسراره.
- الباب الثالث والثمانون ومائة: في معرفة مقام ترك السماع وأسراره.
- الباب الرابع والثمانون ومائة: في معرفة مقام الكرامات.

1 ص 24 ب

2 ص 25

الباب الخامس والثمانون ومائة: في معرفة مقام ترك الكرامات.

الباب السادس والثمانون ومائة: في معرفة مقام خرق العادات.

الباب¹ السابع والثمانون ومائة: في معرفة مقام المعجزة، وكيف يكون ذلك الفعل المعجز كرامة لمن كان له معجزة لاختلاف الأحوال؟

الباب الثامن والثمانون ومائة: في معرفة مقام الرؤيا وهي المبشرات.

الفصل الثالث: في الأحوال

- الباب التاسع والثمانون ومائة: في معرفة صورة السالك¹
- الباب التسعون ومائة: في معرفة المسافرين وأحواله.
- الباب الحادي والتسعون ومائة: في معرفة السفر والطريق.
- الباب الثاني والتسعون ومائة: في معرفة الحال وأسراره ورجاله.
- الباب الثالث والتسعون ومائة: في معرفة المقام وأسراره.
- الباب الرابع والتسعون ومائة: في معرفة المكان وأسراره.
- الباب الخامس والتسعون ومائة: في معرفة الشطح وأسراره.
- الباب السادس والتسعون ومائة: في معرفة الطوالع وأسرارها.
- الباب السابع والتسعون ومائة: في معرفة النهاب وأسراره.
- الباب الثامن والتسعون ومائة: في معرفة النَّفس بفتح الفاء - وأسراره.
- الباب² التاسع والتسعون ومائة: في معرفة السرّ وأسراره.
- الباب المو في مائتين: في معرفة الوصل وأسراره.
- الباب الحادي ومائتان: في معرفة الفصل وأسراره.
- الباب الثاني ومائتان: في معرفة الأدب وأسراره.
- الباب الثالث ومائتان: في معرفة الرياضة وأسرارها.
- الباب الرابع ومائتان: في معرفة التحليّ بالحاء المهملة - وأسراره.
- الباب الخامس ومائتان: في معرفة التخليّ بالحاء المعجمة - وأسراره.
- الباب السادس ومائتان: في معرفة التجليّ بالجيم - وأسراره.
- الباب السابع ومائتان: في معرفة العلة وأسرارها.
- الباب الثامن ومائتان: في معرفة الانزعاج وأسراره.
- الباب التاسع ومائتان: في معرفة المشاهدة وأسرارها.
- الباب العاشر ومائتان: في معرفة المكاشفة وأسرارها.

1 موقع هنا الباب في الفهرس ورد في آخر الفصل الثاني، إلا أنّ موقعه في المتن هو في بداية الفصل الثالث كما أبتناه هنا. انظر السفر

16 ص 79

2 ص 26

- الباب الحادي عشر ومائتان: في معرفة اللوائح وأسرارها.
- الباب الثاني عشر ومائتان: في معرفة التلوين وأسراره.
- الباب الثالث عشر ومائتان: في معرفة الغيرة وأسرارها.
- الباب الرابع عشر ومائتان: في معرفة الحيرة وأسرارها.¹
- الباب الخامس عشر ومائتان: في معرفة اللطيفة وأسرارها.
- الباب السادس عشر ومائتان: في معرفة الفتوح وأسراره.
- الباب السابع عشر ومائتان: في معرفة الوسم والرسم وأسرارهما.
- الباب الثامن عشر ومائتان: في معرفة القبض وأسراره.
- الباب التاسع عشر ومائتان: في معرفة البسط وأسراره.
- الباب المو في عشرين ومائتان: في معرفة الفناء وأسراره.
- الباب الحادي والعشرون ومائتان: في معرفة البقاء وأسراره.
- الباب الثاني والعشرون ومائتان: في معرفة الجمع وأسراره.
- الباب الثالث والعشرون ومائتان: في معرفة التفرقة وأسرارها.
- الباب الرابع والعشرون ومائتان: في معرفة عين التحكم وأسراره.
- الباب الخامس والعشرون ومائتان: في معرفة الزوائد وأسرارها.
- الباب السادس والعشرون ومائتان: في معرفة الإرادة وأسرارها.
- الباب السابع والعشرون ومائتان: في معرفة حال المراد وسره.
- الباب الثامن والعشرون ومائتان:² في معرفة المهيد وأسراره.
- الباب التاسع والعشرون ومائتان: في معرفة الهمة وأسرارها.
- الباب الثلاثون ومائتان: في معرفة الغزبة وأسرارها.
- الباب الحادي والثلاثون ومائتان: في معرفة المكر وأسراره.
- الباب الثاني والثلاثون ومائتان: في معرفة الاصطلام وأسراره.
- الباب الثالث والثلاثون ومائتان: في معرفة الرغبة وأسرارها.

1 ص 26 ب

2 ص 27

- الباب الرابع والثلاثون ومائتان: في معرفة الرهبة وأسرارها.
- الباب الخامس والثلاثون ومائتان: في معرفة التواجد وأسراره.
- الباب السادس والثلاثون ومائتان: في معرفة الوجد وأسراره.
- الباب السابع والثلاثون ومائتان: في معرفة الوجود.
- الباب الثامن والثلاثون ومائتان: في معرفة الوقت وأسراره.
- الباب التاسع والثلاثون ومائتان: في معرفة الهيبة وأسرارها.
- الباب الأربعون ومائتان: في معرفة الأنس وأسراره.
- الباب الحادي والأربعون ومائتان: في معرفة الجلال وأسراره.
- الباب الثاني والأربعون ومائتان: في معرفة الجمال وأسراره¹.
- الباب الثالث والأربعون ومائتان: في معرفة الكمال: وهو الاعتدال، وهو الأعراف، وهو أيضا سور الحديد، وهو التجريد عن حكم الأوصاف عليه.
- الباب الرابع والأربعون ومائتان: في معرفة الغيبة وأسرارها.
- الباب الخامس والأربعون ومائتان: في معرفة الحضور وأسراره.
- الباب السادس والأربعون ومائتان: في معرفة السكر وأسراره.
- الباب السابع والأربعون ومائتان: في معرفة الصحو وأسراره.
- الباب الثامن والأربعون ومائتان: في معرفة النوق وأسراره.
- الباب التاسع والأربعون ومائتان: في معرفة الشرب وأسراره.
- الباب الخمسون ومائتان: في معرفة الزبي وأسراره.
- الباب الحادي والخمسون ومائتان: في معرفة عدم الزبي لمن شرب وأسراره.
- الباب الثاني والخمسون ومائتان: في معرفة الهو وأسراره.
- الباب الثالث والخمسون ومائتان: في معرفة الإثبات وأسراره.
- الباب الرابع والخمسون ومائتان: في معرفة الستر وأسراره.
- الباب² الخامس والخمسون ومائتان: في معرفة الحق ومحق الحق.

- الباب السادس والخمسون ومائتان: في معرفة الإبدار وأسراره.
- الباب السابع والخمسون ومائتان: في معرفة المحاضرة وأسرارها.
- الباب الثامن والخمسون ومائتان: في معرفة اللوامع وأسرارها.
- الباب التاسع والخمسون ومائتان: في معرفة الهجوم والبوادة وأسرارهما.
- الباب الستون ومائتان: في معرفة القُرب وأسراره.
- الباب الحادي والستون ومائتان: في معرفة البُعد وأسراره.
- الباب الثاني والستون ومائتان: في معرفة الشريعة.
- الباب الثالث والستون ومائتان: في معرفة الحقيقة.
- الباب الرابع والستون ومائتان: في معرفة الخواطر.
- الباب الخامس والستون ومائتان: في معرفة الوارد.
- الباب السادس والستون ومائتان: في معرفة الشاهد.
- الباب السابع والستون ومائتان: في معرفة النفس بسكون الفاء.
- الباب الثامن والستون ومائتان: في معرفة الروح.
- الباب التاسع والستون ومائتان: في معرفة علم¹ اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين.

الفصل الرابع: في المنازل

- الباب السبعون ومائتان: في معرفة منزل القطب والإمامين من المناجاة الحمديّة.
- الباب الحادي والسبعون ومائتان: في معرفة منزل "عند الصباح يحمد القوم الشّري" من المناجاة الحمديّة.
- الباب الثاني والسبعون ومائتان: في معرفة تزيه التوحيد منها.
- الباب الثالث والسبعون ومائتان: في معرفة منزل الهلاك للهوى والنفس من المقام الموسوي.
- الباب الرابع والسبعون ومائتان: في معرفة منزل الأجل المسمّى من المقام الموسوي.
- الباب الخامس والسبعون ومائتان: في معرفة منزل التبرّي من الأوثان من المقام الموسوي.
- الباب السادس والسبعون ومائتان: في معرفة منزل الحوض وأسراره من المقام الحمدي.
- الباب السابع والسبعون ومائتان: في معرفة منزل التكذيب والبُخل من المقام الموسوي وأسراره.
- الباب الثامن والسبعون ومائتان: في معرفة منزل الألفة وأسراره من المقام الموسوي والحمدي.
- الباب¹ التاسع والسبعون ومائتان: في معرفة منزل الاعتبار وأسراره من المقام الحمدي.
- الباب العاشر ومائتان: في معرفة منزل "مالي" وأسراره من المقام الموسوي.
- الباب الحادي والثمانون ومائتان: في معرفة منزل الضمّ وإقامة الواحد مقام الجمع من الحضرة الحمديّة.
- الباب الثاني والثمانون ومائتان: في معرفة منزل زيارة الموقى وأسراره من الحضرة الموسويّة.
- الباب الثالث والثمانون ومائتان: في معرفة منزل القواصم وأسرارها من الحضرة الحمديّة.
- الباب الرابع والثمانون ومائتان: في معرفة منزل الحجارة الشريفة وأسرارها من الحضرة الحمديّة.
- الباب الخامس والثمانون ومائتان: في معرفة منزل مناجاة، الجماد، ومن حصل فيه حصّل يصف الحضرة الحمديّة والموسويّة.
- الباب السادس والثمانون ومائتان: في معرفة منزل من قيل له: ﴿كُن﴾ فأبى ولم يكن، من الحضرة الحمديّة.
- الباب السابع والثمانون ومائتان: في معرفة منزل التجلّي الصمداني وأسراره، من الحضرة الحمديّة.
- الباب الثامن والثمانون ومائتان: في معرفة منزل التلاوة الأولى²، من الحضرة الموسويّة.
- الباب التاسع والثمانون ومائتان: في معرفة منزل العلم الأتمّي الذي ما تقدّمه علم، من الحضرة الموسويّة.
- الباب التسعون ومائتان: في معرفة منزل تقرير النعم، من الحضرة الموسويّة.

- الباب الحادي والتسعون ومائتان: في معرفة منزل صدر الزمان، وهو الفلك الرابع من الحضرة الحمديّة.
- الباب الثاني والتسعون ومائتان: في معرفة منزل اشتراك عالم الغيب والشهادة، من الحضرة الموسويّة.
- الباب الثالث والتسعون ومائتان: في معرفة منزل وجود سبب عالم الشهادة وسبب ظهور عالم الغيب، من الحضرة الموسويّة.
- الباب الرابع والتسعون ومائتان: في معرفة منزل الحمدي المكي، من الحضرة الموسويّة.
- الباب الخامس والتسعون ومائتان: في معرفة منزل الأعداد المشرفة، من الحضرة الحمديّة.
- الباب السادس والتسعون ومائتان: في معرفة منزل انتقال صفات أهل السعادة إلى أهل الشقاء، من الحضرة الموسويّة.
- الباب السابع والتسعون ومائتان: في معرفة منزل ثناء التسوية الطينية الآدميّة في المقام الأعلى، من¹ الحضرة الحمديّة.
- الباب الثامن والتسعون ومائتان: في معرفة منزل الذكر من العالم العلوي في الحضرات الحمديّة.
- الباب التاسع والتسعون ومائتان: في معرفة منزل عذاب المؤمنين من المقام السرياني، في الحضرة الحمديّة.
- الباب المو في ثلاثمائة: في معرفة منزل سبب انقسام العالم العلوي في الحضرات الحمديّة.
- الباب الحادي وثلاثمائة: في معرفة منزل الكتاب المقسوم بين أهل النعيم وأهل العذاب.
- الباب الثاني وثلاثمائة: في معرفة منزل ذهاب العالم الأعلى ووجود العالم الأسفل.
- الباب الثالث وثلاثمائة: في معرفة منزل العارف الجبرئيلي، من الحضرة الحمديّة.
- الباب الرابع وثلاثمائة: في معرفة منزل إيثار الغنى على الفقر، من المقام الموسوي، وإيثار الفقر على الغنى، من الحضرة العيسويّة.
- الباب الخامس وثلاثمائة: في معرفة منزل ترادف الأحوال على قلوب الرجال، من الحضرة الحمديّة.
- الباب السادس وثلاثمائة: في معرفة منزل اختصام الملاء الأعلى، من الحضرة الموسويّة.
- الباب السابع وثلاثمائة²: في معرفة منزل تنزل الملائكة على الحمدي الموقّف، من الحضرة الموسويّة.
- الباب الثامن وثلاثمائة: في معرفة منزل اختلاط العالم الكلي، من الحضرة الحمديّة.
- الباب التاسع وثلاثمائة: في معرفة منزل الملاميّة، من الحضرة الحمديّة.
- الباب العاشر وثلاثمائة: في معرفة منزل الصلصلة الروحانيّة، من الحضرة الموسويّة.

الباب الحادي عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل النواشئ الاختصاصية الغيبية، من الحضرة المحمدية.
الباب الثاني عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل كيفية نزول الوحي على قلوب الأولياء وحفظهم في ذلك من الشياطين، من الحضرة المحمدية.

الباب الثالث عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل البكاء والتَّوَجُّع، من الحضرة المحمدية.
الباب الرابع عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل الفرق بين مدارج الملائكة والنبیین والأولياء، من الحضرة المحمدية.

الباب الخامس عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل وجوب العذاب، من الغيبة¹ المحمدية.
الباب السادس عشر وثلاثمائة: في معرفة الصفات القاسمية المنقوشة بالقلم الإلهي² في اللوح المحفوظ الإنساني، من الحضرة الموسوية.

الباب السابع عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل الابتلاء وبركاته، وهو منزل الإمام الذي على يسار القطب، وهو منزل "أبي مدين" الذي كان يبجاية رحمه الله.

الباب الثامن عشر وثلاثمائة: في معرفة نسخ الشريعة المحمدية بالأغراض النفسية عافانا الله وإياك من ذلك-.

الباب التاسع عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل سراح النفس من قيد وجوه ما من وجوه الشريعة بوجه آخر منها، وأن ترك السبب الجالب للرزق، من طريق التوكُّل، سبب جالب للرزق، وأن المتَّصف به ما خرج عن رُقِّ الأسباب.

الباب العاشر وثلاثمائة: في معرفة منزل تسبيح القبضتين وتمييزهما.
الباب الحادي والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل مَن فَرَّقَ بين عالم الغيب وعالم الشهادة. وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الثاني والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل مَن باع الحقَّ بالخلق، وهو من الحضرة المحمدية³.
الباب الثالث والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل بُشِّرَ ببشرٍ به. وهو من الحضرة المحمدية⁴.
الباب الرابع والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل جمع الرجال والنساء⁵ في بعض المواطن الإلهية، وهو من الحضرة العاصمية.

1 ق: "الحضرة" وصححت بالهامش بخط الأصل: "الغيبة".

2 ص 31

3 "الباب الثاني والعشرون... المحمدية" تاجت في الهامش بخط الأصل.

4 في الهامش: "بلغ العرض بالمقابلة".

5 ص 31 ب

الباب الخامس والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل القرآن من الحضرة المحمدية.

الباب السادس والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل التحاور والمنازعة، وهو من الحضرة المحمدية والموسوية.

الباب السابع والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل المدِّ والتَّصيف، من الحضرة المحمدية.

الباب الثامن والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل ذهاب المركبات إلى البسائط عند السبك، وهو من الحضرات المحمدية.

الباب التاسع والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل الآلاء والفراغ إلى البلاء، وهو من الحضرات المحمدية.

الباب الثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل القمر من الهلال من البدر، وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الحادي والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل الرؤية¹، والقوة عليها، والترقي والتداني والتلقي والتدلي، وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الثاني والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل الحراسة الإلهية لأهل المقامات المحمدية، وهو من الحضرة الموسوية.

الباب الثالث والثلاثون² وثلاثمائة: في معرفة منزل «خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي؛ فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك»³ وهو من الحضرات المحمدية.

الباب الرابع والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل تجديد المعدوم. وهو من الحضرات الموسوية.

الباب الخامس والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل الأخوة، وهو من الحضرة المحمدية.

الباب السادس والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل مبايعة النبات للقطب. وهو من الحضرة المحمدية.

الباب السابع والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل محمد ﷺ مع بعض العالم. وهو من الحضرات الموسوية.

الباب الثامن والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل عقبات السويق وأسراره. وهو من الحضرة المحمدية.

الباب التاسع والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل: جثت الشريعة بين يدي الحقيقة تطلب الاستمداد، من الحضرة المحمدية.

الباب الأربعون وثلاثمائة: في معرفة المنزل الذي منه خبأ رسول الله ﷺ ما خبأ. وهو من الحضرة الموسوية.

الباب الحادي والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل التقليد⁴ في الأسرار، وهو من الحضرة الموسوية.

الباب الثاني والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سِرِّين منفصلين عن ثلاثة أسرار تجمعها حضرة واحدة من

1 رسمها في ق: "الرمة" ومضاف إليها في الهامش: "الرمة".

2 ص 32

3 فيض القدير 7603

4 ص 32ب

حضرات الوحي. وهو من الحضرة الموسوية.

الباب الثالث والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل بَيْرِن في تفصيل الوحي، من حضرة حمد المَلِك كُلِّه.

الباب الرابع والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل بَيْرِن من أسرار المغفرة. وهو من الحضرة الحمديّة.

الباب الخامس والأربعون وثلاثمائة: في معرفة بَيْر الإخلاص في الدّين. وهو من الحضرة الحمديّة.

الباب السادس والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل بَيْرٌ صَدَقٌ فيه بعض العارفين فرأى نوره كيف ينبعث، من جوانب ذلك المنزل، عليه. وهو من الحضرة الحمديّة.

الباب السابع والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل الصف الأوّل عند الله تعالى- والشكّ الإلهي، وفتح خير، وما تنزّل في ذلك اليوم من الأسرار، وهو من الحضرة الحمديّة.

الباب الثامن والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل بَيْرِن من أسرار قلب الجمع والوجود. وهو من الحضرة الحمديّة.

الباب التاسع¹ والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل فتح الأبواب وغلقها، وخلق كلّ أمة. وهو من الحضرة الحمديّة.

الباب الخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل التجلّي الاستفهامي، ورفع الغطاء عن المعاني. وهو من الحضرة الحمديّة، من الاسم "الربّ".

الباب الحادي والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل اشتراك النفوس والأرواح في الصفات، وهو من حضرة الغيرة الحمديّة، من الاسم "الودود".

الباب الثاني والخمسون وثلاثمائة: في معرفة ثلاثة أسرار طلسميّة مصوّرة مدبّرة، من حضرة التنزلات الحمديّة.

الباب الثالث والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل ثلاثة أسرار طلسميّة حكيمّة، تشير إلى معرفة السبب وأداء حقّه. وهو من الحضرة الحمديّة.

الباب الرابع والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل الأقصى السرياني. وهو من الحضرة الموسوية.

الباب الخامس والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل السُّبُل المولّدة وأرض العبادة وأنساعها. وهو من الحضرة الحمديّة.

الباب السادس والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل ثلاثة أسرار مُكْتَمَة والسِّرّ² الغربي في الأدب الإلهيّ

والوحي النفسي، من الحضرة الحمدية.

الباب السابع والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل البهائم، من الحضرة الإلهية، وقهرهم = موسويين.

الباب الثامن والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل ثلاثة أسرار مختلفة الأنوار، والفرار والإند الأخبار. ومن هذا المنزل قلت الشعر في خلوة دخلتها نلتها فيها، وهو من أعجب المنازل وأتورها. الباب التاسع والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل "إياك أعني فاسمعي يا جارة" وهو منزل = وصورة الكتم في الكشف، من الحضرة الحمدية.

الباب الستون وثلاثمائة: في معرفة منزل الظلمات المحمودة والأنوار المشهودة، وإلحاق من ليس البيت " بأهل البيت". وهو من الحضرة الحمدية.

الباب الحادي والستون وثلاثمائة: في معرفة منزل الاشتراك مع الحق في التقدير. وهو من الحضرة الباب الثاني والستون وثلاثمائة: في معرفة منزل السجدين: سجود الكلّ والجزء - وهو سجود القلب¹ وما فيه من أسرار. وهو من الحضرة الحمدية.

الباب الثالث والستون وثلاثمائة: في معرفة منزل إحالة العارف من لم يعرفه على من هو دونه ليس في وسعه أن يعلمه، وتنزيه الباري عن الطرب والفرح. وهو من الحضرة الحمدية.

الباب الرابع والستون وثلاثمائة: في معرفة سريين طلسميين، من عرفها نال الراحة في الدنيا والغيرة الإلهية. - وهو من الحضرة الحمدية.

الباب الخامس والستون وثلاثمائة: في معرفة أسرار طلسمية³ اتصلت في حضرة الرحمة بمن = وحاله على الأكران، وهو من الحضرة الحمدية.

الباب السادس والستون وثلاثمائة: في معرفة منزل وزراء المهدي الآتي في آخر الزمان الذي رسول الله ﷺ، وهو من الحضرة الحمدية.

الباب السابع والستون وثلاثمائة: في معرفة منزل التوكل الخامس الذي ما كشفه أحد من اله القابلين له وقصور الأفهام عن دركه. وهو من الحضرة الحمدية.

الباب الثامن والستون وثلاثمائة: في معرفة منزل "أَيّ" و"لم يأت" وحضرة الأمر وحده، وصنفه يوخى إليه على الدوام، وما فيه من الأسرار. وهو من الحضرة الحمدية.

1 وهو سجود القلب والوجه مضافة بالهامش مع إشارة التصويب وبخط حديث.

2 ص 34

3 "طلسمية" مضافة في الهامش بخط الأصل مع إشارة التصويب.

الباب التاسع¹ والستون وثلاثمائة: في معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود، وتأثير عالم الشهادة في عالم الغيب عن عالم الغيب. وهو من الحضرة المحمدية.

الباب السبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل المزيد وبسرّ وبسرّين، من أسرار الوجود والتبدّل. وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الحادي والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل بسرّ وثلاثة أسرار لوحية أمية، وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الثاني والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل بسرّ وبسرّين، وثنائك عليك بما ليس لك، وإجابة الحق لك في ذلك المعنى، وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الثالث والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل ثلاثة أسرار ظهرت في الماء الحكيمى المفصل مركبة على العالم بالعناية، وبقاء العالم أبد الأبدان وإن انتقلت صورته، وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الرابع والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل الرؤية والرؤية وسوابق الأشياء في الحضرة الزبديّة، وأنّ للكفار قدما كما أنّ للمؤمنين قدما، وقدوم كلّ طائفة على قدما وآتية بإمامها عدلا وفضلا، وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الخامس² والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل التضاهي الخيالي وعالم الحقائق والامتزاج، وهو من الحضرة المحمدية.

الباب السادس والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل يجمع بين الأولياء والأعداء من الحضرة الحكيمية، ومقارعة عالم الغيب، بعضهم مع بعض. وهذا المنزل يتضمّن ألف مقام، وهو من الحضرة المحمدية.

الباب السابع والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سجود القويمية والصدق والمجد واللؤلؤة والسور، وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الثامن والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل الأمة البهيمية والإحصاء، والثلاثة الأسرار العلوية. وتقدّم المتأخّر، وتأخّر المتقدّم. وهو من الحضرة المحمدية.

الباب التاسع والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل الحلّ والعقد، والإكرام والإهانة، ونشأة الدعاء في صورة الإخبار. وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الثمانون وثلاثمائة: في معرفة منزل «العلماء ورتة الأنبياء»³ وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الحادي والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منزل التوحيد والجمع وهو يحوي على خمسة آلاف مقام زفرقي،

1 ص 34 ب

2 ص 35

3 أغلاق العلماء للأجري 7، الأربعمون الصغرى للسيهتي 4

وأكل¹ مَشَاهِدَهُ مَنْ شَاهَدَهُ فِي نِصْفِ الشَّهْرِ أَوْ فِي آخِرِهِ. وَهُوَ مِنَ الْحِزْبَةِ الْحَمْدِيَّةِ.
الباب الثاني والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منزل الخواتم وعدد الأعراس الإلهية والأسرار الأعجمية. وهو من
الحزبة الموسوية².
الباب الثالث والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمت. وهو من الحزبة الحمديّة
الاختصاصية.

1 ص 35 ب

2 مضاف بجانبها "الحمديّة" بخط حديث، مع حرف خ وهي غير موجودة في الباب المتصود.

الفصل الخامس في المنازلات

الباب الرابع والثمانون وثلاثمائة: في معرفة المنازلات الخطائية، وهو من سير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾¹. وهو من الحضرة المحمدية.

الباب الخامس والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَنْ حُفِّرَ غُلْبٌ وَمَنْ اسْتَهَبِنَ مَنَعٌ".

الباب السادس والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منازلة "جبل الوريد" وأينته المعية.

الباب السابع والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منازلة "التواضع الكبريائي".

الباب الثامن والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منازلة مجهولة عند العبد، وهو إذا ارتقى من غير تعيين قصد ما يقصده من الحق.

الباب² التاسع والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "إِنِّي كُنْتُ وَإِلَيْكَ كُونِي".

الباب التسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "زمان الشيء وجوده إلا أنا فلا زمان لي، وإلا أنت فلا زمان لك: فأنت زمانى وأنا زمانك".

الباب الحادي والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "المسلك السيال الذي لا يثبت عليه رجال السؤال".

الباب الثاني والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَنْ رَحِمَ رَحْمَانَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرَحَمْ رَحْمَانَهُ ثُمَّ غَضِبْنَا عَلَيْهِ وَنَسِينَاهُ".

الباب الثالث والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَنْ تَوَقَّفَ عِنْدَ رُؤْيَا مَا هَالَهُ هَلِكٌ".

الباب الرابع والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَنْ تَادَّبَ وَصَلَ، وَمَنْ وَصَلَ لَمْ يَرْجِعْ وَلَوْ كَانَ غَيْرَ أَدِيبٍ".

الباب الخامس والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَنْ دَخَلَ حَضْرَتِي وَبَقِيَثَ عَلَيْهِ حَيَاتِهِ، فَعَزَاؤُهُ عَلَيَّ فِي مَوْتِ صَاحِبِهِ".

الباب السادس والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَنْ جَمَعَ الْمَعَارِفَ وَالْعُلُومَ حَبَبَتْهُ عَنِّي".

الباب السابع والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: ﴿إِلَيْهِ³ يَضَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلُ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ﴾⁴.

الباب الثامن والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَنْ وَعَظَ النَّاسَ لَمْ يَعْرِفْنِي، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ عَرَفْنِي".

الباب التاسع والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَنْزَلٌ مَن دَخَلَهُ ضَرْبٌ عُنُقَهُ، وَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا

[الشورى : 51]

2 ص 36

3 ص 36

4 [فاطر : 10]

دَخَلَهُ".

الباب المو في أربعائة: في معرفة منازلة: "مَن ظهر لي بطنْتُ له، وَمَن وقف عند حَدِّي اطلعتُ عليه".

الباب الحادي وأربعائة: في منازلة: "الميت والحَي ليس لهما إلى رؤيتي سبيل".

الباب الثاني وأربعائة: في منازلة: "مَن غالبني غلبته، وَمَن غالبته غلبني: فالجنوح إلى السلم أُولَى".

الباب الثالث وأربعائة: في منازلة: "لا حجة لي على عبدي: ما قلت لواحد منهم: لِمَ عملت؟ إلا قال لي: أنتَ عملت؛ وقال الحق: ولكنَّ السابقة أسبق ولا تبديل".

الباب الرابع وأربعائة: في معرفة منازلة: "مَن عتَّف على رعيته سعى في هلاك مُلكيه، وَمَن رفق بهم بقي مليكا. كلُّ سيّد قتل عبدا من عبده فإنما قتل سيادة من سيادته، إلا أنا. فانظر".

الباب الخامس وأربعائة: في منازلة: "مَن جعل قلبه بيتي وأخلاه من غيري؛ ما يدري أحدٌ ما¹ أعطيه، فلا تشبِّوه بالبيت المعمور؛ فإنه بيت ملائكتي لا بيتي، ولهذا لم أشكِّن فيه خليلي. بل بيتي قلب عبدي الذي وسعني حين ضاق عني أرضي وسماي²".

الباب السادس وأربعائة: في منازلة: "ما ظهر متي قطّ شيء لشيء، ولا ينبغي أن يظهر".

الباب السابع وأربعائة: في منازلة: "في أسرع من الطرفة تُختلَس متي. إن نظرتُ إلى غيري لا لضعفي ولكن لضعفك".

الباب الثامن وأربعائة: في معرفة منازلة: "يوم السبت: فحلّ عنك مئزر الجِدِّ الذي شدته فقد فرغ العالم متي وفرغت منه".

الباب التاسع وأربعائة: في منازلة: "أسماي حجابّ عليك، فإن رفعتها وصلت إلي".

الباب العاشر وأربعائة: في منازلة: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾³ فاعتزوا بهذا الربِّ تسعدوا.

الباب الحادي عشر وأربعائة: في منازلة: «فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار»⁴ من حضرة "كاد لا يدخل النار"؛ فخافوا الكتاب ولا تخافوني، فإني وإياكم سَوَاء.

الباب الثاني عشر وأربعائة: في منازلة: "مَن كان لي لم يذِلّ، ولا يخزي أبدا".

الباب الثالث عشر وأربعائة: في منازلة: "مَن سألتني فما خرج من قضائي، وَمَن لم يسألني فما خرج من قضائي".

1 ص 37

2 "بل بيتي.... وسماي" مكتوبة بالهامش بخط الأصل.

3 [النجم : 42]

4 الأزهري حدينا للأجري 6، القضاء والقدر للبيهقي 60

الباب الرابع عشر وأربعائة¹: في معرفة منازلة: "لا تَبْرِي إِلَّا بِحِجَابٍ".

الباب الخامس عشر وأربعائة: في معرفة منازلة: "مَنْ دَعَانِي فَقَدْ أَدَى حَقَّ عِبَادَتِي، وَمَنْ أَنْصَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ أَنْصَفَنِي".

الباب السادس عشر وأربعائة: في معرفة منازلة "عين القلب".

الباب السابع عشر وأربعائة: في معرفة منازلة "مَنْ أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ".

الباب الثامن عشر وأربعائة: في منازلة "مَنْ لَا يَفْهَمُ لَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ".

الباب التاسع عشر وأربعائة: في معرفة منازلة "الصكوك".

الباب المو في عشرين وأربعائة: في معرفة منازلة "التخلص من المقامات".

الباب الحادي والعشرون وأربعائة: في معرفة منازلة: "مَنْ طَلَبَ الْوَصُولَ إِلَيَّ مِنْ جَهَةِ الدَّلِيلِ وَالْبِرْهَانِ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ أَبَدًا: فَإِنَّهُ لَا يَشْبَهَنِي شَيْءٌ".

الباب الثاني والعشرون وأربعائة: في معرفة منازلة: "مَنْ رَدَّ إِلَيَّ فِعْلِي فَقَدْ أَعْطَانِي حَقِّي".

الباب الثالث والعشرون وأربعائة: في معرفة منازلة: "مَنْ غَارَ عَلَيَّ لَمْ يَذْكُرْنِي".

الباب الرابع والعشرون وأربعائة: في معرفة منازلة²: "أَحْبَبْتُكَ لِلْبَقَاءِ مَعِي، وَتَحَبَّبْتُكَ إِلَى أَهْلِكَ؛ فَقَفْ حَتَّى أَتَشْفَى مِنْكَ، وَحِينَئِذٍ تَمَّرَ عَنِّي".

الباب الخامس والعشرون وأربعائة: في معرفة منازلة: "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ صَرَفْتُ بَصَرَهُ عَنِّي".

الباب السادس والعشرون وأربعائة: في معرفة منازلة السِّرِّ الَّذِي مِنْهُ قَالَ ﷺ: حِينَ اسْتَفْهَمَ عَنْ رُؤْيِيهِ رَبَّهُ، فَقَالَ: «نُورَ أَنِّي أَرَاهُ»³.

الباب السابع والعشرون وأربعائة: في معرفة منازلة: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾⁴.

الباب الثامن والعشرون وأربعائة: في معرفة منازلة الاستفهام عن الإيِّتَيْنِ.

الباب التاسع والعشرون وأربعائة: في معرفة منازلة: "مَنْ تَصَاغَرَ لَجَلَالِي نَزَلْتُ إِلَيْهِ، وَمَنْ تَعَاظَمَ عَلَيَّ تَعَاظَمْتُ عَلَيْهِ".

الباب الثلاثون وأربعائة: في معرفة منازلة: "إِنَّ خَيْرَ تَكْوِينٍ أَوْصَلْتُكَ إِلَيَّ".

الباب الحادي والثلاثون وأربعائة: في معرفة منازلة: "مَنْ حَبَّبْتُهُ حَبَّبْتُهُ".

1 ص 37 ب

2 ص 38

3 صحيح مسلم 261، مسند أحمد 20427

4 [النجم: 9]

الباب الثاني والثلاثون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "ما تَرَدَّأتُ بشيءٍ إلا بك، فأعرف قدرك. وهذا عجب: شيء لا يعرف نفسه!".

الباب الثالث والثلاثون وأربعمئة¹: في معرفة منازلة: "انظر؛ أي تجلّ يعدمك فلا تسألنيهِ فنعطيك إياه، فلا أجد من يأخذه".

الباب الرابع والثلاثون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "لا يحجبك "لو شئتُ"؛ فإني لا أشاء بعدُ: فابث".

الباب الخامس والثلاثون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "أخذتُ العهد على نفسي، فوَقَنتُ وفَنتُ، ووقتا لم أف: فلا تعترض".

الباب السادس والثلاثون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "لو كُنتَ عند الناس كما أنت عندي؛ ما عبدوني".

الباب السابع والثلاثون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "مَن عرف حَظَّهُ مِن شريعتي عرف حَظَّهُ مِنِّي، فإنك عندي كما أنا عندك، مرتبة واحدة".

الباب الثامن والثلاثون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "مَن قرأ كلامي رأى غمامتي، فيها سُرح ملائكتي تنزل عليه وفيه. فإذا سكَّت رَحَلَتْ عنه ونزلتُ أنا".

الباب التاسع والثلاثون وأربعمئة: في معرفة منازلة "قاب قوسين الثاني".

الباب الأربعون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "اشتدَّ ركن من قَوِي قلبه بمشاهدتي".

الباب² الحادي والأربعون وأربعمئة³: في معرفة منازلة: "عيون أفئدة العارفين ناظرةٌ إلى ما عندي لا إلي".

الباب الثاني والأربعون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "مَن رآني وعرف أنه رآني فما رآني".

الباب الثالث والأربعون وأربعمئة: في معرفة منازلة "واجب الكشف العرفاني".

الباب الرابع والأربعون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "مَن كتبُ له كتاب العهد الخالص لا يشقى".

الباب الخامس والأربعون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "هل عرفت أوليائي الذين أدبتهم بأدائي؟".

الباب السادس والأربعون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "في تعمیر نواشئ الليل فوائد الخيرات".

الباب السابع والأربعون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "مَن دخل حضرة التطهير نطق عني".

الباب الثامن والأربعون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "مَن كشفُ له شيئاً مما عندي بُهت، فكيف يطلب أن يراني؟".

1 ص 38

2 ص 39

3 تاجة في الهامش بقلم آخر

الباب التاسع والأربعون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "ليس عبيد من تعبد¹ عبيد"
الباب الخمسون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "من ثبت لظهوري كان بي لا به. سبحانه كان به لا بي، وهذا
الحقيقة والأول مجاز"².

الباب الحادي والخمسون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "في الخارج معرفة المعارج"
الباب الثاني والخمسون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "كلامي كله موعظة لعبيدي لو اتفظوا".
الباب الثالث والخمسون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "كريم ما بذلت لك من الأموال. وكرم كريم ما وهبته
من عفوك عن أخيك عند جنايته عليك".

الباب الرابع والخمسون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "لا يقوى معنا في حضرتنا غريب، وإنما المعروف لأولي
القربى".

الباب الخامس والخمسون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "من أقبلت عليه بظاهري لا يسعد أبدا. ومن أقبلت
عليه بباطني لا يشقى أبدا. وبالعكس".

الباب السادس والخمسون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "من تحرك عند سماع كلامي فقد سمع".

الباب السابع والخمسون³ وأربعمئة: في معرفة منازلة: "التكليف المطلق".

الباب الثامن والخمسون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "إدراك السبحات".

الباب التاسع والخمسون وأربعمئة: في معرفة منازلة: ﴿وَلَا تَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُصَلِّينَ الْأَخْيَارِ﴾⁴.

الباب الستون وأربعمئة: في معرفة منازلة: الإسلام والإيمان والإحسان، وإحسان الإحسان.

الباب الحادي والستون وأربعمئة: في معرفة منازلة: "من أسدلت عليه حجاب كفي هو من ضناتي لا
يعرفه أحد ولا يعرف أحدا".

1 ص 39 ب

2 في الهامش: "سمع من أول الكتاب إلى هنا بقراءة محمد بن إسحق خادم الشيخ، شرف الدين بن الإسكاف وناصر الدين إبراهيم
صاحبنا الشيخ رضي الله عنه".

3 ص 40

4 [ص : 47]

الفصل السادس: في المقامات

الباب الثاني والستون وأربعمئة: في معرفة الأقطاب الحمدية ومنازلهم.

الباب الثالث والستون وأربعمئة: في معرفة الاثني عشر قطبا؛ وهم الذين يدور بهم فلک العالم.

الباب الرابع والستون وأربعمئة: في معرفة حال قطب الأقطاب الحمدية الذي كان منزله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

الباب الخامس والستون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ¹ ﴿اللَّهُ أَكْبَرُ﴾

الباب السادس والستون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾

الباب السابع والستون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

الباب الثامن والستون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ﴾.

الباب التاسع والستون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾².

الباب السبعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾³.

الباب الحادي والسبعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾⁴

الباب الثاني والسبعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾⁵.

الباب الثالث والسبعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾⁶.

الباب الرابع والسبعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿مَا⁷ عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾⁸.

الباب الخامس والسبعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يَعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَأَنبَأْنَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾⁹.

الباب السادس والسبعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾¹⁰ الحول والقوة لله؛ "لا حول ولا قوة إلا بالله".

1 ص 40ب

2 [غافر : 44]

3 [الناربات : 56]

4 [آل عمران : 31]

5 [الزمر : 17 ، 18]

6 [البقرة : 163]

7 ص 41

8 [النحل : 96]

9 [الحجج : 32]

10 [التوبة : 114]

الباب السابع والسبعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾¹
﴿لِيُقْبَلْ هَذَا فَلَئِمَّ الْعَامِلُونَ﴾².

الباب الثامن والسبعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾³.

الباب التاسع والسبعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ خُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾⁴ شمر فإن الأمر جد.

الباب الثمانون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَأَقْبَتَهُ الْخُكْمُ صَبِيحًا﴾⁵.

الباب الحادي والثمانون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرُ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا"⁶.

الباب الثاني والثمانون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁸.

الباب الثالث والثمانون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾⁹.

الباب الرابع والثمانون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ. وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾¹⁰.

الباب الخامس والثمانون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾¹¹.

الباب السادس والثمانون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يَغِصِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾¹².

الباب السابع والثمانون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ومن يعمل من الصالحات ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

1 [المطففين : 26]

2 [الصفات : 61]

3 [لقمان : 16]

4 [الحج : 30]

5 [مریم : 12]

6 من قوله تعالى: "إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا" [الكهف : 30]

7 ص 41

8 [لقمان : 22]

9 [الشمس : 9، 10]

10 [الواقعة : 83، 84]، والآية مسبوقة بـ"حتى" هنا ولم ترد في الباب الأصلي.

11 [هود : 15]

12 [الأحزاب : 36]

أُنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴿١﴾

الباب الثامن والثمانون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقٌ ۚ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبَىٰ﴾³.

الباب التاسع والثمانون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أَنْتُمْ أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَّةٌ﴾⁴.

الباب التسعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾⁵.

الباب الحادي والتسعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾⁶.

الباب الثاني والتسعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾⁷.

الباب الثالث والتسعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَعَالِي هَوَالَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾⁸.

الباب الرابع والتسعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إِنَّمَا يُخَشَىٰ اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁹.

الباب الخامس والتسعون وأربعمئة¹⁰: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَتِمَتْ وَهُوَ كَاذِبٌ﴾¹¹.

الباب السادس والتسعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾¹³.

الباب السابع والتسعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾¹⁴.

الباب الثامن والتسعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾¹⁵.

الباب التاسع والتسعون وأربعمئة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹.

1 [النحل : 97]، والآية: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً" [النحل : 97] ص 42

3 [طه : 131]

4 [الأفال : 28]

5 [الصف : 3]

6 [التقصص : 76]

7 [الجن : 26، 27]

8 [النساء : 78]

9 [فاطر : 28]

10 تاجة في الهامش بقلم آخر

11 [البقرة : 217]

12 ص 42

13 [الأنعام : 91] وتوجد إضافة بخط حديث للآية القرآنية "وَجَاهِلُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جَاهِدِهِ"، وليست موجودة في الباب.

14 [يوسف : 106]

15 [الطلاق : 2]

الباب الموفي خمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ﴾².

الباب الحادي وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أَعْبُدِ اللَّهَ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾³.

الباب الثاني وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁴.

الباب الثالث وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾⁵.

الباب الرابع وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾⁷.

الباب الخامس وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾⁸.

الباب السادس وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾⁹.

الباب السابع وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾¹⁰.

الباب الثامن وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾¹¹.

الباب التاسع وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾¹².

الباب العاشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾¹³.

الباب الحادي عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ﴾¹⁴ ﴿إِنْ تَتَّقُوا

1 [الشورى : 11]

2 [الأنبياء : 29]

3 [الأنعام : 40]

4 [الأضال : 27]

5 [البيئة : 5]

6 ص 43

7 [الأنعام : 91]

8 [الطور : 48]

9 [آل عمران : 54]

10 [العلق : 14]

11 [البقرة : 257]

12 [سبا : 39]

13 [الأعراف : 146]

14 [البقرة : 282]

اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ۝¹

الباب الثاني عشر وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿كَلِمًا تَضَجَّتْ جُلُودُهُمْ² بَدَلْنَاكُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيُنَاقُوا الْعَذَابَ ۝³﴾

الباب الثالث عشر وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا. إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَاءَ حَفِيًّا ۝⁴﴾

الباب الرابع عشر وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۝⁵﴾

الباب الخامس عشر وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَوَظَرَ دَاوُودُ أَمَّا فَتَنَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝⁶﴾

الباب السادس عشر وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدٍ فِي سَبِيلِهِ فَاغْلُظْ صُرُوفَكُمْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۝⁷﴾ ﴿فَقِيرُوا إِلَى اللَّهِ ۝⁸﴾

الباب السابع عشر وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ۝⁹﴾

الباب الثامن عشر وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝¹¹﴾

الباب التاسع عشر وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْعَرَّةِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ۝¹²﴾

الباب العاشر وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۝¹³﴾

الباب الحادي والعشرون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى

1 [الأفال : 29]

2 ص 43

3 [النساء : 56]

4 [مریم : 2، 3]

5 [الطلاق : 3]

6 [ص : 24]

7 [التوبة : 24]

8 [الناريات : 50]

9 [التوبة : 118]

10 ص 44

11 [سبا : 23]

12 [الأفال : 24]

13 [الأنعام : 36]

وَأَتُونَ ﴿١﴾

الباب الثاني والعشرون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْغَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾².

الباب الثالث والعشرون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾³.

الباب الرابع والعشرون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾⁵.

الباب الخامس والعشرون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾⁶.

الباب السادس والعشرون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا. إِذَا لَأَدْفُنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ النَّمَاتِ﴾⁷.

الباب السابع والعشرون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَاضْبُرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾⁸.

الباب الثامن والعشرون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾⁹.

الباب التاسع والعشرون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ﴾¹⁰ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِثًا﴾¹¹.

الباب الثلاثون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾¹².

الباب الحادي والثلاثون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن

[البقرة : 197]

2 [المؤمنون : 60، 61]

3 [النازعات : 40]

4 ص 44

5 [الكهف : 109]

6 [الطلاق : 1]

7 [الإسراء : 74، 75]

8 [الكهف : 28، 29]

9 [الشورى : 40]

10 ص 45

11 [الأعراف : 58]

12 [النساء : 108]

- فَرَّانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبَيِّضُونَ فِيهِ ﴿١﴾
- الباب الثاني والثلاثون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْثُوتًا﴾².
- الباب الثالث والثلاثون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾³.
- الباب الرابع والثلاثون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁴.
- الباب الخامس والثلاثون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾⁵.
- الباب السادس والثلاثون⁶ وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نُوَدِّهِ مِنهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾⁷.
- الباب السابع والثلاثون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَتَخَشَّى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾⁸.
- الباب الثامن والثلاثون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْفَعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁹.
- الباب التاسع والثلاثون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَقِفُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾¹⁰.
- الباب الأربعون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾¹¹.
- الباب الحادي والأربعون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُدْفَةً عَذَابًا كَبِيرًا﴾¹².

1 [يونس : 61]

2 [النساء : 103]

3 [البقرة : 186]، "الداعي إذا دعاني" وفقا لقراءة ورش عن نافع، وهي: "الداع إذا دعان" وفقا لقراءة حفص.

4 [القم : 4]

5 [آل عمران : 191]

6 ص 45

7 [الشورى : 20]

8 [الأحزاب : 37]

9 [هود : 112]

10 [الناريات : 50، 51]

11 [الحجرات : 5]

12 [الفرقان : 19]

الباب الثاني والأربعون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾¹.

الباب الثالث والأربعون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَأْتِيْهُوا﴾³.

الباب الرابع والأربعون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَتِيدٌ﴾⁴.

الباب الخامس والأربعون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَاصْبِرْ وَاقْرَأْ﴾⁵.

الباب السادس والأربعون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ
ذِكْرِنَا﴾⁶.

الباب السابع والأربعون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ
الْمُشْرِكِينَ﴾⁷.

الباب الثامن والأربعون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْتُكُمْ﴾⁸.

الباب التاسع والأربعون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَفْتَى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾⁹.

الباب الحسون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَهْلَةَ دُكَا وَخَرَّ مُوسَى
صَعِقًا﴾¹⁰.

الباب الحادي والحسون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَسَيَّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ﴾¹².

الباب الثاني والحسون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ
فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾¹³.

الباب الثالث والحسون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُجِيبٌ﴾¹⁴.

1 [الإسراء : 72]

2 ص 46

3 [الحشر : 7]

4 [ق : 18]

5 [العلق : 19]

6 [النجم : 29]

7 [الحجر : 94]

8 [البقرة : 152]

9 [عبس : 5، 6]

10 [الأعراف : 143]

11 ص 46

12 [التوبة : 105]

13 [النساء : 64]

14 [البروج : 20]

الباب الرابع والخمسون وخمسة: في صفة الشخص الذي انتقل إليه معنى خاتم النبوة وسره مثل زرد الحجة في معناه، ومنزله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَلُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾¹؛ وهم فيه.

الباب الخامس والخمسون وخمسة: في معرفة السبب الذي منعه أن أذكر بقية الأقطاب من زماننا هذا إلى يوم القيامة.

الباب السادس والخمسون وخمسة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾².

الباب السابع والخمسون وخمسة: في معرفة ختم الأولياء على الإطلاق.

الباب الثامن والخمسون³ وخمسة: في معرفة الأسماء التي لرب العزة، وما يجوز أن يطلق به اللفظ عليه وما لا يجوز.

الباب التاسع والخمسون وخمسة: في معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة. وهذا الباب هو كالمختصر لأبواب هذا الكتاب. لكل باب فيه قولنا: "ومن ذلك". وفيه زيادة ثلاثة أو أربعة.

الباب الستون وخمسة: في وصية حكيم شرعية إلهية ينتفع بها المرید والواصل. وهو آخر أبواب هذا الكتاب.

اتهى الجزء الثاني من هذا الكتاب. والحمد لله حق حمده. والصلاة على محمد، نبه وعبدته⁴.

1 [آل عمران: 188]

2 [الملك: 1]

3 ص 47

4 في الهامش: بلغ قراءة لأحمد العلوي وإبراهيم بن الخلال سماعا على المؤلف.

وفي أسفل الصفحة كتب السماعان التاليان: 1- السماع الأول بخط جديد: "سمع من أول الكتاب إلى هنا على مصنفه الشيخ الفقيه الإمام العالم العارف محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله، محمد بن علي بن محمد بن العربي -أباه الله- بقراءة الإمام الفاضل أبي الحسن علي بن المظفر النشبي، الأئمة: أبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي الجباب، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد- ابنا المصنف-، وعيسى- بن إسحق الهندي، ويونس بن عثمان الدمشقي، ويعقوب (بن) معاذ الوري، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم- يعرف بأبن زرافة-، وحسين بن محمد الموصلي. وأبو عبد الله محمد بن يرقش المعظمي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، ويوسف بن الحسن النابلسي، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شعاع الدمشقي، ومحمد بن علي بن الحسين الأخطاطي، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي - وذلك في سابع شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وثلثين وستائة، بمنزل المصنف بدمشق- حرسها الله-. والحمد لله وحده. وصلاته على محمد نبيه وآله وصحبه وأزواجه وسلم".

2- السماع الثاني بخط جديد كذلك: "سمع من أول الكتاب إلى هنا على الشيخ المذكور، الشيخ الإمام العالم، حسام الدين أبو بكر بن سليمان الحموي الواعظ، وابنه جمال الدين أحمد، ومحمد بن علي بن محمد المطرز. وسمع لهم ذلك وقت بقراءة علي بن المظفر بن القاسم النشبي الشافعي. وذلك في يوم الأربعاء سادس وعشرين شوال من سنة ثلاث وثلثين وستائة. والحمد لله وحده. وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم".

الجزء الثالث من الفصح المكي¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

مقدمة الكتاب

قلنا: وربما وقع عندي أن أجعل في هذا الكتاب، أولاً، فصلاً في العقائد المؤيدة بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة. ثم رأيت أن ذلك تشغيب على المتأهب، الطالب للمزيد، المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود. فإنّ المتأهب إذا لزم الحلوة والذّكر، وفرغ الحلّ من الفكر، وقعد فقيراً لا شيء له، عند باب ربه، حينئذ يمنحه الله تعالى - ويعطيه من العلم به، والأسرار الإلهية والمعارف الربانية، التي أثنى الله - سبحانه - بها على عبده خضر فقال: ﴿عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ زَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾³. وقال تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمُ اللَّهُ وَيُعَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾⁴ وقال: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾⁵ وقال: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَشْكُرُونَ بِهِ﴾⁶.

قيل للجنيد: بِمَ نَلْتْ مَا نَلْتْ؟ فقال: "بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة". وقال أبو يزيد: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت" فيحصل لصاحب المهمة في الحلوة مع الله وبه - جلّت هبته، وعظمت منته - من العلوم ما يغيب عندها كلّ متكلم على البسيطة، بل كلّ صاحب نظر وبرهان ليست له هذه الحالة، فإنها وراء النظر العقلي.

إذ كانت العلوم على ثلاث مراتب:

- علم العقل: وهو كلّ علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل، بشرط العثور على وجه ذلك الليل. وشبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا الفنّ من العلوم، ولهذا يقولون في النظر: منه صحيح، ومنه فاسد.

- والعلم الثاني علم الأحوال: ولا سبيل إليها إلا بالنوق. فلا يقدر عاقل على أن يحدّها، ولا يقيم على معرفتها دليلاً. كالعلم بجلاوة العسل ومرارة الصبر ولثة الجماع والعشق والوجد والشوق، وما شاكل هذا النوع من العلوم. فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها وينوقها. وشبهها من جنسها في أهل النوق، كمن يقلب على محلّ طعمه الميرة الصفراء، فيجد العسل مُرّاً.

1 العنوان ص 48ب. والصفحتان السابقتان 47ب، 48 يضاوان

2 البسطة ص 49

3 [الكهف: 65]

4 [البقرة: 282]

5 [الأفال: 29]

6 [الحديد: 28]

7 ص 49ب

وليس كذلك، فإنّ النبي باشر محلّ الطعم إنّما هو المِرّة الصفراء¹.

- والعلم الثالث علوم الأسرار: وهو العلم الذي فوق طور العقل. وهو علم نُفِثَ روح القدس في الرُّوع، يختصّ به النبيّ والوليّ. وهو نوعان: نوع منه يدرك بالعقل؛ كالعلم الأوّل من هذه الأقسام، لكنّ هذا العالم به لم يحصل له عن نظر، ولكنّ مرتبة هذا العلم أعطت هذا. والنوع الآخر على² ضربين: ضرب منه يلتحق بالعلم الثاني، لكن حاله أشرف. والضرب الآخر (هو) من علوم الأخبار. وهي التي يدخلها الصدق والكذب، إلّا أن يكون الخبرُ به قد ثبت صدقُه عند الخبر، و(ثبتت) عصمته فيما يخبرُ به ويقولُه، كإخبار الأنبياء صلوات الله عليهم - عن الله، كإخبارهم بالجنّة وما فيها.

فقوله (أي صاحب علوم الأسرار): إنّ ثمّ جنّة، (هو) من علم الخبر. وقوله في القيامة: «إنّ فيها حوضاً أحلى من العسل»³ من علم الأحوال وهو علم النوق - وقوله: «كان الله ولا شيء معه»⁴ ومثله، (هو) من علوم العقل، المدركة بالنظر.

فهذا الصنف الثالث، الذي هو علم الأسرار، العالم به يعلم العلوم كلّها ويستفرقها. وليس صاحب تلك العلوم (الأخرى) كذلك. فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط، الحاوي على جميع المعلومات.

وما بقي إلّا أن يكون الخبرُ به صادقاً عند السامعين له، معصوماً. هذا شرطه عند العامة. وأمّا العاقل اللبيب، الناصح نفسه، فلا يرمي به. ولكن يقول: هذا جائز عندي أن يكون صدقاً أو كذباً. وكذلك ينبغي لكلّ عاقل، إذا أتاه بهذه العلوم (أي علوم الأسرار) غير المعصوم، وإن كان صادقاً في نفس الأمر فيما أخبر به. ولكن، كما لا يلزم هذا السامع له صدقه، لا يلزمه تكذيبه. ولكن يتوقّف. وإن صدّقه لم يضرّه، لأنّه أتى في⁵ خبره بما لا تحيله العقول بل بما تجوّزه أو تحفّ عنه - ولا يهدُّ ركناً من أركان الشريعة، ولا يُطلّ أصلاً من أصولها.

فإذا أتى بأمر جوّزه العقل وسكت عنه الشارع، فلا ينبغي لنا أن نردّه أصلاً. ونحن مخيرون في قبوله. فإن كانت حالة الخبر به تقتضي - العدالة، لم يضرنا قبوله، كما تقبل شهادته ونحكم بها في الأموال والأرواح. وإن كان غير عدل، في علمنا، فننظر: فإن كان الذي أخبر به حقاً، بوجه ما عندنا من الوجوه المصححة، قبلناه⁶، وإلّا تركناه في باب الجائزات، ولم نتكلّم في قائله بشيء. فإنّها شهادة مكتوبة تُسأل

1 "لأن...الصفراء": عبارة مكتوبة في الهامش مع لفظ "صح".

2 ص 50

3 صحيح مسلم 364، وسنن الترمذي 2368

4 المستدرک علی الصحیحین للحاکم 3265، المعجم الكبير للطبراني 14904

5 ص 50

6 ثابت في الهامش بخط الأصل.

عنها، قال تعالى:- ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾¹.

وأنا أؤلّى من نصح نفسه في ذلك. ولو لم يأت هذا الخبر إلا بما جاء به المعصوم فهو حالك لنا ما عندنا من رواية عنه- فلا فائدة زادها عندنا بخبره. وإنما يأتون ﷺ بأسرار وجكم من أسرار الشريعة مما هي خارجة عن قوة الفكر والكسب، ولا تُنال أبداً إلا بالمشاهدة والإلهام، وما شاكل هذه الطرق. ومن هنا تكون الفائدة بقوله ﷺ: «إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر»²، وقوله في أبي بكر في فضله بالسّر غيره. ولو لم يقع الإنكار لهذه العلوم في الوجود، لم يُقد قول أبي هريرة³: «حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثنته، وأما الآخر فلو بثنته قُطِعَ مِنِّي هذا البلعوم». حدّثني به الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبيد الله الحَجْرِي، بسبّته، في رمضان، عام تسعة وثمانين وخمس مائة بداره. وحدّثني به أيضاً أبو الوليد أحمد بن محمد بن العربي، بداره بأشبيلية، سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة، في آخرين كلّهم قالوا: حدّثنا، إلا أبا الوليد بن العربي فإنه قال: سمعت أبا الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني قال: حدّثني أبي، أبو عبد الله، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور القيسي، سماعاً مِنِّي عليهما، عن أبي ذر، سماعاً منها عليه، عن أبي محمد هو عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي- الحموي وأبي إسحق المستملي، وأبي الهيثم هو محمد بن مكي بن محمد الكشميهني، قالوا: أنا أبو عبد الله هو محمد بن يوسف بن مطر الفريري قال: أنا أبو عبد الله البخاري.

وحدّثني به أيضاً أبو محمد، يونس بن يحيى بن أبي الحسين بن أبي البركات، الهاشمي، العباسي، بالحرم الشريف المكي، تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة، في شهر جادى الأولى، سنة تسع وتسعين وخمس مائة، عن أبي الوقت، عبد الأول بن عيسى السجزي، الهروي، عن أبي الحسن عبد الرحمن بن المظفر الداودي⁵، عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، عن أبي عبد الله الفريري، عن البخاري. وقال البخاري في صحيحه: حدّثني إسماعيل، قال: حدّثني أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة. وذكر الحديث. - وشرح "البلعوم" لأبي عبد الله البخاري، من رواية أبي ذر، خرّجه في "كتاب العلم". وذكروا أنّ "البلعوم" مجرى الطعام.

(ولو لم يقع الإنكار لهذه العلوم) لم يفد قول ابن عباس، حين قال في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾⁶: "لو ذكرت تفسيره لرجعتوني"، وفي رواية: "لقلم:

1 [الزخرف: 19]

2 صحيح البخاري 3210، وصحيح مسلم 4411

3 ص 51

4 ق: أبو

5 ص 51 ب

6 [الطلاق: 12]. ومكتوب بالهامش: "بلغ قراءة لأحمد الطلوي".

إني كافر". حدّثني بهذا الحديث أبو عبد الله محمد بن عيشون، عن أبي بكر القاضي، محمد بن عبد الله بن العربي الماعري، عن أبي حامد، محمد بن محمد، الطوسي الغزالي.

و(كذلك) لم يكن لقول الرضي، من حفدة علي بن أبي طالب ﷺ معنى، إذ قال:

يَا زُبَّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أُبُوخَ بِهِ لَقِنَلِي لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَتَعَبُدُ الْوَثَنَاتَا
وَلَا سَتَحَلُّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي يَرَوْنَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنَاتَا

فهؤلاء كلّهم سادات أبرار، فيما أحسب، و(فيما) اشتهر عنهم. قد عرفوا هذا العلم ورتبته، ومنزلة أكثر العالم منه، وأنّ الأكثر منكرونها له. وينبغي للعاقل العارف أن لا يأخذ عليهم في إنكارهم، فإنّه في قصة موسى مع خضر مندوحة لهم، وحجة للطائفتين. وإن كان إنكار موسى عن نسيانٍ لشرطه، ولتعديل الله إيّاه. وهذه القصة عينها نحتج على المنكرين. لكنّه لا سبيل إلى خصامهم. ولكن تقول كما قال العبد الصالح: ﴿هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾².

وَضَلَّ

(لا ينبغي القول بأنّ الصوفي فيلسوف)

ولا يحجبنا أنّنا الناظر في هذا الصف من العلم الذي هو العلم النبويّ الموروث منهم - صلوات الله عليهم - إذا وقفت على مسألة من مسائلهم، قد ذكرها فيلسوف أو متكلم أو صاحب نظر في أيّ علم كان، فتقول في هذا القائل الذي هو الصوفي المحقّق: إنّهُ فيلسوف، لكون الفيلسوف ذكر تلك المسألة وقال بها واعتقدها، وإنّه نقلها منهم، أو إنّهُ لا دين له فإنّ الفيلسوف قد قال بها ولا دين له.

فلا تفعل يا أخي - فهذا القول قول من لا تحصيل له. إذ الفيلسوف ليس كلّ علمه باطلا. فعسى تكون تلك المسألة فيما عنده من الحق. ولا سيّما إن وجدنا الرسول ﷺ قد قال بها. ولا سيّما فيما³ وضعه من الحكيم والتبرؤ من الشهوات ومكائد النفوس، وما تنطوي عليه من سوء الضمائر. فإن كنا لا نعرف الحقائق، ينبغي لنا أن نثبت قول الفيلسوف في هذه المسألة المعيّنة وأنها حق، فإنّ الرسول ﷺ قد قال بها، أو الصاحب، أو مالك⁴، أو الشافعي، أو سفيان الثوري.

وأما قولك، إن قلت: سمعنا من فيلسوف أو طالعهما في كتبهم، فإنك ربما تقع في الكذب والجهل. أما

1 ص 52

2 [الكهف: 78]، ومقابلها في الهامش: بلغ قراءة لأحمد العلوي

3 ص 52 ب

4 ق: مالك.

الكذب، فقولك: سمعها أو طالعها، وأنت لم تشاهد ذلك منه. وأما الجهل، فكونك لا تفرّق بين الحق، في تلك المسألة، والباطل.

وأما قولك: إنّ الفيلسوف لا دين له، فلا يدلّ كونه لا دين له على أنّ كلّ ما عنده باطل. وهذا مدرك بأول العقل عند كلّ عاقل.

فقد خرجتْ باعتراضك على الصوفي، في مثل هذه المسألة، عن العلم والصدق والدين، وانخرطتْ في سلك أهل الجهل والكذب والبهتان، ونقص العقل والدين، وفساد النظر والانحراف. أرايتْ لو أتاك بها رؤيا رآها، هل كنتَ إلّا عابرها وتطلب على معانيها؟ فكذلك، خذ ما أتاك به هذا الصوفي، واهتدِ على نفسك قليلا، وفرغ لما أتاك به محلك حتى تبرز لك معناها، أحسن¹ من أن تقول يوم القيامة: ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾².

فكلّ علم إذا بسّطته العبارة، حسن وفهم معناه، أو قارب وعذب عند السامع الفهم، فهو علم العقل النظريّ لأنّه تحت إدراكه، وبما يستقلّ به لو نظر. إلّا علم الأسرار، فإنّه إذا أخذته العبارة سُمج واعتاص على الأفهام ذكره وخسّن، وربما مجّته العقول الضعيفة المتعصّبة، التي لم تتوفّر لتصريف حقيقتها التي جعل الله فيها من النظر والبحث. ولهذا صاحب العلم كثيرا ما يوصله إلى الأفهام بضرب الأمثلة والمخاطبات الشفوية.

وأما علوم الأحوال فتوسّطة بين علم الأسرار وعلم العقول. وأكثر ما يؤمنُ بعلم الأحوال أهلُ التجارب. وهو إلى علم الأسرار أقرب منه إلى العلم النظريّ، العقليّ. لكن يقرب من صنف العلم العقليّ الضروريّ بل هو هو. لكن لما كانت العقول لا تتوصّل إليه إلّا بإخبار من علّمه أو شاهده، من نبيّ أو وليّ، لنلك تميّز عن (العلم العقليّ) الضروريّ. لكن (علم الأحوال) هو ضروريّ عند من شاهده.

ثم لتعلم أنّه إذا حسن عندك (علم الأسرار) وقبيلته وآمنتَ به: فأبشر؛ إنك على كشف منه ضرورة، وأنت لا تدري. لا سبيل إلّا هذا. إذ لا يثلج الصدر إلّا بما يقطع بصحته. وليس للعقل هنا مدخل، لأنّه ليس من³ ذكره. إلّا إن أتى بذلك معصوم، حينئذ يثلج صدر العاقل. وأما غير المعصوم فلا يلتذ بكلامه إلّا صاحب ذوق.

* * *

1 ص 53
2 [الأنبياء : 97]
3 ص 53 ب

(الطريق إلى الله تعالى)

فإن قلت: فلخص لي هذه الطريقة، التي تدعي أنها الطريقة الشريفة، الموصلة السالك إليها إلى الله تعالى- وما تنطوي عليه من الحقائق والمقامات، بأقرب عبارة، وأوجز لفظ، وأبلغه، حتى أعمل عليه، ونصل إلى ما ادّعت أنك توصلت إليه. وبالله أقسم؛ إنّي لا آخذه منك على وجه التجربة والاختبار، وإنما آخذه منك على الصدق. فإنّي قد حسنتُ الظنّ بك إحسانَ قطع، إذ قد نبهتني على خطأ ما أتيت به من العقل، وأنّ ذلك مما يقطع العقل بجوازه وإمكانه، أو يقف عنده من غير حكم معين. فشكر الله لك ذلك، وبلغك آمالك، ونفعك ونفع بك.

فاعلم أنّ الطريق إلى الله تعالى- الذي سلكت عليه الخاصّة من المؤمنين الطالبين نجاتهم، دون العامّة الذين شغلوا أنفسهم بغير ما خلقت له،- أنّه على أربع شعب: بواعث، ودواع، وأخلاق، وحقائق. والذي دعاهم إلى هذه البواعث والبواعث والأخلاق والحقائق، ثلاثة حقوق تفرّضت عليهم: حقّ الله، وحقّ لأنفسهم، وحقّ للخلق.

فالحقّ الذي¹ لله تعالى- عليهم (هو) أن يعبدوه، لا يشركوا به شيئاً. والحقّ الذي للخلق عليهم، كلف الأذى كلّهم، ما لم يأمر به شرعٌ من إقامة حدٍّ، وصنائع المعروف معهم، على الاستطاعة والإيثار، ما لم يئنه عنه شرع، فإنّه لا سبيل إلى موافقة الغرض إلاّ بلسان الشرع. والحقّ الذي لأنفسهم عليهم (هو) أن لا يسلكوا بها من الطرق إلاّ الطريق التي فيها سعادتها ونجاتها، وإنّ أثبت فلجهل قام بها أو سوء طبع. فإنّ النفس الأبيّة إنما يحملها² على إتيان الأخلاق الفاضلة ديناً أو مروءة. فالجهل يضادّ الدين، فإنّ الدين علم من العلوم. وسوء الطبع يضادّ المروءة.

ثمّ نرجع إلى الشّعْب الأربع فنقول: البواعث خمسة: الهاجس السببيّ ويسمّى: "تقر الخاطر"، ثمّ الإرادة، ثمّ العزم، ثمّ الهمة، ثمّ النيّة. والبواعث لهذه البواعث ثلاثة أشياء: رغبة أو رهبة أو تعظيم. والرغبة رغبتان: رغبة في الجاورة، ورغبة في المعاينة. وإن شئت قلت: رغبة فيما عنده، ورغبة فيه. والرهبته رهبتان: رهبة من العذاب، ورهبة من الحجاب. والتعظيم، إفراده عنك وجمعه بك.

والأخلاق على ثلاثة أنواع: خُلُقٌ³ متعدّد، وخُلُقٌ غير متعدّد، وخُلُقٌ مشترك. فالمتعدّي على قسمين: متعدّد بمنفعة؛ كالجود والفتوة، ومتعدّد بدفع مضرّة؛ كالغفو والصفح واحتمال الأذى، مع القدرة على الجزاء والتمكّن منه. و(الخلق) غير المتعدّي؛ كالورع والزهد والتوكّل. وأمّا (الخلق) المشترك؛ فكالصبر على أذى الخلق، ووسط الوجه.

1 ص 54

2 ق: يحمله، ومصححه بخط آخر.

3 ص 54 ب

وأما الحقائق فعلى أربعة: حقائق ترجع إلى الذات المقدسة، وحقائق ترجع إلى الصفات المنزهة، وهي النسب، وحقائق ترجع إلى الأفعال؛ وهي "كن" وأحوالها، وحقائق ترجع إلى المفعولات؛ وهي الأكران والمكونات. وهذه الحقائق الكونية على ثلاث مراتب: علوية؛ وهي المعولات، وسفلية؛ وهي المحسوسات، وبرزخية؛ وهي المتخيلات.

فأما الحقائق الذاتية؛ فكلُّ مشهد يقيمك الحقُّ فيه، من غير تشبيه ولا تكيف، لا تسعه العبارة، ولا تومن إليه الإشارة. وأما الحقائق الصفاتية؛ فكلُّ مشهد يقيمك الحقُّ فيه، تطلع منه على معرفة كونه - سبحانه - عالمًا، قادرًا، مريدًا، حيًّا، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات، المختلفة والمتقابلة والمتماثلة.

وأما الحقائق الكونية فكلُّ مشهد يقيمك الحقُّ فيه، تطلع منه على معرفة الأرواح والبسائط¹ والمركبات والأجسام والاتصال والانفصال.

وأما الحقائق الفعلية، فكلُّ مشهد يقيمك (الحقُّ) فيه، تطلع منه على معرفة "كن"، وتعلق القدرة بالمقدور بضرِبٍ خاص، لكون العبد لا فعل له، ولا أثر لقدرة الحادثة الموصوف بها.

وجميع ما ذكرناه يستقى الأحوال والمقامات. فالمقام منها، كلُّ صفة يجب الرسوخُ فيها، ولا يصحَّ التنقل عنها، كالتوبة. والحال منها كلُّ صفة تكون فيها في وقت دون وقت، كالشكر والهو والغبية والرضا، أو يكون وجودها مشروطًا بشرط، فتعتمد لعدم شرطها، كالصبر مع البلاء، والشكر مع النعماء.

وهذه الأمور على قسمين: قسم، كماله في ظاهر الإنسان وباطنه؛ كالورع والتوبة، وقسم كماله في باطن الإنسان، ثم إن تبعه الظاهر فلا بأس؛ كالزهد والتوكل. وليس ثم، في طريق الله تعالى - مقام يكون في الظاهر دون الباطن.

ثم إنَّ هذه المقامات منها ما يتَّصف به الإنسان في الدنيا والآخرة: كالمشاهدة والجلال والجمال والأنس والهيبة والبسط. ومنها ما يتَّصف به العبد إلى حين موته، إلى القيامة، إلى أول قدم يضعه في الجنة، ويذول عنه: كالخوف والقبض والحزن والرجاء. ومنها، ما يتَّصف به العبد إلى حين² موته: كالزهد والتوبة والورع والمجاهدة والرياضة والتخلّي والتحلّي، على طريق القربة. ومنها، ما يزول لنزول شرطه، ويرجع لرجوع شرطه: كالصبر والشكر والورع.

فهذا (عفا أنذا) -وقفنا الله وإياك- قد بينتُ لك الطريق، مرتب المنازل، ظاهر المعاني والحقائق، على غاية الإيجاز والبيان، والاستيفاء العام. فإن سلكت وصلت. والله سبحانه - يرشدنا وإياك.

فصل

(مدار العلم الذي يختص به أهل الله)

ومدار العلم الذي يختص به أهل الله تعالى - على سبع مسائل، من عرفها لم يعتض عليه شيء من علم الحقائق. وهي معرفة أسماء الله تعالى - ومعرفة التجليات، ومعرفة خطاب الحق عباده بلسان الشرع، ومعرفة كمال الوجود ونقصه، ومعرفة الإنسان من جهة حقائقه، ومعرفة الكشف الخيالي، ومعرفة العلل والأدوية. وذكرنا هذه المسائل في باب المعرفة، من هذا الكتاب، فلتنظر هنالك، إن شاء الله -

تمة: ثم نرجع إلى السبب الذي لأجله منعنا المتأهب لتجلي الحق إلى قلبه، من النظر في صحة العقائد من جهة علم الكلام.

فمن¹ ذلك، إن العوام، بلا خلاف من كل متشرع صحيح العقل، عقائدهم سليمة، وإيهم مسلمون، مع أنهم لم يطالعوا شيئا من علم الكلام، ولا عرفوا مذاهب الخصوم. بل أبقاهم الله تعالى - على صحة الفطرة؛ وهو العلم بوجود الله تعالى - بتلقين الوالد المتشرع، أو المربي². وإيهم، من معرفة الحق سبحانه - وتزيهه، على حكم المعرفة والتزيه الوارد في ظاهر القرآن المبين. وهم فيه، بحمد الله، على صحة وصواب ما لم يتطرق أحد منهم إلى التأويل: فإن تطرق أحد منهم إلى التأويل، خرج عن حكم العامة، والتحق بصنف ما من أصناف أهل النظر والتأويل. وهو على حسب تأويله. وعليه يلقي الله تعالى - فإما مصيب وإما مخطئ، بالنظر إلى ما لا يناقض ظاهر ما جاء به الشارع.

فالعامة بحمد الله - سليمة عقائدهم، لأنهم تلقوها، كما ذكرناه، من ظاهر الكتاب العزيز، التلقي الذي يجب القطع به. وذلك أن التواتر من الطرق الموصلة إلى العلم. وليس الغرض من العلم إلا القطع على المعلوم أنه على حد ما علمناه، من غير ريب ولا شك. والقرآن العزيز قد ثبت عندنا بالتواتر، أنه جاء به شخص ادعى أنه رسول من عند الله تعالى - وأنه جاء بما يدل على صدقه، وهو هذا القرآن، وأنه ما استطاع أحد على معارضته³ أصلا. فقد صح عندنا بالتواتر أنه رسول الله إلينا، وأنه جاء بهذا القرآن الذي بين أيدينا اليوم، وأخبر أنه كلام الله. وثبت هذا كله عندنا تواترا. فقد ثبت العلم به أنه النبا الحق والقول الفصل. والأدلة سمعية وعقلية. وإذا حكما على أمر بحكم ما، فلا شك فيه أنه على ذلك الحكم.

وإذا كان الأمر على ما قلناه، فيأخذ المتأهب عقيدته من القرآن العزيز. وهو بمنزلة اللبيل العقلي في الدلالة، إذ هو الصدق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁴. فلا

1 ص 56

2 "أو المربي" مضافة بالهامش مع لفظ التصويب.

3 ص 56 ب

4 [فصلت : 42]

يحتاج المتأهب، مع ثبوت هذا الأصل، إلى أدلة العقول: إذ قد حصل الدليل القاطع الذي عليه السيف معلق، والإصفاق عليه محقق عنده.

قالت اليهود لمحمد ﷺ: «انشب لنا ريك. فأنزل الله تعالى- عليه سورة الإخلاص»¹، ولم يقم لهم من أدلة النظر دليلا واحدا. فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ²﴾ فأثبت الوجود، ﴿أَخَذَ﴾ فنفي العدد وأثبت الأحديّة لله - سبحانه-، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ³﴾ فنفي الجسم-، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ⁴﴾ فنفي الوالد والولد-، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ⁵﴾ فنفي الصاحبة، كما نفى الشريك بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا⁶﴾، فيطلب صاحب الدليل العقلي البرهان على⁷ صحّة هذه المعاني بالعقل، وقد دلّ على صحّة هذا اللفظ.

فيا ليت شعري؛ هذا النبي يطلب (ل) يعرف الله من جملة اللبيل ويكفر من لا ينظر: كيف كانت حالته قبل النظر، وفي حال النظر؟ هل هو مسلم أم لا؟ وهل يصلي أو يصوم؟ أو ثبت عنده أنّ محمدا رسول الله إليه؟ أو أنّ الله موجود؟ فإن كان معتقدا لهذا كله، فهذه حالة العوام. فليتركهم على ما هم عليه، ولا يكفر أحدا. وإن لم يكن معتقدا لهذا إلّا حتى ينظر ويقرا علم الكلام: فنعوذ بالله من هذا المذهب، حيث آذاه سوء النظر إلى الخروج عن الإيمان.

وعلماء هذا العلم ﷺ ما وضعوه، وصنّفوا فيه ما صنّفوه ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله، وإنما وضعوه إرداعا للخصوم، الذين جحدوا الإله، أو الصفات، أو بعض الصفات، أو الرسالة، أو رسالة محمد ﷺ خاصة، أو حدوث العالم، أو الإعادة إلى الأجسام بعد الموت، أو الحشر والنشر، وما يتعلّق بهذا الصنف. وكانوا كافرين بالقرآن، مكذّبين به، جاحدين له. فطلب علماء الكلام إقامة الأدلة عليهم، على الطريقة التي زعموا أنّها أدّتهم إلى إبطال ما ادّعينا صحّته خاصّة. حتى لا يشوّشوا على العوام عقائد.

فهما⁸ برز في ميدان الجادلة بدعيّ برز له أشعريّ، أو من كان من أصحاب علم النظر. ولم يقتصروا على السيف. رغبة منهم وحرصا على أن يردّوا واحدا إلى الإيمان، والانتظام في سلك أمة محمد ﷺ بالبرهان. إذ الذي كان يأتي بالأمر المعجز، على صدق دعواه، قد فُقد، وهو الرسول ﷺ. فالبرهان عندهم قائم مقام تلك المعجزة، في حقّ من عرف. فإنّ الراجع بالبرهان أصحّ إسلاما من الراجع بالسيف، فإنّ الخوف يمكن أن يحمل على النفاق، وصاحب البرهان ليس كذلك. فلهمنا ﷺ وضعوا علم الجوهر

1 سنن الترمذي 3287، وشعب الإيمان 96

2 [الإخلاص : 1]

3 [الإخلاص : 2]

4 [الإخلاص : 3]

5 [الإخلاص : 4]

6 [الأنبياء : 22]

7 ص 57

8 ص 57ب

والعرض لا غير. ويكفي في المصر منه واحد.

فإذا كان الشخص مؤمنا بالقرآن أنه كلام الله، قاطعا به، فليأخذ عقيدته منه، من غير تأويل ولا ميل.

فتره سبحانه - نفسه أن يشبهه شيء من المخلوقات أو يشبهه شيئا، بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾¹. و﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾².

وأثبت رؤيته في البار الآخرة بظاهر قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾³ و﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَخْجُونَ﴾⁴.

وانتفت الإحاطة بدركه بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾⁵.

وثبت كونه قادرا بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁶.

وثبت كونه عالما بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾⁸.

وثبت كونه مريدا بقوله: ﴿فَقَالَ إِنَّا يُرِيدُ﴾⁹.

وثبت كونه سميعا بقوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾¹⁰.

وثبت كونه بصيرا بقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾¹¹.

وثبت كونه متكلمًا بقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾¹².

وثبت كونه حيا بقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾¹³.

وثبت إرسال الرسل بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾¹⁴.

وثبت رسالة محمد ﷺ بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾¹⁵.

1 [الشورى : 11]

2 [الصفات : 180]

3 [القيامة : 22, 23]

4 [المطففين : 15]

5 [الأنعام : 103]

6 ص 58

7 [المائدة : 120]

8 [الطلاق : 12]

9 [هود : 107]

10 [آل عمران : 181]

11 [العلق : 14]

12 [النساء : 164]

13 [البقرة : 255]

14 [يوسف : 109] ولفظ: "يوحى" وفقا لقراءة ورش عن نافع، وفي قراءة خص: نوحى

15 [الفتح : 29]

وثبت أنه آخر الأنبياء بقوله: ﴿وَحَاتَمَ التَّيِّبِينَ﴾¹.

وثبت أن كل² ما سواه خلق له بقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾³.

وثبت خلق الجن بقوله⁴: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾⁵.

وثبت حشر الأجساد بقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾⁶.

إلى أمثال هذا مما تحتاج إليه العقائد: من الحشر- والنشر-، والقضاء والقدر، والجنة والنار، والقبر والميزان، والحوض والصراط، والحساب والصحف، وكل ما لا بد للمعتقد أن يعتقد. قال تعالى:- ﴿مَّا قُرْطَنَّا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾⁷.

وإن هذا القرآن معجزته ~~التي~~ بطلب معارضته، والمعجز عن ذلك، في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾⁸. ثم قطع أن المعارضة⁹ لا تكون أبدا بقوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾¹⁰. وأخبر بعجز من أراد معارضته، وإقراره بأن الأمر عظيم فيه، فقال: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾¹¹. إلى قوله: ﴿إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾¹².

ففي القرآن العزيز، للعاقل، غنية كبيرة، ولصاحب الداء العضال، دواء وشفاء، كما قال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾¹³، ومفنع شاف لمن عزم على طريق النجاة، ودرغب في سمو الدرجات وترك العلوم التي توردها عليها الشبه والشكوك، فيضيع الوقت ويخاف المقت. إذ المتحل لتلك الطريقة قلما ينجو من التشغيب، أو يشتغل برياضة نفسه وتهذيبها، فإنه مستغرق الأوقات في إرداع (=ردع) الخصوم الذين لم يوجد لهم عين، ودفع شبه يمكن أن (تكون) وقعت للخصم، ويمكن أن لم تقع؛ فقد تقع وقد لا تقع، وإذا وقعت فسيب الشريعة أردع وأقطع.

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وحتى يؤمنوا بي وما جنت به»¹⁴. هذا قوله ﷺ.

1 [الأحزاب : 40]

2 لفظ "كل" مكتوب بالهامش بخط الأصل مع إشارة الصواب.

3 [الرعد : 16]

4 لفظ "بقوله" بالهامش بخط الأصل مع إشارة الصواب.

5 [الناريات : 56]

6 [طه : 55]

7 [الأنعام : 38]

8 [يونس : 38]

9 ص 58

10 [الإسراء : 88]

11 [المدثر : 18]

12 [المدثر : 24]

13 [الإسراء : 82]

14 صحيح البخاري 24، وصحيح مسلم 33

ولم يدفعا لمجادلتهم إذا حضروا. إنما هو الجهاد والسيف، إن عاند فيما قيل له. فكيف بخصم متوهم نَقَطْعُ الزمان¹ بمجادلته، وما رأينا له عينا، ولا قال لنا شيئا؟ وإنما نحن، مع ما وقع لنا، في نفوسنا، وتخيّل أننا مع غيرنا.

ومع هذا، فإنهم ﷻ اجتهدوا، وخيرا قصدوا، وإن كان الذي تركوا أوجب عليهم من الذي شغلوا نفوسهم به. والله ينفع الكلّ بقصده.

ولولا التطويل لتكلمت على مقامات العلوم ومراتبها، وأنّ علم الكلام مع شرفه- لا يحتاج إليه أكثر الناس، بل شخص واحد يكفي منه في البلد؛ مثل الطبيب. والفقهاء العلماء بفروع الدين ليسوا كذلك، بل الناس محتاجون إلى الكثرة من علماء الشريعة. وفي الشريعة، بحمد الله، الغنية والكفاية. ولو مات الإنسان، وهو لا يعرف اصطلاح القائلين بعلم النظر مثل: الجوهر والعرض والجسم والجسماني والروح والروحاني لم يسأله الله تعالى- عن ذلك. وإنما يسأل الله الناس عمّا أوجب عليهم من التكليف خاصة. والله يرزقنا الحياء منه.

* * *

وصل يتضمّن ما ينبغي أن يعتقد في العموم؛ وهي عقيدة أهل الإسلام مسلمة من غير نظر إلى دليل ولا إلى برهان

فيا إخوتي المؤمنين ختم الله لنا ولكم بالحسنى- لَمَّا سمعت قوله تعالى- عن نبيّه هود عليه السلام² حين قال لقومه، المكذّبين به ورسالته: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾³. فأشهد الله قومه، مع كونهم مكذّبين به، على نفسه بالبراءة من الشرك بالله، والإقرار بأحديته، لَمَّا علم الله أنّ الله - سبحانه- سيوقف عباده بين يديه، ويسألهم عمّا هو عالم به، لإقامة الحجّة لهم أو عليهم، حتى يؤدّي كلّ شاهد شهادته.

وقد ورد «أنّ المؤدّن يشهد له مدى صوته»⁴، من رطب ويابس، وكلّ من سمعه. ولهذا «يدبر الشيطان عند الأذان وله حُصاص»⁵ وفي رواية: «وله ضراط». وذلك، حتى لا يسمع نداء المؤدّن بالشهادة فتلزمه أن يشهد له، فيكون بتلك الشهادة له من جملة من يسمى في سعادة المشهود له، وهو

1 ص 59

2 ص 59 ب

3 [هود : 54]

4 سنن أبي داود 432، وسنن النسائي 641

5 الحُصَاصُ: شدة التنبؤ في شرع. والحُصَاصُ أيضًا: الضراط.

6 مسند أحمد 9873، والمعجم الكبير للطبراني 936

عدوّ محض، ليس له إلينا خير أَلْبَتَّةَ لعنه الله-.

وإذا كان العدو لا بد أن يشهد لك بما أشهدته به على نفسك، فأحرى أن يشهد لك وإيئك وحببيك، ومن هو على دينك وملتك. وأحرى أن تُشهِدَهُ أنت، في الدار الدنيا، على نفسك، بالوحدانية والإيمان.

(الشهادة الأولى)

فيا إخوتي ويا أحبائي -رضي الله عنكم- أشهدكم عبدٌ، ضعيف، مسكين، فقير إلى الله تعالى- في كل لحظة وطرفة، وهو مؤلّف هذا الكتاب ومنشئه. أشهدكم على نفسه، بعد أن أشهد الله تعالى- وملائكته، ومن حضره من المؤمنين وسمعه، أنه¹ يشهد قولاً وعقداً:

أَنَّ الله تعالى- إله واحد، لا ثاني له في ألوهته.

منزّه عن الصاحبة والوالد.

مالك، لا شريك له، ملك، لا وزير له.

صانع، لا مدبّر معه.

موجود بذاته، من غير افتقار إلى موجد يوجده، بل كلّ موجود سيّوؤه، مفتقر إليه تعالى- في وجوده. فالعالم كلّ موجود به، وهو وحده متّصف بالوجود لنفسه.

لا افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه. بل وجود مطلق، غير مقيد.

قائم بنفسه: ليس بجوهر متّحيز؛ فيقدّر له المكان، ولا يمرض؛ فيستحيل عليه البقاء، ولا يجسم؛

فتكون له الجهة والتلقاء.

مقدّس عن الجهات والأقطار.

مرئي بالقلوب والأبصار، إذا شاء.

استوى على عرشه، كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، كما أنّ العرش، وما سيّوؤه، به استوى. وله

الآخرة والأولى.

ليس له مثل معقول، ولا دلت عليه العقول. لا يحدّه زمان، ولا يقبله مكان. بل كان ولا مكان. وهو

على ما عليه كان.

خلق الممكن والمكان. وأنشأ الزمان. وقال: أنا الواحد، الحيّ. لا يتوده حفظ المخلوقات. ولا ترجع إليه

صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات.

تعالى أن تحلّه الحوادث أو يجلّها، أو تكون بعده أو يكون قبلها. بل يقال: كان ولا شيء معه. فإنّ "القبل" و"التبعد" من صيغ الزمان الذي¹ أبدعه.

فهو القيوم الذي لا ينام. والقهار الذي لا يرام. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾².

خلق العرش وجعله حدّ الاستواء. وأنشأ الكرسي وأوسع الأرض والسموات العلى.

اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء.

أبدع العالم كلّ على غير مثال سبق. وخلق الخلق وأخلق الذي خلق.

أنزل الأرواح في الأشباح أمناء، وجعل هذه الأشباح، المنزلة إليها الأرواح، في الأرض خلفاء.

وسفر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، فلا تتحرك ذرّة إلا إليه، وعنه.

خلق الكلّ من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه: لكنّ علمه سبق بأن يخلق ما خلق.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾³، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁴.

﴿أَخَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾⁵ و﴿أَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾⁶ - ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾⁷ - ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ

الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾⁸. كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه؟ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁹.

علم الأشياء منها قبل وجودها، ثم أوجدها على حدّ ما علمها. فلم يزل عالماً بالأشياء. لم يتجدد له علم

عند تجدد الإنشاء. بعلمه اتقن الأشياء وأحكّمها. وبه حكم عليها من شاء، وحكّمها. علم الكليات على

الإطلاق. كما علم الجزئيات بإجماع¹⁰ من أهل النظر الصحيح واتّفاق. فهو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾¹¹

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾¹².

﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾¹³. فهو المريد الكائنات، في عالم الأرض والسموات. لم تتعلّق قدرته بشيء حتى

أراده. كما أنّه لم يرّده حتى علمه. إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم، أو يفعل المختار، الممكن من

1 ص 60

2 [الشورى : 11]

3 [الحديد : 3]

4 [المائدة : 120]

5 [الطلاق : 12]

6 [الجن : 28]

7 [طه : 7]

8 [غافر : 19]

9 [الملك : 14]

10 ص 61

11 [الأنعام : 73]

12 [الأعراف : 190]

13 [هود : 107]

ترك ذلك الفعل، ما لا يريد. كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي. كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها.

فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ريح ولا خسران، ولا عبد ولا حر، ولا بزد ولا حر، ولا حياة ولا موت، ولا حصول ولا فوت، ولا نهاز ولا ليل، ولا اعتدال ولا ميل، ولا بر ولا بحر، ولا شفق ولا وتر، ولا جوهر ولا عرض، ولا صحة ولا مرض، ولا فرخ ولا ترخ، ولا روح ولا شبح، ولا ظلام ولا ضياء، ولا أرض ولا سماء، ولا تركيب ولا تحليل، ولا كثير ولا قليل، ولا غداة ولا أصيل، ولا بياض ولا سواد، ولا رقاد ولا سهاد، ولا ظاهر ولا باطن، ولا متحرك ولا ساكن، ولا يابس ولا رطب، ولا قشر ولا لب، ولا شيء من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات والمتاثلات، إلا وهو مراد للحق تعالى. وكيف لا يكون مرادا له وهو أوجده؟ فكيف يوجد المختار ما لا يريد؟ لا¹ راد لأمره، ولا معقب لحكمه. يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء. (و) يضل من يشاء ويهدي من يشاء². ما شاء كان، وما لم يشأ أن يكون لم يكن.

لو اجتمع الخلاق، كلهم، على أن يريدوا شيئا لم يرد الله تعالى- أن يريدوه، ما أرادوه، أو يفعلوا شيئا لم يرد الله إيجاده، وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه، ما فعلوه ولا استطاعوا على ذلك، ولا أقدرهم عليه.

فالكفر والإيمان، والطاعة والعصيان: من مشيئته وحكمه وإرادته. ولم يزل سبحانه- موصوفا بهذه الإرادة أزلا. والعالم معدوم، غير موجود، وإن كان ثابتا في العلم في عينه. ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل أو عدم علم- فيعطيه التفكير والتدبر علم ما حمل. جلّ وعلا عن ذلك. بل أوجد عن العلم السابق، وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية، القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان، وأكوان وألوان. فلا مرید في الوجود، على الحقيقة، سواؤه. إذ هو القائل سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾³.

وإنه سبحانه- كما علم فأحكم، وأراد فخصص، وقدر فأوجد؛ كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الوري، من العالم الأسفل والأعلى. لا يحجب سمنقه البند؛ فهو القريب. ولا يحجب بصره الفزب⁴: فهو البعيد. يسمع كلام النفس في النفس، وصوت الماسية الخفية عند اللمس. ويرى السواد في الظلماء، والماء في الماء. لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁵.

1 ص 61

2 [النحل : 93]

3 [الإنسان : 30]

4 ص 62

5 [الشورى : 11]

تكلّم سبحانه- لا عن صمت متقدّم، ولا سكوت متوهم، بكلام قديم أزلي، كسائر صفاته: من علمه وإرادته وقدرته. كلّم به موسى عليه السلام. سّماه التنزيل والزيور والثورة والإنجيل. من غير حروف ولا أصوات ولا نغم ولا لغات. بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات.

فكلامه سبحانه- من غير لهأة¹ ولا لسان. كما أنّ سمعه من غير أصمخة ولا آذان. كما أنّ بصره من غير حدقة ولا أجفان. كما أنّ إرادته في غير قلب ولا جنان. كما أنّ علمه من غير اضطراب ولا نظر في برهان. كما أنّ حياته من غير بخار تجويف قلب، حدث عن امتزاج الأركان. كما أنّ ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان.

فسبحانه سبحانه من بعيد، دان. عظيم السلطان. عيم الإحسان. جسيم الامتنان. كلّ ما سيّواه، فهو عن جوده فائض. وفضله وعدله، الباسط له والقابض.

أكل صنع العالم وأبدعه، حين أوجده واخترعه. لا شريك له في ملكه، ولا مدبّر معه في ملكه². إن أنعم فنعم: فذلك فضله. وإن أبلى فعذب: فذلك³ عدله. لم يتصرّف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف. ولا يتوجّه عليه لسيّواه حكم، فيتصّف بالجرع للنك والخوف. كلّ ما سيّواه تحت سلطان قهره، ومتصرّف عن إرادته وأمره.

فهو الملهّم نفوس المكلفين التقوى والفجور. وهو المتجاوز عن سيئات من شاء، والآخذ بها من شاء، هنا وفي يوم النشور: لا يحكم عدله في فضله، ولا فضله في عدله.

أخرج العالم قبضتين. وأوجد لهم منزلتين. فقال: «هؤلاء للجنة، ولا أبالي، وهؤلاء للنار، ولا أبالي»⁴ ولم يعترض عليه معترض هناك؛ إذ لا موجود، كان ثمّ، سيّواه. فالكّل تحت تصريف أسائه: فقبضة تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت أسماء آلائه.

ولو أراد سبحانه- أن يكون العالم كلّه سعيدا لكان. أو شقيّا لما كان، من ذلك، في شأن. لكنّه- سبحانه- لم يرد: فكان كما أراد. فمنهم الشقيّ والسعيد، هنا وفي يوم المعاد. فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم. وقد قال تعالى- في الصلاة: «هي خمس وهي خمسون»⁵ ﴿مَا يُنْكِلُ الْقَوْلُ لَنِي وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِتَعْبِيدٍ﴾⁶ لتصرّف في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي.

1 اللّهُاء: لحمه خمره في الحنك مغلّقة على عنكدة اللسان، والجمع لَهْيَات. غيره: اللّهُاء الهنّة المطبقة في أقصى سفّ الفم. ابن سيده: واللّهُاء من كلّ ذي لحم المشرفة على الحلق، وقيل: هي ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم، والجمع لَهَوَاتٌ وَلَهْيَاتٌ وَلَهْيٌ وَلَهْيٌ وَلَهَا وَلِهَاءٌ. (لسان العرب)

2 في الهامش: "بلغ سماع من تقدم ذكره المجلس الثاني بقراءة محمد بن إسحق على شيخهم رضي الله عنه".

3 ص 62

4 المستدرك على الصحيحين للحاكم، 84، مسند أبي يعلى الموصلي 3328

5 صحيح البخاري 336، صحيح مسلم 237

6 [ق: 29]

وذلك حقيقة عيئت عنها الأبصار والبصائر. ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر. إلا يَوْهَبِ إلهي،
وَجُودِ رحائي لمن¹ اعتنى الله به من عباده، وسبق له ذلك بحضرة إيشاده. فعلم، حين أعلم، أن الألوهة
أعطت هذا التقسيم، وأنه من رقائق القديم.

فسبحان مَنْ لا فاعل سِوَاهُ، ولا موجود لنفسه (من نفسه) إِلَّا إِيَّاهُ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾²
﴿وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾³ ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁴.

الشهادة الثانية

وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي- بتوحيده، فكذلك أشهده سبحانه-
وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي، بالإيمان بمن اصطفاه واختاره، واجتباه من وجوده، ذلك سيدنا
محمد ﷺ الذي أرسله إلى جميع الناس كافة ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَذَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾⁵.

فبلغ ﷺ ما أنزل من ربه إليه، وأدى أمانته، ونصح أمته، ووقف في حجة وداعه، على كل من حضر-
من أتباعه. فخطب وذكر، وخوف وحذر، وبشر وأنذر، ووعد وأوعد، وأمطر وأرعد، وما خص بذلك
التذكير أحدا من أحد، عن إذن الواحد الصمد. ثم قال: «ألا هل بلغت؟»- فقالوا: «بلغت، يا رسول
الله» فقال ﷺ: «اللهم، اشهد»⁶.

وإني مؤمن بكل ما جاء به ﷺ بما علمت وما لم أعلم. ثم ما⁷ جاء به فقرر أن الموت عن أجل مستق
عند الله، إذا جاء لا يؤخر، فأنا مؤمن بهذا، إيمانا لا ريب فيه ولا شك.

كما آمنت وأقررت أن سؤال فتاني القبر حق. وعذاب القبر حق. وبعث الأجساد من القبور حق.
والعرض على الله تعالى- حق. والحوض حق، والميزان حق، وتطير الصحف حق، والصراط حق،
والجنة حق، والنار حق، و"فريقا في الجنة وفريقا في النار" حق، وكذب ذلك اليوم، حق على طائفة،
وطائفة أخرى: ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾⁸.

وشفاعة الملائكة والنبئين والمؤمنين، وإخراج أرحم الراحمين، بعد الشفاعة من النار من شاء حق،
وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق، والتأييد
للمؤمنين والمؤحدين، في النعيم المقيم في الجنان حق. والتأييد لأهل النار في النار حق، وكل ما جاءت به

1 ص 63

2 [الصفات : 96]

3 [الأنبياء : 23]

4 [الأنعام : 149]

5 [الأحزاب : 45، 46]

6 صحيح البخاري 1625، صحيح مسلم 3180

7 ص 63

8 [الأنبياء : 103]

الكتب والرسول من عند الله عَلم أو مجمل - حق.

فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤدّيها إذا سُئِلها، حيثما كان.

نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان، وثبتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان، وأحلنا منها دار الكرامة والرضوان، وحال بيننا وبين دار سرايلها القطران، وجعلنا من العصاة التي أخذت الكتب¹ بالإيمان، ومن انقلب من الحوض وهو ريان، ونُقِل له الميزان، وثبّت له، على الصراط، القدمان؛ إنّه المنعم الحسان.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾².

فهذه "عقيدة العوام من أهل الإسلام"، أهل التقليد وأهل النظر، ملخّصة، مختصرة.

ثم أتوها -إن شاء الله- "بعقيدة الناشئة الشاذية"، ضمنتها اختصار "الاقتصاد"³، بأوجز عبارة. نبّهت فيها على ما أخذ الأدلة لهذه الملة. مسجعة الألفاظ، وسميتها بـ"رسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم". ليسهل على الطالب حفظها. ثم أتوها "بعقيدة خواص أهل الله"، من أهل طريق الله من المحقّقين - أهل الكشف والوجود. وجردتها أيضا في جزء آخر سميتها: "المعرفة". وبه انتهت مقدّمة الكتاب.

وأما التصريح بـ"عقيدة الخلاصة"، فما أفردتها على التعيين، لما فيها من الغموض. لكن جئت بها مبدّدة في أبواب هذا الكتاب، مستوفاة، مبيّنة، لكنّها، كما ذكرنا، متفرّقة. فمن رزقه الله الفهم فيها، يعرف أمرها، ويميّزها من غيرها. فإنّه العلم الحقّ، والقول الصدق. وليس وراءها مرمى. ويستوي فيها البصير والأعمى. تلجج الأبعاد بالأداني، وتلجم الأسافل بالأعالي. والله الموفق لا ربّ غيره.

1 ص 64

2 [الأعراف : 43]

3 لعله يقصد كتاب: الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي.

وصل¹:

الناشع والشادي في العقائد

قال الشادي: اجمع أربعة نفر من العلماء في "قبة أزين" تحت خط الاستواء. الواحد مغربي، والثاني مشرقي، والثالث شامي، والرابع يمني. فتجاوزوا في العلوم، والفرق بين الأسماء والرسوم. فقال كل واحد منهم لصاحبه: "لا خير في علم لا يعطي صاحبه سعادة الأبد، ولا يقدّس حامله عن تأثير الأمد. فلنبحث في هذه العلوم، التي بين أيدينا، عن العلم الذي هو أعزّ ما يُطلب، وأفضل ما يكتسب، وأسنّى ما يُدخّر، وأعظم ما به يُفتخر".

فقال المغربي: عندي من هذا العلم، العلم بالحامل القائم.

وقال المشرقي: عندي منه، العلم بالحامل المحمول اللازم.

وقال الشامي: عندي من هذا العلم، علم الإبداع والتركيب.

وقال اليمني: عندي من هذا العلم، علم التخليص والترتيب.

ثم قالوا: ليُظهِرَ كل واحد منّا ما وعاه، وليكشف عن حقيقة ما ادّعاه.

* * *

الفصل الأوّل

في معرفة الحامل القائم باللسان القرزي

قام الإمام المغربي وقال: لي التقدّم من أجل مرتبة علمي، فالحكم² في الأوليات حكيم. فقال له الحاضرون: تكلم وأوجز، وكن البليغ المعجز. باب: الحادث له سبب³.

فقال: اعلموا أنّه ما لم يكن ثمّ كان، واستوتت في حقّه الأزمان، أنّ المكوّن يُلزّمه في الآن.

باب: حكم ما لا يخلو من الحوادث:

ثمّ قال: كل ما لا يستغني عن أمر ما، فحكمه حكم ذلك الأمر، ولكن إذا كان من عالم الخلق والأمر؛ فليصرف الطالب النظر إليه، وليعول الباحث عليه.

باب: إثبات البقاء واستحالة عدم القديم:

1 ص 64

2 ص 65

3 هذا العنوان والعناوين التالية له مكتوبة بخط الأصل ولكن في الهامش الأيمن أمام موضوع كل منها.

ثم قال: من كان الوجود يلزمه؛ فإنه يستحيل عدمه. والكانن لم يكن - يستحيل قدمه، ولو لم يستحيل عليه العدم؛ لصحبه المقابل في القدم. فإن كان المقابل لم يكن، فالمجز في المقابل مستكين. وإن كان، كان يستحيل على هذا الآخر "كان". ومحال أن يزول بذاته؛ لصحة الشرط وإحكام الرنط.
باب: الكون والظهور:

ثم قال: وكل ما ظهر عينه ولم يوجب حكماً، فكونه ظاهرًا محال؛ فإنه لا يفيد علمًا.

باب: إبطال انتقال العرض وعدمه لنفسه:

ثم قال: ومن¹ الحال عليه تعمیر المواطن؛ لأن رحلته، في الزمن الثاني من زمان وجوده، لنفسه؛ وليس بقاطن. ولو جاز أن ينتقل؛ لقام بنفسه واستغنى عن المحل. ولا يُعديمه ضدًا لاتصافه بالفقد، ولا الفاعل، فإن قولك: فعل لا شيء، لا يقول به عاقل.

باب: إبطال حوادث لا أول لها:

ثم قال: من توقّف وجوده على فناء شيء؛ فلا وجود له حتى يفنى، فإن وجد فقد فني ذلك الشيء المتوقّف عليه، وحصل المعنى. من تقدمه شيء فقد انحصر دونه وتقيّد، ولزمه هذا الوصف ولو تأبّد. فقد ثبت العين بلا مين².

باب: القدم:

ثم قال: ولو كان حكم المسند إليه حكم المسند؛ لما تناهى القدد، ولا صحّ وجود من وجد.

باب: ليس بجوهر:

ثم قال: ولو كان ما أثبتناه يُخلي ويُتلي لكان يتلى ولا يتلى.

باب: ليس بجسم:

ثم قال: ولو كان يقبل التركيب لتحلّل، أو التأليف (ل)ضمحل. وإذا وقع التائل سقط التفاضل.

باب³: ليس بعرض:

ثم قال: ولو كان يستدعي وجوده سواء ليقوم به؛ لم يكن ذلك السوى مستندًا إليه. وقد صحّ إليه استناده؛ فباطل أن يتوقّف عليه وجوده وقد قيده إيجاده. ثم إنّه: وصف الوصف، محال؛ فلا سبيل إلى هذا العقّد بحال.

باب: نفي الجهات:

1 ص 65

2 المين: الكذب.

3 ص 66

ثم قال: الكثرة وإن كانت فانية، فليست ذات ناحية. إذا كانت الجهات إلي، فكفها علي، وأنا منها خارج عنها. وقد كان ولا أنا؛ فقيم التشغيب والغنا؟
باب: الاستواء:

ثم قال: كل من استوطن موطنًا؛ جازت عنه رحلته، وثبتت نقلته. من حاذى بذاته شيئًا؛ فإن التثليث يحده ويُقدّره. وهذا يناقض ما كان العقل من قبل يُقرّره.
باب: الأحديّة:

ثم قال: لو كان لا يوجد شيء إلا عن مستقلين اتفاقًا واختلافًا؛ لما رأينا في الوجود افتراقًا وائتلافًا. والمقدّر، حكمه حكم الواقع. فإذن؛ التقدير هنا للمنازع ليس بنافع.
باب: في الرؤية:

ثم قال: إذا وجد الشيء في عينه، جاز أن يراه ذو العين بعينه، المقيّدة بوجهه الظاهر وجفّنه. وما ثمّ علّة توجب الرؤية، في مذهب أكثر الأشعرية، إلا الوجود، بالبنية وغير البنية، ولا بدّ من البنية. ولو كانت الرؤية تؤثر في المرئي؛ لأحلناها. فقد بانّت المطالب بأدلتها، كما ذكرناها.
ثم صلى (الإمام المغربي) وسلم، بتعدّد ما حمّد. وقعد. فشكره الحاضرون على إيجازه في العبارة، واستيفائه المعاني في دقيق الإشارة.

الفصل الثاني

في معرفة الحامل المحمول اللازم باللسان المشرقيّ

باب: القدرة:

ثم قام المشرقيّ وقال: تكوين الشيء من الشيء؛ مَبْلٌ. وتكوينه من لا شيء؛ اقتدار الأزل. ومن لم يمتنع عنك؛ فقدرتك نافذة فيه، ولم تنزل.

باب: العلم:

ثم قال: إيجاد إحكام في محكم؛ يثبت بحكمه وجود علم المُحكّم.

باب: الحياة:

ثم قال: والحياة في العالم؛ شرط لازم ووصف قائم.

باب¹: الإرادة:

ثم قال: الشيء إذا قَبِلَ التقدُّمَ والمناص²؛ فلا بدّ من مَخَصَّصٍ لوقوع الاختصاص. وهو عين الإرادة في حكم العقل والعادة.

باب: الإرادة الحادثة:

ثم قال: ولو أراد المرید بما لم يكن؛ لكان ما لم يكن مرادًا بما لم يكن.

باب: إرادة لا في محل:

ثم قال: من المحال أن توجب المعاني أحكامها في غير من قامت به؛ فانتبه.

باب: الكلام:

ثم قال: من تحدّث في نفسه بما مضى، فذلك الحديث ليس بإرادة؛ به حكم الدليل على الكلام وقضى.

باب: قدم العلم:

ثم قال: التقديم لا يقبل الطارئ فلا تُثار. ولو أحدث في نفسه ما ليس منها؛ لكان، بعدم تلك الصفة، ناقصًا عنها. ومن ثبت كماله بالعقل والنص؛ فلا يُنسب إليه النقص.

باب: السمع والبصر:

ثم قال: لو لم يصرك ولم يسمعك؛ لجهل كثيرًا منك. ونسبة الجهل إليه محال. فلا سبيل إلى نفي هاتين الصفتين عنه بحال. ومن ارتكب القول³ بنفيها؛ ارتكب محوفا: لما يؤدّي إلى كونه مؤوفا⁴.

باب: إثبات الصفات:

ثم قال: من ضرورة الحكم أن يوجه معنى. كما (أنّ) من ضرورة المعنى، الذي لا يقوم بنفسه، استدعاء مَعْنَى. فيا أيها المجادل؛ كم ذا تتعنى؟ ما ذاك إلا لخوفك من العدد. وهذا لا يبطل حقيقة الواحد والأحد. ولو علمت أنّ العدد هو الأحد؛ ما شرعْتَ في منازعة أحد.

(قال المشرقي): فهذا قد أثبتت عن الحامل المحمول، العارض واللازم، في تقاسيم هذه المعالم. ثمّ قعد.

1 ص 67

2 ناص يتوصّص مَنَصًّا ومَنَصًّا: نَجًّا. وفي التنزيل: ولا تَجِبَنَّ مَنَاصِرٌ؛ أي وقت مَطْلَبٍ ومَغَابٍ، وقيل: معناه أي اشتغلتوا وليس ساعة ملجأ ولا مهرب. والتَّوَصُّصُ: التَّوَصُّصُ. والمَنَاصِرُ: المَنَاصِرُ. والمَنَاصِرُ: المَلْجَأُ والمَقَرُّ. وناص عن قرنه يتوصّص مَنَصًّا ومَنَصًّا أي فُرٌّ وراغ. (لسان العرب)

3 ص 67

4 في الهامش تعريف، المؤوف: ذو الآفة.

الفصل الثالث في معرفة الإبداع والتركيب باللسان الشامي

باب: العالم خلق الله:

ثم قام الشامي وقال: إذا تماثلت المحدثات، وكان تعلق القدرة بها لجُزء الذات، فبأي دليل يخرج عنها بعض الممكنات؟

باب: الكسب:

ثم قال: لَمَا كانت الإرادة تتعلق بمرادها حقيقة، ولم تكن القدرة الحادثة مثلها لاختلال في الطريقة؛ فذلك هو الكسب. فكَتَسَبَ العبدُ وَقَدَّرَ الربُّ. ويتبين ذلك بالحركة الاختيارية، والرعدة الاضطرارية.

باب¹: الكسب مراد الله:

ثم قال: القدرة من شرطها الإيجاد، إذا ساعدها العلم والإرادة. فإياك والعادة. كل ما أدى إلى نقص الألوهة فهو مردود. ومن جعل، في الوجود الحادث، ما ليس بمراد الله؛ فهو من المعرفة مطرود، وباب التوحيد في وجهه مسدود. وقد يراد الأمر، ولا يراد المأمور به. وهو الصحيح، وهذا غاية التصريح.

باب: لا يجب خلق العالم:

ثم قال: من أوجب على الله أمراً؛ فقد أوجب عليه حد الواجب. وذلك على الله محال، في صحيح المذاهب. ومن قال بالوجوب لسبق العلم؛ فقد خرج عن الحكم، المعروف عند العلماء في الواجب، وهو صحيح الحكم.

باب: تكليف ما لا يطاق:

ثم قال: تكليف ما لا يطاق جائر عقلاً. وقد عاينا ذلك مشاهدةً وثقلاً.

باب: إيلام البريء ليس بظلم في حق الله:

ثم قال: من لم يخرج شيء على الحقيقة عن ملكه؛ فلا يتصف بالجور والظلم فيما يجربه من حكمه في ملكه.

باب: الحسن والقبح:

ثم قال: من هو مختار فلا يجب عليه رعاية الأصلح. وقد ثبت ذلك وصح. التقيح² والتحسين (ثابتان فقط) بالشرع والغرض. ومن قال: إن الحسن والقبح لذات الحسن والقبح؛ فهو صاحب حمل غرض.

1 ص 68

2 ص 68 ب

باب: وجوب معرفة الله:

ثم قال: إذا كان وجوب معرفة الله وغير ذلك، من شَرْطِهِ، ارتباطاً الصُّرر بتركه في المستقبل؛ فلا يصحّ الوجوب بالعقل؛ لأنّه لا يُعقل.

باب: بعث الرسل:

ثم قال: إذا كان العقل يستقلّ بنفسه في أمرٍ، وفي أمرٍ لا يستقلّ؛ فلا بدّ من مُوصِّل إليه مستقلّ: فلمْ تَسْتَحِلْ بعثة الرُّسُل، وأنهم أعلم الخلق بالغايات والشبئل.

باب: إثبات رسالة رسول بعينه:

ثم قال: لو جاز أن يجيء الكاذب بما جاء به الصادق؛ لانتقلت الحقائق. ولتبدلت القدرة بالعجز، ولاستند الكذب إلى حضرة العزّ. وهذا كلّه محال، وغاية الضلال؛ بما ثبت (أنّ) الواحد الأوّل يثبت الثاني، في جميع الوجوه والمعاني.

الفصل الرابع

في معرفة التخليص والترتيب باللسان البهني

باب: الإعادة:

ثم قام البهني وقال: من¹ أفسد شيئاً بعد ما أنشأه؛ جاز أن يعيده كما بدأه.

باب: سؤال القبر وعذابه:

ثم قال: إذا قامت اللطيفة الروحانية بجزء ما من الإنسان، فقد صحّ عليه اسم الحيوان. النائم يرى ما لا يراه اليقظان، وهو إلى جانبه، لاختلاف مذاهبه. من قامت به الحياة؛ جازت عليه اللذة والألم. فما لك لا تلتزم؟

باب: الميزان:

ثم قال: البديلُ من الشيء يقوم مقامه، ويوجب له أحكامه.

باب: الصراط:

ثم قال: من قدر على إمساك الطير في الهواء، وهي أجسام، قدر على إمساك جميع الأجرام.

باب: خلق الجنة والنار:

ثم قال: قد كملت النشأة، واجتمعت أطراف النائرة، قبل حلول الدائرة.

باب: وجوب الإمامة:

ثم قال: إقامة الدين هو المطلوب، ولا يصح إلا بالأمان: فاتخاذ الإمام واجب في كل زمان.

باب: شروط الإمامة:

ثم قال: إذا تكاملت الشرائط؛ صح العقد، ولزم العالم الوفاء بالعهد. وهي (أي الشرائط): الذكورية، والبلوغ، والعقل، والعلم، والحريّة، والورع، والنجدة، والكفاية، ونسب قريش، وسلامة حاسة السمع والبصر. وهذا قال بعض أهل العلم والنظر.

باب: إذا تعارض إمامان:

ثم قال: إذا تعارض إمامان؛ فالعقد للأكثر أتباعه. وإذا تعذر خلع إمام ناقص؛ لتحقق وقوع فساد شامل؛ فإبقاء العقد له واجب، ولا يجوز إرداعه.

* * *

قال الشاذلي: فوفى كل واحد من الأربعة ما اشترط، وانتظم الوجود وارتبط².

وصل

في اعتقاد أهل الاختصاص من أهل الله بين نظر وكشف

الحمد لله محيّر العقول في نتائج المهم، وصلّى الله على محمد وعلى آله وسلّم.

(حدّ العقول)

- مسألة: أما بعد فإنّ للعقول حدًا تفق عنده من حيث ما هي مفكّرة، لا من حيث ما هي قابلة. فنقول في الأمر الذي يستحيل عقلا: قد لا يستحيل نسبةً إلهية. كما نقول فيما يجوز عقلا: قد يستحيل نسبةً إلهية.

* * *

(المناسبة بين الحقّ والممكن)

- مسألة: أيّة³ مناسبة بين الحقّ، الواجب الوجود بذاته، وبين الممكن، وإن كان واجبا به عند من يقول بذلك، لاقتضاء الذات أو لاقتضاء العلم؟ وما أخذها الفكرية إنما تقوم صحيحة من البراهين الوجودية. ولا بدّ بين الليل والمدلول والبرهان والمبرهن عليه، من وجوه به يكون التعلّق، له نسبة إلى الليل، ونسبة إلى

1 ص 69

2 بالهامش: "سبح إلى هنا محمد بن علي بن محمد المطرز بقراءتي على مولفه شيخنا أحسن الله إليه. كتبه أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي وذلك من البلاغ". (وبخط آخر): "بلغ قراءة لأحمد الطوي على المؤلف".

3 ص 70

المدلول عليه بذلك الدليل¹. ولولا ذلك الوجه ما وصل دالٌّ إلى مدلولٍ دليله أبدا. فلا يصحّ أن يجمع الخلق والحقُّ في وجه أبدا من حيث الذات، لكن من حيث أنّ هذه الذات منعوتة بالألوهة؛ فهذا حكم آخر تستقلّ العقول بإدراكه.

وكلّ ما يستقلّ العقل بإدراكه، عندنا، يمكن أن يتقدّم العلم به على شهوده. وذات الحقّ تعالى- باثنة عن هذا الحكم؛ فإنّ شهودها يتقدّم على العلم بها. بل تُشهد ولا تُعلم. كما أنّ الألوهة تُعلم ولا تُشهد. والذات تقابلها. وكَم من عاقل، ممن يدعي العقل الرصين من العلماء النظّار، يقول: إنّه حصل على معرفة الذات، من حيث النظر الفكريّ. وهو غالط في ذلك. وذلك لأنّه متردّد بفكره، بين السلب والإثبات. فالإثبات راجع إليه: فإنّه ما أثبت للحقّ (أي) الناظر، إلّا ما هو الناظر عليه: من كونه عالما، قادرا، مريدا، إلى جميع الأسماء. والسلب راجع إلى² العدم والنفي. والنفي لا يكون صفة ذاتية، لأنّ الصفات الذاتية للموجودات إنما هي ثبوتية. فما حصل لهذا المفكّر، المتردّد بين الإثبات والسلب، من العلم بالله شيء.

(لا يمكن للمقيّد أن يعرف المطلق)

- مسألة: أتى للمقيّد بمعرفة المطلق، وذاتّه لا تقتضيه؟ وكيف يمكن أن يصل الممكن إلى معرفة الواجب بالذات، وما من وجه للممكن إلّا ويجوز عليه العدم والذئور والافتقار؟ فلو جمع، بين الواجب بذاته وبين الممكن وجه؛ لجاز على الواجب ما جاز على الممكن من ذلك الوجه من الذئور والافتقار. وهذا في حقّ الواجب محال. فإثبات وجه جامع، بين الواجب والممكن، محالّ. فإنّ وجوه الممكن تابعة له. وهو، في نفسه، يجوز عليه العدم: فتابعه أخرى وأحقّ بهذا الحكم.

و(أيضا لو جمع بين الواجب لذاته وبين الممكن وجه ل) ثبت للممكن ما ثبت للواجب بالذات، من ذلك الوجه الجامع. وما ثمّ شيء ثبت للممكن من حيث ما هو ثابت للواجب بالذات. فوجود وجه جامع، بين الممكن والواجب بالذات³، محال.

(للألوهة أحكام)

- مسألة: لكنّي أقول: إنّ للألوهة أحكاما وإن كانت حكما. وفي صور هذه الأحكام يقع التجلّي في الدار الآخرة حيث كان. فإنّه قد اختلف في⁴ رؤية النبي ﷺ ربه كما ذكر. وقد جاء حديث النور الأعظم في

1 "عليه بذلك البليل" ثابتة في الهامش

2 ص 70 ب

3 لفظ "بالذات" في الهامش وبخط الأصل مع إشارة التصويب.

4 ص 71

رفرف الدرّ والياقوت، وغير ذلك.

(الحكم الإرادي والاختياري)

- مسألة: أقول بالحكم الإرادي، لكنّي لا أقول بالاختيار. فإنّ الخطاب بالاختيار الوارد، إنّما ورد من حيث النظر إلى الممكن، معرّى عن علّته وسببته.

(كان الله ولا شيء معه)

- مسألة: فأقول بما أعطاه الكشف الاعتصامي: «إنّ الله كان ولا شيء معه»¹. إلى هنا انتهى لفظه ~~العلم~~، وما أتى بعد هذا؛ فهو مدّرج فيه. وهو قولهم: "وهو الآن على ما عليه كان" يريدون في الحكم. ف"الآن" و"كان" أمران عاتدان علينا؛ إذ بنا ظهوراً وأمثالهما. وقد انتفت المناسبة.

والمقول عليه: «كان الله ولا شيء معه»² إنّما هو "الألوهة" لا "الذات". وكلّ حكم يثبت، في باب العلم الإلهي، للذات إنّما هو للألوهية، وهي أحكام نسب وإضافات وسلوب: فالكثرة في النسب، لا في العين. وهنا زلت أقدام من شرك، بين من يقبل التشبيه (وهي الألوهية) وبين من لا يقبله (وهي الذات)، عند كلامهم في الصفات. واعتمدوا في ذلك على الأمور الجامعة، التي هي الدليل والحقيقة والمعلّة والشرط. وحكوا بها غائباً وشاهداً. فأما شاهداً فقد³ نسلم، وأما غائباً فغير مسلم.

(بجر العماء برزخ بين الحقّ والخلق)

- مسألة: بجر العماء برزخ بين الحقّ والخلق. في هذا البحر اتّصف الممكن بـ"عالم"، و"قادر"، وجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا، واتّصف الحقّ بالتعجب، والتبشيش، والضحك، والفرح، والمعيّة، وأكثر النعوت الكونية. فَرَدَّ ما له، وخذ ما لك. فله النزول، ولنا المعراج.

(الوصول إليه به وبك)

- مسألة: من أردت الوصول إليه، لم تصل إليه إلّا به وبك: بك؛ من حيث طلبك، وبه؛ لأنّه موضع قصدك. فالألوهة تطلب ذلك، والذات لا تطلبه.

1 المستدرک علی الصحیحین للحاکم 3265، المعجم الكبير للطبراني 14904

2 المستدرک علی الصحیحین للحاکم 3265، المعجم الكبير للطبراني 14904

(المتوجّه على إيجاد كلّ ما سيؤى الله تعالى- هو الألوهة)

- مسألة: المتوجّه على إيجاد كلّ ما سيؤى الله تعالى- هو الألوهة، بأحكامها ونسبها وإضافاتها، وهي التي استدعت الآثار. فإنّ قاهرا بلا مقهور، وقادرا بلا مقدور صلاحية، ووجودا، وقوة، وفعلا- محال.

* * *

(نمت الألوهة الأخص)

- مسألة: النمت الخاصّ الأخصّ، التي انفردت به الألوهة، كونها قادرة، إذ لا قدرة لممكن أصلا، وإنما له التمكن من قبول تعلق الأثر الإلهيّ به.

* * *

(الكسب)

- مسألة: الكسب تعلقُ إرادة² الممكن بفعليّ ما، دون غيره؛ فيوجده الاقتدار الإلهيّ عند هذا التعلق، فسبّي ذلك: "كسبا" للممكن.

* * *

(الجبر)

- مسألة: الجبر لا يصحّ عند المحقّق، لكونه ينافي² صحّة الفعل للعبد. فإنّ الجبر تخلّ الممكن على الفعل مع وجود الإباية من الممكن. فالجماد ليس بمجبور؛ لأنّه لا يتصوّر منه فعل، دلالة عقل عادي. فالممكن ليس بمجبور؛ لأنّه لا يتصوّر منه فعل دلالة عقل محقّق، مع ظهور الآثار منه.

(تقضي الألوهة أن يكون في العالم بلاء وعافية)

- مسألة: الألوهة تقضي أن يكون في العالم بلاء وعافية. فليس إزالة "المنتقم" من الوجود بأوّل من إزالة "الغافر" و"ذي العفو" و"المنعم". ولو بقي من الأسماء ما لا حكم له، لكان معطلا، والتعطيل في الألوهة محال: فعدم أثر الأسماء محال.

* * *

(المدرّك والمدرك)

- مسألة: المدرّك والمدرك، كلّ واحد منهما على ضريبن: مدرّك يعلم وله قوّة التخيل، ومدرك يعلم وما له قوّة التخيل. والمدرك يفتح الرء- على ضريبن: مدرّك له صورة، يعلمه بصورته من ليس له قوّة التخيل ولا

1 ص 72

2 ق، سن: "لا ينافي" والترجيح من هـ

يتصوّره، ويعلمه ويتصوّره مَنْ له قوّة التخيّل، ومدرك ما له صورة: يُعلم فقط.

(العلم)

- مسألة¹: العلم ليس تصوّر المعلوم، ولا هو المعنى الذي يتصوّر المعلوم. فإنّه ما كلّ معلوم يتصوّر، ولا كلّ عالم يتصوّر، فإنّ التصوّر للعالم إنّما هو من كونه متخيلاً. والصورة للمعلوم أن تكون على حالة يمسه الخيال. وثمّ معلومات لا يمسه خيال أصلاً. فثبت أنّها لا صورة لها.

(الفعل من الممكن)

- مسألة: لو صحّ الفعل من الممكن؛ لَصَحَّ أن يكون قادراً. ولا يفعل له؛ فلا قدرة له. فأثبت القدرة للممكن؛ دعوى بلا برهان. وكلامنا في هذا الفصل مع الأشاعرة المثبتين لها، مع نفي الفعل عنها.

(لا يصدر عن الواحد إلا واحد)

- مسألة: لا يصدر عن الواحد من كلّ وجه إلا واحد. وهل ثمّ من هو على هذا الوصف أم لا؟ في ذلك نظر للمنصف. ألا ترى الأشاعرة، ما جعلوا الإيجاد للحقّ إلا من كونه قادراً، والاختصاص من كونه مريداً، والإحكام من كونه عالماً؟ وكون الشيء مريداً ما هو عين كونه قادراً. فليس قولهم بعد هذا: "إنّه واحد من كلّ وجه" صحيحاً في التعلّق العام. وكيف، وهم مُثبتو الصفات زائدة على الذات، قائمة به تعالى-؟ وهكذا القائلون بالنسب والإضافات.

وكلّ فرقة من الفرق، ما تخلّصت لهم الوحدة من² جميع الوجوه. إلا أنّهم بين مُلزم، من مذهبه القول بعدمها، وبين قائل بها. فأثبتت الوحدة إنّما ذلك في الألوهية، أي: "لا إله إلا هو" وذلك صحيح، مدلول عليه.

(الصفات نسب وإضافات)

- مسألة: كون البارئ عالماً، حيّاً، قادراً، إلى سائر الصفات (كلّ ذلك) نسب وإضافات له، لا أعياناً زائدة، لما يؤدّي إلى نعتها (به) بالنقص: إذ الكامل بالزائد، ناقص بالذات عن كماله بالزائد. وهو (تعالى)

1 ص 72 ب

2 ص 73

كامل لئاته. فالزائد بالذات على الذات محال، وبالتسبب والإضافة ليس محال.
وأما قول القائل: "لا هي هو، ولا هي أغيّز له"؛ فكلام في غاية البعد. فإنه قد دلّ صاحب هذا
المذهب على إثبات الزائد - وهو الغير - بلا شك. إلا أنه أنكر هذا الإطلاق لا غير. ثم تحكّم في الحدّ بأن
قال: الغيران هما اللذان يجوز مفارقة أحدهما الآخر: مكانا وزمانا، ووجودا وعدما. وليس هذا بحدّ للغيرين،
عند جميع العلماء به.

(تعدّد التعلّقات)

- مسألة: لا يؤثر تعدّد التعلّقات من المتعلق، في كونه واحدا في نفسه. كما لا يؤثر تقسيم المتكلم به في
أحدية الكلام.

(تعدّد الصفات النائية)

- مسألة: الصفات النائية، للموصوف بها، وإن تعدّدت، فلا تدلّ على تعدّد الموصوف في¹ نفسه، لكونها
مجموع ذاته، وإن كانت معقولة، في التميّز، بعضها من بعض.

(الصور عرّض في الجوهر)

- مسألة: كلُّ صورة في العالم، عرّض في الجوهر، وهي التي يقع عليها الخلع والسلخ. والجوهر واحد.
والقسمة في الصورة، لا في الجوهر.

(وجود الكثرة عن المعلول الأول)

- مسألة: قول القائل: إنما وجد عن المعلول الأول الكثرة، وإن كان واحدا، لاعتبارات ثلاثة وُجِدَت فيه،
وهي: عظمه علته، ونفسه، وإمكانه. فنقول لهم: ذلكم يلزمكم في العلة الأولى، أعني وجود اعتبارات فيه،
وهو واحد، فلم منعتم أن لا يصدر عنه إلا واحد؟ فأما أن تلتزموا صدور الكثرة عن العلة الأولى، أو
صدور واحد عن المعلول الأول. وأتم غير قائلين بالأمرين.

(الحق تعالى لا يكون علّة لشيء)

- مسألة: من وجب له الكمال الذاتي والغنى الذاتي، لا يكون علّة لشيء؛ لأنه يؤدّي كونه علّة توقّفه على المعلول، والذات منزّهة عن التوقّف على شيء؛ فكونها علّة محال. لكن الألوّهة قد تقبل الإضافات. فإن قيل: إنما يطلق الإله على من هو كامل الذات، غنيّ الذات، لا نريد الإضافة ولا النسب. قلنا: لا مُشاحّة في اللفظ.

بخلاف العلّة¹، فإنّها، في أصل وضعها ومن معناها، تستدعي معلولا. فإن أريد بالعلّة ما أراد هذا بالإله، فسلم، ولا يبقى نزاع في هذا اللفظ إلا من جهة الشرع: هل يمنع، أو يبيح، أو يسكت؟.

(سرّ الألوّهة)

- مسألة: الألوّهة مرتبة للذات، لا يستحقّها إلا الله. فطلبت مستحقّها، ما هو طلبها. والمألوه يطلبها، وهي تطلبه. والذات غنيّة عن كلّ شيء. فلو ظهر هذا السرّ، الرابط لما ذكرنا؛ لبطلت الألوّهة، ولم يطل كمال الذات. و"ظهر" هنا بمعنى زال. كما يقال: ظهوروا عن البلد؛ أي ارتفعوا عنه. وهو قول الإمام: "للألوّهية سرٌّ لو ظهر لبطلت الألوّهية".

(لا يتغيّر العلم بتغيّر المعلوم)

- مسألة: العلم لا يتغيّر بتغيّر المعلوم، لكن التعلّق يتغيّر. والتعلّق نسبة إلى معلوم ما. مثاله: تعلّق العلم بأنّ زيدا سيكون فكان. فتعلّق العلم بكونه كائنا في الحال، وزال تعلّق العلم باستئناف كونه. ولا يلزم من تغيّر التعلّق تغيّر العلم. وكذلك لا يلزم من تغيّر المسموع والمرئيّ تغيّر الرؤية والسمع.

(معلوم العلم لا يتغيّر)

- مسألة: ثبت أنّ العلم لا يتغيّر، فالمعلوم أيضا لا يتغيّر. فإنّ معلوم العلم إنما هو نسبة لأمرين معلومين محقّقين. فالجسم معلوم لا يتغيّر أبدا²، والقيام معلوم لا يتغيّر، ونسبة القيام للجسم هي المعلومة، التي ألحق بها التغيّر. والنسبة أيضا لا تتغيّر. وهذه النسبة الشخصية أيضا لا تكون لغير هذا الشخص: فلا تغيّر. وما تمّ معلوم أصلا سوى هذه الأربعة، وهي الثلاثة الأمور الحقّة: النسبة، والمنسوب، والمنسوب إليه، والنسبة الشخصية.

فإن قيل: إنما ألحقنا التغيير بالمنسوب إليه، لكونه رأيناه على حالة ما، ثم رأيناه على حالة أخرى. قلنا: لَمَا نظرت المنسوب إليه أمراً ما، لم تنظر إليه من حيث حقيقته، فحقيقته غير متغيرة، ولا من حيث ما هو منسوب إليه، فتلك حقيقة لا تتغير أيضاً. وإنما نظرت إليه من حيث ما هو منسوب إليه حالاً ما، فأذن؛ ليس المعلوم الآخر هو المنسوب إليه تلك الحالة التي قلت إنها زالت، فإنها لا تفارق منسوبها. وإنما هذا منسوب آخر إليه نسبة أخرى. فأذن؛ فلا يتغير علم ولا معلوم. وإنما العلم له تعلقات بالمعلومات، أو تعلق بالمعلومات؛ (قل) كيف شئت.

(العلم التصوري لا يكتسب)

- مسألة: ليس شيء من العلم التصوري مكتسباً¹ بالنظر الفكري. فالعلوم المكتسبة ليس إلا نسبة معلوم تصوري إلى معلوم تصوري². والنسبة المطلقة، أيضاً، من العلم التصوري. فإذا نسبت الاكتساب إلى العلم التصوري، فليس ذلك إلا من كونك تسمع لفظاً قد اصطلحت عليه طائفة ما لمعنى ما، يعرفه كل أحد. لكن لا يعرف كل أحد أن ذلك اللفظ يدل عليه. فلذلك يسأل عن المعنى الذي أطلق عليه هذا اللفظ؛ أي معنى هو؟ فيعيته له المسؤول بما يعرفه. فلو لم يكن عند السائل العلم بذلك المعنى، من حيث معنويته، والدلالة التي توصل بها إلى معرفة مراد ذلك الشخص بذلك الاصطلاح لذلك المعنى، ما قبلة وما عرف ما يقول. فلا بد أن تكون المعاني كلها مركوزة في النفس، ثم تتكشف له مع الآنات، حالا بعد حال.

(وَضَفُ الْعِلْمِ بِالْإِحَاطَةِ)

- مسألة: وَضَفُ الْعِلْمِ بِالْإِحَاطَةِ للمعلومات، يقضي بتناهيها. والتناهي فيها محال، فالإحاطة محال. لكن يقال: العلم محيطٌ بحقيقة كل معلوم، وإلا فليس معلوماً بطريق الإحاطة. فإنه من علم أمراً ما من وجه ما، لا من جميع وجوهه، فما أحاط به.

(رُؤْيَةُ الْبَصِيرَةِ وَرُؤْيَةُ الْبَصْرِ)

- مسألة: رؤْيَةُ الْبَصِيرَةِ عِلْمٌ، ورُؤْيَةُ الْبَصْرِ طريقٌ حصول علم. فكون الإله سميعاً بصيراً، تَعَلَّقَ تَفْصِيْلِي. فهما

1 ق: مكتسب
2 ص 75

حكمان للعلم. ووقعت التثنية¹ من أجل المتعلق، الذي هو المسموع والمبصر.

(الأزل)

- مسألة: الأزل نعتٌ سلبيّ، وهو نفي الأوليّة. فإذا قلنا: "أول" في حقّ الألوهة، فليس إلاّ المرتبة.

(حدث ما سيوى الله عند الأشاعرة)

- مسألة: دلّت (=استدلّت) الأشاعرة على حدوث كلّ ما سيوى الله، بحدوث المتحيّزات وحدث أعراضها. وهذا لا يصحّ حتى يقيموا الليل على حصر- كلّ ما سيوى الله تعالى- فيما ذكره. ونحن نسلمّ حدوث ما ذكروا حدوثه.

* * *

(الموجود اللاّ متحيّز)

- مسألة: كلّ موجود قائم بنفسه غير متحيّز -وهو ممكن- لا تجري مع وجوده الأزمنة، ولا تطلبه الأمكنة.

* * *

(الممكن الأوّل عند الأشاعرة)

- مسألة: دلالة الأشعري، في الممكن الأوّل، أنّه يجوز تقدّمه على زمان وجوده، وتأخّره عنه والزمان عنده، في هذه المسألة، مقدّر لا موجود- فالاختصاص دليل على التخصّص. فهذه دلالة فاسدة لعدم الزمان: فبطل أن يكون هذا دليلاً.

فلو قال: نسبة الممكنات إلى الوجود، أو نسبة الوجود إلى الممكنات، نسبةً واحدة، من حيث ما هي نسبة، لا من حيث ما هو ممكن. فاختصاص بعض الممكنات بالوجود، دون غيره من الممكنات، دليل على أنّ لها محضاً². فهذا هو عين حدوث كلّ ما سيوى الله.

* * *

(الزمان)

- مسألة: قول القائل: إنّ الزمان مدّة متوهّمة، تقطعها حركة الفلك، خُلف من الكلام؛ لأنّ المتوهم ليس بوجودٍ محقّق. وهم ينكرون على الأشاعرة تقدير الزمان في الممكن الأوّل. فحركات الفلك تقطع في لا شيء. فإن قال الآخر: إنّ الزمان حركة الفلك، والفلك متحيّز، فلا تقطع الحركة إلاّ في متحيّز.

* * *

(اللفظ المشترك عند الأشاعرة والمجسّمة)

- مسألة: عجبتُ من طائفتين كبيرتين: الأشاعرة والمجسّمة، في غلظهم في "اللفظ المشترك"، كيف جعلوه للتشبيه، ولا يكون التشبيه إلا بلفظة المثل، أو كاف الصفة بين الأمرين، في اللسان. وهذا عزيز الوجود في كلّ ما جعلناه تشبيها من آية أو خبر.

ثم إنَّ الأشاعرة تخيلت أنها لما تأولتْ قد خرجت من التشبيه، وهي ما فارقته، إلا أنها انتقلت من التشبيه بالأجسام إلى التشبيه بالمعاني الحديثة، المفارقة للنوع القديمة في الحقيقة والحدّ. فما انتقلوا من التشبيه بالهذات أصلا.

ولو قلنا بقولهم، لم تقل، مثلا، من الاستواء الذي هو الاستقرار، إلى الاستواء الذي هو الاستيلاء، كما عدلوا. ولا سيّما والعرش المذكور¹ في نسبة هذا الاستواء. ويطلق معنى الاستيلاء مع ذكر السرير، ويستحيل صرفه إلى معنى آخر يناهض الاستقرار.

فكنت أقول: إنَّ التشبيه، مثلا، إنما وقع بالاستواء والاستواء معنى - لا بالمستوى عليه²، الذي هو الجسم. والاستواء حقيقة، معقولة، معنوية، تنسب إلى كلّ ذات بحسب ما تعطيه حقيقة تلك الذات. ولا حاجة لنا إلى التكلف في صرف الاستواء عن ظاهره: فهذا غلط بيّن، لا خفاء به.

وأما المجسّمة، فلم يكن ينبغي لهم أن يتجاوزوا باللفظ الوارد إلى أحد محمّلاته، مع إيمانهم ووقوفهم مع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾³.

* * *

(الفحشاء بين القضاء والإرادة)

- مسألة: كما أنه تعالى - لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يريدّها، لكنّ قضاها وقدرها. بيان كونه لا يريدّها: لأنّ كونها فاحشة ليس عينها، بل هو حكم الله فيها. وحكم الله في الأشياء غير مخلوق. وما لم يجز⁴ عليه الخلق لا يكون مرادا. فإنّ الزمناه في الطاعة التزمناه، وقلنا: الإرادة للطاعة ثبتت سمعا لا عقلا، فأثبتوها في الفحشاء. ونحن قبلناها إيمانا، كما قبلنا وزن الأعمال وصورها، مع كونها أعراضا. فلا يقدح ذلك فيما ذهبنا إليه⁵، لما اقتضاه اللبيل.

* * *

1 ص 76 ت

2 ثابت في الهامش.

3 [الشورى: 11]

4 ق: يجز

5 ص 77

(العدمُ الذي للممكن)

- مسألة: العدمُ للممكن، المتقدّم بالحكم على وجوده، ليس بمراد. لكن العدم الذي يقارنه حكماً، حال وجوده أن لو لم يكن الوجود لكان ذلك العدم منسجياً عليه- هو مراد حال وجود الممكن، لجواز استصحاب العدم له. وعدم الممكن، الذي ليس بمراد، هو الذي في مقابلة وجود الواجب لذاته. لأنّ مرتبة الوجود المطلق، تقابل العدم المطلق الذي للممكن؛ إذ ليس له جواز وجود في هذه المرتبة. وهذا في وجود الألوهة لا غير.

(وجودُ قديم ليس بإله)

- مسألة: لا يستحيل، في العقل، وجودُ قديم ليس بإله؛ فإن لم يكن فن طريق السمع لا غير.

(تخصيص وجود الممكن)

- مسألة: كون الخصص مريدا لوجود ممكنٍ ما، ليس تخصيصه لوجوده من حيث هو وجود، لكن من حيث نسبته لممكنٍ ما، تجوز نسبته لممكنٍ آخر. فالوجود، من حيث الممكن مطلقاً، لا من حيث ممكنٍ ما، ليس بمراد ولا بواقع أصلاً إلا بممكنٍ ما. وإذا كان بممكنٍ ما فليس هو بمراد من حيث هو، لكن من حيث نسبته لممكنٍ ما، لا غير.

. . .

(السبب الخصص)

- مسألة: دلّ¹ الدليل على ثبوت السبب الخصص، ودلّ الدليل، مثلاً، على التوقيف فيما ينسب إلى هذا الخصص من نفي أو إثبات، كما قال لنا بعض النظار في كلام جرى بيني وبينه. فكنا نقف كما زعم. لكن دلّ الدليل على ثبوت الرسول من جانب المرسل. فأخذنا النسب الإلهية من الرسول. فكنا بأنّه كذا، وليس كذا. فكيف والدليل الواضح على وجوده، وأنّ وجوده عين ذاته، وليس بعلة لذاته لثبوت الافتقار إلى الغير، وهو الكامل بكلّ وجه؟ فهو موجود، ووجوده عين ذاته، لا غيرها.

. . .

(التعلقات الإلهية تمددت لحقائق التملقات)

- مسألة: افتقار الممكن للواجب بالذات، والاستغناء الناقئ للواجب دون الممكن، يستق: إلهاً. وتعلّقها (أي الذات الواجبة) بنفسها، وبحقائق كلّ محقق، وجوداً كان أو عدماً، يستق: علماً.

تعلّقها بالممكنات، من حيث ما هي الممكنات عليه، يستقى: اختيارا.

تعلّقها بالممكن، من حيث تقدّم العلم قبل كون الممكن، يستقى: مشيئة.

تعلّقها بتخصيص أحد الجائزين للممكن على التعيين، يستقى: إرادة.

تعلّقها بإيجاد الكون يستقى: قدرة.

تعلّقها بإسماع المكوّن لكونه، يستقى: أمرا. وهو على نوعين: بواسطة وبلا واسطة. فبارتفاع¹ الوسائط لا بدّ من نفوذ الأمر، وبالواسطة لا يلزم النفوذ، وليس بأمر في عين الحقيقة؛ إذ لا يقف لأمر الله شيء.

تعلّقها بإسماع المكوّن لصفه عن كونه، أو كون ما يمكن أن يصدر منه، يستقى: نهيّا. وصورته، في التقسيم، صورة الأمر.

تعلّقها بتحصيل ما هي عليه، هي أو غيرها من الكائنات، أو ما في النفس، يستقى: إخبارا.

فإن تعلّق بالكون على طريق أيّ شيء، يستقى: استفهاما.

فإن تعلّق به على جهة النزول إليه بصيغة الأمر، يستقى: دعاء. ومن باب تعلّق الأمر إلى هذا،

يستقى: كلاما.

تعلّقها بالكلام، من غير اشتراط العلم به، يستقى: سمعا.

فإن تعلّق، وتبع التعلّق الفهم بالمسموع، يستقى: فهما.

تعلّقها بكيفيّة النور، وما يحمله من المرتبات، يستقى: بصرا ورؤية.

تعلّقها بإدراك كلّ مدرك، الذي لا يصحّ تعلّق من هذه التعلّقات كلّها إلاّ به، يستقى: حياة.

والعين في ذلك كلّّه واحدة. (وإنما) تعدّدت التعلّقات لحقائق المتعلّقات، و(تعدّدت) الأساء ل(تعدّد

حقائق) المسمّيات.

* * *

(نور العقل ونور الإيمان)

- مسألة: للعقل نور تُدرّك به أمور مخصوصة، وللإيمان نورٌ به يدرك كلّ شيء ما لم يقم مانع. فبنور العقل تصل إلى معرفة الألوّهة، وما يجب لها ويستحيل²، وما يجوز منها فلا يستحيل ولا يجب. وبنور الإيمان، يدرك العقل معرفة الذات، وما نسب الحقّ إلى نفسه من النعوت.

(معرفة أحكام الذات)

- مسألة: لا يمكن، عندنا، معرفة كيفية ما يُنسب إلى النوات من الأحكام، إلا بعد معرفة النوات المنسوبة والمنسوب إليها، وحينئذ تعرف كيفية النسبة المخصوصة لتلك الذات المخصوصة: كالاستواء، والمعية، واليد، والعين، وغير ذلك.

* * *

(الأعيان لا تنقلب، والحقائق لا تبدل)

- مسألة: الأعيان لا تنقلب، والحقائق لا تبدل. فالنار تحرق بحقيقتها لا بصورتها. فقوله تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾¹ خطاب² للصورة وهي الجمرات. وأجرام الجمرات مُخرقة بالنار. فلما قام النار بها سميت نارا. فتقبل البرد كما قبلت الحرارة.

* * *

(البقاء)

- مسألة: البقاء استمرار الوجود، مثلا، على الباقي لا غير، ليس بصفة زائدة فيحتاج إلى بقاء ويتسلسل، إلا على مذهب الأشاعرة في الحدّث. فإنّ البقاء عرض، فلا يحتاج إلى بقاء، وإنما ذلك في بقاء الحقّ - تعالى-.

* * *

(الكلام واحد)

- مسألة: الكلام، من حيث ما هو كلام، واحد. والقسمة في المتكلم به، لا في الكلام. فالأمر³، والنهي، والخبر، والاستخبار، والطلب: واحد في الكلام.

* * *

(الاسم والمستى والتسمية)

- مسألة: الاختلاف في الاسم والمستى والتسمية، اختلاف في اللفظ. فأما قول من قال: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾⁴ و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾⁵ فكانتسبى بالسفر بالمصحف إلى أرض العدو. وأما القول في الحجّة به **أَسْمَاءُ**

1 [الأنبياء : 69]

2 ق: "خطابا" وفي الهامش بلم آخر: "خطاب" مع حرف ظ

3 ص 79

4 [الرحمن : 78]

5 [الأعلى : 1]

سَمِّيَتْهُمَا¹ على أن الاسم هو المستقَى، فالمعبود الأشخاص، فنسبة الألوهة عبدوا. فلا حجة في أن الاسم هو المستقَى، ولو كان لكان بحكم اللغة والوضع، لا بحكم المعنى.

(وجود الممكنات)

- مسألة: وجود الممكنات، لكمال مراتب الوجود الناقِي والعرفاني، لا غير.

* * *

(قسما وجود الممكن)

- مسألة: كل ممكن منحصرّ في أحد قسمين: في سترٍ أو تجلٍ. فقد وُجد الممكن على أقصى غاياته وأكملها، فلا أكمل منه. ولو كان الأكل لا يتناهى؛ لما تصوّر خلق الكمال. وقد وُجد مطابقا للحضرة الكمالية، فقد كل.

* * *

(انحصار المعلومات)

- مسألة: المعلومات منحصرة، من حيث ما تُدرك به، في حسّ ظاهر وباطن -هو الإدراك النفسي- وبدئية، وما تركّب من ذلك: عقلا إن كان معنى، وخيالا إن كان صورة. فالخيال لا يركّب إلا في الصور خاصة. فالعقل يعقل ما² يركّب الخيال، وليس في قوّة الخيال أن يصوّر بعض ما يركّبه العقل. وللاقتدار الإلهي يبرّ خارج عن هذا كلّهُ، يقف (العقل) عنده.

(الحسن والقبح)

- مسألة: الحسن والقبح، ذاتيّ للحسن والقبح. لكن منه ما يُدرك حسنه وقبحه، بالنظر إلى كمالٍ أو نقصٍ أو غرضٍ أو ملاءمة طبعٍ أو منافرةٍ أو وضع. ومنه ما لا يدرك قبحه ولا حسنه إلا من جانب الحقّ الذي هو الشرع. فنقول: هذا قبيح وهذا حسن. وهذا من الشرع خيرٌ لا حكم. ولهذا تقول بشرط الزمان والحال والشخص. وإنما شرطنا هذا، من أجل من يقول في القتل: ابتداء، أو قودا، أو حدًا، وفي إيلاج الذكر في الفرج: سفاحا ونكاحا.

فمن حيث هو إيلاج واحد، لسنا نقول كذلك، فإنّ الزمان مختلف، ولوازم النكاح غير موجودة في السفاح، وزمان تحليل الشيء ليس زمان تحرّمه، أن لو كان عينُ المحرمّ واحدا³. فالحركة من زيد في زمان

[1] الأعراف : 71

2 ص 79 ب

3 ق: واحد.

ما، ليس(ت) هي الحركة منه في الزمان الآخر، ولا الحركة التي من عمرو هي الحركة التي من زيد. فالقيح لا يكون حسنا أبدا. لأن تلك الحركة، الموصوفة بالحسن أو القبح، لا تمود أبدا. فقد علم الحق ما كان حسنا وما كان قبيحا، ونحن لا نعلم.

ثم إنه لا يلزم من الشيء إذا كان قبيحا أن يكون أثره قبيحا¹، (إذ) قد يكون أثره حسنا. والحسن أيضا كذلك، قد يكون أثره قبيحا: كحسن الصدق، وفي مواضع يكون أثره قبيحا، وكقبح الكذب، وفي مواضع يكون أثره حسنا. فتحقق ما نبهناك عليه تجد الحق.

(الليل والمملول)

- مسألة: لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المملول. فعلى هذا، لا يصح قول الحلوي: لو كان الله في شيء، كما كان في عيسى، لأحيا الموتى.

(الرضا بالقضاء والمقتضى)

- مسألة: لا يلزم الراضي بالقضاء الرضا بالمقتضى. فالقضاء حكم الله، وهو الذي أمرنا بالرضا به. والمقتضى (هو) المحكوم به، فلا يلزمنا الرضا به.

(الاختراع)

- مسألة: إن أريد بالاختراع حدوث المعنى المخترع في نفس المخترع - وهو حقيقة الاختراع - فذلك على الله محال. وإن أريد بالاختراع حدوث المخترع، على غير مثال سبقه في الوجود، الذي ظهر فيه، فقد يوصف الحق، على هذا، بالاختراع.

(ارتباط العالم بالله)

- مسألة: ارتباط العالم بالله (هو) ارتباط ممكن بواجب، ومصنوع بصانع. فليس للعالم، في الأزل، مرتبة؛ فإنها مرتبة الواجب بالذات. فهو الله ولا شيء معه، سواء كان العالم موجودا أو معدوما. فمن توهم، بين الله والعالم، بؤنا يقدر تقدم وجود الممكن فيه² وتأخره، فهو توهم باطل، لا حقيقة له. فلهذا نزعنا، في الدلالة على حدوث العالم، خلاف ما نزعنا له الأشاعرة. وقد ذكرناه في هذا التعليق.

(تعلق العلم بالمعلوم)

- مسألة: لا يلزم من تعلق العلم بالمعلوم حصول المعلوم¹ في نفس العالم، ولا مثاله. وإنما العلم يتعلق بالمعلومات، على ما هي المعلومات عليه في حيثيتها؛ وجودا وعدما. فقول القائل: إن بعض المعلومات له في الوجود أربع مراتب: ذهني وعيني ولفظي وخطي، فإن أراد بالذهن "العلم" فغير مسلم، وإن أراد بالذهن "الخيال" فمسلم، لكن في كل معلوم يُتخيّل خاصّة، وفي كل عالم يُتخيّل. ولكن لا يصح هذا إلا في (المعلوم) الذهني خاصّة لأنّه يطابق العين في الصورة.

و(المعلوم) اللفظي و(المعلوم) الخطي ليسا كذلك. فإن اللفظ والخط موضوعان للدلالة والتفهم. فلا يتنزل (أي منها) من حيث الصورة (اللفظية أو الخطية) على الصورة (الحقيقية العينية). فإن زبنا اللفظي والخطي إنما هو زاي ويا و دال، رقا أو لفظا، ما له يمين ولا شمال ولا جهات، ولا عين ولا سمع. فلهذا قلنا: لا يتنزل عليه من حيث الصورة، لكن من حيث الدلالة. ولذلك إذا وقعت فيه المشاركة، التي تبطل الدلالة، افتقرنا إلى النعت والبدل وعطف البيان. ولا² يدخل في الذهني مشاركة أصلا، فانهم

(وجوه المعارف التي للعقل الأول)

- مسألة: كما حصرنا في "كتاب المعرفة الأول" ما للعقل من وجوه المعارف في العالم، ولم ننتبه من أين حصل لنا ذلك الحصر. فاعلم أنّ للعقل ثلاث مائة وستين وجها، يقابل كلّ وجه، من جناب الحقّ العزيز، ثلاث مائة وستين وجها، يمده كلّ وجه منها بعلم لا يعطيه الوجه الآخر. فإذا ضربت وجوه العقل في وجوه الأخذ، فالخارج من ذلك هي العلوم التي للعقل، المسطرة في اللوح المحفوظ، الذي هو النفس.

وهذا الذي ذكرناه، كشفا إلهيا، لا يحيله دليل عقل، فيتلقى تسليما من قائله. أعني (يُتلقى) هذا كما تُلقَى من القائل الحكيم الثلاثة الاعتبارات، التي للعقل الأول، من غير دليل، لكن مصادرة. فهنا أُوّى من ذلك. فإنّ الحكيم يدعي في ذلك النظر، فيدخل عليه بما قد ذكرناه في "عميون المسائل" في "مسألة البرّة البيضاء" الذي هو العقل الأول. وهذا الذي ذكرناه لا يلزم عليه دَخل، فإنّ ما ادّعيناه نظرا، وإنما ادّعيناه تعريفا. فغاية المنكير أن يقول للقائل: "تكذب" ليس له غير ذلك. كما يقول له المؤمن به: "صدق". فهنا فرقان³ بيننا وبين القائلين بالاعتبارات الثلاثة. وبالله التوفيق.

1 ق: "العلم" وصححت بالهامش بجم الأصل.

2 ص 81

3 ص 81 ب

(وجهما الممكن من عالم الخلق)

- مسألة: ما من ممكن، من عالم الخلق، إلا وله وجهان: وجهٌ إلى سببه، ووجه إلى الله تعالى. فكلّ حجاب وظلمة تطراً عليه فمن سببه، وكلُّ نور وكشف فمن جانب حقّه. وكلّ ممكن من عالم الأمر، فلا يتصوّر في حقّه حجاب؛ لأنّه ليس له إلا وجه واحد: فهو النور المحض ﴿وَاللَّهُ الدِّينُ الخَالِصُ﴾¹.

* * *

(الإيجاد بين متعلّق الأمر ومتعلّق القدرة)

- مسألة: دلّ الدليل العقليّ على أنّ الإيجاد متعلّق القدرة. وقال الحقّ عن نفسه: إنّ الوجود يقع عن الأمر الإلهيّ فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾² فلا بدّ أن ننظر في متعلّق الأمر ما هو؟ وما هو متعلّق القدرة؟ حتى أجمع بين السمع والعقل.

فنقول: الامتثال قد وقع بقوله: "فيكون". والمأمور به إنّما هو الوجود. فتعلّقت الإرادة بتخصيص أحد الممكنين وهو الوجود، وتعلّقت القدرة بالممكن، فأثّرت فيه الإيجاد؛ وهي حالة معقولة بين العدم والوجود. فتعلّق الخطاب بالأمر لهذه العين المخصّصة بأن تكون؛ فامتثلت، فكانت. فلولا ما كان للممكن عين، ولا وصف لها³ بالوجود، (بحيث) يتوجّه على تلك العين الأمر بالوجود، لما وقع الوجود. والقاتل بتهبّؤ المراد في شرح "كن" غير مصيب.

* * *

(أوليّة الواجب الوجود بالغير)

- مسألة: معقوليّة الأوليّة للواجب الوجود بالغير (هي) نسبة سلبية عن وجود كون الوجوب المطلق. فهو أوّل لكلّ مقيد. إذ يستحيل أن يكون له هناك (أي في مرتبة الوجوب المطلق) قدم. لأنّه لا يخلو أن يكون بحيث الوجوب المطلق؛ فيكون إمّا هو نفسه؛ وهو محال، وإمّا قائماً به؛ وهو محال لوجوه: منها أنّه (أي واجب الوجود المطلق) قائم بنفسه، ومنها ما يلزم للواجب المطلق لو قام به هنا- من الافتقار، فيكون إمّا مقوماً لثاته وهو محال، أو مقوماً لمرتته وهو محال.

* * *

[الزمر : 3]

[النحل : 40]

82 ص 3

(أولية الواجب المطلق)

- مسألة: معقولية الأولية للواجب المطلق (هي) نسبة وضعيّة، لا يعقل لها العقل سيوى استناد الممكن إليه. فيكون أوّلاً بهذا الاعتبار. ولو قدّر أن لا وجود لممكن، قوّة وفعلاً، لانفتت النسبة الأوليّة، إذ لا تجد متعلّقاً.

(علم الممكنات بموجدتها)

- مسألة: أعلم الممكنات لا يعلم موجدّه إلا من حيث هو: فنفسه علم، و(علم) ¹ من هو موجود عنه، غير ذلك لا يصحّ. لأنّ العلم بالشيء يؤدّن بالإحاطة به والفراغ منه. وهذا في ذلك الجنب محال: فالعلم به محال. ولا يصحّ أن يُعلم منه؛ لأنّه لا يتبعض. فلم يبق العلم إلا بما يكون منه. وما يكون منه هو أنت: فأنت المعلوم.

فإن قيل: علمنا بلينس هو كذا، علم به. قلنا: نعتك جرّذته عنها، لما يقتضيه الدليل من نفي المشاركة. فتميّزت أنت، عندك، عن ذات مجهولة لك، من حيث ما هي معلومة لنفسها. ما هي تميّزت لك، لعدم الصفات الثبوتية التي لها في نفسها. فافهم ما علمت، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾².

لو علمته لم يكن هو. ولو جمّلك لم تكن أنت. فبعلمه أوجدك، وبعجزك عبدته. فهو هو: لهو، لا لك. وأنت أنت: لأنت، وآه. فأنت مرتبط به، ما هو مرتبط بك. الدائرة، مطلقاً، مرتبطة بالنقطة. النقطة، مطلقاً، ليست مرتبطة بالدائرة. نقطة الدائرة مرتبطة بالدائرة، كذلك الذات، مطلقاً، ليست مرتبطة بك. ألوهية الذات مرتبطة بالمألوه (وهو أنت) كنقطة الدائرة (في ارتباطها بالدائرة).

* * *

(متعلّق رؤيتنا الحقّ تعالى، ومتعلّق علمنا به)

- مسألة: متعلّق رؤيتنا الحقّ تعالى - ذاته سبحانه - ومتعلّق علمنا به، إثباته إليها بالإضافات والسلوب. فاختلف المتعلّق. فلا يقال في ³ الرؤية: إنها مزيد وضوح في العلم، لاختلاف المتعلّق. وإن كان وجوده عين ماهيته، فلا ننكر أنّ معقولية الذات، غير معقولية كونها موجودة.

* * *

1 ص 82 ب

2 [طه : 114]

3 ص 83

(العدم هو الشرُّ المحض)

- مسألة: إنَّ العدمَ هو الشرُّ المحض. لم يعقل بعض الناس حقيقة هذا الكلام لغموضه. وهو قول المحققين، من العلماء المتقدمين والمتأخرين. لكن أطلقوا هذه اللفظة ولم يوضحوا معناها.

وقد قال لنا بعض سفراء الحق، في منازلة، في الظلمة والنور: "إنَّ الخير في الوجود، والشرُّ في العدم". في كلام طويل. علمنا أنَّ الحقَّ تعالى - له إطلاق الوجود من غير تقييد، وهو الخير المحض الذي لا شرَّ فيه. فيقابلة إطلاق العدم الذي هو الشرُّ المحض، الذي لا خير فيه. فهذا هو معنى قولهم: إنَّ العدم هو الشرُّ المحض.

(إطلاق الجواز على الله)

- مسألة: لا يقال، من جهة الحقيقة: إنَّ الله جائز أن يوجد أمراً ما، وجائز أن لا يوجد. فإنَّ فعله للأشياء ليس بممكن، بالنظر إليه، ولا بإيجاب موجب. ولكن يقال: ذلك الأمر جائز أن يوجد، وجائز أن لا يوجد. فيفتقر¹ إلى مرجح، وهو الله تعالى. - وقد تقيينا الشريعة لما رأينا فيها ما يناقض ما قلناه. فالذي نقول في الحقَّ تعالى: - إنه يجب له كذا، ويستحيل عليه كذا. ولا نقول: يجوز عليه كذا. فهذه عقيدة "أهل الاختصاص" من أهل الله.

* * *

وأما عقيدة "خلاصة الخاصة" في الله تعالى - فأمرٌ فوق هذا، جعلناه مبدأ في هذا الكتاب، لكون أكثر العقول، المحجوبة بأفكارها، تنصر عن إدراكه، لعدم تجردها.

وقد انتهت مقدّمة الكتاب، وهي عليه كالملاوة. فمن شاء كتبها فيه، ومن شاء تركها ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾²

انتهى الجزء الثالث، والحمد لله³.

1 ص 83 ب

2 [الأحزاب: 4]

3 أثبتت الساعات في الحاشية وفي الهامش بالترتيب التالي: "مع جميع هذا الجزء على مصنفه الشيخ الإمام العالم العلامة محيي الدين شيخ الإسلام بقية السلف أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي بقراءة الإمام الزاهد شمس الدين أبي الحسن علي بن الحظفر بن القاسم النشبي - الأئمة: أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب السعدي، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي وابنه أحمد، وأبو بكر بن سليمان بن علي الحموي الواعظ، وأبو الفضل يوسف بن عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وأبو المعالي محمد، وأبو سعد محمد، أبنا المصنف، ويعقوب بن معاذ بن عبد الرحمن الوري، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج الكركي، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء الحنفي، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم الحنفي، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنلسي، وأبو عبد الله محمد بن برهيش المظفر، وعيسى بن إسحق بن يوسف الهنباي، وحسين بن محمد بن علي الموصل، ويونس بن عثمان الدمشقي، وأبو بكر بن عبد اللطيف بن دينار البغدادي، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شجاع الدمشقي، وعبد القفار بن ثنائي (سنائي؟) الدمشقي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم، يعرف بأبن زرافة، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، ومحمد بن الحسين بن علي الأخطاي، وعلي بن أبي الفناثم بن الفضال،

الجزء الرابع من الفصح المكي¹
(الفصل الأول في المعارف)

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الأول

في معرفة الروح الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطرته في هذا الكتاب،
وما كان بيني وبينه من الأسرار

فمن ذلك نظم:

قُلْتُ عِنْدَ الطَّوَائِفِ: كَيْفَ أَطُوفُ وَهُوَ عَن ذَرِكِ سِرِّنا مَكْفُوفُ؟
جَلَمْتُ غَيْرَ عَاقِلِي حَرَكَاتِي قِيلَ: أَنْتَ الْهَيَّرِ الْمَثْلُوفُ
أَنْظُرِ النَّيْتِ نُورُهُ يَتَلَّلا لِقُلُوبٍ تَطْهَرُثُ، مَكْشُوفُ
نَظَرْتُهُ بِاللَّهِ دُونَ جِجَابٍ فَبَدَا سِرُّهُ الْعَلِيِّ الْمَيْفُ
وَتَجَلَّى لَهَا مِنْ أَفْقِي جَلَالِي قَمَرُ الصَّدِيقِ مَا اعْتَرَاهُ خُشُوفُ
لَوْ زَانَيْتَ الْوَلِيَّ جِئِنَ يَرَاهُ قُلْتُ فِيهِ: مُدَّةٌ مَلْهُوفُ
يَلْتَمُ السِّرِّ فِي سَوَادٍ يَبِينِي أَيُّ سِرٍّ لَوْ أَنَّهُ مَفْرُوفُ
جُحِلَتْ ذَاتُهُ قَيْلًا: كَيْنِفُ عِنْدَ قَوْمٍ، وَعِنْدَ قَوْمٍ لَطِيفُ
قَالَ لِي جِئِنَ قُلْتُ لِمَ جَمْلُوهُ؟: إِنَّمَا يَغْرِفُ الشَّرِيفُ الشَّرِيفُ
عَرَفُوهُ فَلَا زَمُوهُ زَمَانَا فَتَوَلَّاهُمْ الرَّجِيمُ الرَّؤُوفُ

وكتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي. - في يوم الجمعة، عاشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستائة. بمزمل المصنف بدمشق. - والحمد لله وصلاته على محمد وآله.

السماع الثاني، وهو بنفس السماع الأول وبغض الخط أيضا: "وسمع مع الجماعة بالقراءة والتاريخ أبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن النابلسي. - كتبه إبراهيم القرشي."

السماع الثالث، بخط جديد، وعلى الهامش: "سمع جميع كتاب المعرفة على مؤلفه الشيخ الإمام العلامة الفرد محي الدين بن أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي - أيده الله تعالى - الشيخ كمال الدين علي بن قائد بن ماجد (؟) الحريري، ونجم الدين عبد السلام بن أبي نصر بن أحمد (؟) ونجم الدين أحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وكتب الأسماء العبد القبر إلى الله أحمد بن عبد الله بن أحمد بن علي العلوي، بقراءته بمزمل الشيخ بمدينة دمشق، يوم الأربعاء، خامس عشر شوال سنة أربع وثلاثين وستائة. والحمد لله وحده وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه."

1 العنوان ص 84ب. وأما ص 84 فيضاه.

2 البسطة ص 85، وفي الهامش: "بلغ المجلس الثاني قراءة".

واستقاموا فما يَزِي قَطُّ فِيهِمْ
عَنْ طَوَافٍ بِذَاتِهِ تَخْوِيفُ
فَمَنْ قَبَشَ - عَنِّي مُجَاوِزَ بَيْتِي
بِأَمَانٍ مَا عِنْدَهُ تَخْوِيفُ
إِنَّ¹ أُمَّتَهُمْ فَارِخُهُمْ يَلْقَانِي
أَوْ يَعِينُشُوا فَالْتَوُّبُ مِنْهُمْ تَطْلِفُ

اعلم أيها الولي الحميم، والصفى الكريم- أتى لَمَا وصلت إلى مكة البركات، ومعادن السكنات الروحانية والحركات، وكان من شأنى فيه ما كان، طفث بيته العتيق في بعض الأحيان. فيينا أنا أطوف مسبعا، ومجددا، ومكبرا، ومملا، تارة أليم وأستلم، وتارة للملتزم التزم، إذ لقيت وأنا عند الحجر الأسود باهت- الفتى الفاتت، المتكلم الصامت، الذي ليس بحى ولا مانت، المركب البسيط، الحاط المحيط. فعندما أبصرته يطوف بالبيت، طواف الحى بالميت، عرفت حقيقته ومجازه، وعلمت أن الطواف بالبيت كالصلاة على الجنابة. وأنشدت الفتى المذكور ما تسمعه من الأبيات، عندما رأيت الحى طاقما بالأموات. شعر:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَيْتَ طَافَتْ بِذَاتِهِ
شُخُوصٌ لَهُمْ سِرُّ الشَّرِيقَةِ غَيْبِي
وَطَافَ بِهِ قَوْمٌ هُمْ الشَّرْعُ وَالْحِجَابُ
وَهُمْ كَخَلِّ عَيْنِ الْكَاشِفِ مَا هُمْ بِهِ عَمِّي
تَعَجَّبْتُ مِنْ مَيْتٍ يَطُوفُ بِهِ حَيٌّ
عَزِيْزٌ وَجِدُّ الدَّهْرِ مَا مِثْلُهُ شَيْءٌ
تَجَلَّى لَنَا مِنْ نُورِ ذَاتِ مُجَلِّهِ
وَلَيْسَ مِنَ الْأَمْلاكِ بَلْ هُوَ إِنْ سِي
يَتَّقُنْتُ² أَنْ الْأَمْرَ غَيْبٌ وَأَنَّهُ
لَتَى الْكَاشِفِ وَالتَّخْفِيقِ حَيٌّ وَمَزِي

قلت: فعندما وقعت بمى هذه الأبيات، وألحقت بيته المكرم، من جهة ماء، بجانب الأموات؛ خطفني منى خطفة قاهر، وقال لي قولة رادع زاجر: انظر إلى سر البيت قبل الفوت، تجده زاهيا بالمطيفين والطاقنين بأحجاره، ناظرا إليهم من خلف حجبه وأستاره. فرأيتهم يزهو كما قال، فأفصح له في المقال، وأنشدته في عالم المثال على الارتجال:

أَرَى الْبَيْتَ يَزْهُو بِالْمُطِيفِينَ حَوْلَهُ
وَمَا الزُّهُوُ إِلَّا مِنْ حَكِيمٍ لَهُ صُنْعُ

وَهَذَا جَمَادٌ لَا يُجَسُّ وَلَا يَرَى
فَقَالَ تُخَيِّصُ: هَذِهِ طَاعَةٌ لَنَا
فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا بِلَاغُكَ فَاسْتَمِعْ
رَأَيْتُ جَمَادًا لَا حَيَاةَ بِذَاتِهِ
وَلَكِنْ لِعَيْنِ الْقَلْبِ فِيهِ مَنَاطِظٌ
يَرَاهُ عَزِيزًا إِنْ تَجَلَّى بِذَاتِهِ
فَكُنْتُ أبا حَفْصٍ وَكُنْتُ عَلَيْنَا¹
وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ
قَدْ ائْتَبَهَا طُولَ الْحَيَاةِ لَنَا الشُّرْعُ
مَقَالَةٌ مِنْ أُنْدَى لَهُ الْحِكْمَةُ الْوَضْعُ
وَلَيْسَ لَهُ ضُرٌّ وَلَيْسَ لَهُ نَفْعٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ بِالْعَيْنِ صَعْفٌ وَلَا صَدْعٌ
فَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ عَلَى خَمَلِهِ وَسْعٌ
فَعَيَّى الْعَطَاءُ الْجَزْلُ وَالْقَبْضُ وَالْمَنْعُ

وَضِلُّ²

(منزلة ذلك الفتى)

ثم إنّه أطلعني على منزلة ذلك الفتى، ونزاهته عن أين ومتى. فلما عرفت منزلته وإنزاله، وعابنت مكانته من الوجود وأحواله، قبلتُ بيمينه، ومسحت من عرق الوحي جبينه. وقلت له: انظر من طالب مجالستك، وراغب في موانستك. فأشار إليّ إيماءً ولغزاً؛ أنّه فطّر على أن لا يكلم أحداً إلا رمزاً. وأنّ رمزي، إذا علمته وتحققتة وفهمته، علمت أنّه لا تدرکه فصاحة الفصحاء، ونطقه لا تبلغه بلاغة البلغاء.

فقلت له: يا أيها البشير؛ وهذا خير كثير. فعرفني باصطلاحك، وأوقفني على كيفية حركات مفتاحك. فأبني أريد مسامرتك، وأحبّ مصاهرتك. فإنّ عندك الكفؤ والنظير -هو النازل بذاتك- والأمير. ولولا ما كانت لك حقيقة ظاهرة، ما تطلعتُ إليه وجوة ناضرة ناظرة. فأشار. فعلمتُ. وجلّ لي حقيقة جماله؛ فهَيِّمْتُ. فسَقَطَ في يديّ، وغلبني في الحين عليّ. فعندما أفقتُ من الغشبية، وأزعدتُ فرائصي- من

1 "أبا حفص.. علينا" ها: عمر بن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب، يشير إلى الحوار الذي جرى بين الخليفة عمر بن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب، وجاء ذكره في المستدرک علی الصحیحین للحاکم - (4 / 227) في الحديث رقم 1635 المروي عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: حججنا مع عمر بن الخطاب، فلما دخل الطواف استقبل الحجر، فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر، ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلك، ثم قتله. فقال له علي بن أبي طالب: بلى يا أمير المؤمنين؛ إنه يضر وينفع، قال: ثم قال: بكتاب الله تبارك وتعالى. قال: وأين ذلك من كتاب الله؟ قال: قال الله عز وجل: «لوأذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى؛ خلق الله آدم ومسح على ظهره فقرزمه بأنه الرب، وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم وميثاقهم، وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له اصبح ذاك. قال: ففصح هاه فالتقه ذلك الرق وقال: أشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة. وإني أشهد: لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود، وله لسان تلق، يشهد لمن يستلمه بالترحيمة فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع. فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فهم يا أبا حسن.

الخشية، عليم أنّ العلم به قد حصل، وألقى عصا سيره ونزل. فتلا حاله عليّ ما جاءت به الأنباء، وتزلّت به الملائكة الأمانة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾¹ فجعلها دليلاً، واتخذها إلى معرفة العلم الحاصل² به سبيلاً.

فقلت له: أطلعني على بعض أسرارك، حتى أكون من جملة أعبادك³. فقال: انظر في تفاصيل نشأتي وفي ترتب هيأتي، تجد ما سألتني عنه في مرقوما؛ فإني لا أكون مكلمًا ولا كلميًا. فليس علمي بسوّائي، وليست ذاتي مغايرة لأساني. فأنا العلم والمعلوم والعلم، وأنا الحكمة والحكم والحكيم. ثم قال لي: طف على اثري، وانظر إليّ بنور قربي، حتى تأخذ من نشأتي، ما تسطره في كتابك، وتعلمه على كتابك. وعرفني ما أشهدك الحقّ في طوافك من اللطائف، بما لا يشهده كلّ طائف. حتى أعرف همتك ومعناك، فأذكرك على ما علّمت منك هناك.

فقلت: أنا أعرفك أيّها الشاهد المشهود- ببعض ما أشهدي من أسرار الوجود، المترفّلات في غلائل النور، والمتحدات العين من وراء الستور، التي أنشأها الحقّ حجابا مرفوعا، وساء موضوعا. والفعل، بالنظر إلى الذات، لطيف، ولعدم دركه عليّ شريف.

فَوْضُهُ أَلْطَفٌ مِنْ دَاتِهِ	وَفَعْلُهُ أَلْطَفٌ مِنْ وَضْفِهِ
وَأَوْدَعَ الْكُلَّ بِذَاتِي كَمَا	أَوْدَعَ مَعْنَى الشَّيْءِ فِي حَزْفِهِ
فَالْحَلْقُ مَطْلُوبٌ لِمَعْنَى كَمَا	تَطْلَبُ ذَاتُ الْمِسْكِ مِنْ عَزْفِهِ

ولولا ما أودع في ما اقتضته حقيقتي، ووصلت إليه طريقي؛ لم أجد لمشربه نَيْلا، ولا إلى معرفته نَيْلا. ولذلك أعود عليّ عند النهاية. ولهذا يرجع فخذُ البركار في فتح البائرة، عند الوصول إلى غاية وجودها، إلى نقطة البداية. فارتبط آخر الأمر بأوله، وانعطف أبده على أزاله. فليس إلا وجود مستمرّ، وشهود ثابت مستمرّ.

وإنما طال الطريق؛ من أجل رؤية المخلوق. فلو صرف العبد وجهه إلى الذي يليه، من غير أن يحلّ فيه؛ لنظر إلى السالكين إذا وصلوا، بعين "بئس والله- ما فعلوا". ولو عرفوا، من مكانهم، ما انتقلوا. لكن، حُجبوا بشفعية الحقائق، عن وثريّة الحقّ الخالق، الذي خلق الله به الأرض والطرائق. فنظروا مدارج الأسماء، وطلبوا معارج الإسراء. وتخيّلوا أعظم منزلة تُطلب، وأسنى حالة يقصّد الحقّ تعالى- فيها

1 [فاطر : 28]

2 ص 87

3 بالهامش قبلها "انشارك" بخط آخر.

4 ص 87 ب

وَيَرْغَب. فَيَسِيرُ بِهِمْ عَلَى بَرَقِ الصَّدَقِ وَرِفَارِهِ، وَحَقَّقَهُمْ، بِمَا عَيْنُوهُ، مِنْ آيَاتِهِ وَلَطَائِقِهِ.
 وَذَلِكَ لِتَمَاقُطِ النَّظَرِ شِمَالِيَّةٍ، وَكَانَتْ الْفُطْرَةُ عَلَى النَّشْأَةِ الْكِمَالِيَّةِ، تُقَابِلُ بَوَاجِهُهَا، فِي أَصْلِ الْوَضْعِ،
 نَقْطَةَ الدَّائِرَةِ. فَشَطْرُ مُهْجَتِهَا مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ مُنْقَبَةٌ، وَمِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ سَافِرَةٌ. فَلَوْ سَفَرَتْ عَنِ الْيَمِينِ
 لَنَالَتْ، مِنْ أَوَّلِ طَرَفِهَا، مَقَامَ التَّمَكِينِ، فِي مَشَاهِدَةِ التَّعْيِينِ. وَيَا عَجْبًا لِمَنْ هُوَ فِي أَعْلَى عَلَيَّيْنِ، وَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ¹
 فِي أَسْفَلِ سَافِلَيْنِ! ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾². فَشِمَالُهَا يَمِينُ مَدِيرِهَا، وَوَقُوفُهَا فِي مَوْضِعِهَا الَّذِي
 وَجِدَتْ فِيهِ غَايَةَ مَسِيرِهَا.

فَإِذَا ثَبَتَ عِنْدَ الْعَاقِلِ مَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ، وَصَحَّ وَعَلِمَ أَنَّ إِلَيْهِ الْمَرْجِعَ؛ فَمِنْ مَوْقِفِهِ لَمْ يَبْرَحْ. لَكِنْ يَتَخَيَّلُ
 الْمَسْكِينَ الْقَرِيعَ وَالْفَتْحَ، وَيَقُولُ: وَهَلْ فِي مَقَابِلَةِ الضِّيقِ وَالْحَرْجِ إِلَّا السَّعَةُ وَالشَّرْحُ. ثُمَّ يَتَلَوُ ذَلِكَ قِرَاءَانًا عَلَى
 الْخِصَاءِ: ﴿وَقَمَنَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِذْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّهَا
 يُصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾³. فَكَمَا أَنَّ الشَّرْحَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الضِّيقِ، كَذَلِكَ الْمَطْلُوبُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بَعْدَ سَلُوكِ
 الطَّرِيقِ. وَغُفْلُ الْمَسْكِينِ عَنِ تَحْصِيلِ مَا حَصَلَ لَهُ بِالْإِلْهَامِ، بِمَا لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْفِكْرِ وَالِدَّلِيلِ عِنْدَ أَهْلِ التَّنْهِیِ
 وَالْأَفْهَامِ.

وَلَقَدْ صَدَقَ فِيمَا قَالَ؛ فَإِنَّهُ نَاطِرٌ بَعِينَ الشِّمَالِ. فَتَسَلَّمُوا لَهُ حَالَهُ، وَتَوَتَّوْا لَهُ مَحَالَهُ، وَضَعَّفُوا مِنْهُ مَحَالَهُ،
 وَقَوْلُوا لَهُ: عَلَيْكَ بِالِاسْتِعَانَةِ، إِنْ أَرَدْتَ الْوَصُولَ إِلَى مَا مِنْهُ خَرَجْتَ، لَا مَحَالَةَ. وَاسْتَرَوْا عَنْهُ مَقَامَ الْمَجَاوِرَةِ،
 وَعَظَّمُوا لَهُ أَجْرَ التَّرَاوُرِ وَالْمَزَاوِرَةِ وَالْمَوَازِرَةِ. فَسِيحِزْنَ عِنْدَ الْوَصُولِ إِلَى مَا مِنْهُ سَارَ، وَسِيْفِرِحَ بِمَا حَصَلَ
 فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْأَسْرَارِ، وَ(بِمَا إِلَيْهِ) ضَازَ. وَلَوْ لَا مَا طَلِبَ الرَّسُولَ ﷺ بِالْمَعْرَاجِ مَا رَحَلَ، وَلَا صَعِدَ إِلَى⁴
 السَّمَاءِ وَلَا نَزَلَ. وَكَانَ يَأْتِيهِ شَأْنُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَآيَاتِ رَبِّهِ فِي مَوْضِعِهِ؛ كَمَا زُوِيَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَهُوَ فِي
 مَضْجَعِهِ. وَلَكِنَّهُ سَرَّ إِلَهِي: لَيْنُكَرُهُ مِنْ شَاءَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْطِيهِ الْإِنْشَاءَ، وَيُؤْمِنُ بِهِ مِنْ شَاءَ؛ لِأَنَّهُ جَامِعٌ
 لِلْأَشْيَاءِ.

فَعِنْدَمَا آتَيْتُ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ، الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ الْعَقْلُ وَحْدَهُ، وَلَا يَحْصُلُهُ عَلَى الْإِسْتِيفَاءِ الْفَهْمِ؛ قَالَ: لَقَدْ
 أَسْمَعْتَنِي سِرًّا غَرِيبًا، وَكَشَفْتَنِي لِي مَعْنَى عَجِيبًا؛ مَا سَمِعْتَهُ مِنْ وَلِيِّ قَبْلِكَ، وَلَا رَأَيْتُ أَحَدًا تَمَثَّلَ لَهُ هَذِهِ
 الْحَقَائِقُ مِثْلَكَ. عَلَى أَنَّهَا عِنْدِي مَعْلُومَةٌ، وَهِيَ بَدَائِي مَرْقُومَةٌ. سَتَبْدُو لَكَ عِنْدَ رَفْعِ سِتْرَاتِي، وَأَطْلَاعِكَ عَلَى
 إِشَارَاتِي. وَلَكِنْ أَخْبَرْتَنِي مَا أَشْهَدُكَ عِنْدَمَا أَنْزَلَكَ بِحَرْمِهِ، وَأَطْلَعَكَ عَلَى حَرْمِهِ⁵.

1 ص 88

2 [البقرة : 67]

3 [الأنعام : 125]

4 ص 88

5 مكتوب في الهامش: "بلغ"

مشاهدة مشهد البيعة الإلهية

قلت: اعلم يا فصيحاً لا يتكلم، وسائلاً عما يعلم؛ لَمَا وصلتُ إليه من الإيمان، ونزلت عليه في حضرة الإحسان، أنزلني في حزمه، وأطلعني على حزمه، وقال: "إنما كثرتُ المناسك رغبةً في التماسك، فإن لم تجدني هنا وجدتي هنا، وإن احتجبتُ عنك في "جمع" تجلّيتُ لك في "مَنَى"، مع أنّي قد أعلمتك، في غير ما موقف من مواقفك، وأشرتُ به إليك غير مرّة في بعض لطاتك، أنّي¹ وإن احتجبتُ فهو تجلُّ لا يعرفه كلُّ عارف، إلا من أحاط علماً بما أحطتُ به من المعارف.

الا تراني أتجلّى لهم، في القيامة، في غير الصورة التي يعرفونها والعلامة؟. فينكرون ربوبيتي، ومنها يتعوذون، وبها يتعوذون ولكن لا يشعرون. ولكنهم يقولون لذلك المتجلّي: نعوذ بالله منك، وها نحن لربنا منتظرون.

حينئذ أخرج عليهم في الصورة التي لديهم، فيقرون لي بالربوبية، وعلى أنفسهم بالعبودية. فهم لعلامتهم عابدون، وللصورة التي تقررت عندهم مشاهدون.

فمن قال منهم: إنّه عبدني، فقوله زور وقد باهتني. وكيف يصحّ منه ذلك، وعندما تجلّيت له أنكرني؟ فمن قيّدي بصورة دون صورة فتخيّله عبداً؛ وهو الحقيقة المكنة في قلبه، المستورة. فهو يتخيّل أنّه يعبدني، وهو يجحدني.

والعارفون، ليس في الإمكان خفائي عن أبصارهم؛ لأنهم غابوا عن الخلق وعن أسرارهم. فلا يظهر لهم عندهم سيّاتي، ولا يعقلون من الموجودات سيّوي أساني. فكلّ شيء ظهر لهم وتجلّى، قالوا: أنت المسيح الأعلى، فليسوا سيّواء. فالناس بين غائب وشاهد، وكلاهما عندهم شيء واحد. فلما سمعتُ كلامه، وفهمت² إشارات وإعلامه؛ جذبني جذبة غيور إليه، وأوقفني بين يديه.

مخاطبات التعلم والألطف بسرّ الكعبة من الوجود والطواف

ومدّ اليمين فقبلتها، ووصلتني الصورة التي تمسّقتها. فتحوّل لي في صورة الحياة، فتحوّل له في صورة المات. فطلّبت الصورة تابع الصورة، فقالت لها: لم تُحسِنِ السّيرة، وقبضت يمينها عنها، وقالت لها: ما عرفت لها في عالم الشهادة كُنّها.

ثمّ تحوّل لي في صورة البصر، فتحوّل له في صورة من عمي عن النظر. وذلك بعد انقضاء شؤط، وتخيّل نقض شُرط. فطلّبت الصورة تابع الصورة، فقالت لها مثل المقالة المذكورة.

ثم تحوّل لي في صورة العلم الأعمّ، فتحوّلت له في صورة الجهل¹ الأتمّ. فطلّبت الصورة تُباع الصورة، فقالت لها المقالة المشهورة.

ثم تحوّل لي في صورة سماع² النداء، فتحوّلت له في صورة الصّم عن الدعاء، فطلّبت الصورة تُباع الصورة، فأسدل الحقّ بينها ستوره.

ثم تحوّل لي في صورة الخطاب، فتحوّلت له³ في صورة الخرس عن الجواب. فطلّبت⁴ الصورة تُباع الصورة، فأرسل الحقّ بينها رقوم اللوح وسطوره.

ثم تحوّل لي في صورة الإرادة، فتحوّلت له في صورة قصور الحقيقة والعادة. فطلّبت الصورة تُباع الصورة، فأفاض الحقّ بينها ضياءه ونوره.

ثم تحوّل لي في صورة القدرة والطاقة، فتحوّلت له في صورة العجز والفاقة. فطلّبت الصورة تُباع الصورة، فأبدى الحقّ للعبد تقصيره.

فقلت، لَمَّا رأيت ذلك الإعراض، وما حصل لي تمام الآمال والأغراض: لِمَ أبيتَ عليّ ولم تفيّ بعهدي؟ فقال لي: أنت أبيتَ على نفسك يا عبدي؛ لو قبّلت الحجر في كلّ شوط -أيها الطائف- لقبّلت يميني هنا، في هذه الصور الطائف. فلنّ بيتي هناك بمنزلة الذات، وأشواط الطواف بمنزلة السبع الصفات، صفات الكمال لا صفات الجلال، لأنّها صفات الاتصال بك والانفصال. فسبعة أشواط لسبع صفات، وبيت قائم يدلّ على ذات. غير أنّي أنزلته في فرشي، وقلت للعامة: هذا عندكم بمنزلة عرشي. وخليفتي في الأرض، هو المستوي عليه والمحتوي. فانظر إلى الملك معك طاقتا، وإلى جانبك واقفا. فنظرت إليه. فعاد إلى عرشه، وتاه عليّ بسموّ نعشه. فتبسّمْتُ جدلا، وقلّت مرتجلا:

يا كُفْبَةَ طَافَ بِهَا الْمُرْسَلُونَ	مِنْ بَعْدِ مَا طَافَ بِهَا الْمَكْرُمُونَ
ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدِهِمْ عَالَمٌ	طَافُوا بِهَا مِنْ بَيْنِ عَالٍ وَدُونِ
أَنْزَلَهَا مِثْلًا إِلَى عَرْشِهِ	وَنَحْنُ حَافُونَ لَهَا مَكْرِمُونَ
فَإِنْ يَقُلْ أَغْظَمُ حَافٍ بِهِ:	إِنِّي أَنَا خَيْرٌ فَهَلْ تَسْمَعُونَ
وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِنَصِّ وَلَا	أَتَى لَنَا إِلَّا بِمَا لَا يَبِينُ

1 ثابت بخط الأصل في الهامش.

2 ثابت بخط الأصل في الهامش

3 ثابت بخط الأصل في الهامش

4 ص 90

5 ص 90ب

هَلْ ذَلِكَ إِلَّا التُّورُ حَفَّتْ بِهِ
فَانْتَجَذَبَ الشَّيْءُ إِلَى مِثْلِهِ
هَلَّا رَأَوْا مَا لَمْ يَزُوا مِنْهُمْ
لَوْ جُرَّدَ الْأَلْطَفُ مِنَّا اسْتَوَى
قَدْ سَهَّمُوا أَنْ يَجْهَلُوا حَقَّ مَنْ
كَيْفَ لَهُمْ؟ وَعِلْمُهُمْ أَنَّنِي
وَاعْتَرَفُوا بَعْدَ اعْتِرَاضٍ عَلَيَّ
وَأَبْلَسَ الشَّخْصُ الَّذِي قَدْ أَبِي
قَدَّسَهُمْ قَدَّسَهُمْ مِنْهُمْ
أَنْوَارُهُمْ وَنَحْنُ مَاءٌ مَهِينٌ
وَكَلْنَا عَبْدًا لَدَيْهِ مَكِينٌ
طَافُوا بِمَا طُفْنَا وَلَيْسُوا بِطِينٍ
عَلَى الَّذِي حَفُوا بِهِ طَاهِينٍ
قَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الْعَالَمِينَ
ابْنُ الَّذِي خَرُّوا لَهُ سَاجِدِينَ
وَالِدِنَا بِكَوْنِهِمْ جَاهِلِينَ
وَكَانَ لِلْفَضْلِ مِنَ الْجَاحِدِينَ
قَدْ عَصَمُوا مِنْ خَطَا الْمُخْطِئِينَ

قلت: ثم صرفت عنه وجه قلبي، وأقبلت به على ربي. فقال لي: انتصرت لأبيك، حلثت بركتي فيك. اسمع منزلة من أثبتت عليها¹، وما قدمته من الخير بين يديها. وأين منزلتك من منازل الملائكة المقربين؟ صلوات الله عليهم وعليهم أجمعين.

كعبتي هذه، قلب الوجود. وعرشي لهذا القلب جسم محدود. وما وسعني واحد منها، ولا أخبر عني بالذي أخبرت عنها. وبيتي النبي وسعني قلبك المقصود، المودع في جسدك المشهود. فالطائقون بقلبك (م) الأسرار. فهم بمنزلة أجسادكم عند طوافها بهذه الأحجار. والطائقون الحاقون بعرشنا المحيط (م) كالطائفين منك بعالم التخطيط. فكما أن الجسم منك في الرتبة، دون قلبك البسيط، كذلك هي الكعبة مع العرش المحيط.

فالطائقون بالكعبة (م) بمنزلة الطائفين بقلبك، لاشتراكهما في القلبية. والطائقون بجسمك (م) كالطائفين بالعرش لاشتراكهما في الصفة الإحاطية. فكما أن عالم الأسرار الطائفين بالقلب النبي وسعني (م) أسنى منزلة من غيرهم وأعلى، كذلك أتم، بنعت الشرف والسيادة، على الطائفين بالعرش المحيط، أولى. فإتكم الطائقون بقلب وجود العالم؛ فأنتم بمنزلة أسرار العلماء. وهم الطائقون بجسم العالم؛ فهم بمنزلة الماء والهواء. فكيف تكونون سواء؟ وما وسعني سيواكم، وما تجليت في صورة كمال إلا في معانكم. فاعرفوا² قدر ما وهبتكموه من الشرف العالي. وبعد هذا، فأنا الكبير المتعالي: لا يحدني الحد، ولا يعرفني السيد ولا

هَدَسَتِ الألوهُة؛ فَنَزَهَتْ أَنْ تُذْرَكَ، وَفِي مَنْزِلَتِهَا أَنْ تُشْرَكَ. أَنْتَ الإِنَاءُ، وَأَنَا أَنَا. فَلَا تَطْلُبْنِي فِيكَ فَتَتَعَمَّى¹، وَلَا مِنْ خَارِجٍ لِمَا تَهَيَّئِ. وَلَا تَتْرَكَ طَلْبِي فَتَنْشَقِي. فَاطْلُبْنِي حَتَّى تَلْقَانِي فَتُرْقِي. وَلَكِنْ تَأْذَبْ فِي طَلْبِكَ، وَاحْضُرْ عِنْدَ شُرُوعِكَ فِي مَذْهَبِكَ.

وَمَيِّزْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَشْهَدُنِي، وَإِنَّمَا تَشْهَدُ عَيْنَكَ. فَقف فِي صِفَةِ الإِشْتِرَاكِ، وَإِلَّا فَكُنْ عَبْدًا وَقُل: "العَجْزُ عَنِ دَرْكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ"؛ تَلْحَقْ فِي ذَلِكَ عَتِيقًا²، وَتَكُنْ المَكْرَمُ الصَّدِيقَا.

ثُمَّ قَالَ لِي: أَخْرِجْ عَنِ حَضْرَتِي، فَمَثَلُكَ لَا يَصْلِحُ لِحُدُومَتِي. فَخَرَجْتُ طَرِيدًا. فَضَجَّ الحَاضِرُ. فَقَالَ: ﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِدًا﴾³، ثُمَّ قَالَ: زِدُوهُ. فَزِدْهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ سَاعَتِي وَجِدْتُ. وَكَأَنِّي مَا زِلْتُ عَنْ بَسَاطَةِ شَهُودِهِ، وَمَا بَرَحْتُ مِنْ حَضْرَةِ وَجُودِهِ.

فَقَالَ: كَيْفَ يَدْخُلُ عَلَيَّ، فِي حَضْرَتِي، مَنْ لَا يَصْلِحُ لِحُدُومَتِي؟ لَوْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَكَ الحِرْمَةُ الَّتِي تَوْجِبُ الحِدْمَةَ؛ مَا قَبِلْتُكَ الحِضْرَةَ، وَلَزِمْتُ⁴ بِكَ فِي أَوَّلِ نَظْرَةٍ. وَهَا أَنْتَ فِيهَا، وَقَدْ رَأَيْتَ مِنْ بَرِّهَا بِكَ وَتَحَنُّنِهَا، مَا يَزِيدُكَ إِحْتِرَامًا، وَعِنْدَ تَجَلُّبِهَا إِحْتِشَامًا.

ثُمَّ قَالَ: لِمَ لَمْ تَسْأَلْنِي حِينَ أَمَرْتُ بِإِخْرَاجِكَ، وَرَدَّكَ عَلَى مَعْرَاجِكَ؟ وَأَعْرِفُكَ صَاحِبَ⁵ حُجَّةٍ وَلِسَانٍ. مَا أَسْرَعُ مَا نَسِيتَ أَيْمًا الإِنْسَانَ. فَقُلْتُ: بَهْرِي عَظِيمُ مَشَاهِدَةِ ذَاتِكَ، وَسَقَطَ فِي يَدِي لِقْبُضِكَ بَيْنَ البَيْعَةِ فِي تَجَلُّبَاتِكَ. وَبَقِيَتْ أُرْدَدُ النَظْرَ: مَا الَّذِي طَرَأَ فِي الغَيْبِ مِنَ الخَبْرِ؟ فَلَوْ التَفُّتُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ إِلَيَّ؛ لَعَلِمْتُ أَنَّ مَتَى أَتَى عَلَيَّ. وَلَكِنَّ الحِضْرَةَ تَعْطِي أَنْ لَا يُشْهَدَ سِوَاهَا، وَأَنْ لَا يُنْظَرَ إِلَى مَحِيَّتَا غَيْرِ مَحِيَّتَاهَا.

فَقَالَ: صَدَقْتُ يَا مُحَمَّدُ؛ فَانْبُثْ فِي المَقَامِ الأَوْحَدِ. وَإِيَّاكَ وَالعَدَدَ؛ فَإِنَّ فِيهِ هَلَاكُ الأَبَدِ.

ثُمَّ انْفَقَتْ مَخَاطِبَاتٍ وَأَخْبَارَ، أَذْكَرُهَا فِي بَابِ الحَجِّ وَمَكَّةَ، مَعَ جَمَلَةِ أَسْرَارٍ⁶.

وَضَلَّ

(مدخل العارفين)

فَقَالَ النَجِيُّ الوَفِيُّ: يَا أَكْرَمَ وَلِيِّ وَصْفِيِّ؛ مَا ذَكَرْتُ لِي أَمْرًا إِلَّا أَنَا بِهِ عَالِمٌ، وَهُوَ بِذَاتِي مَسْطَرٌّ قَائِمٌ. قُلْتُ: لَقَدْ شَوَّقْتَنِي إِلَى التَطَلُّعِ إِلَيْكَ مِنْكَ، حَتَّى أَخْبِرَ عَنْكَ. فَقَالَ: نَعَمْ، أَيْمًا الغَرِيبِ الوَارِدِ، وَالمُطَالِبِ

1 ق، هـ: "لصفتي"، والترجيح من س

2 عتيقا: أبو بكر الصديق

3 [المدثر: 11]

4 ق، س: ولزمت، والترجيح من هـ.

5 ص 92

6 في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف".

القاصد؛ أدخل معي كعبة الحجر؛ فهو البيت المتعالي عن الحجاب والستر. وهو مدخل العارفين، وفيه راحة الطائفين. فدخلتُ معه بيت الحجر في الحال، وألقى يده على صدري، وقال:

أنا السابع في مرتبة الإحاطة بالكون، وبأسرار وجود العين والأين. أوجدني الحقُّ قطعة نور خَوَاتِي ساذجة، وجعلني للكليات مازجة.

فبينما أنا متطعم لما يُلْقَى لَدَيَّ، أو يُنْزَل عَلَيَّ، وإذا بالمعلم القلمي الأعلى¹ قد نزل بذاتي من منازلَه العلى، رابجا على جواد قائم على ثلاث قوائم. فنكس رأسه إلى ذاتي؛ فانتشرت الأنوار والظلمات، ونفت في روعي جميع الكائنات. ففتق أرضي وسماي، وأطلعني على جميع أسمائي. فعرفت نفسي- وغيري، وميزت بين شرِّي وخيري. وفصلت ما بين خالقي وحقاقي. ثم انصرف عني ذلك الملك، وقال:

"تعلم أنك حضرة الملك". فتهيأت للنزول وورود الرسول. فتجارت الأملأك إلي، ودارت الأفلاك علي. والكل ليميني مقبلون، وعلى حضرتي مقبلون. وما رأيت ملكا نزل، ولا ملكا عن الوقوف بين يدي انتقل. ولحظت في بعض جوانبي، فرأيت صورة الأزل. فعلمت أن النزول مُحال؛ فثبتت على ذلك الحال. وأعلمت بعض الخاصّة ما شهدت، وأطلعهم متي على ما وجدت.

فأنا الروضة اليانعة، والثمرة الجامعة. فارفع ستوري، واقرأ ما تضمّنهُ سطورِي. فما وقفت عليه متي؛ فاجعله في كتابك، وخاطب به جميع أحبابك. فرفعت ستوره، ولحظت مسطوره. فأبدى ليعني نورهُ المودع فيه، ما يتضمّنهُ من العلم المكنون ويحويه. فأول سطر قرأته، وأول سِرٍّ من ذلك السطر علمته؛ ما أذكره الآن في هذا الباب الثاني. والله -سبحانه- يهدي إلى العلم وإلى طريق مستقيم.²

1 ص 92

2 في الهامش: "سمع إلى هنا على مؤلفه أحسن الله إليه محمد بن علي بن محمد المرطز بقراءة. كتبه أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي بمنزله".

الباب¹ الثاني

في معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم
وما لها من الأسماء الحسنی، ومعرفة الكلمات، ومعرفة العلم والعالم والمعلوم

اعلم أنّ هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول في معرفة الحروف.

الفصل الثاني في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات.

الفصل الثالث في معرفة العلم والعالم والمعلوم.

الفصل الأول: في معرفة الحروف ومراتبها والحركات؛

وهي الحروف الصغار، وما لها من الأسماء الإلهية

شَهِدَتْ بِذَلِكَ أَلْسُنُ الْحَقَائِظِ	إِنَّ الْحُرُوفَ أَثْبَةُ الْأَلْفَاظِ
بَيْنَ النَّيَامِ الْحَزِينِ وَالْأَيْقَاطِ	دَارَتْ بِهَا الْأَفْلاكُ فِي مَلَكُوتِهِ
فَبَدَتْ تَعْرِ لِنَيْكِ الْإِنْصَاطِ	أَلْحَظْطُهَا الْأَسْمَاءُ مِنْ مَكْنُونِهَا
عِنْدَ الْكَلَامِ حَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ	وَتَقُولُ: لَوْ لَا فَيَضُ جُودِي مَا بَدَتْ

اعلم -أيدينا الله وإياك- أنه لما كان الوجود مطلقاً من غير تقييد، يتضمّن المكلف وهو الحق² تعالى، والمكلفين وهم العالم والحروف جامعة لما ذكرنا؛ أردنا أن نبين مقام المكلف من هذه الحروف، من المكلفين، من وجه دقيق محقق، لا يتبدّل عند أهل الكشف إذا وقفوا عليه. وهو مستخرج من البسائط، التي عنها تركبت هذه الحروف، التي تسمى حروف المعجم بالاصطلاح العربي في أسماؤها. وإنما سُمّيت حروف المعجم، لأنها عَجَمَتْ على الناظر فيها معناها.

ولما كوشفنا على بسائط الحروف، وجدناها على أربع مراتب: حروف مرتبتها سبعة أفلاك: وهي الألف والزاي واللام، وحروف مرتبتها ثمانية أفلاك: وهي النون والصاد والضاد، وحروف مرتبتها تسعة

أفلاك: وهي العين والغين والسين والشين، وحروف مرتبتها عشرة أفلاك: وهي باقي حروف المعجم، وذلك ثمانية عشر حرفاً، كلُّ حرف منها مركَّب عن عشرة (أفلاك). كما أنّ كلَّ حرف من تلك الحروف (الباقية) منها ما هو (مركَّب) عن تسعة أفلاك، وعن ثمانية، وعن سبعة لا غير، كما ذكرناه. فعدد الأفلاك التي عنها وُجِدَت هذه الحروف وهي البسائط التي ذكرناها - مائتان وأحد وستون فلكا.

أما المرتبة السبعية؛ فالزاي واللام منها، دون الألف، فطبعها الحرارة واليبوسة. وأما¹ الألف فطبعها الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة: ترجع مع الحارِّ حارة، ومع الرطب رطبة، ومع البارد باردة، ومع اليابس يابسة: على حسب ما تجاوره من العوالم.

وأما المرتبة الثمانية فحروفها حارة يابسة.

وأما المرتبة التسعية فالعين والغين، فطبعها البرودة واليبوسة، وأما السين والشين فطبعها الحرارة واليبوسة.

وأما المرتبة العشرية فحروفها حارة يابسة، إلا الحاء المهملة والحاء المعجمة، فإنَّهما باردتان يابستان، وإلا الهاء والمهزة فإنَّهما باردتان رطبتان.

فعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الحرارة: مائتا فلك² وثلاثة أفلاك. وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد اليبوسة: مائتا فلك³ وأحد وأربعون فلكا. وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد البرودة: خمسة وستون فلكا. وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الرطوبة: سبعة وعشرون فلكا، مع التوالج والتداخل الذي فيها، على حسب ما ذكرناه آنفاً.

فسبعة أفلاك توجد عن حركتها العناصر الأولى الأربعة، وعنهما يوجد حرف الألف خاصة.

ومائة وستة وتسعون فلكا توجد عن حركتها الحرارة واليبوسة خاصة، لا يوجد عنها غيرها أثبتة. وعن هذه⁴ الأفلاك يوجد حرف الباء والجيم والذال والواو والزاي والطاء والياء والكاف واللام والميم والنون والصاد والفاء والضاد والقاف والراء والسين والتاء والثاء والذال والظاء والشين.

وثمانية وثمانون فلكا توجد عن حركتها البرودة واليبوسة خاصة. وعن هذه الأفلاك يوجد حرف العين والحاء والغين والحاء.

وعشرون فلكا توجد عن حركتها البرودة والرطوبة خاصة. وعن هذه الأفلاك يوجد حرف الهاء والمهزة.

1 ص 94

2 ق: مائتان فلكا

3 ق: مائتان فلكا

4 ص 94 ب

وَأَمَّا لَامُ أَلْفٍ فَمُتْرَجٌ مِنَ السَّبْعَةِ، وَالْمِائَةِ، وَالسِّتَةِ وَالتَّسْعِينَ، إِذَا كَانَ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾¹.

فَإِنْ كَانَ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ زَهْبَةً﴾² فَمُتْرَاجُهُ مِنَ الْمِائَةِ، وَالسِّتَةِ وَالتَّسْعِينَ، وَمِنَ الْعَشْرِينَ.

وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ فَلَكٌ يَوْجَدُ عَنْهُ الْحَرَارَةُ وَالرُّطُوبَةُ خَاصَّةً، دُونَ غَيْرِهَا. فَإِذَا نَظَرْتَ فِي طَبَعِ الْهَوَاءِ عَثَرْتَ عَلَى الْحِكْمَةِ الَّتِي مَنَعَتْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فَلَكٌ مَخْصُوصٌ. كَمَا أَنَّهُ مَا تَمَّ فَلَكٌ يَوْجَدُ عَنْهُ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْعُنَاصِرِ الْأَوَّلِ عَلَى انْفِرَادٍ.

فَالهَاءُ وَالهمزة يَدُورُ بِهِمَا الْفَلَكُ الرَّابِعُ، وَيَقْطَعُ الْفَلَكُ الْأَقْصَى فِي تِسْعَةِ آلَافِ سَنَةٍ. وَأَمَّا الحَاءُ وَالخَاءُ وَالعَيْنُ وَالغَيْنُ فَيَدُورُ بِهِمَا الْفَلَكُ الثَّانِي، وَيَقْطَعُ الْفَلَكُ الْأَقْصَى فِي إِحْدَى عَشْرَةِ آلَافِ سَنَةٍ. وَبَاقِي³ الْحُرُوفِ يَدُورُ بِهَا الْفَلَكُ الْأَوَّلُ، وَيَقْطَعُ الْفَلَكُ الْأَقْصَى فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ آلَافِ سَنَةٍ. وَهِيَ عَلَى مَنَازِلَ فِي أَفْلَاقِهَا: فَهِيَ مَا هُوَ عَلَى سَطْحِ الْفَلَكِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي مَقْعَرِ الْفَلَكِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ بَيْنَهُمَا.

وَلَوْلَا التَّطْوِيلُ لَبَيَّتَا مَنَازِلَهَا وَحَقَائِقَهَا. وَلَكِنْ سَنَلْتَقِي مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي، فِي الْبَابِ السِّتِينَ مِنْ أَبْوَابِ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ أَلْمَنَّا الْحَقَّ ذَلِكَ⁴ عِنْدَ كَلَامِنَا فِي "مَعْرِفَةِ الْعُنَاصِرِ وَسُلْطَانِ الْعَالَمِ الْعِلْمِيِّ عَلَى الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، وَفِي أَيِّ دَوْرَةٍ كَانَ وَجُودُ هَذَا الْعَالَمِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ الْآنَ، مِنْ دَوْرَاتِ الْفَلَكِ الْأَقْصَى؟ وَأَيُّ رُوحَانِيَّةٍ تَنْظُرْنَا؟". فَلْتَقَبْضِ الْعُنَانَ حَتَّى نَصِلَ إِلَى مَوْضِعِهِ، أَوْ يَصِلَ مَوْضِعُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَلتَرْجِعْ وَقُولِي: إِنَّ الْمَرْتَبَةَ السَّبْعِيَّةَ الَّتِي لَهَا الزَّاي وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ، جَعَلْنَاهَا لِلْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَكْتَفَى، أَيِ نَصِيْبِهَا مِنَ الْحُرُوفِ. وَإِنَّ الْمَرْتَبَةَ الثَّمَانِيَّةَ الَّتِي هِيَ النُّونُ وَالصَّادُ وَالضَّادُ جَعَلْنَاهَا حِطًّا لِلْإِنْسَانِ مِنَ عَالَمِ الْحُرُوفِ. وَإِنَّ الْمَرْتَبَةَ التَّسْعِيَّةَ الَّتِي هِيَ الْعَيْنُ وَالغَيْنُ وَالسَّيْنُ وَالشَّيْنُ جَعَلْنَاهَا حِطًّا⁵ لِلْجِنِّ مِنَ عَالَمِ الْحُرُوفِ. وَإِنَّ الْمَرْتَبَةَ الْعَشْرِيَّةَ وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعَةِ (الْأَحَادُ وَالْعَشْرَاتُ وَالْمِائَاتُ وَالْأَلُوفُ) الَّتِي هِيَ بَاقِي الْحُرُوفِ جَعَلْنَاهَا حِطًّا لِلْمَلَائِكَةِ مِنْ عَالَمِ الْحُرُوفِ.

وَإِنَّمَا جَعَلْنَا هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْأَرْبَعَةَ لِهَذِهِ الْأَرْبَعِ مَرَاتِبٍ⁶ مِنْ⁷ الْحُرُوفِ، عَلَى هَذَا التَّقْسِيمِ، لِحَقَائِقِ عَسِيرَةِ الْمَذْرُوكِ، يَحْتَاجُ ذِكْرَهَا وَبَيَانَهَا إِلَى دِيْوَانِ بِنَفْسِهِ. وَلَكِنْ قَدْ ذَكَرْنَاهُ حَتَّى نَتِمَّ فِي كِتَابِ "الْمَبَادِي

1 [الزمر : 61]

2 [الحشر : 13]

3 ص 95

4 الجملة الاعتراضية مكتوبة في الهامش بخط حديث.

5 ق: "مرتبة" ووفقها بلم الأصل: "حظ"

6 ق: المراتب

7 ص 95

والغايات فيما تحوي عليه حروف المعجم من العجائب والآيات" وهو بين أيدينا، ما كل ولا قيد منه إلا أوراق متفرقة بسيرة. ولكن سأذكر منه في هذا الباب لحة بارق لمن شاء الله.-

فصلت الأربعة للجنّ الناري لحقائق هم عليها. وهي التي أدت لهم لقولهم فيما أخبر الحقّ تعالى- عنهم: ﴿لَمَّا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُدْعَىٰ بِأَسْمَائِهِمْ وَبِحُرُوفِهِمْ﴾¹، وفزع حقائقهم، ولم تبق لهم حقيقة خامسة يطلبون بها مرتبة زائدة. وإياك أن تعتقد أنّ ذلك جائز لهم؛ وهو أن يكون لهم العلوّ وما يقابله؛ اللّنان تتمّ بهما الجهات الستة: فإنّ الحقيقة تأتي ذلك، على ما قررناه في كتاب "المباني والغايات" ويتنا فيه لم اختصوا بالعين والفين والسين والشين دون غيرها من الحروف؟ والمناسبة التي بين هذه الحروف وبينهم، وأنهم موجودون عن الأفلاك التي عنها وجدت هذه الحروف.

وحصل للحضرة الإلهية من هذه الحروف ثلاثة؛ لحقائق هي عليها أيضا: وهي الذات، والصفة، والرابط بين الذات والصفة؛ وهي القبول، أي بها كان القبول. لأنّ الصفة لها² تعلق بالموصوف بها، وبمتملقتها الحقيقي لها. كالعلم يربط نفسه بالعالم به وبالمعلوم، والإرادة تربط نفسها بالمريد بها وبالمراد لها، والقدرة تربط نفسها بالقادر بها وبالمقدور لها، وكذلك جميع الأوصاف والأسماء، وإن كانت ينسب.

وكانت الحروف التي اختصت بها الألف والزاي واللام، تدلّ على معنى نفي الأوتلية؛ وهو الأزل. وبسائط هذه الحروف واحدة في العدد. فما أعجب الحقائق لمن وقف عليها! فإنه (أي هذا الواقف) يتنزّه فيما يجله الغير، وتضيق صدور الجهلاء به. وقد تكلمنا أيضا في المناسبة الجامعة بين هذه الحروف وبين الحضرة الإلهية في الكتاب المذكور.

وكذلك حصل للحضرة الإنسانية، من هذه الحروف، ثلاثة أيضا، كما حصل للحضرة الإلهية، فاتفقا في العدد. غير أنّها حرف النون والصاد والضاد. ففارقته الحضرة الإلهية من جهة موادها، فإنّ العبودية لا تُشرك الربوبية في الحقائق التي بها يكون إلها، كما أنّ بحقائقه يكون العبد مألواها. وبما هو (أي الخلق) على الصورة، اختص بثلاثة (أحرف) كهو. فلو وقع الاشتراك في الحقائق، لكان (الأمر إما) إلها واحدا أو عبدا واحدا، أعنى عينا واحدة. وهذا لا يصحّ. فلا بدّ أن تكون الحقائق متباينة، ولو نسبت إلى عين واحدة. ولهذا³ بآيهم بقديهم، كما باينوه بحدوثهم. ولم يقل: "باينهم بعلمه كما باينوه بعلمهم"؛ فإنّ فلّك العلم واحد: قديما في القديم، محدثا في الحديث.

واجتمعت الحضرتان في أنّ كلّ واحدة منها معقولة من ثلاث حقائق: ذات، وصفة، ورابطة بين الصفة والموصوف بها. غير أنّ العبد له ثلاثة أحوال: حالة مع نفسه لا غير؛ وهو الوقت الذي يكون فيه

1 [الأعراف : 17]

2 ص 96

3 ص 96 ب

نائم القلب عن كل شيء، وحالة مع الله، وحالة مع العالم. والباري سبحانه - مبين لنا فيما ذكرناه¹؛ فإن له حالين: حال من أجله، وحال من أجل خلقه. وليس فوقه موجود فيكون له تعالى - وُضِفَ تعلق به. فهذا بحر آخر لو خضنا فيه لجاأت أمور لا يطاق سماعها. وقد ذكرنا المناسبة التي بين النون والصاد والضاد التي للإنسان، وبين الألف والزاي واللام التي هي للحضرة الإلهية في كتاب "المبادي والغايات". وإن كانت حروف الحضرة الإلهية عن سبعة أفلاك، والإنسانية عن ثمانية أفلاك؛ فإن هذا لا يقدح في المناسبة؛ ليتين الإله والمألوه.

ثم إنّه، في نفس النون الرقمية، التي هي شطر الفلك، من العجائب ما لا يقدر على سماعها إلا مَنْ شَدَّ عليه مئزر التسليم، وتحقق بروح الموت الذي لا يتصوّر، من قام به، اعتراض ولا تطلّع. وكذلك في نفس نقطة النون، أول دلالة النون الروحانية، المعقولة فوق شكل النون السفلية، التي هي النصف من النائرة، والنقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعة أول الشكل، التي هي مركز الألف المعقولة، التي بها يميّز قطر النائرة. والنقطة الأخيرة التي ينقطع بها شكل النون وينتهي بها، هي رأس هذا الألف المعقولة المتوهمة. فنقدّر قياما من رقدتها، فترتكز (الألف) لك على النون؛ فيظهر من ذلك حرف اللام. والنون نصفها زاي، مع وجود الألف المذكورة.

فتكون النون، بهذا الاعتبار، تعطيك الأزل الإنساني؛ كما أعطاك الألف والزاي واللام في الحق. غير أنّه في الحق ظاهر؛ لأنّه بذاته أزلي، لا أول له، ولا مفتتح لوجوده في ذاته، بلا ريب ولا شك. ولبعض الحقيقتين كلام في الإنسان الأزلي؛ فنسب الإنسان إلى الأزل.

فالإنسان خفي فيه الأزل فجُهِل؛ لأنّ الأزل ليس ظاهرا في ذاته. وإنما صحّ فيه الأزل لوجه ما من وجوه وجوده، منها أنّ الموجود يطلق عليه الوجود في أربع مراتب: وجود في الذهن، ووجود في العين، ووجود في اللفظ، ووجود في الرقم.

وسياتي ذكر هذا، في هذا الكتاب، إن شاء الله. - من جهة وجوده على صورته التي وجد عليها في عينه، في العلم القديم الأزلي، المتعلق به في حال ثبوته، فهو موجود أزلا أيضا. كأنّه (أي الإنسان، موجود) بعناية العلم (الأزلي) المتعلق به: كالتحيز للعرض، بسبب قيامه بالجواهر، فصار متحيزا بالتبعية³.

فلهذا خفي فيه الأزل. ولحقاقه أيضا الأزلية، المجردة عن الصورة المعيّنة المعقولة، التي تقبل القدم والحدوث، على حسب ما شرحنا ذلك في كتاب "إنشاء النواثر والجداول". فانظره هناك، تجده مستوفى. وسنذكر منه طرفا في هذا الكتاب، في بعض الأبواب، إذا مسّت الحاجة إليه.

1 "فيما ذكرناه" مشبّهة في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب.

2 ص 97

3 ص 97

وظهور ما ذكرناه، من سرّ الأزل في النون، هو في الصاد والضاد أتمّ وأمكن، لوجود كمال الدائرة. وكذلك ترجع حقائق الألف والزاي واللام التي للحقّ، إلى حقائق النون والصاد والضاد التي للعبد. ويرجع الحقّ يتّصف هنا بالأسرار، التي مُنغنا عن كشفها في الكتب. ولكن يُظهرها العارف بين أهلها في علمه ومشربه، أو مسلمً في أكل درجات التسليم. وهي حرام على غير هذين الصنفين. فتحقّق ما ذكرناه، وتبينه؛ يتدّ لك من العجائب التي يهزّ العقولَ حسنُ جمالها.

وبقي للملائكة باقي حروف المعجم، وهي ثمانية عشر- حرفاً، وهي: الباء، والجيم، والذال، والهاء، والواو، والحاء، والطاء، والياء، والكاف، والميم، والفاء، والقاف، والراء، والتاء، والثاء، والحاء، والذال، والطاء.

فقلنا: الحضرة الإنسانيّة كالحضرة الإلهيّة. لا؛ بل هي عينها. (وهي) على ثلاث مراتب: مُلك، وملكوت، وجبروت.

وكلّ¹ واحدة من هذه المراتب، تنقسم إلى ثلاث؛ فهي تسعة في العدد. فتأخذ ثلاثة الشهادة (عمرتية المُلك) فتضربها في الستة؛ المجموعة من الحضرة الإلهيّة والإنسانيّة، أو في الستة الأيام المقدّرة، التي فيها أوجّدت الثلاثة الحقيّة الثلاثة الحلقية؛ يخرج لك ثمانية عشر: وهو وجود المُلك. وكذلك تعمل في الحقّ بهذه المثابة.

فالحقّ له تسعة أفلاك للإلقاء، والإنسان له تسعة أفلاك للتلقّي. فتمتدّ من كلّ حقيقة من التسعة الحقيّة رقائق إلى التسعة الحلقية، وتنعطف من التسعة الحلقية رقائق على التسعة الحقيّة. فحينما اجتمع؛ كان المُلك ذاك الاجتماع. وحدث هنالك أمر²: فذلك الأمر الزائد، الذي حدث، هو المُلك.

فإن أراد أن يميل، بكلّه، نحو التسعة الواحدة؛ جذبته الأخرى. فهو يتردّد ما بينها. جبريل ينزل من حضرة الحقّ على النبيّ ﷺ. وإنّ حقيقة المُلك لا يصحّ فيها الميل؛ فإنّه منشأ الاعتدال بين التسعتين. والميلُ انحراف؛ ولا انحراف عنده، ولكنه يتردّد بين الحركة المنكوسة والمستقيمة. (وهذا التردّد) هو عين الرقيقة.

فإن جاءه (أي جاء المُلك الإنسان) وهو فاقد؛ فالحركة منكوسة: ذاتيّة وعرضيّة. وإن جاءه وهو واجد؛ فالحركة مستقيمة: عرضيّة لا ذاتيّة. وإن رجع عنه وهو فاقد؛ فالحركة (مستقيمة): ذاتيّة³ وعرضيّة. وإن رجع عنه وهو واجد؛ فالحركة منكوسة: عرضيّة لا ذاتيّة.

1 ص 98

2 لم ترد في ق، ه وأثبتناها من س

3 ص 98 ب

وقد تكون الحركة من العارف مستقيمة أبداً، ومن العابد منكوسة أبداً. وسيأتي الكلام عليها في داخل الكتاب، و(سبب) انحصارها في ثلاث: منكوسة وأفقية ومستقيمة إن شاء الله-. فهذه نكتٌ غيبية عجيبة.

ثم أرجع وأقول: إن التسعة (الأفلاك) هي سبعة. وذلك أن عالم الشهادة هو في نفسه برزخٌ؛ فذلك واحد. وله ظاهر: فذلك اثنان. وله باطن: فذلك ثلاثة. ثم عالم الجبروت برزخٌ في نفسه: فذلك واحد، وهو الرابع. ثم له ظاهر، وهو باطن عالم الشهادة. ثم له باطن: وهو الخامس. ثم بعد ذلك عالم الملكوت، هو في نفسه برزخ، وهو السادس. ثم له ظاهر، وهو باطن عالم الجبروت، وله باطن: وهو السابع. وما ثم غير هذا. وهذه صورة السبعية والتسعية.

فتأخذ الثلاثة وتضربها في السبعة، فيكون الخارج واحداً¹ وعشرين؛ فتخرج الثلاثة الإنسائية، فتبقى ثمانية عشر: وهو مقام الملك، وهي الأفلاك التي منها يتلقى الإنسان الموارد.

وكذلك تفعل بالثلاثة الحقيية: تضربها أيضاً في السبعة، فتكون عند ذلك- الأفلاك التي منها يتلقى الحق على عبده ما يشاء من الواردات. فإن أخذناها من جانب الحق، قلنا: أفلاك الإلقاء. وإن أخذناها من² جانب الإنسان، قلنا: أفلاك التلقي. وإن أخذناها منها معاً؛ جعلنا تسعة الحق للإلقاء، والأخرى للتلقي، وباجتماعها حدث الملك. ولهذا أوجد الحق تسعة أفلاك: السماوات السبع والكرسي والعرش. وإن شئت قلت: فللك الكواكب والفلك الأطلس، وهو الصحيح.

تتميم

(سبب منعنا أن يكون للحرارة والرطوبة فلك)

منعنا، في أول هذا الفصل، أن يكون للحرارة والرطوبة فلك، ولم نذكر السبب. فلنذكر منه طرفاً في هذا الباب، حتى نستوفيه في داخل الكتاب إن شاء الله تعالى-. وسأذكر في هذا الباب، بعد هذا التتميم، ما يكون من الحروف حاراً رطباً؛ وذلك لأنه دار به فلك، غير الفلك الذي ذكرناه في أول الباب. فاعلم أن الحرارة والرطوبة هي الحياة الطبيعية³. فلو كان لها فلك، كما لأخوانها في المزجة، لانقضت دورة ذلك الفلك وزال سلطانه، كما يظهر في الحياة العرضية؛ وكانت (الحياة الطبيعية) تتعدم أو تنتقل. وحقيقتها تقضي بأن لا تتعدم: فليس لها فلك. ولهذا أنبأنا الباري تعالى- أن النار الآخرة هي الحيوان⁴.

1 ق: أحنا

2 ص 99

3 نابتة بالهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

4 مستعاد من قوله تعالى: أَوَّلُ النَّارِ الآخِرَةُ لَهَاِ الْخَيْرَاتُ {العنكبوت: 64}

وَأَنْ كُلَّ شَيْءٍ يَسْتَبِحُ بِحَمْدِهِ¹. فصار فلَك الحياة الأبدية، الحياة الأزلية تمدّها، وليس لها فلَك فتنقضي دورته. فالحياة الأزلية ذاتية للحَيِّ، لا يصحّ لها انقضاء. فالحياة الأبدية² المعلولة بالحياة الأزلية، لا يصحّ لها انقضاء.

الا ترى الأرواح لَمَّا كانت حياتها ذاتية لها؛ لم يصحّ فيها موتٌ ألبتّة؟ ولَمَّا كانت الحياة في الأجسام بالعرض؛ قام بها الموت والقضاء؟ فإنّ حياة الجسم، الظاهرة من آثار حياة الروح، (هي) كسور الشمس الذي في الأرض من الشمس، فإذا مضت الشمس؛ تبعها نورها، وبقيت الأرض مظلمة. كذلك الروح إذا رحل عن الجسم إلى عالمه الذي جاء منه؛ تبعته الحياة، المنتشرة منه في الجسم الحيّ، وبقي الجسم في صورة الجماد في رأي العين. فيقال: "مات فلان". وتقول الحقيقة: رجع إلى أصله؛ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُبِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾³.

كما رجع، أيضا، الروح إلى أصله حتى البعث والنشور، (حيث) يكون من الروح، (إذ ذاك)، تجلّ للجسم بطريق العشق؛ فتلتئم أجزاؤه، وتركّب أعضاؤه بحياة لطيفة جدًّا، تُحرِّك الأعضاء للتأليف، اكتسبته من التفات الروح. فإذا استوت البنية، وقامت النشأة الترابيّة؛ تجلّى له الروح بالريقة الإسرافيلية، في الصّور المحيط. فتسري الحياة في أعضائه؛ فيقوم شخصا سويًّا كما كان أول مرة، ﴿ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾⁴ ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾⁵ ﴿كَأَنَّمَا بَدَأْتُمْ تَعْوَدُونَ﴾⁶ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾⁷؛ فإمّا شقيّ وإمّا⁸ سعيد.

واعلم أنّ في امتزاج هذه الأصول عجائب. فإنّ الحرارة والبرودة ضدّان فلا يمتزجان، وإذا لم يمتزجا لم يكن عنها شيء. وكذلك الرطوبة واليبوسة. وإنما يمتزج ضدّ الضدّ بضدّ الآخر. فلا يتولّد عنها أبداً إلّا أربعة؛ لأنّها أربعة. ولهذا كانت اثنان ضدّين لاثنين. فلو لم تكن على هذا؛ لكان التركيب منها أكثر مما تعطيه حقائقها. ولا يصحّ أن يكون التركيب أكثر من أربعة أصول؛ فإنّ الأربعة هي أصول العدد. فالثلاثة التي في الأربعة، مع الأربعة؛ سبعة. والاثنتان التي فيها، مع هذه السبعة، تسعة. والواحد الذي في الأربعة، مع هذه التسعة، عشرة. وركّب ما شئت بعد هذا. وما تجدد عددا يعطيك هذا إلّا الأربعة. كما لا تجدد عددا تامًّا إلّا

1 مستفاد من قوله تعالى: (وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) {الإسراء: 44}

2 ص 99

3 [طه: 55]

4 [الزمر: 68]

5 [الزمر: 69]

6 [الأعراف: 29]

7 [يس: 79]

8 ص 100

الستة: لأنّ فيها النصف والسدس والثالث¹.

فامتزجت الحرارة واليبوسة: فكان النار. والحرارة والرطوبة: فكان الهواء. والبرودة والرطوبة: فكان الماء. والبرودة واليبوسة: فكان التراب. فانظر في تكوّن الهواء عن الحرارة والرطوبة، وهو النّفْس الذي هو الحياة الحِسِّيّة، وهو المحرّك لكلّ شيء بنفسه؛ للماء والأرض والنار. وبحركته تتحرّك الأشياء لأتّه الحياة، إذ كانت الحركة أئز الحياة. فهذه الأربعة الأركان المولّدة عن الأمّهات الأوّل.

ثم لتعلم أنّ تلك الأمّهات الأوّل تعطي²، في المركّبات، حقائقها لا غير، من غير امتزاج. فالتسخين: عن الحرارة، لا يكون عن غيرها. وكذلك التّجفيف والتّقبُّض: عن اليبوسة. فإذا رأيت النار قد أيبست الحلّ من الماء؛ فلا تتخيّل أنّ الحرارة جفّفته؛ فإنّ النار مركّبة من حرارة ويبوسة، كما تقدّم. فبالحرارة التي فيها تسخّن الماء، وباليبوسة وقع التّجفيف. وكذلك التّليين لا يكون إلاّ عن الرطوبة، والتبريد عن البرودة. فالحرارة تُسخّن، والبرودة تَبْرِد، والرطوبة تُلَيِّن، واليبوسة تُجفّف.

فهذه الأمّهات متنافرة، لا تجتمع أبداً إلاّ في الصورة، ولكن على حسب ما تعطيه حقائقها. ولا يوجد منها، في صورة أبداً، واحدٌ، لكن يوجد اثنان: إمّا حرارة ويبوسة، كما تقدّم من تركيبها. وأمّا أن توجد الحرارة وحدها فلا، لأنّها لا يكون عنها، على انفرادها، إلاّ هي.

وَضَلَّ

(الحقائق على قسمين: مفردة ومركّبة)

فإنّ الحقائق على قسمين: حقائق توجد مفردات في العقل؛ كالحياة والعلم والنطق والحسّ، وحقائق توجد بوجود التركيب؛ كالسما والعالَم والإنسان والحجر.

فإن قلت: فما السبب الذي جمع هذه الأمّهات المتنافرة حتى ظهر من امتزاجها ما ظهر؟ فهنا سرّ عجيب ومركب صعب، يحرم كشفه؛ لأنّه لا يطاق حمله؛ لأنّ العقل لا يعقله، ولكنّ الكشف يشهده. فلنسكت عنه، وربما³ نشير إليه من بعيد في مواضع من كتابي هذا يتفطن إليه الباحث اللبيب.

ولكن أقول: أراد المختار سبحانه- أن يولّفها لَمّا سبق في علمه خَلَقُ العالَم، وأنها أصل أكثره، أو أصله إن شئت، فألّفها. ولم تكن موجودة في أعيانها. ولكن أوجدها مؤلّفة، لم يوجدتها مفزّدة ثمّ جمعها؛ فإنّ حقائقها تأتي ذلك. فأوجد الصورة، التي هي عبارة عن تأليف حقيقتين من هذه الحقائق؛ فصارت كأنّها

1 "لأن...والثالث" مشبهة في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب.

2 ص 100 ب

3 ص 101

كانت موجودة متفرقة ثم ألفت. فظهرت للتأليف (=عند التأليف) حقيقة لم تكن في وقت الافتراق. فالخاتق تعطي أن هذه الأمتام لم يكن لها وجود في عينها البتة، قبل وجود الصور المركبة عنها.

فلما أوجد هذه الصور، التي هي الماء والنار والهواء والأرض، وجعلها سبحانه- يستحيل بعضها إلى بعض: فيعود النار هواءً، والهواء ناراً، كما تقلب التاء طاءً، والسين صاداً؛ لأنّ الفلّك الذي وُجدت عنه الأمتام الأول، عنها وُجدت هذه الحروف.

فالفلّك الذي وُجد عنه الأرض، وُجد عنه حرفُ التاء والتاء، وما عدا رأس الجيم، ونصف تعريقة اللام، ورأس الحاء، وثلاثا الهاء، والدالُّ اليابسة، والنون، والميم.

والفلّك الذي وُجد عنه الماء، وُجد عنه حرفُ الشين والفين والطاء والحاء والضاد ورأس الباء - بالنقطة الواحدة¹ - ومدّة جسد الفاء دون رأسها، ورأس القاف، وشيء² من تعريقه، ونصف دائرة الظاء المعجمة³، الأسفل.

والفلّك الذي وُجد عنه الهواء، وُجد عنه طرف الهاء الأخير الذي يَفْقِدُ دائرتها، ورأس الفاء، وتعريقُ الحاء على حكم نصف الدائرة، ونصف دائرة الظاء المعجمة الأعلى مع قائمته، وحرفُ النال والمين والزاي والصاد والواو.

والفلّك الذي وُجد عنه النار، وُجد عنه حرفُ الهمة والكاف والباء والسين والراء، ورأس الجيم، وجسدُ الياء باثنتين من أسفل⁴ - دون رأسها، ووسطُ اللام، وجسدُ القاف دون رأسه. وعن حقيقة الألف صدرت هذه الحروف كلّها، وهو فلّكها روحاً وحسناً.

وكذلك تمّ موجود⁵ خامس، هو أصل لهذه الأركان. وفي هذا خلاّف بين أصحاب علم الطبائع عن النظر. ذكره الحكيم⁶ في الأنسطقسّات، ولم يأت فيه بشيء يقف الناظر عنده. ولم نعرف هذا من حيث قراءتي علم الطبائع على أهله، وإنما دخل به عليّ صاحب لي، وهو في يده وكان يشتغل بتحصيل علم الطبّ - فسألني أن أمشي به له، من جهة علمنا بهذه الأشياء: من جهة الكشف، لا من جهة القراءة والنظر. فقرأ علينا، فوقفنا منه على هذا الخلاف الذي أشرتُ إليه؛ فمن هناك علمته. ولولا ذلك ما عرفنا: هل خالف فيه أحد أم لا؟ فإنه ما عندنا فيه إلا الشيء الحقّ، الذي هو عليه. وما عندنا خلاف.

1 "النقطة الواحدة" مثبت في الهامش بخط آخر.

2 ص 101 ب

3 ثابت في الهامش بخط الأصل مع إشارة التصويب.

4 "باثنتين من أسفل" تاجه بين السطرين بقلم جديد.

5 عليه إشارة "صح" وفي الهامش لفظ "مقول" وعليه حرف "خ".

6 الحكيم: أرسطو طاليس

فإنَّ الحقَّ تعالى- الذي نأخذ العلومَ عنه¹، بخلوّ القلب عن الفكر، والاستعداد لقبول الواردات- هو الذي يعطينا الأمر على أصله، من غير إجمال ولا حيرة. فنعرف الحقائق على ما هي عليه، سواء كانت المفردات، أو الحادثة بمحدث التأليف، أو الحقائق الإلهية، لا نمتري في شيء منها. فمن هناك هو علّمنا. والحقّ سبحانه- معلّمنا؛ ورثا نبويّا، محفوظا، معصوما من الخلل والإجمال والظاهر.

قال تعالى:- ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ²﴾ فإنَّ الشعر محلُّ الإجمال والرموز والألغاز والتورية. أي ما رمزنا له شيئا، ولا لغزناه، ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئا آخر، ولا أجهلنا له الخطاب. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ³﴾ ليا شاهده حين جذبناه، وغيبناه عنه، وأحضرناه بنا عندنا؛ فكنا سمعنا وبصره. ثم رددناه إليكم لتتدوا به في ظلمات الجهل والكون؛ فكنا لسانه الذي يخاطبكم به. ثم أنزلنا عليه مذكرا يذكره بما شاهده؛ فهو ﴿ذِكْرٌ﴾ له لذلك ﴿وَقُرْآنٌ﴾، أي: جمع أشياء كان شاهداها عندنا ﴿مُيِّنٌ﴾ ظاهر له؛ لعلمه بأصل ما شاهده وعابنه، في ذلك التقريب الأنزه الأقدس، الذي ناله منه ﴿وَلَنَا مِنْهُ﴾ من الحظّ، على قدر صفاء المحلّ والتهيؤ والتتوي.

فمن علم أنّ الطبايع، والعالم المركّب منها، في غاية الافتقار والاحتياج إلى الله تعالى- في وجود أعيانها وتأليفها⁴؛ علم أنّ السبب (الفاعل) هو حقائق الحضرة الإلهية، (أي) الأسماء الحسنی والأوصاف الغلى، كيف تشاء، على حسب ما تعطيه حقائقها. وقد بيّنا هذا الفصل على الاستيفاء في كتاب "إنشاء الجداول والنوادر"، وسنذكر من ذلك طرفا في هذا الكتاب. فهذا هو سبب الأسباب، القديم، الذي لم يزل مؤلف الأمّهات، ومولّد البنات. فسبحانه سبحانه، خالق الأرض والسموات.

وَضَلَّ

(بسائط مراتب الحروف)

اتهى الكلام المطلوب في هذا الكتاب على الحروف من جملة المكلف والمكلفين، وحظها منهم، وحركتها في الأفلاك السداسية المضاعفة. وعيّننا سببي دورتها في تلك الأفلاك، وحظها من الطبيعة من حركة تلك الأفلاك، ومراتبها الأربعة في المكلف والمكلفين على حسب فهم العامة. ولهذا كانت أفلاك بسائطها على نوعين. فالبسائط التي⁵ يقتصر بها على حقائق عامّة العقلاء، على أربعة: حروف الحقّ التي عن الأفلاك السبعية، وحروف الإنس عن الثمانية، وحروف الملّك عن التسعة، وحروف الجنّ الناري

1 ص 102

2 [يس : 69]

3 [يس : 69]

4 ص 102 ب

5 ق: النبي

عن العشرة. وليس ثمَّ قسم زائد عندهم، لقصورهم عن إدراك ما ثمَّ؛ لأنهم تحت قهر عقولهم. والحققون (هم) تحت قهر سيدهم¹ الملك الحقّ ﷻ. فهذا عندهم من الكشف ما ليس عند الغير.

فبسائط المحققين، على ستِّ مراتب: مرتبة للمكفِّ الحقّ تعالى- وهي النون، وهي ثنائية. فإنَّ الحقَّ لا نعلمه إلا منّا، وهو معبودنا. ولا يُعلم على الكمال إلا بنا. فهذا كان له النون التي هي ثنائية. فإنَّ بساطتها اثنان: الواو والألف. فالألف له، والواو لمعناك. وما في الوجود غير الله وأنت؛ إذ أنت الخليفة. ولهذا؛ الألف عامٌّ، والواو ممتزجة، كما سيأتي ذكُّرها في هذا الباب.

ودورة هذا الفلك (=فلك الألف)، المخصوصة، التي بها تقطعُ الفلكُ المحيط الكلي، (هي) دورة جامعة تقطعُ الفلكُ الكلي في اثنين وثمانين ألف سنة. وتقطعُ فلكُ الواو الفلكُ الكلي في عشرة آلاف سنة، على ما نذكرها بعد، في هذا الباب، عند كلامنا على الحروف مفردة، وحقائقها. وما بقي من المراتب فعلى عدد المكلفين.

وأما المرتبة الثانية فهي للإنسان. وهو أكمل المكلفين وجوداً، وأعمه، وأتمه خلقاً، وأقوّمه. ولها حرف واحد وهو² الميم. وهي ثلاثية. وذلك أنّ بساطتها ثلاثة: الياء والألف والهمزة. وسيأتي ذكُّرها في داخل الباب إن شاء الله.

وأما المرتبة الثالثة فهي للجنّ مطلقاً؛ الثوري والناري. وهي رباعية. ولها من³ الحروف: الجيم والواو والكاف والقاف، وسيأتي ذكُّرها.

وأما المرتبة الرابعة فهي للبهائم، وهي خماسية. لها من الحروف: الدال اليابسة، والزاي، والصاد اليابسة، والعين اليابسة، والضاد المعجمة، والسين اليابسة، والنال المعجمة، والغين والشين المعجمتان. وسيأتي ذكُّرها إن شاء الله.

وأما المرتبة الخامسة فهي للنبات، وهي سداسية. لها من الحروف: الألف والهاء واللام. وسيأتي ذكُّرها إن شاء الله.

وأما المرتبة السادسة فهي للجماد، وهي سباعية. لها من الحروف: الباء، والحاء، والطاء، والياء، والفاء، والراء، والتاء، والثاء، والحاء، والظاء. وسيأتي ذكُّرها إن شاء الله.

والغرض في هذا الكتاب إظهار أتع ولوائح إشارات، من أسرار الوجود. ولو فتحنا الكلام على سرائر هذه الحروف، وما تمتضيه حقائقها؛ لكُتِّت اليمين، وخفي القلم، وجفَّ المداد، وضاعت القراطيس

1 ص 103

2 ق: "وهي" وصححت أعلاه.

3 ص 103 ب

والألواح، ولو كان الرق المنشور. فإنها من الكلمات التي قال تعالى - فيها: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾¹ وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾².

وهنا سرّ وإشارة عجيبة، لمن تظنّ لها وعثر على هذه الكلمات. فلو³ كانت هذه العلوم نتيجة عن فكر ونظر؛ لانحصر الإنسان في أقرب مدة. ولكنها موارد الحقّ تعالى - تتوالى على قلب العبد، وأرواحه البررة تنزل عليه من عالم غيبه، برحمته التي من عنده، وعلمه الذي من لده. والحقّ تعالى - وهاب على النوام، فيأض على الاستمرار. والهلّ قابل على النوام: فأما يقبل الجهل، وأما يقبل العلم. فإن استعدت وتبيّنا، وصفتى مرآة قلبه وجلاها؛ حصل له الوهب على النوام، ويحصل له في اللحظة ما لا يقدر على تقييده في زمنه؛ لاتساع ذلك الفلك المعقول، وضيق هذا الفلك المحسوس. فكيف ينقضي ما لا يتصوّر له نهاية، ولا غاية يقف عندها؟!.

وقد صرح بذلك في أمره لرسوله ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁴ والمراد بهذه الزيادة من العلم المتعلق بالإله، ليزيد معرفة بتوحيد الكثرة، فتزيد رغبته في تحميده، فيزيد فضلا على تحميده، دون انتهاء ولا انقطاع. فطلب (النبي) منه الزيادة، وقد حصل من العلوم والأسرار ما لم يبلغه أحد.

ومما يؤيد ما ذكرناه من أنه أمر بالزيادة من علم التوحيد لا من غيره - أنه كان ﷺ إذا أكل طعاما قال: «اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، وإذا شرب لبنا قال: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه»⁵، لأنه أمر بطلب الزيادة. فكان⁶ يتذكّر، عندما يرى اللبن، اللبن الذي شره ليلة الإسراء، فقال له جبريل: «أصببت الفطرة؛ أصاب الله بك أمتك»⁷.

والفطرة: علم التوحيد، التي فطر الله الخلق عليها، حين أشهدهم، حين قبضهم من ظهورهم: ﴿وَالنَّسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾⁸ فشاهدوا الربوبية قبل كلّ شيء.

ولهذا تأوّل ﷺ اللبن لما شره في النوم وناول فضله عمر، «قيل: ما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم»⁹. فلولا حقيقة مناسبة بين العلم واللبن، جامعة، ما ظهر بصورته في عالم الخيال. عرف ذلك من

1 [الكهف: 109] واقتصر النص المكتوب في ق على: "لو كان البحر مديانا"

2 [لقمان: 27]

3 ص 104

4 [طه: 114]

5 سنن أبي داود 3242، سنن الترمذي 3377

6 ص 104 ب

7 صحيح البخاري 3182، صحيح مسلم 245

8 [الأعراف: 172]

9 صحيح البخاري 80، سنن الترمذي 2209

عرفه، وجمله من جملة.

فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه، كيف ينتهي كلامه أبدا؟ فشتان بين مؤلف يقول: حدثني فلان رحمه الله- عن فلان رحمه الله-، وبين من يقول: "حدثني قلبي عن ربي". وإن كان هذا (الأخير) رفيع القدر، فشتان بينه وبين من يقول: "حدثني ربي عن ربي". أي حدثني ربي عن نفسه. وفيه إشارة. الأول: ربّ المعتقد. والثاني: الربّ الذي لا يتقيد. فهو بواسطة لا بواسطة. وهذا هو العلم الذي يحصل للقلب من المشاهدة الذاتية، التي منها يفيض على السرّ والروح والنفس.

فمن كان هذا مشربه، كيف يُعرف مذهبه؟ فلا تعرفه حتى تعرف الله، وهو لا يُعرف تعالى- من جميع وجوه المعرفة، كذلك هذا لا يُعرف. فإنّ العقل لا يدري أين هو؟ فإنّ مطلبه الأكوان، ولا يكون لهذا، كما قيل:

ظَهَرَتْ¹ لِمَنْ أَبْقَيْتَ بَقْدَ فَنَائِهِ فَكَانَ بِلا كَوْنٍ لِأَنَّكَ كُنْتَهُ

فالحمد لله الذي جعلني من أهل الإلقاء والتلقي. فنسأله -سبحانه- أن يجعلنا وإياكم من أهل التداني والترقي.

ثم أرجع وأقول: إنّ فصول حروف المعجم تزيد على أكثر من خمس مائة فصل، وفي كلّ فصل مراتب كثيرة. فتركنا الكلام عليها حتى نستوفيه في كتاب "المباني والغايات" إن شاء الله-. ولنقتصر منها على ما لا بدّ من ذكره، بعد ما نسيتي من مراتبها ما يليق بكتابنا هذا. وربما نتكلّم على بعضها. وبعد ذلك نأخذها حرفا حرفا، حتى تكمل الحروف كلّها إن شاء الله-. ثمّ تتبعها بإشارات من أسرار تعانق اللام بالألف، ولزومه إياه، وما السبب لهذا التمشق الروحانيّ بينها خاصّة، حتى ظهر ذلك في عالم الكتابة والرقم؟ فإنّ في ارتباط اللام بالألف سرّاً لا ينكشف، إلّا لمن أقام الألف من رقدتها، وحلّ اللام من عقدها. والله يرشدنا وإياكم لعمل صالح يرضاه منا.

انتهى الجزء الرابع والحمد لله.

الجزء الخامس من الفتح المكي¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

ذُكِرَ بعض مراتب الحروف

اعلم رفقنا الله وإياكم- أن الحروف أمة من الأمم، مخاطبون ومكلفون، وفيهم رسل من جنسهم، ولهم أسماء من حيث هم. ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا. وعالم الحروف أفصح العالم لسانا، وأوضحه بيانا. وهم على أقسام، كأقسام العالم المعروف في العرف.

فمنهم عالم الجبروت، عند أبي طالب المكي³، ونسبته نحن عالم العظمة؛ وهو الهاء والهمزة.

ومنهم العالم الأعلى، وهو عالم الملكوت؛ وهو الحاء والحاء والعين والغين.

ومنهم العالم الوسط، وهو عالم الجبروت، عندنا وعند أكثر أصحابنا؛ وهو التاء والشاء والجيم والذال والذال والراء والزاي والظاء والكاف واللام والنون والصاد والصاد والقاف والسين والشين والياء الصحيحة.

ومنهم العالم الأسفل، وهو عالم الملك والشهادة؛ وهو⁴ الباء والميم والواو الصحيحة.

ومنهم العالم المتراج بين عالم الشهادة والعالم الوسط؛ وهو الفاء.

ومنهم عالم الامتراج بين عالم الجبروت الوسط وبين عالم الملكوت؛ وهو الكاف والقاف. وهو امتراج المرتبة، ويمازجهم في الصفة الروحانية الطاء والظاء والصاد والضاد.

ومنهم عالم الامتراج بين عالم الجبروت الأعظم وبين الملكوت؛ وهو الحاء المهملة.

ومنهم العالم الذي يشبه العالم متا، الذين لا يتصفون بالدخول فينا ولا بالخروج عنا؛ وهو الألف والياء والواو المعتلتان.

فهؤلاء عوالم. ولكل عالم رسول من جنسهم. ولهم شريعة تُقَدِّمونها، ولهم لطائف وكثائف، وعليم من الخطاب الأمر؛ ليس عندهم نهي. وفيهم عامة، وخاصة، وخاصة الخاصة، وصفاء خلاصة خاصة الخاصة.

فالعامة منهم: الجيم والضاد والحاء والذال والغين والشين.

ومنهم¹ خاصة الخاصة؛ وهو الألف والياء والباء والسين والكاف والطاء والقاف والتاء والواو والصاد

1 العنران ص 105 ب

2 البسلة ص 106

3 أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارثي أبو طالب المكي المالكي الواعظ الصوفي نزل بغداد المتوفى بها سنة 386 ست وثمانين وثلثمائة. من صفاته قوت القلوب في معاملة الجبروت ووصف طريق المرشد إلى مقام التوحيد في الأخلاق والنسب. مشكل أعراب القرآن. وغير ذلك. [هدية العارفين - (1 / 472)]

4 ص 106 ب

والحاء والنون واللام والغين.

ومنهم خلاصة خاصة الخاصة؛ وهو الباء.

ومنهم الخاصة التي فوق العامة بدرجة؛ وهو حروف أوائل السور، مثل: ﴿الم﴾ و﴿المص﴾ وهي أربعة عشر حرفاً: الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون.

ومنهم حروف صفاء خلاصة خاصة الخاصة؛ وهو النون والميم والراء والباء والذال والزاوي والألف والطاء والياء والواو والهاء والطاء والثاء واللام والفاء والسين.

ومنهم العالم المرسل؛ وهو الجيم والحاء والحاء والكاف.

ومنهم العالم الذي تعلق بالله، وتعلق به الخلق؛ وهو الألف والذال والذال والراء والزاوي والواو. وهو عالم التقديس من الحروف الكروبيين.

ومنهم العالم الذي غلب عليه التخلق بأوصاف الحق؛ وهو² التاء والثاء والحاء والذال والزاوي والطاء المعجمة والنون والضاد المعجمة والغين المعجمة والقاف والشين المعجمة والفاء عند أهل الأنوار.

ومنهم العالم الذي قد غلب عليهم التحقق؛ وهو الباء والفاء عند أهل الأسرار، والجيم.

ومنهم العالم الذي قد تحقق بمقام الاتحاد؛ وهو الألف والحاء والذال والراء والطاء اليابسة والكاف واللام والميم والصاد اليابسة والعين والسين اليابستان والهاء والواو. إلا أنني أقول: إنهم على مقامين في الاتحاد: عال وأعلى. فالعالي: الألف والكاف والميم والعين والسين. والأعلى: ما بقي.

ومنهم العالم المتزج الطابع؛ وهو الجيم والهاء والياء واللام والفاء والقاف والطاء خاصة.

وأجناس عوالم الحروف أربعة: جنس مفرد؛ وهو الألف والكاف واللام والميم والهاء والنون والواو، وجنس ثنائي مثل الذال والذال، وجنس³ ثلاثي مثل الجيم والحاء والحاء، وجنس رباعي وهو الباء والثاء والثاء والياء في وسط الكلمة، والنون كذلك؛ فهو خماسي بهذا الاعتبار. وإن لم تعتبرهما، فتكون الباء والثاء والثاء من الجنس الثلاثي، ويسقط الجنس الرباعي.

فهذا (عفاً نحن) قد قصصنا عليك، من عالم الحروف، ما إن استعملت نفسك في الأمور الموصلة إلى كشف العالم، والاطلاع على حقائقه، وتحقيق قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا

1 ص 107

2 ص 107 ب

3 ص 108

تَقْفَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ¹ فلو كان تسبيح حال كما يزعم بعض علماء النظر، لم تكن فائدة في قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَقْفَهُونَ﴾ وَصَلَتْ إِلَيْهَا وَوَقَفَتْ عَلَيْهَا.

وكثرت قد ذكرت أنه ربما أتكلّم على بعضها. فنظرْتُ، في هؤلاء العوالم²، ما يمكن فيه بسط الكلام أكثر من غيره، فوجدناه العالم المحتصّ؛ وهو عالم أوائل السور المجهولة؛ مثل ﴿الم﴾ البقرة و﴿المص﴾ والرّ﴾ يونس وأخواتها.

فلنتكلّم على ﴿الم﴾ البقرة، التي هي أوّل سورة مبهمّة في القرآن، كلاهما مختصرا من طريق الأسرار. وربما ألجئُ بذلك الآيات التي تليها، وإن كان ذلك ليس من الباب، ولكن فعلته عن أمر ربّي الذي³ عهدته؛ فلا أتكلّم إلا على طريق الأذن. كما أنّي سأقف عندما يُحدّ لي.

فإنّ تأليفنا، هذا وغيره، لا يجري مجرى التوليف، ولا تجري نحن فيه مجرى المؤلفين. فإنّ كلّ مؤلّف إنما هو تحت اختياره، وإن كان مجبورا في اختياره، أو تحت العلم الذي يبغّه خاصّة؛ فيلقي ما يشاء ويمسك ما يشاء، أو يلقي ما يعطيه العلم وتحكم عليه المسألة التي هو بصدها حتى تُبرز حقيقتها. ونحن، في تاليفنا، لسنا كذلك. إنّما هي قلوبٌ عاكفة على باب الحضرة الإلهية، مراقبةٌ لما يفتح له الباب، فقيرةٌ، خاليةٌ من كلّ علم؛ لو سلّطت في ذلك المقام عن شيء ما سمعت: لفقدها إحساسها. فهما برز لها، من وراء ذلك الستر، أمرٌ ما؛ بادرث لامتناه، وألقتة على حسب ما يُحدّ لها في الأمر. فقد تُلقى الشيء إلى ما ليس من جنسه، في العادة والنظر الفكريّ، وما يعطيه العلم الظاهر والمناسبة الظاهرة للعلماء؛ لمناسبة خفيّة لا يشعر بها إلا أهل الكشف. بل ثمّ ما هو أغرب عندنا: أنّه يُلقى إلى هذا القلب أشياء يؤمر بإبصالها، وهو لا يعلمها في ذلك الوقت؛ لحكمة إلهية غابت عن الخلق.

فهذا لا يتقيد كلّ شخص، يؤلّف عن الإلقاء، بعلم ذلك الباب الذي يتكلّم عليه. ولكن يدرج فيه⁴ غيره، في علم السامع العاديّ، على حسب ما يلقي إليه. ولكنّه، عندنا، قطعا من نفس ذلك الباب بعينه، لكن بوجه لا يعرفه غيرنا. مثل الحمامة والغراب اللذين اجتمعا؛ لقرح قام بأرجلها. وقد أذن لي في تقييد ما ألقى بعد هذا، فلا بدّ منه.

1 [الإسراء : 44]

2 ق: "العالم" وصححت في الهامش بلم الأصل.

3 ص 108 ب

4 ص 109

وَضَلَّ

(الكلام على هذه الحروف الجهولة المختصة)

الكلام على هذه الحروف الجهولة المختصة؛ على عدد حروفها بالتكرار، وعلى عدد حروفها بغير تكرار، وعلى جملتها في السور، وعلى أفرادها في ﴿ص﴾ و﴿ق﴾ و﴿ن﴾ و﴿طس﴾ و﴿طه﴾ وأخواتها، وجمعها من ثلاثة فصاعداً، حتى بلغت خمسة حروف متصلة ومنفصلة، ولم تبلغ أكثر، ولم يُصَلَّ بعضها وقُطِعَ بعضها؟ ولم كانت "الشُّور" بالسين ولم تكن بالصاد؟ ولم تُجَمَّلْ معنى هذه الحروف عند علماء الظاهر وعند كشف أهل الأحوال؟ إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب "الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل". فلنقل على بركة الله ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹:

اعلم أنّ مبادي الشُّور الجهولة، لا يعرف حقيقتها إلا أهل الصور المعقولة. ثمَّ جعل (الشارع) سور القرآن بالسين، وهو التعبد الشرعي، وهو ظاهر الشُّور الذي فيه العذاب وفيه يقع الجهل بها، وباطنه² بالصاد، وهو مقام الرحمة: وليس إلا العلم بحقائقها؛ وهو التوحيد.

جعلها تبارك وتعالى - تسعا وعشرين سورة؛ وهو كمال الصورة ﴿وَأَنقَمَرٌ قَدْرَنَاهُ مَنَازِلَ﴾³ والتاسع والعشرون: القطبُ الذي به قوام الفلك، وهو علّة وجوده، وهو سورة آل عمران ﴿الم. الله﴾⁴ ولولا ذلك ما ثبتت الثانية والعشرون.

وجملتها، على تكرار الحروف، ثمانية وسبعون حرفاً. فالثمانية حقيقة البضع. قال عليه السلام: «الإيمان بضع وسبعون»⁵ وهذه الحروف ثمانية وسبعون حرفاً، فلا يكمل عبد أسرار الإيمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورها.

فإن قلت: إنّ البضع مجهول في اللسان؛ فإنه من واحد إلى تسعة؛ فمن أين قطعتم بالثانية عليه؟ فإن شئت قلت لك من طريق الكشف وصلّت إليه. فهو الطريق الذي عليه أسلك، والركن الذي إليه أستند في علمي كلها. وإن شئت أبيت لك منه طرفاً من باب العدد، وإن كان أبو الحكم، عبد السلام بن بَرَّجان⁶، لم يذكره في كتابه من هذا الباب الذي نذكره، وإنما ذكره رحمه الله - من جهة علم الفلك،

1 [الأحزاب: 4]

2 ص 109 ب

3 [يس: 39]

4 [آل عمران: 1، 2]

5 صحيح مسلم 51، سنن أبي داود 4056

6 عبد السلام بن بَرَّجان (000 - 536 هـ) (000 - 1142 م) عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي، المغربي، الأفرنجي، ثم الأنطلسي، الأشبيلي، المعروف بابن بَرَّجان مفسر، صوفي مقرئ، محدث، متكلم، مشارك في الهندسة والحساب. توفي مغرباً عن وطنه بمراكش. من تصانيفه: الإرشاد في تفسير القرآن في مجلدات ولم يكمله، وشرح أسماء الله الحسنى في مجلدين. [معجم المؤلفين - (5 / 226)]

وجعله سترًا على كشفه، حين قطع به بفتح بيت المقدس، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

فكذلك إن شئنا، نحن، كشفنا، وإن شئنا جعلنا العدد على ذلك حجاباً¹. فنقول: إن البضع الذي في سورة الروم ثمانية، وخذ عدد حروف ﴿الم﴾ بالجزم الصغير فتكون ثمانية، فتجمعها إلى ثمانية الـ"بضع" فتكون ستة عشر، فتزِيل الواحد الذي للألف للأش، فيبقى خمسة عشر، فتمسكها عندك. ثم ترجع إلى العمل في ذلك بالجمل الكبير، وهو الجزم، فتضرب ثمانية الـ﴿بضع﴾ في أحد وسبعين، واجعل ذلك كلها سنين، يخرج لك في الضرب خمسمائة وثمانية وستون، فتضيف إليها الخمسة عشر، التي أمرت أن ترفعها، فتصير ثلاثة وثمانين وخمسمائة سنة؛ وهو زمان فتح البيت المقدس، على قراءة من قرأ: ﴿عَلَّيْتَ الرُّومَ﴾² بفتح الغين واللام ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ بضم الياء وفتح اللام. وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كان ظهور المسلمين في أخذ حج الكفار، وهو فتح البيت المقدس.

ولنا في علم العدد، من طريق الكشف، أسرار عجيبة من طريق ما يقتضيه طبعه، ومن طريق ما له من الحقائق الإلهية. وإن طال بنا العمر فسأفرد لمعرفة العدد كتاباً إن شاء الله.

فلنرجع إلى ما كنا بسبيله، فنقول: فلا يكمل عبد الأسرار التي تمضمتها شعَب الإيمان، إلا إذا علم حقائق هذه الحروف، على حسب تكرارها في السور. كما أنه إذا علمها، من غير تكرار، علم تنبيه الله فيها على حقيقة الإيجاد.

وتفرد القديم³ سبحانه - بصفاته الأزلية، فأرسلها في قرآنه أربعة عشر - حرفاً مفردة، مهمة. فجعل الثمانية لمعرفة الذات، والسبع الصفات متاً. وجعل الأربعة للطبائع المؤلفة، التي هي: الدم، والسوداء، والصفراء، والبلغم. فجاءت اثنتي عشرة موجودة. وهذا هو الإنسان من هذا الفلك. ومن فلك آخر، يتركب من أحد عشر، ومن عشرة، ومن تسعة، ومن ثمانية، حتى إلى فلك الاثنين. ولا يتحلل إلى الأحادية أبداً. فإنها بما انفرد بها الحق؛ فلا تكون لموجود إلا له.

ثم إنه سبحانه - جعل أولها الألف في الخط، والممزة في اللفظ، وآخرها النون. فالألف لوجود الذات على كمالها؛ لأنها غير مفتقرة إلى حركة. والنون لوجود الشطر من العالم، وهو عالم التركيب؛ وذلك نصف الدائرة الظاهرة لنا من الفلك. والنصف الآخر: النون المعقولة عليها، التي لو ظهرت للحس وانتقلت من عالم الروح؛ لكانت دائرة محيطة. ولكن أخفى هذه النون الروحانية التي بها كمال الوجود، وجعلت نقطة النون المحسوسة دالة عليها.

فالألف كاملة من جميع وجوهها، والنون ناقصة. فالشمس كاملة، والقمر ناقص؛ لأنه محو. فصفة

1 ص 110

2 [الروم: 2]

3 ص 110 ب

ضوته معارة؛ وهي الأمانة التي حملها. وعلى قدر محوه وسراره (يكون) إثباته وظهوره. ثلاثة لثلاثة. فثلاثة: غروب القمر القلبي الإلهي في¹ الحضرة الأحديّة، وثلاثة: طلوع قمر القلب الإلهي في الحضرة الربانيّة، وما بينها (يتردّد) في الخروج والرجوع قَدَمًا بقدم لا يختلّ أبداً.

ثمّ جعل سبحانه - هذه الحروف على مراتب. منها موصول، ومنها مقطوع، ومنها مفرد ومثنى وجمع. ثمّ تبّه أنّ في كلّ وصلٍ قطعاً، وليس في كلّ قطع وصل². فكلّ وصل يدلّ على فصل، وليس كلّ فصل يدلّ على وصل. فالوصل والفصل، في الجمع وغير الجمع. والفصل وحده في عين الفرق.

فما أفرده من هذه (الحروف)؛ فإشارة إلى فناء رسم العبد أزلاً. وما ثناه؛ فإشارة إلى وجود رسم العبوديّة حالاً. وما جمعه؛ فإشارة إلى الأبد (المشحون) بالموارد التي لا تنهاى. فالإفراد؛ للبحر الأزلي، والجمع؛ للبحر الأبدي، والمثنى؛ للبرزخ الحمديّ الإنسان.

﴿مَرَحَ الْبُخْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. قَبَائِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾³ هل بالبحر الذي أوصله به فأفناه عن الأعيان؟ أو بالبحر الذي فصله عنه وسمّاه بالأكوان؟ أو بالبرزخ الذي استوى عليه الرحمن؟ ﴿قَبَائِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يُخرج من بحر الأزل اللؤلؤ، ومن بحر الأبد المرجان ﴿قَبَائِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿وَلَا الْجَوَارِي﴾ الروحانيّة ﴿الْمُنشآتُ﴾ من الحقائق الأسمايّة ﴿فِي الْبُخْرِ﴾ الناقية الأقدسيّة ﴿كَالْأَغْلَامِ. قَبَائِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾⁴.

﴿يَسْأَلُهُ﴾ العالم العلويّ على علوّه وقدسّه، والعالم السفليّ على نزوله⁵ وبخسه، كلّ خطرة ﴿فِي شَأْنِ﴾ ﴿قَبَائِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾⁶ وإن لم تنعدم الأعيان ولكنها رحلةٌ مِن دَنَّا إلى دان ﴿قَبَائِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. سَتَفْرُغُ﴾⁷ منكم إليكم ﴿أَيُّهَا الثَّقَلَانِ قَبَائِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾⁸.

فهكذا لو اعتبر القرآن؛ ما اختلف اثنان، ولا ظهر خصمان، ولا تناطح عتزان. فديروا آياتكم، ولا تخرجوا عن ذاتكم. فإن كان ولا بدّ فألى صفاتكم. فإنه إذا سلّم العالم من نظركم وتديركم؛ كان على الحقيقة تحت تسخيركم. ولهذا خُلِقَ. قال تعالى:- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾⁹. والله

1 ص 111

2 تاجة في الهامش بقلم الأصل

3 [الرحمن : 19 - 21]

4 [الرحمن : 24 - 25]

5 ص 111 ب

6 [الرحمن : 25 - 26]

7 [الرحمن : 30 - 31]

8 [الرحمن : 31 - 32]

9 [الجمانية : 13]

يرشدنا وإياكم إلى ما فيه صلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة؛ إنّه وليّ كريم¹.

* * *

وَضَلَّ

(الكلام على "الم")

الألف من ﴿الم﴾ إشارة إلى التوحيد. والميم للملك الذي لا يهلك. واللام بينها واسطة؛ لتكون رابطة بينها. فانظر إلى السطر الذي يقع عليه الخط من اللام. فتجد الألف؛ إليه ينتهي أصلها، وتجد الميم؛ منه يبتدئ نشؤها. ثم تنزل من ﴿أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ﴾ وهو السطر إلى ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ منتهى تعريق الميم. قال - تعالى: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾².

ونزول الألف إلى السطر، مثل قوله (ص): «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»³ وهو أول عالم التركيب؛ لأنه ساء آدم عليه السلام، ويليه فلك النار. فلذلك نزل إلى أول السطر؛ فإنه نزل من مقام الأحديّة إلى مقام إيجاد الخليقة، نزول تقديس وتنزيه، لا نزول تمثيل وتشبيه. وكانت اللام واسطة. وهي نائبة مناب المكوّن والكون؛ فهي القدرة التي عنها وجد العالم، فأشبهت الألف في النزول إلى أول السطر.

ولما كانت (اللام) ممتزجة من المكوّن والكون؛ فإنه لا يتّصف بالقدرة على نفسه، وإنما هو قادر على خلقه؛ فكان وجه القدرة مصروفًا إلى الخلق. ولهذا لا يثبت (وصف القدرة) للمخلوق إلا بالخلق؛ فلا بدّ من تعلّقها بهم، علوا وسفلا.

ولما كانت حقيقتها لا تتم بالوصول إلى السطر فتكون (اللام) والألف على مرتبة واحدة- طلبت بحقيقتها النزول تحت السطر، أو على السطر، كما نزل الميم. فنزلت إلى إيجاد الميم. ولم يتمكن أن تنزل على صورة الميم، فكان لا يوجد عنها أبداً إلا الميم؛ فنزلت نصف دائرة، حتى بلغت إلى السطر، من غير الجهة التي نزلت منها. فصارت نصف فلك محسوس، يطلب نصف فلك معقول؛ فكان منها فلك دائر.

فتكوّن العالم كلّهُ، من أوله إلى آخره، في ستة أيام، أجناساً: من أول يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة. وبقي يوم السبت للانتقالات؛ من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، والاستحالات من كون إلى كون. ثابت على ذلك، لا يزول ولا يتغيّر. ولذلك كان الوالي على هذا اليوم: البرد واليبس، وهو من الكواكب زحل.

1 في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي وسامعاً لإبراهيم بن الحلال على المؤلف". (ويخط آخر): "بلغ المجلس الثالث قراءة".

2 [التين : 4، 5]

3 صحيح البخاري 1077، وصحيح مسلم 1261

4 ص 112

5 ص 112ب

فصار "الم" وحده فلکا محیطاً؛ من دار به علم الذات والصفات والأفعال والمفعولات. فمن قرأ "الم" بهذه الحقيقة والكشف؛ حضر بالكل للكل مع الكل. فلا يبقى شيء، في ذلك الوقت، إلا يشهده. لكن منه ما يُعلم، ومنه ما لا يعلم.

فتنزه الألف عن قيام الحركات بها يدلّ (على) أنّ الصفات لا تُعقل إلا بالأفعال، كما قال الشيخ: «كان الله ولا شيء معه»¹ وهو على ما عليه كان. فلهذا صرفنا الأمر إلى ما يُعقل، لا إلى ذاته المنزهة. فإنّ الإضافة لا تُعقل أبداً إلا بالمتضايين. فإنّ الأبوة لا تُعقل إلا بالأب والابن، وجوداً أو تقييداً. وكذلك المالك والخالق والبارئ والمصور، وجميع الأسماء التي تطلب العالم بمقاتتها. وموضع التنبيه، من حروف "الم" عليها، في اتصال اللام، الذي هو الصفة، بالميم الذي هو أثرها وفعلها.

فالألف ذات واحدة؛ لا يصحّ فيها اتصال شيء من الحروف، إذا وقعت أولاً في الخط. فهي الصراط المستقيم، الذي سألته النفس في قولها: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾² صراط التنزيه والتوحيد. فلما آمن على دعائها ربها، الذي هو الكلمة³، الذي أمرت بالرجوع إليه في "سورة الفجر"⁴، قبل تعالى- تأمينه على دعائها؛ فأظهر الألف من ﴿الم﴾ عقيب ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁵، وأخفى "آمين" لأنه غيب من عالم الملكوت.

«من وافق تأمينه تأمين الملائكة»⁶ في الغيب المتحقق، الذي يسمونه العامة من الفقهاء: "الإخلاص"، وتسميه الصوفية: "الحضور"، ويسميه المحققون: "الهمة"، ونسبته أنا وأمثالنا: "العناية"؛ (استجيب له).

ولما كانت الألف متحدة، في عالم الملكوت والشهادة؛ ظهرت. فوقع الفرق بين القديم والحديث. فانظر فيما سطرناه؛ ترعجبا! وما يؤيد ما ذكرناه، من وجود الصفة؛ المد الموجود في اللام والميم دون الألف.

فإن قال صوفي: وجدنا الألف مخطوطة، والنطق بالهمزة دون الألف، فلم لا ينطق بالألف؟ فنقول: وهذا أيضاً مما يعضد ما قلناه. فإنّ الألف لا تقبل الحركة؛ فإنّ الحرف مجهول ما لم يُحرّك، فإذا حُرِّك مُيز بالحركة التي تتعلّق به، من رفع ونصب وخفض. والذات لا تُعَلَّم أبداً على ما هي عليه. فالألف الدالّ عليها،

1 المستدرك على الصحيحين للحاكم 3265، المعجم الكبير للطبراني 14904

2 [الفاتحة : 6]

3 ص 113

4 يشير إلى الآيات القرآنية: "يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ازْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً. فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي. وَأَدْخِلِي جَنَّةِي [الفجر : 27

- 30]

5 [الفاتحة : 7]

6 صحيح البخاري 738، موطأ مالك 180

الذي هو في عالم الحروف خليفة، كالإنسان في العالم؛ مجهول أيضا. (فهو) كالذات لا تقبل الحركة. فلما لم تقبلها؛ لم يبق إلا أن تُعرف من جهة سلب الأوصاف عنها. ولما لم يمكن النطق بساكن؛ نطقنا¹ باسم الألف لا بالألف. فنطقنا بالهمزة بحركة الفتحة. فقامت الهمزة مقام المبدع الأول، وحركته صفة العلميّة. ومحلّه إيجادها؛ في اتصال الكاف بالنون.

فإن قيل: وجدنا الألف، التي في اللام، منطوقا بها، ولم نجدها في الألف. قلنا: صدقت، لا يقع النطق بها إلا بمتحرك، مشع التحرك، قبلها، موصولة به. وإنما كلامنا في الألف المقطوعة، التي لا تشيع الحرف الذي قبلها حركته، فلا تظهر في النطق وإن رُقمَتْ، مثل ألف ﴿إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ﴾². فهذان اللفان بين ميم "إنما" وبين لام المؤمنين؛ موجودتان خطأ، غير ملفوظ بهما نطقا. وإنما الألف الموصولة؛ التي تقع بعد الحرف، مثل: لام، هآ، حآ، وشبهها. فإنه لولا وجودها؛ ما كان المدّ لواحد من هذه الحروف. فمدّها هو سرّ الاستمداد، الذي وقع به إيجاد الصفات في محلّ الحروف.

ولهذا لا يكون المدّ إلا بالوصل. فإذا وُصل الحرف بالألف من اسمه الآخر، امتدّ الألف بوجود الحرف الموصول به. ولما وُجد الحرف الموصول به؛ انقصر إلى الصفة الرحميّة؛ فأعطي حركة الفتح التي هي الفتحة. فلما أُعطيها طُلب منه الشكر عليها. فقال: وكيف يكون الشكر عليها؟ قيل له: أن تُعلم السامعين بأنّ وجودك ووجود³ صفتك، لم يكن بنفسك، وإنما كان من ذات القديم تعالى. - فاذكره عند ذكرك نفسك. فقد جعلك، بصفة الرحمة خاصّة، دليلا عليه. ولهذا قال (ص): «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»⁴ فنطقت بالثناء على موجدتها؛ فقالت: لام، يآ، هآ، حآ، طآ. فأظهرت نطقا ما خفي خطأ. لأنّ الألف التي في طه، وح، وطس، موجودة نطقا، خفيث خطأ؛ لدلالة الصفة عليها، وهي الفتحة، صفة افتتاح الوجود.

فإن قال: وكذلك نجد المدّ في الواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها. فهي أيضا ثلاث ذوات. فكيف يكون هذا، وما تمّ إلا ذات واحدة؟ فنقول: نعم، أما المدّ الموجود في الواو المضموم ما قبلها، في مثل ﴿هُنَّ وَالْقَلَمُ﴾⁵، والياء المكسور ما قبلها، مثل الياء من ﴿طَس﴾ وياء الميم من ﴿حَم﴾؛ فمن حيث أنّ الله تعالى - جعلها حرفي علة، وكلّ علة تستدعي معلولها بحقيقتها، وإذا استدعت ذلك فلا بدّ من سرّ بينها، يقع (به) الاستمداد والإمداد، فلها أعطيت المدّ.

وذلك لما أودع الرسول المكيّ الوحي، لو لم يكن بينه وبين الملقى إليه نسبة ما، ما قيل شيئا. لكنّه

1 ص 113 ب

2 [الأفعال : 2]

3 ص 114

4 بغية الحارث 875، المعجم الكبير للطبراني 13404

5 [القلم : 1]

خفي عنه ذلك. فلما حصل له الوحي، ومقامه الواو؛ لأنه روحاني علوي، والرفع يعطي العلو، وهو¹ باب الواو المعتلة؛ فعبّرنا عنه بالرسول الملكي الروحاني: جبريل كان أو غيره من الملائكة.

ولما أودع الرسول البشري ما أودع من أسرار التوحيد والشرايع؛ أعطي من الاستمداد والإمداد الذي يصدّ به عالم التركيب. وخفي عنه سرّ الاستمداد، ولذلك قال: ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾² وقال: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾³ ولما كان موجودا في العالم السفلي، عالم الجسم والتركيب، أعطيناها الياء المكسور ما قبلها، المعتلة، وهي من حروف الخفض.

فلما كانا (أي الرسول الملكي والرسول البشري) علتين لوجود الأسرار الإلهية، من توحيد وشرع، وهما سرّ الاستمداد؛ فلذلك مُدّتا.

وأما الفرق الذي بينها وبين الألف: فإنّ الواو والياء قد يُسلبان عن هذا المقام، فيحرّكان بجميع الحركات، كقوله (تعالى): ﴿وَوَجَدَكَ﴾⁴ ﴿وَوُثِّقُوكَ﴾⁵ ﴿وَوَلُّوا الْأَدْبَارَ﴾⁶ ﴿يَتَأَوَّنَ﴾⁷ ﴿يَغْنِيهِ﴾⁸ ، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾⁹ . وقد ينسكان بالسكون الحتي، كقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾¹⁰ ﴿وَيَتَأَوَّنَ﴾ وشبهها. والألف لا تحرك أبدا، ولا يوجد ما قبلها أبدا إلا مفتوحا. فإذن، فلا نسبة بين الألف وبين الواو والياء.

فهما حرّكت الواو والياء؛ فإنّ ذلك مقامها ومن صفاتها. ومما ألجقتنا بالألف، في العلية، فذلك ليس من ذاتها؛ وإنما¹¹ ذلك من جانب القديم سبحانه- (الذي) لا يحتمل الحركة ولا يقبلها. ولكن ذلك من صفة المقام وحقيقته، الذي نزلت به الواو والياء. فمدلول الألف قديم، والواو والياء، محرّكتان كانتا أو لا محرّكتان؛ فها حادثان.

فإذا ثبت هذا، فكلّ ألف أو واو أو ياء ارتفعت، أو حصل النطق بها؛ فإنما هي دليل. وكلّ دليل محدث يستدعي مُحدثا، والمحدث لا يحصره الرّم ولا النطق؛ إنما هو غيب ظاهر. ولذلك نقول¹² ﴿يس﴾ و﴿هن﴾: فتجده نطقا؛ وهو ظهوره، ولا تجده رقما؛ وهو غيبه. وهذا سبب حصول العلم بوجود الخالق لا

1 ص 114 ب

2 [الأحاف : 9]

3 [الكهف : 110]

4 [الضحى : 7]

5 [الأحزاب : 51]

6 [الفتح : 22]

7 [الأنعام : 26]

8 [عبس : 37]

9 [الزمر : 30]

10 [إبراهيم : 17]

11 ص 115

12 من س فقط

بذاته، وبوجود ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹ لا بذاته.

واعلم أيها المتلقي - أنه كل ما دخل تحت الحصر، فهو مبدع أو مخلوق، وهو مَحَلُّكَ. فلا تطلب الحق لا من داخل ولا من خارج؛ إذ الدخول والخروج من صفات الحدوث. فانظر الكل في الكل؛ تجد الكل. فالعرش مجموع، والكرسي مفروق.

يا طَالِبًا لِيُجِودِ الْحَقُّ يُذَرِّكُهُ ازجج لذاتك فيك الحق فالتزم

﴿ازججوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾² فلو لم يرجعوا لوجدوا النور. فلما رجعوا، باعتماد القطع، ضرب بينهم بالسور. وإلا لو عرفوا من ناداهم بقوله: ﴿ازججوا وراءكم﴾ لقالوا: "أنت مطلوبنا" ولم³ يرجعوا. فكان رجوعهم سبب ضرب السور بينهم. فبدت حتم ﴿فكذبوا فيها هم والغاؤون﴾⁴ وبقي الموحدون يمدون أهل الجنان بالولدان والخور الحسان، من حضرة العيان.

فالوزير محل صفات الأمير. والصفة التي انفرد بها الأمير وحده، هي سر التدبير الذي خرجت عنه الصفات. فعلم ما يضر له من صفته وفعله جملة، ولم يعلم ذلك الوزير إلا تفصيلاً. وهذا هو الفرق. فتأمل ما قلناه؛ تجد الحق - إن شاء الله -.

فإذا تبين هذا، وتقرر أن الألف هي ذات الكلمة، واللام ذات عين الصفة، والميم عين الفعل، وسرهم الحفي هو الموجد إياهم.

وَضَلَّ⁵

(الكلام على "ذلك الكتاب")

فنقول: فقوله (تعالى): ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾⁶ بعد قوله: ﴿ألم﴾ إشارة إلى موجود، بيد أن فيه بُعداً. وسبب البعد لَمَّا أشار إلى ﴿الكتاب﴾ وهو المفروق، محل التفصيل. وأدخل حرف اللام في ﴿ذَلِكَ﴾ وهي تؤذن بالبعد في هذا المقام. والإشارة: نداء على رأس البعد عند أهل الله. ولأنها أعني اللام - من العالم الوسط، فهي محل الصفة؛ إذ بالصفة يميز الحدث من القديم. وخص خطاب المفرد بالكاف مفردة؛

[1] الشورى : 11

[2] الحديد : 13

[3] ص 115 ب

[4] الشعراء : 94

[5] "فقول وصل" مكتوبة في ق: "وصل: فنقول"

[6] البقرة : 2

لئلا يقع الاشتراك بين المبدعات. وقد¹ أشبعنا القول في هذا الفصل عندما تكلمنا على قوله تعالى:- ﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾² من كتاب "الجمع والتفصيل" أي: اخلع اللام والميم؛ تبقى الألف المنزهة عن الصفات. ثم حال بين النال، الذي هو الكتاب: محلُّ الفرق الثاني، وبين اللام، التي هي الصفة: محلُّ الفرق الأول، التي بها يُقرأ الكتاب، بالألف: التي هي محلُّ الجمع؛ لئلا يتوهم الفرق الحطاب من فزقٍ آخر، فلا يبلغ إلى حقيقة أبدا. ففصل بالألف بينهما؛ فصار حجبا بين النال واللام. فأرادت النال الوصول إلى اللام، فقام لها الألف، فقال: بي تصل. وأرادت اللام ملاقة النال، لتؤدي إليها أمانتها، فتعرض لها، أيضا، الألف، فقال لها: بي تلقاه.

فهُمَا نظرت الوجود، جمعا وتفصيلا، وجدت التوحيد يصحبه؛ لا يفارقه البتة، صحبة الواحد الأعداد. فإن الاثنين لا توجد أبدا ما لم تُضف إلى الواحد مثله، وهو الاثنين. ولا تصح الثلاثة ما لم تزد واحدا على الاثنين. وهكذا إلى ما لا يتناهى. فالواحد ليس العدد، وهو عين العدد؛ أي به ظهر العدد.

فالعدد كله واحد. لو نقص من الألف واحدا؛ انعدم اسم الألف وحقيقته، وبقيت³ حقيقة أخرى، وهي تسعمائة وتسعة وتسعون. (وهي أيضا) لو نقص منها واحد؛ لذهب عينها. فمتى انعدم الواحد من شيء؛ عُدم، ومتى ثبت؛ وُجد ذلك الشيء. هكذا التوحيد إن حقيقته ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁴.

فقال (تعالى): ﴿ذَا﴾⁵ وهو حرف مبهم. فبين ذلك المبهم بقوله: ﴿الكتاب﴾ وهو حقيقة ذا. وساق "الكتاب" بحرفي التعريف والعهد، وهما الألف واللام من ﴿الم﴾. غير أنها، هنا، من غير الوجه الذي كانتا عليه في ﴿الم﴾. فإتيها هناك في محلِّ الجمع، وهما هنا في أول باب من أبواب التفصيل؛ ولكن من تفصيل سرائر هذه السورة خاصة، لا في غيرها من السور. هكذا ترتب الحقائق في الوجود.

ف﴿ذلك الكتاب﴾⁶ هو الكتاب المرقوم. لأن أمهات الكتب ثلاثة: الكتاب المسطور، والكتاب المرقوم، والكتاب الجهول (=المكنون). وقد شرحنا معنى "الكتاب" و"الكاتب" في كتاب "التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية" في الباب التاسع منه، فانظره هناك.

فنقول: إنَّ النوات، وإن اتحد معناها، فلا بد من معنى به يفرق بين الناتين، يسمى الوصف. فالكتاب المرقوم موصوف بالرقم، والكتاب المسطور موصوف⁷ بالتسطير. وهذا الكتاب الجهول، الذي

1 ص 116

2 [طه : 12]

3 ص 116 ب

4 [الحديد : 4]

5 [البقرة : 2]

6 [البقرة : 2]

7 ص 117

سلب عنه الصفة، لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون صفة ولنلك لا يوصف، وإما أن يكون ذاتا غير موصوفة. والكشف يعطي أنه صفة تستى: العلم، وقلوبُ كلمات الحق محلّه.

ألا تراه (تعالى) يقول: ﴿الم. تنزيلُ الكتابِ﴾¹ قل²: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾³ فحاطب الكاف من ذلك بصفة العلم، الذي هو اللام المحفوضة بالنزول؛ لأنه يتنزّه عن أن تُدرَك ذاته. فقال للكاف، التي هي الكلمة الإلهية: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾⁴ المنزل عليك، هو علمي لا علمك ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾⁵ عند أهل الحقائق، أنزله في معرض الهداية لمن اتقاني، وأنت المنزل فأنت محلّه.

ولا بدّ لكلّ كتاب من أمّ، وأمّه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ المجهول؛ لا تعرفه أبدا؛ لأنه ليس بصفة لك، ولا لأحد، ولا ذات. وإن شئت أن تحقّق هذا؛ فانظر إلى كيفية حصول العلم في العالم، أو حصول صورة المرئي في الراي: فليست (هي) وليس غيرها.

فانظر إلى درجات حروف ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁶، ومنازلها على حسب ما نذكره، بعد الكلام الذي نحن بصدده. وتدبر ما بثته لك. وحلّ عقدة "لام الألف" من ﴿لَا رَيْبَ﴾⁷ هــزـ الـفان. لأن تعريقة اللام ظهرت صورتها في نون ﴿الْمُتَّقِينَ﴾، وذلك لتأخّر⁸ الألف عن اللام من اسمه الآخر؛ وهي المعرفة التي تحصل للعبد من نفسه، في قوله ~~الكتاب~~: «مَنْ عَزَفَ نَفْسَهُ عَزَفَ رُؤْيَهُ».

فقدّم معرفة اللام على معرفة الألف، فصارت دليلا عليه. ولم يمتزجا حتى يصيرا ذاتا واحدة، بل بان كل واحد منهما بذاته؛ ولهذا لا يجمع الليل والمدلول، ولكن وجه الدليل هو الرابط، وهو موضع اتصال اللام بالألف.

فاضرب الألفين "آآ" أحدهما في الآخر؛ يصحّ لك في الخارج ألف واحدة آ، وهذا حقيقة الاتصال. كذلك اضرب الحدّث في القديم حسنا؛ يصحّ لك في الخارج الحدّث، ويخفّ¹⁰ القديم بخروجه، وهذا حقيقة الاتصال والاتحاد. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾¹¹ وهذا شيقض إشارة الجنيد في قوله للعاطس: "إنّ الحدّث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر" لاختلاف المقام.

1 [السجدة : 1، 2]

2 ربما أراد الاستشهاد بالآية الكريمة: "قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ..." [الفرقان : 6]

3 [النساء : 166]

4 [البقرة : 2]

5 [البقرة : 2]

6 [البقرة : 2]

7 ق، س، هـ: تصير

8 ص 117 ب

9 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

10 ق، س: ويخفي

11 [البقرة : 30]

ألا ترى كيف اتصل لام الألف من (لَا زَيْبَ فِيهِ) من الكسرسي فبدت ذاتان؛ "لا"، مجمل سرّ العقد بينهما، ثم فصلهما العرش عند الرجوع إليه والوصول، فصارت على هذا الشكل "أل". فظهرت اللام بحقيقتها؛ لأنه لم يقم بها (في) مقام الاتصال والاتحاد من يردّها على صورته.

فأخرجنا نصف الدائرة من اللام، التي خفيت في لام الألف، إلى عالم التركيب¹ والحسّ، فبقيت ألفان: آ، في الفرق. فضرينا الواحد في الواحد، وهو ضرب الشيء في نفسه، فصار واحدا: آ. فليس الواحد الآخر؛ فكان الواحد رداء، وهو الذي ظهر، وهو الخليفة المبدع بفتح الباء - وكان الآخر مرتديا، وهو الذي خفي؛ وهو القديم المبدع. فلا يعرف المرتدي إلا باطن الرداء، وهو الجمع. ويصير الرداء على شكل المرتدي. فإن قلت: واحد، صدقت. وإن قلت: ذاتان، صدقت؛ عينا وكشفا. والله درّ من قال²:

رَقُّ الرُّجَاحِ وَرَاقَتِ الحَمْرِ فَتَشَاكَلَا فَتَشَابَهَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّ خَمْرًا وَلَا قَدَحًا وَكَأَنَّ قَدَحًا وَلَا خَمْرًا

وأما ظاهر الرداء، فلا يعرف المرتدي أبدا؛ وإنما يعرف باطن ذاته، وهو حجاب. فكذلك لا يعلم الحق إلا العلم، كما لا يحمد على الحقيقة إلا الحمد. وأما أنت، فتعلمه بوساطة العلم، وهو حجابك. فإنك ما تشاهد إلا العلم القائم بك، وإن كان مطابقا للمعلوم. وعلمك قائم بك، وهو مشهودك ومعبودك. فإنك أن تقول، إن جريت على أسلوب الحقائق: إنك علمت المعلوم؛ وإنما علمت العلم. والعلم هو العالم بالمعلوم. وبين العلم والمعلوم محور لا يترك عجزها. فإن سرّ التعلق بينهما، مع تباين الحقائق، بحر عسير مزكبه، بل لا تركبه العبارة أصلا ولا الإشارة. ولكن يدركه الكشف، من خلف حجب كثيرة دقيقة، لا يحس بها أنها على عين بصيرته ليرقيها، وهي عسيرة المدارك، فأحرى من خلقها.

فانظر أين هو من يقول: "إنّي علمت الشيء"؛ من ذلك الشيء؛ محدثا كان أو قديما؟ بل ذلك في الحديث، وأما القديم فأبعد وأبعد؛ إذ لا مثل له. فمن أين يتوصل إلى العلم به؟ أو كيف يحصل؟ وسيأتي الكلام على هذه المسألة السنيّة، في الفصل الثالث من هذا الباب.

1 ص 118

2 القائل هو صاحب بن عباد (326 - 385 هـ / 938 - 995 م) إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس أبو القاسم الطالقاني. وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرًا وجودة رأي. استوزره مؤيد النولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه نجر النولة. ولقب بالصاحب لصحبه مؤيد النولة من صباه. فكان يدعو بذلك. كما لقب ب(كافي الكفاة). ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) وإليها نسبته، وتوفي بالري ونقل إلى أصبهان فدفن فيها. له تصانيف جليلة، وشعر فيه رقة وعذوبة، وتواقفه آية الإبداع في الإنشاء له معرفة وإمام بالفسر والحديث واللغة والتاريخ. قال صاحب بن عباد: أشتهي أن أزور بغداد فأشاهد جرأة محمد بن عمر العلوي، وتنسك أبي أحمد الموسوي، وظرف أبي محمد بن معروف. له: (الحيط - خ) سبع مجلدات في اللغة، وكتاب (الوزراء)، و(الكشف عن مساوئ شعر المنبيط)، و(الإقناع في العروض وتخريج القوافي خ)، و(عنوان المعارف وذكر الخلائف خ) رسالة (الموسوعة الشعرية)

3 ق: "ورقت"، س: "فرقت"

4 ص 118 ب

فلا يعرف ظاهرُ الرداء المرتدي إلا من حيث الوجود، بشرط أن يكون في مقام الاستسقاء. ثم يزول ويرجع. لأنها معرفة علّة، لا معرفة جذب. وهذه رؤية أصحاب الجتة في الآخرة. وهو تجلّ في وقت دون وقت. وسيأتي الكلام عليه في باب الجتة، من هذا الكتاب. وهذا هو مقام التفرقة. وأمّا أهل الحقائق، (أهل) باطن الرداء، فلا يزالون مشاهدين أبدا. ومع كونهم مشاهدين؛ فظواهرهم في كرسّي الصفات: يتعم بموادّ بَشْرَة الباطن نعم اتصال.

وانظر إلى حكمته في كون ذلك مبتدأ، ولم يكن فاعلا ولا مفعولا لم يُسَمَّ فاعله. لأنه لا يصحّ أن يكون فاعلا، لقوله: ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ فلو كان فاعلا لَوَقَّعَ الرب؛ لأنّ الفاعل إنما هو مُنزله لا هو؛ فكيف يُنسب إليه ما ليس بصفته؟ لأنّ مقام النال، أيضا، يمنع ذلك: فإنه من الحقائق التي كانت ولا شيء معها. ولهذا لا يتصل بالحروف إذا تقدّم عليها، كالألف وإخوانه: الدال، والراء، والزاي، والواو.

ولا تقول فيه أيضا: مفعول لم يُسَمَّ فاعله. لأنه من ضرورته أن يتقدّمه كلمة على بنية مخصوصة، محلّها النحو. و﴿الكتاب﴾ هنا، نفس الفعل، والفعل لا يقال فيه: فاعل ولا مفعول. وهو (لفظ ذلك) مرفوع، فلم يبق إلا أن يكون مبتدأ، ومعنى مبتدأ: لم يُعرَف غيره من أوّل وهلة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾².

فإن قيل: من ضرورة كلّ مبتدأ أن يعمل فيه ابتداء. قلنا: نعم، عمل فيه "أمّ الكتاب" فهي الابتداء العاملة في "الكتاب"، والعامل في الكلّ، حقّا وخلقاً: الله الربّ. ولهذا تبه الله تبارك وتعالى - بقوله: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ فشرّك ثم قال: ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾³ فوحد. فالشكر من مقام التفرقة.

فكذلك ينبغي لك أن تشكر الرداء لَمَّا كان سببا موصلا إلى المرتدي. والمصير، من الرداء ومنك، إلى المرتدي. كلٌّ على شاكلته يصل. فتفهّم ما قلناه. وفرّق بين مقام النال والألف، وإن اشتراكا في مقام الوحدةانية المقدّسة، قَبْلِيَّة: حالا ومقاما، وتبديّة: مقاما لا حالا.

* * *

تَكْنِيَّة

(الجمع والتفرقة، والتذكير والتأنيث)

قال (تعالى): ﴿ذَلِكَ﴾ ولم يقل: "تلك آيات الكتاب". فالكتاب للجمع، والآيات للتفرقة. و﴿ذلك﴾ مذكّر مفرد، و"تلك" مفرد مؤنث. فأشار تعالى - ب﴿ذلك الكتاب﴾ أولا؛ لوجود الجمع أصلا قبل الفَرْق، ثم أوجد الفرق في الآيات، كما جمع العدد كلّّه في "الواحد" كما قدّمناه. فإذا أسقطناه؛ انعدمت حقيقة ذلك

1 ص 119

2 [الأعراف: 172]

3 [الفرقان: 14]

4 ص 119 ب

العدد، وما بقي للألف أثر في الوجود. وإذا أبرزناه؛ برزت الألف في الوجود. فانظر إلى هذه القوة العجيبة، التي أعطتها حقيقة الواحد، الذي منه ظهرت هذه الكثرة إلى ما لا يتناهى. وهو فردٌ في نفسه، ذاتا واسما.

ثم أوجد الفرق في الآيات قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾¹ ثم قال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾² فبدأ بالجمع الذي هو كل شيء. قال تعالى: ﴿وَوَكَّلْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾. ﴿فِي الْأَلْوَابِ﴾ (إشارة إلى) مقام الفرق، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إشارة إلى الجمع، ﴿مَوْعِظَةً وَتُذُنًا﴾ رداً إلى الفرق، ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾³ رداً إلى الجمع.

فكل موجود، أي موجود كان عموماً، لا يخلو أن يكون إما في عين الجمع، أو في عين الفرق لا غير. ولا سبيل أن يفرد عن هاتين الحقيقتين موجود، ولا (أن) يجمعهما أبداً. فالحق والإنسان في عين الجمع، والعالم في عين التفرقة لا يجمع. كما لا يفترق الحق أبداً؛ كما لا يفترق الإنسان.

فالله سبحانه - لم يزل في أزله، بذاته وصفاته وأسمائه؛ لم يتجدد عليه حال، ولا ثبت له وصف، من خلق العالم، لم يكن قبل ذلك عليه. بل هو الآن على ما كان عليه، قبل وجود الكون. كما وصفه ﷻ، حين قال: «كان الله ولا شيء معه»⁵ وزيد في قوله: "وهو الآن على ما عليه كان". فاندرج في الحديث ما لم يقله ﷻ.

ومقصودهم: أي الصفة التي وجبت له، قبل وجود العالم، هو عليها والعالم موجود. وهكذا هي الحقائق، عند من أراد أن يقف عليها.

فالتذكير في الأصل، وهو آدم، قوله (تعالى): ﴿ذَلِكَ﴾، والتأنيث في الفرع، وهو حواء، قوله: ﴿تِلْكَ﴾. وقد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتاب "الجمع والتفصيل" الذي صنفناه في معرفة أسرار التنزيل. فآدم؛ لجميع الصفات، وحواء؛ لتفريق الذوات؛ إذ هي محلّ الفعل والبذر. وكذلك "الآيات" (هي) محلّ الأحكام والقضايا. وقد جمع الله تعالى - معنى "ذلك" و"تلك" في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخُطَابَ﴾⁶.

فحروف⁷ "الم" رقماً؛ ثلاثه؛ وهو جماع عالمها. فإن فيها الهمزة وهي من العالم الأعلى، واللام وهي من

1 [الدخان : 3]

2 [الدخان : 4]

3 [الأعراف : 145]

4 ص 120

5 المستدرک علی الصحیحین للحاکم 3265، المعجم الكبير للطبراني 14904

6 [ص : 20]

7 ص 120 ب

العالم الوسط، والميم وهي من العالم الأسفل. فقد جمع ﴿الم﴾ البرزخ والدارين، والرباط والحقيقتين. وهي على النصف من حروف لفظه من غير تكرار، وعلى الثلاث بغير تكرار. وكل واحد منها ثلث كل ثلاث. وهذه كلها أسرار، تتبعناها في كتاب: "المبادي والغايات" وفي كتاب "الجمع والتفصيل".

فليكيف هذا القدر من الكلام على "الم" البقرة في هذا الباب، بعد ما رغبنا في ترك تقييد ما تجلّى لنا في "الكتاب" و"الكتاب". فلقد تجلّت لنا فيه أمور جسام مموّلة، رمينا الكراسة من أيدينا عند تجليها، وفررنا إلى العالم، حتى خفّ عتّا ذلك. وحينئذ رجعنا إلى التقييد في اليوم الثاني من ذلك التجلي. وقبّلت الرغبة فيه، ومُسِكّ علينا. ورجعنا إلى الكلام على الحروف، حرفا حرفا، كما شرطناه أوّلا في هذا الباب، رغبة في الإيجاز والاختصار. ﴿وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.
انتهى الجزء الخامس، والحمد لله رب العالمين².

1 [الأحزاب: 4]

2 وخلف الصفحة أثبتت الساعات التالية: 1- بخط مخالف لأصل المتن: "سمع جمع هنا الجزء الخامس والرابع قبله، على مصنفها الإمام العالم العلامة محيي الدين شرف الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي - أبقاه الله - بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي، الأئمة: أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو بكر بن سليمان الحنوي الواعظ، ويعقوب بن معاذ الوري، وعبد الله بن محمد الأنلسي الواعظ، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج - الحنفيون -، ويوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم - يعرف بأبي زرارة -، وأبو إسحق إبراهيم بن محمد الأنصاري القرطبي، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شجاع الدمشقي، وأبو المعالي محمد، وأبو سعد محمد - أبنا المصنف -، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، وعلي بن أبي الغنائم العسال، وعيسى بن إسحق الهنبايي، ويونس بن عثمان بن أبي القاسم المرصفي، وأحمد بن أبي الهيجاء بن أبي المعالي، وإبراهيم بن خضر بن يوسف - الدمشقيان -، ويحيى بن إسماعيل بن محمد الملطي، وأبو الحسن بن راجح بن عبد الرزاق العرضي، وكتب السباع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي. - وذلك في حادي عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستائة. بمنزل المصنف بدمشق. - والحمد لله وحده، وصلاته على محمد وآله وصحبه وسلامه".

2- ويلى ذلك بخط الشيخ ابن العربي نفسه: "كُلُّ هَذَا السَّبَاعِ الْوَلِيُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى الْفَقِيرِ حَيِّى الدِّينِ أَبِي الْمَعَالِيِّ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجِيَابِ - أَدَامَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ - عَلَيَّ وَكُلِّ مَجْمَدِ اللَّهِ. وَكُتِبَ مَنْشِيهِ وَهُوَ الْمُسْتَعْلَقُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْعَرَبِيِّ بِخَطِّهِ فِي التَّاسِعِ عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّائَةٍ".

3- ويلى هنا مباشرة بخط جديد: "سمع من التنبيه إلى هنا الجزء على مصنفها الإمام العالم العلامة محيي الدين - فضع الله به آمين - محمد بن علي بن محمد المطرز بقرامقي في منزله. كتبه أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحنوي في راج ذي القعدة المبارك سنة ثلاث وثلاثين وستائة".

الجزء السادس من الفتح المكي¹
بسم الله الرحمن الرحيم²
(الكلام على الحروف)

من ذلك حرف الألف

أَلِفُ الذَّاتِ تَزُفَتْ فَهَلْ لَكَ فِي الْأَثْوَانِ عَيْنٌ وَمَحَلٌّ؟
قَالَ: لَا، غَيْرُ الْفِئَاتِي فَإِنَا حَزَفُ تَأْيِيدِ تَضْمُنْتُ الْأَزْلُ
فَأَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْمُجْتَبَى وَأَنَا مَنْ عَزَّ سُلْطَانِي وَجَلَّ

الألف ليس من الحروف، عند من شم رائحة من الحقائق، ولكن قد سمته العامة حرفاً. فإذا قال المحقق: "إنه حرف" فإنما يقول ذلك على سبيل التجوز في العبارة. ومقام الألف؛ مقام الجمع. له من الأسماء: اسمه الله، وله من الصفات: القيومية، وله من أسماء الأفعال: المبدئي والباعث والواسع والحافظ والخالق والبارئ والمصور والوهاب والرزاق والفتاح والباسط والمميز والمعبد والرافع والهيبي والوالي والجامع والمغني والنافع، وله من أسماء الذات: الله والرب والظاهر والواحد والأول والآخر والصد والفتي والريقيب والمبين والحق.

وله من الحروف اللفظية: همزة واللام والفاء، وله من البسائط: الزاي والميم والهاء والفاء واللام والهمزة، وله³ من المراتب: كلها. وظهوره؛ في المرتبة السادسة، وظاهر سلطانه؛ في النبات، وإخوته في هذه المرتبة: الهاء واللام، وله؛ مجموع عالم الحروف ومراتبها؛ ليس فيها ولا خارجاً عنها: نقطة البائرة ومحيطها، ومركب العوالم وبسيطها.

ومن ذلك حرف همزة

هَمْزَةٌ تَطْعُ وَتَقَا وَتَصِلُ كُلُّ مَا جَاوَزَهَا مِنْ مُنْفِصِلٍ

1 العنوان ص 121 ب

2 البسطة ص 122

3 ص 122 ب

4 ق: "خارج"

فَهِيَ النَّعْرُ عَظِيمٌ قَنْزُهَا جَلُّ أَلٍ يَخْضَرُهُ صَرْبُ الْمَثَلِ

الهمزة من الحروف، التي من عالم الشهادة والملكوت. لها من الخارج، أقصى الخلق. ليس لها مرتبة في العدد. لها من البسائط: الفاء والميم والزاي والألف والياء. لها من العالم: الملكوت، ولها الفلك الرابع. ودورة فلكها تسعة¹ آلاف سنة. ولها من المراتب الرابعة والسادسة والسابعة، وظهور سلطانها في الجن والنبات والجماد.

ولها من الحروف: الهاء والميم والزاي والهاء في الوقف والتاء بالنتقتين من فوق- في الوصل، والتنوين في القطع. لها من الأسماء ما للألف والواو والياء؛ فأغنى عن التكرار. وتختص من أسماء الصفات: بالقَهَار² والقاهر والمقتدر والقوي والقادر. وطبعها؛ الحرارة واليبوسة، وعصرها؛ النار. واختلفوا: هل هي حرف، أو نصف حرف في الحروف الرقيية؟ وأما في التلظظ بها، فلا خلاف أنها حرف عند الجميع.

* * *

ومن ذلك حرف الهاء

هَاءُ الْهُوِيَّةِ كَمْ تُشِيرُ بِكُلِّ ذِي إِثِيَّةٌ خَفِيَتْ لَهُ فِي الظَّاهِرِ
هَلَا مَحَقَّتْ وَجُودَ رَسْمِكَ عِنْدَمَا تَبْدُو لِأَوَّلِهِ عُيُونُ الآخِرِ

اعلم أنّ الهاء من حروف الغيب. لها من الخارج: أقصى الخلق، ولها من العدد: الخمسة، ولها من البسائط: الألف والهمزة واللام والهاء والميم والزاي، ولها من العالم: الملكوت. ولها الفلك الرابع. وزمان حركة فلكها؛ تسعة³ آلاف سنة. ولها من الطبقات: الخاصة وخاصة الخاصة، ولها من المراتب: السادسة، وظهور سلطانها في النبات. ويوجد منه بآخرها؛ ما كان حارًا رطبًا، وتحيله بعد ذلك إلى البرودة واليبوسة. ولها من الحركات: المستقيمة والمعوجة. وهي من حروف الأعراف، ولها الامتزاج، وهي من الكوامل، وهي من⁴ عالم الانفراد، وطبعها: البرودة واليبس والحرارة والرطوبة، مثل عطارده. وعصرها الأعظم: التراب، وعصرها الأقل: الهواء. ولها من الحروف: الألف والهمزة، ولها من الأسماء النائية: الله والأول والآخر والمالجد والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمبين والأحد والملِك، ولها من أسماء الصفات: المقتدر

1 ق: تسع

2 ص 123

3 ق: تسع

4 ص 123 ب

والحصي، ولها من أسماء الأفعال: اللطيف والفتاح والمبدي والحبيب والمقيت والمصور والمذل والمعز والمعيد
والهبي والمميت والمنتقم والمقسط والمغني والممانع، ولها غاية الطريق.

ومن ذلك حرف العين المهملة

عَيْنُ الْعُيُونِ حَقِيقَةُ الْإِيجَادِ فَأَنْظُرُ إِلَيْهِ بِمَنْزِلِ الْأَشْهَادِ
تُبْصِرُهُ يَنْظُرُ نَحْوَ مُوجِدِ ذَاتِهِ نَظَرَ السَّقِيمِ مَحَاسِنَ الْعَوَادِ
لَا يَلْتَفِتُ أَبَدًا لِغَيْرِ إِلَهِهِ يَرْجُو وَيَحْذَرُ شَيْئَةَ الْعُبَادِ

اعلم أنّ العين من عالم الشهادة والملكوت، وله من الخارج: وسط الخلق، وله من عدد الجمل: عقد
السبعين، وله من البساتن: الياء والنون والألف والمهزة والواو. وله الفلك¹ الثاني، وزمان حركة فلكه:
إحدى عشرة ألف سنة. وله من طبقات العالم: الخاصة وخاصة الخاصة، وله من المراتب: الخامسة،
وظهور سلطانه في البهائم.

ويوجد عنه كلّ حارّ رطب، وله من الحركات: الأفقية، وهي المعوجة. وهو من حروف الأعراف.
وهو من الحروف الخالصة. وهو كامل. وهو من عالم الأنس الثاني، وطبعه: الحرارة والرطوبة. وله من
الحروف: الياء والنون، وله من الأسماء النائية: الغني والأول والأخير، وله من أسماء الصفات: القوي
والحصي والحَيّ، ومن أسماء الأفعال: النصير والنافع والواسع والوهاب والوالي.

ومن ذلك حرف الحاء المهملة

حَاءُ الْحَوَائِمِ سِرُّ اللَّهِ فِي السُّورِ أَخْفَى حَقِيقَتَهُ عَنِ رُؤْيَا الْبَشَرِ
فَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْ كَوْنٍ وَعَنْ شَبَحٍ فَارْحَلْ إِلَى عَالَمِ الْأَزْوَاحِ وَالصُّورِ
وَانْظُرْ إِلَى حَامِلَاتِ الْعَرْشِ قَدْ نَظَرْتَ إِلَى حَقَائِقِهَا جَاءَتْ عَلَى قَدْرِ
تَحِذْ لِحَائِكَ سُلْطَانًا وَعِزُّهُ أَنْ لَا يُدَانِيَ وَلَا يَخْفَى مِنَ الْغَيْرِ

اعلم أيها الولي- أن الحاء من عالم الغيب، وله من المخارج: وسط الحلق، وله من العدد¹: الثانية، وله من البسائط: الألف والهمزة واللام والهاء والفاء والميم والزاي، وله من العالم: الملكوت. وله الفلك الثاني، وسبني حركة فلكه: إحدى عشرة ألف سنة. وهو من الخاصة وخاصة الخاصة، وله من المراتب: السابعة. وظهور سلطانه في الجماد. ويوجد عنه ما كان باردا رطبا. وعنصره: الماء. وله من الحركات: المعوجة. وهو من حروف الأعراف. وهو خالص غير ممتزج. وهو كامل؛ يرفع من اتصل به. هو من عالم الأنس الثلاثي. وطبعه: البرودة والرطوبة، وله من الحروف: الألف والهمزة، وله من أسماء الذات: الله والأول والآخر والملئك والمؤمن والمهمين والمتكبر والجيد والمبين والمتعالي والعزيز، وله من أسماء الصفات: المتندر والحصي، وله من أسماء الأفعال: اللطيف والفتاح والمبدي والحبيب والمقيت والمصور والمذل والمعز والمعيد والحبي والمميت والمنتقم والمقسط والمغني والممانع. وله بداية الطريق.

ومن ذلك حرف الفين المنقوطة

إلا تجلئيه الأطمم الأخطر	الفين مثل العين في أخواله
فاغرف حقيقته فيضه وقسرت	في ² الفين أسرار التجلي الأظهر
حدزا على الرسم الضعيف الأخر	واظنر إليه من سيطرة كونه

اعلم أيديك الله بروح منه- أن الفين المنقوطة؛ من عالم الشهادة والملكوت، ومخرجه؛ الحلق، أدنى ما يكون منه إلى الفم. عدده، عندنا، تسعمائة، وعند أهل الأسرار، وأما عند أهل الأنوار، فعدده ألف، كل ذلك في حساب الجمل الكبير، وبسائطه: الياء والنون والألف والهمزة والواو، وفلكه: الثاني، وسبني فلكه في حركته: إحدى عشرة ألف سنة، يتميز في طبقة العامة. مرتبته؛ الخامسة، ظهور سلطانه في البهائم.

طبعه: البرودة والرطوبة، عنصره: الماء. يوجد عنه كل ما كان باردا رطبا. حركته معوجة، له الخلق والأحوال والكرامات. خالص، كامل، مثني، مؤنس. له الأفراد النائي. له من الحروف: الياء والنون، له من الأسماء النائية: الفيني والعلي والله والأول والآخر والواحد، وله من أسماء الصفات: الحبي والحصي.

1 ص 124 ب
2 ص 125

والقوي، وله من أسماء الأفعال: النصير والواقى والواسع¹ والوالي والوكيل. وهو ملكوتي.

ومن ذلك حرف الحاء المنقوطة

الحَاءُ مَهْمَا أَقْبَلَتْ أَوْ أَدْبَرَتْ أَغْطَنَكَ مِنْ أَسْرَارِهَا وَتَأَخَّرَتْ
فَعَلُّوْهَا يَهْوَى الْكِيَانَ، وَسَفَلُهَا يَهْوَى الْمَكُونِ حِكْمَةً قَدْ أَظْهَرَتْ
أَبْدَى حَقِيقَتَهَا مُخْطَطًا ذَاتِهَا فَتَدَنَسَتْ وَقَتَا وَتُمْ تَهْلَهْرَتْ
فَاعْجَبْ لَهَا مِنْ جَنَّةٍ قَدْ أُرْزِقَتْ فِي سَفَلِهَا وَلَهَيْبِ نَارٍ سَعَّرَتْ

اعلم أيديك الله - أن الحاء من عالم الغيب والملكوت. مخرجه: الحلق، مما يلي الفم، عدده: ستائة، بساطته: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه الثاني، سني فلكه: إحدى عشرة ألف سنة. يميز في العامة. مرتبته: السابعة. ظهور سلطانه في الجماد. طبع رأسه: البرودة واليبوسة، والحرارة والرطوبة بقيته جسده. عنصره الأعظم: الهواء، والأقل: التراب. يوجد عنه كل ما اجتمعت فيه الطبائع الأربع.

حركته معوجة، له الأحوال والخلق والكرامات. ممتزج، كامل، يرفع من اتصل به على نفسه، مثلث، مؤنس، له علامة. له من الحروف: الهمزة² والألف، له من الأسماء الذاتية والصفاتية والفعلية: كل ما كان في أوله زاي أو ميم؛ كالمليك والمقتدر والمعز، أو هاء؛ كالهادي، أو فاء؛ كالفتاح، أو لام؛ كاللطيف، أو همزة؛ كالأول.

ومن ذلك حرف القاف

القَافُ سِرُّ كَلَامِهِ فِي رَأْسِهِ وَعُلُومُ أَهْلِ الْعَرْبِ³ مَبْدَأُ نُظْرِهِ

1 ص 125 ب

2 ص 126

3 س: الغرب

والشَرِيُّ يَنْجِيهِ وَيَجْعَلُ غَيْبَهُ فِي شَطْرِهِ وَشُهُودَهُ فِي شَطْرِهِ
 وانظُرْ إِلَى تَفْرِيقِهِ كَهَلَالِهِ وانظُرْ إِلَى شَكْلِ الرَّؤْيِيِّ كَجَنْبِهِ
 عَجَبًا لِأَخْرِ نَشْأُوهُ هُوَ مَبْدَأُ لَوْجُودِ مَبْدَبِهِ وَمَبْدَأُ عَضْرِهِ

اعلم -أيدينا الله- أن القاف من عالم الشهادة والجبروت، مخرجه من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك. عدده: مائة، بسائطه: الألف والفاء والمهزة واللام. فلكه: الثاني، سنيّ حركة فلكه: إحدى عشرة ألف سنة. يميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة. مرتبته: الرابعة، ظهور سلطانه في الجنّ. طبعه: الأمهات الأول، آخره: حارّ يابس، وسائره: بارد رطب.

عنصره: الماء والنار، يوجد عنه: الإنسان والعنقاء¹، له الأحوال. حركته: ممتزجة. ممتزج. مؤنس. مثنيّ. علامته: مشتركة. له من الحروف: الألف والفاء، وله من الأسماء على مراتبها: كلُّ اسم في أوّله حرف من حروف بسائطه. له الذات عند أهل الأسرار، وعند أهل الأنوار (له) الذات والصفات.

ومن ذلك حرف الكاف

كاف الرِّجَاءِ يُشَاهِدُ الإِجْلَالَ مِنْ كَافِ خَوْفِ شَاهِدِ الإِفْضَالَ
 فانظُرْ إِلَى قَبْضِ وَبَسْطِ فِيهِمَا يُعْطِيكَ ذَا صَدًّا وَذَاكَ وَصَالَ
 اللهُ قَدْ جَلَّى لَنَا إِجْلَالَهُ وَلِذَلِكَ جَلَّى مِنْ سَنَاءِ جَمَالِهِ

اعلم -أيدينا الله وإياك- أن الكاف من عالم الغيب والجبروت. له من الخارج: مخرج القاف وقد ذُكر -إلا أنّه أسفل منه. عدده: عشرون، بسائطه: الألف والفاء والمهزة واللام. له: الفلك الثاني، حركة فلكه: إحدى عشرة ألف سنة. يميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة. مرتبته: الرابعة. ظهور سلطانه في الجنّ. يوجد عنه كلُّ ما كان حارًّا يابسًا. عنصره النار. طبعه: الحرارة واليبوسة.

مقامه: البداية، حركته: ممتزجة. هو من الأعراف. خالص. كامل. يرفع من اتّصل به عند أهل الأنوار،

ولا يرفع عند أهل الأسرار. مفرد. موحش¹. له من الحروف؛ ما للقف، وله من الأسماء: كل اسم في أوله حرف من حروف بساطه وحروفه.

ومن ذلك حرف الضاد المعجمة

فِي الضَّادِ سِرٌّ لَوْ أَبُوْحُ بِذِكْرِهِ لَرَأَيْتَ سِرَّ اللَّهِ فِي جَبْرُوتِهِ
فَانظُرْ إِلَيْهِ وَاجِدَا وَكَأَلَهُ مِنْ غَيْرِهِ فِي خَضْرَتِي رَحْمَتِهِ
وإمامه اللَّفْظُ الَّذِي يُوْجِدُهُ أَسْرَى بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ مَلَكُوتِهِ

اعلم -أيدينا الله وإياك- أنّ الضاد المعجمة؛ من حروف الشهادة والجبروت. ومخرجه؛ من أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس. عدده: تسعون، عندنا، وعند أهل الأنوار: ثمانمائة. بساطه: الألف والبدال اليابسة والهمزة واللام والفاء. فلكه: الثاني، حركة فلكه: إحدى عشرة ألف سنة. يتميز في العامة. له وسط الطريق. مرتبته: الخامسة. ظهور سلطانه في البهائم. طبعه: البرودة والرطوبة. عنصره: الماء. يوجد عنه ما كان باردا رطبا. حركته متمتجة. له الخلق والأحوال والكرامات. خالص. كامل. مثنى. مؤنس. علامته: الفردانية. له من الحروف: الألف والبدال، ومن الأسماء، كما أعلمناك في الحرف الذي قبله، رغبة في الاختصار. والله² المعين الهادي.

* * *

ومن ذلك حرف الجيم

الجِيمُ يَرْفَعُ مَنْ يُرِيدُ وَصَالَهُ لِمَشَاهِدِ الْأَنْبَارِ وَالْأَخْيَارِ
فَهُوَ الْعَبِيدُ الْقِسُّ إِلَّا أَنَّهُ مُتَحَقِّقٌ بِحَقِيقَةِ الْإِنْبَارِ
يَرْزُقُو بِغَايَتِهِ إِلَى مَغْبُودِهِ وَيُبْذِنُهُ بِغَيْبِي - عَلَى الْآثَارِ
هُوَ مِنْ ثَلَاثِ حَقَائِقِ مَعْلُومَةٍ وَمِزَاجُهُ بَرْدٌ وَلَفْحُ النَّارِ

1 ص 127

2 ص 127 ب

اعلم -أيدينا الله وإياك- أنّ الجيم من عالم الشهادة والجبروت. ومخرجه؛ من وسط اللسان، بينه وبين الخنك. عدده: ثلاثة، بسائطه: الياء والميم والألف والمهزة. فلكه: الثاني. سِنُّهُ: إحدى عشرة ألف سنة. يميّز في العامة. له وسط الطريق.

مرتبته: الرابعة. ظهور سلطانه في الجنّ. جسده: بارد يابس، رأسه: حارّ يابس. طبعه: البرودة والحرارة واليبوسة. عنصره الأعظم: التراب، والأقلّ: النار. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: معوجة. له الحقائق والمقامات والمنازلات. ممتزج. كامل. يرفع من اتّصل به عند أهل الأنوار والأسرار، إلّا الكوفيتون. مثلث¹. مؤنس. علامته الفردانية. له من الحروف: الياء والميم، ومن الأسماء كما تقدّم.

ومن ذلك حرف الشين المعجمة بالثلاث

وَكُلُّ مَنْ نَالَهَا يَوْمًا فَقَدْ وَضَلَا	فِي الشَّيْنِ سَبْقَةُ أَسْرَارٍ لِمَنْ عَقَلَا
إِذَا الْأَمِينُ عَلَى قَلْبٍ بِهَا نَزَلَا	تُعْطِيكَ ذَاتَكَ وَالْأَجْسَامَ سَاكِنَةً
رَأَوْا هِلَالَ حَقَائِقِ الشُّهُرِ قَدْ كَمَلَا	لَوْ عَابَنَ النَّاسُ مَا تَحْوِينِهِ مِنْ عَجَبٍ

اعلم -أيدينا الله نطقا وفيها- أنّ الشين من عالم الغيب والجبروت، الأوسط منه. مخرجه مخرج الجيم. عدده، عندنا، ألف، وعند أهل الأنوار: ثلاثمائة². بسائطه: الياء والنون والألف والمهزة والواو. فلكه الثاني، سنيّ هذا الفلك قد تقدّم ذكرها. يميّز في العامة. له وسط الطريق. مرتبته: الخامسة. سلطانه في البهائم. طبعه: بارد رطب، عنصره: الماء. يوجد عنه ما يشاكل طبعه. حركته ممتزجة. كامل. خالص. مشئى. مؤنس. له الذات والصفات والأفعال. له من الحروف: الياء والنون، ومن الأسماء؛ على نحو ما تقدّم. له الحلق والأحوال والكرامات.

ومن ذلك حرف الياء

يَاءُ³ الرِّسَالَةِ حَرْفٌ فِي الثَّرَى ظَهَرَا
كَالْوَاوِ فِي الْعَالَمِ الْقَلْبِيِّ مُعْتَمِرَا

1 ص 128

2 كانت في ق: "ألف" ومسحت، وصححت في الهامش بقلم آخر: "ثلاثمائة"

3 ص 128 ب

فَهُوَ الْمِيدُ جُسُومًا مَا لَهَا ظَلَلٌ وَهُوَ الْمِيدُ قُلُوبًا عَاقَتْ صُورًا
إِذَا أَرَادَ يُسَاجِنُكُمْ بِحِكْمَتِهِ يَتَلَوُ فَيَسْمَعُ سِرَّ الْأَخْرَفِ السُّورَا

اعلم -أيدينا الله وإيتاك بروح منه- أنّ الباء من عالم الشهادة والجبروت. مخرجه؛ مخرج الشين. عدده: العشرة؛ للأفلاك الاثني عشر، وواحد للأفلاك السبعة. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه: الثاني، سبتيه قد ذُكرت.

يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة. له الغاية، والمرتبة: السابعة. ظهور سلطانه في الجماد. طبعه: الأمتها الأول، عنصره الأعظم: النار، والأقل: الماء. يوجد عنه؛ الحيوان. حركته: ممتزجة. له الحقائق والمقامات والمنازلات. ممتزج. كامل. رباعي. مؤنس. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدم.

* * *

ومن ذلك حرف اللام

اللَّامُ لِأَلْزَلِ السَّنِيِّ الْأَقْدَسِ وَمَقَامِهِ الْأَعْلَى الْبِهِيِّ الْأَقْسِيسِ
مَهْمَا يَتَمُّ بُبْدِي الْمَكُونِ ذَائُهُ وَالْعَالَمِ الْكَوْنِي مَهْمَا يَجْلِسِ
يُعْطِينِكَ رُوحًا مِنْ ثَلَاثِ حَقَائِقِ يَمْشِي وَيَرْقُلُ فِي ثِيَابِ السُّنْدِيسِ

اعلم¹ -أيدينا الله وإيتاك بروح القدس- أنّ اللام من عالم الشهادة والجبروت. مخرجه؛ من حافة اللسان، أدناها إلى منتهى طرفه. عدده، في الاثني عشر- فلكا: ثلاثون، وفي الأفلاك السبعة: ثلاثة. بسائطه: الألف والميم والهمزة والفاء والياء. فلكه الثاني، سبتيه؛ تقدمت. يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة. له؛ الغاية. مرتبته: الخامسة. سلطانه في البهائم. طبعه: الحرارة والبرودة واليبوسة. عنصره الأعظم: النار، والأقل: التراب. يوجد عنه ما يشاكل طبعه. حركته: مستقيمة وممتزجة. له الأعراف. ممتزج. كامل. مفرد. موحش. له من الحروف: الألف والميم، ومن الأسماء كما تقدم.

* * *

ومن ذلك حرف الراء

رَاءَ الْحَبَّةِ فِي مَقَامِ وَصَالِهِ أَبَدًا بِدَارِ نَعِيمِهِ لَنْ يُخَذَلَا
وَقَتًا يَقُولُ: أَنَا الْوَجِيدُ فَلَا أَرَى غَيْرِي، وَوَقْتًا: يَا أَنَا لَنْ تُجْهَلَا
لَوْ كَانَ قَلْبُكَ عِنْدَ رَبِّكَ هَكَذَا كُنْتَ الْمُقْرَبَ وَالْحَيْبَ الْأَكْمَلَا

اعلم أيدينا الله وإيتاك بروح منه- أن الراء من عالم الشهادة والجبروت. ومخرجهما؛ من ظهر اللسان، وفوق الشنايا. عدده، في الأثني عشر فلكاً، مائتان، وفي¹ الأفلاك السبعة: اثنان. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه الثاني، سبتي فلكه معلومة. له الغاية، مرتته: السابعة. ظهور سلطانه في الجماد. يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة. طبعه: الحرارة واليبوسة. عنصره: النار. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الأعراف. خالص. ناقص. مقدس. مثني. مؤنس. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدم.

* * *

ومن ذلك حرف النون

نُونُ الْوُجُودِ تَدُلُّ نَقْطَةً ذَاتِهَا فِي عَيْنِهَا غَيْبًا عَلَى مَغْبُودِهَا
فَوْجُودُهَا مِنْ جُودِهِ وَيَمِينِهِ وَجَمِيعِ أَكْوَانِ الْعَالَمِ مِنْ جُودِهَا
فَانظُرْ بِعَيْنِكَ نِصْفَ عَيْنِ وَجُودِهَا مِنْ جُودِهَا تَعْتُرُ عَلَى مَقْبُودِهَا

اعلم أيدينا الله القلوب بالأرواح- أن النون من عالم الملك والجبروت. مخرجه؛ من حافة اللسان، وفوق الشنايا. عدده: خمسون وخمسة. بسائطه: الواو والألف. فلكه: الثاني، سبتي حركته قد ذكرت. يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة، له غاية الطريق.

مرتته: المرتبة المترزة الثانية. ظهور سلطانه في الحضرة الإلهية. طبعه: البرودة واليبوسة، عنصره²:

1 ص 129 ب
2 ص 130

التراب. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الخلق والأحوال والكرامات. خالص. ناقص. مفرد. موجش. له الذات. له من الحروف: الواو، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الطاء المهملة

في الطاء خمسة أسرارٌ مَخْبِئَةٌ
والحق في الخلق والأسرارُ نائبة¹
منها حقيقة عين الملك في الملك
والتور في النار والإنسان في الملك
فهذه خمسة مهتمًا كلفت بها
علفت أن وجود الفلك في الفلك

اعلم -أيدينا الله به- أن الطاء من عالم الملك والجبروت. مخرجه؛ من طرف اللسان وأصول الشنايا. عدده: تسعة. بسائطه: الألف والمهزة واللام والفاء والميم والزاي والهاء. فلكه: الثاني، سيئته مذكورة. يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة. وله؛ غاية الطريق. مرتبته: السابعة. سلطانه؛ في الجماد. طبعه: البرودة والرطوبة. عنصره: الماء. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: مستقيمة عند أهل الأنوار، ومعوجة عند أهل الأسرار وعند أهل التحقيق وعندنا معًا، وممتزجة. له؛ الأعراف. خالص. كامل. مشئى. مؤنس. له من الحروف: الألف والمهزة، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن² ذلك حرف البال المهملة

البال من عالم الكون الذي انتقلا
عن الكيان فلا عين ولا أثر
عزت حقايقه عن كل ذي بصير
سُبْحَانَهُ جَلُّ أَنْ يَخْطَى بِهِ بَشِيرُ
فيه النوام فجود الحق منزله
فيه المثاني ففيه الآي والسور

اعلم -أيدينا الله بأسمائه- أن³ البال من عالم الملك والجبروت، مخرجه مخرج الطاء. عدده: أربعة.

1 س: "نايبة"، هـ "نايبة" وربما قرئت: "نايبة" في ق

2 ص 130 ب

3 نائبة في الهامش بخط الأصل.

بسائطه: الألف واللام والهمزة والفاء والميم. فلكه: الأول، سبني حركته: اثنتا عشرة ألف سنة. له غاية الطريق. مرتته: الخامسة. سلطانه؛ في البهائم. طبعه: البرودة واليبوسة. عنصره: التراب. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة بين أهل الأنوار والأسرار. له الأعراف. خالص. ناقص. مقدس. مثني. مؤنس. له من الحروف: الألف واللام، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف التاء باثنتين من فوق-

التَّاءُ يَظْهَرُ أَحْيَانًا وَيَنْتَبِئُ فَحُظُّهُ مِنْ وُجُودِ التَّوَمِ تَلْوِينُ
تَحْوِي عَلَى الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ حَضْرَتُهُ وَمَا لَهُ فِي جَنَابِ الْفِعْلِ تَكْوِينُ
يَتَدَوُّ فَيُظْهِرُ مِنْ أَسْرَارِهِ عَجَبًا وَمُلْكُهُ اللَّوْحُ وَالْأَقْلَامُ وَالثَّنُونُ
"اللَّيْلُ"¹ و"الثَّمَنُ" و"الأَغْلَى" و"طَارِقَةُ"

في ذَاتِهِ و"الضُّحَى" و"الشُّرْحُ" و"الثَّنِينُ"²

اعلم أيها الولي الحميم- أن التاء من عالم الغيب والجبروت. مخرجه مخرج النال والطاء. عدده: أربعة وأربعائة. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه: الأول، سبنيته قد ذكرت. تميز في خاصة الخاصة. مرتته: السابعة. سلطانه في الجماد. طبعه: البرودة واليبوسة. عنصره: التراب. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته ممتزجة. له الخلق والأحوال والكرامات. خالص. كامل. رباعي. مؤنس. له الذات والصفات. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الصاد اليابسة

فِي الصَّادِ نُورٌ لِقَلْبٍ بَاتَ يَرْقُبُهُ عِنْدَ الْمَنَامِ وَسِئْرُ الشَّهِدِ يَخْجُبُهُ
فَتَمَّ فَإِنَّكَ تَلْقَى نُورَ سَجْدَتِهِ يُسِيرُ صَنْدُوكَ وَالْأَسْرَارُ تَرْقُبُهُ
فَذَلِكَ النُّورُ نُورُ الشُّكْرِ فَارْتَقِبِ الْمَشْكُورَ فَهَوَّ عَلَى الْعَادَاتِ يَغْفِقِبُهُ

1 ص 131
2 ما بين الأقواس الصغيرة أسماء سور قرآنية.

اعلم أيها الصفيّ الكريم- أنّ الصاد من عالم الغيب والجبروت. مخرجه مما بين طرف اللسان¹ وفوق الشايات السفلى. عدده: ستون عندنا، وتسعون عند أهل الأنوار. بساطته: الألف واللام والمهزة واللام والفاء. فلكه الأول، سببُهُ قد ذُكرت. يميّز في الخاصة وخاصة الخاصة. له أول الطريق. مرتبته: الخامسة. سلطانه في البهائم. طبعه: الحرارة والرطوبة. عنصره: الهواء. يوجد عنه؛ ما يُشاكل طبعه. حركته: ممتزجة بجهولة. له الأعراف. خالص. كامل. مثقّى. مؤنس. له من الحروف: الألف واللام، ومن الأسماء كما تقدّم.

ثمّ اعلم أنّي جعلت سرّ هذا الصاد اليابسة لا يُنال إلا في النوم؛ لكوني ما نلته ولا أعطانيه الحقّ - تعالى- إلا في المنام؛ فلهذا حكمتُ عليه بذلك، وليست حقيقته ذلك؛ والله يعطيه في النوم واليقظة. ولَمّا وقفتُ عنده بالتحديد؛ جعلتُ بعض الأصحاب يقرأ عليّ "أسرار الحروف" لأصليح ما اختلّ منها، عند التقييد، لسرعة القلم. فلَمّا وصل بالقراءة إلى هذا الحرف، قلت لهم ما اتفق لي فيه، وأنّ النوم ليس لازماً في نيله، ولكن هكذا أخذته فوصفت حالي، وانقضّ الجمع.

فلَمّا كان من الغد من يوم السبت، قعدنا على سبيل العادة في المجلس، بالمسجد الحرام، تجاه² الركن اليماني من الكعبة المعظمة.

وكان يحضر عندنا الشيخ الفقيه الجاور أبو يحيى تيّكر بن أبي عبد الله الهاشمي التويتمي الطرابلسي - رحمه الله - فجاء على عادته. فلَمّا فرغنا من القراءة، قال لي: رأيت البارحة في النوم، كأنّي قاعد، وأنت أمامي مستلق³ على ظهرِك، تذكر الصاد، فأنشدتكَ مرتجلاً.

الصَّادُ حَرْفٌ شَرِيفٌ وَالصَّادُ فِي الصَّادِ أَضْدَقُ

فقلتُ لي في النوم: ما دليلك؟ فقلتُ:

لأنَّهَا شَكْلٌ دَوْرٌ وَمَا مِنَ الثَّوْرِ أَشْبَقُ

ثمّ استيقظتُ. وحكى لي، في هذه الرؤيا، أنّي فرحتُ بجوابه. فلَمّا أكل ذُكره؛ فرحتُ بهذه المبشرة التي رآها في حقّي، وبهيئة الاضطجاع وذلك رقاد الأنبياء عليهم السلام - وهي حالة المستريح، الفارغ من شغله، والمتأهب لما يردّ عليه من أخبار السماء بالمقابلة.

فاعلم أنّ الصاد حرفٌ من حروف الصدق والصون والصورة. وهو كَرِيهُ الشكّل، قابلٌ لجميع الأشكال. فيه أسرار عجيبة. فتمجّبتُ من كشفه في نومه حُرْتُ عينه - على حالتي التي ذُكرتها للأصحاب

1 ص 131 ب

2 ص 132

3 ق، س: "مستلقي" وصححت في هامش ق

بالأمس في المجلس. ﴿فَقَفَرْنَا¹ لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ²﴾. (فالصاد) حرف شريف عظيم،. أقم (الحق) عند ذكره بمقام جوامع الكلم؛ وهو المشهد المحمدي في أوج الشرف بلسان التمجيد. وتضمنت هذه السورة من أوصاف الأنبياء عليهم السلام- ومن أسرار العالم كله الحفية، عجائب وآيات. وهذه الرؤيا فيها من الأسرار، على حسب ما في هذه السورة من الأسرار. فهي تدلّ على خير كثير جسم، يناله الرائي، ومن رينت له، وكلّ من شوهد فيها من الله تعالى-. ويحصل لها من بركات الأنبياء - عليهم السلام- المذكورين في هذه السورة، ويلحق الأعداء من الكفار، ما في هذه السورة من البؤس، لا من المؤمنين. نسأل الله لنا ولهم العافية، في الدنيا والآخرة.

فهذه بشرى حصلت، وأسرار أرسلها الحق إلينا على يد هذا الرائي. وذكر لي الرائي، صاحبنا أبو يحيى، أنه لما استيقظ تم على البيتين، اللذين أنشدهما لي في النوم، قريضا. فسألته أن يرسل إلي به، حتى أتيته في كتابي هذا عقيب هذه الرؤيا، وفي هذا الحرف. فإن ذلك القريض من إمداد هذه الحقيقة الروحانية التي رآها في النوم؛ فأردت أن لا أنصل بينها. فبعثت³ معه صاحبنا أبا عبد الله، محمد بن خالد الصدي التلمساني، فجاءني بها، وهي هذه:

الضادُ حرفٌ شريفٌ	والضادُ في الصادِ أضدٌ
قُلْ: مَا التَّائِيلُ؟ أَجِدُهُ	فِي دَاخِلِ الْقَلْبِ مُلْصِقٌ
لَأَنْهَا شَكْلُ دَوْبٍ	وَمَا مِنَ النُّورِ أَسْبَقُ
وَذَلْ هَذَا بِأَنِّي	عَلَى الطَّرِيقِ مُؤَنِقٌ
حَقَّقْتُ فِي اللَّهِ قَضِي	وَالْحَقُّ يَقْضِدُ بِالْحَقِّ
إِنْ كَانَ فِي الْبَحْرِ عُمُقٌ	فَسَاحِلُ الْقَلْبِ أَعْمَقُ
إِنْ ضَاقَ قَلْبُكَ عَنِّي	فَقَلْبُ غَيْرِكَ أَضْيَقُ
دَعِ الْقَرُونََةَ وَأَقْبِلْ	مِنْ صَادِقٍ يَقْضِدُ
وَلَا تَخَالِفِ قَنَنِي	فَالْقَلْبُ عِنْدِي مُعَلَّقٌ
إِفْتَحُهُ إِشْرَحُهُ وَأَقْمَلْ	فَقَلِ الَّذِي قَدْ تَحَقَّقُ
إِلَى مَتَى قَاسِيِ الْقَلْبِ	بَابُ قَلْبِكَ مُغْلَقٌ

1 ص 132 ب

2 [ص : 25]

3 ص 133

4 كتب في الهامش بخط الأصل: النفس. وجاء في [جمهرة اللغة] قرونة الرجل وقريته، هي قسه، إذا أعطى ما كان يمنح.

وَفَعَلَ غَيْرَكَ صَافٍ
 إِنَّا زَفَقْنَا فَرَفَقْنَا
 فَإِنْ أَتَيْتَ كَسْوَنَاكَ
 وَلَا تَكُنْ كَجِرِينِ
 وَالهِجْ¹ بِمَدْحِي فَمَدْحِي
 أَنَا الْوُجُودُ بِذَاتِي
 مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ كَعِلْمِي
 فَهَلْ تَرَى الشَّاهُ يَوْمًا
 مَنْ قَالَ فِي بِرَائِي
 إِنْ ظَلَّ يَهْدِي لِيَوْمٍ
 وَكُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا
 أَنَا الْمُهَيَّبُ ذُو الْقَرْشِ
 بَعَثْتُ لِلخَلْقِ رُسُلِي
 فَقَامَ فِي بَصْدِي
 مُجَاهِدًا فِي الْأَعَادِي
 لَوْ لَمْ أُغْنِهِمْ بِعَبْدِي
 إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَإِنْ أَطَفَعْتُمْ فِإِنِّي
 وَأَجْمَعُ الْكُلَّ فِي الْخَالِدِ فِي خَدَائِقِ تَقَبُّوْ
 وَإِنِّي اللَّهُ - أَضْفَقُ²
 وَرَاحَتَايَ تُصَفُّوْ

ومن¹ ذلك حرف الزاي

في الزاي سرٌ إذا حَقَّقْتَ مَفْنَاهُ كَانَتْ حَقَائِقُ رُوحِ الْأَمْرِ مَفْنَاهُ
إِذَا تَجَلَّى إِلَى قَلْبٍ بِحِكْمَتِهِ عِنْدَ الْفَنَاءِ عَنِ التَّنْزِيهِ أَغْنَاهُ
فَلَيْسَ فِي أَحْرَفِ الذَّاتِ التَّنْزِيهِ مَنْ يُحَقِّقُ الْعِلْمَ أَوْ يَذَرِيهِ إِلَّا هُوَ

اعلم أيديك الله بروح الأزل- أن الزاي من عالم الشهادة والجبروت والقهر. مخرجه مخرج الصاد والسين. عدده: سبعة. بساطته: الألف والياء والمهزة واللام والفاء. فلكه: الفلك الأول، سني حركته تقدم ذكرها. يتميز في خلاصة خاصة الخاصة. له الغاية. مرتبته: الخامسة. سلطانه في البهائم. طبعه: الحرارة واليبوسة. عنصره: النار. يوجد عنه ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الخلق والأحوال والكرامات. خالص. ناقص. مقدس. مثني. مؤنس. له من الحروف: الألف والياء، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف السين المهملة

في السنين أسرار الوجود الأزع ولهُ التَّحَقُّقُ وَالْمَقَامُ الْأَزْعُ
من عالم الغيب الذي ظهر به آثار كوز شمسها تتبرقع²

اعلم³ أن السين من عالم الغيب والجبروت والطف. مخرجه مخرج الصاد والزاي. عدده عند أهل الأنوار: ستون وستة⁴، وعندنا: ثلاثمائة وثلاثة. بساطته: الياء والنون والألف والمهزة والواو. فلكه: الأول، سنيته مذكورة. يتميز في الخاصة، وخاصة الخاصة، وخلاصة خاصة الخاصة، وصفاء خلاصة خاصة الخاصة. له الغاية. مرتبته: الخامسة. ظهور سلطانه في البهائم. طبعه: الحرارة واليبوسة. عنصره: النار. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الأعراف. خالص. كامل. مثني. مؤنس. له من الحروف: الياء والنون، ومن الأسماء الإلهية كما تقدم.

1 ص 134

2 ق، س: "لم تطلع" وعلت في ق بقلم الأصل: تبرقع

3 ص 134 ب

4 لفظ "وستة" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

ومن ذلك حرف الظاء المعجمة

في الظاء ستة أسرارٍ مُكْتَمَةٌ خَيْبَةٌ مَا لَهَا فِي الْخَلْقِ تَقْيِينُ
إِلَّا مَجَازًا إِذَا جَادَتْ بِفَاضِلِهَا يَزِي لَهَا فِي ظُهُورِ الْعَيْنِ تَحْسِينُ
يَزْجُو الْإِلَهَ وَيَحْشَى عَدْلَهُ وَإِذَا مَا غَابَ عَنْ كَوْنِهِ لَمْ يَتَدَنَّكَ تَكْوِينُ

اعلم -أيها العاقل- أنّ الظاء من عالم الشهادة والجبروت والقهر. مخرجه؛ مما بين طرفي اللسان، وأطراف الشنايا. عدده: ثمانية وثمانمائة عندنا¹، وعند أهل الأنوار: تسعمائة. بسائطه: الألف واللام والهمزة والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه: الأول، سيئته: مذكرة. يميّز في خلاصة خاصّة الحاصّة. له غاية الطريق. مرتبته: السابعة. سلطانه: في الجماد. طبع دائرته: بارد رطب. وقائمه: حارة رطبة؛ فله: الحرارة والبرودة والرطوبة.

عنصره الأعظم: الماء، والأقل: الهواء. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الخلق والأحوال والكرامات. مخرج. كامل. مثني. مؤنس. له الذات. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف النال المعجمة

النالُ يَنْزِلُ أَحْيَانًا عَلَى جَسَدِي كَرَهَا وَيَنْزِلُ أَحْيَانًا عَلَى خَلْيِي
طَوْعًا وَيُعْذَمُ مِنْ هَذَا وَذَلِكَ فَمَا يُرَى لَهُ أَثَرُ الرُّؤْيَى عَلَى أَحَدٍ
هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي مَا مِثْلُهُ أَحَدٌ تَدْعُوهُ أَسْمَاؤُهُ بِالْوَاجِدِ الصِّدِّ

اعلم -أيها الإمام- أنّ النال من عالم الشهادة والجبروت والقهر. مخرجه مخرج الظاء. عدده: سبعمائة وسبعة. بسائطه: الألف واللام والهمزة والفاء والميم. فلكه: الأول، سيئتي حركته مذكرة². يميّز في العامّة. له؛ وسط الطريق. مرتبته: الخامسة. سلطانه: في البهائم. طبعه: الحرارة والرطوبة. عنصره: الهواء. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: معوجة ممتزجة. له الخلق والأحوال والكرامات. خالص. كامل. مقدّس. مثني. مؤنس. له الذات. وله من الحروف: الألف واللام، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الناء بالثلاثة

النَاءُ ذَاتِيَّةٌ الْأَوْصَافِ عَالِيَّةٌ فِي الْوُضْفِ وَالْفِعْلِ وَالْأَقْلَامِ تُوجَدُهَا
فَإِنْ تَجَلَّثَ بِسِرِّ النَّاتِ وَاحِدَةً يَوْمَ الْبِدَايَةِ صَارَ الْخَلْقُ يَقْبُدُهَا
وَإِنْ تَجَلَّثَ بِسِرِّ الْوُضْفِ ثَانِيَةً يَوْمَ التَّوَسُّطِ صَارَ النَّعْتُ يَحْمَدُهَا¹
وَإِنْ تَجَلَّثَ بِسِرِّ الْفِعْلِ ثَالِثَةً يَوْمَ الثَّلَاثَةِ صَارَ الْكَوْنُ يُسْعِدُهَا

اعلم أيها السيد- أن الناء من عالم الغيب والجبروت واللطف. مخرجه مخرج الظاء والذال. عدده: خمسة وخمسمائة. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. له الفلک الأول، سيئته مذكورة. يتميز في خلاصة خاصة الخاصة. له؛ غاية الطريق. مرتته: السابعة. سلطانه في الجماد. طبعه: البرودة واليبوسة. عنصره²: التراب. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الخلق والأحوال والكرامات. خالص. كامل. مربع. مؤنس. له الذات والصفات والأفعال. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الفاء

الْفَاءُ مِنْ عَالَمِ التَّحْقِيقِ فَادْكِرْ وَانظُرْ إِلَى سِرِّهَا يَا بَنِي عَلِيٍّ قَدْرٍ
لَهَا مَعَ الْيَاءِ مَزْجٌ فِي الْوُجُودِ فَمَا تَنَفَّكَ بِالْمَرْحِ عَنْ حَقِّ وَعَنْ بَشْرِ
فَإِنْ قَطَعْتَ وَصَالَ الْيَاءُ دَانَ لَهَا مِنْ أَوْجِهِ عَالَمُ الْأَزْوَاحِ وَالصُّورِ

اعلم أيّد الله القلب الإلهي- أن الفاء من عالم الشهادة والجبروت والغيب واللطف. مخرجه من باطن الشفة السفلى، وأطراف الشيايا العليا. عدده: ثمانون وثمانية. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. له الفلک الأول، سيئته قد ذكرت. يتميز في الخلاصة. له غاية الطريق. مرتته: السابعة. سلطانه في الجماد. طبع رأسه: الحرارة والرطوبة، وسائر جسده: بارد رطب. فطبعه: الحرارة والبرودة والرطوبة. عنصره الأعظم: الماء³، والأقل: الهواء. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة.

1 هذا البيت مكتوب بالهامش ويخط حديث.

2 ص 136

3 ص 136 ب

له الحقائق والمقامات والمنازلات عند أهل الأسرار، وله الخلق والأحوال والكرامات عند أهل الأنوار. ممتزج. كامل. مفرد. مثنى. مؤنس. موحش. له الذات. له من الحروف: الألف والمهزة، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الباء بواحدة

الْبَاءُ لِلْعَارِفِ الشَّيْبِلِيِّ مُعْتَبَرٌ وَفِي تَقْيِظِهَا لِلْقَلْبِ مُذَكَّرٌ
سِرُّ الْعُبُودِيَّةِ الْعَلِيَاءِ مَارَزَمَهَا لِذَاكَ تَابَ مَنَابِ الْحَقِّ فَاعْتَبَرُوا
أَلَيْسَ يَحْذِفُ مِنْ "بِاسْمٍ" حَقِيقَتُهُ لِأَنَّهُ بَدَلٌ مِنْهُ فَذَا وَزُرُ

اعلم أيها الوالي المتعالي- أن الباء من عالم الملك والشهادة والقهر. مخرجه من الشفتين. عدده: اثنان. بسائطه: الألف والمهزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه: الأول. له الحركة المذكورة. يتميز في عين صفاء الخلاصة، وفي خاصة الخاصة. له بداية الطريق وغايته. مرتته: السابعة. سلطانه: في الجماد. طبعه: الحرارة واليبوسة. عنصره: النار. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له¹ الحقائق والمقامات والمنازلات. خالص. كامل. مربع. مؤنس. له الذات. ومن الحروف: الألف والمهزة، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الميم

الْمِيمُ كَالثَّوْنِ إِذْ حَقَّقَتْ سِرْمَهَا فِي غَايَةِ الْكَوْنِ عَيْنًا وَالْبِدَايَاتِ
وَالثَّوْنُ لِلْحَقِّ وَالْمِيمُ الْكَرِيمَةُ لِي بُدْءَ لِيُذِيَّ وَغَايَاتِ لِقَايَاتِ
فَبَرَزَ الثَّوْنُ رُوحٌ فِي مَعَارِفِهِ وَتَرَزَّخَ الْمِيمُ رَبٌّ فِي الْبَرِّيَّاتِ

اعلم أيّد الله المؤمن- أن الميم من عالم الملك والشهادة والقهر. مخرجه مخرج الباء. عدده: أربعة، وأربعون. بسائطه: الباء والألف والمهزة. فلكه: الأول، سيئته: ذكوث. يتميز في الخاصة، والخلاصة، وصفاء الخلاصة. له الغاية. مرتته: الثالثة. ظهور سلطانه: في الإنسان. طبعه: البرودة واليبوسة. عنصره: التراب. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. له الأعراف. خالص. كامل. مقدس. مفرد. مؤنس. له من الحروف: الباء، ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الواو

وَأُوْا يُنَاكُ أَقْدَسُ مِنْ وَجُودِي وَأَنْفُسُ
فَهَوَ زُفُوخٌ مُكْمَلٌ وَهَوَ سِيرٌ مُسَدَّسٌ
حَيْثُ¹ مَا لَاحَ عَيْنُهُ قِيلَ: أَرْضٌ² مُقَدَّسٌ
يُنْتَهِي السَّذْرَةُ الْعَلِيَّةُ فَيَنْتَهِي الْمَوْسُسُ

الواو من عالم الملك والشهادة والقهر. مخرجه: من الشفتين. عدده: ستة. بساطته: الألف والهمزة واللام والفاء. فلکه: الأول، سنيته: مذكورة. يميّز في خاصة الخاصة، وفي الخلاصة. له غاية الطريق. مرتته: الرابعة. سلطانه: في الجنّ. طبعه: الحرارة والرطوبة. عنصره: الهواء. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له: الأعراف. خالص. ناقص. مقدّس. مفرد. موحش. له من الحروف: الألف، ومن الأسماء كما تقدّم³.

* * *

فهذه حروف المعجم قد كملت، بذكر ما حدّ لنا من الإشارات والتنبيهات، لأهل الكشف والخلوات، والاطلاع على أسرار الموجودات. فإذا أردت أن يسهل عليك مأخذها، في باب العبارة عنها، فاعلم اشتراكها في أفلاك البسائط؛ تعلم حقائق الأسماء الممدّة لها. فالألف قد تقدّم الكلام فيها. وكذلك الهمزة تدخل مع الألف والواو والياء المعتلتين؛ فخرجتا أيضا عن حكم الحروف بهذا الوجه. فالجيم والزاي واللام والميم⁴ والنون؛ بساطتها مختلفة. والذال والذال متماثلة، والصاد والصاد متماثلة، والعين والعين والسين والشين متماثلة، والواو والكاف والقاف متماثلة، والباء والهاء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والحاء والطاء متماثلة البسائط أيضا. وكلّ تماثل البسائط، تماثل الأسماء فاعلم.

وكنا ذكرنا أن نذكر "لام ألف" عقيب الحروف، الذي هو نظير الجوز هز⁵، فنذكره في الرقم مفردا عن الحروف. فإنه حرف زائد، مركّب من ألف ولام، ومن همزة ولام.

* * *

1 ص 137 ب

2 كتب بجانبها لفظ "بيت" بخط الأصل.

3 في الهامش: "بلغ المجلس الرابع قراءة لعمود الزنجاني".

4 ص 138

5 (فارسية): رأس التنين، والتنين موضع في السماء

ذِكْرُ لَامِ أَلْفٍ وَأَلْفِ اللَّامِ

أَلْفُ اللَّامِ وَالْأَلْفُ تَهْرُ طَالُوتَ فَلَا تَفْتَرِفِ
 وَأَشْرَبَ النَّهْرَ إِلَى آخِرِهِ وَعَنِ النَّهْمَةِ لَا تَتَحَرِفِ
 وَلَتَيْمٌ مَا دُمْتَ زَيْنًا فَإِنْ ظَمِئْتَ نَفْسَكَ فَمَنْ فَانْصَرِفِ
 وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَهُ تَهْرَ بَلَوَى لِفُؤَادِ الْمُشْرِفِ
 فَاضْطَرَّ بِاللَّهِ وَاحْتَزَّهُ فَقَدْ يُخَذَلُ الْعَبْدُ إِذَا لَمْ يَقِفِ

معرفة لام ألف: لا

تَمَاقُقُ الْأَلْفِ الْقَلَامِ وَاللَّامِ مِثْلَ الْحَيَيْنَيْنِ فَالْأَعْوَامِ أَخْلَامِ
 وَالتَّمَّتِ السَّائِقُ بِالسَّائِقِ الَّتِي عَظُمَتْ جَاءَ فِي مِثْلِهَا فِي اللَّفِّ إِغْلَامِ
 إِنَّ¹ الْفُؤَادَ إِذَا مَغْتَاهُ عَاقَبَهُ بَدَأَ لَهُ فِيهِ إِجَادٌ وَإِعْدَامِ

اعلم أنه لما اصطحب الألف واللام، صَحِبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَيْلٌ؛ وهو الهوى والغرض. والميل لا يكون إلا عن حركة عشقية. فحركة اللام حركة ذاتية، وحركة الألف حركة عرضية. فظهر سلطان اللام على الألف، لإحداث الحركة فيه. فكانت اللام، في هذا الباب، أقوى من الألف؛ لأنها أعشق؛ فهتمها أكمل وجوداً، وأتم فعلاً. والألف أقل عشقا؛ فهتمها أقل تعلقاً باللام، فلم تستطع أن تهيم أودها.

فصاحب الهمة له الفعل، بالضرورة، عند المحققين. هذا حظ الصوفي ومقامه، ولا يقدر يجاوزه إلى غيره. فإن انتقل إلى مقام المحققين؛ فمعرفة المحقق فوق ذلك. وذلك أن الألف ليس ميله من جهة فعل اللام فيه بهيمته، وإنما ميله نزوله إلى اللام بالألطف، لتمكن عشق اللام فيه. ألا تراه قد لوى ساقه بقائمة الألف، وانططف عليه حنرا من القوت؟ فمیل الألف إليه نزول. كنزول الحق إلى السماء الدنيا وهم أهل الليل- في الثلث الباقي. وميل اللام معلوم عندهما، معلول، مضطر، لا اختلاف عندنا فيه إلا من جهة الباعث خاصة.

فالصوفي يجعل مَيْلَ اللَّامِ مِيلَ الْوَاجِدِينَ وَالْمُتَوَاجِدِينَ²؛ لِتَحَقُّقِهِ عِنْدَهُمْ بِمَقَامِ الْعَشْقِ وَالتَّمَشُّقِ وَحَالِهِ. وميل الألف ميل التواصل والاتحاد، ولهذا اشتبه في الشكل هكذا: لا. فأيمها جعلت الألف أو اللام؛

1 ص 138 ب

2 ص 139

قَبْلَ ذَلِكَ الْجَمَلِ. وَإِنَّكَ اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ اللِّسَانِ: أَيْنَ يَجْعَلُونَ حَرَكَةَ اللَّامِ أَوْ الِهْمِزَةَ الَّتِي تَكُونُ عَلَى الأَلْفِ؟ فَطَائِفَةٌ رَاعَتِ اللَّفْظَ فَقَالَتْ فِي الأَسْبُقِ والأَلْفِ بَعْدَ، وَطَائِفَةٌ رَاعَتِ الخَطَّ. فَبِأَيِّ فَخْذٍ ابْتَدَأَ الخَطُّ فَهُوَ اللَّامِ، وَالثَّانِي هُوَ الأَلْفُ.

وهذا كله تعطيه حالة العشق، والصدق في العشق يورث التوجه في طلب المعشوق. وصدق التوجه يورث الوصال من المعشوق إلى العاشق. والحقق يقول: باعثُ الميل المعرفة عندهما. وكلّ واحد على حسب حقيقته. وأما نحن ومن رقي معنا في معالي درج التحقيق الذي ما فوقه درج، فلسنا نقول بقولها ولكن لنا في المسألة تفصيل، وذلك أن نلاحظ في أي حضرة اجتمعا؟ فإنّ العشق حضرة جزئية من جملة الحضرات. فقول الصوفي حقّ. والمعرفة حضرة أيضا. كذلك فقول الحقّ حقّ. ولكن كلّ واحد منها قاصر عن التحقيق في هذه المسألة، ناظر بعين واحدة.

ونحن نقول: أوّل حضرة اجتمعا فيها (هي) حضرة الإيجاد¹، وهي: "لا إله إلا لا آل لا هـ" فهذه حضرة الخلق والخالق. وظهرت كلمة "لا" في النبي مرتين، وفي الإثبات مرتين. فلا لالا وإلاه لآلاه. فمیل الوجود المطلق، الذي هو الألف، في هذه الحضرة؛ إلى الإيجاد، وميل الموجود المقيد، الذي هو اللام، إلى الإيجاد عند الإيجاد. ولذلك خرج على الصورة. فكلّ حقيقة منها مطلقة في منزلتها. فافهم إن كنت تفهم، وإلا فالزم الخلوة، وعلّق الهمة بالله الرحمن حتى تعلم.

فإذا تقيّد بعد ما تعيّن وجوده، وظهر لعينه عينه فإنه:

عِنْدَ الوُجُودِ وَلِلْقُرْآنِ قُرْآنٌ	لِلْحَقِّ حَقٌّ وَلِلْإِنْسَانِ إِنْسَانٌ
عِنْدَ المُنَاجَاةِ لِلاَّذَانِ آذَانٌ	وَلِلْعِيَانِ عِيَانٌ فِي الشُّهُودِ كَمَا
فِي الفَرْقِ فَالزُّمَةُ فَالْقُرْآنُ فُرْقَانٌ ²	فَانظُرْ إِلَيْنَا بِعَيْنِ الجَمْعِ تَحْطُّ بِنَا

فلا بدّ من صفة تقوم به، ويكون بها يقابل مثلها أو ضدها من الحضرة الإلهية. وإنما قلت: الضدّ، ولم تقتصر على المثل، الذي هو الحقّ الصدق؛ رغبة في إصلاح قلب الصوفي، والحاصل في أوّل درجات التحقيق. فشرهما هذا، ولا يعرفان ما فوقه، ولا ما نومي إليه، حتى يأخذ الله بأيديهما، ويشهدهما ما أشهدناه. وسأذكر³ طرفا من ذلك في الفصل الثالث، من هذا الباب. فاطلب عليه هناك إن شاء الله تعالى.

فاغسطس في بحر القرآن العزيز، إن كنت واسع النّفس. وإلا فاقصر. على مطالعة كتب المفسرين

1 ص 139 ب

2 في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف".

3 ص 140

لظاهره، ولا تغطس فتهلك؛ فإنَّ بحر القرآن عميق. ولولا (أَنَّ) الفاطس ما يقصد منه المواضع القريبة من الساحل؛ ما خرج لكم أبدا. فالأنبياء، والورثة الحفظة، هم الذين يقصدون هذه المواضع رحمةً بالعالم. وأما الواقفون، الذين وصلوا ومسيكوا ولم يزدوا، ولا انتفع بهم أحد، ولا انتفعوا بأحد؛ فقصدوا بل قصد بهم تبيح البحر¹؛ فغطسوا إلى الأبد لا يخرجون.

يرحم الله العباداني، شيخ سهل بن عبد الله التستري²، حيث قال لسهل: "إلى الأبد" حين قال له سهل: أيسجد القلب؟ فقال الشيخ: إلى الأبد. بل صلى الله على رسول الله حين قيل له ﷺ في دخول العمرة في الحج: «أليامنا هذا أم لأبد؟» فقال ﷺ: بل لأبد الأبد³. فهي روحانية باقية في دار الخلد، يجدها أهل الجنان في كلِّ سنة مقدرة. فيقولون: ما هذا؟ فيجابون: العمرة في الحج روح ونعيم، ووارد نزية شريف، تشرق به أسارير الوجوه، وتزيد به حسنا وجمالا.

فإذا غطست -وفقك الله- في بحر القرآن، فاطلب وابحث على صدقتي هاتين الياقوتين⁴: الألف واللام. وصدفتها هي الكلمة، أو الآية التي تحملها. فإن كانت كلمة فعلية، على طبقاتها نُسبتُها من ذلك المقام. وإن كانت كلمة اسمية؛ على طبقاتها نُسبتُها من ذلك المقام. وإن كانت كلمة ذاتية؛ نُسبتُها⁵ من ذلك. كما أشار الشيخ: وإن لم تكن في الحرف: «أعوذ برضاك من سخطك»⁶. "برضاك": مَيْلُ الألف - من سخطك" مَيْلُ اللام، - (الصدفة هنا) كلمة اسمية. «ومعافاتك» ميل الألف - «من عقوبتك» ميل اللام - (الصدفة هنا) كلمة فعلية. و«بك» ميل الألف - «منك» ميل اللام؛ (الصدفة) كلمة ذاتية. فانظر ما أعجب بسرَّ النبوة وما أعلاه، وما أدنى مرماه وما أقصاه.

فمن تكلم على حرفي "لام ألف" من غير أن ينظر في الحضرة التي هو فيها، فليس بكامل. هيات؛ لا يستوي أبدا لام ألف ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، ولام ألف ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁷. كما لا يستوي لام ألف "لا" التي للنفي، ولام ألف التي للإيجاب. كما لا يستوي لام ألف النفي، ولام ألف النفي والتبرئة، ولام ألف النهي: فترفع بالنفي، وتُنصَّب بالتبرئة، وتُجْزَم بالنهي. و(لا يستوي) لام ألف لام التعريف، والألف التي من

1 التَّبِيحُ: غُلُوُّ وسط البحر إذا تلاقحت أمواجه. وفي حديث أم حرام: تَرَكُونِ تَبِيحَ هَذَا الْبَحْرِ أَي وَسَطَهُ وَمُتَقَلِّتَهُ؛ ومنه حديث الزهري: كَثُرَ إِذَا فَاتَحَتْ غُرُورَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَضَّتْ بِهِ تَبِيحَ بَحْرِ. وَتَبِيحُ الْبَحْرِ وَالْيَلِيلُ: مُتَقَلِّتُهُ. (لسان العرب)

2 سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيُّ. هُوَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ؛ وَكَتَبَتْهُ أَبُو مُحَمَّدٍ أَحَدُ أَيْمَةِ الْقُرُونِ وَعُلَمَائِهِمْ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي عِلْمِ الرِّيَاضِيَّاتِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَعِيُوبِ الْأَفْعَالِ. صَحِيبُ خَالِهِ مُحَمَّدِ بْنِ سُوَّارٍ، وَشَهِدَ ذَا الثُّونِ الْمِصْرِيَّ، سَنَةَ خُرُوجِهِ إِلَى الْحَجِّ بِمَكَّةَ ثَوْفِي سَنَةَ ثَلَاثٍ وَمِائَتَيْنِ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَعِينَ وَمِائَتَيْنِ. وَأُظْهِرَ أَنَّ ثَلَاثًا وَمِائَتَيْنِ أَصَحُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَأَسْنَدُ الْحَدِيثِ. [طبقات الصوفية - (1 / 67)]

3 صحيح مسلم 2137، سنن ابن ماجه 3065

4 ص 140 ب

5 ق: نسجها

6 صحيح مسلم 751، سنن اللساني 169

7 [يونس : 62]

أصل الكلمة، مثل قوله: الأعراف، والأدبار، والأبصار، والأقلام. كما لا يستوي لام ألف التوكيد، والألف الأصلية، مثل قوله تعالى: ﴿لَأَوْضَعُوا¹﴾ و﴿لَأَنْتُمْ²﴾.

فتحقّق³ ما ذكرناه لك، وأقم أَلْفَكَ من رقدتها، وحلّ لَأَمَكَ من عقدتها. وفي عقد اللام بالألف سرّاً لا يظهر، ولا أقدر على بسط العبارة في مقامات لام ألف كما وردت في القرآن، إلا لو كان السامع يسمعه متى كما يسمعه من الذي أنزل عليه لو عبّر عنه. ومع هذا فالغرض في هذا الكتاب الإيجاز. وقد طال الباب، واتسع الكلام فيه على طريق الإجمال؛ لكثرة المراتب وكثرة الحروف.

ولم نذكر، في هذا الكتاب، معرفة المناسبة التي بين الحروف، حتى يصحّ اتصال بعضها مع بعض. ولا ذكرنا اجتماع حرفين معاً، إلا لام ألف خاصة، من جملة ما. وهذا الباب يتضمّن ثلاثة آلاف مسألة، وخمسة مائة مسألة، وأربعين مسألة؛ على عدد الاتصالات بوجه ما؛ لكلّ اتصال علم يخصّه، وتحت كلّ مسألة من هذه المسائل مسائل تشعب كثيرة. فإنّ كلّ حرف يصطحب مع جميع الحروف كلّها، من جملة رفعه ونصبه وخفضه وسكونه وذاته وحروف العلة الثلاثة. فمن أراد أن يتشقّى منها، فليطالع تفسير القرآن الذي سميّناه "الجمع والتفصيل". وسنوفي الغرض في هذه الحروف لمن شاء الله- في كتاب "المبادي والغايات" لنا، وهو بين أيدينا. فلتكفّ هذه الإشارة في لام ألف. والحمد لله المفضّل.

* * *

معرفة⁴ ألف اللام: آل

وَلِإِخْيَاءِ الْعِظَامِ التَّخِرَاتِ	أَلْفُ اللَّامِ لِعِزْفَانِ الدَّوَاتِ
بِمُخَيَّأِهَا وَمَا تُبْقِي شَتَاتِ	تَنْظُمِ الشُّغْلِ إِذَا مَا ظَهَرَتْ
حَالُ تَعْظِيمِ وَجُودِ الحَضْرَاتِ	وَقَسِي بِالْعَهْدِ صِدْقًا وَلَهَا

اعلم أنّ لام ألف، بعد حلّها ونقض شكلها وإيراز أسرارها وفنائها عن اسمها ورسمها، تظهر في حضرة الجنس والعهد والتعريف والتعظيم. وذلك لَمَّا كان الألف حظّ الحقّ، واللام حظّ الإنسان؛ صار الألف واللام للجنس. فإذا ذكرت الألف واللام؛ ذكرت جميع الكون ومكوّنه. فإنّ فنيّة عن الحقّ بالخليقة؛ وذكرت الألف واللام؛ كان الألف واللام الحقّ والخلق. وهذا هو الجنس عندنا.

فقائمة اللام للحقّ تعالى-، ونصف دائرة اللام المحسوس، الذي يتقى بعد ما يأخذ الألف قائمته، هو

1 [التوبة : 47]

2 [الحشر : 13]

3 ص 141

4 ص 141 ب

شكل النون للخلق. ونصف الدائرة الروحاني الغائب؛ للملكوت، والألف التي تُبرزُ قطرَ الدائرة؛ للأمر، وهو: "كن". وهذه كلها أنواع وفصول للجنس الأعم، التي ما فوقه جنس. وهو حقيقة الحقائق؛ التائنة، القديمة في القديم لا في ذاتها، والمحدثّة في¹ المحدث لا في ذاتها. وهي، بالنظر إليها، لا موجودة ولا معدومة. وإذا لم تكن موجودة، لا تتّصف بالقدّم ولا بالحدث، كما سيأتي ذكرها في الباب السادس من هذا الكتاب. ولها ما شاكلها من جهة قبولها للصور، لا من جهة قبولها للحدث والقدّم. فإنّ الذي يشبهها موجود، وكلُّ موجود إمّا محدث وهو الخلق، وإمّا محدث اسم فاعل- وهو الخالق.

ولمّا كانت (حقيقة الحقائق) تقبل القِدَم والحدث، كان الحقّ يتجلّى لعباده على ما شاءه من صفاته. ولهذا السبب ينكره قوم في الدار الآخرة؛ لأنّه تعالى- تجلّى لهم في غير الصورة والصفة التي عرفوها منه. وقد تقدّم طرف منه في الباب الأوّل من هذا الكتاب. فيتجلّى للمعارفين على قلوبهم، وعلى ذواتهم في الآخرة عموماً. فهذا وجه من وجوه الشبه. وعلى التحقيق الذي لا خفاء به عندنا، أنّ حقائقها، هي المتجلّاة² للصفين في الدارين، لمن عقل أو فهم من الله تعالى-، المرتقي في الدنيا بالقلوب والأبصار. مع أنّه سبحانه- منبئ عن عجز العباد عن درك كنهه، فقال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾³. "لطيفٌ" بعباده بتجليه لهم على قدر طاقتهم، "خبيرٌ" بضعفهم عن حمل تجليهِ الأقدس⁴ على ما تعطيه الألوهة. إذ لا طاقة للمحدث على حمل جمال القديم، كما لا طاقة للأبصار بحمل البحار. فإنّ البحار تنفي أعيانها، سواء وردت عليه أو ورد عليها. أعني (أنّ) البحر لا يبقى لها أثراً يُشهد ولا يُميّز، فاعرف ما ذكرناه، وتحقّق.

وأعلى ما يشبهها من المحدثات؛ الهباء الذي خلق فيه صور العالم. ثمّ النور أنزل منه في الشبه بها. فإنّ النور صورة في الهباء، كما أنّ الهباء صورة فيها. وأنزلُ شبيها من النور بها؛ الهواء، وأنزلُ منه الماء، وأنزلُ منه المعادن، وأنزلُ منه الخشبُ وأمثاله، إلى أن تنتهي إلى شيء لا يقبل إلا صورة واحدة، إن وجدته. فتفهّم هذا حتى يأتي بابه من هذا الكتاب إن شاء الله-

فهذه الحقيقة التائنة، التي تتضمّن الحقائق التائنت، هي الجنس الأعم، التي تستحقّ الألف واللام الحمل عليه بذاتها. وكذلك عهدُها يُجريان حقيقتها، على علم ما وقع فيه العهد بين الموجودين. فعلى أيّ موجودين دخلتا، لأمر كان بينهما، من جهة كلّ واحد منها بالنظر إلى أمر ثالث، كاتنا لعهد ذلك الأمر الثالث الذي يعرفانه، وعلى حقيقتها: الألف لأخذ العهد، واللام لمن أخذ عليه (العهد).

1 ص 142

2 في الهامش: "المجلية" بخط حديث.

3 [الأنعام: 103]

4 ص 142 ب

وكذلك تعريفها وتخصيصها. إنما يَخَصُّصان شيئاً، من جنسه، على التعمين، ليَحْصُلَ العلم به عند من يريد الخبرُ أن يُقْلِمه إِيَّاه. فعلى أيِّ حالة كان المَخْصُص والمَخْصُص والشيء، الذي بسببه ظهرت هاتان الحقيقتان، انقلبتا في صورة حقائقهما؛ وهذا هو الاشتراك اللفظي. فإن كان الاشتراك في الصفة، ونريد أن نَمَيِّزَ الأعظم منها للمخاطب، فتكونا عند ذلك للتعظيم في الوصف الذي تدخلان عليه.²

فالألف واللام يقبلان كلَّ صورة وحقيقة؛ لأنهما موجودان جامعان لجميع الحقائق. فأَيُّ شيء برز أبرزاً له الحقيقة التي عندها منه، فقابلناه بها. فدلالتهما على الشيء؛ لئانها، لا لأنها اكتسبت من الشيء الذي دخلتا عليه. ومثل ذلك: "أهلك الناس الدينارُ والدرهمُ"، "رأيت الرجل أمس"، "أحببت الرجال دون النساء"، "هويت السَّمان" ويكفي هذا القدر، فقد طال الباب. انتهى الجزء السادس، والحمد لله.³

1 ص 143

2 تدخلان عليه: في ق "تدخل".

3 في الهامش: "بلغ".

الجزء السابع¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

بيان بعض الأسباب، أعني تفسير الألفاظ التي ذكرت في الحروف؛ من بسائط ومراتب وتهديس، وإفراد وتركيب، وأنس ووحشة، وغير ذلك

فاعلم، أولاً، أنّ هذه الحروف لما كانت مثل العالم المكلف الإنساني، المشاركة له في الخطاب لا في التكليف دون غيره من العالم لقبولها جميع الحقائق كالإنسان، وسائر العالم ليس كذلك- فمنهم القطب كما متا؛ وهو الألف.

ومقام القطب متا؛ الحياة القيومية. هذا هو المقام الخاص به. فإنه سار بهتته في جميع العالم. كذلك الألف (سار) من كلّ وجه؛ من وجه روحانيته، التي ندرکها نحن ولا يدركها غيرنا. ومن حيث سريانه نفساً، من أقصى- الخارج، الذي هو مبعث³ النفس إلى آخر المتأفيس، ويمتد في الهواء الخارج وأنت ساكت، وهو الذي يستقى الصدى. فتلك قيمية الألف، لا أنه واقف. ومن حيث رقه؛ فإنّ جميع الحروف تنحلّ إليه وترکب منه، ولا ينحلّ هو إليها، كما ينحلّ هو أيضاً إلى روحانيته، وهي النقطة تقديراً، وإن كان الواحد لا ينحلّ. فقد عرفناك ما لأجله كان الألف قطباً. وهكذا تعمل⁴ فيما نذكره لك بعد هذا إن أردت أن تعرف حقيقته.

والإمامان (من الحروف هما) الواو والياء المعتلتان، اللذان هما حرفا المدّ واللين لا الصحيحتان. والأوتاد أربعة: الألف، والواو، والياء، والنون، الذين هم علامات الإعراب. والأبدال سبعة: الألف، والواو، والياء، والنون، وتاء الضمير، وكافه، وهاؤه. فالألف؛ ألف رجلان، والواو؛ واو الغفرون، والياء؛ ياء العفرين، والنون؛ نون⁵ يفعلون.

وسرّ النسبة بيننا وبينهم في مرتبة الأبدال، كما يتتا في القطب، أنّ التاء إذا غابث من "قمت" تركت بدلها. فقال المتكلم: قام زيد، فنابث بنفسها مناب الحروف، التي هي اسم هذا الشخص الخبر عنه. ولو كان الاسم مركباً من ألف حرف؛ ناب الضمير مناب تلك الحروف؛ لقوة حروف الضمان، وتمكّنها، واتساع فلکها. فلو سمّيت رجلاً: "يا دار مية بالعلياء فالسند"⁶، فقد نابت التاء أو الكاف أو الهاء، مناب

1 العنوان ص 143

2 البسمة ص 144

3 ثابت في الهامش بخط الأصل.

4 ص 144

5 ثابت في الهامش بخط الأصل

6 صدر بيت للنايفة الذيباني وهي:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطالّ عليها سالف الأبد

جملة هذه الحروف في الدلالة، وتركته بدلها. أو جاءت بدلا منها، كيفما شئت. وإنما صحَّ لها هذا لكونها تعلم ذلك، ولا يعلمه من هي بدل عنه، أو (من) هو بدل عنها. فلهذا استحقَّت هي وأخواتها مقام الأبدال. ومَنزكٌ من أين عِلْمٌ هذا؟ موقوف على الكشف. فابحث عليه بالخلوة والذِّكر والهمَّة¹.

وإيَّاك أن تتوهم تكرار هذه الحروف في المقامات، أنها شيء واحد له وجوه. إنما هي مثل الأشخاص الإنسانيَّة. فليس زيد بن علي، هو عين أخيه زيد بن علي الثاني، وإن كانا قد اشتركا في البنوة والإنسانيَّة ووالدهما واحد. ولكن، بالضرورة، نعلم أنَّ الأخ الواحد ليس عين الأخ الثاني. فكما يفرِّق البصر- بينهما والعلم، كذلك يفرِّق العلم بينهما في الحروف، عند أهل الكشف من جهة الكشف، وعند النازلين عن هذه الدرجة من جهة المقام، التي² هي بدل عن حروفه. ويزيد صاحب الكشف، على العالم من جهة المقام، بأمر آخر لا يعرفه صاحب علم المقام المذكور. وهو مثلاً: "قلَّتْ"؛ إذا كررته بدلا من اسم بعينه، فتقول لشخص بعينه: قلَّتْ كذا، وقلَّتْ كذا. فالتاء، عند صاحب الكشف، التي في قلَّتْ الأوَّل، غير التاء التي في قلَّتْ الثاني؛ لأنَّ عين مخاطب تتجدد في كلِّ نفس: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾³. فهذا شأن الحقِّ في العالم مع أحديَّة الجوهر. وكذلك الحركة الروحانيَّة، التي عنها أوجد الحقُّ تعالى- التاء الأوَّلِي، غير الحركة التي أوجد عنها التاء الأخرى، بالغا ما بلغت. فيختلف معناها بالضرورة.

فصاحب علم⁴ المقام يتفطن لاختلاف علم المعنى، ولا يتفطن لاختلاف التاء، أو أيِّ حرف، ضميرا كان أو غير ضمير. فإنَّه صاحب رقم ولفظ لا غير. كما تقول الأشاعرة في الأعراض، سواء. فالناس يجمعون معهم على ذلك في الحركة خاصَّة، ولا يصلون إلى علم ذلك في غير الحركة. فلهذا أنكروه، ولم يقولوا به. ونسبوا القائل بذلك إلى الهوس وإنكار الحسِّ. وحججوا عن إدراك ضعف عقولهم، وفساد محلِّ نظرهم، وقصورهم عن التصرّف في المعاني. فلو حصل لهم (العلم) الأوَّل عن كشف حقيقيٍّ من معدنه، لانسحبت تلك الحقيقة على جميع الأعراض، حكما عاما لا يختص بعرض دون عرض؛ وإن اختلفت أجناس الأعراض، فلا بدَّ من حقيقة جامعة وحقيقة فاصلة. وهكذا هذه المسألة، التي ذكرناها، في حقِّ من قال بما قلناه فيها، ومَن أنكره.

والنايفة الذبياني (؟ - 18 ق. هـ / ؟ - 605 م) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني النبطاني المضري، أبو أامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت ضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتصدده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والحسناء ممن يعرض شعره على النايفة. كان حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فنضب منه النعمان، ففر النايفة ووفد على الفسائيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضى عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمرا طويلا. [الموسوعة الشعرية]

1 ص 145

2 يوجد تصويب بالهامش بخط حديث: "التي".

3 [ق: 15]

4 ص 145ب

فليس المطلوب، عند المحققين، الصور المحسوسة لفظا ورقما، وإنما المطلوب؛ المعاني التي تضمّنها هذا الرّم أو هذا اللفظ، وحقيقة اللفظة والمرقوم عينها. فإن الناظر في الصور إنما هو روحاني، فلا يقدر أن يخرج عن جنسه. فلا تُحجّب بأن ترى الميت لا يطلب الخبز، لعدم السرّ الروحاني منه، ويطلبه الحيّ لوجود الروح فيه¹، فتقول: نراه يطلب غير جنسه. فاعلم أنّ في الخبز والماء وجميع المطاعم والمشارب والملابس والجالس، أرواحا لطيفة غريبة، هي سيرّ حياته وعلمه وتسيبته ربّه، وعلوّ منزلته في حضرة مشاهدة خالقه. وتلك الأرواح أمانة عند هذه الصور المحسوسة، يؤدّونها إلى هذا الروح المودّع في الشبح. ألا ترى إلى بعضهم كيف يوصل أمانته إليه، الذي هو سيرّ الحياة؟ فإذا أدّى إليه أمانته، خرج إما من الطريق الذي دخل منه، فيستقى: قينا وقلّسا، وإما من طريق آخر، فيستقى: غيرة وبولا. فما أعطاه الاسم الأوّل إلا السرّ الذي أدّاه إلى الروح، وبقي باسم آخر يطلبه من أجله، صاحب الحضرة والمديرون² أسباب الاستحالات. هكذا يتقلّب في أطوار الوجود؛ فيتغزى ويكتسي، ويدور بدورة الأكرة كالديولاب، إلى أن يشاء الله العليم الحكيم.

فالروح معذور في تشمّقه بهذه المحسوسات؛ فإنه عين مطلوبه فيها، فهي منزل محبوبه.

أَمْرٌ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارٍ سَلْتِي أَقْبَلُ ذَا الجِدَارِ وَذَا الجِدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ مَضَى بِقَلْبِي وَلَكِنْ حُبٌّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا³

وقال أبو إسحق الزّوالى⁴ رحمه الله:-

يَا⁵ دَارُ إِنِّ غَزَا فَيْكَ يَمِينِي لِلّهِ دَرْكٌ مَا تَحْوِيهِ يَا دَارُ
لَوْ كُنْتُ أَشْكُو إِلَيْهَا حُبَّ سَاكِنِهَا إِذْنُ رَأَيْتُ بِنَاءَ النَّارِ يَنْهَارُ

1 ص 146

2 ق: والمسيرين.

3 وجدنا هذين البيتين مع تغير بسيط فيهما؛ إذ جاءت ليلي بدلا من سلمى، ولفظ شغفن بدلا من مضى. وهما لقيس بن الملوّح العامري (ت 68هـ) وهو شاعر غزل من المتبحرين من أهل نجد. وكان هاغما في حب ليل بنت سعد التي نشأ معها إلى أن كبرت وحبها أبوها. فهام لقيس على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش.. إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت، فحمل إلى أهله. (انظر الموسوعة الشعرية)

4 إبراهيم بن علي الخولاني، أديب من أهل أسطبة، من أعمال قرطبة، عرف بالزّوالى، وكنيته: أبو إسحق. عني بالأدب وشهر بها، وتحوّل كثيرا وولي القضاء بأش من أعمال مرسية. توفي بمراكش 616هـ. وهاتان البيتان مأخوذتان من بيتين آخرين للعباس بن الأحنف (ت 192هـ) وردتا في قصيدة له مطلعها:

أينك للصب عند الوصل تتكأر وكيف والحب إظهار وإضهار
والبيتان هما:

يا دار إن غزَا فَيْكَ بَرَحِ بِي لِلّهِ دَرْكٌ مَا تَحْوِيهِ يَا دَارُ
مَا زِلْتُ أَشْكُو إِلَيْهَا حُبَّ سَاكِنِهَا حَتَّى رَأَيْتُ بِنَاءَ النَّارِ يَنْهَارُ

والعباس بن الأحنف شاعر غزل رقيق، قال فيه البحرّي: أغزل الناس. أصله من اليمامة بنجد، وكان أهله في البصرة، ونشأ في بغداد وبها توفي، وقيل بالبصرة. (انظر الموسوعة الشعرية)

5 ص 146 ب

فافهموا فقهنا الله وإياكم - سرائر كليمه، وأطلعنا وإياكم على خفيات غيوب حكيمه.

أما قولنا الذي ذكرناه بعد كل حرف، فأريد أن أبينه لكم حتى تعرفوا منه ما لا ينفركم عما لا تعلمون. فأقل درجات الطريق؛ التسليم فيما لا تعلمه، وأعلاه؛ القطع بصدقته، وما عدا هذين المقامين؛ فخرمان، كما أن المتصف بهذين المقامين؛ سعيد. قال أبو يزيد البسطامي لأبي موسى: "يا أبا موسى؛ إذا لقيت مؤمنا بكلام أهل هذه الطريقة، قل له يدعو لك؛ فإنه مجاب الدعوة". وقال رويم¹: "من قعد مع الصوفية، وخالفهم في شيء مما يتحققون به؛ نزع الله نور الإيمان من قلبه".

شرح:

فمن ذلك قولنا: حرف كذا، باسمه كما سقته، هو من عالم الغيب. فاعلم أن العالم، على بعض تقاسيمه، على قسمين، بالنظر إلى حقيقة ما معلومة عندنا. فنسمي عالم الغيب؛ وهو كل ما غاب عن الحس ولم تجر العادة بأن يدرك بالحس، وهو من الحروف: السين والصاد والكاف والحاء المعجمة والتاء - باثنتين - من فوق والفاء والشين والهاء والتاء - بالثلاث - والحاء.

وهذه حروف² الرحمة والألطف، والرافة والحنان، والسكينة والوقار، والتزول والتواضع. وفيهم (نزلت) هذه الآية: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾³ وفيهم نزل أيضا على الرقيقة المحمدية التي تمتد إليهم منه من كونه "أوتي جوامع الكلم" أتي إليهم بها رسولهم، فقال تعالى: ﴿وَالْكَاطِبِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾⁴ وفيهم: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ﴾⁵ وفيهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾⁶ وفيهم: ﴿وَوَخَّشَعَتِ الْأَضْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾⁷، وهذا القبيل من الحروف هو، أيضا، الذي نقول فيه: إته من اللطف، لما ذكرناه. فهنا من جملة المعاني، التي تطلق عليه منه عالم الغيب واللطف.

والقسم الآخر؛ يستمى: عالم الشهادة والقهر. وهو كل عالم من عالمي الحروف، جرت العادة عندهم أن يدركوه بجواسمهم، وهو ما بقي من الحروف. وفيهم قوله تعالى: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾⁸ وقوله: ﴿وَاعْلَظْ﴾

1 رويم بن أحمد بن يزيد البغدادي: كنيته أبو محمد؛ ويقال: رويم بن محمد بن أحمد. والأول أصح. وهو من أهل بغداد، من جلة مشايخهم. وجده، رويم بن يزيد حدث عن ليث بن سعد، وغيره. وقيل كنيته أبو بكر. وكان فقيها على مناهج داود الأصبهاني. وكان مقرنا، فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحنابي. مات سنة ثلاث و ثلاثمائة. وعبارته هي: "تعودك مع كل طيبة من الناس أنتم من تعودك مع الصوفية؛ فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق؛ وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الوزع ومنازمة الصدق. فمن قعد معهم، وخالفهم في شيء مما يتحققون فيه، نزع الله نور الإيمان من قلبه" [انظر طبقات الصوفية - (1 / 61)]

2 ص 147

3 [الفرقان : 63]

4 [آل عمران : 134]

5 [المؤمنون : 60]

6 [المؤمنون : 2]

7 [طه : 108]

8 [الحجر : 94]

عَلَيْهِمْ¹ وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾² فهذا عالم الملك والسلطان والقهر والشدة والجهاد والمصادمة والمقارعة. ومن روحانية هذه الحروف يكون لصاحب الوحي الغنى والفظا وصلصلة الجرس ورشع الجبين. ولهم: ﴿بِنَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ﴾³ و﴿بِنَا أَيُّهَا الْمُدْتَرُّ﴾⁴ كما⁵ أنه في حروف عالم الغيب: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ﴾⁶، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَفْجَلَ بِهِ﴾⁷، ﴿وَلَا تَفْجَلَ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْضَى- إِلَيْكَ وَخَيْهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁸.

وأما قولنا: والملك والجبروت أو الملكوت، فقد شهد ذكره في أول هذا الباب، عند قولنا: ذكر مراتب الحروف.

وأما قولنا: مخرجه كذا، فمعلوم عند القراء. وفائدته، عندنا، أن تعرف أفلاكه. فإن الفلك الذي جملة الله سببا لوجود حرف ما، ليس هو الفلك الذي وجد عنه حرف غيره، وإن توحد الفلك. فليست البورة واحدة، بالنظر إلى تقدير ما يفرضه أنت في شيء تقتضي- حقيقته ذلك الفرض، ويكون في الفلك أمر يتميز عندك عن نفس الفلك، تجعله علامة في موضع الفرض وترصده. فإذا عادت العلامة إلى حد الفرض الأول؛ فقد انتهت البورة، وابتدأت أخرى. قال عليه السلام: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله»⁹ وسيأتي بيان هذا الحديث في الباب الحادي¹⁰ عشر من هذا الكتاب.

وأما قولنا: عدده كذا وكذا، أو كذا دون كذا، فهو الذي يسميه بعض الناس: "الجزم الكبير" و"الجزم الصغير". وقد يسمونه: "الجمل" عوضا من "الجزم". وله سر عجيب في أفلاك الدراري، وفي¹¹ أفلاك البروج. وأسماؤها معلومة عند الناس. فيجعلون الجزم الكبير لفلك البروج، ويطرحون ما اجتمع من العدد ثمانية وعشرين، ثمانية وعشرين. والجزم الصغير لأفلاك الدراري، وطرحة عدده تسعة تسعة، بطريقة ليس هذا الكتاب موضعها، وعلم ليس هو مطلوبنا.

وفائدة الأعداد عندنا، في طريقنا الذي تكمل به سعادتنا، أن المحقق والمريد إذا أخذ حرفا من هذه، أضاف الجزم الصغير إلى الجزم الكبير. مثل أن يضيف إلى القاف، الذي هو مائة والكبير وواحد بالصغير،

1 (التوبة : 73)

2 (الإسراء : 64)

3 (الزمل : 1)

4 (المدثر : 1)

5 ص 147 ب

6 (الشعراء : 193، 194)

7 (القيامة : 16)

8 [طه : 114]

9 صحيح البخاري 2958، وصحيح مسلم 3179

10 ق: الحادي أحد.

11 ص 148

فيجعل أبدا عدد الجزم الصغير وهو من واحد إلى تسعة- فيردّه إلى ذاته. فإن كان واحدا، الذي هو حرف الألف، بالجزمين، والقاف والشين والياء عندنا، وعند غيرنا بدل الشين الغين المعجمة، بالجزم الصغير، فيجعل ذلك الواحد لطيفته المطلوبة منه، بأيّ جزم كان. فإن كان الألف حتى إلى الطاء، التي هي بسائط الأعداد، فهي مشتركة بين الكبير والصغير في الجزمين. فمن حيث كونها للجزم الصغير؛ زُدها إليك، ومن حيث كونها للجزم الكبير؛ زُدها إلى الواردات المطلوبة لك.

فتطلب في الألف، التي هي الواحد، ياء العشرة وقاف المائة وشين الألف أو غينته، على الخلاف. وتمت مراتب العدد، وانتهى المحيط¹، ورجع الدور على بُدئه. فليس إلا أربع تقط: شرق وغرب واستواء وحضيض. أربعة أرباع. والأربعة عدد محيط؛ لأنها مجموع البسائط. كما أنّ هذا العقد مجموع المركبات العددية.

وإن كان اثنان، الذي هو الباء بالجزمين، والكاف والراء بالجزم الصغير؛ جعلت الباء منك حالك، وقابلت بها عالم الغيب والشهادة. فوقفّت على أسرارها من كونها غيبا وشهادة لا غير؛ وهي الذات والصفات في الإلهيات، والعلة والمعلول في الطبيعيات لا في العقليات، والشرط والمشروط في العقليات والشرعيات لا في الطبيعيات، لكن في الإلهيات.

وإن كان ثلاثة، الذي هو الجيم بالجزمين، واللام والسين المهملة عند قوم، والشين المعجمة عند قوم بالجزم الصغير؛ جعلت الجيم منك عالمك، وقابلت به عالم الملك من كونه مُلكا، وعالم الجبروت من كونه جبروتا، وعالم الملكوت من كونه ملكوتا. وبما في الجيم من العدد الصغير يبرز منك، وبما فيه وفي اللام والسين أو الشين من العدد الكبير تبرز وجوه من المطلوب.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا﴾² ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾³ على حسب الاستعداد، وأقلّ درجاته الذي يشمل العامة، العشر⁴ المذكور. والتضعيف موقوف على الاستعداد، وفيه يتفاضل رجال الأعمال. وكلّ عالم في طريقه على ذلك. وليس غرضنا، في هذا الكتاب، ما يعطي الله الحروف من الحقائق، إذا تحققت بحقائقها. وإنما غرضنا أن نسوق ما يعطي الله لمنشئها لفظا أو خطأ، إذا تحققت بحقائق هذه الحروف، وكوشف على أسرارها. فاعلموا ذلك.

وإن كان أربعة، الذي هو الدال بالجزمين، والميم والتاء بالصغير؛ جعلت الدال منك قواعدك، وقابلت بها الذات والصفات والأفعال والروابط. وبما في الدال من العدد بالصغير يبرز من أسرار قبولك،

1 ص 148 ب

2 [الأنعام : 160]

3 [البقرة : 261]

4 ص 149

وبما فيه وفي الميم والتاء من العدد بالكبير تَبَرُّزُ وجوهٌ من المطلوب المقابل. والكمال فيها والأكل بحسب الاستعداد.

وإن كانت خمسة، الذي هو الهاء بالجزمين، والنون والتاء بالصغير؛ جعلت الهاء منك مملكتك في مواطن الحروب¹ ومقارعة الأبطال، وقابلت بها الأرواح الخمسة: الحيواني، والحيالي، والفكري، والعقلي، والقدسي. وبما في الهاء من الصغير يبرز من أسرار قبولك، وبما فيه وفي النون والتاء من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل. والكمال والأكل أكثر حاصل عن الاستعداد.

وإن كان ستة، الذي هو الواو بالجزمين، والصاد² أو السين على الخلاف، والحاء بالصغير؛ جعلت الواو منك جماعتك المعلومة، وقابلت بها نقيها عن الحق بوجه وإثباتها بوجه، وهو علم الصورة. وبما في الواو من أسرار القبول (وهو) بارز بالصغير، وبما فيه وفي الصاد أو السين والحاء بالكبير؛ تبرز وجوه من المطلوب المقابل. وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار الاستواء ﴿وَمَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾³ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁴ ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾⁵ وكل آية أو خبر تثبت له سجل وعلا-الجهة والتحديد والمقدار. والكمال والأكل فيه على قدر الاستعداد والتأهب.

وإن كان سبعة، وهو الزاي بالجزمين، والعين والنال بالصغير؛ جعلت الذي منك صفاتك، وقابلت بها صفاته. وبما في الزاي من الصغير يبرز من أسرار قبولك، وبما فيه وفي العين والنال من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل. وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار المسببات كلها حيث وقعت. والكمال والأكل فيه على قدر الاستعداد والتأهب.

وإن كان ثمانية، الذي هو الحاء بالجزمين، والفاء في قول، والصاد في قول، والضاد في قول، والطاء في قول؛ جعلت الحاء منك ذاتك بما فيها، وقابلت بها الحضرة الإلهية مقابلة الصورة صورة المرأة. وبما⁶ في الحاء من (الجزم) الصغير يبرز من أسرار قبولك، وبما فيه وفي الفاء والطاء أو الضاد من (الجزم) الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل. وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار أبواب الجئة الثمانية وفتحها لمن شاء الله هنا، وكل حضرة مئنة في الوجود. والكمال والأكل بحسب الاستعداد.

وإن كان تسعة، وهو الطاء بالجزمين، والضاد أو الصاد في قول، وفي المئين الطاء أو الغين في قول بالجزم الصغير؛ جعلت الطاء منك مراتبك في الوجود، التي أنت عليها في وقت نظرك في هذا التجلي،

1 قرأ في ق: الحروف

2 ص 149 ب

3 [المجادلة : 7]

4 [الحديد : 4]

5 [الزخرف : 84]

6 ص 150

وقابلت بها مراتب الحضرة¹، وهو الأبد لها ولك. وبما في الطاء من (الجزم) الصغير يبرز من أسرار القبول، وبما فيه وفي الصاد أو الصاد والفين أو الظاء من (الجزم) الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل. وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار المنازل والمقامات الروحية وأسرار الأحديّة. والكامل والأكل على حسب الاستعداد.

فهذا وجه من الوجوه التي سقنا عدد الحرف من أجله، فاعمل عليه. وإن كان ثم وجوه أخرى. فليتك لو عملت على هذا، وهو المفتاح الأوّل. ومن هنا تفتح لك أسرار الأعداد، وأرواحها، ومنازلها. فإنّ العدد يبرّ من أسرار الله في الوجود: ظهر في الحضرة الإلهية بالقوة²، فقال ﷺ: «إنّ الله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»³ وقال: «إنّ الله سبعين ألف حجاب»⁴ إلى غير ذلك. وظهر في العالم بالفعل، وانسحب معه القوة. فهو في العالم بالقوة والفعل. وغرضنا، إن مدّ الله في العمر وتراخي الأجل، أن نضع في خواص العدد موضوعاً لم نسبق إليه في علمي، بُدي فيه من أسرار الأعداد، وما تعطيه حقائقه في الحضرة الإلهية وفي العالم والروابط؛ ما تقتبط به الأسرار، وتنال به السعادة في دار القرار.

وأما قولنا: بسائطه؛ فلسنا نريد بسائط شكل الحرف مثلاً، الذي هو "ص" وإنما نريد بسائط اللفظ، الذي هو الكلمة الدالة عليه، وهو الاسم أو التسمية، وهو قولك: "صاد". فبساطه هذه اللفظة نريد. وأما بسائط الشكل فليس له بسائط من الحروف، ولكن له النقص والتام والزيادة. مثل الرء والزاي: نصف النون. والواو: نصف القاف. والكاف: أربعة أخماس الطاء، وأربعة أسداس الظاء. والنال: خمساً الطاء. والياء: ذلان. واللام: يزيد على الألف بالنون، وعلى النون بالألف. وشبه هذا.

وأما بسائط أشكال الحروف، إنما ذلك من النقط خاصة. فعلى قدر نقطه بسائطه. وعلى قدر⁵ مرتبة الحرف في العالم، من جهة ذاته، أو من نعتيه هو عليه في الحال؛ علو منازل نقطه وأفلاكها ونزولها. فالأفلاك التي عنها وُجِدَت بسائط ذلك الحرف المذكور، باجتماعها وحركاتها كلّها، وُجِدَ اللفظ به عندنا. وتلك الأفلاك تقطع في فلّكٍ أقصى، على حسب اتساعها.

وأما قولنا: فلّكه، وسبب حركة فلّكه. فنريد به الفلّك الذي عنه وُجِدَ العضو الذي فيه مخرجه. فإنّ الرأس من الإنسان أوجده الله تعالى- عند حركة مخصوصة، من فلّكٍ مخصوص، من أفلاك مخصوصة. والعُنُق، عن الفلّك الذي يلي هذا الفلّك المذكور. والصدر، عن الفلّك الرابع من هذا الفلّك الأوّل المذكور.

1: الحضرة الإلهية.

2 ص 150 ب

3 صحيح البخاري 2531، وصحيح مسلم 4836

4 المعجم الكبير للطبراني 5670، مسند أبي يعلى الموصلي 7359

5 ص 151

فكلّ ما يوجد في الرأس، من المعاني والأرواح والأسرار والحروف والعروق، وكلّ ما في الرأس من هيئة ومعنى (إنما يكون) عن ذلك الفلّك. ودورته؛ اثنا عشرة ألف سنة. ودورة فلّك العنق، وما فيه من هيئة ومعنى، والحروف الحلقية من جملتها: إحدى عشرة ألف سنة. ودورة فلّك الصدر، على حكم ما ذكرناه: تسع آلاف سنة. وطبعه، وعصره، وما يوجد عنه، راجع إلى حقيقة ذلك الفلّك.

وأما قولنا: يتميّز في طبقة كذا. فاعلموا أنّ عالم الحروف على¹ طبقات، بالنسبة إلى الحضرة الإلهية والقرب منها، مثّلنا.

وتعرف ذلك فيهم بما أذكره لك. وذلك أنّ الحضرة الإلهية، التي للحروف عندنا في الشاهد، إنما هي في عالم الرّم حطّ المصحف، وفي الكلام التلاوة، وإن كانت سارية في الكلام كلّه: تلاوة أو غيرها. فهذا ليس هو عُشك أن تعرف أنّ كلّ لافظ بلفظة، إلى الأبد، أنّه قرآن، ولكته في الوجود بمنزلة حكم الإياحة في شرعنا. وفتح هذا الباب يؤدّي إلى تطويل عظيم؛ فإنّ مجاله رحب. فعدّلنا إلى أمر جزئي، من وجه صفر فلّكه المرقوم، وهو المكتوب والمملفوظ به خاصّة.

واعلم أنّ الأمور عندنا، من باب الكشف، إذا ظهر منها في الوجود؛ ما ظهر أنّ الأوّل أشرف من الثاني، وهكذا على التتابع حتى إلى النصف. ومن النصف يقع التفاضل، مثل الأوّل حتى إلى الآخر. فالآخر والأوّل أشرف ما ظهر. ثم يتفاضلان على حسب ما وُضعا له، وعلى حسب المقام. فالأشرف منها أبداً يقدّم في الموضع الأشرف. ويتبين هذا أنّ ليلة خمسة عشر في الشرف بمنزلة ليلة ثلاثة عشر. وهكذا حتى إلى ليلة طلوع الهلال من أوّل الشهر، وطلوعه من آخر الشهر. وليلة الحاق المطلق؛ ليلة الإبدار المطلق. فافهم.

فنظرنا كيف ترتّب مقام رّم القرآن عندنا؟ وماذا بُدنت به السور² من الحروف؟ وماذا ختمت؟ وماذا اختصّت السور المجهولة في العلم النظريّ، المعلومة بالعلم اللدنيّ من الحروف؟ ونظرنا إلى تكرار ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ونظرنا في الحروف، التي لم تختصّ بالبداية ولا بالختام، ولا بـ"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ". وطلبنا من الله تعالى- أن يُعلّمنا بهذا الاختصاص الإلهي، الذي حصل لهذه الحروف: هل هو اختصاص اعتناتيّ من غير شيء؛ كاختصاص الأنبياء بالنبوّة والأشياء الأوّل كلّها؟ أو هو اختصاص نالته من طريق الاكتساب؟ فكشفت لنا عن ذلك كشف إلهام، فرأيناه على الوجود معنى: في حقّ قوم عناية، وفي حقّ قوم جزاء لما كان منهم في أوّل الوضع. والكلّ، لنا ولهم وللعالم، عناية من الله - تعالى-

فلما وقفنا على ذلك، جعلنا الحروف التي لم تثبت أولاً ولا آخرها على مراتب الأوليّة، كما نذكره: عامة الحروف ليس لها من هذا الاختصاص القرآني حظ، وهم: الجيم والضاد والحاء والذال والغين والشين. وجعلنا الطبقة الأولى من الخواص حروف السور المجهولة، وهم: الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون. وأعني بهذا صورة اشتراكهم في اللفظ والرقم. فاشتركتها في الرقم؛ اشتركتها في الصورة. والاشترار اللفظي؛ إطلاق اسم واحد عليهما¹، مثل زيد وزيد آخر، فقد اشتركا في الصورة والاسم. وأما المقرر عندنا والمعلوم؛ أنّ الصاد من ﴿المص﴾ ومن ﴿كهيعص﴾ ومن ﴿ص﴾ ليس كل واحد منهما عين الآخر منهما، ويختلف باختلاف أحكام السورة وأحوالها ومنازلها. وهكذا جميع هذه الحروف على هذه المرتبة. وهذه تعمها لفظاً وخطاً.

وأما الطبقة الثانية من الخاصة، وهم خاصة الخاصة، فكل حرف وقع في أول سورة من القرآن، مجهولة وغير مجهولة، وهو حرف: الألف والياء والباء والسين والكاف والطاء والقاف والتاء والواو والصاد والحاء والنون واللام والهاء والعين.

وأما الطبقة الثالثة من الخواص، وهم الخلاصة؛ فهم الحروف الواقعة في أواخر السور؛ مثل: النون والميم والراء والباء والذال والزاي والألف والطاء والياء والواو والهاء والطاء والتاء واللام والفاء والسين.

وإن كان الألف، فيما يرى خطأ ولفظاً، في ﴿رَكَزًا﴾² و﴿لِزَامًا﴾³ و﴿مَنْ اهْتَدَى﴾⁴ فما أعطانا الكشف إلا الذي قبل ذلك الألف. فوقفنا عنده، وسمّيناه أخيراً، كما شهدنا هناك، وأثبتنا الألف كما رأينا هنا، ولكن في فصل آخر لا في هذا الفصل. فإنّ لا نزيد في التقييد في هذه الفصول على ما نشاهده؛ بل ربما نرغب في⁵ نقص شيء منها مخافة التطويل؛ فنُسجِعُ في ذلك من جهة الرقم واللفظ، ونعطي لفظاً يعم تلك المعاني التي كثرت ألفاظها، فنلقيه. فلا نُجِلَّ بشيء من الإلقاء، ولا نُنقص، ولا يظهر لذلك الطول الأوّل عين؛ فينقضي المرغوب. لله الحمد.

وأما الطبقة الرابعة من الخواص، وهم صفاء الخلاصة، وهم حروف ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾⁶، وما ذكرت إلا حيث ذكرها رسول الله ﷺ على حدّ ما ذكرها الله له بالوحيين من الوحي، وهو وحي القرآن، وهو الوحي الأوّل. فإنّ عندنا من طريق الكشف، أنّ الفرقان حصل عند رسول الله ﷺ قرآناً مجملاً غير مفضل الآيات والسور. ولهذا كان ~~القرآن~~ يعجل به حين كان ينزل عليه به جبريل ~~عليه السلام~~ بالفرقان،

1 ص 152 ب

2 [مریم : 98]

3 [الفرقان : 77]

4 [الإبراء : 15]

5 ص 153

6 [الفاتحة : 1]

ف قيل له: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ الذي عندك، فتلقه مجملاً فلا يفهم عنك، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ فرقانا مفضلاً، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾¹ بتفصيل ما أجملته في من المعاني. وقد أشار (الحق) من باب الأسرار فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ﴾² ولم يقل: "بعضه" ثم قال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾³ وهذا هو وحي الفرقان، وهو الوجه الآخر من الوجدان. وسيأتي الكلام على ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في⁴ بابه الذي أفردت له في هذا الكتاب.

واعلموا أنّ بسملة سورة "براءة" هي التي في (سورة) النمل. فإنّ الحقّ تعالى- إذا وهب شيئاً لم يرجع فيه ولا يردّه إلى العدم. فلما خرجت رحمة براءة، وهي البسملة، حكم التبرّي من أهلها برفع الرحمة عنهم. فوقف الملك بها، لا يدري أين يضعها؟ لأنّ كلّ أمة من الأمم الإنسانيّة، قد أخذت رحمتها بإيمانها بنبيها. فقال: أعطوا هذه البسملة للبهائم التي آمنت بسليمان عليه السلام، وهي لا يلزمها إيمانٌ إلا برسولها. فلما عرفت قدر سليمان وآمنت به؛ أعطيت من الرحمة الإنسانيّة حظاً، وهو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾⁵ الذي سلب عن المشركين، وفي هذه السورة هي الجساسة.

وأما الطبقة الخامسة، وهي عين صفاء الخلاصة، فذلك حرف الباء، فإنّه الحرف المقدّم؛ لأنّه أوّل البسملة في كلّ سورة.

والسورة التي لم يكن فيها بسملة ابتدئت بالباء، فقال تعالى:- ﴿بِرَاءةٍ﴾⁶، قال لنا بعض الإسرائيليين من أجبارهم: ما لكم في التوحيد حظاً؛ لأنّ سور كتابكم بالباء. فأجبتهم: ولا أنتم؛ فإنّ أوّل التوراة باء. فأخبرهم، ولا يتمكّن إلا هذا؛ فإنّ الألف لا يبتدأ بها أصلاً.

فما وقع من هذه الحروف في مباني السور، قلنا فيه: له بداية الطريق. وما وقع آخراً، قلنا: له غاية الطريق. وإن كان من العامّة، قلنا: له وسط الطريق؛ لأنّ القرآن هو الصراط المستقيم.

وأما قولنا: مرتبته الثانية حتى إلى السابعة؛ فتريد بذلك، بسائط هذه الحروف المشتركة في الأعداد. فالنون بسائطه اثنان في الألوهيّة، والميم بسائطه ثلاثة في الإنسان، والجيم والواو والكاف والقاف بسائطه أربعة في الجنّ، والذال والزاي والصاد والعين والضاد والسين والبال والفين والشين بسائطه خمسة في البهائم، والألف والهاء واللام بسائطه ستة في النبات، والباء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء

[1 طه : 114]

[2 البخان : 3]

[3 البخان : 4]

[4 ص 153 ب]

[5 النمل : 30]

[6 التوبة : 1]

[7 ص 154]

والثاء والحاء والظاء بساقله سبعة في الجماد.

وأما قولنا: حركته معوجة، أو مستقيمة، أو منكوسة، أو ممتزجة، أو أفقية. فأريد بالمستقيمة: كل حرف حرك الهمة إلى جانب الحق خاصة؛ من جهة السلب إن كنت عالياً، ومن جهة ما يشهد إن كنت مشاهداً. والمنكوسة: كل حرف حرك الهمة إلى الكون وأسراره. والمعوجة، وهي الأفقية: كل حرف حرك الهمة إلى تعلق المكون بالمكون. والممتزجة: كل حرف حرك الهمة إلى معرفة أمرين، مما ذكرث لك فصاعداً، وتظهر في الرق في الألف والميم المعرق والحاء والنون، وما أشبه هؤلاء.

وأما قولنا: له الأعراف، والخلق، والأحوال، والكرامات، والحقائق والمقامات والمنازلات. فاعلموا أن الشيء لا يعرف إلا بوجهه؛ أي بحقيقته. فكل ما لا يعرف الشيء إلا به؛ فذلك وجهه¹. فنقط الحرف وجهه الذي يعرف به. والنقط على قسمين: نقط فوق الحرف، ونقط تحته. فإذا لم يكن للشيء ما يعرف به؛ عرف بنفسه مشاهدة، وبضده تلاً، وهي الحروف اليابسة. فإذا دار الفلك، أي فلك المعارف، حدثت عنه الحروف المنقوطة من فوق، وإذا دار فلك الأعمال؛ حدثت عنه الحروف المنقوطة من أسفل، وإذا دار فلك المشاهدة؛ حدثت عنه الحروف اليابسة غير المنقوطة. ففلك المعارف يعطي الخلق والأحوال والكرامات، وفلك الأعمال يعطي الحقائق والمقامات والمنازلات، وفلك المشاهدة يعطي البراءة من هذا كله. قيل لأبي يزيد: "كيف أصبحت؟ قال: لا صباح لي ولا مساء؛ إنما الصباح والمساء لمن تقيت بالصفة، وأنا لا صفة لي". وهذا مقام الأعراف.

وأما قولنا: خالص، أو ممتزج. فالخالص: الحرف الموجود عن عنصر واحد. والممتزج: الموجود عن عنصرين فصاعداً.

وأما قولنا: كامل، أو ناقص. فالكامل هو الحرف الذي وجد عن تمام دورة فلكه. والناقص (هو) الذي وجد عن بعض دورة فلكه، وطراث على الفلك علة أوقفته؛ فنقص عما كان يعطيه كمال دورته. كالبودة في عالم الحيوان التي ما عندها سوى حاسة اللمس؛ فغذاؤها من لمسها. كالواو مع القاف، والزاي مع النون.

وأما قولنا: يرفع² من اتصل به. نريد كل حرف إذا وقفت على سره، ورزقت التحقق به والاتحاد؛ تميزت في العالم العلوي.

وأما قولنا: مقدس. أي عن التعلق بغيره. فلا يتصل في الخط بحرف آخر، وتتصل الحروف به. فهو منزّه الذات، تمدّها ستة أفلاك عالية الأوج، عنها وجدت الجهات. ومعرفة هذه الستة الأحرف، بحرف

عظيم لا يُدرك قَعْرُهُ. فلا يعرف حقيقتها إلا الله. فهي مفايح الغيب. ونذكر من باب الكشف أمرها المنوط بها، وهي: الألف والواو واللام والذال والراء والزاي.

وأما قولنا: مفرد، ومثني، ومثلث، ومربع، ومؤنس، وموحش. فنريد بالمفرد إلى المربع ما نذكره. وذلك أن من الأفلاك، التي عنها توجد هذه الحروف، ما له دورة واحدة؛ فذلك قولنا: مفرد. ودورتان، فذلك المثني، وهكذا إلى المربع. وأما المؤنس والموحش؛ فالدورة تأنس بأختها، الشيء يألف شكله. قال تعالى: ﴿لِنَسْكَنُهَا إِلَيْهَا وَجَعَلْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾¹ فالعارف يألف الحال ويأنس به.

نودي عليه السلام في ليلة إسرائه، في استباحشه، بلغة أبي بكر؛ فأنس بصوت أبي بكر. خلق رسول الله ﷺ وأبو بكر من طينة واحدة، فَنَسَبَ مُحَمَّدٌ ﷺ. وصلى أبو بكر رضي الله عنه رضي الله عنه اثنتين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا² فكان كلامهما كلامه سبحانه. فلم يعد المرتبة، وعدى الخطاب إلى³ المرتبة الأخرى، فقال كأنه مبتدئ، وهو عاطف على هذا الكلام: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾⁴ فأرسلها. فمن الناس من قطعها، ومنهم من وصلها. في هذا مقام الإثبات، وبقاء الرسم، وظهور العين، وسلطان الحقائق، وتمشية العدل من باب الفضل والطول. والموحش: محو لا محق، صاحب علة يرتقي. فتحقق ما ذكرناه.

وأما قولنا: له الذات والصفات والأفعال على حسب الوجوه. فأني حرف له وجه واحد؛ كان له من هذه الحضرات حضرة واحدة، أي شيء واحد على حسب علوه ونزوله. وكذلك إذا تعددت الوجوه. وأما قولنا: له من الحروف (كذا وكذا). فإنما أعني الحقائق المتممة لذاته من جهة ما.

وأما قولنا: له من الأسماء (كذا وكذا). فنريد به الأسماء الإلهية، التي هي الحقائق القديمة، التي عنها ظهرت حقائق بسائط ذلك الحرف لا غير. ولها منافع كثيرة عالية الشأن عند العارفين، إذا أرادوا التحقق بها؛ حركوا الوجود من أوله إلى آخره. فهي لهم هنا خصوص، وفي الآخرة عموم. بها يقول المؤمن في الجنة للشيء يريد: "كن" فيكون.

فهذه بُدُءٌ من معاني عالم الحروف، قليلة، على أوجز ما يمكن وأخصره. وفيها تنبيه لأصحاب الروايع والذوق.

[1] [الروم : 21]

[2] [التوبة : 40]

[3] ص 155 ب

[4] [المجادلة : 7]

انتهى الجزء السابع (بانتهاى السفر الأول) والحمد لله¹

1 أسفل المتن ما يلي: بلغ قراءة على المؤلف الشيخ الإمام الصدر العلامة الفرد المحقق أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد العربي أئمه الله وأمتع به، العبد الفقير إلى الله أحمد بن عبد الله بن أحمد بن علي العلوي، في مجالس آخرها يوم الأربعاء سابع عشر محرم سنة خمس وثلاثين وستائة، بمحروسة مدينة دمشق، بمنزل الشيخ المؤلف أئمه الله، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين. وفي الصفحة التالية (ص 156) توجد عدة ساعات بخطوط مختلفة، وكلها مغايرة لقلم الأصل، وهي:

1- سمع جميع هذا الجزء السابع والسادس قبله على مصنفها الشيخ الفقيه الإمام العالم العارف محيي الدين شيخ الطريقة قدوة الحقيقة، أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي، إياه الله، بقراءة الإمام الزاهد أبي الحسن علي بن المظفر النشبي، للأئمة: أبو بكر بن سليمان الحموي الواعظ، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأربلي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصغار، وأبو الفضل يوسف بن عبد اللطيف البغدادى، وأبو الحسن علي بن محمود بن أبي الرجا الحنفي، ويعقوب بن معاذ الوري، وأحمد أبي الهيجاء بن أبي المعالي الدمشقي، وعبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي، وعلي بن يوسف بن صدقة المقدسي، وإبراهيم بن خضر بن يوسف الدمشقي، ويونس بن عثمان الدمشقي، وعبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شعيب - الحنفيون -، وإبراهيم بن محمد بن محمد القرطبي، ومحمد بن عين الدولة بن موسى التركي، وعمران بن حبيش بن علي الحوراني، وأبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وعلي بن أبي الفتنان بن الفضال، ويعيسى بن إسحق الهنباقي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد ابنا المصنف، ويحيى بن إسماعيل بن محمد المظلي، وحسين بن محمد بن علي الموصلى، ومحمد بن إبراهيم بن خضر المذكور، وأبو العز بن أبي الوحش الخزرجي، وكتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي - صفا الله عنه - "وسمع من حرف القاف إلى آخره أحمد بن موسى بن حسين التركباني. وسمع من حرف الكاف إلى آخره الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وابنه أحمد، وسمع من حرف الصاد إلى آخره محمد بن أحمد بن إبراهيم بن زرقاة، وذلك في خامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستائة، بمنزل المصنف، بدمشق المحروسة".

2- وسمع جميع الجزء السابع والسادس قبله على مصنفه الشيخ الإمام العالم العارف المحقق محيي الدين شيخ الطريقة أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي - نفع الله به - محمد بن علي بن محمد المطرز، بقراءة العبد الفقير الراجي رحمة الملك المنان أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي، بمنزل مؤلفه بدمشق المحروسة، في سابع ذي القعدة المبارك، سنة ثلاث وثلاثين وستائة". يلي ذلك مباشرة بخط الشيخ: "صح السماعان المذكوران أعلاه. وكتب محمد بن العربي منشئه بخطه في تاريخه".

3 "قرأت وأنا محمود بن عبد الله بن أحمد الزنجابي جميع هذا المجلد من أوله إلى آخره على مؤلفه الشيخ الإمام العلامة المحقق المجتهد محيي الدين شيخ الإسلام محمد بن العربي، بمنزله في دمشق، في مجالس آخرها يوم الأحد ثالث عشر - شعبان سنة ست وثلاثين وستائة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين. (يلي هنا مباشرة بخط الشيخ): "صح ما ذكره من السماع والقراءة، وكتب محمد بن علي بن محمد بن العربي في تاريخه".

تلى ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1751

وفي الصفحة المقابلة (ص 156ب) نطالع التوثيقات التالية:

1- طالعت هذا المجلد المبارك من أوله إلى آخره داعياً لمؤلفه ولواقفه ولكل المسلمين. أقل العباد وأحوجهم إلى غفوه محمود بن

أحمد بن سليمان ابن الشمس، الحلبي مولانا، الشافعي مذهباً، في شهر شوال من شهر سنة خمس وخمسين وثمانمائة.

2- نظر في هذا المجلد العبد الفقير محمد بن أحمد عقيلة المكي، بقرينة، رحم الله مؤلفه، أمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

3- الحمد لله الذي وفقنا بكتابة هذا الكتاب من أوله إلى آخره، وهي سبعة وثلاثون مجلداً، بعون الله تعالى وبهمة الشيخ ابن العربي وتلميذه الشيخ صدر الدين أبو المعالي، رضي الله عنهما. وأنا الفقير الخفير قليل البضاعة درويش أحمد شكوري بن حافظ زين العابدين، من حفاظ الشيخ الكامل عثمان هاشم المولوي الشطاري السلوي، قدس سره. وأنا أكتب هذا الكتاب من أوله إلى آخره جملة واحدة للشيخ سليمان العلوي الحسيني البلخي، عفي عنه، في سنة ست وسبعين ومائتين والألف من هجرة النبوة.

4- طالعت هذا السفر الأول من الفتوحات المكية من أوله إلى آخره داعياً لمؤلفه، وراجياً منه روحانية في الدنيا والشفاة يوم القيامة. الفقير الجاور مدينة منورة محمد طيب بن موسى الباغستاني... في 20 شهر شعبان المكرم في سنة 1302

الفهارس

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
آل عمران	3	191	45	الفاتحة	1	1	153
آل عمران	3	1, 2	109ب	الفاتحة	1	6	112ب
النساء	4	56	43ب	الفاتحة	1	7	113
النساء	4	64	46ب	البقرة	2	2	115ب
النساء	4	78	42	البقرة	2	2	116ب
النساء	4	103	45	البقرة	2	2	116ب
النساء	4	108	45	البقرة	2	2	117
النساء	4	164	58	البقرة	2	2	117
النساء	4	166	117	البقرة	2	2	117
المائدة	5	120	58	البقرة	2	30	117ب
المائدة	5	120	60ب	البقرة	2	67	88
الأنعام	6	26	114ب	البقرة	2	152	46
الأنعام	6	36	44	البقرة	2	163	140ب
الأنعام	6	38	58	البقرة	2	186	45
الأنعام	6	40	42ب	البقرة	2	197	44
الأنعام	6	73	61	البقرة	2	217	42
الأنعام	6	91	43	البقرة	2	255	58
الأنعام	6	91	42ب	البقرة	2	257	43
الأنعام	6	103	57ب	البقرة	2	261	148ب
الأنعام	6	103	142	البقرة	2	282	49
الأنعام	6	125	88	البقرة	2	282	43
الأنعام	6	149	63	آل عمران	3	31	40ب
الأنعام	6	160	148ب	آل عمران	3	54	43
الأعراف	7	17	95ب	آل عمران	3	110	4
الأعراف	7	29	99ب	آل عمران	3	134	147
الأعراف	7	43	64	آل عمران	3	181	58
الأعراف	7	58	45	آل عمران	3	188	46ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
هود	11	112	45ب
يوسف	12	106	42ب
يوسف	12	109	58
الرعد	13	2	6ب
الرعد	13	16	58
إبراهيم	14	17	114ب
الحجر	15	94	46
الحجر	15	94	147
النحل	16	40	81ب
النحل	16	93	61ب
النحل	16	96	41
النحل	16	97	41ب
الإسراء	17	15	152ب
الإسراء	17	44	99
			108ب
الإسراء	17	64	147
الإسراء	17	72	45ب
الإسراء	17	82	58ب
الإسراء	17	88	58ب
الإسراء	17	75، 74	44ب
الكهف	18	65	49
الكهف	18	78	52
الكهف	18	109	103ب
الكهف	18	109	44ب
الكهف	18	110	114ب
الكهف	18	29، 28	44ب
مريم	19	12	41
مريم	19	98	152ب
مريم	19	3، 2	43ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الأعراف	7	71	79
الأعراف	7	143	46
الأعراف	7	145	119ب
الأعراف	7	146	43
الأعراف	7	172	104ب
الأعراف	7	172	119
الأعراف	7	190	61
الأنفال	8	2	113ب
الأنفال	8	24	44
الأنفال	8	27	42ب
الأنفال	8	28	42
الأنفال	8	29	43
الأنفال	8	29	49
التوبة	9	1	153ب
التوبة	9	24	43ب
التوبة	9	40	155
التوبة	9	46	7
التوبة	9	47	140ب
التوبة	9	73	147
التوبة	9	105	46ب
التوبة	9	114	41
التوبة	9	118	43ب
يونس	10	38	58
يونس	10	61	45
يونس	10	62	140ب
هود	11	15	41ب
هود	11	54	59ب
هود	11	107	58
هود	11	107	61

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الجم	27	30	153ب
القصص	28	76	42
الروم	30	2	110
الروم	30	21	155
لقمان	31	14	119
لقمان	31	16	41
لقمان	31	22	41ب
لقمان	31	27	103ب
السجدة	32	1، 2	117
الأحزاب	33	4	15ب
الأحزاب	33	4	83ب
الأحزاب	33	4	109
الأحزاب	33	4	120ب
الأحزاب	33	36	41ب
الأحزاب	33	37	45ب
الأحزاب	33	40	58
الأحزاب	33	51	114ب
الأحزاب	33	45، 46	63
سبأ	34	23	44
سبأ	34	39	43
فاطر	35	10	36ب
فاطر	35	28	86ب
فاطر	35	28	42
بس	36	39	109ب
يس	36	69	102
يس	36	69	102
يس	36	79	99ب
الصفات	37	61	41
الصفات	37	96	63

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
طه	20	7	60ب
طه	20	12	116
طه	20	55	99ب
طه	20	55	58
طه	20	108	147
طه	20	114	18
طه	20	114	104
طه	20	114	147ب
طه	20	114	153
طه	20	114	82ب
طه	20	131	42
الأنبياء	21	22	56ب
الأنبياء	21	23	63
الأنبياء	21	29	42ب
الأنبياء	21	69	78ب
الأنبياء	21	97	53
الأنبياء	21	103	63ب
الحج	22	30	41
الحج	22	32	41
المؤمنون	23	2	147
المؤمنون	23	60	147
المؤمنون	23	61	7
المؤمنون	23	60، 61	44
الفرقان	25	19	45ب
الفرقان	25	63	147
الفرقان	25	77	152ب
الشعراء	26	94	115ب
الشعراء	26	193،	147ب
		194	

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الدخان	44	4	153
الدخان	44	4	ب119
الجاثية	45	13	ب111
الأحقاف	46	9	ب114
الفتح	48	22	ب114
الفتح	48	29	58
الحجرات	49	5	ب45
ق	50	15	145
ق	50	18	46
ق	50	29	ب62
الناريات	51	50	ب43
الناريات	51	56	ب40
الناريات	51	56	58
الناريات	51	51, 50	ب45
الطور	52	48	43
النجم	53	9	5
النجم	53	9	38
النجم	53	29	46
النجم	53	42	37
الرحمن	55	78	79
الرحمن	55	31 -3	ب111
الرحمن	55	21 -19	111
الرحمن	55	25 -24	111
الرحمن	55	26 -25	ب111
الرحمن	55	32 -31	ب111
الواقعة	56	79	ب5
الواقعة	56	84, 83	ب41
الحديد	57	3	ب60
الحديد	57	4	ب149

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الصفات	37	180	6
الصفات	37	180	ب57
ص	38	20	120
ص	38	24	ب43
ص	38	25	ب132
ص	38	47	40
الزمر	39	3	ب81
الزمر	39	30	ب114
الزمر	39	61	ب94
الزمر	39	68	ب99
الزمر	39	69	ب99
الزمر	39	18, 17	ب40
غافر	40	19	ب60
غافر	40	44	ب40
فصلت	41	42	ب56
الشورى	42	11	4
الشورى	42	11	ب42
الشورى	42	11	ب57
الشورى	42	11	ب60
الشورى	42	11	62
الشورى	42	11	ب76
الشورى	42	11	115
الشورى	42	20	ب45
الشورى	42	40	ب44
الشورى	42	51	ب60
الزخرف	43	19	ب50
الزخرف	43	84	ب149
الدخان	44	3	153
الدخان	44	3	ب119

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
المدثر	74	11	91ب
المدثر	74	18	58ب
المدثر	74	24	58ب
القيامة	75	16	147ب
القيامة	75	22، 23	57ب
الإنسان	76	30	61ب
النازعات	79	40	44
عبس	80	37	114ب
عبس	80	5، 6	46
المطففين	83	15	57ب
المطففين	83	26	41
البروج	85	20	46ب
الأعلى	87	1	79
الشمس	91	9، 10	41ب
الضحى	93	7	114ب
التين	95	4، 5	111ب
العلق	96	14	58
العلق	96	14	43
العلق	96	19	46
البينة	98	5	42ب
الإخلاص	112	1	56ب
الإخلاص	112	2	56ب
الإخلاص	112	3	56ب
الإخلاص	112	4	56ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الحديد	57	4	116ب
الحديد	57	13	115
الحديد	57	28	49
المجادلة	58	7	149ب
المجادلة	58	7	155ب
الحشر	59	7	46
الحشر	59	13	94ب
الحشر	59	13	140ب
الصف	61	3	42
الطلاق	65	1	44ب
الطلاق	65	2	42ب
الطلاق	65	3	43ب
الطلاق	65	12	51ب
الطلاق	65	12	58
الطلاق	65	12	60ب
الملك	67	1	46ب
الملك	67	14	60ب
القلم	68	1	114
القلم	68	4	45
القلم	68	1-5	6
الجن	72	28	60ب
الجن	72	26، 27	42
المزمل	73	1	147
المدثر	74	1	147

فهرس الأحاديث النبوية

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
104 ب	صحيح البخاري 3182، صحيح مسلم 245	أصبتَ الفطرة؛ أصاب الله بك أمتك
140 ب	صحيح مسلم 751، سنن النسائي 169	أعوذ برضاك من سخطك ومعافاتك من عقوبتك..
63	صحيح البخاري 1625، صحيح مسلم 3180	ألا هل بلغت؟ - فقالوا: «بلغت، يا رسول الله» فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم، اشهد
140	صحيح مسلم 2137، سنن ابن ماجه 3065	أليامنا هذا أم لأبد؟ فقال صلى الله عليه وسلم:- بل لأبد الأبد
58 ب	صحيح البخاري 24، وصحيح مسلم 33	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وحتى يؤمنوا بي وبما جنت به
147 ب	صحيح البخاري 2958، وصحيح مسلم 3177	إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله
114	بغية الخارث 875، المعجم الكبير للطبراني 13404	إنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن
7 ب	المستدرک على الصحيحين للحاکم 3265، المعجم الكبير للطبراني 14904	إنّ الله كان ولا شيء معه
18	المعجم الكبير للطبراني 1452، مسند الحميدي 609	إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء، ولكن يقبضه بقبض العلماء
59 ب	سنن أبي داود 432، وسنن النسائي 641	إنّ المؤذن يشهد له مدى صوته
7	شعب الإيمان للبيهقي 9011، مصنف عبد الرزاق 2898	إنّ رحمة الله سبقَتْ غضبه
50	صحيح مسلم 364، وسنن الترمذي 2368	إنّ فيها حوضاً أحلى من العسل

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
150 ب	صحيح البخاري 2531، وصحيح مسلم 4836	إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة
150 ب	المعجم الكبير للطبراني 5670، مسند أبي يعلى الموصلي 7359	إنَّ لله سبعين ألف حجاب
50 ب	صحيح البخاري 3210، وصحيح مسلم 4411	إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر
56 ب	سنن الترمذي 3287، وشعب الإيمان 96	انسب لنا ربك
20	مسند الشاميين للطبراني 1053، كنز العمال 33951	إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمين
109 ب	صحيح مسلم 51، سنن أبي داود 4056	الإيمان بضع وسبعون
51	صحيح البخاري 117	حفظتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم - وعاءين: فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثته قُطع مني هذا البلعوم
35	فيض القدير 7603	خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي؛ فلا تهتك ما خلقتُ من أجلي فيما خلقت من أجلك
32	سنن أبي داود 3157، سنن الناري 351	العلماء ورثة الأنبياء
37	الأربعون حديثاً للأجري 6، القضاء والقدر للبيهقي 60	فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار
104 ب	صحيح البخاري 80، سنن الترمذي 2209	قيل: ما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم
50، 71، 120	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 3265، المعجم الكبير للطبراني 14904	كان الله ولا شيء معه
104	سنن أبي داود 3242، سنن	اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه وإذا شرب لبنا

صفحة الخطوط	مخرج الحديث	الحديث
	الترمذي 3377	قال: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه
117ب	أدب الدنيا والدين للماوردي - (1) / 86)، المحرر الوجيز - (6 / 338	من عَزَف نفسه عَزَف ربه
112 ب	صحيح البخاري 738، موطأ مالك 180	من وافق تأمينه تأمِن الملائكة
38	صحيح مسلم 261، مسند أحمد 20427	نور أتى أراه
62 ب	المستدرک علی الصحیحین للحاكم 84، مسند أبي يعلى الموصلي 3328	هؤلاء للجنة، ولا أبالي، وهؤلاء للنار، ولا أبالي
62 ب	صحيح البخاري 336، صحيح مسلم 237	هي خمس وهي خمسون
59 ب	مسند أحمد 9873، والمعجم الكبير للطبراني 936	يدبر الشيطان عند الأذان وله حُصاص» وفي رواية: «وله ضراط
111 ب	صحيح البخاري 1077، وصحيح مسلم 1261	ينزل ربنا إلى السماء الدنيا

فهرس الشعر

البحر	الزمان	البيت	المطلع	صفحة المخطوط
الكامل	117	ء	الأمناء	10
الكامل	12	هـ	الأسماء	5ب
الطويل	5	ب	غيبى	85ب
الطويل	4	ت	وتأخرت	125ب
الكامل	3	ت	والبدائيات	137
السررع	3	ت	النخرات	141ب
الكامل	3	ت	جبروته	127
الكامل	4	ث	المحدثا	9ب
الكامل	4	د	توجدھا	135ب
الكامل	3	د	خلطى	135
البسيط	3	د	الأشهاد	123ب
الكامل	3	د	معبودھا	129ب
الوافر	3	ر	مذكر	136ب
مخلع البسيط	4	ر	والأخيار	127ب
الخفيف	3	ر	أثر	130ب
الطويل	3	ر	الأخطر	124ب
الكامل	3	ر	قدر	136
السررع	4	ر	قطره	126
الخفيف	4	ر	البشر	124

البحر	عدد الآيات	القافية	المطلع	صفحة المخطوط
الكامل	2	ر	الظاهر	123
الكامل	3	ر	معتبرا	128ب
الكامل	3	س	الأنفس	128ب
البيسيط	4	س	وأنفس	137
الكامل	4	ظ	الحفاظ	93
الطويل	8	ع	صنع	86
الكامل	2	ع	الأرفع	134
مخلع البيسيط	2	ف	المكلف	3ب
الخفيف	5	ف	تتترف	138
السرير	3	ف	وصفه	87
الخفيف	13	ف	مكتوف	85
السرير	32	ق	أصدق	132
البيسيط	3	ك	الملك	130
الكامل	3	ل	ومحل	122
الوافر	3	ل	بخذلا	129
الكامل	3	ل	وصلا	128
السرير	3	ل	الإفضالا	126ب
الوافر	2	ل	منفصل	122ب
الطويل	3	م	أحلام	138
الكامل	1	م	فالتزم	115
الطويل	4	ن	تلوين	130ب

البحر	عدد الآيات	القافية	المطلع	صفحة المخطوط
الوافر	5	ن	الأواني	14 أنا القرآن والسبع المثاني
مخلع البسيط	3	ن	تعيين	134ب في الظاء ستة أسرار مكتمة
الطويل	3	ن	قرآن	139ب للحق حق وللإنسان إنسان
السريع	14	ن	المكرمون	90ب يا كعبة طاف بها المرسلون
السريع	3	هـ	مغناه	134 في الزاي سر إذا حقت معناه
الطويل	3	هـ	يحجبه	131 في الصاد نور لقلب بات يرقبه
الكامل	4	هـ	باللاهي	15ب لَمَا لَزِمْتُ قَرَعَ بَابَ اللَّهِ
329 مجموع الأبيات				

استشهادات

صفحة المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر	الشاعر
144ب	يا دار مئة بالعلياء فالسند	الأبد د	1	البسيط	الناطقة الذبياني
146	أمر على الديار ديار سلمى	الجدارا ر	2	السريع	قيس بن الملوح
118	زق الزجاج وراقت الخمر	الأمر ر	2	الكامل	الصاحب بن عباد
146ب	يا دار إن غزلا فيك تيمني	دار ر	2	الكامل	أبو إسحق الزوالي
51ب	يا زب جوهر علم لو أبوح به	الوثنا ن	2	البسيط	الرضي
105	ظهرت لمن أبقيت بعد فناه	كته ه	1	مخلع البسيط	
مجموع الآيات			10		

مصطلحات صوتية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الأب	112ب	الاستواء/السواء	6ب، 60ب، 76، 76ب، 78ب
الأب الأول	7ب	الاسم	3، 3ب
الأب الثاني	9	الألف / قيوم	122، 141ب، 144
إبراهيم	15، 17ب، 18، 37	الحروف	
الاتحاد	107ب، 117ب، 139، 155	الإله الحق	12ب
الإثبات	110ب، 155ب	إله المعتقدات	104ب
الأمر - المؤثر - المؤثر فيه	71ب	الألواح	103ب
الأحادية - أحدية	56ب، 66، 73،	الألوهية أو الألوهة / الضياء	71، 73، 74
الأحد - أحدية	110ب، 111، 112،	الأم	8ب، 117
الكثرة	145، 150	أم الكتاب	117، 119
أحدية الجوهر	145	أم سفلية	17ب
الإخلاص	113	الإمام المهدي	34
آدم	6ب، 8ب، 9، 10، 15، 18، 112، 114، 120، 29ب	الإمامان	7ب، 69ب، 144ب
الإرادة	6، 67، 76ب، 96	الأمانة	110ب
إرادة	77ب	الأمر - الأمر الإلهي	81ب
ارض الحقيقة	17ب	الأشي	4ب، 11
الاستواء الإلهي	6ب	الأنس	55، 124، 124ب
الاستواء الرحاني		الإنسان الأزلي	97، 97ب، 110ب

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
إنسان حيوان	69	التخلي	ب55
الإيتية	ب61	التداني	105
أهل الوجود	ب55، 93، 93ب	التدلي	ب31
أول - آخر	3	الترقي	ب31، 105
الإيثار	ب127، 54	التسليم	ب146
الباء - نقطة الباء	ب136	التلقي	ب31
بحر	14، 111، 118ب،	التلونين	ب130
بحر الأبد	155، 140	التمكين	ب87
بحر الأزل	111	التوحيد	ب68، 104، 104ب،
بحر العماء	111		ب109، 111ب،
بدل	ب71		ب112، 114ب، 116،
البعد	ب7، 144ب		ب116، 153ب
البقاء	ب13، 61ب	التوكل	ب54، 55
بهيمة	ب65، 78ب	الثبوت	ب82
البيت	ب153	جبريل	ب5، 10، 30، 98،
التثليث	92		ب104، 114ب،
التجلي الأقدس -	66	الجلال	ب147، 153
التجلي المقدس	ب142، 142	الجمع	ب6
تجلي غيب - تجلي	ب85، 86، 134	جنس الأجناس /	122
شهادة		الجنس الأعم	ب142
التحلي	ب55	جوامع الكلم/العلم	ب5، 5، 132ب، 147
		الحجاب	92

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الرجبة	54	حجاب العزة	3ب، 6
رقيقة	98، 99ب، 147	حجاب/العبد	3ب
الرهبة	54	الحرف	113
روح الأرواح	14	الحق/العلم	64
الروح/العقل	31، 104ب	الحقائق الأول	128ب
الرياضة	55ب	حقيقة الحقائق	101، 141ب، 142
الزمان/السلطان	17ب، 60	حواء	120
الزمردة الخضراء	9	الحياة	99، 99ب، 146
السالك	53ب، 87ب	الخاطر	54
سالك	53ب، 87ب	الختم	4ب، 5
السريز	76ب	ختم النبوة المطلقة	152
السكر	55	الحضر	5، 49، 52
سوق الجنة	9	الخوف	55
الشر/العدم	83	الخير	83
الشريعة	50ب	الذرة البيضاء /	81
الصدق	85، 87ب، 139ب	العقل الأول	
الصراط المستقيم	112ب، 153ب	دين /شرع	54
الصفة	8ب، 67، 76، 91، 99ب، 96ب، 106ب، 112ب، 113، 113ب، 114، 115ب، 116، 117، 120، 142	الرجاء	126ب
		الرحمة الخاصة	114
		الرداء	11ب، 118ب، 119
		رداء/ظهور	11ب، 118
		الرسم	125، 155ب

المصطلح	صفحة المخطوط
غروب - المغرب	ب110
الغوث	12
الفرق	111، 119ب، 120،
الفرق الثاني	ب139، 116
الفترة	56، 87ب، 104ب
الفناء	3، 9، 65ب، 99ب، 111، 134
فوق	49ب، 83ب، 107، 138ب
قبة أرين	ب64
القبض	7، 55، 86، 126ب
القطب	7ب، 11ب، 31، 32، 40، 40ب، 41ب، 42، 42ب، 43ب، 44، 44ب، 45ب، 46، 46ب، 109ب، 144، 144ب
قطب الأقطاب	40
قلب الوجود	91
القلبية	91
القلم (الأعلى)	ب60
القمر القلبي	110ب، 111
قيوم الحروف	122، 122ب، 144،

المصطلح	صفحة المخطوط
	143، 154ب
الضلال	ب68
الطريق	53ب، 54
طريق السلوك	53ب، 54، 55، 55ب
طوالع	ب12
الظلمة	82ب، 83
العالم	117
عالم الأمر	ب81
عالم الخلق	65، 81ب
عالم الملك	106، 148ب، 136ب، 137ب
عالم الملكوت	148ب، 113، 124، 124ب، 106ب، 98ب، 106
العدم (المطلق)	77
العدم الإمكاناني	77
عذراء	9
العرش	6، 6ب
عرش الحياة/الماء	6، 6ب، 91
العقل (الأول)	81
العنقاء	11، 126ب
عين القلب	37ب، 86

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
المحو والإببات	110ب، 155ب	الكشف	71
مريد- مراد	67، 76ب، 77، 96	الاعتصامي	
المشاهدة	3، 3ب	الكشف العرفاني	79
المضجع	88ب	كل العالم	73ب
المفصل	34ب	الكلمة الاسيائية	111، 140ب
المقام الحمدي	5	الكلمة الإلهية	117
المهدي	34	الكمال	73ب، 79، 87ب، 90، 103، 149، 149ب،
الميزان	58، 63ب، 64، 69		150
النعمة	71ب	اللطفية	69
النفس	81	اللوائح- الطوائع-	12ب، 103ب
نهر	138	اللوامع	
نهر البلوى	138	اللوحة (المحفوظ)	6، 81
النور	71	ليلة القدر	43ب
نور الأيمان	78ب، 146ب	الماسك	7
نون	129ب، 141ب	مجل المظاهر	144
الهاجس	54	الإلهية	
الهباء	8، 8ب، 142ب	مجل النعوت	144
الهمة	49، 54، 113، 138ب،	المقدسة	
الهوى	139ب، 145، 154	مجمع البحرين	111
الهوية	123	الحمدي	5، 111، 132ب
الهية	55		

المصطلح	صفحة المخطوط
الوحدة	72ب
الوحى	86ب، 114، 147، 153
الود	13ب، 14ب
الوقفة	16
الياقوتة الصفراء	9ب

المصطلح	صفحة المخطوط
الوارد	102
وارد	98ب، 102، 104، 140
الوجد	49ب
الوحداني- الوحدانية	59ب، 73، 119ب

فهرس الأعلام

صفحات المخطوط	الاسم	صفحات المخطوط	الاسم
106	أبو طالب المكي	37، 18، 17، 15	إبراهيم الخليل
51، 51ب	أبو عبد الله البخاري	135ب	ابن أبي رباح
14، 14ب	أبو عبد الله بن المرابط	146	أبو إسحق الزوالي
51	أبو عبد الله محمد بن عبيد الله الحجري	51	أبو إسحق المستملي
51ب	أبو عبد الله محمد بن عيشون	51	أبو الحسن شرح بن محمد بن شرح الرعيني
51، 51ب	أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفريري	51	أبو الحسن عبد الرحمن بن المظفر الداودي
51	أبو محمد بن عبد الله الحجري	109ب	أبو الحكم عبد السلام بن برجان
51، 51ب	أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حويه السرخسي	15	أبو الفنائم بن أبي الفتوح الحراني
51	أبو محمد يونس بن يحيى بن أبي الحسين بن أبي البركات الهاشمي	51	أبو الهيثم محمد بن مكي بن محمد الكشميني
31	أبو مدين	51	أبو الوقت عبد الأول بن عيسى - السجزي الهروي
146ب	أبو موسى الديلي	51	أبو الوليد أحمد بن محمد بن العربي
51، 51ب	أبو هريرة	155، 50ب، 4ب	أبو بكر الصديق
132، 132ب	أبو يحيى بيكر بن أبي عبد الله الهاشمي	51ب	أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري
		51، 51ب	أبو ذر الغفاري

الاسم	صفحات المخطوط	الاسم	صفحات المخطوط
آدم	6ب، 8ب، 9، 10،	روم	146ب
إسرافيل (النبي)	15، 18، 112،	زكريا (النبي)	43ب
إسماعيل (حدث عنه)	114، 120، 29ب	زيد بن علي	145
البخاري	18، 99ب	سعيد المقبري	51ب
الأشعري (أبو الحسن)	51ب	سفيان الثوري	52ب
البخاري	51، 51ب	سفيان بن عيينة	135ب
بدر الحزري	48ب	سلمان الفارسي	19
برزجمهر	106ب	سليمان (النبي)	125، 153ب
البسطامي (أبو يزيد)	49، 146ب،	سهل بن عبد الله	140، 74
جبريل	154ب،	التستري	
الجنيد (أبو القاسم)	5ب، 10، 30، 98،	الشافعي (الإمام)	52ب
حواء	104ب، 114ب،	الشبلي	136ب
الحضر	147ب، 153،	طلولت	138
داود (النبي)	49، 117ب	العباداني (شيخ سهل بن عبد الله التستري)	140
رضوان	120	عبد الله بدر الحبشي -	14ب، 15
الروح (ملك موكل الرؤيا)	5، 49، 52	اليعني	
الروح (من الملائكة)	43ب	عبد الله بن عباس	51ب
روح القدس	18	عثمان بن عفان	4ب
	13	علي بن أبي طالب	4ب، 51ب
	14	عمر بن الخطاب	4ب، 50ب، 104ب
	5، 49ب، 129	عيسى (النبي)	17ب، 80

صفحات المخطوط	الاسم
4ب	مريم (عليها السلام)
103، 125ب،	مسلم (الإمام)
134ب	المهدي (المنتظر)
34	موسى (النبي)
5، 46، 52، 58، 62	ميكاتيل
18	هود (النبي)
59	يونس (النبي)
108	يونس بن يحيى العباسي
51	

صفحات المخطوط	الاسم
20، 7ب،	الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)
133	الفرزدق
51	القصار (يونس بن يحيى بن الحسين)
18	مالك (من الملائكة)
52ب	مالك بن أنس
133	محمد بن خالد الصدفي
51ب	محمد بن محمد

فهرس الأماكن

الاسم	صفحات المخطوط	الاسم	صفحات المخطوط
أشيلية	51	سبته	51
البحرين	111	النشام	64ب، 67ب
البيت المعمور	37	الشرق	13، 126
بجاية	31	الصخرة	14ب
بيت الله الحرام	10، 21، 85، 85ب، 86، 92	غار حراء	5ب
بيت المقدس	110، 109ب	قبة أرين	64ب
تونس	11	الكعبة	10، 51، 89ب، 90ب، 91، 92، 132
الحجر الأسود	85ب	المسجد الأقصى	15
الحرم المكي	51	المسجد الحرام	131ب
حراء	5ب	مكة المكرمة	15، 85ب، 92
الركن اليماني	51، 132	اليمن	20
السدره العليا	137ب		

فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	صفحات المخطوط
الإنجيل		62
التوراة		62، 153ب
الزبور		62
الإسراء	ابن العربي	14
إنشاء الجداول والذوات	ابن العربي	97ب، 102ب
التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية	ابن العربي	116ب
الجمع والتفصيل في معرفة أسرار التنزيل	ابن العربي	141، 109، 116، 120، 120ب
رسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم	ابن العربي	64
الفتوحات الملكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية	ابن العربي	15
المبادي والغايات فيما تحوي عليه حروف المعجم من العجائب والآيات	ابن العربي	95ب، 96ب، 105، 120ب، 141
المعرفة	ابن العربي	64، 81
صحيح البخاري	البخاري	51ب
الأسطقسات	الحكيم أرسطو	101ب

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة المخطوط
الأشعرية	57ب، 66ب، 75، 76، 72ب، 75ب، 78ب، 80ب، 145ب
المجتمعة	76، 76ب

المحتويات

4	لوحة الشرف
7	تقديم د. عبدالعزيز المقالح
11	مقدمة
15	ترجمة الشيخ محيي الدين بن العربي
15	مدخل:
16	اسمه ومولده:
16	والده:
17	والدته:
17	عم الشيخ:
18	شقيقا الشيخ:
18	ازواجه:
19	أولاده:
20	دراسته:
20	تصوفه:
22	الفتح الأكبر:
23	تقلاته:
23	رحلته إلى الشرق:
24	تقلاته في المشرق:
24	شيوخه:
25	لبس الخرقة:
26	أصحابه:
26	علاقته بعلماء عصره:
30	كرامته:
32	مؤلفاته:
33	علاقته بالحكام:
34	وفاته:
34	المعارضون:
35	مسك الختام:
37	الفتوحات المكية
39	وصف المخطوطات

39	نسخة السليمانية:
39	نسخة قونية:
41	اسم الكتاب:
41	الخط:
42	وصف الكتاب:
43	أهم الخصائص التي لمسناها في الكتاب ما يلي:
45	مراحل طباعة الفتوحات المكية
45	المرحلة الأولى:
47	المرحلة الثانية:
49	3- المرحلة الثالثة:
55	نماذج من خط الشيخ الأكبر تبين حقيقة ما كتبه
57	4- هذا العمل
60	شكر وتقدير
61	السفر الأول من الفتحوات المسكوية:
63	رموز مستخدمة في التحقيق
69	(خطبة الكتاب):
77	هذه رسالة كتبت بها
86	بب في فهرست أبواب الكتاب وليس معدودا في الأبواب، وهو على فصول ستة
86	الفصل الأول في المعارف
91	الفصل الثاني في المعاملات
97	الفصل الثالث: في الأحوال
101	الفصل الرابع: في المنازل
109	الفصل الخامس في المنازلات
114	الفصل السادس: في المقامات
123	مقدمة الكتاب
126	وَصَلَّى (لا ينبغي القول بأن الصوفي فيلسوف)
128	(الطريق إلى الله تعالى)
130	فصل (مدار العلم الذي يختص به أهل الله)
134	وصل يتضمن ما ينبغي أن يعتقد في الصوم؛ وهي عقيدة أهل الإسلام مسلمة من غير نظر إلى دليل ولا إلى برهان

135.....	(الشهادة الأولى)
139.....	الشهادة الثانية
141.....	وصل: الناشئ والشادي في العقائد
141.....	الفصل الأول في معرفة الحمل القائم باللسان الغربي
143.....	الفصل الثاني في معرفة الحمل المحمول اللازم باللسان المشرقي
145.....	الفصل الثالث في معرفة الإبداع والتركيب باللسان الشلمي
146.....	الفصل الرابع في معرفة التخليص والترتيب باللسان اليمني
147.....	وصل في اعتقاد أهل الاختصاص من أهل الله بين نظر وكشف
147.....	(حدّ العقول)
147.....	(المناسبة بين الحقّ والممكن)
148.....	(لا يمكن للمقيد أن يعرف المطلق)
148.....	(للألوهة أحكام)
149.....	(الحكم الإرادي والاختياري)
149.....	(كان الله ولا شيء معه)
149.....	(بحر العماء برزخ بين الحق والخلق)
149.....	(الوصول إليه به وبك)
150.....	(المتوجّه على إيجاد كلّ ما سوى الله تعالى- هو الألوهة)
150.....	(نعت الألوهة الأخص)
150.....	(الكسب)
150.....	(الجبر)
150.....	(تقتضي الألوهة أن يكون في العالم بلاء وعافية)
150.....	(المدرک والمدرك)
151.....	(العلم)
151.....	(الفعل من الممكن)
151.....	(لا يصدر عن الواحد إلّا واحد)
151.....	(الصفات نسب وإضافات)
152.....	(تعدّد التعلقات)
152.....	(تعدّد الصفات الذاتية)
152.....	(الصور عرض في الجوهر)
152.....	(وجود الكثرة عن المطول الأول)

- 153.....(الحق تعالى لا يكون علة لشيء)
- 153.....(سر الألوهة)
- 153.....(لا يتغير العلم بتغير المعلوم)
- 153.....(معلوم العلم لا يتغير)
- 154.....(العلم التصوري لا يكتسب)
- 154.....(وصف العلم بالإحاطة)
- 154.....(رؤية البصيرة ورؤية البصر)
- 155.....(الأزل)
- 155.....(حدوث ما سوي الله عند الأشاعرة)
- 155.....(الموجود التام متحيز)
- 155.....(الممكن الأول عند الأشاعرة)
- 155.....(الزمن)
- 156.....(اللفظ المشترك عند الأشاعرة والمجسمة)
- 156.....(الفحشاء بين القضاء والإرادة)
- 157.....(العدم الذي للممكن)
- 157.....(وجود قديم ليس بباله)
- 157.....(تخصيص وجود الممكن)
- 157.....(السبب المخصص)
- 157.....(التعلقات الإلهية تعدت لحقائق المتعلقات)
- 158.....(نور العقل ونور الإيمان)
- 159.....(معرفة أحكم الذات)
- 159.....(الأعين لا تتقلب، والحقائق لا تتبدل)
- 159.....(البقاء)
- 159.....(الكلام واحد)
- 159.....(الاسم والمسمى والتسمية)
- 160.....(وجود الممكنات)
- 160.....(قسما وجود الممكن)
- 160.....(انحصار المعلومات)
- 160.....(الحسن والقبح)
- 161.....(الدليل والمحلول)

- 161.....(الرضا بالقضاء والمقضي)
- 161.....(الاختراع)
- 161.....(ارتباط العالم بالله)
- 162.....(تعلق العلم بالمعلوم)
- 162.....(وجوه المعارف التي للعقل الأول)
- 163.....(وجها الممكن من عالم الخلق)
- 163.....(الإيجاد بين متعلق الأمر ومتعلق القدرة)
- 163.....(أولية الواجب الوجود بالغير)
- 164.....(أولية الواجب المطلق)
- 164.....(علم الممكنات بموجدها)
- 164.....(متعلق رؤيتنا الحق تعالى، ومتعلق علمنا به)
- 165.....(العدم هو الشر المحض)
- 165.....(إطلاق الجواز على الله)
- 166.....(الفصل الأول في المعارف)
- الباب الأول في معرفة الروح الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطرته في هذا الكتاب، وما كان بيني وبينه من
 166.....الأسرار
- 168.....(منزلة ذلك الفتى)
- 171.....مشاهدة مشهد البيعة الإلهية
- 171.....مخاطبات التعليم والأطراف بسر الكعبة من الوجود والطواف
- 174.....(مدخل العارفين)
- 176.....الباب الثاني في معرفة مراتب الحروف والحركات من العلم
- الفصل الأول: في معرفة الحروف ومراتبها والحركات، وهي الحروف الصغار، وما لها من الأسماء الإلهية
 176.....
- 182.....تتميم (سبب منعنا أن يكون للحرارة والرطوبة فلك)
- 184.....(الحقائق على قسمين: مفردة ومركبة)
- 186.....(بساط مراتب الحروف)
- 190.....نكر بعض مراتب الحروف
- 193.....(الكلام على هذه الحروف المجهولة المختصة)
- 196.....(الكلام على "الم")
- 200.....(الكلام على "ذلك الكتاب")
- 204.....تبيينة (الجمع والتفرقة، والتكثير والتفويض)

- (الكلام على الحروف).....
- 207..... فمن ذلك حرف الألف
- 207..... ومن ذلك حرف الهزة
- 208..... ومن ذلك حرف الهاء
- 209..... ومن ذلك حرف العين المهملة
- 209..... ومن ذلك حرف الحاء المهملة
- 210..... ومن ذلك حرف الغين المنقوطة
- 211..... ومن ذلك حرف الخاء المنقوطة
- 211..... ومن ذلك حرف القاف
- 212..... ومن ذلك حرف الكاف
- 213..... ومن ذلك حرف الضاد المعجمة
- 213..... ومن ذلك حرف الجيم
- 214..... ومن ذلك حرف الشين المعجمة بالثلاث
- 214..... ومن ذلك حرف الباء
- 215..... ومن ذلك حرف اللام
- 216..... ومن ذلك حرف الراء
- 216..... ومن ذلك حرف النون
- 217..... ومن ذلك حرف الطاء المهملة
- 217..... ومن ذلك حرف الدال المهملة
- 218..... ومن ذلك حرف التاء جلتين من فوق-
- 218..... ومن ذلك حرف الصاد الياءة
- 222..... ومن ذلك حرف الزاي
- 222..... ومن ذلك حرف السين المهملة
- 223..... ومن ذلك حرف الظاء المعجمة
- 223..... ومن ذلك حرف الذال المعجمة
- 224..... ومن ذلك حرف التاء جالثلاثة
- 224..... ومن ذلك حرف الفاء
- 225..... ومن ذلك حرف الباء بواحدة
- 225..... ومن ذلك حرف المعيم
- 226..... ومن ذلك حرف الواو

- 227..... ذكر لام ألف و ألف اللام.
- 227..... معرفة لام ألف: لا
- 230..... معرفة ألف اللام: آل
- بين بعض الأسباب، أعني تفسير الألفاظ التي ذكرت في الحروف؛ من بسائط ومراتب وتقديس، وإفراد وتركيب،
 233..... وأنس ووحشة، وغير ذلك

الفهرس

- 249..... فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات
- 254..... فهرس الأحاديث النبوية
- 257..... فهرس الشعر
- 260..... استشهدات
- 261..... مصطلحات صوتية
- 267..... فهرس الأعلام
- 270..... فهرس الأماكن
- 271..... فهرس الكتب
- 271..... فهرس الفرق

السفر الثاني من الفتوحات المكية

1 العنوان في ص 2ب

2 بعد هذا العنوان مباشرة كتب ما يلي بخط الشيخ الأكبر: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن العربي الطائي".
ويخطه كذلك كتب: "رواية مالك هذه المجلة محمد بن إسحق القنوي عنه".

يليه بخط القنوي: "رواية مجد الدين أبو بكر بن بندار التبريزي بحق سماعه عليه عنه. كتبه الفقير إلى الله محمد بن إسحق بن محمد حامد الله".

ويليه ما يلي: "سمع جميع هذه المجلة الثانية من الفتوحات المكية، وهي بخط منشئ الكتاب -رضي الله عنه وأرضاه- بتأماما وكإلها على الشيخ الإمام العالم الراشح القدوة، صدر الملة والدين، وارث الأنبياء والمرسلين، أتته الله في أعالي... قلته، ورفع في كل حضرة عليّة علمه، الجماعة السادة منهم السيد الفاضل عفيف الدين سليمان بن علي، وبرهان الدين إبراهيم بن أبي بكر الصنهاجي الحافظ، وكمال الدين محمد بن صديق الأهرري، وجمال الدين محمد بن الحسن السلطاني، ومجد الدين أبو بكر بن بندار التبريزي، وقدم الله وأعاد علي... بقراءة الفقير إلى الله تعالى... بن عبد الله المطلبي، وسمع من نصف هذه المجلة إلى آخرها الصدر... علم الدين حسن بن محمود المروري، ومجد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري، وذلك في مجالس آخرها ليلة الخميس لحمس خلون من شهر ذي القعدة سنة ثمان وستون وستائة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً".

يليه بخط صدر الدين القنوي: "صح السماع لمن ذكر. وكتب الفقير إلى الله محمد بن إسحق بن محمد في مؤرخه..."
وأخيراً نجد مكتوباً بخط آخر: "وقف هذا الكتاب من أوله إلى آخره كاتب الإجازة بخطه الشيخ الإمام المذكور فوق هذا السطر، وهو الشيخ صدر الدين أبو المعالي محمد بن إسحق بن محمد رضي الله عنه وعن سلفه في حال حياته بحضور مولانا أفضى القضاة سراج الملة والدين والأئمة الحاضرين عنده يومئذ، على دار الكتب المنشأة عند قبره لينتفع به سائر المسلمين هناك خاصة، ولا يخرج منها إلى غيرها من المواضع، لا يبرهن ولا يغيره. قبل الله منه وأثابه رضاء يوم يلقاه وقبله وبعده إنه ملئٌ بذلك قادر عليه".

وفي ص 1ب السابقة ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1767، وطابع دفعة برقم 1846، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: 306 صحيفة

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ ﴾	آيات قرآنية
« »	حديث شريف
()	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية*
س	نسخة السلجمانية
هـ	نسخة القاهرة

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تنويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتم دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كمرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسساء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنوية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنوية هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).

أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.

بسم الله الرحمن الرحيم
الفصل الثالث في معرفة الحركات

التي تتميز بها الكلام ومع الحروف الصغار
حركات الحروف ستة ومنها الحذف لله مثلها الكلام
في رفع وثم نصب ونقص حركات للماضي العزيم
وفي فتح وثم ضم وتسمى حركات للماضي الثاني
واصول الكلام حركات ثمانية وستون يكون عن حركات
هذه حالة العوالم فانظر في حياة عمر بنية في سوا
اعلم اننا الله والملك بروج منه

اننا نشاركنا ان نتعلم في الحركات في فصل الحروف لما الخلق
عملها الحروف الصغار ثم انه راسنا انه لا طيرة في استخراج معالم
الحركات بعالم الحروف الا بعد نظام الحروف وضع بعضها في
بعض يثبت دلالة عن ذلك من العلم وانما هما ينفران قوله
على حتمنا ماذا سونته ونفخت منه من روح وهو ورود الحركات
على هذه الحروف بعد تسوية ما تنقوم نشأة امر تسعي دلالة كما
بسمي الشخص الواحد منا انسانا هكذا انشأ عالم الكلمات
والالفاح من معالم الحروف والكلمات مواد كالماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ¹
الفصل الثاني
في معرفة الحركات التي تميز بها الكلمات
وهي الحروف الصغار

أَظْهَرَ اللَّهُ مِثْلَهَا الْكَلِمَاتِ	حَرَكَاتُ الْحُرُوفِ سِتٌّ وَمِنْهَا
حَرَكَاتٌ لِلْأَخْرَفِ الْمُفْرَنَاتِ	هِيَ رَفْعٌ وَثَمَّ نَصَبٌ وَخَفْضٌ
حَرَكَاتٌ لِلْأَخْرَفِ الثَّابِتَاتِ	وَهِيَ فَتْحٌ وَثَمَّ ضَمٌّ وَكَسْرٌ
أَوْ سُكُونٌ يَكُونُ عَنْ حَرَكَاتِ	وَأَصُولُ الْكَلَامِ حَذْفٌ فَتَمُوتُ
فِي حَيَاةِ غَرِيْبَةٍ فِي مَوَاتِ	هَذِهِ خَالَةَ الْعَوَالِمِ فَانْظُرْ

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه- آنا كنا شرطنا أن نتكلم في الحركات في فصل الحروف، لَمَّا أُطْلِقَ عليها الحروف الصغار. ثُمَّ إِنَّهُ رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِي امْتِزَاجِ عَالَمِ الْحَرَكَاتِ بِعَالَمِ الْحُرُوفِ إِلَّا بَعْدَ نِظَامِ الْحُرُوفِ، وَضَمَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَكُونُ كَلِمَةً عِنْدَ ذَلِكَ، مِنَ الْكَلِمِ. وَاتِّظَامًا يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى- فِي خَلْقِنَا: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾²، وَهُوَ وِرُودِ الْحَرَكَاتِ عَلَى هَذِهِ الْحُرُوفِ بَعْدَ تَسْوِيَّتِهَا. فَتَقُومُ نِشَاةٌ أُخْرَى تَسْتَعِي كَلِمَةً، كَمَا يَسْتَعِي الشَّخْصَ الْوَاحِدَ مَنَّا إِنْسَانًا. فَكِهَذَا انْتِشَاةً عَالَمِ الْكَلِمَاتِ وَالْأَلْفَاظِ مِنَ عَالَمِ الْحُرُوفِ.

فَالْحُرُوفُ لِلْكَلِمَاتِ، مَوَادٌّ؛ كَالْمَاءِ وَالتُّرَابِ³ وَالنَّارِ وَالهَوَاءِ، لِإِقَامَةِ نِشَاةِ أَجْسَامِنَا. ثُمَّ نَفَخَ (الْحَقُّ) الرُّوحَ فِيهِ؛ الْأَمْرِي، فَكَانَ إِنْسَانًا. كَمَا قَبِلَتِ الرِّيَّاحُ، عِنْدَ اسْتِعْدَادِهَا، نَفْخَ الرُّوحِ الْأَمْرِي فَكَانَ جَانًا. كَمَا قَبِلَتِ الْأَنْوَارُ، عِنْدَ اسْتِعْدَادِهَا، نَفْخَ الرُّوحِ فَكَانَتِ الْمَلَائِكَةَ. وَمِنَ الْكَلِمِ مَا يَشْبَهُ الْإِنْسَانَ؛ وَهُوَ أَكْثَرُهَا، وَمِنْهَا مَا يَشْبَهُ الْمَلَائِكَةَ وَالْجِنَّ، وَكِلَاهِمَا جِنٌّ، وَهُوَ أَقْلَاهَا؛ كَالْبَاءِ الْخَافِضَةَ، وَاللَّامَ الْخَافِضَةَ وَالْمُؤَكَّدَةَ، وَوَاوَ الْقِسْمِ وَبِائِهِ وَتَائِهِ، وَوَاوَ الْعَطْفِ وَفَائِهِ، وَالْقَافَ مِنْ "قِي"، وَالشَّيْنَ مِنْ "شِي"، وَالْعَيْنَ مِنْ "عِي" إِذَا أَمَرْتَ بِهَا مِنَ الْوَقَايَةِ وَالْوَشِيِّ وَالْوَعِيِّ. وَمَا عَدَا هَذَا الصَّنْفَ الْمَفْرَدَ فَهُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْإِنْسَانِ. وَإِنْ كَانَ الْمَفْرَدُ يَشْبَهُ بَاطِنَ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّ بَاطِنَ الْإِنْسَانِ جَانٌّ فِي الْحَقِيقَةِ. فَلَمَّا كَانَ عَالَمِ الْحَرَكَاتِ لَا يُوْجَدُ إِلَّا بَعْدَ وُجُودِ

1 البسملة في ص 3

2 [الحجر : 29]

3 ص 3ب

الذوات المتحركة بها، وهي الكلمات المنشآت من الحروف، أحرنا الكلام عليها عن فصل الحروف إلى فصل الألفاظ.

ولما كانت الكلمات التي أردنا أن نذكرها في هذا الباب، عن جملة الألفاظ، أردنا أن نتكلم في الألفاظ على الإطلاق، وحصر عالمها، ونسبة هذه الحركات منها بعد ما نتكلم أولاً على الحركات على الإطلاق. ثم بعد ذلك نتكلم على الحركات المختصة بالكلمات التي¹ هي حركات اللسان، وعلاماتها التي هي حركات الخط. ثم بعد ذلك نتكلم على الكلمات التي توهم التشبيه كما ذكرناه.

ولعلك تقول: هذا العالم المفرد من الحروف، الذي قبل الحركة دون تركيب؛ كباء الحفص وشبهه من المفردات، كنت تلحقه بالحروف لانفراده، فإن هذا هو باب التركيب وهو الكلمات. قلنا: ما نُفخ في باء الحفص؛ الروح، و(ما نُفخ في) أمثاله من مفردات الحروف؛ أرواخ الحركات؛ ليقوموا بأنفسهم، كما قام عالم الحروف وحده دون الحركات. وإنما نُفخ فيه الروح من أجل غيره؛ فهو مركب. ولذلك لا يُعطى ذلك حتى يضاف إلى غيره، فيقال: بالله، وتالله، ووالله، لأعبدن، وسأعبد، ﴿أَقْنِي لِزَيْتِكَ وَانْجِدِي﴾²، وما أشبه ذلك. ولا معنى له إذا أفردته، غير معنى نفسه.

وهذه الحقائق، التي تكون عن التركيب، توجد بوجوده وتعدم بعدمه. فإن الحيوان حقيقة لا توجد أبداً، إلا عند تألف حقائق مفردة، معقولة في ذواتها، وهي: الجسمية، والتغذية، والحس. فإذا تألف الجسم والغذاء والحس، ظهرت حقيقة الحيوان؛ ليس هي الجسم وحده، ولا الغذاء وحده، ولا الحس وحده. فإذا أسقطت حقيقة الحس، وألفت الجسم والغذاء، قلت: نبات. (وهذه) حقيقة ليست الأولى³.

ولما كانت الحروف المفردة، التي ذكرناها، مؤثرة في هذا التركيب الآخر اللفظي، الذي ركبناه لإبراز حقائق لا تعقل عند السامع إلا بها، لهذا شبهناها لكم، للتوصيل بالعالم الروحاني كالجن. ألا ترى الإنسان يتصرف بين أربع حقائق: حقيقة ذاتية، وحقيقة ربانية، وحقيقة شيطانية، وحقائق ملكية. وسيأتي ذكر هذه الحقائق مستوفى، في باب المعرفة للخواطر، من هذا الكتاب. وهذا، في عالم الكلمات، دخول حرف من هذه الحروف على عالم الكلمات، فتحدث فيه ما تعطيه حقيقتها. فافهم هذا. فهنا الله وإياكم سرانر كلمه.

نكتة وإشارة

قال رسول الله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم». وقال تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهاً إِلَى مَزْمَمٍ﴾⁴ وقال:

1 ص 4
2 [آل عمران : 43]
3 ص 4
4 [النساء : 171]

﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ﴾¹ ويقال: "قطع الأمير يد السارق، وضرب الأمير اللص". فمن ألقى عن أمره شيء، فهو ألقاه. فكان الملقى محمد ﷺ ألقى عن الله كلمات العالم بأسره، من غير استثناء شيء منه أثبتة. فمنه ما ألقاه بنفسه؛ كأرواح الملائكة وأكثر² العالم العلوي. ومنه، أيضا، ما ألقاه عن أمره. فيحدث الشيء عن وسائط، كبرية الزراعة ما تصل إلى أن تجري، في أعضائك، روحا مسبعا وممجدا، إلا بعد أدوار كثيرة، وانتقالات في عالم (=عوالم)؛ وتقلب في كل عالم من جنسه، على شكل أشخاصه. فرجع الكل في ذلك إلى من "أوتي جوامع الكلم".

فتنفخ الحقيقة الإسرافية من (الحقيقة) المحمدية، المضافة³ إلى الحق نفخها كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَنفُخُ فِي الصُّورِ﴾⁴ بالنون. وقرئ بالياء وضمها وفتح الفاء. والناخ إنما هو إسرافيل عليه السلام والله قد أضاف النفخ إلى نفسه. فالنفخ من إسرافيل، والقبول من الصور. وسير الحق بينهما هو المعنى بين الناخ والقابل، كالرابط من الحروف بين الكلمتين، وذلك هو سر الفعل الأقدس الأنزه، الذي لا يطلع عليه الناخ ولا القابل.

فعلى الناخ أن ينفخ، وعلى النار أن تتقد، والسراج أن ينطفي. والافتقاد والانطفاء بالسر- الإلهي. فينفخ فيها فتكون طائرا بإذن الله. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَوَّقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾⁵ والنفخ واحد، والناخ واحد، والخلاف في المنفوخ فيه بحكم الاستعداد، وقد خفي السر⁶ الإلهي بينهما في كل حالة. فتفطنوا يا إخواننا- لهذا الأمر الإلهي، و﴿اعلموا أن الله عزيز حكيم﴾⁷ لا يتوصل أحد إلى معرفة كه الألوهة أبدا، ولا ينبغي لها أن تُدرك، عزت وتعالى علوا كبيرا.

فالعالم كله، من أوله إلى آخره؛ مقيد بعضه ببعضه، عابد بعضه بعضا. معرفتهم منهم إليهم، وحقاقتهم منبعثة عنهم، بالسر الإلهي الذي لا يدركونه، وعائدة عليهم. فسبحان من لا يجارى في سلطانه، ولا يدانى في إحسانه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁸.

فتبعد فهم جوامع الكلم، الذي هو العلم الإحاطي والنور الإلهي، الذي اختص به سر الوجود، وعمد القبة، وساق العرش، وسبب ثبوت كل ثابت؛ محمد ﷺ. فاعلموا ووقفكم الله- أن جوامع الكلم، من عالم

1 [التحریم : 12] ولفظ "كتابه" وهما لقراءة ورش، وفي قراءة حفص: وكتبه.

2 ص 5

3 ميسنة في الهامش أنها: "المضافان".

4 [المجل : 87] و"ننفع" بالنون وهما لقراءة أبي عمرو، و"ينفع" لبقية القراء.

5 [الزمر : 68]

6 ص 5 ب

7 [البقرة : 209]

8 [آل عمران : 6]

الحروف، ثلاثة: ذاتٌ غنيّةٌ قائمةٌ بنفسها، وذاتٌ فقيرةٌ إلى هذه الغنيّة، غير قائمةٌ بنفسها، ولكن يرجع منها إلى الذات الغنيّة وصِفٌ تُصَفُ به، يطلبها بذاته؛ فإنّه ليس من ذاتها إلاّ بمصاحبة هذه الذات لها. فقد صحّ أيضاً، من وجه، الفقرُ للذات الغنيّة، القائمة بنفسها، كما صحّ للأخرى. وذاتٌ ثالثةٌ رابطةٌ بين ذاتين غنيّتين، أو ذاتين فقيرتين¹ وذات غنيّة، وهذه الذات الرابطة؛ فقيرةٌ لوجود هاتين الذاتين ولا بدّ.

فقد قام الفقر والحاجة بجميع النوات، من حيث افتقار بعضها إلى بعض، وإن اختلفت الوجوه، حتى لا يصحّ الغنى على الإطلاق إلاّ لله تعالى- الغنيّ الحميد، من حيث ذاته. فَلُنُسِمَ الغنيّة: ذاتاً، والذات الفقيرة: حدّاً، والذات الثالثة: رابطة. فنقول: الكلّم محصور في ثلاث حقائق: ذاتٌ وحدٌّ ورابطة، وهذه الثلاثة (هي) جوامع الكلم. فيدخل تحت جنس الذات أنواع كثيرة من النوات، وكذلك تحت جنس كلمة الحدّ والرابطة. ولا يحتاج إلى تفصيل هذه الأنواع ومساقتها في هذا الكتاب، وقد اتّسع القول في هذه الأنواع في "تفسير القرآن" لنا.

فإن شئت أن تقيس على ما ذكرناه، فانظر في كلام النحويّين، في الاسم والفعل والحرف، وكذلك المنطقيّين. فالاسم عندهم هو الذات عندنا، والفعل عندهم هو الحدث عندنا، والحرف عندهم هو الرابطة عندنا. وبعض الأحداث عندهم، بل كلّها، أسماء؛ كالقيام والقعود والضرب. وجعلوا الفعل: كلّ كلمة مقيدة بزمان معين. ونحن إنما قصدنا بالكلمات؛ الجري على الحقائق بما هي عليه. فجعلنا: "القيام" و"قام" و"يقوم" و"قَمَ"؛ حدّاً، وفصلنا بينهم بالزمان المبيّهم والمعين.

وقد تفضّن لنك الزجاجي²، فقال: والحدث -الذي هو القيام مثلاً- هو المصدر. يريد: هو³ الذي صدر من المُخِث، وهو اسم الفعل. يريد أنّ "القيام" هذه الكلمة- اسم⁴ لهذه الحركة الخصوصية، من هذا المتحرّك، الذي بها سُمّي قائماً؛ فتلك الهيئة هي التي سمّيت قياماً، بالنظر إلى حال وجودها. و"قام" بالنظر إلى حال انقضاءها وعدمها. و"يقوم" و"قَمَ" بالنظر إلى توهم وقوعها. ولا توجد أبداً إلاّ في متحرّك؛ فهي غير قائمة بنفسها.

ثمّ قال: والفعل -يريد لفظه "قام" أو "يقوم"، لا نفس الفعل الصادر من المتحرّك قائماً مثلاً- مشتقّ منه. الهاء تعود على لفظه اسم الفعل، الذي هو "القيام"، مأخوذ -يعني "قام" و"يقوم" - من "القيام"، لأنّ النكرة عنده قبل المعرفة، والمبهم نكرة، والمختص معرفة، و"القيام" مجهول الزمان، و"قام" مختصّ

1 ص 6

2 أبو القاسم الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق الثّياوندي النحوي، صاحب الصانيف، أخذ عن أبي إسحاق الزجاج، وابن دريد وعلي ابن سليمان الأضخس وقد انضع بكتابة الجمل، خلق لا يبحسون، فليل إنه جاور مدة بمكة وصنّفه فيها. وكان إذا فرغ الباب، طاف أسبوعاً، ودعا بالمغفرة، اشتغل ببغداد، ثمّ مجلب وبدمشق، ومات بطبرية في رمضان عام 340هـ [العبر في خبر من غير - (1 / 137)]

3 ص 6

4 لفظ "اسم" بالهامش بخط الأصل.

الزمان ولو دخلت عليه "إن"، و"يقوم" مختص الزمان ولو دخلت عليه "لَمْ". وهذا مذهب من يقول بالتحليل: إنه فرع عن التركيب، وأن المركب وُجد مركبًا.

وعلى مذهب من يقول بالتفريق، وإن التركيب طارئ وهو الذي يُفصّد في باب النقل أكثر- فإنّ الأظهر أنّ المعرفة قبل النكرة، وأنّ لفظة "زيد" إنما وُضعت لشخص معيّن، ثمّ طرأ التنكير بكونه شورك في تلك اللفظة، فاحتيج إلى التعريف بالنعمة والبدل وشبه ذلك. فالمعرفة أسبق من النكرة عند المحقّقين، وإن كان لهولئك وجه، ولكن هذا اليق.

وأما نحن، ومن جرى مجرانا، وورق² مرقانا الأشمخ، ففرضنا أمر آخر؛ ليس هو قول أحدهما مطلقا، إلّا ينسب وإضافات، ونظر إلى وجوه ما، يطول ذكرها، ولا تمس الحاجة إليها في هذا الكتاب؛ إذ قد ذكرناها في غيره من تواليقنا. فلنبتن:

أنّ الحركات على قسمين: حركة جسمانيّة، وحركة روحانيّة. والحركة الجسمانيّة لها أنواع كثيرة، سيأتي ذكرها في داخل الكتاب، وكذلك الروحانيّة. ولا نحتاج منها، في هذا الكتاب، إلّا إلى حركات الكلام لفظا وخطا. فالحركات الرقيّة بالأجسام، والحركات اللفظيّة لها كالأرواح. والمتحرّكات على قسمين: متمكن، ومتلوّن. فالمتلوّن: كلّ متحرّك تحرّك بجميع الحركات أو بعضها. فالمتحرّك بجميعها؛ كاللّال من زيد، والمتحرّك ببعضها؛ كالأسماء التي لا تنصرف، في حال كونها لا تنصرف؛ فإنّها قد تنصرف في التنكير والإضافة كاللّال من أحد. والمتمكن: كلّ متحرّك ثبت على حركة واحدة، ولم ينتقل عنها؛ كالأسماء المبنية. مثل: هؤلاء، وحذام، وكحروف الأسماء المعرّبة التي قبل حرف الإعراب منها؛ كالزاي والياء من زيد، وشبهه.

واعلم أنّ أفلاك الحركات هي أفلاك الحروف³ التي تلك الحركات عليها لفظا وخطا، فانظره هناك. ولها بسائط وأحوال ومقامات، كما كان للحروف نذكرها في كتاب "المبادي" المخصوص بعلم الحروف إن شاء الله.-

وكما ثبت التلوين والتمكين للذات، كذلك ثبت للحدث والرابط؛ ولكن في الرفع، والنصب، وحذف الوصف، وحذف الرسم. ويكون تلوين تركيب الرابط لأمرين: بالموافقة والاستعارة، والاضطرار. فبالموافقة: وهو الإبتاع: هذا ابتئم، ورأيت ابتئما، وعجبت من ابتئم. وبالاستعارة: حركة النقل، كحركة اللال من (قد أفلح)⁴ في قراءة من نقل. وبالاضطرار: التحريك لالتقاء الساكنين.

وقد تكون حركة الإبتاع الموافق في التركيب النائي، وإن كان أصل الحروف كلّها التمكن، وهو

1 ص 7

2 كانت: "ورق في" وهناك إشارة على حرف الجر لاستبعاده.

3 ص 7 ب

4 [المؤمنون: 1]

البناء، مثل "الفطرة فينا". وهنا أسرار لمن تظن. ولكنّ الوالدان ينقلان عن الفطرة المقيّدة، لا الفطرة المطلقة. كذلك الحروف؛ ممكنة في مقامها، لا تحتلّ، ثابتة، مبنية، كلّها ساكنة في حالها. فأراد اللفظ أن يوصل إلى السامع ما في نفسه، فافتقر إلى التلوين، فحرّك الفلّك الذي عنه توجد الحركات عند "أبي طالب". وعند غيره؛ هو المتقدّم. واللفظ أو الرّم، عن ذلك الفلّك. وهذا موضع¹ طلب لمريدي معاينة الحقائق.

وأما نحن، فلا نقول بقول أبي طالب وتقتصر، ولا بقول الآخر وتقتصر؛ فإنّ كلّ واحد منها قال حقًا من جهة ما، ولم يتم. فأقول: إنّ الحقائق الأول الإلهية، تتوجّه على الأفلاك العلوية، بالوجه الذي تتوجّه به على محال آثارها، عند غير أبي طالب المكيّ، وتقبّل كلّ حقيقة على مرتبتها. ولما كانت تلك الأفلاك في اللطافة أقرب، عند غير أبي طالب، إلى الحقائق؛ كان قبولها أسبق؛ لعدم الشغل، وصفاء المحلّ من كدورات العلائق، فإنّه نزيه. فلهذا جعلها السبب المؤثّر.

ولو عرف هذا القائل أنّ تلك الحقائق الأول، إنّما توجّهت على ما يناسبها في اللطافة، وهو أنفاس الإنسان، فتحرك الفلك العلويّ، الذي يناسبه عالم الأنفاس - وهذا مذهب أبي طالب - ثمّ يحرك ذلك الفلك العلويّ العضو المطلوب بالعرض المطلوب، بتلك المناسبة التي بينها. فإنّ الفلك العلويّ، وإنّ لطف، فهو في أوّل درج الكثافة وآخر درج اللطافة، بخلاف عالم أنفاسنا.

واجتمعت المذاهب؛ فإنّ الخلاف لا يصحّ عندنا ولا في طريقنا. لكنّه كاشفٌ وأكشَف. فتفهّم ما أشرنا إليه وتحقّقه؛ فإنّه سرّ عجيب، من أكبر الأسرار الإلهية. وقد أشار إليه أبو طالب في كتاب "القوت" له.

ثمّ نرجع ونقول: فافتقر المتكلم إلى التلوين ليبلغ إلى مقصده. فوجد عالم الحروف والحركات قابلا لما يريد منها، لعلها أنّها لا تزول عن حالها، ولا تبطل حقيقتها. فيتخيّل المتكلم أنّه قد غير الحرف، و(هو) ما غيره. برهان ذلك: أنّ فني نظرك في "دال" زيد، من حيث هو دالّ، وانظر فيه من حيث تقدّمه "قام" مثلا، وتفرّغ إليه، أو أيّ فعل لفظي كان، ليحدّث به عنه. فلا يصحّ لك إلاّ الرفع فيه خاصّة؛ فما زال عن بنائه الذي وجد عليه.

ومن تخيّل أنّ "دال" الفاعل هو "دال" المفعول أو "دال" المجرور، فقد خلط، واعتقد أنّ الكلمة الأولى هي عين الثانية، لا مثلها. ومن اعتقد هذا في الوجود فقد بئد عن الصواب. وربما يأتي من هنا النصل، في الألفاظ شيء، إن قدر وألمناه.

فقد تبين لك أنّ الأصل؛ الشبوث لكلّ شيء. ألا ترى العبد؛ حقيقة ثبوته وتمكّنه إنّما هو في العبادة؟

فإن اتَّصف، يوماً ما، بوصف ربانيّ، فلا تقل هو معار عنده، ولكن انظر إلى الحقيقة التي قبلت ذلك الوصف منه، تجدها ثابتة في ذلك الوصف؛ كلما ظهر عينها تحلّت بتلك الحلية.

فإياك أن تقول: قد خرج هذا عن¹ طوره بوصف ربه. فإنّ الله تعالى- ما نزع وصفه وأعطاه إياه، وإنما وقع الشبه في اللفظ والمعنى معاً، عند غير المحقّق، فيقول: هذا هو هذا، وقد علمنا أنّ هذا ليس هذا، وهذا ينبغي لهذا ولا ينبغي لهذا؛ فليكن، عند من لا ينبغي له، عارية وأمانة. وهذا قصور، وكلام من عمي عن إدراك الحقائق. فإنّ هذا ولا بدّ، ينبغي له هذا. فليس الربّ هو العبد.

وإن قيل في الله سبحانه:- إنه عالم، وقيل في العبد: إنه عالم، وكذلك الحيّ والمريد والسميع والبصير وسائر الصفات والإدراكات. فإياك أن تجعل حياة الحقّ هي حياة العبد في الحدّ؛ فتلزمك الحالات. فإذا جعلت حياة الربّ على ما تستحقّه الروبيّة، وحياة العبد على ما يستحقّه الكون؛ فقد انبغى للعبد أن يكون حيّاً، ولو لم ينبغي له ذلك؛ لم يصحّ أن يكون الحقّ آمراً ولا قاهراً إلا لنفسه؛ ويتنزّه تعالى- أن يكون مأموراً أو مقهوراً. فإذا ثبت أن يكون المأمور والمقهور أمراً آخر وعينا أخرى؛ فلا بدّ أن يكون حيّاً، عالماً، مريداً، ممتكناً بما يراد به. هكذا تعطي الحقائق.

فتمّ، على هذا، حرف لا يقبل سيوى حركته؛ كالهاء من هذا. وتمّ حرف يقبل الحركتين والثلاث، من جهة صورته الجسميّة والروحيّة؛ كالهاء في الضمير "له" و"لها" و"به". كما تقبل أنت بنفسك الخجل؛ وبصورتك حمرة، وتقبل بنفسك الوجل؛ وبصورتك صفرة، والشوب يقبل الألوان المختلفة. وما بقي الكشف إلا عن الحقيقة التي تقبل الأعراض: هل هي واحدة، أو شأنها شأن الأعراض في العدم والوجود؟ وهذا مبحث للنظار، وأمّا نحن فلا نحتاج إليه، ولا نلتفت؛ فإنّه بحر عميق يحال المرید على معرفته من باب الكشف عليه؛ فإنّه بالنظر إلى الكشف يسير، وبالنظر إلى العقل عسير.

ثمّ أرجع وأقول: إنّ الحرف إذا قامت به حقيقة الفاعليّة، بتفريغ الفعل على البنية المخصوصة في اللسان، فتقول: قال الله. وإذا قامت به حقيقة تطلبه؛ يسمّى عندها منصوباً بالفعل أو مفعولاً، كيف شئت. وذلك بأن تطلب منه العون أو تقصده، كما طلب منّي القيام بما كلّفني. فمن أجل أنّه لم يعطني إلاّ بعد سؤالي، فكان سؤالي، أو حالي القائم مقام سؤالي بوعده، جعله يعطيني. قال تعالى:- ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾³، فسؤالي إياه؛ من أمره إياي به، وإعطاؤه إياي؛ من طلبي منه. فتقول: دعوت الله؛ فنصبّ حرف الهاء، وقد كانت مرفوعة. فعلمنا بالحركات أنّ الحقائق قد اختلفت. بهذا ثبت الاصطلاح في لحن بعض الناس.

1 ص 9

2 ص 9ب

3 [الروم: 47]

وهذا إذا كان المتكلم به¹ غيرنا. وأما المتكلم؛ فالحقائق² يعلم أولاً، ويجريها في أفلاكها على ما تقتضيه، بالنظر إلى أفلاك مخصوصة. وكلّ متكلم بهذه المثابة، وإن لم يعلم بهذا التفصيل، وهو عالم به من حيث لا يعلم أنه عالم به. وذلك أنّ الأشياء المتلفظ بها³؛ إما لفظ يدلّ على معنى -وهو مقام الباحث في اللفظ: ما مدلوله؟ ليرى ما قصد به المتكلم من المعاني- وإما معنى يُنقلّ عليه بلفظ ما، وهو الخبر عمّا تحقق. وأضرينا عن اللحن؛ فإنّ أفلاكه غير هذه الأفلاك. (وكما أضرينا عن ذكر) إسقاط الحركات من الخطّ -في حقّ قوم دون قوم- ما سببه؟ ومن أين هو؟ هذا كلّّه في كتاب "المبادي". إذ كان القصد بهذا الكتاب الإيجاز والاختصار حمد الطائفة. ولو اطلّعت على الحقائق كما اطلّعتنا عليها، وعلى عالم الأرواح والمعاني؛ لرأيتكم كلّ حقيقة وروح ومعنى على مرتبته. فافهم والزم. قد ذكرنا من بعض ما تعطيه حقائق الحركات، ما يليق بهذا الكتاب.

فلنقبض العنان، ولنرجع إلى معرفة الكلمات التي ذكرناها، مثل كلمة: الاستواء، والأين، وفي، وكان، والضحك، والفرح، والتبشيش، والتعجب، والملل، والمعينة، والعين، والبد، والقدم، والوجه، والصورة، والتحوّل، والغضب، والحياء، والصلاة، والفراغ، وما ورد في الكتاب العزيز والحديث⁴ من هذه الألفاظ التي توهم التشبيه والتجسيم، وغير ذلك بما لا يليق بالله تعالى- في النظر الفكريّ عند العقل خاصّة، فنقول:

لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ مُنْزَلاً عَلَى لِسَانِ الْعَرَبِ، فَنِيهِ مَا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ. وَلَمَّا كَانَتْ الْأَعْرَابُ لَا تَعْقِلُ مَا لَا تَعْقِلُ، إِلَّا حَتَّى يَنْزَلَ لَهَا فِي التَّوَصِيلِ بِمَا تَعْقِلُهُ؛ لِذَلِكَ جَاءَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ عَلَى هَذَا الْحَدِّ. كَمَا قَالَ: ﴿لَمَّا دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾⁵. وَلَمَّا كَانَتْ الْمَلُوكُ، عِنْدَ الْعَرَبِ، تُجْلِسُ عَبْدَهَا الْمُقْرَبَ الْمَكْرَمَ مِنْهَا، بِهَذَا الْقَدْرِ فِي الْمَسَاحَةِ، فَعَقَلَتْ مِنْ هَذَا الْخِطَابِ، قَرِبَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ رَبِّهِ. وَلَا تَبَالِي بِمَا فَهِمْتُ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ سِيَوَى الْقَرَبِ وَالْبِرْهَانِ الْعَقْلِيِّ يَنْفِي الْحَدَّ وَالْمَسَافَةَ- حَتَّى يَأْتِيَ الْكَلَامُ فِي تَنْزِيهِ الْبَارِي عَمَّا تَعْقِلُهُ هَذِهِ الْأَفْظَاظُ مِنَ التَّشْبِيهِ، فِي الْبَابِ الثَّلَاثِ الَّذِي يَلِي هَذَا الْبَابِ.

ولمّا كانت الألفاظ عند العرب على أربعة أقسام:

الفاظ متباينة؛ وهي الأسماء التي لم تتعدّ مستهاها: كالبحر، والمفتاح، والمقضان.

والفاظ متواطئة؛ وهي كلّ لفظة قد تووطين عليها أن تُطلق على آحاد نوع ما من الأنواع: كالرجل⁶

والمرأة.

1 ص 10

2 الحرف الأول مصل في ق، وفي س: "الحقائق" والترجيح من هـ

3 "المتلفظ بها" بالهامش بخط الأصل.

4 ص 10 ب

5 [النجم: 8، 9]

6 ق: "كرجل" والترجيح من س.

والفاظ مشتركة؛ وهي كلّ لفظ على صيغة واحدة، يطلق على¹ معان مختلفة: كالعين، والمشتري، والإنسان.

والفاظ مترادفة؛ وهي ألفاظ مختلفة الصيغ، تطلق على معنى واحد: كالأسد والهزير والفضنفر، وكالسيف والحسام والصارم، وكالخمير والرحيق والصهباء والخندريس. هذه هي الأمتها؛ مثل البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة في الطبائع.

وتمّ ألفاظ متشابهة ومستعارة ومنقولة، وغير ذلك. وكلّها ترجع إلى هذه الأمتها بالاصطلاح. فإنّ المشتبه وإن قلت فيه: إنه قبيل خامس من قبائل الألفاظ؛ مثل النور؛ يطلق على المعلوم وعلى العلم، ليُشبه العلم به، من كشف عين البصيرة به المعلوم، كالنور مع البصر في كشف المرقي المحسوس. فلما كان هذا الشبه صحيحا؛ سمي العلم نورا، ويلحق بالألفاظ المشتركة. فأذن، لا ينفك لفظ من هذه الأمتها. وهذا هو حدّ كلّ ناظر في هذا الباب.

وأما نحن، فنقول بهذا معهم. وعندنا زوائد، من باب الاطلاع على الحقائق، من جملة لم يطلعوا عليها، علمنا منها أنّ الألفاظ كلّها متباينة، وإن اشتركت في النطق. ومن جملة أخرى أيضا؛ كلّها مشتركة، وإن تباينت في النطق. وقد أشرنا إلى شيء من هذا، فيما تقدّم من هذا الباب، في آخر فصل الحروف. فإذا² تبين هذا، فاعلم أيها الوليّ الحميم - أنّ الحقّ الواقف، العارف بما تنضيه الحضرة الإلهية، من التقديس والتنزيه وفي المماثلة والتشبيه، لا يحجبه ما نطقث به الآيات والأخبار في حقّ الحقّ تعالى - من أدوات التقييد بالزمان والجهة والمكان. كقوله عليه السلام: «أين الله؟ فأشارت (الأمّة) إلى السماء». فأثبت لها الإيمان. فسأل عليه السلام بالظرفية، عما لا يجوز عليه المكان في النظر العقليّ. والرسول أعلم بالله، والله أعلم بنفسه. وقال (تعالى) في الظاهر: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾³ بالفاء وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾⁴ و﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁵ وهو مفعكم أين ما كنتم⁶ ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ﴾⁷ و«يفرح بتوبة عبده» و«يعجب من الشاب ليست له صبرة» وما أشبه ذلك من الأدوات اللفظية.

وقد تقرر بالبرهان العقليّ، خلقة الأزمان والأمكنة والجهات، والألفاظ والحروف والأدوات، والمتكلم بها والمخاطبين من المحدثات. كلّ ذلك خلق الله تعالى. فيعرف الحقّ قطعا، أنّها مصروفة إلى غير الوجه

1 ص 11

2 ص 11 ب

3 [الملك : 16]

4 [الأحزاب : 40]

5 [طه : 5]

6 [الحديد : 4]

7 [المجادلة : 7]

الذي يعطيك التشبيه والتمثيل، وأنّ الحقيقة لا تقبل ذلك أصلاً. ولكن تفاضل العلماء، السالمة عقائدهم¹ من التجسيم. فإنّ المشبّهة والجسمّة، قد يُطلق عليهم علماء، من حيث علمهم بأمر غير هذا. فتفاضل العلماء، في هذا الصّرف عن هذا الوجه الذي لا يليق بالحقّ تعالى.

فطائفة لم تشبّه ولم تجسم، وصرفت علم ذلك، الذي ورد في كلام الله ورسله إلى الله تعالى. ولم تدخل لها قدمٌ في باب التأويل. وكنعت بمجرد الإيمان بما يعلمه الله في هذه الألفاظ والحروف، من غير تأويل، ولا صرف إلى وجه من وجوه التنزيه. بل قالت: "لا أدري" جملة واحدة، ولكنّي أحيل إيقاءه على وجه التشبيه؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² لا لما يعطيه النظر العقلي. وعلى هذا فضلاء الهدّيين من أهل الظاهر، السالمة عقائدهم من التشبيه والتعطيل.

وطائفة أخرى من المنزّهة، عدلت بهذه الكلمات، عن الوجه الذي لا يليق بالله تعالى - في النظر العقلي، عدلت إلى وجه ما من وجوه التنزيه على التعيين، بما يجوز في النظر العقلي أن يتّصف به الحقّ - تعالى، بل هو متّصف به ولا بدّ. وما بقي النظر إلّا في أنّ هذه الكلمة: هل³ المراد بها ذلك الوجه أم لا؟ ولا يقدر ذلك التأويل في الوهته. وربما عدلوا بها إلى وجهين وثلاثة وأكثر، على حسب ما⁴ تعطيه الكلمة في وضع اللسان، ولكن من الوجوه المنزّهة لا غير. فإذا لم يعرفوا من ذلك الخبر أو الآية، عند التأويل في اللسان، إلّا وجهاً واحداً؛ قصروا الخبر على ذلك الوجه التنزيه، وقالوا: هذا هو، ليس إلّا، في علمنا وفهمنا. وإذا وجدوا له مصرفين فصاعداً؛ صرفوا الخبر أو الآية إلى تلك المصارف.

وقالت طائفة من هؤلاء: يحتمل أن يريد كذا، ويحتمل أن يريد كذا، وتعدّد وجوه التنزيه، ثمّ تقول: والله أعلم أيّ ذلك أراد.

وطائفة أخرى تقوى عندها وجهٌ ما من تلك الوجوه التنزيهية، بقرينة ما، قطعت لتلك القرينة بذلك الوجه على الخبر، وقصرته عليه، ولم تعرّج على باقي الوجوه في ذلك الخبر، وإن كانت كلّها تقتضي التنزيه.

وطائفة من المنزّهة، أيضاً، وهي العالية، وهم من أصحابنا؛ فرغوا قلوبهم من الفكر والنظر وأخلّوها. إذ كان المتقدّمون، من الطوائف المتقدّمة، المتأوّلة، أهل فكر ونظر وبحث. فقامت هذه الطائفة المباركة الموقّعة، والكلّ موقّفون بحمد الله، وقالت: حصل في نفوسنا تعظيم الحقّ عَزَّ وَجَلَّ بحيث لا ندر أن نصل إلى معرفة ما جاءنا من عنده، بدقيق فكر ونظر. فأشبهت، في⁵ هذا العقد، الهدّيين، السالمة عقائدهم؛ حيث لم ينظروا، ولا تأوّلوا، ولا صرفوا؛ بل قالوا: ما فهمنا، فقال أصحابنا بقولهم.

1 ص 12

2 [الشورى : 11]

3 لفظ بالهامش بقلم الأصل.

4 ص 12 ب

5 ص 13

ثم انتقلوا عن مرتبة هؤلاء، بأن قالوا: لنا أن نسلك طريقة أخرى في فهم هذه الكلمات، وذلك بأن نفرغ قلوبنا من النظر الفكري، ونجلس مع الحق تعالى - بالذكر، على بساط الأدب والمراقبة والحضور، والتهيؤ لقبول ما يرد علينا منه تعالى - حتى يكون الحق تعالى - يتولى تعليمنا على الكشف والتحقيق، لئلا سمعته يقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ¹﴾ ويقول: ﴿إِنْ تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا²﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا³﴾ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا⁴﴾.

فعندما توخمت قلوبهم وهمهم إلى الله تعالى - ولجأت إليه، وألقث عنها ما استمسك به الغير، من دعوى البحث والنظر ونتائج العقول؛ كانت عقولهم سليمة، وقلوبهم مطهرة فارغة. فعندما كان منهم هذا الاستعداد؛ تجلّى الحق لهم معلّمًا. فأطلعتهم تلك المشاهدة على معاني هذه الأخبار والكلمات دفعة واحدة. وهذا ضرب من ضروب المكاشفة. فإبتهم إذا عاينوا بعيون القلوب، من نزّهته العلماء، المتقدم ذكرهم، بالإدراك الفكري؛ لم يصحّ لهم، عند هذا الكشف والمعاينة، أن يجهلوا خبرا من هذه الأخبار التي توهم، ولا⁵ أن يبقوا ذلك الخبر منسجبا، على ما فيه من الاحتمالات النزوية، من غير تعيين؛ بل يعرفون الكلمة، والمعنى النزوي الذي سيقت له؛ فيقصروها على ما أريدت له. وإن جاء، في خبر آخر، ذلك اللفظ عينه؛ فله وجه آخر من تلك الوجوه المقدّسة، معيّن عند هذا المشاهد. هذا حال طائفة منا.

وطائفة أخرى، منا أيضا، ليس لهم هذا التجلّي، ولكن لهم الإلقاء والإلهام واللقاء والكتابة. وهم معصومون فيما يلقي إليهم، بعلامة عندهم لا يعرفها سواهم. فيخبرون بما خوطبوا به، وما ألهموا به، وما ألقى إليهم أو كتب. فقد تقرّر عند جميع المحقّقين؛ الذين سلّموا الخبر لقائله، ولم ينظروا ولا شبّهوا ولا عطّلوا، والمحقّقين الذين بحثوا واجتهدوا، ونظروا على طبقاتهم أيضا، والمحقّقين الذين كوشفوا وعاينوا، والمحقّقين الذين خوطبوا وألهموا؛ أنّ الحق تعالى - لا تدخل عليه تلك الأدوات المقيّدة بالتحديد والتشبيه على حدّ ما نعقله في الحدّثات؛ ولكن تدخل عليه بما فيها من معنى التنزيه والتقدّيس - على طبقات العلماء والمحقّقين في ذلك - لما (هو) فيه وتمتّضيه ذاته.

وإذا تهرّر هذا، فقد تبين أنّها: أدوات التوصيل⁶ إلى إفهام المخاطبين. وكلّ عالم على حسب فهمه فيها، وقوّة نفوذه وبصيرته. فمقيّدة التكليف هيّنة الخطب، فطّر العالم عليها. ولو بقيت المشبّهة مع ما فطّرت عليه؛ ما كفرث ولا جسّمث. وإن كان ما أرادوا التجسيم، وإنما قصدوا إثبات الوجود. لكن

1 [القرة : 282]

2 [الأفال : 29]

3 [طه : 114]

4 [الكهف : 65]

5 ص 13 ب

6 ص 14

لتصور أفهامهم؛ ما ثبت لهم إلا بهذا التخيل؛ فلهم النجاة¹.

وإذ وقد ثبت هذا عند المحققين، مع تفاضل رتبهم في درج التحقيق، فلنقل: إن الحقائق أعطت لمن وقف عليها، أن لا يتقيد وجود الحق مع وجود العالم، بقبليّة ولا معيّة، ولا بعديّة زمائيّة. فإنّ التقدّم الزماني والمكاني في حقّ الله، تربي به الحقائق في وجه القائل به على التحديد. اللهمّ إلا إن قال به من باب التوصيل، كما قاله الرسول ﷺ ونطق به الكتاب؛ إذ ليس كلّ أحد يقوى على كشف هذه الحقائق.

فلم يبق لنا أن نقول، إلا أنّ الحقّ تعالى- موجود بذاته لذاته، مطلق الوجود؛ غير مقيد بغيره، ولا معلول عن شيء، ولا علّة لشيء؛ بل هو خالق المعلولات والعلل، والمملك القدّوس الذي لم يزل. وإنّ العالم موجود بالله تعالى- لا بنفسه ولا لنفسه، مقيد الوجود بوجود الحقّ في ذاته؛ فلا يصحّ وجود العالم ألبتّة إلاّ بوجود الحقّ. وإذا انتفى الزمان عن وجود الحقّ، وعن وجود مبدأ العالم؛ فقد وجد العالم في غير زمان.

فلا نقول، من جهة ما هو الأمر عليه: إنّ الله موجود قبل العالم. إذ قد ثبت أنّ القبل من صيغ الزمان، ولا زمان. ولا أنّ العالم موجود بعد وجود الحقّ؛ إذ لا بعديّة. ولا مع وجود الحقّ؛ فإنّ الحقّ هو الذي أوجده، وهو فاعله ومختّره ولم يكن شيئاً. ولكن كما قلنا: الحقّ موجود بذاته، والعالم موجود به.

فإن سأل ذو وهم؛ متى كان وجود العالم من وجود الحقّ؟ قلنا: "متى" سؤال زماني، والزمان من عالم النسب، وهو مخلوق لله تعالى-؛ لأنّ عالم النسب له خلق التقدير لا خلق الإيجاد. فهذا سؤال باطل. فانظر كيف تسأل. فإياك أن تحجيك أدوات التوصيل عن تحقيق هذه المعاني في نفسك وتحصيلها.

فلم يبق إلاّ وجود صرف خالص، لا عن عدم؛ وهو وجود الحقّ تعالى- ووجود عن عدم عين الموجود نفسه؛ وهو وجود العالم. ولا بينيّة بين الوجودين، ولا امتداد، إلاّ التوهّم المقدّر الذي يحمله العلم، ولا يبقى منه شيئاً. ولكن وجود مطلق و(وجود) مقيد، وجود فاعل ووجود منفعل. هكذا أعطت الحقائق، والسلام.



- مسألة³

(إطلاق لفظة الاختراع على الحقّ تعالى)

سألني وارد الوقت، عن إطلاق (لفظة) الاختراع على الحقّ تعالى-. فقلت له: علم الحقّ بنفسه؛ عين علمه بالعالم؛ إذ لم يزل العالم مشهوداً له تعالى- وإن اتّصف بالعدم. ولم يكن العالم مشهوداً لنفسه؛ إذ

1 بالهامش لفظ "بلغ"

2 ص 14 ب

3 ص 15

لم يكن موجودا. وهذا يجزّ هلك فيه الناظرون الذين عدموا الكشف. وبنسبة¹ لم تنزل موجودة؛ فعلمه لم يزل موجودا. وعلمه بنفسه (هو) علمه بالعالم. فعلمه بالعالم لم يزل موجودا. فعلم العالم في حال عدمه، وأوجده على صورته في علمه. وسيأتي بيان هذا في آخر الكتاب. وهو سرّ القدر الذي خفي عن أكثر المحققين.

وعلى هذا لا يصحّ في العالم الاختراع، ولكن يطلق عليه (تعالى) الاختراع بوجه ما، لا من جهة ما تعطيه حقيقة الاختراع، فإنّ ذلك يؤدّي إلى تقصّ في الجنب الإلهي، فالاختراع لا يصحّ إلا في حقّ العبد، وذلك أنّ المخترع على الحقيقة لا يكون مخترعا إلا حتى يخترع مثال ما يريد إبرازه في الوجود، في نفسه أولا، ثمّ بعد ذلك تبرزه القوّة العمليّة إلى الوجود الحسي، على شكل ما يُعلم له مثل. ومتى لم يخترع الشيء، في نفسه أولا، وإلا فليس بمخترع حقيقة.

فإنّك إذا قدرت أنّ شخصا علمك ترتب شكل، ما ظهر في الوجود له² مثل، فعلمته، ثمّ أبرزته أنت للوجود كما علمته، فليست أنت، في نفس الأمر وعند نفسك، بمخترع له؛ وإنما المخترع له من اختراع مثاله في نفسه، ثمّ علمك، وإن نسب الناس الاختراع لك فيه، من حيث أنّهم لم يشاهدوا ذلك الشيء من غيرك. فارجع إلى ما تعرفه أنت من نفسك، ولا تلتفت إلى من لا يعلم ذلك منك. فإنّ الحقّ سبحانه - ما دبر العالم تدبير من يحصل ما ليس عنده، ولا فكّر فيه، ولا يجوز عليه ذلك، ولا اختراع في نفسه شيئا لم يكن عليه، ولا قال في نفسه: هل نعمله كذا أو كذا؟ هذا كلّ ما لا يجوز عليه. فإنّ المخترع للشيء، يأخذ أجزاء موجودة متفرّقة في الموجودات؛ فيؤلّفها في ذهنه ووهبه تأليفا لم يسبق إليه في علمه، وإن سبق فلا يبالي؛ فإنّه في ذلك بمنزلة الأوّل الذي لم يسبقه أحد إليه، كما فعله الشعراء والكتاب الفصحاء في اختراع المعاني المبتكرة.

فمّ اختراع قد سبق إليه؛ فيتخيّل السامع أنّه سرقه. فلا ينبغي للمخترع أن ينظر إلى أحد، إلا إلى ما حدث عنده خاصّة؛ إن أراد أن يلتذّ ويستمتع بلذة الاختراع. ومما نظر المخترع لأمر ما، إلى من سبقه فيه، بعد ما اخترعه، ربما هلك وتفطرت كبده. وأكثر³ العلماء بالاختراع: البلغاء والمهندسون، ومن أصحاب الصنائع: النجارون والبتّاعون. فهؤلاء أكثر الناس اختراعا، وأذكاهم فطرة، وأشدّهم تصرّفا لعقولهم. فقد صحّت حقيقة الاختراع، لمن استخرج بالفكر، ما لم يكن يعلم قبل ذلك، ولا علمه غيره بالقوّة، أو بالقوّة والفعل إن كان من العلوم التي غابتها العمل. والباري سبحانه - لم يزل عالما بالعالم أزلا، ولم يكن على حالة لم يكن فيها بالعالم غير عالم؛ فما اختراع في نفسه شيئا لم يكن يعلمه.

1 س: وضمه

2 ص 15 ب

3 ص 16

فإذ وقد ثبت عند العلماء بالله قَدَمَ علمه؛ فقد ثبت كونه مخترعا لنا بالفعل؛ لا إنه اخترع مثالنا في نفسه، الذي هو صورة علمه بنا؛ إذ كان وجودنا على حدّ ما كنا في علمه. ولو لم يكن كذلك، لخرجنا إلى الوجود على حدّ ما لم يعلمه، وما لا يعلمه لا يريد؛ وما لا يريد ولا يعلمه لا يوجد. فنكون إذن موجودين بأنفسنا أو بالاتفاق. وإذا كان هذا، فلا يصحّ وجودنا عن عدم. وقد دلّ البرهان على وجودنا عن عدم، وعلى أنه علمنا وأراد وجودنا، وأوجدنا على الصورة الثابتة في علمه بنا. ونحن معدومون في أعياننا. فلا اختراع في المثال. فلم يبق إلا الاختراع في الفعل، وهو صحيح لعدم المثال الموجود في العين. فتحقق ما ذكرناه، وقل¹ بعد ذلك ما شئت؛ فإن شئت وصفته بالاختراع وعدم المثال، وإن شئت نفيت هذا عنه نفيته، ولكن بعد وقوفك على ما أعلمتك به.

الفصل الثالث في العلم والعالم والمعلوم من الباب الثاني

العلمُ والمعلومُ والعالمُ ثلاثةٌ حكمُهُمُ واجِدٌ
وإنْ تَشَأْ أَحْكَامُهُمُ مِثْلُهُمُ ثلاثةٌ أَثْبَتَهَا الشَّاهِدُ
وضاحِبُ الغَيْبِ يَرَى واجِدًا لَيْسَ عَلَيْهِ فِي العُلَى زَائِدٌ

اعلم أيديك الله- أن العلمَ تحصيلُ القلبِ أمرًا ما، على حدِّ ما هو عليه ذلك (الأمر) في نفسه، معدوما كان ذلك الأمر أو موجودا. فالعلم هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب، والعالم هو القلب، والمعلوم هو ذلك الأمر المحصل. وتصور حقيقة العلم عسير جدًا. ولكن أتمدِّد لتحصيل العلم ما يتبين به لمن شاء الله تعالى.-

فاعلموا أن القلبَ مرآةٌ مصقولة، كلُّها وجهٌ؛ لا تصدأ أبدا. فإن أطلق يوما عليها أنها صدنت، كما قال **الطبري**: «إنَّ القلوبَ لتصدأ كما يصدأ الحديد» الحديث. وفيه «إنَّ جلاءها؛ ذكُرَ الله وتلاوةُ القرآن» - ولكن من كونه الذِّكْر الحكيم - فليس المراد بهذا الصدا أنه طَخَاءٌ² طلع على وجه القلب. ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الأسباب عن العلم بالله؛ كان تعلُّقه بغير الله صداً على وجه القلب؛ لأنه المانع من تجلِّي الحقِّ إلى هذا القلب.

لأنَّ الحضرة الإلهية متجلِّة على الدوام، لا يتصور في حقِّها حجاب عتًا. فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعي الحمود، لأنه قَبِل غيرها، عبَّر عن قبول ذلك الغير بالصدا والكيِّن والقفل والعمى والران وغير ذلك. وإلا فالحقُّ يعطيك أن العلم عنده، ولكن بغير الله في علمه. وهو بالله في نفس الأمر، عند العلماء بالله.

ومما يؤيِّد ما قلناه، قول الله تعالى:- ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِمْ³ فَكَانَتْ فِي آكِنَّةٍ مِمَّا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ خَاصَّةً، لا أَنهَا فِي "كِنَّةٍ". ولكن تعلقت بغير ما تدعى إليه؛ فعميت عن إدراك ما

1 ص 17

2 الطخاء بالمد: السحاب المرقع. ويقال أيضًا: وجدت على قلبي طخاء، وهو شبه الغم والكرب. [الصحاح]

3 [فصلت: 5]

4 "تدعون...مما" في الهامش.

دُعِيَتْ إِلَيْهِ، فَلَا تَبْصُرْ شَيْئًا.

فالقلوب، أبدأ، لم تنزل مفطورة على الجلاء، مصتولة، صافية. فكلُّ قلب تجلّت فيه الحضرة الإلهية، من حيث هي ياقوت أحمر، الذي هو التجليّ الناقبيّ، فنلك¹ قلب المشاهد، المكملّ، العالم، الذي لا أحد فوقه في تجلُّ من التجليات، ودونه تجليّ الصفات، ودونها تجليّ الأفعال، ولكن من كونها من الحضرة الإلهية. ومَن لم تتجلَّ له من كونها من الحضرة الإلهية؛ فنلك هو القلب الغافل عن الله تعالى-، المطرود من قرب الله تعالى-.

فانظر -وقفك الله- في القلب على حدّ ما ذكرناه. وانظر: هل تجعله العلم؟ فلا يصحّ. وإن قلت: (العلم هو) الصقالة الناقبية له، فلا سبيل؛ ولكن هي سبب. كما أنّ ظهور المعلوم للقلب سبب. وإن قلت: (العلم هو) السبب الذي يُحصّل المعلوم في القلب، فلا سبيل. وإن قلت: (العلم هو) المثال المنطبع في النفس من المعلوم، وهو تصوّر المعلوم، فلا سبيل.

فإن قيل لك: فما هو العلم؟ فقل: تزكّ المدرك على ما هو عليه في نفسه، إذا كان تزكّه غير ممتنع. وإمّا ما يمتنع تزكّه، فالعلم به هو لا تزكّه، كما قال الصديق: "العجز عن درك الإدراك إدراك". فجعل العلم بالله هو "لا تزكّه". فاعلم ذلك، ولكن، لا تزكّه من جهة كسب العقل كما يعلمه غيره، ولكن تزكّه من جوده وكرمه ووهبه، كما يعرفه العارفون أهل الشهود، لا من قوّة العقل من حيث نظره.

تتميم:

ولمّا ثبت أنّ العلم بأمر ما، لا يكون إلا بمعرفة قد تقدّمت قبل² هذه المعرفة بأمر آخر، تكون بين المعروفين مناسبة، لا بدّ من ذلك. وقد ثبت أنّه لا مناسبة بين الله تعالى- وبين خلقه، من جهة المناسبة التي بين الأشياء؛ وهي مناسبة الجنس أو النوع أو الشخص. فليس لنا علم متقدّم بشيء، فنذكر به ذات الحقّ، لما بينها من المناسبة.

مثال ذلك: علّمنا بطبيعة الأفلاك، التي هي طبيعة خامسة. لم نعلّمها أصلا، لولا ما سبق علّمنا بالأمّهات الأربع. فلما رأينا الأفلاك خارجة عن هذه الطبائع، بحكم ليس هو في هذه الأمّهات؛ علّمنا أنّ تمّ طبيعة خامسة، من جهة الحركة: العلوية التي في الأثير والهواء، والسفلية التي في الماء والتراب.

والمناسبة بين الأفلاك والأمّهات (هي) الجوهرية التي هي جنس جامع للكُلّ، و(هي) النوعية؛ فإنّها نوع، كما أنّ هذه نوع لجنس واحد، وكذلك (هي) الشخصية. ولو لم يكن هذا التناسب؛ لما علّمنا من الطبائع علم طبيعة الفلك.

وليس بين الباري والعالم مناسبة من هذه الوجوه. فلا يُعلم بعلم سابق بغيره أبدا، كما يزعم بعضهم،

من استدلال الشاهد على الغائب، بالعلم والإرادة والكلام وغير ذلك؛ ثم يقدّسه بعد ما قد حمله على نفسه وقاسه بها.

ثمّ إنّه بما يؤيّد ما ذهبنا إليه، من علمنا بالله تعالى، أنّ العلم يترتّب بحسب المعلوم، وينفصل¹ في ذاته بحسب انفصال المعلوم عن غيره. والشيء الذي به ينفصل المعلوم؛ إمّا أن يكون ذاتاً، كالعقل من جهة جوهريته وكالنفوس، وإمّا أن يكون ذاتاً له من جهة طبعه، كالحرارة والإحراق للنار. فكما انفصل العقل عن النفس من جهة جوهريته، كذلك انفصل الناز عن غيره بما ذكرناه. وإمّا أن ينفصل عنه بذاته، لكن بما هو محمول فيه؛ إمّا بالحال، كجلوس الجالس وكتابة الكاتب، وإمّا بالهيئة، كسواد الأسود وبياض الأبيض. وهذا حصر مدارك العقل عند العقلاء. فلا يوجد معلوم قطعاً للعقل، من حيث ما هو خارج عمّا وصفنا، إلّا بأن نعلم ما انفصل به عن غيره؛ إمّا من جهة جوهره أو طبعه أو حاله أو هيئته. ولا يدرك العقل شيئاً لا توجد فيه هذه الأشياء ألبتّة.

وهذه الأشياء لا توجد في الله تعالى. فلا يعلمه العقل أصلاً من حيث هو ناظر وباحث. وكيف يعلمه العقل من حيث نظره؟ وبرهانه الذي يستند إليه (هو) الحس، أو الضرورة، أو التجربة. والباري - تعالى - غير مدرك بهذه الأصول التي يرجع إليها العقل في برهانه. وحينئذ يصحّ له البرهان الوجودي.

فكيف يدعي العاقل؛ أنّه قد علم ربه من جهة الليل، وأنّ الباري معلوم له؟ ولو نظر إلى² المفعولات الصناعيّة، والطبيعيّة، والتكوينيّة، والابتعائيّة، والإبداعية، ورأى حمل كلّ واحد منها بفاعله؛ لعلّم أنّ الله تعالى - لا يعلم بالليل أبداً. لكن يُعلم أنّه موجود، وأنّ العالم مفتقر إليه افتقاراً ذاتياً، لا محيص له عنه ألبتّة. قال الله تعالى: ﴿هِيَ أَيْمَانُ النَّاسِ أَتَمُّ الْقُرْآنِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْخَمِيدُ﴾³.

فمن أراد أن يعرف لباب التوحيد؛ فليُنظر في الآيات الواردة في التوحيد من الكتاب العزيز، الذي وحد بها نفسه. فلا أحد أعرف من الشيء بنفسه. فليُنظر بما وصف نفسه، وتساءل الله تعالى - أن يَهْمَكَ ذلك. فستقف على علم إلهي، لا يبلغ إليه عقلٌ بفكره أبد الآباد. وسأورد من هذه الآيات، في الباب الذي يلي هذا الباب، شيئاً يسيراً.

والله يرزقنا الفهم عنه، آمين، ويجعلنا من العالمين الذين يعقلون آياته⁴.

1 ص 18 ب

2 ص 19

3 [فاطر: 15]

4 في الهامش: "بلغ لأحمد العلوي على مؤلفه أيده الله" يليه: "بلغ قراءة لمحمد الزنجاني".

الباب الثالث

في تنزيه الحق تعالى - عما في طي الكلمات
التي أطلقها عليه سبحانه - في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من التشبيه والتجسيم،
تعالى¹ الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

نظم:

في نُظَرِ العَبْدِ إِلَى رَبِّهِ	في قُدُسِ الأَيْدِي وَتَنَزِيهِهِ
وَعُلُوهِ عَنِ أَدْوَاتِ أَتَتْ	تَلَحُّقُ بِالكَيْفِ وَتَشْبِيهِهِ
دَلَالَةٌ تَحْكُمُ قَطْعاً عَلَى	مَنْزِلَةِ العَبْدِ وَتَنَوُّنِهِ
وَصِحَّةِ العِلْمِ وَإِثْبَاتِهِ	وَطَّرِحِ بِذِعْيِ وَتَقْوَمِهِ

اعلم أيديك الله - أن جميع المعلومات، علوها وسفلها، حاملها العقل الذي يأخذ عن الله تعالى - بغير واسطة. فلم يخف عنه شيء من علم الكون الأعلى والأسفل. ومن وهبه وجوده تكون معرفة النفس الأشياء، ومن تجلّبه إليها ونوره وفيضه الأقدس. فالعقل مستفيد من الحق تعالى - مفيداً للنفس. والنفس مستفيدة من العقل، وغناها يكون الفعل. وهذا سارٍ في جميع ما تعلق به علم العقل بالأشياء التي هي دونه. وإنما قيدنا بالتي هي دونه، من أجل ما ذكرناه من الإفادة. وتحفظ في نظرك من قوله تعالى: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾² وهو العالم فاعرف النسب.

واعلم أن العالم المهيم لا يستفيد من العقل الأول شيئاً، وليس له على³ المهيمين سلطان. بل هم وإياه في مرتبة واحدة، كالأفراد منا الخارجين عن حكم القطب، وإن كان القطب واحداً من الأفراد. لكن حُصِّص العقل بالإفادة، كما حُصِّص القطب من بين الأفراد، بالتولية.

وهو سارٍ في جميع ما تعلق به علم العقل، إلا علم تجريد التوحيد خاصة؛ فإنه يخالف سائر المعلومات من جميع الوجوه؛ إذ لا مناسبة بين الله تعالى - وبين خلقه ألبتة. وإن أطلقت المناسبة، يوماً ما عليه، كما أطلقها الإمام أبو حامد الغزالي في كتبه، وغيره؛ فبضرب من التكلف، ومرمى بعيد عن الحقائق. وإلا فأني نسبة بين الحدث والقديم؟ أم كيف يشبه من لا يقبل المثل من يقبل المثل؟ هذا محال، كما قال أبو

1 ص 19 ب

2 [محمد: 31]

3 ص 20

العباس بن العريف الصنهاجي¹ في "محاسن المجالس" التي تُعزى إليه: "ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأزل، وما بقي فعنى وتلبيس". وفي رواية: "فعلم" بدل من قوله "فعمى". فانظر ما أحسن هذا الكلام، وما أتم هذه المعرفة بالله، وما أقدس هذه المشاهدة، شفعه الله بما قال.

فالعلم بالله عزيز عن إدراك العقل والنفس، إلا من حيث أنه موجود تعالى وتقدس. وكل ما يُتلفظ به في حق الخلوقات²، أو يُتوهم في المركبات وغيرها؛ فالله سبحانه - في نظر العقل السليم، من حيث فكره وعصمته، بخلاف ذلك؛ لا يجوز عليه ذلك التوهم، ولا يجري عليه ذلك اللفظ عقلا من الوجه الذي تقبله الخلوقات. وإن أُطلق عليه؛ فعلى وجه التقريب على الأفهام، لثبوت الوجود عند السامع، لا لثبوت الحقيقة التي هو الحقُّ عليها؛ فإنَّ الله تعالى - يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾³.

ولكن يجب علينا شرعا، من أجل قوله تعالى - لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁴ يقول: (اعلم) من إخباري الموافق لنظرك؛ ليصحَّ لك الإيمان علما، كما صحَّ لك العلم من غير إيمان، الذي هو قبل التعريف؛ فأمره.

من أجل هذا الأمر، على نظر بعض الناس ورأيه فيه، نظرنا من أين تتوصَّل إلى معرفته؟ فنظرنا على حكم الإنصاف، وما أعطاه العقل الكامل، بعد جدِّه واجتهاده الممكن منه. فلم نصل إلى المعرفة به سبحانه، إلا بالعجز عن معرفته. لأنَّا طلبنا أن نعرفه، كما نطلب معرفة الأشياء كلها، من جهة الحقيقة التي هي المعلومات عليها. فلما عرفنا أنَّ ثمَّ موجودا ليس له مثل، ولا يُتصوَّر في الذهن، ولا يُدرَك؛ فكيف يضبطه العقل؟ هذا ما لا يجوز، مع ثبوت العلم⁵ بوجوده. فنحن نعلم أنه موجود، واحد في ألوهته، وهذا هو العلم الذي طلب متا، غير عالين بحقيقة ذاته التي يعرف سبحانه - نفسه عليها. وهو العلم بعدم العلم الذي طلب متا. لَمَّا كان تعالى - لا يشبه شيئا من الخلوقات في نظر العقل، ولا يشبهه شيء منها، وكان الواجب علينا أولا، لَمَّا قيل لنا: "فاعلموا أنه لا إله إلا الله"⁶ أن نعلم: ما العلم؟ وقد علمناه؛ فقد علمنا ما

1 أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله، (ت 536هـ) الإمام الزاهد العارف، أبو العباس بن العريف الصنهاجي الأندلسي المريني المقرئ، صاحب المقامات والإشارات... وكانت عنده مشاركة في أشياء من العلم، وعناية بالقرامات وجمع الروايات، واهتمام بطرقها وحملتها... وكان متناهما في الفضل والدين، منقطعا إلى الخير، وكان العباد والزهاد يقصدونه، وبألفونه، ويحتمون صحبته، وسمي به إلى السلطان، فأمر بإشخاصه إلى حضرته بمراكش، فوصلها، وتوفي بها... واحضل الناس بجنارته، وتدم السلطان على ما كان منه في جانبه، فظهرت له كرامات، رحمه الله. [سير أعلام النبلاء - (20 / 111)]

2 ص 20ب

3 [الشورى : 11]

4 [محمد : 19]

5 ص 21

6 يشير إلى النص القرآني: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" [محمد : 19]

يجب علينا من علم العلم أولًا.
انتهى الجزء الثامن، والمحمد لله¹.

1 في الهامش: "بلغت بقراءتي عليه، أحسن الله إليه آمين أحمد بن.... الخوري"، يليه: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف".

الجزء التاسع من الفتوحات¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

فلنقل: إنه لَمَا كانت أمهات المطالب أربعة، وهي: "هل"، و"ما"، و"كيف"، و"لِم". ف"هل" و"لِم": مطلبان روحانيان بـسـيـطـان، يصحبها "ما هو". ف"هل" و"لِم": هما الأصلان الصحيحان للبناء؛ لأنّ في "ما هو" ضربٌ من التركيب خاصّة. وليس في هذه المطالب الأربعة، مطلب ينبغي أن يُسأل به عن الله تعالى- من جهة ما تعطيه الحقيقة؛ إذ لا يصحّ أن يُعرف من علم التوحيد إلّا شيء ما يوجد فيما سِوَاة سبجانه-، ولهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾³ و﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁴. فالعلم بالسلب، هو العلم بالله سبجانه-. كما لم يُجز أن تقول في الأرواح: كيف؟ وتقدّست عن ذلك؛ لأنّ حقائقها تخالف هذه العبارة. كذلك ما ينطلق على الأرواح من الأدوات التي بها يسأل عنها لا يجوز أن تطلق على الله تعالى- ولا ينبغي للمحقّق الموحّد الذي يحترم حضرة مبدّعه ومخترعه أن يطلق عليه هذه الألفاظ، فإنّ لا يُعلم بهذه المطالب أبداً.

وَضَلَّ

(المدرک بذاته والمدرک بفعله)

ثمّ إنّنا نظرنا، أيضاً، في جميع ما سِوَى الحقّ تعالى- فوجدناه على قسمين: قسم يُدرک بذاته؛ وهو المحسوس والكثيف، وقسم⁵ يُدرک بفعله؛ وهو المعقول واللطيف. فارتفع المعقول عن المحسوس بهذه المنزلة؛ وهي التنزّه أن تُدرک ذاته، وإنّما يُدرک بفعله. ولَمَا كانت هذه أوصاف الخلقين؛ تقدّس الحقّ تعالى- عن أن يُدرک بذاته كالمحسوس، أو بفعله كاللطيف أو المعقول. لأنّه سبجانه- ليس بينه وبين خلقه مناسبة أصلاً؛ لأنّ ذاته غيرُ مدرّكة لنا فتشبه المحسوس، ولا فعلها كفعل اللطيف فيشبه اللطيف. لأنّ فعل الحقّ تعالى- إبداعُ الشيء لا من شيء، واللطيف الروحاني فعلُ الشيء من الأشياء. فأيّ مناسبة بينهما؟ فإذا امتنعت المشابهة في الفعل، فأحرى أن تُمتنع المشابهة في الذات.

وإن شئت أن تحقّق شيئاً من هذا الفصل، فانظر إلى مفعول هذا الفعل على حسب أصناف المفعولات، مثل المفعول الصناعي؛ كالقميص والكرسيّ. فوجدناه لا يعرف صانعه، إلّا أنّه يدلّ بنفسه على وجود صانعه، وعلى علمه بصنّعه. وكذلك المفعول التكوينيّ، الذي هو الفلك والكواكب، لا يعرفون

1 العنوان في ص 21 ب

2 البسطة ص 22

3 [الشورى : 11]

4 [الصفّات : 180]

5 ص 22 ب

مكوّنهم، ولا المركّب لهم؛ وهو النفس الكلّية المحيطة بهم. وكذلك المفعول الطبيعي؛ كالموالد¹ من المعادن والنبات والحيوان، الذين يفعلون طبيعة من المفعول التكويني²، ليس لهم وقوف على الفاعل لهم الذي هو الفلك والكواكب.

فليس العلم بالأفلاك؛ ما تراه من جرمها وما يدركه الحسّ منها. وأين جزم الشمس في نفسها منها في عين الرائي لها متاً؟ وإنما العلم بالأفلاك من جهة روحها ومعناها الذي أوجده الله تعالى - لها عن النفس الكلّية المحيطة، التي هي سبب الأفلاك وما فيها.

وكذلك المفعول الانبعاثي، الذي هو النفس الكلّية، المنبعثة من العقل انبعاث الصورة الدّحيّة³ من الحقيقة الجبرئيلية. فإنّها لا تعرف الذي انبعثت عنه أصلاً، لأنّها تحت حيطته، وهو المحيط بها لأنّها خاطر من خواطره. فكيف تعلم ما هو فوقها، وما ليس فيها منه إلا ما فيها؟ فلا تعلم منه إلا ما هي عليه. فنفسها غلقت، لا سببها.

وكذلك المفعول الإبداعي، الذي هو الحقيقة الحمدية عندنا، والعقل الأوّل عند غيرنا. وهو القلم الأعلى الذي أبدعه الله تعالى - من غير شيء، هو أعجز وأمنع عن إدراك فاعله من كلّ مفعول تقدّم ذكره. إذ بين كلّ مفعول وفاعل، مما تقدّم ذكره، ضرب من ضروب المناسبة والمشاكلة؛ فلا بدّ أن يعلم منه قدر ما بينها من المناسبة؛ إمّا من جهة الجوهرية أو⁴ غير ذلك. ولا مناسبة بين المبدع الأوّل والحقّ تعالى - فهو أعجز عن معرفته بفاعله من غيره من مفعولي الأسباب. إذ وقد عجز المفعول الذي يشبهه سببه الفاعل له من وجوه، عن إدراكه والعلم به. فافهم هذا وتحقّقه؛ فإنّه نافع جدّاً في باب التوحيد، والعجز عن تعلق العلم المحدث بالله تعالى -.

وَضَلَّ

(إدراك المعلومات بالقوى الخمس)

يؤيد ما ذكرناه؛ أنّ الإنسان إنما يدرك المعلومات كلّها بإحدى القوى الخمس⁵: القوّة الحسّيّة وهي على خمس: الشمّ والطعم واللمس والسمع والبصر. فالبصر يدرك الألوان والمتلوّنات والأشخاص على حدّ معلوم

1 الموالد: المواليد

2 ص 23

3 نسبة إلى دحية الكلبي، وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الحزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي. صحابي مشهور أول مشاهدته الخندق وقيل أحد ولم يشهد بدرًا وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته جاء ذلك من حديث أم سلمة ومن حديث عائشة. وروى النسائي بإسناد صحيح عن يحيى بن معمر عن بن عمر رضي الله عنهما: كان جبرائيل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي. وروى الطبراني من حديث عفير بن معدان عن قتادة عن أنس - أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي" وكان دحية رجلاً جميلاً. [الإصابة في معرفة الصحابة - (1 / 328)]

4 ص 23 ب

5 ق: الخمسة

من القرب والبعد. فالذي يدرك منه على ميل غير الذي يدرك منه على ميلين، والذي يدرك منه على عشرين باعاً غير الذي يدرك منه على ميل، والذي يدرك منه ويده في يده يقابله غير الذي يدرك منه على عشرين باعاً. فالذي يدرك منه على ميلين شخصاً، لا يدري هل هو إنسان أو شجرة؟ وعلى ميل، يعرف أنه إنسان، وعلى عشرين باعاً (يعرف) أنه أبيض أو أسود، وعلى المقابلة (يعرف) أنه أزرق أو أحمر. وهكذا سائر الحواس في مداركها من القرب والبعد¹.

والباري سبحانه - ليس بمحسوس؛ أي ليس بمدرك بالحس عندنا، في وقت طلبنا المعرفة به؛ فلم نعلمه من طريق الحس.

وأما القوة الخيالية؛ فإنها لا تضبط إلا ما أعطاه الحس؛ إما على صورة ما أعطاه، وإما على صورة ما أعطاه الفكر من تخله بعض المحسوسات على بعض. وإلى هنا انتهت طريقة أهل الفكر في معرفة الحق. فهو لسانهم ليس لساننا. وإن كان حقاً، ولكن نسبه إليهم؛ فإنه ثقل عنهم. فلم تبرح هذه القوة، كيفما كان إدراكها، عن الحس البتة. وقد بطل تعلق الحس بالله عندنا؛ فقد بطل تعلق الخيال به.

وأما القوة المفكرة؛ فلا يفكر الإنسان أبداً إلا في أشياء موجودة عنده، تلقاها من جهة الحواس وأوائل العقل. ومن الفكر فيها في خزنة الخيال، يحصل له علم بأمر آخر بينه وبين هذه الأشياء التي فكر فيها مناسبة. ولا مناسبة بين الله وبين خلقه؛ فإذاً لا يصح العلم به من جهة الفكر. ولهذا منعت العلماء من الفكر في ذات الله تعالى.

وأما القوة العقلية؛ فلا يصح أن يدرك العقل. فإن العقل لا يقبل إلا ما علمه بديهية، أو ما أعطاه الفكر. وقد بطل إدراك الفكر له²؛ فقد بطل إدراك العقل له من طريق الفكر. ولكن بما هو عقل، إنما حده أن يعقل ويضبط ما حصل عنده. فقد يهبه الحق المعرفة به؛ فيعقلها لأنه عقل، لا من طريق الفكر. هذا ما لا نمنعه. فإن هذه المعرفة التي يهبها الحق تعالى - لمن يشاء من عباده، لا يستقل العقل بإدراكها، ولكن يقبلها؛ فلا يقوم عليها دليل ولا برهان؛ لأنها وراء طور مدارك العقل.

ثم هذه الأوصاف الناتية، لا تمكن العبارة عنها؛ لأنها خارجة عن التمثيل والقياس فإنه (لأنيس كَيْثْلِهِ شَيْءٌ)³. فكل عقل لم يكشف له من هذه المعرفة شيء، يسأل عقلاً آخر قد كشف له منها. (و) ليس في قوة ذلك العقل المستول العبارة عنها، ولا يمكن. ولذلك قال الصديق: "العجز عن درك الإدراك إدراك". ولهذا الكلام مرتين، فافهم. فمن طلب الله بعقله من طريق فكره ونظره فهو تائه، وإنما حسبه التيهو لقبول ما يهبه الله من ذلك، فافهم.

1 ص 24

2 ص 24 ب

3 [الشورى : 11]

وأما القوّة الناكرة؛ فلا سبيل أن تدرك العلم بالله؛ فإنّها إنّما تذكر ما كان العقل، قبْلُ، عِلْمُه ثمّ غفل أو نسي. وهو لم يعلمه. فلا سبيل للقوّة الناكرة إليه.

وانحصرت مدارك الإنسان، بما هو إنسان وما تعطيه ذاته وله¹ فيه كسب. وما بقي إلاّ تهيؤُ العقل لقبول ما يهبه الحقّ من معرفته جلّ وتعالى. فلا يعرف أبداً من جملة الليل، إلاّ معرفة الوجود، وأنّه الواحد المعبود لا غير. فإنّ الإنسان المدرك لا يتمكّن له أن يدرك شيئاً أبداً إلاّ ومثله موجود فيه، ولولا ذلك ما أدركه ألْبَتّة، ولا عرفه. فإذا لم يعرف شيئاً إلاّ وفيه مثل ذلك الشيء المعروف؛ فما عرف إلاّ ما يشبهه ويشاكله. والباري تعالى- لا يشبه شيئاً، ولا في شيء مثله؛ فلا يُعرف أبداً.

وما يؤيّد ما ذكرناه؛ أنّ الأشياء الطبيعيّة لا تقبل الغذاء إلاّ من مُشاكلها؛ فأما ما لا يُشاكلها فلا تقبل الغذاء منه قطعاً. مثال ذلك: أنّ الموالّد، من المعادن والنبات والحيوان؛ مركّبة من الطبائع الأربع، والموالّد لا تقبل الغذاء إلاّ منها؛ وذلك لأنّ فيها نصيباً منها. ولو رام أحد من الخلق على أن يجعل غذاء جسمه المركّب من هذه الطبائع، من شيء كائن عن غير هذه الطبائع، أو ما تركّب عنها، لم يستطع.

فكما لا يمكن لشيء من الأجسام الطبيعيّة أن تقبل غذاء إلاّ من شيء هو من الطبائع التي هي منها، كذلك لا يمكن لأحد أن يعلم شيئاً ليس فيه مثله ألْبَتّة. ألا ترى النفس لا تقبل من العقل إلاّ ما تشاركه فيه وتشاكله، وما لم تشاركه فيه² لا تعلمه منه أبداً؟ وليس من الله في أحد شيء، ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه؛ فلا يعرفه أحد من نفسه وفكره. قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإنّ الملائ الأعلی يطلبونه كما يطلبونه أتم» فأخبر ﷺ بأنّ العقل لم يدركه بفكره، ولا بعين بصيرته، كما لم يدركه البصر. وهذا هو الذي أشرنا إليه فيما تقدّم من بابنا. فللّه الحمد على ما أهدى، وأنّ علّمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله عظيماً.

هكذا فليكن التنزيه، ونفي المماثلة والتشبيه. وما ضلّ من ضلّ من المشبّهة إلاّ بالتأويل، وحمل ما وردت به الآيات والأخبار، على ما يسبق منها إلى الأفهام، من غير نظر فيما يجب لله تعالى- من التنزيه. فقادم ذلك إلى الجهل المحض والكفر الصراح. ولو طلبوا السلامة، وتركوا الأخبار والآيات على ما جاءت، من غير عدول منهم فيها إلى شيء ألْبَتّة، ويكفون علم ذلك إلى الله تعالى- ولرسوله، ويقولون: لا ندرى. وكان يكفيهم قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾³.

فتى جاءهم حديث فيه تشبيه، فقد أشبه الله شيئاً، وهو قد نفى التشبه عن نفسه سبحانه. فما بقي إلاّ أنّ ذلك الخبر له وجه من⁴ وجوه التنزيه، يعرفه الله تعالى- وحيء به لفهم العربي الذي نزل

1 ص 24a

2 ص 24b

3 [الشورى : 11]

4 ص 25

القرآن بلسانه.

وما تجد لفظه، في خبر ولا آية، جملة واحدة، تكون نصّاً في التشبيه أبداً. وإنما تجدها عند العرب تحمل وجوها: منها ما يؤدّي إلى التشبيه، ومنها ما يؤدّي إلى التنزيه. فَحَفَلُ التَّأْوَلِ ذَلِكَ اللَّفْظُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُوَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ؛ جَوِّزَ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ اللَّفْظِ؛ إِذْ لَمْ يُوَفِّ حَقَّهُ بِمَا يَعْطِيهِ وَضَعَهُ فِي اللِّسَانِ، وَتَعَدُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛- حَيْثُ حَمَلَ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ- مَا لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى-. وَنَحْنُ نُوْرِدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى- بَعْضَ أَحَادِيثِ وَرَدَتْ فِي التَّشْبِيهِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَصٍّ فِيهِ ﴿قَلِّلَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَذَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾¹. فَمِنْ ذَلِكَ: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ». نَظَرَ الْعَقْلُ بِمَا يَتَّقْضِيهِ الْوَضْعُ مِنَ الْحَقِيقَةِ وَالْجَازِ: الْجَارِحَةُ تَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى-، الْإِصْبَعُ لَفْظٌ مُشْتَرِكٌ؛ يُطْلَقُ عَلَى الْجَارِحَةِ وَيُطْلَقُ عَلَى النِّعْمَةِ. قَالَ الرَّاعِي²:

ضَبِيفُ الْقَصَا بَادِي الْغُرُوقِ تَرَى لَهُ
عَلَيْهَا إِذَا مَا أَمَخَلَ النَّاسُ إِضْبَعَا

يقول³: ترى له عليها أثرا حسنا من النعمة، بحسن النظر عليها. تقول العرب: ما أحسن إصبع فلان على ماله، أي أثره فيه. تريد به نمو ماله لحسن تصرفه فيه.

أسرعُ التقليل، ما قلبته الأصابع؛ لصغر حجمها، وكبالم القدرة فيها. فحركتها أسرع من حركة اليد وغيره. ولَمَّا كَانَ تَقْلِيْبُ اللَّهِ قُلُوبَ الْعِبَادِ أَسْرَعَ شَيْءٍ؛ أَفْصَحَ لِلْعَرَبِ فِي دَعَائِهِ بِمَا تَعَقَّلَ. وَلِأَنَّ التَّقْلِيْبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْيَدِ عِنْدَنَا، فَلِذَلِكَ جَعَلَ التَّقْلِيْبَ بِالأَصَابِعِ، لِأَنَّ الأَصَابِعَ مِنَ الْيَدِ فِي الْيَدِ، وَالسَّرْعَةُ فِي الأَصَابِعِ أَمْكَنُ. فَكَانَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». وَتَقْلِيْبُ اللَّهِ تَعَالَى- الْقُلُوبَ؛ هُوَ مَا يَخْلُقُ فِيهَا مِنَ الْحَمِّ بِالْحَسَنِ وَالْحَمِّ بِالسُّوْءِ. فَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ يَحْسُ بِتَرَادُفِ الْخَوَاطِرِ الْمُتَعَارِضَةِ عَلَيْهِ فِي قَلْبِهِ، الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ تَقْلِيْبِ الْحَقِّ الْقَلْبَ، وَهَذَا لَا يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ بِدَفْعِ عِلْمِهِ عَنِ نَفْسِهِ؛ لِئِنَّكَ كَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

وفي هذا الحديث، أنّ إحدى أزواجه قالت له: «أو تخاف يا رسول الله؟» فقال ﷺ: «قلب المؤمن» وفي رواية: «وما يؤمنني وقلب المؤمن⁴ بين إصبعين من أصابع الله» يشير ﷺ إلى سرعة التقليل⁵ من الإيمان إلى الكفر وما تحتها. قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾⁶ وهذا الإلهام هو

1 [الأنعام : 149]

2 الراعي النميري (ت 90هـ) من فحول الشعراء المحدثين. كان من جلة قومه. عاصر جريرا والفرزدق، وكان يفضل الفرزدق؛ فهجاه جرير هجاء مزا. وهو من أصحاب الملحقات. (الموسوعة الشعرية)

3 ص 25 ب

4 "وفي رواية...المؤمن" مشتبة بالهامش بقلم الأصل.

5 ص 26

6 [الشمس : 8]

التقليب. والأصابع للسرعة. والاثني عشر لها: خاطر الحسن و خاطر القبيح.
 فإذا فهم من الأصابع ما ذكرته، وفهمت منه الجارحة، وفهمت منه النعمة والأثر الحسن؛ فبأي وجه
 تلحقه بالجارحة، وهذه الوجوه المنزهة تطلبه؟ فإما نسكت، وتكلّم علم ذلك إلى الله تعالى، وإلى من
 عرفه الحق ذلك؛ من رسول مرسل، أو وليّ ملهم، بشرط نفي الجارحة ولا بدّ. وإما إن أدركنا فضول،
 وغلب علينا، إلا أن نردّ بذلك على بدعيّ مجسم مشبه خليس بفضول؛ بل يجب على العالم، عند ذلك،
 تبين ما في ذلك اللفظ من وجوه التنزيه؛ حتى يدحض به حجّة الجسم الخدول. تاب الله علينا وعليه
 وورقه الإسلام. فإن تكلمنا على تلك الكلمة التي توهم التشبيه ولا بدّ، فالعدول بشرحها إلى الوجه الذي
 يليق بالله سبحانه - أولى. هذا حظّ العقل في الوضع.

* * *

نقش روح في روع (الإصبعان سرُّ الكمال الناقئ)

الإصبعان: سرُّ الكمال الناقئ، الذي إذا انكشف إلى الأبصار يوم القيامة؛ يأخذ الإنسان أباه، إذا
 كان كافراً، ويرمي به في النار، ولا يجد لذلك ألماً، ولا عليه شفقة، بسرّ هذين الإصبعين المتحد معناها،
 المثني لفظها. خلقت الجنة والنار، وظهر اسم المنور والمظلم، والمنعم والمنقم. فلا تختلها اثنين من عشرة.
 ولا بدّ من الإشارة إلى هذا السرّ، في هذا الباب، في (حديث) «كلتا يديه يمين»، وهذه معرفة
 الكشف. فإن لأهل الجنة نعيمين: نعيماً بالجنة، ونعيماً بعذاب أهل النار في النار. وكذلك أهل النار لهم
 عذابان. وكلا الفريقين يرون الله رؤية الأسماء، كما كانوا في الدنيا سواء. وفي القبضتين اللتين جاءتا عن
 الرسول ﷺ في حقّ الحقّ، سرّ ما أشرنا إليه، ومعناه. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

* * *

القبضة واليمين

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ... وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾³.

نظر العقل بما يقتضيه الوضع:

منع أولاً سبحانه - أن يقدر قدره، لما يسبق إلى العقول الضعيفة من التشبيه والتجسيم، عند ورود
 الآيات والأخبار التي تعطي من وجه ما من وجوهها ذلك. ثم قال بعد هذا التنزيه الذي لا يعقله إلا

1 ص 26 ب

2 [الأحزاب: 4]

3 [الزمر: 67]

العالمون: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾¹.

عرفنا² من وضع اللسان العربي؛ أن يقال: "فلان في قبضتي" يريد أنه تحت حكمي، وإن كان ليس في يدي منه شيء ألبتة، ولكن أمري فيه ماضٍ، وحكمي عليه قاضٍ، مثل حكمي على ما ملكته يدي حساً وقبضت عليه. وكذلك أقول: مالي في قبضتي؛ أي في ملكي، وإني متمكن في التصرف فيه؛ أي لا يمنع نفسه مني. فإذا صرفته، ففي وقت تصرفي فيه كان أمكن لي أن أقول: هو في قبضتي؛ لتصرفي فيه، وإن كان عبيدي هم المتصرفون فيه عن إذني.

فلما استحالت الجارحة على الله تعالى، عدل العقل إلى روح القبضة ومعناها وفائدتها: وهو ملك ما قبضت عليه في الحال، وإن لم يكن لها، أعني للقباض فيما قبض عليه شيء، ولكن هو في ملك القبضة قطعاً. فهكذا العالم في قبضة الحق تعالى. والأرض، في النار الآخرة، تعيين بعض الأملاك، كما تقول: "خادي في قبضتي" وإن كان خادي من جملة من في قبضتي، فإنما ذكرته اختصاصاً لوقوع نازلة ما. واليمين، عندنا، محل التصريف المطلق القوي. فإن اليسار لا يقوى قوة اليمين. فكنت باليمين عن التمكن من الشيء. فهي إشارة إلى تمكن القدرة من الفعل. فوصل إلى أفهام العرب بألفاظ تعرفها⁴، وتسرع بالتلقي لها. قال الشاعر⁵:

إِذَا مَا رَايَةَ رُفَعْتَ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

وليس للمجد راية محسوسة، فلا تتلقاها جارحة يمين. فكأنه يقول: لو ظهر للمجد راية محسوسة، لما كان محلها أو حاملها، إلا يمين عرابة الأوس⁶. أي صفة الجد به قائمة، وفيه كاملة. فلم تنزل العرب تطلق ألفاظ الجوارح على ما لا يقبل الجارحة، لاشتراك بينهما من طريق المعنى.

1 [الزمر: 67]

2 ص 27

3 ثابت في الهامش بخط الأصل.

4 ص 27 ب

5 الشاعر هو: الشياخ الذيباني (ت 22هـ) شاعر محضرم، وهو من طبقة لبيد والنابغة. كان شديد متون الشعر، جمع بعض شعره في ديوان. شهد القادسية، وتوفي في غزوة موخان. (الموسوعة الشعرية).

6 عرابة بن أوس، من بني مالك بن أوس، كان أبوه من كبار المناقبين، أحد القائلين: "إن بيوتنا عورة وما هي بعورة" وذكر ابن إسحاق والواقدي أن عرابة بن أوس استصغره رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فرده في تسعة فرس منهم: عبد الله بن عمرو. وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب وعرابة بن أوس وأبو سعيد الخدري. كان عرابة سيناً من سادات قومه كرمياً. ذكر المبرد وابن قتيبة أن الشياخ خرج يريد المدينة فلقبه عرابة بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي وكان معه بعيران فأقرهما له عرابة تمرًا ويزًا، وكساه وأكرمه فخرج عن المدينة وامتدحه بالتصيد التي يقول فيها:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

إذا بلغتي وحملت رحلي عرابة فاشركي بدم الوتين [الاستيعاب في معرفة الأصحاب - (1 / 383)]

نَفْتُ رُوحٍ فِي رُوعٍ

إذا تجلَّى الحقُّ لسرِّ عبدٍ مُلكه جميع الأسرار، وألقته بالأحرار، وكان له التصرف الذاتي من جهة اليمين. فإنَّ شرف الشمال بغيره، وشرف اليمين بذاته. ثمَّ أنزل: شرف اليمين بالخطاب، وشرف الشمال بالتجلي. شرف الإنسان بمعرفته بحقيقته وإطلاعه عليها وهو اليسار، وكلتا يديه من حيث هو شمال، كما أنَّ كلتا يدي الحقِّ يمين.

أرجعُ إلى معنى الاتحاد: كلتا يدي العبد يمين. أرجع إلى التوحيد: إحدى يديه يمين والأخرى شمال.

فتارة آكون في الجمع وجمع الجمع، وتارة آكون في الفرق وفي فَرْق الفَرْق؛ على حكم التجلي والوارد:

يَوْمًا¹ يَمَانٍ إِذَا لَأَقَيْتُ ذَا يَمَنِ وَإِنْ لَأَقَيْتُ مَعَدِّيَا فَعَدْنَانِي²

* * *

ومن ذلك: "المتعجب، والضحك، والفرح، والغضب"

المتعجب إنما يقع من موجود لا يعلم ذلك المتعجب منه، ثمَّ يعلمه؛ فيتعجب منه، ويلحق به الضحك. وهذا محال على الله تعالى- فإنه ما خرج شيء عن علمه. فمتى وقع في الوجود شيء يمكن التعجب منه عندنا؛ حُمل ذلك التعجب والضحك على من لا يجوز عليه التعجب ولا الضحك. لأنَّ الأمر الواقع متعجب منه عندنا؛ كالشباب ليست له صبوة. فهذا أمر يُتعجب منه. فحلَّ عند الله تعالى- محلَّ ما يُتعجب منه عندنا.

وقد يخرج الضحك والفرح إلى القبول والرضا. فإنَّ مَنْ فعلتْ له فعلا، أظهر لك من أجله الضحك والفرح؛ فقد قبل ذلك الفعل ورضي به. فضحكك وفرحه تعالى- قبوله ورضاه عنا. كما أنَّ غضبه تعالى- منزه عن غليان دم القلب طلبا للانتصار، لأنَّه سبحانه- يتقدَّس عن الجسميّة والعرض. فذلك قد يرجع إلى أن يفعل فعل من غضب، ممن يجوز عليه الغضب؛ وهو انتقامه سبحانه- من الجبارين، والمخالفين لأمره، والمتعدّين حدوده. قال تعالى:- ﴿وَوَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾³ أي⁴ جازاه جزاء المغضوب عليه؛ فالجازي يكون غضابا. فظهور الفعل أطلق الاسم.

* * *

1 ص 28

2 من قصيدة لعمران بن حطان السدوسي الخارجي (ت 84هـ)، من أهل البصرة. وكان في بداية أمره من رجال العلم والحديث، روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه. ثم لحق بالشراسة. طلبه الحجاج ثم الخليفة عبد الملك بن مروان.. ففر منهم متنقلا حتى لجأ أخيرا إلى قوم من الأزد في عمان، ومات عندهم أباضيا. كان شاعرا مقلدا مكثرا. (الموسوعة الشعرية)

3 [المائدة: 60]

4 ص 28ب

التبشيش

من باب الفرح: ورد في الخبر: «إِنَّ اللهَ يَتَبَشِّشُ لِلرَّجُلِ يَوْطِئُ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ» الحديث. لَمَّا حَجَبَ الْعَالَمَ بِالْأَكْوَانِ، وَاشْتَغَلُوا بِغَيْرِ اللَّهِ عَنِ اللَّهِ، فَصَارُوا بِهَذَا الْفِعْلِ فِي حَالِ غِيْبَةٍ عَنِ اللَّهِ؛ فَلَمَّا وَرَدُوا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ - بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحُضُورِ؛ أَسَدَلَ إِلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ - فِي قُلُوبِهِمْ، مِنْ لَذَّةِ نَعِيمِ مُحَاضَرَتِهِ وَمَنَاجَاتِهِ وَمَشَاهِدَتِهِ، مَا تَحْتَبُّ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ. فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «جَبُّوا اللَّهَ لَمَّا يَغْدُوكُمْ بِهِ مِنْ نَعْمِهِ» فَكُنِيَ بِالتَّبَشِيشِ عَنِ هَذَا الْفِعْلِ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ إِظْهَارُ سُرُورِ بَقْدُومِكُمْ عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ مِنْ يُسْرُ - بِقُدُومِكُمْ عَلَيْهِ، فَعَلَامَةٌ سُرُورِهِ إِظْهَارُ الْبَرِّ بِجَانِبِكِ وَالتَّحَبُّبِ، وَإِرْسَالُ مَا عِنْدَهُ مِنْ نَعْمٍ عَلَيْكَ. فَلَمَّا ظَهَرَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مِنْ اللَّهِ إِلَى الْعَبِيدِ النَّازِلِينَ بِهِ، سَمَّاهُ تَبَشِيشًا.

* * *

النسيان

قال الله تعالى:- ﴿فَنَسِيَهُمْ¹﴾. الباري² تعالى- لا يجوز عليه النسيان. ولكنّه تعالى- لَمَّا عَذَّبَهُمْ عَذَابَ الْأَبَدِ، وَلَمْ تَنْلَمْ رَحْمَتَهُ تَعَالَى- صَارُوا كَأَنَّهُمْ مَنْسِيُونَ عِنْدَهُ، وَهُوَ كَأَنَّهُ نَاسٍ لِهِمْ. أَي هَذَا فِعْلُ النَّاسِي، وَمَنْ لَا يَتَذَكَّرُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ. وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ، فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، نَسُوا اللَّهَ، فَجَازَاهُمْ بِفِعْلِهِمْ؛ ففعلهم أعاده عليهم للمناسبة.

وقد يكون "نَسِيَهُمْ": أَخْرَمَهُمْ، ﴿نَسُوا اللَّهَ³﴾ أَي أَخْرَأُوا أَمْرَ اللَّهِ فَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ. أَخْرَمَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ، حِينَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَنْ أَدْخَلَهُ فِيهَا مِنْ غَيْرِهِمْ. وَيَقْرَبُ مِنْ هَذَا الْبَابِ اتِّصَافُ الْحَقِّ بِالْمَكْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالسَّخَرِيَّةِ. قَالَ تَعَالَى:- ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ⁴﴾ وَقَالَ: ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ⁵﴾ وَقَالَ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ⁶﴾.

* * *

النفس

قال ﷺ: «لَا تَسْبُوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ». وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنِّي لِأَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ يَأْتِينِي مِنْ قَبْلِ الْهَيْمِ». وَهَذَا كَلَّمَهُ مِنَ التَّنْفِيسِ. كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَسْبُوا الرِّيحَ؛ فَإِنَّهَا مِمَّا يُنْفَسُ بِهَا الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ. وَقَالَ ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصُّبَا» وَكَذَلِكَ يَقُولُ: «إِنِّي لِأَجِدُ نَفْسَ» أَي تَنْفِيسَ «الرَّحْمَنِ» عَنِّي، لِلْكَرْبِ الَّذِي كَانَ

1 [التوبة : 67]

2 ص 29

3 [التوبة : 67]

4 [التوبة : 79]

5 [آل عمران : 54]

6 [البقرة : 15]

فيه من تكذيب قومه إياه، وردّهم¹ أمر الله، «من قِبَلِ الْيَمِينِ»؛ فكان الأنصار: نفَس الله بهم عن نبيّه ﷺ ما كان أكرهه من المكذّبين. فإنّ الله تعالى- منزّه عن النفس، الذي هو الهواء الخارج من المتنفّس، تعالى الله عما نسب إليه الظالمون من ذلك علواً كبيراً.

* * *

الصورة

تطلق على الأمر، وعلى المعلوم عند الناس، وعلى غير ذلك. ورد في الحديث إضافة الصورة إلى الله، في الصحيح وغيره، مثل حديث عكرمة. قال ﷺ: «رأيت ربّي في صورة شاب» الحديث. هذا حالّ من النبيّ ﷺ. وهو في كلام العرب معلوم متعارف. وكذلك قوله ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته».

إعلم أنّ المثليّة، الواردة في القرآن، لغويّة لا عقليّة؛ لأنّ المثليّة العقليّة تستحيل على الله تعالى-. زيد الأسد شدّة، زيد زهير شعراً. إذا وصفت موجوداً بصفة أو صفتين، ثمّ وصفت غيره بتلك الصفة، وإن كان بينها تباين من جهة حقائق آخر، ولكنها مشتركان في روح تلك الصفة ومعناها؛ فكلّ واحد منها على صورة الآخر² في تلك الصفة خاصة. فافهم وتنبّه.

وانظر كونك دليلاً عليه سبحانه- وهل وصفته بصفة كمال إلا منك؟ فتفظّن. فإذا دخلت من باب التعرية عن المناظرة، سلبت النقائص التي تجوز عليك، عنه، وإن كانت لم تقم قطّ به. ولكنّ الجسم والمشبّه لما أضافها إليه، سلبت أنت تلك الإضافة. ولو لم يتوهم هذا؛ لما فعلت شيئاً من هذا السلب، فأعلم. وإن كان للصورة هنا مداخل كثيرة، أضربنا عن ذكرها، رغبة فيما قصدناه في هذا الكتاب من حذف التطويل. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

* * *

الذراع

ورد في الخبر عن النبيّ ﷺ: «إنّ ضرس الكافر في النار مثل أحد، وكثافة جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار». هذه إضافة تشريف مقدار جملة الله تعالى- أضافه إليه. كما تقول: هذا الشيء كذا وكذا ذراعاً بذراع الملك، تريد الذراع الأكبر الذي جعله الملك، وإن كان، مثلاً، ذراع الملك، الذي هو الجارحة، مثل

1 ص 29

2 ص 30

3 [الأحزاب: 4]

أذرع الناس. والذراع الذي جعله مقدارا، يزيد على ذراع الجارحة¹ بنصفه أو مثله. فليس هو إذْن ذراعه على حقيقته، وإنما هو مقدارٌ نصّبته، ثم أضيف إلى جاعله. فاعلم. والجبار في اللسان: الملك العظيم.

(القدم)

وهكذا القَدَم. «يضع الجبّار فيها قدمه». القدم: الجارحة. ويقال: لفلان في هذا الأمر قَدَم، أي ثبوت. والقَدَمُ جماعة من الخلق. فتكون القدم إضافة. وقد يكون الجبّار ملكا، وتكون هذه القدم لهذا الملك، إذ الجارحة تستحيل على الله تعالى وجلّ.

والاستواء، أيضا، ينطلق على الاستقرار والقصد والاستيلاء. والاستقرار من صفات الأجسام، فلا يجوز على الله تعالى - إلا إذا كان على وجه الثبوت. والقصد هو الإرادة، وهي من صفات الكمال. قال: ﴿لَمَّا اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ² أَي قَصْدًا، وَاسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ³ أَي اسْتَوَى:

قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ⁴

والأخبار والآيات كثيرة، منها صحيح وسقيم. وما منها خبرٌ إلا وله وجه من وجوه التنزيه. وإن أردت أن يقرب ذلك عليك، فاعمد إلى اللفظة التي توهم التشبيه، وخذ فائدتها وروحها، أو ما يكون عنها، فأجعله في حق الحق؛ تفز⁵ بدرجة التنزيه، حين حاز غيرك درك التشبيه. فهكذا فافعل، وطهر ثوبك. ويكفي هذا القدر من هذه الأخبار، فقد طال الباب.

نَفَثَ الرُّوحَ الْأَقْدَسَ فِي الرُّوْعِ الْأَنْفُسِ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَلْفَاظِ

لَمَّا تَعَجَّبَ الْمُتَعَجِّبُ مِنْ خُرُوجِ عَلَى صُورَتِهِ، وَخَالَفَهُ فِي سَرِيرَتِهِ؛ فَفَرِحَ بِوُجُودِهِ، وَضَحِكَ مِنْ شَهْوَدِهِ، وَغَضِبَ لِتَوَلِّيهِ، وَتَشَبَّشَ لِتَدَلِّيهِ، وَنَسِيَ - ظَاهِرَهُ، وَتَنَفَّسَ فَأَطْلَقَ مَوَآخِرَهُ، وَثَبَّتَ عَلَى مُلْكِهِ، وَتَحَكَّمَ بِالتَّقْدِيرِ عَلَى مُلْكِهِ؛ فَكَانَ مَا أَرَادَ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَعَادِ.

فهذه أرواح مجرّدة، تنتظرها أشباح مسنّدة. فإذا بلغ الميقات، وانقضت الأوقات، ومارت السماء، وكوّرت الشمس، وبُدِّلَت الأرض، وانكدرت النجوم، وانتقلت الأمور، وظهرت الآخرة، وحشر الإنسان

1 ص 30 ب

2 [البقرة: 29]

3 [الأعراف: 54]

4 نسب المرزوقي في كتابه "الأزمنة والأمكنة" هنا البيت لبعيث وكانت بمناسبة تولية بشر بن مروان العراق.

5 ص 31

وغيره في الحافرة؛ حينئذ تُحْمَدُ الأشباح، وتمنّس الأرواح، ويتجلّى الفتحاح، ويتقدّ المصباح، وتشتعّشع الراح، ويظهر الودّ الصُّراح، ويَزُول الإلحاح، ويرفرف الجناح، ويكون الابطنا بالصُّراح¹، من أوّل الليل إلى الإصباح. فما أسناها من منزلة، وما أشهاها إلى النفوس من حالة مكَمَلَة؛ متعنا الله بها².

1 الصُّراح، بالضم: بيت في السماء مُقابل الكعبة في الأرض؛ قيل: هو البيت المعمور؛ عن ابن عباس. وفي الحديث: الصُّراح بيت في السماء جبال الكعبة. [لسان العرب].
2 بالهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف أيده الله".

الباب¹ الرابع

في سبب بُدءِ العالم ومراتب الأسماء الحسنى من العالم كله

في سببِ البُدءِ وأحكامِهِ وَغَايَةِ الصُّنْعِ وإحكامِهِ
والفَرْقِ ما بَيْنَ رُزَاةِ العُلَى في نَشئِهِ وَبَيْنَ حُكَامِهِ
دَلَائِلٌ دَلَّتْ عَلَى صَانِعِ قَدْ فَهَرَ الكُلَّ بِأحكامِهِ²

قد وقف الصفيّ الوليّ -أبقاه الله- على سبب بُدءِ العالم في كتابنا المسمّى "بعنقاء مُغْرِبٍ في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب" وفي كتابنا المسمّى بـ"إنشاء الدوائر" الذي أَلْفَنَّا بَعْضَهُ بمنزله الكريم، في وقت زيارتنا إيّاه سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ونحن نريد الحجّ. فقيّد له منه خديمه عبد الجبار -أعلى الله قدره- القدر الذي كتبت سطرته منه. ورحلت به معي إلى مكة -زادها الله تشريفا- في السنة المذكورة، لأتممه بها. فشغلنا هذا الكتاب عنه وعن غيره، بسبب الأمر الإلهي الذي ورد علينا في تقييده، مع رغبة بعض الإخوان والفقراء في ذلك، حرصا منهم على مزيد العلم، ورغبة في أن تعود عليهم بركات هذا البيت المبارك الشريف، محلّ البركات والهدى والآيات البيّنات. وأن³ تُعرَف أيضا في هذا الموضوع الصفيّ الكريم، أبا محمد عبد العزيز عليه السلام ما تعطيه مكة من البركات، وأنها خير وسيلة عباديّة، وأشرف منزلة جماديّة تراييّة، عسى تهض به همّة الشوق إليه، وتنزل به رغبة المزيد عليه. فقد قيل لمن أوتي جوامع الكلم، وكان من ربه في مشاهدة العين أدنى من ﴿قَاب قَوْسَيْنِ﴾⁴، ومع هذا التقريب الأكل والحظّ الأوفر الأجزل، أنزل عليه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁵.

ومن شرط العالم المشاهد، صاحب المقامات الغيبيّة والمشاهد، أن يعلم أنّ للأمكنة في القلوب اللطيفة تأثيرا. ولو وجد القلب، في أيّ موضع كان، الوجود الأعمّ؛ فوجوده بمكة أسنى وأتم. فكما تتفاضل المنازل الروحيّة، كذلك تتفاضل المنازل الجسميّة. وإلّا فهل الثّر مثل الحجر، إلّا عند صاحب الحال؟. وأمّا المكلّ، صاحب المقام، فإنّه يميّز بينها، كما ميّز بينها الحقّ. هل ساوى الحقّ بين دار بناؤها لبن التراب والتبن، ودار بناؤها لبن المسجد واللجين؟. فالحكيم الواصل (هو) من أعطى كلّ ذي حقّ حقه؛

1 ص 31

2 بالهامش: "بلغ قراءة وسماعا على منشته رضي الله عنه من أول الكتاب إلى ههنا لكتيبته عفا الله عنها".

3 ص 32

4 [النجم : 9]

5 [طه : 114]

فذلك واحد عصره، وصاحب وقته. فكثير بين مدينة يكون أكثر عمارتها الشهوات، وبين مدينة يكون أكثر عمارتها الآيات البيّنات.

ليس قد جمع معي، صفّي -أبقاه الله- أنّ وجودَ قلوبنا في بعض المواطنين أكثر من بعض؟ وقد كان ¹ يترك الحلوة في بيوت المنارة المحروسة، الكائنة بشرقيّ تونس بساحل البحر، وينزل إلى الرابطة التي في وسط المقابر، بقرب المنارة من جهة بابها، وهي تُعزى إلى الخضر- فسألته عن ذلك، فقال: إنّ قلبي أجده هنالك أكثر منه في المنارة. وقد وجدتُ فيها أنا، أيضاً، ما قاله الشيخ.

وقد علم وليّ -أبقاه الله- أنّ ذلك من أجل من يغمُر ذلك الموضع؛ إمّا في الحال، من الملائكة المكرمين أو من الجنّ الصادقين، وإمّا من همة من كان يعمره وفُقد، كبيت أبي يزيد، الذي يستوى بيت الأبرار، وكزاوية الجنيد بالشونيزية²، وكغارة ابن آدم³ باليقين، وما كان من أماكن الصالحين، الذين فنوا عن هذه الدار وبقيت آثارهم في أماكنهم، تنفعل لها القلوب اللطيفة. ولهذا يرجع تفاضل المساجد في وجود القلب، لا في تضاعف الأجر. فقد تجد قلبك في مسجد أكثر مما تجده في غيره من المساجد. وذلك ليس للتراب؛ ولكن لجالسة الأتراب، أو مهمهم. ومن لا يجد الفرق في وجود قلبه بين السوق والمساجد؛ فهو صاحب حال، لا صاحب مقام.

ولا أشكّ، كشفاً وعلماً، أنّه وإن عمّرت الملائكة جميع الأرض، مع تفاضلهم في المعارف والرتب، فإنّ أعلام رتبة وأعظمهم علماً ومعرفة، عمرة المسجد الحرام. وعلى قدر جلسائك يكون وجودك. فإنّه لهم المجلساء، في قلب المجلس لهم، تأثيراً. وهمهم، على قدر مراتبهم. وإن كان من جهة المهم؛ فقد طاف بهذا البيت مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ، سيوى الأولياء. وما من نبيّ ولا وليّ، إلّا وله همة متعلّقة بهذا البيت.

وهذا البلد الحرام؛ لأنّه البيت الذي اصطفاه الله على سائر البيوت، وله سيرة الأوليّة في المعابد، كما

1 ص 32 ب

2 الشونيزية: رباط وترية أبي القاسم الجنيد غربي بغداد. والجنيد هو: أبو القاسم الجنيد بن محمد، الحنّاز. وكان أبوه يبيع الرّجاج. فلذلك كان يقال له: القواريريّ أصله من "هاؤند"، ومولده ومُنشؤه بالعراق؛ كذلك مسمّى أبا القاسم الثّغرابيّ يقول. وكان فقيهاً، فقه على أبي ثور، وكان يفتي في خلقه. وصحب الشريّ السّخّيّ، والحارث الحاسبيّ، ومحمد بن عليّ الفصّاب البغداديّ، وغيرهم. وهو من أئمة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة. توفّي سنة سبع وتسعين ومائتين، يوم ثور الحنّفية، يوم السبت. وقيل توفّي في آخر ساعة من يوم الجمعة، ودفن يوم السبت. [طبقات الصوفية - (1 / 55)]

3 إبراهيم بن آدم (؟ - 161 للهجرة) إبراهيم بن آدم، أبو إسحاق البلخي. ولد بمكة، وطافت به أمه على الخلق، وسألت الدعاء له أن يكون صالحاً فاستجيب لها، وترك الإمارة، وما كان فيه. خرج مصيئاً، فأثار مملّتا - أو أرتبا - وإذ هو طلبه، هتف به هاتف من قبروس سرجه: "والله! ما لهذا خلقت!، ولا لهذا أمرت!". فنزل عن دابته، وصادف راعيّاً أبيه، فأخذ جيته - وكانت من صوف - فلبسها، وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه. ثم دخل مكة. ثم الشام، لطلب الحلال. وكان يأكل من عمل يده. وصحب بمكة سفیان الثوريّ، والفضيل بن عياض. وتوفّي بالجزيرة في الفزوة، وحمل إلى صور - مدينة بساحل الشام، أو ببلاد الروم على ساحل البحر - فدفن بها سنة إحدى وستين ومائة. [طبقات الأولياء - (1 / 1)]

4 ص 33

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ نَبِيٍّ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾. فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُزَاهِمُ
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا¹ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

فلو رحل الصفيّ -أبقاه الله- إلى هذا البلد الحرام الشريف؛ لوجد من المعارف والزيادات ما لم يكن
رآه قبل ذلك، ولا خطر له بالبال. وقد علم ﷺ أَنَّ النَّفْسَ تُحْشَرُ عَلَى صُورَةِ عِلْمِهَا، وَالْجِسْمَ عَلَى صُورَةِ
عَمَلِهِ. وصورة العلم والعمل بمكة، أتمّ مما في سِوَاهَا. ولو دخلها صاحبُ قلبٍ ساعة واحدة لكان له ذلك،
فكيف إن جاور بها وأقام، وأق فيها بجميع الفرائض والقواعد؟ فلا شكّ أنّ مشهده بها يكون أتمّ وأجلى،
ومورده أصفى وأعذب وأحلى.

وإذ وصفتي -أبقاه الله- قد أخبرني، أَنَّهُ يُحِبُّ بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ، عَلَى حَسَبِ الْأَمَّاكِنِ وَالْأَمْزِجَةِ،
وَيَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ رَاجِعٌ، أَيْضًا، إِلَى حَقِيقَةِ السَّاكِنِ بِهِ أَوْ هَمَّتِهِ كَمَا ذَكَرْنَا- وَلَا شَكَّ عِنْدَنَا أَنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا الْفَنِّ -
أَعْنَى² مَعْرِفَةَ الْأَمَّاكِنِ، وَالْإِحْسَاسَ بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ- مِنْ تَمَامِ تَمَكُّنِ مَعْرِفَةِ الْعَارِفِ وَعُلُوِّ مَقَامِهِ، وَشَرْفِهِ عَلَى
الْأَشْيَاءِ وَقُوَّةِ مَيِّزِهِ. فَاللَّهُ يَكْتُبُ لَوْلِيِّ فِيهَا أَثْرًا حَسَنًا، وَيُهَيِّبُهُ فِيهَا خَيْرًا طَيِّبًا، إِنَّهُ الْمَلِيّ بِذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ³.
اعلم -وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ- أَنَّ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ، مِنْ أَهْلِ الْكَشْفِ وَالْحَقَائِقِ، لَيْسَ
عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِسَبَبِ بُدْءِ الْعَالَمِ، إِلَّا تَعَلَّقَ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ بِإِيجَادِهِ؛ فَكَوْنُ مَا عِلِمٌ أَنَّهُ سَيَكُونُهُ. وَهَذَا يَنْتَهِي أَكْثَرَ
النَّاسِ. وَأَمَّا نَحْنُ، وَمَنْ أَطَّلَعَهُ اللَّهُ عَلَى مَا أَطَّلَعْنَا عَلَيْهِ، فَقَدْ وَقَفْنَا عَلَى أُمُورٍ أُخْرَى، غَيْرِ هَذَا. وَذَلِكَ أَنَّكَ
إِذَا نَظَرْتَ الْعَالَمَ مَفْضَلًا بِحَقَائِقِهِ وَنَسَبِهِ؛ وَجَدْتَهُ مَحْضُورَ الْحَقَائِقِ وَالنُّسَبِ، مَعْلُومَ الْمَنَازِلِ وَالرَّتَبِ، مَتَنَاهِي
الْأَجْنَاسِ، بَيْنَ مِمَّا تَلَّ وَخْتَلَفَ. فَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، عَلِمْتَ أَنَّ لِهَذَا سِرًّا لَطِيفًا وَأَمْرًا عَجِيبًا، لَا تَدْرِكُ
حَقِيقَتَهُ بِدَقِيقِ فِكْرٍ وَلَا نَظَرٍ؛ بَلْ يَعْلَمُ مُوَهَّوبٌ مِنْ عُلُومِ الْكَشْفِ، وَنَتَاجِجِ الْمَجَاهِدَاتِ الْمَصَاحِبَةِ لِلْهَمِّ. فَإِنَّ
مَجَاهِدَةً بَغَيْرِ هَمَّةٍ غَيْرُ مَنْتَجَةٍ شَيْئًا، وَلَا مُؤَثَّرَةٍ فِي الْعِلْمِ، لَكِنْ تَوَثَّرَ فِي الْحَالِ مِنْ رِقَّةٍ وَصَفَاءٍ يَجِدُهُ صَاحِبُ
الْمَجَاهِدَةِ.

فاعلم -عَلَّمَكَ اللَّهُ سِرَّاتِ الْحِكْمِ، وَوَهَبَكَ مِنْ جِوَامِعِ الْكَلِمِ- أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْحَسَنَى الَّتِي⁴ تَبْلُغُ فَوْقَ أَسْمَاءِ⁵
الْإِحْصَاءِ عَدَدًا، وَتَنْزِلُ دُونَ أَسْمَاءِ الْإِحْصَاءِ سَعَادَةً، هِيَ الْمُوَثَّرَةُ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَهِيَ الْمَفَاتِحُ الْأَوَّلُ الَّتِي لَا
يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ. وَأَنَّ لِكُلِّ حَقِيقَةٍ اسْمًا مَا يَخْصُهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ. وَأَعْنَى بِالْحَقِيقَةِ، حَقِيقَةُ تَجْمَعُ جِنْسًا مِنَ الْحَقَائِقِ،
رَبُّ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ ذَلِكَ الْإِسْمُ، وَتِلْكَ الْحَقِيقَةُ عَابِدَتُهُ، وَتَحْتَ تَكْلِيفِهِ. لَيْسَ غَيْرَ ذَلِكَ.
وَإِنْ جَمَعَ لَكَ شَيْءٌ مَا، أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، فَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَوَهَّمْتَهُ. فَإِنَّكَ إِنْ نَظَرْتَ إِلَى ذَلِكَ الشَيْءِ،

1 [آل عمران : 96، 97]

2 ص 33ب

3 بالهامش: "بلغ قراءة".

4 ق: "الذي".

5 ص 34

وجدت له من الوجوه ما يقابل به تلك الأسماء التي تدلّ عليها، وهي الحقائق التي ذكرناها. مثال ذلك: ما ثبت لك في العلم، الذي في ظاهر العقول وتحت حكمها، في حقّ موجود ما، (أنه) فردّ لا ينقسم، مثل الجوهر الفرد، الجزء الذي لا ينقسم؛ فإنّ فيه حقائق متعدّدة، تطلب أسماء إلهيّة على عددها. فحقيقة إيجاده: يطلب الاسم القادر. ووجه إحكامه: يطلب الاسم العالم. ووجه اختصاصه: يطلب الاسم المرید. ووجه ظهوره: يطلب الاسم البصير والرائي، إلى غير ذلك. فهذا، وإن كان فردا، فله هذه الوجوه، وغيرها بما لم نذكرها. ولكلّ وجه وجوه متعدّدة، تطلب من الأسماء بحسبها. وتلك الوجوه هي الحقائق عندنا- الثواني، والوقوف عليها عسير، وتحصيلها من طريق الكشف أعسر.

واعلم أنّ الأسماء قد¹ تركها على كثرتها، إذا لحظنا وجوه الطالبين لها من العالم. وإذا لم نلاحظ ذلك، فلنرجع ونلاحظ أمّهات المطالب التي لا غنى لنا عنها؛ فنعرف أنّ الأسماء، التي الأمّهات موقوفة عليها، هي أيضا أمّهات الأسماء. فيسهل النظر، ويكمل الغرض، ويتيسر التعدي من هذه الأمّهات إلى البنات، كما يتيسر ردّ البنات إلى الأمّهات. فإذا نظرت الأشياء كلّها، المعلومة في العالم العلوي والسفلي، تجد الأسماء السبعة، المعبر عنها بالصفات عند أصحاب علم الكلام، تتضمنها، وقد ذكرنا هذا في كتابنا الذي سميناه "إنشاء الدوائر".

وليس غرضنا في هذا الكتاب في هذه الأمّهات السبع²، المعبر عنها بالصفات؛ ولكن قصدنا الأمّهات التي لا بدّ لإيجاد العالم منها. كما آتانا لا نحتاج في دلائل العقول، من معرفة الحقّ سبحانه- إلّا كونه موجودا، عالما، مريدا، قادرا، حيا، لا غير. وما زاد على هذا، فإنما يقتضيه التكليف. فمجىء الرسول ﷺ جعلنا نعرفه متكلمًا، والتكليف جعلنا نعرفه سميما بصيرا، إلى غير ذلك من الأسماء. فالذي نحتاج إليه من معرفة الأسماء (إنما هو) لوجود العالم. وهي أرباب الأسماء، وما عداها فسدنة لها، كما أنّ بعض هذه الأرباب سدنة لبعضها.

فأمّهات الأسماء: الحي³، العالم، المرید، القادر، القائل، الجواد، المقسط. وهذه الأسماء؛ بنات الاسميين: المدبر والمفضل. فالحي يثبت فهمك بعد وجودك وقبله. والعالم يثبت إحكامك في وجودك، وقبل وجودك يثبت تهدريك. والمرید يثبت اختصاصك. والقادر يثبت عدمك. والقائل يثبت قدمك⁴. والجواد يثبت إيجادك. والمقسط يثبت مرتقتك، والمرتبة آخر منازل الوجود.

فهذه حقائق لا بدّ من وجودها، فلا بدّ من أسماؤها التي هي أربابها. فالحي ربّ الأرباب والمربوبين، وهو الإمام. ويليّه في الرتبة العالم، ويلي العالم المرید، ويلي المرید القائل، ويلي القائل القادر، ويلي القادر

1 ص 34

2 ق: "السبعة".

3 ص 35

4 هناك تدخل في كتابة الحرف الأول في ق ويمكن قراءتها: "عدمك"، وأبنتها من ه، س.

الجوَّاد، وآخِزُهُم المَقْبُوط؛ فَإِنَّهُ رَبُّ المَرَاتِبِ، وَهِيَ آخِرُ مَنَازِلِ الوجودِ. وَمَا بَقِيَ مِنَ الأَسْمَاءِ فَتَخَّصَتْ طَاعَةَ هَؤُلاءِ الأَسْمَاءِ الأَثَمَةَ الأَربابِ.

وَكَانَ سَبَبُ تَوَجُّهِ هَؤُلاءِ الأَسْمَاءِ إِلَى الإِسْمِ اللهُ، فِي إِيجَادِ العَالَمِ، بِقِيَّةِ الأَسْمَاءِ مَعَ حَقَائِقِهَا أَيضاً. عَلَى أَنَّ أَثَمَةَ الأَسْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى العَالَمِ، إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةٌ لَا غَيْرَ: اسْمُهُ الحَيِّ، وَالمُتَكَلِّمُ، وَالمُسَمِّعُ، وَالبَصِيرُ. فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ كَلَامَهُ، وَرَأَى ذَاتَهُ؛ فَقَدْ كَلَّ وجودَهُ فِي ذَاتِهِ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى العَالَمِ. وَنَحْنُ¹ لَا نَرِيدُ مِنَ الأَسْمَاءِ إِلاَّ مَا يَقُومُ بِهَا وَجُودُ العَالَمِ. فَكَثُرَتْ عَلَيْنَا الأَسْمَاءُ، فَعَدَلْنَا إِلَى أَربابِهَا، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِمْ فِي حَضْرَتِهِمْ، فَمَا وَجَدْنَا غَيْرَ هَؤُلاءِ الذِّينَ ذَكَرْنَا، وَأَبْرَزْنَا، عَلَى حَسَبِ مَا شَاهَدْنَا. فَكَانَ سَبَبُ تَوَجُّهِ أَربابِ الأَسْمَاءِ إِلَى الإِسْمِ اللهُ، فِي إِيجَادِ أَعْيَانِنَا، بِقِيَّةِ الأَسْمَاءِ.

فَأَوَّلُ مَنْ قَامَ لَطَلَبِ هَذَا العَالَمِ، الإِسْمُ المَدْبُرُ وَالمُفْضَلُ، عَنِ سِوَالِ الإِسْمِ المَلِكِ. فَعِنْدَمَا تَوَجَّهًا عَلَى الشَّيْءِ الذِّي عَنْهُ وَجِدَ المِثَالَ فِي نَفْسِ العَالِمِ، مِنْ غَيْرِ عَدَمِ مُتَقَدِّمٍ، وَلَكِنْ تَقَدُّمَ مَرْتَبَةٍ لَا تَقَدُّمَ وجودٍ؛ كَتَقَدُّمِ طُلُوعِ الشَّمْسِ عَلَى أَوَّلِ النِّهَارِ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلُ النِّهَارِ مَقَارِنًا لَطُلُوعِ الشَّمْسِ، وَلَكِنْ قَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ العَلَّةَ فِي وجودِ أَوَّلِ النِّهَارِ طُلُوعُ الشَّمْسِ، وَقَدْ قَارَنَهُ فِي الوجودِ. فَهَكَذَا هُوَ هَذَا الأَمْرُ.

فَلَمَّا دَبَّرَ العَالِمُ وَفَضَّلَهُ هَذَانِ الإِسْمَانِ مِنْ غَيْرِ جَهْلِ مُتَقَدِّمٍ بِهِ، أَوْ عَدَمِ عِلْمٍ، وَاتَّشَأَتْ صُورَةُ المِثَالَ فِي نَفْسِ العَالِمِ؛ تَعَلَّقَ اسْمُهُ العَالِمِ، إِذْ ذَاكَ، بِذَلِكَ المِثَالَ، كَمَا تَعَلَّقَ بِالصُّورَةِ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَرْتَبَةٍ لِأَنَّهَا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ، كَمَا سَنَذَكُرُهُ فِي بَابٍ: ثُمَّ وَجِدَ العَالِمُ؟

فَأَوَّلُ أَسْمَاءِ العَالِمِ هَذَانِ الإِسْمَانِ. وَالإِسْمُ المَدْبُرُ هُوَ الذِّي حَقَّقَ وَقْتِ الإِيجَادِ المَقْدَّرَ، فَتَعَلَّقَ بِهِ المَرِيدُ عَلَى حَدِّ مَا² أَبْرَزَهُ المَدْبُرُ وَدَبَّرَهُ. وَمَا عَمَلًا شَيْئًا مِنْ نَشْءِ هَذَا المِثَالَ، إِلاَّ بِمُشَارَكَةِ بَقِيَّةِ الأَسْمَاءِ، لَكِنْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ هَذَيْنِ الإِسْمَيْنِ. وَلِهَذَا صَحَّتْ لَهَا الإِمَامَةُ. وَالأَخْرُونَ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ حَتَّى بَدَتْ صُورَةُ المِثَالَ. فَرَأَوْا مَا فِيهِ مِنَ الحَقَائِقِ المُنَاسِبَةِ لَهُمْ، فَجَذِبَهُمُ لِلتَعَشُّقِ بِهَا. فَصَارَ كُلُّ اسْمٍ يَتَعَشَّقُ بِحَقِيقَتِهِ الَّتِي فِي المِثَالَ، وَلَكِنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّأثيرِ فِيهَا؛ إِذْ لَا تَعْطِي الحَضْرَةَ الَّتِي تَجَلَّى فِيهَا هَذَا المِثَالَ. فَأَذَاهُ ذَلِكَ التَعَشُّقُ وَالحُبُّ إِلَى الطَّلَبِ وَالسَّمِيِّ وَالرَّغْبَةُ فِي إِيجَادِ صُورَةِ عَيْنِ ذَلِكَ المِثَالَ؛ لِيُظْهِرَ سُلْطَانَهُمْ، وَيُصَيِّحَ عَلَى الحَقِيقَةِ وَوجودِهِمْ. فَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ هَمًّا مِنْ عَزِيزٍ لَا يَجِدُ عَزِيزًا يَهْرَهُ، حَتَّى يَنْدَلَّ تَحْتِ قَهْرِهِ؛ فَيُصَيِّحُ سُلْطَانَ عِزِّهِ، أَوْ غَنِيِّ لَا يَجِدُ مِنْ يَفْتَقِرُ إِلَى غِنَاهُ، وَهَكَذَا جَمِيعُ هَذِهِ الأَسْمَاءِ. فَلَجَأَتْ إِلَى أَربابِهَا، الأَثَمَةُ السَّبْعَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا، تَرْغِبُ إِلَيْهَا فِي إِيجَادِ عَيْنِ هَذَا المِثَالَ الذِّي شَاهَدُوهُ فِي ذَاتِ العَالِمِ بِهِ؛ وَهُوَ المَعْبَرُ عَنْهُ بِالعَالِمِ.

وَرَبَّمَا يَقُولُ القَائِلُ: يَا أَيُّهَا الحَقِّقُ؛ وَكَيْفَ تَرَى الأَسْمَاءُ هَذَا المِثَالَ، وَلَا يَرَاهُ إِلاَّ الإِسْمُ البَصِيرُ خَاصَّةً لَا غَيْرِهِ، وَكُلُّ اسْمٍ عَلَى حَقِيقَتِهِ لَيْسَ الإِسْمُ الآخِرُ عَلَيْهَا؟ قُلْنَا لَهُ: لَتَعْلَمَنَّ وَقَفَّكَ اللهُ - أَنَّ كُلَّ اسْمٍ إِلَهِيّ يَتَضَمَّنُ

جميع الأسماء كلها، وأن كل اسم يُنعت بجميع الأسماء في أفقه. فكل اسم فهو حي، قادر، سميع، بصير، متكلم، في أفقه وفي علمه. وإلا، فكيف يصح أن يكون ربنا لعابده؟ هيات، هيات.

غير أن ثم لطيفة لا يُشعر بها. وذلك أنك تعلم قطعا في حبوب البرِّ وأمثاله، أن كل بُرة، فيها من الحقائق ما في أختها، كما تعلم أيضا أن هذه الحبة ليست عين هذه الحبة الأخرى، وإن كانتا تحويان على حقائق متماثلة، فإنهما مثلان. فابحث عن هذه الحقيقة التي تجعلك تفرق بين هاتين الحبتين، وتقول: إن هذه ليست عين هذه. وهذا سارٌّ في جميع المتماثلات، من حيث ما تماثلوا به. كذلك الأسماء: كل اسم جامع لما جمعت الأسماء من الحقائق، ثم تعلم على القطع أن هذا الاسم ليس هو هذا الآخر، بتلك اللطيفة التي بها فوّقت بين حبوب البرِّ، وكلّ متماثل. فابحث عن هذا المعنى حتى تعرفه بالذِّكر لا بالفكر.

غير أنني أريد أن أوقنك على حقيقة ما ذكرها أحد من المتقدمين، وربما ما اطّلع عليها؛ فرمما خصصتُ بها، ولا أدري هل تُعطى لغيري بعدي أم لا، من الحضرة التي أعطيتها؟ فإن استقرأها أو فهمها من كتابي فإنا المعلم له، وأنا المتقدمون فلم يجدها. وذلك أن كل اسم - كما قررنا - يجمع حقائق الأسماء ويحوي عليها، مع وجود اللطيفة التي وقع لك التمييز بها بين المثليين. وذلك أن الاسم المنعم والاسم المعذب، اللذين هما الظاهر والباطن، كل اسم من هذين الاسمين يتضمّن ما تحويه سدنته، من أولم إلى آخرهم. غير أن أرباب الأسماء، ومن سيّوأم من الأسماء، على ثلاث مراتب: منها ما يلحق بدرجات أرباب الأسماء، ومنها ما ينفرد بدرجة. فمنها ما ينفرد بدرجة المنعم وبدرجة المعذب. فهذه أسماء العالم محصورة، والله المستعان.

فلما لجأت الأسماء كلها إلى هؤلاء الأئمة، ولجأت الأئمة إلى الاسم الله؛ لجأ الاسم الله إلى الذات، من حيث غناها عن الأسماء، سائلا في إسعاف ما سألته الأسماء فيه. فأنعم المحسان الجوادُ بذلك، وقال: قل للأئمة يتعلّقون بإبراز العالم على حسب ما تعطيه حقائقهم. فخرج إليهم الاسم الله، وأخبرهم الخبر. فانتقلوا مسرعين، فرحين، مبتهجين، ولم يزالوا كذلك. فنظروا إلى الحضرة التي أذكرها في الباب السادس من هذا الكتاب، فأوجدوا العالم كما سنذكره فيما يأتي من الأبواب بعد هذا إن شاء الله - ﷻ يقولُ الحقُّ وهو يَهْدِي السَّبِيلَ³.

1 ص 36 ب

2 ص 37

3 [الأحزاب: 4]، وفي الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف ابنه الله".

الباب الخامس

في معرفة أسرار ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾¹ والفاتحة من وجه ما، لا من جميع الوجوه.

بَسْمَلَةُ ² الْأَسْمَاءِ ذُو مَنْظَرَيْنِ	مَا بَيْنَ إِقْبَاءٍ وَإِنْبَاءٍ عَيْنِ
إِلَّا بِمَنْ قَالَتْ لِمَنْ جِئِنَ مَا	خَافَتْ عَلَى الثُّغْلِ مِنَ الحَطْمَتَيْنِ
فَقَالَ مَنْ أَحْسَكَ ³ قَوْلَهَا	هَلْ أَتَرَ يُطْلَبُ مِنْ بَعْدِ عَيْنِ
يَا نَفْسِ يَا نَفْسِ اسْتَقْنِي فَقَدْ	عَايَنْتُ مِنْ تَعْلَيْتِنَا الْقَبْضَتَيْنِ
وَهَكَذَا فِي الحَمْدِ فَاسْتَنْبِهَا	إِنْ شِئْتَ أَنْ تُنْقَمَ بِالْحَتْمَيْنِ
إِخْدَاهُمَا مِنْ عَسَجِدِ مُشْرِقِي	جُمَّلَهَا، وَأَخْتَهَا مِنْ لَجِينِ
يَا أُمَّ قُرْآنِ العُلَى هَلْ تُرَى	مِنْ حِمَّةِ الفُرْقَانِ لِلْفُرْقَتَيْنِ
أَنْتِ لَنَا السَّبْعُ المَثَانِي الَّتِي	خُصَّ بِهَا سَيِّدُنَا ذُوْنَ مَيْنِ
فَأَنْتِ مِفْتَاحُ الهُدَى لِلنُّهَى	وَخُصَّ مِنْ عَادَاكِ بِالْفُرْقَتَيْنِ

لما أردنا أن نفتح معرفة الوجود وابتداء العالم، الذي هو عندنا المصحف الكبير، الذي تلاه الحق علينا تلاوة حال، كما أن القرآن تلاوة قول عنها؛ فالعالم حروف مخطوطة مرقومة، في رزق الوجود المنشور، ولا تزال الكتابة فيه دائمة أبدا لا ينحصر ^{بشيء} لَمَّا افْتَتَحَ اللهُ تَعَالَى - كتابه العزيز بفاتحة الكتاب، وهذا كتاب - أعنى العالم الذي تتكلم عليه - أردنا أن نوضح بالكلام على أسرار الفاتحة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فاتحة الفاتحة، وهي آية أولى منها، أو ملازمة لها كالعلاوة، على الخلاف المعلوم بين العلماء. فلا بد من ⁴ الكلام على البسملة. وربما يقع الكلام على بعض آيات من سورة البقرة: آيتين أو ثلاث خاصة، تبركا بكلام الحق سبحانه، ثم نسوق الأبواب إن شاء الله تعالى.

فأقول: إنه لما قدمنا، أن الأسماء الإلهية سبب وجود العالم، وأنها المسطرة عليه والمؤثرة، لذلك كان

[1] الفاتحة: 1

2 ص 37 ب

3 هو سيدنا سليمان عليه السلام حين سمع النملة تخاطب مجموعتها: "يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون" [النمل: 18]

4 ص 38

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عندنا: خبر ابتداء مضمر؛ وهو ابتداء العالم وظهوره. كأنه يقول: ظهور العالم
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. أي باسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم.

واختص الثلاثة الأسماء؛ لأن الحقائق تعطي ذلك. فالله هو الاسم الجامع للأسماء كلها، و"الرحمن"
صفة عامة فهو رحمن الدنيا والآخرة؛ بها رحم كل شيء من العالم في الدنيا. ولما كانت الرحمة في الآخرة لا
تختص إلا بقبضة السعادة، فإنها تنفرد عن أختها، وكانت في الدنيا ممتزجة: يولد كافرا ويموت مؤمنا، أي
ينشأ كافرا في عالم الشهادة وبالعكس. وتارة وتارة. وبعض العالم تميز بإحدى القبضتين بإخبار صادق؛ فجاء
الاسم "الرحيم" مختصا بالدار الآخرة لكل من آمن. وتمّ العالم بهذه الثلاثة الأسماء: جملة في الاسم الله،
وتفصيلا في الاممين: "الرحمن الرحيم"². فتحقّق ما ذكرناه؛ فإني أريد أن أدخل إلى ما في طي البسطة
والفاتحة من بعض الأسرار، كما شرطناه. فلنبيّن، ونقول:

"بِسْمِ"³: بالباء ظهر الوجود، والنقطة تميّز العابد من المعبود. قيل للشبلي⁴ رحمه الله: "أنت الشبلي؟"
فقال: "أنا النقطة التي تحت الباء". وهو قولنا: النقطة للتمييز. وهو وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبودية.
وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله - يقول: "ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء عليه مكتوبة".

فالباء المصاحبة للموجودات؛ من حضرة الحق في مقام الجمع والوجود: "أي بي قام كل شيء
وظهر"، وهي من عالم الشهادة. هذه الباء بدل من همزة الوصل التي كانت في الاسم قبل دخول الباء،
 واحتيج إليها؛ إذ لا يُنطق بساكن. تجلّبت همزة، المعبر عنها بالقدرة، محرّكة عبارة عن الوجود- ليَتَوَصَّلَ
بها إلى النطق، الذي هو الإيجاد من إبداع وخلق، بالساكن الذي هو العدم وهو أوان وجود المحدث بعد
أن لم يكن - وهو السين. فدخل في الباء بالميم ﴿أَلَسْنَتْ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾⁵.

فصارت الباء بدلا من همزة الوصل، أعني القدرة الأزلية. وصارت حركة الباء⁶ لحركة همزة، الذي
هو الإيجاد. ووقع الفرق بين الباء والألف الواصلة؛ فإن الألف تعطي الذات، والباء تعطي الصفة؛ ولذلك
كانت لعين الإيجاد أحق من الألف بالنقطة التي تحتها، وهي الموجودات. فصار في الباء الأنواع الثلاثة:
شكل الباء، والنقطة، والحركة؛ العوالم الثلاثة. فكما في العالم الوسط توهم ما، كذلك في نقطة الباء. فالباء

1 ثابت في الهامش بخط الأصل مع إشارة التصويب.

2 ص 38 ب

3 كتب فوقها بقلم الأصل: صح

4 أبو بكر الشبلي. اسمه دلف، يقال: ابن جملر، ويقال: ابن جعفر. ويقال: اسمه جعفر بن يونس. سمعت الحسين بن يحيى الشافعي،
يذكر ذلك؛ وكذلك رأيت ببغداد، مكتوبا على قبره. وهو خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد. وأصله من أسروشنة. ومولده - كما
قيل - سامرا. تاب في مجلس "خير الناسج". وصحب "الجنييد"، ومن في عصره من المشايخ. وصار أوحد وقته حالا وعلتا. وكان عالما،
فتقيا على منهب مالك. عاش سبعا وثمانين سنة. ومات في ذي الحجة، سنة أربع وثلثين وثلثمائة. ودفن في مقبرة الخيزران. وقبره اليوم
ظاهر. [طبقات الصوفية - (1 / 97)]

5 [الأعراف : 172]

6 ص 39

ملكويتية، والنقطة جيرويتية، والحركة شهادية مُلكية. والألف الحذوفة، التي هي بدل منها، هي حقيقة القائم بالكلّ تعالى. واحتجب؛ رحمة منه بالنقطة التي تحت الباء. وعلى هذا الحدّ نأخذ كلّ مسألة في هذا الباب، مستوفاة بطريق الإيجاز. ف﴿بِسْمِ﴾ و﴿الْم﴾ واحد.

ثمّ وجدنا الألف من ﴿بِسْمِ﴾، قد ظهرت في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾¹ و﴿بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾² بين الباء والسين، ولم تظهر بين السين والميم. فلو لم تظهر في ﴿بِاسْمِ﴾ السفينة؛ ما جرت السفينة. ولو لم تظهر في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾؛ ما عَلِمَ المثلُ حقيقته، ولا رأى سورته. فتيقظ من سنة الغفلة، وانتبه. فلما كثرت استعمالها، في أوائل السور؛ حذفت لوجود المثل (الذي قام) مقامه في الخطاب؛ وهو الباء. فصار المثل³ مرآة للسين، فصار السين مثالا. وعلى هذا الترتيب نظام التركيب.

وإنما لم تظهر بين السين والميم، وهو محلّ التغيير وصفات الأفعال، أن لو ظهرت لزال السين والميم؛ إذ ليسوا بصفة لازمة للقديم مثل الباء؛ فكان خفاؤه عنهم رحمة بهم؛ إذ كان سبب بقاء وجودهم ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾⁴ وهو (أي الألف) الرسول. فهذه الباء والسين والميم؛ العالم كله.

ثمّ عمِلَ الباء في الميم الخفض، من طريق التشبه بالحدوث؛ إذ الميم مقام الملك، وهو العبودية. وخفضتها الباء: عرفتها بنفسها، وأوقفتها على حقيقتها. فهما وُجِدَتِ الباءُ وُجِدَتِ الميمُ في مقام الإسلام. فإن زالت الباء يوما ما لسبب طارئ، وهو ترقّي الميم إلى مقام الإيمان، فتح في عالم الجبروت بـ"سُبْح" وأشباهه. فأمر بتنزيه الحلّ لتجليّ المثل، فقيل له: ﴿سُبْحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾⁵ الذي هو مغدّيك بالمواد الإلهية؛ فهو ربك جفتح الميم. وجاءت الألف ظاهرة، وزالت الباء؛ لأنّ الأمر توجه عليها (أي على الميم) بالتسبيح، ولا طاقة لها على ذلك، والباء محدثة مثلها، والحديث من باب الحقائق لا فعل له، ولا بدّ لها من امتثال الأمر، فلا بدّ من ظهور الألف الذي هو الفاعل القديم.

فلما ظهر؛ فعلت القدرة في الميم التسبيح، فسبح كما أمر، وقيل له: ﴿الْأَعْلَى﴾ لأنّه مع الباء في الأسفل. و(هو) في هذا المقام في الوسط. ولا يسبح المسبح مثله، ولا من هو دونه؛ فلا بدّ أن يكون المسبح أعلى. ولو كنا في تفسير سورة ﴿سُبْحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ لأظهرنا أسرارها. فلا يزال في هذا المقام حتى يتنزّه في نفسه، فإنّ من ينزّه عن تنزيهه، فلا بدّ من هذا التنزيه أن يعود على المنزّه، ويكون هو الأعلى. فإنّ الحقّ من باب الحقيقة لا يصحّ عليه ﴿الْأَعْلَى﴾ فإنّه من أسماء الإضافة،

[1] العلق : 1

[2] هود : 41

[3] ص 39

[4] الشورى : 51

[5] الأعلى : 1

[6] ص 40

وضرب من وجوه المناسبة؛ فليس بأعلى ولا أسفل ولا أوسط، تنزهه عن ذلك وتعالى علواً كبيراً. بل نسبة الأعلى والأوسط والأسفل إليه، نسبةً واحدة. فإذا تنزه (الميم) خرج عن حد الأمر، وخرق حجاب السمع، وحصل المقام الأعلى. فارتفع الميم بمشاهدة القدم، فحصل له الشاء التام ﴿بِتَارِكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾¹.

فكما أنّ الاسم عينُ المسقى، كذلك العبد عين المولى. «من تواضع لله رفعه الله» وفي الصحيح من الأخبار: «أنّ الحق يد العبد ورجله ولسانه وسمعه وبصره»، لو لم يقبل الخفض من الباء في ﴿بِاسْمِ﴾، ما² حصل له الرفع في النهاية في ﴿بِتَارِكَ اسْمِ﴾.

ثم اعلم أنّ كلّ حرف من "بِئْسَمٍ" مثلث على طبقات العوالم. فاسم الباء: باء وألف وهمزة. واسم السين: سين وياء ونون. واسم الميم: ميم وياء وميم. والياء مثل الباء، وهي حقيقة العبد في باب النداء. فما أشرف هذا الموجود؛ كيف انحصر في عابد ومعبود. فهذا شرف مطلق لا يقابله ضد؛ لأنّ ما يسوى وجود³ الحق تعالى- ووجود العبد، عدم محض لا عين له.

ثم إنّ سكّن السين من "بِئْسَمٍ"، تحت ذلّ الافتقار والفاقة، كسكوننا تحت طاعة الرسول لَمَّا قال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁴ فسكنت السين من "بِئْسَمٍ" لتلقى من الباء الحقّ اليقين. فلو تحزكت قبل أن تسكن لاستبدت بنفسها، وخيف عليها من الدعوى، وهي سين مقدّسة، فسكنت. فلَمَّا تلقّت من الباء الحقيقة المطلوبة، أعطيت الحركة، فلم تتحرك في بعض المواطن إلّا بعد ذهاب الباء؛ إذ كان كلام التلميذ بحضور الشيخ، في أمر ما، سوء أدب؛ إلّا أن يأمره؛ فامتثال الأمر هو الأدب.

فقال عند مفارقة الباء، يخاطب أهل الدعوى، تانها بما حصل له في المقام الأعلى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾⁵. ثم تحرك، لمن أطاعه، بالرحمة واللين، فقال: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾⁷ يريد حضرة الباء؛ فإنّ الجنة حضرة الرسول ﷺ، وكتيب الرؤية حضرة الحقّ. فاصدق وسلم تكشف وتلحق.

فهذه الحضرة، هي التي تنقله إلى الألف المرادة. فكما أنّه ينقلك الرسول إلى الله، كذلك تنقلك حضرته -التي هي الجنة- إلى الكتيب، الذي هو حضرة الحقّ.

ثم اعلم أنّ التنوين في "بِئْسَمٍ"، لتحقيق العبادة وإشارات التبemis. فلَمَّا ظهر منه التنوين اصطفاه

[1] الرحمن : 78

2 ص 40

3 ثابت في الهامش بقلم الأصل.

[4] النساء : 80

[5] الأعراف : 146

6 ص 41

[7] الزمر : 73

الحق المبين بإضافة التشريف والتمكين، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فحذف التنوين العبدِي، لإضافته إلى المنزل الإلهي. ولَمَّا كَانَ تَوِينٌ تَخَلُّقِي، لهذا صَحَّ لَهُ هَذَا التَّحْقِيقُ، وَإِلَّا فَالْسَّكُونُ أَوْلَى بِهِ. فَاعْلَمْ.
 انتهى الجزء التاسع¹.

1 في الهامش: "بلغت بقرآني على سيدي مصنفه أحسن الله إليه. كتبه أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي"، يليه: "بلغ قراءة لأحمد الطوسي على مؤلفه أيده الله"، يليه: "بلغ قراءة لعمود الزنجاني على مؤلفه". وفي أسفل الصفحة كتبت الساعات التالية: "سمع جميع هذا الجزء والثامن قبله على مصنفها الشيخ الفقيه الإمام العالم الأواحد العلامة، محيي الدين، جمال الإسلام، فخر العلماء، أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي، بقرآنة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي، الفقهاء أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي الجباب، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو بكر بن سليمان بن الحموي الواعظ، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وعبد العزيز بن علي بن جعفر الموصلي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد- ابنا المصنف، وعمران بن حيش الحوراني، ورضوان بن أبي بكر بن عبد الواحد الدمشقي، ويقوب بن معاذ الوري، وأحمد بن أبي الهيجاء بن أبي المعالي، وعلي بن يوسف، وعمران بن محمد بن عمران، وإبراهيم بن خضر بن يوسف الدمشقي، وابنه محمد، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، الحنفيون- ومحمد بن علي بن محمد المطرز، ومحمد بن يروش المظفي، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنلسي الواعظ، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شعاع، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن زرافعة، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، ويوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، ويحيى بن إسماعيل بن محمد المظفي، ويونس بن عثمان بن أبي القاسم، وعيسى بن إسحاق بن يوسف الهندي... بن طلاج بن حسن الحياط، وأبو العز بن أبي الوحش بن عبد العزيز الحريري، وعلي بن أبي الفناثم الفصالي، وكتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وذلك في تاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستائة". وعلى يمين السماع السابق ما يلي: "سمع الجزأين المذكورين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد القرطبي الأنصاري- كتبه إبراهيم حامدا ومصليا".

الجزء العاشر¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

وَضَلَّ: قوله: "الله" من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾

ينبغي لك -أيها المسترشد- أن تعرف أولاً ما تَحْصُلُ في هذه الكلمة الكريمة من الحروف، وحينئذ يقع الكلام عليها -إن شاء الله-، وحروفها: "أ ل ل ا ه و"³. فأول ما أقول كلاماً بجملاً مرموزاً، ثم نأخذ في تبينه، ليسهل قبوله على عالم التركيب.

وذلك أن العبد، تعلق بالألف تعلقاً من اضطُرَّ والتجأ؛ فأظهرته اللام الأولى ظهوراً؛ ورَفَّه الفوز من العدم والنَّجاة. فلما صحَّ ظهوره، وانتشر في الوجود نُورُه، وصحَّ تعلقه بالمستى، وبطل تعلقه بالأسماء؛ أفتنَّه اللام الثانية بشهود الألف التي بعدها، فناء لم يُبق منه باقية، وذلك عسى -ينكشف له المعنى. ثم جاءت الواو بعد الهاء لِتَمَكِّنِ المراد، وبقيت الهاء لوجوده آخراً، عند محو العباد؛ من أجل العناد؛ فذلك أوان الأجل المستى.

وهذا هو المقام الذي تضمحلَّ فيه أحوال السائرين، وتعدم فيه مقامات السالكين، حتى يفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل. لا غير يثبت لظهوره، ولا ظلام يبقى لنوره. «فإن لم تكن تره» اعرف حقيقة «إن لم تكن» تكن أنت "كن" إذ كانت التاء من الحروف الزوائد في الأفعال المضارعة للنوات، وهي العبودية.

يقول⁵ بعض السادة، وقد سمع عاطساً يقول: "الحمد لله". فقال له ذلك السيد: "أتمها كما قال الله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾". فقال العاطس: "يا سيدنا؛ ومن العالم حتى يُذكر مع الله". فقال له: "الآن قل يا أخي - فإنَّ الحديث إذا قرُنَ بالقديم؛ لم يبق له أثر". وهذا هو مقام الوصلة، وحال أولئك أهل الفناء عن أنفسهم. وأما لو فني عن فئانه، لما قال: "الحمد لله" لأنَّ في قوله: "الحمد" أثبت العبد، الذي هو المعبر عنه بالرداء عند بعضهم، وبالثوب عند آخرين. ولو قال: "رب العالمين" لكان أرفع من المقام الذي كان فيه.

فذلك مقام الوارثين، ولا مقام أعلى منه؛ لأنَّه شهود لا يتحرك معه لسان، ولا يضطرب معه جنان. أهل هذا المقام في أحوالهم؛ فاعرة أفواههم؛ استولت عليهم أنوار الذات، وبَدَث عليهم رسوم الصفات. هم عرائس الله الخبيزون عنده، المحجوبون لديه؛ الذين لا يعرفهم سِوَاهُ، كما لا يعرفون سِوَاهُ. توجَّه بتاج البهاء وإكليل السناء، وأقعدهم على منابر الفناء عن القرب في بساط الأنس، ومناجاة الديمومية بلسان القيومية.

1 العنوان ص 41

2 البسمة ص 42

3 أعلى الحروف خط مئاً واحداً يبدأ بالألف وينتهي بالواو.

4 لفظ "الأولى" بخط آخر مع إشارة التصويب.

5 ص 42

أورثهم ذلك قوله: ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾¹ و﴿بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾².

فلم تزل القوّة الإلهيّة تمدّم بالمشاهدة، فيبرزون بالصفات في موضع القدمين: فلا وَهْ إِلَّا من حيث الاقتداء³، ولا ذِكْرٌ إِلَّا إقامة سنّة أو فرض. لا يمجّدون عن سَوَاءِ السبيل؛ فهم بالحقّ. وإن خاطبوا الخلق، وعاشروهم؛ فليسوا معهم. وإن رأوهم لم يروهم؛ إذ لا يرون منهم إِلَّا كونهم من جملة أفعال الله. فهم يشاهدون الصنعة والصانع؛ مقاما عمريًا، كما يقعد أحدكم مع نجّار يصنع تابوتا؛ فيشاهد الصنعة والصانع، ولا تحجبه الصنعة عن الصانع، إِلَّا إن شغَل قلبه حسنُ الصنعة؛ فإنّ الدنيا كما قال النبي: «حلوة خضرة»، وهي من «خضراء الدّمن»: جارية حسناء في منبت سوء؛ من أحسن إليها وأحبّها، أساءت إليه وخزمت عليه أخراه. ولقد أحسن القائل⁴:

إِذَا افْتَحَرَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَن عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ⁵

فهذه الطائفة: الأمناء الصّدّيقون؛ إذا أيّدهم الله بالقوّة الإلهيّة وأمّدّمهم. فهم مع هذه النسبة على وجه المثال، وهذا أعلى مقام يُرقى فيه، وأشرف غاية يُنتهى إليها هذه الغاية القصوى؛ إذ لا غاية إِلَّا من حيث التوحيد، لا من حيث الموارد والواردات. وهو المستوى؛ إذ لا استواء إِلَّا (حيث) الرفيق الأعلى. فهنينا لهذه العصابة بما نالوه من حقائق المشاهدة، وهنينا⁶ لنا على التصديق والتسليم لهم بالموافقة والمساعدة. مرّ بنا جواد اللسان في حلبة الكلام، فلنرجع إلى ما كتبا بسبيله والسلام⁷. فأقول: همزة هذا الاسم، المحذوفة بالإضافة، تحقيق اتّصال الوحدانيّة، وتمحيق انفصال الفيرة. فالألّف واللام الملتصقة، كما تقدّم، لتحقيق المتّصل، ومحق المنفصل. والألّف الموجودة في اللام الثانية؛ لحو آثار الغير المتحصّل. والواو التي بعد الهاء، ليس لها في الخطّ أثر، ومعناها في الوجود، بهاء الهوية، قد انتشر. أهداها في عالم الملّك بذاتها، فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾⁸.

1 [المعارج : 23]

2 [المعارج : 33] وفقا لقراءة ورش. وفي قراءة حفص: بشهادتهم

3 ص 43

4 القائل هو: أبو نؤاس (146 - 198 هـ / 763 - 813 م) الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء. شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فالتصّل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها، وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها. كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فلنسب إليه، وفي تاريخ ابن عسّكر أن أباه من أهل دمشق، وفي تاريخ بغداد أنه من طيء من بني سعد العشيّرة. هو أول من نهج للشعر طريقته الحضريّة وأخرجه من اللهجة البدوية، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياتة. (الموسوعة الشعرية). والبيت من قصيدة مطلعها:

أَيَا رَبِّ وَجْهِ فِي التُّرَابِ عَتِيقٍ وَيَا رَبِّ حَسَنِي فِي التُّرَابِ زَفِيقٍ

5 في الهامش: "بلغ قراءة...".

6 ص 43

7 في الهامش: "بلغ".

8 [الحشر : 22]

فبدأ بالهوية وختم، وملكها الأمر في الوجود والعدم، وجعلها دالة على الحدوث والقدم، وهو آخر
ذِكْرَ الذَّاكِرِينَ وَأَعْلَاهُ. فَرَجَعَ الْعَجْزُ¹ عَلَى الصَّدْرِ، فَلَا حَتَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَوَقَفَ بِوُجُودِهَا أَهْلُ الْعَنَاءِ وَالنَّائِدِ
عَلَى حَقَائِقِ التَّوْحِيدِ. فَالْوُجُودُ فِي نَقْطَةِ دَائِرَةِ هَذَا الْإِسْمِ سَاكِنٌ، وَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ بِحَقِيقَتِهِ؛ اشْتِمَالُ الْأَمَاكِنِ
عَلَى الْمُتَمَكِّنِ السَّاكِنِ. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى²﴾.

وَاللَّهُ قَدْ صَرَبَ الْأَقْلَ لِتَوْبِهِ مَثَلًا مِّنَ الْمِشْكَاهِ وَالنَّبْرَاسِ³

فقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا⁴﴾ ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا⁵﴾ وَصَبَرَ الْكَلَّ⁶ اسْمًا
وَمَسْتَى، وَأَرْسَلَهُ مَكْشُوفًا وَمَعْتَى.

حلّ المقفل وتفصيل الجمل

يقول العبد: "الله" فيثبت (بالألف والهاء) أولاً وآخراً، وينفي باللامين باطننا وظاهرنا. لَزِمَتِ اللَّامُ
الثانية الهاء بوساطة الألف العلمية: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعٌ لَهُمْ﴾ الثلاثة اللام، ﴿وَلَا تَحْسَبْهُ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ فالألف سادس في حق الهاء، رابع في حق اللام.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ⁷﴾ العرش ظلُّ الله. العرش: اللام الثانية، وما حواه اللام الأولى
بطريق الملك. واللامان هما الظاهر والباطن، من باب الأسماء، ظهرتا بين ألف الأول وألف الآخر، وهو
مقام الاتصال؛ لأنَّ النهاية تعطف على البداية، وتتصل بها اتصال اتحاد.

ثم خرجت الهاء بواوها الباطنة، مخرج الاتصال. والجزء المتصل بين اللام والهاء، هو السرُّ الذي به
تقع المشاهدة بين العبد والسيد، وذلك مركز الألف العلمية، وهو مقام الاضمحلال.

ثم جعل تعالى- في الخط المتصل، جزءاً بين اللامين؛ للاتصال بين اللام الأولى التي هي عالم
الملك، وبين اللام الثانية التي هي عالم الملكوت؛ وهو مركز العالم الأوسط⁸، عالم الجبروت، مقام النفس.
ولا بدّ من خطوط فارغة بين كلِّ حرفين، فتلك مقامات فناء رسوم السالكين، من حضرة إلى حضرة.

1 العجز: مؤخر الشيء

2 [النحل : 60]

3 من قصيدة لأبي تمام (231-188هـ) أحد أمراء البيان، ولد بسوريا، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد؛ فأجازه وقدمه
على شعراء وقته. فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. في شعره قوة وجزالة. واختلف في التفضيل بينه
وبين المتنبّي والبحتري. له عدة تصانيف في الأدب. (الموسوعة الشعرية)

4 [النساء : 126]

5 [الطلاق : 12]

6 ص 44

7 [الفرقان : 45]

8 ص 44ب

الألف الأولى، التي هي ألف الهمزة، منقطعة. واللام الثانية، ألفها متصل، بها قُطعت الألف في أوائل الخطوط، لقوله ~~الكاتب~~: «كان الله ولا شيء معه» فلها قُطعت. وتنزه من الحروف من أشبهها في عدم الاتصال بما بعدها.

والحروف التي أشبهتها؛ على عدد الحقائق العامة العالية، التي هي الأسماء. وكذلك إذا كانت آخر الحروف؛ تقطع الاتصال من البعدية الرقمية. فكان انقطاع الألف تنبيها لما ذكرناه، وكذلك إخوته. فالألف للحق، وأشبه الألف للخلق. وذلك: "د، ذ، ر، ز، و" في جميع الحقائق. د: جسم، ذ: متفرد، ر: حساس، ز: ناطق، و: وما عداه ممن له لغة¹. وانحصرت حقائق العالم الكلية².

فلما أراد وجود اللام الثانية؛ وهي أول موجود في المعنى، وإن تأخرت في الخط، فإن معرفة الجسم تتقدم على معرفة الروح شاهدا، وكذلك الخط شاهدا. وهي: عالم الملكوت أوجدتها بقدرته. وهي الهمزة التي في الاسم إذا ابتدأت به معرّي من الإضافة. وهي لا تفارق الألف.

فلما أوجدت هذه الألف اللام الثانية، جعلها رئاسة. فطلبت³ مرؤوسا تكون عليه بالطبع. فأوجد لها عالم الشهادة، الذي هو اللام الأولى. فلما نظرث إليه أشرق وأنار، ~~هو~~ وأشرقبت الأرض بنور زهبا ~~ووضع الكتاب~~⁴ وهو الجزء الذي بين اللامين؛ أمر سبحانه - اللام الثانية أن تبتدئ الأولى بما أمدها به - تعالى - من جود ذاته، وأن تكون دليلها إليه⁵. فطلبت منه معنى تُصرفه في جميع أمورها، يكون لها كالوزير؛ فتلقى إليه ما تريده، فيلقيه على عالم اللام الأولى. فأوجد لها الجزء المتصل باللامين، المعبر عنه بالكتاب الأوسط، وهو العالم الجبروتي. وليست له ذات قائمة مثل اللامين؛ فإنه بمنزلة عالم الخيال عندنا. فألقت اللام الثانية إلى ذلك الجزء، وارتمت فيه ما أريد منها، ووجهت به إلى اللام الأولى، فامتثلت الطاعة حتى قالت: ~~هو~~ بلى⁶.

فلما رأت اللام الأولى الأمر قد أتاها من قبل اللام الثانية، بوساطة الجزء الذي هو الشرع، صارت مشاهدة لما يرد عليها من ذلك الجزء، راغبة له في أن يوصلها إلى صاحب الأمر لتشاهده. فلما صرفت الهمة إلى ذلك الجزء، واشتغلت بمشاهدته؛ احتجبت عن الألف التي تقدمتها ~~ها~~ أزجفوا وزاءكم قالتيسوا نورا⁶. ولو لم تُصرف الهمة إلى ذلك الجزء، لتلقت الأمر من الألف الأولى بلا واسطة، ولكن⁷ لا يمكن

1 طريقة كتابته للحرف وتفسيره من "د: جسم إلى هنا" هي أنه كان يكتب الحرف في السطر وتفسيره فوقه.

2 في الهامش: "بلغ".

3 ص 45

4 [الزمر: 69]

5 ق: "عليه" ومصححة بالهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

6 [الحديد: 13]

7 ص 45

ليسرّ عظيم؛ فإنّها ألف الذات، والثانية ألف العلم.

إشارة

ألا ترى أنّ اللام الثانية لَمّا كانت مرادة، مجتباة، منزّهة عن الوسائط، كيف اتّصلت بألف الوحدانية اتّصالا شافيا، حتى صار وجودها نطقا يدلّ على الألف دلالة صحيحة؟ وإن كانت الذات خَفِيَتْ؛ فإنّ لَفْظَكَ باللام محقق الاتّصال، ويدلّك عليها.

«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ». مَنْ عَرَفَ اللّامَ الثّانيةَ عَرَفَ الألفَ. فجعل نفسك دليلا عليك، ثمّ جعل كونك دليلا عليك؛ دليلا عليه؛ في حقّ مَنْ بَعُدَ، وقَدَّمَ معرفة العبد بنفسه على معرفته بربّه. ثمّ بعد ذلك يفنيه عن معرفته بنفسه، لَمّا كان المراد منه أن يعرف ربّه. ألا ترى تعاقب اللام الألف، وكيف يوجد اللام في النطق قبل الألف؟ وفي هذا تنبيه لمن أدرك.

فهذه اللام الملكوتية تتلقّى من أَلِفِ الوحدانية بغير واسطة؛ فتورده على الجزء الجبروتي ليؤدّيه إلى لام الشهادة والمُلْك. هكذا الأمر مادام التركيب والحجاب. فلَمّا حصلت الأُوليّة والآخريّة والظاهرية والباطنية، أراد تعالى- كما قدّم الألف منزّهة عن الاتّصال من كلّ الوجوه بالحروف، أراد أن يجعل الانتهاء نظير الابتداء؛ فلا يصحّ بقاء للعبد¹ أولا وآخرا؛ فأوجد الهاء مفردة بواو هُوِيَّهَا.

فإن توهم متوهم أنّ الهاء ملصقة إلى اللام، فليست كذلك، وإنما هي بعد الألف التي بعد اللام. والألف لا يتّصل بها، في البعدية، شيء من الحروف. فالهاء بعد اللام مقطوعة عن كلّ شيء. فذاك الاتّصال باللام في الخطّ، ليس باتّصال. فالهاء واحدة، والألف واحدة. فاضرب الواحد في مثله؛ يكن واحدا. فصحّ انفصال الخلق عن الحقّ؛ فبقي الحقّ.

وإذا صحّ تخلُّق اللام الملكية، بما تورده عليها لام الملكوت، فلا تزال تضمحلّ عن صفاتها، وتنفى عن رسوما، إلى أن تحضّل في مقام الفناء عن نفسها. فإذا فنيّت عن ذاتها؛ فني الجزء لفنائها. واتّحدت اللامان لفظا؛ ينطق بها اللسان مشدّدة، للإدغام النبي حدث، فصارت موجودة بين أَلِفَيْنِ اشتملا عليها، وأحاطا بها.

فاعطتنا الحكمة الموهوبة، لَمّا سمعنا لفظ الناطق بـ"لا" بين أَلِفَيْنِ؛ علمنا ضرورة أنّ الحدّث فني بظهور القديم، فبقي أَلِفَانِ: أُولَى وأخرى. وزال الظاهر والباطن بزوال اللامين بكلمة النبي. فضرنا الألف في الألف، ضَرَبَ الواحد في الواحد؛ فخرجت لك الهاء. فلَمّا ظهر زال حكم الأوّل والآخر، الذي جعلته الواسطة، كما زال حكم الظاهر والباطن؛ فقبل² عند ذلك: «كان الله ولا شيء معه». ثمّ أصل هذا الضمير، الذي هو الهاء، الرفع ولا بدّ؛ فإن انفتح أو انخفض، فتلك صفة تمود على مَنْ فتحه أو خفضه؛

1 ص 46

2 ص 46ب

فهي عادة على العامل الذي قَبِلَ في اللفظ.

تكملة

ثم أوجد سبحانه- الحركات والحروف والخارج، تنبها منه ﷻ أَنَّ النوات تميّز بالصفات والمقامات. فجعل الحركات نظير الصفات، وجعل الحروف نظير الموصوف، وجعل الخارج نظير المقامات والمعارض. فأعطى لهذا الاسم من الحروف على عموم وجوهه، مِنْ وصلِي وقطع: "ء، ا، ل، ه، و" همزة، وألفاً، ولاماً، وهاء، وواوًا. فالهمزة أولاً، والهاء آخراً، ومخرجهما واحد مما يلي القلب. ثم جعل بين الهمزة والهاء حرف اللام، ومخرجه اللسان؛ ترجحان القلب. فوَقعت النسبة بين اللامين والهمزة والهاء، كما وقعت النسبة بين القلب الذي هو محلّ الكلام وبين اللسان المترجم عنه. قال الأخطل¹:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفَوَادِ وَأَتَمَّا
جُعِلَ اللَّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا

فلما كانت اللام من اللسان؛ جعلها تنظر إليه لا إلى نفسها؛ فأفناها عنها، وهي الحنك الأسفل. فلما نظرت إليه لا إلى ذاتها²؛ علت وارتفعت إلى الحنك الأعلى، واشتدّ اللسان بها في الحنك اشتداداً، لتمكّن علوّها وارتفاعها بمشاهدته. وخرجت الواو من الشفتين إلى الوجود الظاهر، محبرة دالة عليه؛ وذلك مقام باطن النبوة؛ وهي الشعرة التي فينا من الرسول ﷺ، وفي ذلك يكون الورث. فخرج من هذا الوصل؛ أَنَّ الهمزة والألف والهاء من عالم الملكوت، واللام من عالم الجبروت، والواو من عالم الملك³.

* * *

وَضَلَّ: قوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ من البسملة

الكلام على هذا الاسم في هذا الباب، من وجهين: من وجه النّات، ومن وجه الصفة. فمن أعربه بدلاً؛ جعله ذاتاً، ومن أعربه نعتاً؛ جعله صفة. والصفات سِتٌّ، ومن شرط هذه الصفات، الحياة: فظهرت السبعة وجميع هذه الصفات للنّات: وهي الألف الموجودة بين الميم والنون، من الرحمن. ويتركب الكلام على هذا الاسم، من الخبر الثابت عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» من حيث إعادة الضمير على الله. ويؤيّد هذا النظر الرواية الأخرى، وهي قوله ﷺ: «على صورة الرحمن» وهذه الرواية، وإن لم تصحّ من طريق أهل النقل، فهي صحيحة من طريق الكشف.

1 الأخطل: (19 - 90 هـ / 640 - 708 م) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المضق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، تباهاً، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حيناً في دمشق وحيناً في الجزيرة. (الموسوعة الشعرية)

2 ص 47

3 في الهامش: "بلغ قراءة لعمود الرخابي".

فأقول¹: إنّ الألف واللام والراء للعلم والإرادة والقدرة. والحاء والميم والنون: مدلول الكلام والسمع والبصر. وصفة الشرط، التي هي الحياة، مستصعبة لجميع هذه الصفات. ثمّ الألف التي بين الميم والنون: مدلول الموصوف؛ وإنما حُذِفَتْ خطأ لدلالة الصفات عليها دلالة ضرورية، من حيث قيام الصفة بالموصوف. فتجلّت للعالم الصفات. ولذلك لم يعرفوا من الإله غيرها، ولا يعرفونها.

ثمّ الذي يدلّ على وجود الألف، ولا بدّ، ما ذكرناه، وزيادة؛ وهي إشباع فتحة الميم. وذلك إشارة إلهية إلى بسط الرحمة على العالم. فلا يكون، أبداً، ما قبل الألف إلا مفتوحاً. فتدلّ الفتحة على الألف في مثل هذا الموطن. وهو محلّ وجود الروح، الذي له مقام البسط لمحلّ التجلّي. ولهذا ذكر أهل عالم التركيب، في وضع الخطوط في حروف العلة، الياء المكسور ما قبلها إذ قد توجد الياء الصحيحة ولا كسر قبلها. وكذلك الواو المضموم ما قبلها. ولَمَّا ذُكِرَ الألف لم يقولوا: المفتوح ما قبلها، إذ لا توجد إلا والفتح في الحرف الذي قبلها، بخلاف الواو والياء. فالاعتلال للألف لازم أبداً.

فالجاهل إذا لم يعلم في الوجود منزهاً عن² جميع النقائص إلا الله تعالى، نسي الروح القدسيّ الأعلى فقال: ما في الوجود إلا الله. فلَمَّا سئل في التفصيل، لم يوجد لديه تحصيل.

وإنما خصّصوا الواو بالمضموم ما قبلها، والياء بالمكسور ما قبلها، لما ذكرناه؛ فصحت المفارقة بين الألف، وبين الواو والياء. فالألف للذات، والواو العلية للصفات، والياء العلية للأفعال. الألف للروح، والعقل صفته، وهو الفتحة. والواو: النفس، والقبض صفتها، وهو الضمة. والياء: الجسم، ووجود الفعل صفته، وهو الخفض.

فإن انفتح ما قبل الواو والياء، فذلك راجع إلى حال المخاطب. ولَمَّا كانتا غيراً ولا بدّ، اختلفت عليهما الصفات. ولَمَّا كانت الألف لا تقبل الحركات، أتحدّث بمدلولها، فلم يختلف عليها شيء ألبتة. وسميت حروف العلة لما نذكره: فألف الذات علة لوجود الصفة، وواو الصفة علة لوجود الفعل، وياء الفعل علة لوجود ما يصدر عنه في عالم الشهادة من حركة وسكون. فلهمنا سُميت عللاً.

ثمّ أوجد النون من هذا الاسم نصف دائرة في الشكل. والنصف الآخر محصور، معقول في النقطة التي تدلّ على النون الغيبية، الذي هو نصف الدائرة. وبحسب الناس³ النقطة أنّها دليّة على النون المحسوسة. ثمّ أوجد مُقدّم الحاء مما يلي الألف المحذوفة في الرقم، إشارة إلى مشاهدتها، ولذلك سكتت، ولو كان مُقدّمها إلى الراء لتحرّكت.

فالألف الأولى للعلم، واللام للإرادة، والراء للقدرة؛ وهي صفة الإيجاد. فوجدنا الألف لها الحركة من

1 ص 47 هـ

2 ص 48 هـ

3 ص 48 هـ

كونها همزة¹، والراء لها الحركة، واللام ساكنة. فاتحدت الإرادة بالقدرة كما اتحد العلم والإرادة بالقدرة- إذا وصلت الرحمن بالله، فأدغمت لام الإرادة في راء القدرة، بعد ما قُلبت راء، وسُدَّت لتحقيق الإيجاد الذي هو الحاء، وجود الكلمة ساكنة. وإنما سَكَنَتْ لأنها لا تنقسم، والحركة منقسمة. فلما كانت الحاء ساكنة سكوناً حياً، ورأيناها مجاورة الراء؛ راء القدرة، عرفنا أنها الكلمة، وثمينها.

تبيية

أشار من أعزبه بدلاً من قوله: "الله" إلى مقام الجمع واتحاد الصفات. وهو مقام من روى: «خلق آدم على صورته» وذلك وجود العبد في مقام الحق، حدّ الخلافة. والخلافة تستدعي الملّك بالضرورة. والملّك ينقسم قسمين: قسم راجع لذاته، وقسم راجع لغيره. والواحد من الأقسام يصلح، في هذا المقام، على حدّ ما رتبناه. فإنّ البديل في الموضع يحلّ محلّ المبدل منه، مثل قولنا: "جاءني² أخوك زيد". فزيد بدل من أخيك، بدل الشيء من الشيء. وهما لعين واحدة: فإنّ زيدا هو أخوك، وأخاك هو زيد بلا شك. وهذا مقام من اعتقد خلافه لما وقف على حقيقة، ولا وَحَدَّ قَطُّ موجدِه.

وأما من أعربه نعتاً، فإنه أشار إلى مقام التفرقة في الصفة. وهو مقام من روى: «خلق آدم على صورة الرحمن» وهذا مقام الوراثة، ولا تقع إلا بين غيرين: مقام الحجاب بمغيب الواحد وظهور الثاني، وهو المعبر عنه بالمثل. وفيما قررنا دليل على ما أضمرنا، فافهم.

ثم أظهر من النون الشطر الأسفل؛ وهو الشطر الظاهر لنا من الفلك الباطن من نصف الدائرة. ومركز العالم في الوسط، من الخطّ الذي يمتدّ من طرف الشطر إلى الطرف الثاني. والشطر الثاني، المستور في النقطة هو الشطر الغائب عنا من تحت- تقيض الخطّ بالإضافة إلينا؛ إذ كانت رؤيتنا من حيث الفعل، في حمة. فالشطر الموجود في الخطّ هو المشرق، والشطر المجموع في النقطة هو المغرب، وهو مطلع وجود الأسرار. فالمشرق -وهو الظاهر المركّب- ينقسم، والمغرب -وهو الباطن البسيط- لا ينقسم. وفيه أقول:

عَجِبًا ³ لِلظَّاهِرِ يَنْقَسِمُ	وَلِبَاطِنِهِ لَا يَنْقَسِمُ
فَالظَّاهِرُ شَمْسٌ فِي حَمَلٍ	وَالْبَاطِنُ فِي أَسَدٍ جَلَمٌ ⁴
حَقِّقْ وَانظُرْ مَعْنَى سَتَرَتْ	مِنْ تَحْتِ كَفَائِحِهَا الظُّلْمُ

1 "من كونها همزة" بالهامش بقلم الأصل، مع إشارة الصويب.

2 ص 49

3 ص 49 ب

4 الجلم: القمر.

إِنَّ كَانَ خَفَى هُوَ ذَاكَ بَدَا عَجَبًا وَاللَّهُ هُمَا الْقَسْمُ
 فَاذْرُغْ لِلشَّمْسِ وَدَعْ قَمَرًا فِي الرُّوْحِ يَلُوحُ وَيَتَعَدِمُ
 وَاخْلَعْ نَفْلِي قَدَمِي كَوْنِي عَلَمِي شَفَعِي يَكُنِ الْكَلِمُ

وإنلك يتعلّق العلم بالمعلومات، والإرادة الواحدة بالمرادات، والقدرة الواحدة بالمقدورات. فتقع
 القسمة والتعداد في المقدورات والمعلومات والمرادات، وهو الشطر الموجود في الرقم. ويقع الاتحاد والتنزّه
 عن الأوصاف الباطنية، من علم وقدرة وإرادة. وفي هذا إشارة. فافهم.

ولَمَّا كَانَتِ الحَاءُ ثَمَانِيَةً، وَهُوَ وَجُودٌ كِمَالِ الذَّاتِ، وَلِنَلِكِ عِبْرَتَا عَنْهُ بِالكَلِمَةِ وَالرُّوْحِ؛ فَكَذَلِكَ النُّونُ
 خَامِسَةٌ فِي العَشْرَاتِ، إِذْ يَتَقَدَّمَا المِمْ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ. فَالنُّونُ جِسْمَانِيٌّ، مَحَلٌّ لِإِجْمَادِ مَوَادِّ الرُّوْحِ وَالْعَقْلِ
 وَالنَّفْسِ وَوَجُودِ الفِعْلِ. وَهَذَا كُلُّهُ مُسْتَوْدَعٌ فِي النُّونِ. وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِنْسَانِ الظَّاهِرَةِ، وَلِهَذَا ظَهَرَتْ.

حِجَّة

وَإِنَّمَا² فُصِّلَ بَيْنَ المِمْ وَالنُّونِ بِالأَلْفِ: "مَان"؛ إِذِ المِمْ مَلَكُوتِيَّةٌ، لَمَّا جَعَلْنَاهَا لِلرُّوْحِ؛ وَالنُّونُ مُلْكِيَّةٌ؛
 وَالنَّقْطَةُ جَبْرُوتِيَّةٌ؛ لَوْجُودِ بَسْرٍ سَلْبِ الدَّعْوَى. كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَيُّ يَا رُوحَ -الَّذِي هُوَ المِمْ- لَمْ تَضَطِّفْكَ مِنْ
 حَيْثُ أَنْتِ، لَكِنْ عَنَآيَةً سَبَقَتْ لَكَ فِي وَجُودِ عِلْمِي. وَلَوْ شِئْتُ لَأَطْلَعْتُ عَلَى نَقْطَةِ العَقْلِ وَنُونِ الْإِنْسَانِيَّةِ،
 دُونَ وَاسِطَةِ وَجُودِكَ. فَاعْرِفْ نَفْسَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا اخْتِصَاصٌ بِكَ مَنِّي، مِنْ حَيْثُ أَنَا لَا مِنْ حَيْثُ
 أَنْتِ. فَصَحَّتِ الْإِصْطِفَآئِيَّةُ؛ فَلَا تَجَلِّي لِغَيْرِهِ أَبَدًا. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَى.

فَتَنَّبَهُ بِمَا مَسْكِينٌ - فِي وَجُودِ المِمْ دَائِرَةٌ عَلَى صُورَةِ الجِسْمِ مَعَ التَّقَدُّمِ "5"³، كَيْفَ أَشَارَ بِهِ إِلَى التَّنَزُّهِ
 عَنِ الْإِنْقِسَامِ؟ وَانْقِسَامِ الدَّائِرَةِ لَا يَتَنَاهَى، فَانْقِسَامُ رُوحِ المِمْ بِمَعْلُومَاتِهِ لَا تَتَنَاهَى، وَهُوَ فِي ذَاتِهِ لَا يَنْقَسِمُ. ثُمَّ
 انظُرِ المِمْ، إِذَا انفصل وحده "م"⁴، كَيْفَ ظَهَرَتْ مِنْهُ مَادَّةُ التَّعْرِيقِ، لَمَّا نَزَلَ إِلَى وَجُودِ الفِعْلِ، فِي عَالَمِ
 الْخِطَابِ وَالتَّكْلِيفِ؟ فَصَارَتِ المَادَّةُ فِي حَقِّ الْغَيْرِ لَا فِي حَقِّ نَفْسِهِ؛ إِذِ الدَّائِرَةُ تَدَلَّ عَلَيْهِ خَاصَّةً؛ فَمَا زَادَ
 فَلَيْسَ فِي حَقِّهِ إِذْ قَدْ ثَبَّتَ ذَاتَهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي حَقِّ غَيْرِهِ. فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبْدُ إِلَى المَادَّةِ، مَدَّ تَعْرِيقًا،
 وَهَذَا هُوَ وَجُودُ التَّحْقِيقِ.

1 ثابت في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 50

3 ثابتة في الهامش.

4 ثابتة في الهامش.

ثم اعلم أنّ الجزء المتصل¹ بين الميم والنون: هو مركز أَلِف الذات "من"². وخفيت الألف؛ ليقع الاتصال بين الميم والنون بطريق المادّة، وهو الجزء المتصل. ولو ظهرت الألف لما صحّ التعريق للميم؛ لأنّ الألف حالّ بينهما. وفي هذا تبيّة على قوله: ﴿زُبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ³﴾؛ وجود الألف المرادة. هذا على مَنْ أعربه مبتدأ، ولا يصحّ من طريق التركيب؛ والصحيح أن يُعرب بدلاً من "الرب". فتبقى الألف هنا عبارة عن الروح -والحقّ قائم بالجميع- والميم: السماوات، والنون: الأرض. وإذا ظهرت الألف بين الميم والنون "مان"⁵؛ فإنّ الاتصال بالميم لا بالنون، فلا تأخذ النون صفة أبداً، من غير واسطة، لقطعها. ودلّ اتصالها بالميم على الأخذ بلا واسطة. والعدم، الذي صحّ به القطع، فيه يقنى النون. ويبقى الميم محجوباً عن سِرِّ قَدَمِهِ بالنقطة التي في وسطه: "5"⁶ التي هي جوف دائرته، بالنظر إلى ذاته بعد أن لم تكن، فيما ظهر له⁷.

سؤال وجوابه

قيل: فكيف عرفت سِرَّ قَدَمِهِ ولم يعرفه هو، وهو أحقّ بمعرفة نفسه منك إن نظرت إلى ظاهره؟ أو هل العالم بسِرِّ القَدَمِ فيه هو المعنى الموجود فيك، المتكلّم فيه، وهو ميم الروح، فقد وقف على سِرِّ قَدَمِهِ؟.

الجواب عن ذلك: إنّ الذي علم متاً بسِرِّ القَدَمِ هو الذي حجبه هناك: فمن الوجه الذي أثبتنا له العلم، غير الوجه الذي أثبتنا له منه عدم العلم. وتقول: إنّما حصل له ذلك علماً لا عيناً. وهذا موجود: فليس من شرط مَنْ علم شيئاً أن يراه. والرؤية للمعلوم آتم من العلم به من وجده، وأوضح في المعرفة به؛ فكلّ عين علم، وليس كلّ علم عيناً. إذ ليس من شرط مَنْ علم أنّ تمّ مكة، رآها؛ وإذا رآها، قطعاً أنّه يعلمها. ولا أريد الاسم، فللعين درجة على العلم معلومة، كما قيل:

وَلَكِنْ لِلْعَيْنِ لَطِيفٌ مَفْتَى لِنَا سَأَلَ الْمَعَايِنَةَ الْكَلِيمُ⁹

بل أقول: إنّ حقيقة سِرِّ القَدَمِ، الذي هو ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ لأنّه لا يعاين، فلم يشاهده لرجوعه لذات

1 ص 50

2 تاجية في الهامش.

3 كتب لفظ الرحمن بالرسم: "الرحمان"

4 [النبأ : 37]

5 تاجية في الهامش.

6 تاجية في الهامش.

7 في الهامش: "بلغ تركباني، وأحمد البرزالي".

8 ص 51

9 البيت من قصيدة لابن حزم الأنطلسي (384-456هـ) عالم الأنطلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، وإليه ينسب المذهب الظاهري. وله مؤلفات كثيرة في مجالات عدة. (جلاة المقتبس في ذكر ولاة الأنطلس للحميدي)

موجده. ولو علم ذات موجده لكان نقصاً في حقّه؛ فغاية كماله، في معرفة نفسه بوجودها، بعد أن لم تكن عينا. هذا فصلٌ عجيب إن تدبّرته وفتت على عجائب، فافهم.

تكلمة

اتصلت اللام بالراء اتصالاً اتحاداً قطعاً، من حيث كونها صفتين باطنتين؛ فسهُل عليها الاتحاد. ووجدت الحاء التي هي الكلمة، المعبر عنها بالمقدور للراء، منفصلة عن الراء التي هي القدرة، لتمييز المقدور من القدرة، ولتلا¹ توهم الحاء المقدورة أنها صفة ذات القدرة. فوقع الفرق بين القديم والحديث. فافهم - يرحمك الله -.

ثم لتعلم أنّ "رحمان" هو الاسم، وهو للذات، والألف واللام، اللذان للتعريف، هما الصفات، ولذلك يقال: "رحمان" مع زوالهما، كما يقال: ذات، ولا تسمى صفة معها. انظر في اسم مسيلمة الكذاب²؛ تسمى برحمان، ولم يهذ إلى الألف واللام؛ لأنّ الذات محلّ الدعوى عند كلّ أحد، وبالصفات يفتضح المدعي.

ف"رحمان" مقام الجمع، وهو مقام الجهل. أشرف ما يرتقى إليه في طريق الله: الجهل به تعالى، ومعرفة الجهل به، فإنها حقيقة العبودية. قال تعالى: ﴿وَأَنْقَبُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾³ فجزدك. وبما يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁴ وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَتَّىٰ تَبْلُغُوهُ﴾⁵.

1 ص 51

2 مسيلمة الكذاب (..- 12 هـ = ..- 633 م) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ، من المعصرين. وفي الأمثال (أكذب من مسيلمة). ولد ونشأ بالهامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيبة، بقرب (العينة) بوادي حنيفة، في نجد. وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعرف برحمان الهامة. ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة، وانفتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرجال، خارج مكة، وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد وذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم مكان مسيلمة فأمر له بمثل ما أمر به لهم، وقال: ليس بشركم مكاناً. ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك، أما بعد فأني قد أشركت في الأمر معك، ولن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قریشا قوم يعتلون) فأجابته: (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين) وذلك في أواخر سنة 10 هـ، كما في سيرة ابن هشام (3: 74) وأكثر مسيلمة من وضع أصحاح يضاهاها القرآن. وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الأمر لأبي بكر، انتدب له أعظم قواده (خالد بن الوليد) على رأس جيش قوي، هاجم ديار بني حنيفة. وصمد هؤلاء، فكانت عدة من المستشهد من المسلمين على قتلهم في ذلك الحين ألفاً ومائتي رجل، منهم أربعائة وخمسون صحابياً، (كما في الشفارات) وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة (سنة 12) ولا تزال إلى اليوم آثار قبور الشهداء، من الصحابة، ظاهرة في قرية (الجبيبة) حيث كانت الواقعة، وقد أكل السيل من أطرافها حتى إن الجالس في أسفل الوادي يرى على ارتفاع خمسة عشر متراً، تقريباً، داخل القبور ولحدها، ولا يزال في نجد وغيرها من ينتسب إلى بني حنيفة الذين تفرقوا في أنحاء الجزيرة. قيل: اسمه (هارون) ومسيلمة لقبه (كما في تاريخ الخميس) ويقال: كان اسمه (مسلمة) وصفه المسلمون تحقيراً له. [الأعلام للزركلي - (7 / 226)]

3 [الحديد: 7]

4 [الإسراء: 85]

5 [البقرة: 121]

فبحقيقة الاستخلاف سلب مسيلمة وإبليس والدجال، وكان من حالم ما علم. فلو استحقوه ذاتاً ما سلبوه ألبتة. ولكن إن نظرت بعين التنفيذ والقبول الكلبي، لا بعين الأمر، وجدت الخالف طانعا، والمعرج مستقيما، والكل داخل في الرق، شاءوا أم أبوا. فأما إبليس ومسيلمة فصرا بالعبودية، والدجال أبي. فتأمل من أين تكلم كل واحد منهم؟ وما الحقائق التي لاحت لهم حتى أوجبت لهم¹ هذه الأحوال؟.

تمة

لما نطقنا بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لم يظهر للألف واللام وجود؛ فصار الاتصال من الذات للذات، والله والرحمن اسمان للذات: فرجع على نفسه بنفسه. ولهذا قال ﷺ: «أعوذ بك منك»، لما انتهى إلى الذات لم يَر غيرا؛ وقد قال: «أعوذ بك» ولا بد من مستعاذ منه. فكشف له عنه، فقال: «منك». ومنك: هو، والدليل عليه: «أعوذ» ولا يصح أن يَفصل: فإنه في الذات، ولا يجوز التفصيل فيها.

فتبين من هذا أن كلمة الله هي العبد. فكما أن لفظة "الله" للذات دليل، كذلك العبد الجامع الكلبي. فالعبد هو كلمة الجلالة. قال بعض المحققين، في حال ما: "أنا الله"، وقالها أيضا بعض الصوفية من مقامين مختلفين. وشتان بين مقام المعنى ومقام الحرف الذي وجد له. فقابل تعالى- الحرف بالحرف: «أعوذ برضاك من سخطك» وقابل المعنى بالمعنى: «وأعوذ بك منك» وهذا غاية المعرفة.

خاتمة

ولعلك تفرق بين الله وبين الرحمن لما تعرض لك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾² ولم يقولوا: "وما الله؟" ولما قيل لهم: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾³ ولهذا كان النعت أولى من البدل عند قوم، وعند آخرين البدل أولى لقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾⁵ فجعلها للذات.

ولم تنكر العرب كلمة "الله" فإنهم القائلون: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾⁶ فعلموه. ولما كان الرحمن يعطي الاشتقاق من الرحمة - وهي صفة موجودة فيهم - خافوا أن يكون المعبود، الذي يدلهم عليه، من جنسهم؛ فأنكروا، وقالوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾⁷ لما لم يكن من شرط كل كلام أن يفهم معناه، ولهذا قال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾⁷ لما كان اللفظان راجعين إلى ذات واحدة. وذلك حقيقة العبد؛

1 ص 52

2 [النحل : 36]

3 [الفرقان : 60]

4 ص 52 ب

5 [الإسراء : 110]

6 [الزمر : 3]

7 [الإسراء : 110]

والباري منزّه عن إدراك التوهم والعلم المحيط به، جلّ عن ذلك.

وَضَلَّ

في قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ من البسملة

الرحيمُ صفةُ محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾¹. وبه كمال الوجود. وبالرحيم تكتمت البسملة؛ وبتمامها تمّ العالم خلقاً وإبداعاً. وكان ﷺ مبتدأ وجود العالم عقلاً ونفساً. «متى كنت نبياً؟ قال: وآدم بين الماء والطين» فبه بدأ الوجود باطنياً، وبه ختم المقام ظاهراً في عالم التخطيط، فقال: «لا رسول بعدي ولا نبي».

فالرحيم هو محمد ﷺ، و﴿بِسْمِ﴾ هو أبونا آدم. وأعني في مقام ابتداء الأمر ونهايته. وذلك أنّ آدم ﷺ هو حامل الأسماء. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾² ومحمد³ حامل معاني تلك الأسماء التي حملها آدم عليها السلام، وهي الكليم. قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم». ومن أتى على نفسه (هو) أمكن وآتم من أتى عليه، كيجي وعيسى عليها السلام. ومن حصل له الذات، فالأسماء تحت حكمه. وليس من حصل الأسماء أن يكون المسمّى محضاً عنده.

وهذا فضلت الصحابة علينا: فإنهم حصلوا الذات، وحصلنا الاسم. ولما راعينا الاسم، مراعاتهم الذات، ضعف لنا الأجر، ولحسرة الغيبة التي لم تكن لهم: فكان تضعيف على تضعيف. فنحن الإخوان، وهم الأصحاب. وهو ﷺ إلينا بالأشواق. وما أفرحنا بقاء واحد منا، وكيف لا يفرح، وقد ورد عليه من كان بالأشواق إليه؟! فهل تقاس كرامته به وبزّه وتحفّيه؟ وللعامل منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل أصحابه، لا من أعيانهم، لكن من أمثالهم. فذلك قوله: بل منكم. فجتّوا واجتهدوا، حتى يعرفوا أنّهم خلّفوا بعدهم رجالات، لو أدركوه ما سبقوهم إليه. ومن هنا تقع الجزاة والله المستعان.

تثنيه

ثم لتعلم أنّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أربعة ألفاظ، لها أربعة معان: فتلك ثمانية. وهم حملة العرش المحيط، وهم من العرش. وهنا هم الحملة من وجوه، والعرش من وجوه. فانظر واستخرج من⁴ ذاتك لذاتك.

تثنيه

ثم وجدنا ميم "بِسْمِ" الذي هو آدم ﷺ مَعْرُفًا، ووجدنا ميم "الرحيم" مَعْرُفًا، الذي هو محمد ﷺ تسليماً. فعلمنا أنّ مادة "ميم" آدم ﷺ لوجود عالم التركيب؛ إذ لم يكن مبعوثاً. وعلمنا أنّ مادة "ميم" محمد

[1] التوبة : 128

[2] البقرة : 31

ص 53

ص 53 ب

﴿ لوجود الخطاب عموماً، كما كان آدم عندنا عموماً. فهذا امتدًا.﴾

إِنْبَاءٌ

قال سيدنا النبي لا ينطق عن الهوى: «إن صلحت أمتي فلها يوم، وإن فسدت فلها نصف يوم» واليوم رباني، فإنَّ "أيام الرب" كلَّ يوم من ألف سنة مما نعد. بخلاف "أيام الله" و"أيام ذي المعارج" فإنَّ هذه الأيام أكبرُ فلُكَا من "أيام الرب"، وسيأتي إن شاء الله - ذكرها في داخل الكتاب، في (فصل) "معرفة الأزمان"، وصلاح الأمة بنظرها إليه ﷺ، وفسادها بإعراضها عنه.

فوجدنا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يتضمن ألف معنى، كلَّ معنى لا يحصل إلا بعد انقضاء حول. ولا بدَّ من حصول هذه المعاني التي تضمنتها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأنَّه ما ظهر إلا ليعطي معناه، فلا بدَّ من كمال ألف سنة لهذه الأمة. وهي في أوَّل "دورة الميزان" ومدتها ستة آلاف سنة روحانية محققة. ولهذا ظهر فيها من العلوم الإلهية ما لم يظهر في غيرها من الأمم. فإنَّ البورة التي انقضت كانت تراثية؛ فغاية علمهم بالطباع، والإلهيون فيهم غرباء، قليلون جدًا، يكاد لا يظهر لهم عين. ثمَّ إنَّ المتأهَّ منهم ممتزج بالطبيعة ولا بدَّ، والمتأهَّ متا صرَّف خالص، لا سبيل لحكم الطبع عليه.

مفتاح (إلف الذات وألف العلم)

ثمَّ وجدنا في "الله" وفي "الرحمن" ألفين: أَلِفُ الذَّاتِ وَأَلِفُ الْعِلْمِ. أَلِفُ الذَّاتِ خَفِيَّةٌ، وَأَلِفُ الْعِلْمِ ظَاهِرَةٌ لِتَجَلِّي الصِّفَةِ عَلَى الْعَالَمِ. ثُمَّ أَيْضًا خَفِيَّةٌ فِي اللَّهِ وَلَمْ تَظْهَرِ، لِرَفْعِ الْإِلْتِبَاسِ فِي الْخَطِّ بَيْنَ "اللَّهِ" و"اللَّاهِ".

ووجدنا في "بِسْمِ" الذي هو آدم ﷺ، أَلِفًا وَاحِدَةً خَفِيَّةً لظهور الباء، ووجدنا في الرحيم، الذي هو محمد ﷺ، أَلِفًا وَاحِدَةً ظَاهِرَةً، وَهِيَ أَلِفُ الْعِلْمِ. وَنَفْسُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ (هِيَ) الذَّاتِ، فَخَفِيَّةٌ فِي آدَمَ ﷺ الْأَلِفِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَرْسَلًا إِلَى أَحَدٍ، فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى ظُهُورِ الصِّفَةِ. وَظَهَرَتْ فِي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ لِكَوْنِهِ مَرْسَلًا؛ فَطَلَبَ التَّأْيِيدَ؛ فَأَعْطِيَ الْأَلِفَ؛ فَظَهَرَ بِهَا.

ثمَّ وجدنا الباء من "بِسْمِ" قد عمِلَتْ فِي "مِيمِ" الرَّحِيمِ: فَكَانَ عَمَلُ آدَمَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ وَجُودَ التَّرَكِيبِ. وَفِي اللَّهِ عَمِلَ بِسَبَبِ دَاعٍ؛ وَفِي الرَّحْمَنِ عَمِلَ بِسَبَبِ مَدْعُوٍّ. وَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّ النِّهَايَةَ أَشْرَفَ مِنَ الْبَدَايَةِ، فَلْنَا: «مَنْ عَزَفَ نَفْسَهُ عَزَفَ رُوحَهُ» وَالْأَسْمُ سُلِّمَ إِلَى الْمَسْتَمَى. وَلَمَّا عَلِمْنَا أَنَّ رُوحَ "الرَّحِيمِ" عَمِلَ فِي رُوحِ "بِسْمِ" لِكَوْنِهِ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، وَلَوْلَاهُمَا مَا كَانَ سُمِّيَ آدَمَ؛ عَلِمْنَا أَنَّ "بِسْمِ" هُوَ "الرَّحِيمِ"؛ إِذْ لَا يَعْمَلُ شَيْءٌ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ. فَانْعَدِمَتِ النِّهَايَةُ وَالْبَدَايَةُ، وَالشُّرْكُ وَالتَّوْحِيدُ، وَظَهَرَ عِزُّ الْإِتِّحَادِ وَسُلْطَانُهُ،

إيضاح (الف الرّجيم ألف العلم)

الدليل على أنّ الألف في قوله: ﴿الرّجيم﴾ ألف العلم، قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبْهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾² وفي ألف "باسم" ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾³ فالألف الألف⁴ ﴿وَلَا أُذْنِي مِنْ ذَلِكَ﴾⁴ باطن التوحيد ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾⁵ يريد ظاهره.

ثمّ خفيت الألف في آدم من "باسم" لأنّه أوّل موجود، ولم يكن له منازع يدعي مقامه. فدلّ بذاته، من أوّل وهلة، على وجود موجوده، لمّا كان مفتتح وجودنا. وذلك لمّا نظر في وجوده، تعرّض له أمران: هل أوجده موجود لا أوّل له؟ أو هل أوجد هو نفسه؟ ومحال أن يوجد هو نفسه؛ لأنّه لا يخلو أن يوجد نفسه وهو موجود، أو يوجدها وهو معدوم. فإن كان موجودا فما الذي أوجد؟ وإن كان معدوما، فكيف يصحّ منه إيجاد وهو عدم؟ فلم يبق إلّا أن يوجدّه غيره، وهو الألف. ولذلك كانت السين ساكنة⁶، وهو العدم. والميم متحرّكة، وهو أوّان الإيجاب.

فلمّا دلّ عليه من أوّل وهلة، خفيت الألف لقوّة الدلالة، وظهرت في الرحيم، لضعف الدلالة لحمد ﷻ لوجود المنازع. فأيدّه بالألف. فصار الرحيم محمدا، والألف منه؛ الحقّ المؤيّد له من اسمه الظاهر. قال - تعالى -: ﴿فَأَضْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾⁷ فقال: «قولوا لا إله إلّا الله وإني رسوله».

فمن آمن بلفظه؛ لم يخرج من ريق الشرك، وهو من أهل الجنّة. ومن آمن بمعناه؛ انتظم في سلك التوحيد؛ فصحّ له الجنّة الثامنة، وكان ممن آمن بنفسه، فلم يكن في ميزان غيره: إذ قد وقعت السويّة، واتّحدت الاصطفاوية جمعا، واختلفت رسالة.

ووجدنا "بسم" ذا نقطة، و"الرحمن" كذلك، و"الرحيم" ذا نقطتين، و"الله" مُضَمَّتْ. فلم توجد في "الله" لمّا كان الذات. ووُجدت فيما بقي لكونهم محلّ الصفات. فاتّحدت في "بسم" آدم لكونه فردا غير مرسل؛ واتّحدت في "الرحمن" لأنّه آدم، وهو المستوي على عرش الكائنات المركّبات⁸؛ وبقي الكلام على تقطّي الرحيم مع ظهور الألف.

فالياء: الليالي العشر؛ والنقطتان: الشفع؛ والألف: الوتر. والاسم بكليّته: والفجر. ومعناه الباطن

1 في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على مؤلفه أيّده الله".

2 [المجادلة : 7]

3 [المجادلة : 7]

4 [المجادلة : 7]

5 [المجادلة : 7]

6 ص 55

7 [الصف : 14]

8 لفظ "المركّبات" مكتوب في الهامش بخط الأصل.

الجبروتي: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾¹ وهو الغيب الملكوتي. وترتيب النقطتين: الواحدة مما تلي الميم، والثانية² مما تلي الألف. والميم: وجود العالم الذي بعث إليهم. والنقطة التي تليه: أبو بكر رضي الله عنه. والنقطة التي تلي الألف: محمد رضي الله عنه.

وقد تقيت الياء عليها، كالغار: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾³ فإنه واقف مع صدقه، ومحمد رضي الله عنه واقف مع الحق في الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت: فهو الحكيم. كفعله يوم بدر في الدعاء والإلحاح، وأبو بكر عن ذلك صاح. فإن الحكيم يوفي المواطن حقها. ولما لم يصح اجتماع صاقتين معاً، لذلك لم يَمَّ أبو بكر في حال النبي رضي الله عنه وثبت مع صدقه به؛ فلو فُقد النبي رضي الله عنه في ذلك الموطن وحضره أبو بكر؛ لقام في ذلك المقام الذي أقيم فيه رسول الله رضي الله عنه؛ لأنه ليس ثم أعلى منه يحجبه عن ذلك. فهو صادق ذلك الوقت وحكيمه، وما سواؤه تحت حكمه.

فلما نظرت نقطة أبي بكر إلى الطالبين؛ أسف عليه؛ فأظهر الشدة وغلب الصدق، وقال: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ لأن ذلك الأسف: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ كما أخبرتنا. وإن جعل منازع أن محمداً هو القائل لم يُبال. لَمَّا كان مقامه رضي الله عنه الجمع والفرقة معاً؛ وعلم من أبي بكر الأسف؛ ونظر⁴ إلى الألف فتأيد، وعلم أن أمره مستمر إلى يوم القيامة، قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

وهذا أشرف مقام ينتهي إليه (الذي هو) تَقَدَّمَ اللهُ عليك "ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله" شهود بكرِّي⁵، وراثة محمدية. وخطب (الرسول) الناس بـ«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» وهو قوله⁶ يخبر عن ربه - تعالى:- ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِي﴾⁷ والمقالة عندنا، إنما كانت لأبي بكر رضي الله عنه، ويؤيدنا قول النبي رضي الله عنه: «لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً»؛ فالنبي رضي الله عنه ليس بمصاحب، وبعضهم أصحاب بعض، وهم له أنصار وأعوان. فافهم إشارتنا تُهد إلى سِوَاء السبيل.

لطيفة (النقطتان الرحيمية موضع القدمين)

النقطتان الرحيمية موضع القدمين؛ وهو أخذ خلع النعلين؛ الأمر والنهي. والألف: "الليلة المباركة" وهي غيب محمد رضي الله عنه. ثم فَرَّقَ فيه إلى الأمر والنهي، وهو قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾⁸ وهو الكرسي. والحاء: العرش. والميم: ما حواه. والألف: حدّ المستوى. والراء: صرف القلم. والنون: اللوامة التي

1 [الفجر : 4] وفقاً لقراءة ورش. وفي قراءة حفص: يسر

2 ص 55 ب

3 [التوبة : 40]

4 ص 56

5 أي منسوب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

6 ق: قوله تعالى.

7 [الشعراء : 62]

8 [الدخان : 4]

في اللام.

فكتب ما كان وما يكون في قرطاس لوح الرحيم، وهو اللوح المحفوظ، المعبر عنه بكل شيء في الكتاب العزيز، من باب الإشارة والتنبيه. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ؛ ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾²، وهو اللوح المحفوظ الجامع. ذلك عبارة عن النبي ﷺ في قوله: «أوتيت جوامع الكلم» موعظة وتفصيلا.

وهما نقطتا الأمر والنهي لكل شيء (اللذان هما) غيب محمد (الذي هو) الألف المشار إليه بالليلة المباركة.

فالألف للعلم؛ وهو المستوى، واللام للإرادة؛ وهو النون أعني النواة- والراء للقدرة؛ وهو القلم، والحاء للعرش، والياء للكرسي، ورأس الميم للسماء، وتعميقه للأرض. فهذه سبعة أنجم: نجم منها يسبح في فلک الجسم، ونجم في فلک النفس الناطقة، ونجم في فلک سِر النفس، وهو الصديقية، ونجم في فلک القلب، ونجم في فلک العقل، ونجم في فلک الروح. فحل ما قلنا. وفيما قترنا مفتاح لما أضمرنا. فاطلب تجد إن شاء الله. - ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وإن تعدد فهو واحد، إذا حُقِّق من وجوه ما.

وَضَلَّ فِي أَسْرَارِ آمِ الْقُرْآنِ مِنْ طَرِيقِ خَاصٍ

وهي فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، والكافية، والبسمة آية منها، وهي تتضمن الربَّ والعبد، ولنا في تفسيرها قريض، منه:

لِلنَّيْرِينِ طُلُوعٌ بِالْفُؤَادِ فَا	فِي سُورَةِ الْحَمْدِ يَتَدُو ثَالِثٌ لَهُمَا
فَالْبَنْدُ ³ مَخَوٌّ وَشَمْسُ النَّاتِ مُشْرِقَةٌ	لَوْلَا الشُّرُوءُ لَقَدْ أَلْفَيْتُهُ عَدَمًا
هَذِي النُّجُومُ بِأَفْقِ الشَّرْقِ طَالِعَةٌ	وَالْبَنْدُ لِلْمَغْرِبِ الْعَقْلِي قَدْ لَزِمَا
فَإِنْ تَبَدَّى فَلَا نَجْمٌ وَلَا قَمَرٌ	يَلُوحُ فِي الْفَلَكَ الْعُلُويِّ مُزْتَسِمًا

فهي فاتحة الكتاب. لأن الكتاب عبارة، من باب الإشارة، عن المبدع الأول. فالكتاب يتضمن الفاتحة وغيرها، لأنها منه. وإنما صح لها اسم الفاتحة، من حيث أنها أول ما افتتح بها كتاب الوجود. وهي عبارة عن

1 ص 56

2 [الأعراف : 145]

3 ص 57

المثل المنزه في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹، بأن تكون الكاف عين الصفة. فلما أوجد المثل؛ الذي هو الفاتحة، أوجد بعده الكتاب، وجعله مفتاحا له. فتأمل.

وهي "أمّ القرآن"؛ لأنّ الأمّ محلّ الإيجاد، والموجود فيها هو القرآن، والموجد: الفاعل في الأمّ. فالأمّ هي الجامعة الكلّية، وهي أمّ الكتاب الذي عنده في قوله تعالى:- ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾². فانظر عيسى ومريم عليهما السلام- وفاعل الإيجاد، يخرج لك عكس ما بدا لِحِسِّكَ. فالأمّ عيسى، والابن³ الذي هو الكتاب العنديّ أو القرآن مريم عليها السلام، فانهم.

وكذلك الروح؛ ازدوج مع النفس بواسطة العقل، فصارت النفس محلّ الإيجاد جسّاء، والروح أماها إلّا من النفس. فالنفس (هي) الأب. فهذه النفس هو الكتاب المرقوم، لتنفيذ الخطّ. فظهر في الابن ما خطّ القلم في الأمّ، وهو القرآن الخارج على عالم الشهادة. والأمّ أيضا عبارة عن وجود المثل محلّ الأسرار. فهو الرقّ المنشور، الذي أودع فيه الكتاب المسطور، المودعة فيه تلك الأسرار الإلهية.

فالكتاب، هنا، أعلى من الفاتحة؛ إذ الفاتحة دليلّ، الكتاب مدلولها. وشرفّ الدليل بحسب ما يدلّ عليه. رأيته لو كان مفتاحا ليضدّ الكتاب المعلوم، أن لو فرض له ضدّ، حُقرّ الدليل لحقارة المدلول. ولهذا أشار النبي ﷺ أن لا يسافر بالمصحف إلى أرض العدو، لدلالة تلك الحروف على كلام الله تعالى،- إذ قد سمّاها الحقّ كلام الله. والحروف الذي فيه أمثالها وأمثال الكلمات، إذا لم يقصد بها الدلالة على كلام الله، يسافر بها إلى أرض العدو، ويدخل بها مواضع النجاسات وأشباهاها، والكُفّ⁴.

وهي "السبع المثاني والقرآن العظيم". الصفات ظهرت في الوجود في واحدٍ وواحد؛ فحضره تفرّد وحضره⁵ تجمّع. فمن البسمة إلى ﴿الَّذِينَ﴾ أفراد؛ وكذلك من ﴿أَهْدِينَا﴾ إلى ﴿الضَّالِّينَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُ﴾⁶ تشمل (أي تجمع).

قال الله تعالى:- «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» فلك السؤال ومنه العطاء، كما أنّ له السؤال بالأمر والنهي ولك الامتثال.

يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁷ يقول الله: «حمدني عبدي»، يقول العبد ﴿الرَّحْمَنُ

1 [الشورى : 11]

2 [الرعد : 39]

3 ص 57ب

4 في الهامش: "بلغ قراءة".

5 ص 58

6 [الفاتحة : 5]

7 [الفاتحة : 2]

الرَّحِيمِ ﴿١﴾ يقول الله: «أنتي عليّ عبدي»، يقول العبد: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾² يقول الله: «مجدني عبدي» ومرة قال: «فوض إليّ عبدي». هذا إفراد إلهي³. وفي رواية: يقول العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يقول الله: «ذكرني عبدي».

ثم قال: يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾³ يقول الله: «هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل». ف"ما" هي العطاء. و﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين ملحق بالإفراد الإلهي.

يقول العبد: ﴿هَادِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁴ «فهؤلاء لعبدي»، هذا هو الإفراد العبدية المألوه، «ولعبدي ما سأل»؛ سأل مألوهة ما إليها.

فلم تبق إلا حضرتان. فصحّ المثاني. فظهرت في الحق وجودا، وفي العبد الكلي إيجادا. فوصف نفسه بها، ولا موجود سواؤه في العماء. ثم وصف بها عبده حين استخلفه؛ ولذلك⁵ خروا له ساجدين لتمكن الصورة، ووقع الفرق من موضع القدمين إلى يوم القيامة.

والقرآن العظيم (الذي هو من أسماء الفاتحة): الجمع والوجود؛ وهو إفراده عنك وجمعك به، وليس سيوى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وحسب. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

واقعة

أرسل رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه إليّ أمرا بالكلام في المنام، بعد ما وقعت شفاعتي على جماعتي، ونجا الكل من أسر الهلاك، وقرب المنبر الأسنى، وصعدت عليه عن الإذن العالي الحمدي الأسمى، بالاقصا على لفظة "الحمد لله" خاصة، ونزل التأيد، ورسول الله ﷺ على يمين المنبر قاعد. فقال العبد بعد ما أنشد وحمد وأنتى وبسمل:

حقيقة "الحمد" هي العبد المقدس المنزه، "الله" إشارة إلى الذات الأزلية، وهو مقام انفصال وجود العبد من وجود الإله، ثم غيبه عن وجوده، بوجوده الأزلي وأوصله به، فقال: "الله". فاللام الداخلة على قوله: "الله" الخافضة له، هي حقيقة المألوه، في باب التواضع والنلّة، وهي من حروف المعاني لا من حروف الهجاء. ثم قدّما سبحانه - على اسم نفسه، تشريفا لها، وتبهما وتزبها لمعرفة بنفسها، وتصديقا

[1] الفاتحة : 3

[2] الفاتحة : 4

[3] الفاتحة : 5

[4] الفاتحة : 6-7

5 ص 58

[6] الأحزاب: 4، وفي الهامش: "بلغ".

لتقديم¹ النبي ﷺ إياها، في قوله: «مَنْ عَزَفَ نَفْسَهُ عَزَفَ رَبَّهُ» فقدّم معرفة النفس على معرفة الرب.

ثم عَمِلَتْ في الاسم "الله" لتحقيق الاتصال، وتمكّنها من المقام. ولَمَّا كانت في مقام الوصلة، ربما تُؤمُّ أن "الحمد" غير اللام، فَحَفِضَ العبد اتِّبَاعًا لحركة اللام، فقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بخفض البال. فكان لفظة "الحمد" بدلًا من اللام؛ بدل شيء من شيء، وهما لعين واحدة. فالحمد هو وجود اللام، واللام هي الحمد. فإذا كانا شيئًا واحدًا، كان الحمد في مقام الوصلة مع الله، لأنّه عين اللام؛ فكان معنى، كما كانت اللام لفظًا ومعنى.

ثم حقيقة الخفض فيها إثبات العبوديّة، ثم أحيانًا يفنيها عن نفسها فناء كليًا ليرفعها إلى المقام الأعلى في الأوليّة، ثم يبقى حقيقتها في الآخريّة، فيقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ برفع اللام إتيابًا لحركة البال. وهذا بما يؤيد أنّ الحمد: اللام، وهو المعبر عنه بالرداء والثوب، إذ كان (هو) محلّ الصفات واقتراق الجمع. فغاية معرفة العباد أن تصل إليه إن وصلت، والحق وراء ذلك كلّ، أو قل: ومع ذلك كلّ.

فلَمَّا رفعها بالفناء عنها ابتداءً، أراد أن يعزّفها، مع فنائها، أنّها ما برحت من مقامها. فجعلها عاملة، وجعل رفعها عارضا في حقّ الحقّ. فأبقى الهاء مكسورةً، تدلّ² على وجود اللام في مقام خفض العبوديّة. ولهذا شدّت اللام الوسطى بلفظة "لا" أي ذات الحقّ ليست ذات العبد، وإنما هي حقيقة المثل لتجلي الصورة.

ثمّ الهاء تعود على اللام لما هي معمولها. فلو كانت الهاء كناية عن ذات الحقّ لم تعمل فيها اللام، بل هو العامل في كلّ شيء. فإذا كانت اللام هي نفس الحمد، والهاء معمول اللام، فالهاء هي اللام. وقد كانت اللام هي الحمد؛ فالهاء (هي) الحمد بلا مزيد. وقد قلنا: إنّ اللام المشدّدة، لنفي الجمع المتحد، (هي) موضع الفصل.

فخرج من مضمون هذا الكلام، أنّ الحمد هو قوله: ﴿الله﴾، وأنّ قوله: ﴿الله﴾ هو قوله الحمد. فغاية العبد أن حمد نفسه النبي رأى في المرأة، إذ لا طاقة للمحدّث على حمل القديم. فأحدث المثل على الصورة، وصار الموجدُ مرآة. فلَمَّا تجلّت صورة المثل في مرآة اللات، قال لها حين أبصرت اللات، فطسّست، فبيّرت نفسها: أحدي من رأيت. فحمدت نفسها، فقالت: "الحمد لله". فقال لها: يرحمك ربك يا آدم؛ لهذا خلقتك. فسبقت رحمة غضبه.

ولهذا قال عقيب قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾³: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾¹ فقدّم الرحمة، ثم قال: ﴿عَزَّ وَجَلَّ﴾

1 ص 59

2 ص 59 ب

3 [الفاتحة : 2]

المَغضُوبِ عَلَيْهِمْ² فَأَخْرَ غَضِبَهُ. فسبقت الرحمة الغضبَ في أوّل افتتاح الوجود. فسبقت الرحمة إلى³ آدم قبل العقوبة، على أكل الشجرة. ثم رُحِمَ بعد ذلك. فجاءت رحمتان بينهما غضب. فتطلب الرحمان أن تتمترجا لأتّهما مثلان؛ فانضمت هذه إلى هذه، فانعدم الغضب بينهما. كما قال بعضهم في يسرين بينها عسر:

إِذَا ضَاقَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ فَكَزْ فِي "أَلَمْ تَشْرَخْ"
فَعُسْرٌ بَيْنَ يُسْرَيْنِ إِذَا ذَكَرْتَهُ فَاْفْرَخْ

فالرحمة عبارة عن الوجود الأوّل، المعبر عنه بالمطلوب. والمغضوب عليه: النفس الأتّارة. والضالّون: عالم التركيب ما دامت هي مغضوبة عليها، إذ الباري منزّه عن أن ينزّه؛ إذ لا غير ولا موجود إلّا هو. ولهذا أشار ﷺ بقوله: «المؤمن مرآة أخيه» لوجود الصورة على كمالها؛ إذ هي محلّ المعرفة، وهي الموصلة. ولو أوجده على غير تلك الصورة، لكان جهادا. فالحمد لله الذي منّ على العارفين به، الواقفين معه، بموادّ العناية أزلا وأبدا.

تبيه (اللام تفي الرسم، كما أنّ الباء تبقية)

اللام تفي الرسم، كما أنّ الباء تبقية. ولهذا قال أبو العباس بن العريف⁴: "العلماء لي، والعارفون بي" فأثبت المقام الأعلى للام. فإنه قال في كلامه: "والعارفون بالهمم". ثم قال في حقّ اللام: "والحقّ وراء ذلك كلّهُ". ثمّ زاد تشبيها على ذلك، ولم يقنع بهذا وحده، فقال: "والهمم للوصول" والهمّة للعارفين البائتين. وقال في العلماء اللاميين: "وإنما يتبيّن الحقّ عند اضمحلال الرسم" وهذا هو مقام اللام: فناء الرسم.

ذ "الحمد لله" أعلى من "الحمد بالله". فإنّ "الحمد بالله" يتيقن، و"الحمد لله" يفتنك. فإذا قال العالم: "الحمد لله" أي لا حامد لله إلّا هو، فأحرى أن لا يكون ثمّ محمود سيّواه. وتقول العامة: "الحمد لله" أي لا محمود إلّا الله، وهي الحامدة. فاشتركا في صورة اللفظ. فالعلماء أفنت الحامدين المخلوقين والمحمودين، والعامة أفنت الحمودين من الخلق خاصة. وأمّا العارفون فلا يتمكن لهم أن يقولوا: "الحمد لله" إلّا مثل العامة، وإنما

1 [الفاحة : 3]

2 [الفاحة : 7]

3 ص 60

4 أبو العباس بن العريف الصنهاجي، سبق تعريفه.

5 ص 60ب

6 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

مقامهم: "الحمد بالله" لبقاء نفوسهم عندهم. فتحقق هذا الفصل، فإنه من لُباب المعرفة¹.

وَضَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾²

أثبت بقوله، عندنا وفي قلوبنا: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حضرة الربوبية. وهذا مقام العارف، ورسوخ قدم النفس. وهو موضع الصفة. فإنَّ قولنا: ﴿لِلَّهِ﴾ ذاتية المشهد عالية المحتد. ثم أتبعه بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مرتبهم ومغذّتهم. والعالمين عبارة عن كلّ ما سِوَى الله. والتربية تنقسم قسمين: تربية بواسطة وبغير واسطة. فأما³ الكلمة (أي الروح الكلّي) فلا يُتصوّر واسطة في حقّه ألبتّة، وأمّا مَنْ دونه فلا بدّ من الواسطة. ثمّ تنقسم التربية قسمين: التي بالواسطة خاصّة؛ قسم محمود وقسم مذموم. ومن القديم تعالى- إلى النفس، والنفس داخلة⁴ في الحدّ ما ثمّ إلّا محدود خاصّة. وأمّا المذموم والحمود؛ فمن النفس إلى عالم الحسّ. فكانت النفس محلاً قابلاً لوجود التغيير والتطهير.

فنقول: إنّ الله تعالى- لَمّا أوجد الكلمة، المعبر عنها بالروح الكلّي، إيجاد إبداع، أوجدها في مقام الجهل ومحلّ السلب، أي أعماه عن رؤية نفسه. فبقي لا يعرف من أين⁵ صدر؟ ولا كيف صدر؟. وكان الغداء فيه، الذي هو سبب حياته وبقائه، وهو لا يعلم. فحرك الله همته لطلب ما عنده، وهو لا يدري أنّه عنده. فأخذ في الرحلة بهمّته. فأشهده الحقّ تعالى- ذاته؛ فسكن. وعرف أنّ الذي طلب لم يزل به موصوفاً. قال إبراهيم بن مسعود الإلبيري⁶:

قَدْ يَرَحُلُ الْمَرْءُ لِمَطْلُوبِهِ وَالسَّبَبُ الْمَطْلُوبُ فِي الرَّاحِلِ

وعلم ما أودع الله فيه من الأسرار والحكم، وتحقّق عنده حدوثه، وعرف ذاته معرفة إحاطية. فكانت تلك المعرفة له غذاء معيّنًا، يتقوّت به وتدوم حياته إلى غير نهاية.

فقال له عند ذلك⁷ التجلّي الأقدس: ما اسمي عندك؟ فقال: أنت ربّي. فلم يعرفه إلّا في حضرة الربوبية. وتفرّد القديم بالألوهية؛ فإنه لا يعرفه إلّا هو. فقال له سبحانه: أنت مربي وأنا ربّك؛ أعطيتك

1 في الهامش: "بلغ قراءة لابنه أحمد عفا الله عنها".

2 [الفاحة: 2-3]

3 ص 61

4 في س: غير داخلة

5 ثابت بالهامش بقلم الأصل.

6 الإلبيري: (375-460هـ) شاعر أنلمي. اشتهر بفرناتة، وأنكر على ملكها استوزاره ابن نقرّة اليهودي، ففضي إلى البيرة، وقال في ذلك شعراً. فنارت صنّاعة على اليهودي، وقتلوه. شعره كله في الحكم والمواعظ. والبيت من قصيدة مطلعها:

ما أميل النفس إلى الباطل وأهون الدنيا على العاقل

ص 61

أسباني وصفاتي؛ لمن رآك رأني، ومن أطاعك أطاعني، ومن علمك علمني، ومن جملك جملني. فغاية من دونك، أن يتوصلوا إلى معرفة نفوسهم منك. وغاية معرفتهم بك؛ العلم بوجودك، لا بكيفيتك. كذلك أنت معي؛ لا تتعدى معرفة نفسك، ولا ترى غيرك، ولا يحصل لك العلم بي إلا من حيث الوجود. ولو أحطت علما بي؛ لكنك أنت أنا، ولكنك محاطا لك، وكانت إيتي إيتك، وليست إيتك إيتي. فأمدك بالأسرار الإلهية، وأريتك بها، فتجدها مجعولة فيك فتعرفها. وقد حجبتك عن معرفة كيفية إمدادي لك بها، إذ لا طاقة لك بحمل مشاهدتها، إذ لو عرفتها لاتحدت الإيتية، واتحدت الإيتية محال، فمشاهدتك لذلك محال. هل ترجع إيتة المركب إيتة البسيط؟ لا سبيل إلى قلب الحقائق. فاعلم أن من دونك في حكم التبعية لك، كما أنت في حكم التبعية لي. فأنت ثوبي، وأنت ردائي، وأنت غطائي.

فقال له الروح: ربّي؛ سمعتك تذكر أنّ لي مُلكا، فأين هو؟ فاستخرج له النفس منه، وهي المفعول عن الانبعاث. فقال: هذا بعضي وأنا كله، كما أنا منك¹ ولست منّي. قال: صدقت يا روحي. قال: بك نطقت يا ربّي- إنك ريتني، وحجبت عني سرّ الإمداد والتربية، وانفردت أنت به. فاجعل إمدادي محجوبا عن هذا المُلك، حتى يجهلي كما جملتك. فخلق في النفس صفة القبول والافتقار، ووزر العقل إلى الروح المقدّس.

ثمّ اطّلع الروح على النفس، فقال لها: من أنا؟ قالت: ربّي، بك حياتي وبك بقائي. فتاه الروح بملكه، وقام فيه مقام ربه فيه، وتخيّل أنّ ذلك هو نفس الإمداد. فأراد الحقّ أن يعرفه أنّ الأمر على خلاف ما تخيّل، وأنّه لو أعطاه سرّ الإمداد، كما سأل، لما انفردت الألوهية عنه بشيء، ولا تحدّث الإيتية. فلما أراد ذلك، خلق الهوى في مقابلته، وخلق الشهوة في مقابلة العقل، ووزرها للهوى، وجعل في النفس صورة القبول لجميع الواردات عموما. فخصّلت النفس بين ريتين قويتين، لهما وزيران عظيمان؛ وما زال هذا يناديها، وهذا يناديها، والكلّ من عند الله. قال تعالى:- ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾² و﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾³ ولهذا كانت النفس محلّ التغيير والتطهير. قال تعالى:- ﴿قَالَ لَهُمَا فَجُورَها وَتَقْوَاهَا﴾⁴ في إثر قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾⁵. فإن أجابت منادي الهوى كان التغيير، وإن أجابت منادي الروح كان التطهير شرعا وتوحيدا.

فلما رأى الروح (أنّه) ينادي ولا يُسمع مجيباً⁶، فقال: ما منع مُلكي من إجابتي؟ قال له الوزير: في

1 ص 62

2 [النساء : 78]

3 [الإسراء : 20]

4 [الشمس : 8]

5 [الشمس : 7]

6 ص 62ب

مقابلتك مَلِك مطاع عظيم السلطان، يستى الهوى، عَطِيئُهُ معجّلة، له الدنيا بحذافيرها؛ فبسط لها (أي للنفس) حضرته، ودعاها فأجابته. فرجع الروح بالشكوى إلى الله تعالى، فثبتت عبوديته. وذلك كان المراد.

وتزلت الأرباب والمريوبون؛ كلّ واحد على حسب مقامه وقدره: فعالم الشهادة المنفصل؛ ربّهم عالم الخطاب، وعالم الشهادة المتصل؛ ربّهم عالم الجبروت، وعالم الجبروت؛ ربّهم عالم الملكوت، وعالم الملكوت؛ ربّهم الكلمة، والكلمة؛ ربّها ربّ الكلّ، الواحد الصمد. وقد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتابنا المستقى "التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية" فأضربنا عن تميم هذا الفصل هنا مخافة التطويل، وكذلك ذكرناه أيضا في "تفسير القرآن". فسبحان من تفرّد بتربية عباده، وحجب من حجب منهم بالوسائط.

وخرج من هذا الفصل، لمن عرف روحه ومعناه، أنّ الربّ هو الله سبحانه- وأنّ العالمين هو المثل الكلّي؛ ولنلك أوجده في العالمين، على ثمانية أحرف عرشا، واستوى عليه باللطف والتربية والحنان والرحمة الرحمانية، المؤكّدة بالرحيمية، لتمييز الدار الحيوان، لقوله تعالى:- ﴿الرّحمن الرّحيم﴾. فعلم¹ بالرحمان، وخصّ بالرحيم. فالرحمان، في عالمه، بالوسائط وغيرها، والرحيم، في كلماته، بلا واسطة لوجود الاختصاص وشرف العناية. فافهم، وإلا سلّم تسلم.

وَصَلِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:- ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾²

يريد يوم الجزاء. وحضرة المَلِك من مقام التفرقة. وهي جمع؛ فإنه لا تقع التفرقة إلا في الجمع. قال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾³ فهي مقام الجمع، وقد قبلت سلطان التفرقة؛ فهي مقام التفرقة. فافترق الجمع إلى: أمر ونهي؛ خطابا. وسخط ورضا؛ إرادة. وطاعة وعصيان؛ فعل مألوه. ووعيد ووعيد؛ فعل إله.

والمَلِك في هذا اليوم من حَقَّت له الشفاعة واختصّ بها، ولم يقل: نفسي، وقال: «أُمَّتِي». والمَلِك في وجودنا المطلوب للقيامة المعجّلة، التي تظهر في طريق التصوّف، هو الروح القدسيّ. ويوم القيامة (هو) وقت إيجاده الجزاء، أو طولب به إن كانت عقوبة، لا بدّ من ذلك. فإن كانت الطاعة؛ فجَنّات من نخيل وأعناب، وإن كانت المعصية الكفراية؛ لجَهَنّم من أغلال وعذاب، من مقام الدّعوى في الصورتين.

نفرض الكلام في هذه الآية على حدّ المَلِك، وما ينبغي له، وهل ترهق النفس من يوم الدين⁴ إلى

1 ص 63

2 [الفاتحة : 4]

3 [الدخان : 4]

4 ص 63 ب

الفناء عنه؟ فأقول: إِنَّ الْمَلِكِ؛ مَنْ صَحَّ لَهُ الْمَلِكُ بطريق المَلِكِ، وسجد له الْمَلِكُ¹ وهو الروح. فلما نازعه الهوى، واستعان بالنعس عليه؛ عزم الروح على قتل الهوى واستعد. فلما برز الروح بجنود التوحيد والملا الأعلى، وبرز الهوى كذلك بجنود الأماني والغرور والملا الأسفل، قال الروح للهوى: مني إليك؛ فإن ظفرت بك فالقوم لي، وإن ظفرت أنت وهزمتني فالملك لك، ولا يهلك القوم بيننا. برز الروح والهوى؛ فقتله الروح بسيف العدم، وظفر بالنعس بعد إياية منها وحمد كبير. فأسلمت تحت سيفه، فسلمت وأسلمت، وتطهرت وتقدست. وآمنت الحواس لإيمانها، ودخلوا في رِقِّ الاتقياء، وأذعنوا، وسُلبت عنهم أودية الدعاوى الفاسدة، وأتحدت كلمتهم. وصار الروح والنعس كالشيء الواحد، وصحَّ له اسم المَلِكِ حقيقة. فقال له: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فردّه إلى مقامه، ونقله من افتراق الشرع إلى جمع التوحيد.

والمَلِكُ، على الحقيقة، هو الحق تعالى- المالك لكلِّ ومصرفه. وهو الشفيع لنفسه عامّة وخاصّة: خاصّة في الدنيا، وعامّة في الآخرة من وجهٍ ما. ولأنك قدّم على قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لتأنس أفتدة المحجوبين عن رؤية ربِّ العالمين. ألا تراه يقول يوم الدين: «شفعت² الملائكة والنبّيون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين» ولم يقل: وبقي الجبار، ولا القهار؛ ليقع التأنيس قبل إيجاد الفعل في قلوبهم.

فمن عرف المعنى في هذا الوجود، صحَّ له الاختصاص في مقام "أرحم". ومن جهلها في هذا الوجود، دخل في العامّة في الحشر الأكبر، فتجلّى في مقام "الراحمين". فعاد الفرق جمعا، والفتق رقعا، والشفع وترا بشفاة أرحم الراحمين؛ من جهّم، ظاهر السور، إلى جنة باطنه. فإذا وقع الجدار، وانهدم السور، وامتزجت الأنهار، والتقت البحران، وعدم البرزخ؛ صار العذاب نعيما، وجهّم جنة؛ فلا عذاب ولا عقاب، إلا نعيم وأمان، بمشاهدة العيان، وترثم أطيّارٍ بألحان، على المقاصير والأفنان، ولثم الحور والبولدان، وعُدِمَ مالك وبقي رضوان، وصارت جهّم تنعم في حظائر الجنان، واتضح يسرٌ إبليس فيهم، فإذا هو ومن سجد له سيّان؛ فإنّهما ما تصرفا إلا عن قضاء سابق، وقدر لاحق، لا محيص لهما عنه، فلا بدّ لهما منه، وحاج آدم موسى.

* * *

وَضَلَّ فِي قَوْلِهِ سَجَلٌ شَاوَهُ وَهَمَسَ: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾³

لما ثبت وجوده بـ﴿الحمد لله﴾ وغذاؤه بـ﴿ربِّ العالمين﴾، واصطفاه بـ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وتمجيده

1 ق: "كله" وعليها علامة الشطب ومقابلها مكتوب بالهامش "الملك".

2 ص 64

3 [الفاحة : 5]

بـ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾، أراد تأكيد تكرر الشكر¹ والثناء، ورغبة في المزيد، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهذا مقام الشكر. أي لك نُقِرَّ بالعبودية ونؤوي، وحدك لا شريك لك، ولك نؤوي في الاستعانة لا إلى غيرك، على مَنْ أنزلتهم مِنِّي منزلتي منك. فأنا أمدِّم بك لا بنفسي.. فأنت المجدِّ لا أنا. وأثبت له بهذه الآية نفي الشريك.

فالياء من "إِيَّاكَ": العبد الكلِّي، قد انحصرت ما بين ألفين: أَلْفِي توحيد، حتى لا يكون لها موضع دعوى، برؤية غير؛ فأحاط بها التوحيد. والكاف ضميرُ الحقِّ. فالكاف والألفان شيء واحد؛ فهم مدلول الذات. ثُمَّ كان "نعبد" صفة فعل الياء، بالضمير الذي فيه. والعبدُ فعلُ الحقِّ. فلم يبق في الوجود إلا الحضرة الإلهية خاصة. غير أنه في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في حقِّ نفسه للإبداع الأول، حيث لا يُصوَّر غيره، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في حقِّ غيره، للخلق المشتقِّ منه، وهو محلُّ سرِّ الخلافة. ففي ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ سجدت الملائكة، وأبى مَنْ استكبر.

* * *

وَضَلَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾² آمين

فلَمَّا قال له: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾³. قال له: وما عبادتي؟ قال: ثبوت التوحيد في الجمع والفرقة. فلَمَّا استقرَّ ذلك عند النفس؛ أن النجاة في التوحيد، الذي هو الصراطُ المستقيم وهو شهود الذات بفنائها، أو بقائتها إن عَقَلَتْ - قالت: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁵ فتعرَّض لها بقولها: "المستقيم" صراطان: معوجٌّ؛ وهو صراط الدَّعوى، ومستقيم؛ وهو التوحيد. فلم يكن لها مَيِّزٌ بين الصراطين إلا بحسب السالكين عليهما. فرأت رَهاً سالكا للمستقيم؛ ففرته به، ونظرت نفسها؛ فوجدت بينها وبين رَهاً، الذي هو الروح، مقاربة في اللطافة، ونظرت إلى المعوجِّ عند عالم التركيب؛ فذلك قولها: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾⁶ وهذا عالمها المتصل بها، المركَّب: مغضوب عليه، والمنفصل عنها: ضالُّون عنها، بنظرهم إلى المتصل، المغضوب عليه.

فوقفت على رأس الصراطين، ورأت غاية المعوجِّ الهلاك، وغاية المستقيم النجاة، وعلمت أن عالمها

1 ص 64 كعب

2 [الفاتحة : 6-7]

3 [الفاتحة : 5]

4 ص 65

5 [الفاتحة : 6]

6 [الفاتحة : 7]

يتبعها حيث سلكت. فلما أرادت السلوك على المستقيم، وأن تعتكف في حضرة ربها، وأن ذلك لها ومن نفسها، بقولها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عجزت وقصرت بها. فطلبت الاستعانة بقولها: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فنتبها ربها على ﴿اهْدِنَا﴾ فتيقظت، فقالت: ﴿اهْدِنَا﴾ فوصفت ما رأت بقولها: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي هو معرفة ذاتك. قال صاحب المواقف¹: "لا تأتمر للعلم" وقال: "أنت لما هلكت فيه".

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وقرئ في الشاذ: ﴿صِرَاطَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ﴾² إشارة إلى الروح القدس. وتفسير الكل: من أنعم الله عليه من رسول ونبي. ﴿غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ليس كذلك، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

يقول تعالى:- «فهؤلاء لعبدي ولعبيدي ما سألت». فأجابها، وأقام معوجتها، وأوضح صراطها، ورفع بساطها. يقول ربها إثر تمام دعائها: "آمين" فحصلت الإجابة بالأمن، تأمين الملائكة. وصار تأمين الروح تابعا له اتباع الأجناد، بل أطوع، لكون الإرادة متحدة، وصح لها النطق، فسماها النفس الناطقة، وهي عرش الروح، والعقل صورة الاستواء. فافهم، وإلا فسلم تسلم. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

فصول تأئيس وقواعد تأسيس

نظر الجبال بعين الوصال: قال تعالى:- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءَ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁵. إيجاز البيان فيه: يا محمد؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ ستروا محبتهم في عنهم، ف﴿سَوَاءَ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ بوعيدك الذي أرسلتك به ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بكلامك، فإنهم لا يعقلون غيري. وأنت تنذرهم بخلقى، وهم ما عقلوه ولا شاهدود.

1 هو محمد بن عبد الحبار بن الحسن النضري، أبو عبد الله: (... 354 هـ = ... 965 م) عالم بالدين، مصوف. نسبته إلى بلدة (نهر) بين الكوفة والبصرة. من كتبه المواقف والمحاطبات كلاهما في التصوف. [الأعلام للزركلي - (6 / 184)] والعبارتان وردتا في كتاب المواقف، الأولى (ص 1 / 17) في موقف "اسم عهد ولايتك" وهي: "أوقفتني وقال لي ما أفطرت لطامر للعلم ولا ريتك لتصف علي باب سواي ولا علمتك لتجعل علمي نمزا تعبر عليه إلى النوم عنه" والعبارة الثانية وردت في موقف البحر (1 / 2): "وقال لي إن هلكت في سواي كنت لما هلكت فيه".

2 ص 65

3 ورد في كتاب "المصاحف" لابن أبي داود أن قراءة هذه الآية في مصحف عمر بن الخطاب ومصحف عبد الله بن الزبير، ومصحف الأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيين، هو: "صراط من أنعمت عليهم".

4 [الأحزاب: 4]، وفي الهامش "بلغ".

5 [البقرة: 6، 7]

وكيف يؤمنون بك؟ وقد ختمت ﴿وَعَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ فلم أجعل فيها¹ متسعاً لغيري، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾؛ فلا يسمعون كلاماً في العالم إلا مني، ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ من بهائي، عند مشاهدتي فلا يصرون سواي، ﴿وَأَلَّهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ عندي: أردمهم بعد هذا المشهد السنّي إلى إنذارك، وأحجبهم عني كما فعلت بك بعد ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾² قرباً؛ أنزلتك إلى من يكذبك، ويردّ ما جئت به إليه منّي في وجهك، وتسمع في ما يضيق له صدرك. فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك؟ فهكذا أمناني على خلقي، الذين أخفيتهم؛ رضاي عنهم، فلا أسخط عليهم أبداً.

بسط ما أوجزناه في هذا الباب

انظر كيف أخفى سبحانه- أوليائه في صفة أعدائه؟ وذلك لتأبّد الأمان، من اسمه اللطيف، وتجلّى لهم في اسمه الجميل، فأحبّوه تعالى-. والغيرة من صفات الهبة، في الحبوب والمحبّ بوجهين مختلفين. فستروا محبته غيرة منهم عليه، كالشيلي وأمثاله، وستروا هذه الغيرة عن أن يعرفوا.

فقال تعالى:- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ستروا ما بدا لهم في مشاهدتهم من أسرار الوصلة. فقال: لا بدّ أن أحجبكم عن ذاتي بصفاتي، فتأهبوا لذلك؛ فما استعدّوا. فأنذرتهم على السنة أنبيائي، الرسل في ذلك العالم³؛ فما عرفوا؛ لأنهم في عين الجمع. وخاطبهم من عين التفرقة، وهم ما عرفوا عالم التفصيل، فلم يستعدّوا، وكان الحبّ قد استولى على قلوبهم سلطانه، غيرة من الحقّ عليهم في ذلك الوقت.

فأخبر نبيّه ﷺ روحاً وقرآناً، بالسبب الذي أصمّهم عن إجابة ما دعاهم إليه. فقال: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلم يسمعها غيره ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعون سواي كلامه على السنة العالم؛ فيشهدونه في العالم متكلماً بلغاتهم ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ من سناه إذ هو النور- وبهائه إذ له الجلال والهيبة-؛ يريد الصفة التي تجلّى لهم فيها، المتقدمة.

فأبقاهم غرقى في بحور اللذات، بمشاهدة الذات. فقال لهم: لا بدّ لكم من عذاب عظيم. فما فهموا ما العذاب، لاتّحاد الصفة عندهم. فأوجد لهم عالم الكون والفساد، وحينئذ علمهم جميع الأسماء، وأنزلهم على العرش الرحماني، وفيه عذابهم، وقد كانوا محبوبيين عنده، في خزائن غيوبه. فلما أبصرهم الملائكة خرّت سجوداً لهم، فعلموهم الأسماء.

1 ص 66

2 [النجم : 9]

3 ص 66 ب

فأما أبو يزيد¹؛ فلم يستطع الاستواء، ولا أطاق العذاب، فصعق من حينه. فقال تعالى: "ردوا علي حبيبي؛ فإنه لا صبر له عني" فحجب بالشوق والحاطبة. وبقي الكفار. فنزلوا من العرش إلى الكرسي. فبدت لهم القدمان. فنزلوا عليهما، في² الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسمية، إلى سماء الدنيا النفسي- فحاطبوا أهل الثقل الذين لا يقدرّون على العروج: "هل من داع فيستجاب له؟ هل من تائب فيتاب عليه؟ هل من مستغفر فيغفر له؟" حتى ينصدع الفجر. فإذا انصدع، ظهر الروح العقلي النوري، فرجعوا من حيث جاءوا. قال ﷺ: «من كان مواصلاً فليواصل حتى السحر" فذلك أوانٌ ﴿بَعَثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾³ فكلُّ عبد لم يحذر مكر الله فهو مخدوع، فافهم.

فَصْلٌ

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالِئِمُومِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَفْسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾⁴: أبداع الله المبدعات، وتجلّى بلسان الأحديّة في الربوبية، فقال: ﴿الَّذِينَ يَزِيغُكُمْ﴾⁵ والحاطب في غاية الصفاء، فقال: ﴿بَلَى﴾ فكان كمثل الصدى؛ فإنهم أجابوه به. فإنّ الوجود المحدث خيال منصوب، وهذا الإشهاد كان إشهاد رحمة، لأنّه ما قال لهم: "وحدي؟" إبقاء عليهم، لَمّا علم من أنّهم يشركون به بما فيهم من الحظّ الطبيعي، وبما فيهم من قبول الاقتدار الإلهي. "وما يعلمه إلا قليل".

فلما برزت صور⁶ العالم من العلم الأزلي إلى العين الأبدي، من وراء ستارة الغيرة والعزّة، بعد ما أسرح السرح، وأثار بيت الوجود، وبقي هو في ظلمة الغيوب. فشوهدت الصور متحرّكة، ناطقة بلغات مختلفات، والصور تنبعث من الظلمة، فإذا انقضى زمانها عادت إلى الظلمة، هكذا حتى السحر.

1 أبو يزيد البسطامي: طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: شيخ الصوفية له نبأ عجيب وحال غريب وهو من كبار مشايخ الرسالة وما أحلى قوله: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرضع في الهواء فلا تقفروا به حتى تنظروا كيف هو عند الأمر والنهي وحفظ حدود الشريعة. وقد هلوا عن أبي يزيد أشياء الشك في صحتها عنه منها: سبحاني، وما في الحبة إلا الله، ما النار لاستندن إليها غناً وأقول اجعطني لأهلها فناء ولأبغيتها، ما الجنة إلا لعبة صبيان، هب لي هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تلعنهم. ومن الناس من يصحح هنا عنه ويقول: قاله في حال سكره. وقال أبو عبد الرحمن السلمي أنكّر عليه أهل بسطام وهلوا إلى الحسين بن عيسى البسطامي أنه يقول له معراج كما كان النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجه من بسطام فحج ورجع إلى جرجان فلما مات الحسين رجع إلى بسطام. قلت: كان الحسين من أئمة الحديث. وأبو يزيد فسلم حاله له والله متولي السرائر وتبرأ إلى الله من كل من تعدد مخالفة الكتاب والسنة. ومات أبو يزيد سنة إحدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى. لسان الميزان - (7 / 2)

2 ص 67

3 [العاديات : 9]

4 [البقرة : 8 - 10]

5 [الأعراف : 172]

6 ص 67

فأراد الفطن أن يقف على حقيقة ما شاهده بصره، فإنَّ للحسَّ أغاليط. فقرب من الستارة، فرأى نُظفها غيبا فيها. فعلم أنَّ ثمَّ سرا عجبيا، فوقف عليه من نفسه فرفه، وعرف الرسول وما جاء به من وظائف التكليف. فأوَّل وظيفة (هي) كلمة التوحيد. فأقرَّ الكلَّ بها. فما جحد أحد الصانع، واختلفت عباراتهم عليه. فابتلاهم؛ بأنَّ خاطبهم بلسان الشرك، شهادة الرسول، فوقع الإنكار باختصاص الجنس.

فتفرَّق أهل الإنكار على طريقين: فمنهم من نظر في الظواهر، فلم ير تفضيلا¹ في شيء ظاهر؛ فأنكر. ومنهم من نظر باطنا عقلا، فرأى الاشتراك في المعقولات، ونسي الاختصاص؛ فأنكر. فأرسله (أي أرسل الحق رسوله) بالسيف، فدُفِّدَ في قلوبهم الرُغْبُ² من الموت، وداعَلهم الشكُّ على قدر نظرهم. فمنهم من استمر على نفي كلمة الإشراف قطعا؛ فذلك كافر. ومنهم من استمر عليها مشاهدة؛ فذلك عالم بالله. ومنهم من استمر على ثبته³ نظرا؛ فذلك عارف بالله. ومنهم من استمر على ثبته اعتقادا؛ فذلك العامة. ومنهم من خاف القتل؛ فلفظ ولم يمتد؛ فنادى عليه لسان الحق فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ظاهره ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁴ باطنا ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بلزوم الدعوى وبجهلهم القائم بهم بأنَّ الله لا يعلم وأنِّي أردت أعمالهم عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ اليوم بذلك ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شكُّ مما جاءهم به رسولي ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ شكًا وحجابا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يوم القيامة وهم فيه ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ مما حققتنا لديهم، ولم تسبق لهم عناية في اللوح القاصي⁵.

وَضَلَّ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾⁶ لَمَّا أَكَلَ الوجود بثمانية، برز في ميدان التنعم فارس الدعوى؛ فلم يكن في جيش: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا﴾ من يبرز إليه. فملك الكلَّ، وصبوا إليه وإلى دينه باطنا. فعوقبوا بطلب الإقرار، وآلا قتلوا؛ فأقروا لفظا. فحصل لهم العذاب الأليم دنيا وآخرة. فدُفِّدَ قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الأشباح، ﴿قَالُوا﴾ من خيالهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ فقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ عندنا وعندهم، إذ لم يستمتعوا بها على ما يريدون ﴿وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ باتحاد⁷ الأشياء، ولو شعروا ما آمنوا ولا كفروا.

1 ق: "مضلا". والترجيح من ه، س.

2 [الأحزاب: 26]

3 ص 68

4 [البقرة: 8]

5 في الهامش: "بلغ مظفر وعبد الله".

6 [البقرة: 11، 12]

7 ص 68

وَضَلَّ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾¹
 وذلك أنهم لما انتظموا في سلك الأغيار، أتاهم النداء، أن يقفوا على منازل الشهداء. فسمعوا الخطاب في الآية: ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ فحجوا عن أخذ العهد، بعهد الحس والداعي الجنسي. وأصمهم ذلك، وأعمى أبصارهم، وأغطش ليل جهالتهم، فقالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾.

لما عدل بهم عن طريق التقديس، ووقفوا مع الهوى، قال الله لنا: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ الأحلام، لما ملكتهم الأهواء، وحجوا عن الالتذاذ بسماع وقع الرذاذ على الأفلاذ بالطور. ﴿وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ليميز العالي بمن هو دونه. وإلا، فأية فائدة لقوله لشيء إذا أراد: ﴿أَن يُقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾² ذلك الشيء، إلا إيجاد الأشياء على أحسن قانون. فسبحان من انفرد بالإيجاد والاختراع، والإتيان والإبداع.

* * *

وَضَلَّ

في دعوى المدعين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾³

الإيمان في هذا المقام على خمسة أقسام: إيمان تقليد، وإيمان علم، وإيمان عين، وإيمان حق، وإيمان حقيقة. فالتقليد للعوام. والعلم: لأصحاب الدليل. والعين: لأهل المشاهدة. والحق⁴: للعارفين. والحقيقة: للواقفين. وحقيقة الحقيقة، وهو السادس: للعلماء المرسلين أصلاً ووراثه. منع كشفها: فلا سبيل إلى إيضاحها. فكانت صفات دعاوى ﴿إِذَا لَقُوا﴾ هؤلاء الخمسة ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾. فالقلب: للعوام. وبسر القلب: لأصحاب الدليل. والروح: لأهل المشاهدة. وبسر الروح: للعارفين. وبسر السر: للواقفين. والسر الأعظم: لأهل الغيرة والحجاب.

والمنافقون تعروا عن الإيمان، وانتظموا في الإسلام، وإيمانهم ما جاز خزنة خيالهم. فاتخذوا أصناماً في ذواتهم، أقاموها مقام آلهتهم. ف﴿إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا﴾ باستيلاء الغفلة عليهم، و﴿خَلَوْا﴾ عن مراتب الإيمان: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ فوق عليهم العذاب من قولهم ﴿إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ في حال الخلو. فلما قامت الأضداد عندهم، وعاملوا الحق والباطل؛ عاملوا الحق بستر الباطل، وعاملوا الباطل بإفشاء الحق؛ فصح لهم التناق. ولو خاطبوا ذاتهم في ذاتهم؛ ما صح عليهم هذا، ولكانوا من أهل الحقائق.

1 [البقرة: 13]

2 [يس: 82]

3 [البقرة: 14]

4 ص 69

فأوقع الله الجواب على الاستهزاء، فقال: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾¹، وهو استهزاؤهم. عجبا كيف قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ وهم عدم؟ لو عاينوا إيمان الحقيقة، لعاينوا الخالق في الخليفة، ولا خلّوا، ولا نطقوا، ولا صمتوا. بل كانوا يقومون² مقام من شاهد، وهو روح جامع، صاحب المادة. فلينظر الإنسان حقيقة اللقاء؛ فإنه مؤذن بافتراق متقدّم.

ثم اجتمعوا بصفة لم يعرفوها، بل ظهر لهم منها ظاهر حسن؛ فتأدّبوا معها، ولم يطبقوا أكثر من ذلك، فقالوا: ﴿أَمَنَّا﴾ ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾³ في الخلوة مع الشيطنة، وهي: البعد، مثل اللقاء، فقالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾ بالصفة التي لقينا.

فتدبر هذه الآية من حقيقة الحقيقة عند طلوع الفجر، وزوال الشك بزوال الستارة ورفع المواعين، يُلخ لك السرّ، في "سبحان" و"النساء" و"الشمس"؛ فتجد الذين لَقُوا كمثل الذين لَقُوا؛ فتصمت، وإن تكلمت هلكت. وهذه حقيقة الحقيقة، التي مُنع كشفها إلا لمن شمّ منها رائحة ذوقا؛ فلا بأس. فانظر، وتدبر ترشد إن شاء الله-⁴.

1 [البقرة : 15]

2 ص 69

3 [الأنبياء : 65]

4 في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على مؤلفه أيده الله".

الجزء الحادي عشر¹

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السادس

في معرفة بدء الخلق الروحاني

ومن هو أول موجود فيه؟ وممّ وُجد؟ وفيه وُجد؟ وعلى أيّ مثال وُجد؟ ولمّ وُجد؟ وما غاية؟
ومعرفة أفلاك العالم الأكبر والأصغر

انظُرْ إِلَى هَذَا الْوُجُودِ الْمُحْكَمِ
وَانظُرْ² إِلَى خُلُقَانِهِ فِي مُلْكِهِمْ
مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَحِبُّ إِلَهَهُ
فَيُقَالُ هَذَا عَبْدٌ مَعْرِفَةٌ وَذَا
إِلَّا الْقَلِيلَ مِنَ الْقَلِيلِ فَإِيَّاهُمْ
فَهُمْ عَيْنُ اللَّهِ لَا يَنْزِي بِهِمْ
فَأَفَادَهُمْ لَمَّا أَرَادَ رُجُوعَهُمْ
عِلْمَ الْمَقْدَمِ فِي الْبَسَائِطِ وَخَدَهُ
وَحَقِيقَةَ الظَّنْفِ الَّذِي سَتَرْتَهُ عَنْ
وَالْعِلْمَ بِالسَّبَبِ الَّذِي وَجَدْتَ لَهُ
وِنَهَايَةَ الْأَمْرِ الَّذِي لَا غَايَةَ
وَعُلُومَ أَفْلَاكِ الْوُجُودِ كَبِيرِهِ
هَذِي عُلُومٌ مَنْ تَحَقَّقَ، كَشَفَهَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنَا جَامِعٌ

وَوُجُودِنَا مِثْلَ الرِّدَاءِ الْمُغْلَمِ
مِنْ مُنْصَحٍ طَلَّقِ اللِّسَانَ وَأَعْجَمِ
إِلَّا وَيَنْزِجُهُ بِحُبِّ النَّزَمِ
عَبْدُ الْجِنَانِ وَذَا عَيْنُ دُجَمِ
سَكْرَى بِهِ مِنْ غَيْرِ جِسِّ تَوْهَمِ
أَحَدٌ سِوَاهُ، لَا عَيْنُ الْمُنْعَمِ
لِفُضُورِهِمْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ مُبْتَمِ
وَأَسَاسِهِ ذُو عَنَّةٍ لَمْ يَتَصَرَّمِ
أَمَثَالِهِ وَمِثَالُهُ لَمْ يَكْتَمِ
عَيْنُ الْعَوَالِمِ فِي الطَّرَازِ الْأَقْدَمِ
تُنْزَى لَهُ فِيهِ، الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ
وَصَغِيرِهِ الْأَعْلَى الَّذِي لَمْ يُذَمِّ
عَيْدِي الْقُلُوبِ إِلَى السَّيْبِلِ الْأَقْوَمِ
لِعُلُومِهَا وَلِعِلْمِ مَا لَمْ يُتَلَمِّ

1 العنوان في هامش ص 69، بتعبير: الجزء الحادي أحد عشر
ص 70

إيجاز البيان بضرب من الإجمال

بئذ الخلق: الهباء، وأوّل موجود فيه: الحقيقة المحمدية الرحمانية، ولا أين يحصرها لعدم التحيز.

وتمّ وُجد؟ وُجد من الحقيقة المعلومة التي لا تتّصف بالوجود ولا بالعدم.

وفيم وُجد؟ في الهباء.

وعلى أيّ مثال وُجد؟ الصورة¹ المعلومة في نفس الحق.

ولمّ وُجد؟ لإظهار الحقائق الإلهية.

وما غايته؟ التخليص من المزرعة، فيعرف كلّ عالم حظه من منشئه من غير امتزاج. فغايته إظهار

حقائقه، ومعرفة أفلاك الأكبر من العالم؛ وهو ما عدا الإنسان في اصطلاح الجماعة، والعالم الأصغر؛ يعني

الإنسان، روح العالم وعلته وسببه. وأفلاكه: مقاماته، وحركاته، وتفصيل طبقاته. فهذا جميع ما يتضمّنه هذا

الباب.

فكما أنّ الإنسان عالم صغير من طريق الجسم، كذلك هو أيضا حقير من طريق الحدوث. وصحّ له

التأله؛ لأنه خليفة الله في العالم، والعالم مسخر له مألوه، كما أنّ الإنسان مألوه الله تعالى.-

واعلم أنّ أكمل نشأة الإنسان، إنما هي في الدنيا. وأما الآخرة، فكلّ إنسان من الفرقتين، على

النصف؛ في الحال لا في العلم. فإنّ كلّ فرقة عالمة بنقيض حالها. فليس الإنسان إلاّ المؤمن والكافر معا:

سعادة وشقاء، نعيم وعذاب، منعم ومعذب. ولهذا؛ معرفة الدنيا أتمّ، وتجلي الآخرة أعلى. فانهم، وحلّ هذا

القول. ولنا رمز لمن تظنّ. وهو لفظه بشيع شنيع، ومعناه بديع:

رُوحُ الوُجُودِ الكَبِيرِ هَذَا الوُجُودُ الصَّغِيرِ

لَوْلَا مَا قَالَ: إِنِّي أَنَا الكَبِيرُ القَدِيمُ

لَا يَجُوبُكَ² حُدُوثِي وَلَا الفَنَاءُ والنُّشُورُ

فإِنِّي إِنْ تَأَمَّلْتَنِي المَجِيْطُ الكَبِيرُ

فَلِلقَدِيمِ بِذَاتِي وَالمَجْدِيدِ ظُهُورُ

وَاللهُ فَزْدَ قَدِيمٌ لَا يَقْتَرِنُهُ قُصُورُ

وَالكَوْنُ خَلَقَ جَدِيدٌ فِي قَبْضَتَيْهِ أَسِيرُ

1 ص 70 ب

71 ص 2

فَجَاءَ مِنْ هَذَا أَنِّي	أَنَا الْوُجُودُ الْحَقِيرُ
وَأَنْ كُلَّ وَجُودٍ	عَلَى وَجُودِي يَدُورُ
فَلَا كَلْبَيْنِي لَيْلٌ	وَلَا كَنْزُورِي نُورُ
فَمَنْ يَقُلْ فِي عَبْدٍ	أَنَا الْعَبِيدُ الْفَقِيرُ
أَوْ قَالَ: إِنِّي وَجُودٌ	أَنَا الْوُجُودُ الْحَقِيرُ ¹
فَصِخْرِي مَلَكًا تَحْذِينِي	أَوْ سُوقَةً مَا تَجُورُ
فِيَا جَهْمُولًا بِقَدْرِي	أَنْتَ الْعَلِيمُ الْبَصِيرُ
بَلِّغْ وَجُودِي عَنِّي	وَالْقَوْلُ صِدْقٌ وَرُؤُودُ
وَقُلْ لِقَوْمِكَ: إِنِّي	أَنَا الرَّجِيمُ الْفَقُورُ
وَقُلْ: بِأَنْ عَذَابِي	هُوَ الْعَذَابُ الْمُبِيرُ ²
وَقُلْ: بِأَنِّي ضَعِيفٌ	لَا أَسْتَطِيعُ أَسِيرُ
فَكَيْفَ يُنْعَمُ شَخْصٌ	عَلَى يَدِي أَوْ يَسُورُ!

* * *

بسط³ الباب وبيان، ومن الله التأييد والعون

اعلموا أن المعلومات أربعة: الحق تعالى- وهو الموصوف بالوجود المطلق، لأنه سبحانه- ليس معلولا لشيء، ولا علة؛ بل هو موجود بذاته. والعلم به عبارة عن العلم بوجوده، ووجوده ليس غير ذاته؛ مع أنه غير معلوم الذات، لكن يُعلم ما يُنسب إليه من الصفات، أعني صفات المعاني وهي صفات الكمال. وأما العلم بحقيقة الذات فمنوع: لا تعلم بدليل، ولا برهان عقلي، ولا يأخذها حد؛ فإنه سبحانه- لا يشبه شيئا، ولا يشبهه شيء؛ فكيف يعرف من يشبه الأشياء من لا يشبهه شيء، ولا يشبهه شيئا؟ فمعرفةك به، إنما هي أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁴ ﴿وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾⁵ وقد ورد المنع من الشرع في التفكر في ذات

1 مقابلهما بالهامش كلمة "رمز" بخط آخر. وكلنا مقابل البيت الثاني.

2 المير: المهلك.

3 ص 71 ب

4 [الشورى : 11]

5 [آل عمران : 28]

ومعلوم ثانٍ: وهو الحقيقة الكلية، التي هي للحقّ وللعالم؛ لا تتّصف بالوجود ولا بالعدم، ولا بالحدوث ولا بالقديم؛ هي في القديم إذا وُصف بها قديمة، وفي الحديث إذا وُصف بها محدثة. لا تُعلم المعلومات، قديمها وحديثها، حتى تُعلم هذه الحقيقة، ولا توجد هذه الحقيقة حتى توجد الأشياء الموصوفة بها. فإن وُجد شيء عن غير عدم متقدّم، كوجود الحقّ وصفاته، قيل فيها: موجود قديم؛ لاتّصاف الحقّ بها، وإن وُجد شيء عن عدم، كوجود ما سيوى الله، وهو¹ الحديث الموجود بغيره، قيل فيها: محدثة. وهي في كلّ موجود بحقيقتها؛ فإنّها لا تقبل التجزّي؛ فما فيها كلّ ولا بعض، ولا يتوصّل إلى معرفتها مجرّدة عن الصورة بدليل ولا برهان. فمن هذه الحقيقة وُجد العالم بوساطة الحقّ تعالى، وليست بموجودة. فيكون الحقّ قد أوجدنا من موجود قديم، فيثبت لنا القديم.

وكذلك ليتعلم، أيضاً، أنّ هذه الحقيقة لا تتّصف بالتقدّم على العالم، ولا العالم بالتأخّر عنها؛ ولكنّها أصل الموجودات عموماً، وهي أصل الجوهر، وفلك الحياة، والحقّ الخلق به، وغير ذلك. وهي الفلك المحيط المعقول. فإن قلت: إنّها العالم؛ صدقت، أو إنّها ليست العالم؛ صدقت، أو إنّها الحقّ، أو ليست الحقّ؛ صدقت. تقبل هذا كلّهُ، وتتعدّد بتعدّد أشخاص العالم، وتتنزّه بتنزيه الحقّ.

وإن أردت مثالها حتى يقرب إلى فهمك؛ فانظر في العوديّة: في الحشبة والكرسيّ والحبرة والمنبر والتابوت، وكذلك التريخ وأمثاله في الأشكال في كلّ مرعٍ مثلاً؛ من بيت وتابوت وورقة. والتريخ والعوديّة؛ بحقيقتها في كلّ شخص من هذه الأشخاص. وكذلك الألوان: بياض الثوب والجوهر² والكاغذ والديق والدهان، من غير أن تتّصف البياضية المعقولة في الثوب بأنّها جزء منها فيه؛ بل حقيقتها ظهرت في الثوب ظهورها³ في الكاغذ. وكذلك العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، وجميع الأشياء كلّها. فقد بينت لك هذا المعلوم. وقد بسطنا القول فيه كثيراً في كتابنا الموسوم بـ"إنشاء الجداول والنواير".

ومعلوم ثالث؛ وهو العالم كلّهُ: الأملاك والأفلاك، وما تحويه من العوالم؛ والهواء والأرض؛ وما فيها من العالم، وهو الملك الأكبر.

ومعلوم رابع؛ وهو الإنسان الخليفة، الذي جعله الله في هذا العالم المقهور تحت تسخيره. قال تعالى:-
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾⁴.

فمن عِلْم هذه المعلومات، فما بقي له معلوم أصلاً يطلبه. فمنها ما لا يُعلم إلاّ وجوده، وهو الحقّ تعالى-، وتُعلم أفعاله وصفاته بضربٍ من الأمثلة. ومنها ما لا يُعلم إلاّ بالمثال، كالعلم بالحقيقة الكلية. ومنها ما يُعلم

1 ص 72

2 قرأ: "نور الجوهر".

3 ص 72 ب

4 [الجانية : 13]

بهذين الوجهين، وبالمهية والكيفية؛ وهو العالم والإنسان.



وَضَلَّ

"كان الله ولا شيء معه" ثم أُدرج فيه: "وهو الآن على ما عليه كان". لم يرجع إليه من إيجاده العالم، صفةً لم يكن عليها، بل كان موصوفاً لنفسه، ومسمى قبل خَلْقِهِ بالأسماء التي يدعونه بها خَلَقَهُ. فلَمَّا أراد وجودَ العالم، وبداه على حدِّ ما علمه بعلمه بنفسه؛ انفعل عن تلك الإرادة المقدَّسة، بضرب تجلٍّ من تجلّيات التنزيه، إلى الحقيقة الكليّة، انفعل عنها حقيقة¹ تسمى² الهباء، هي بمنزلة طرح البتء الجصّ، ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور. وهذا هو أوّل موجود في العالم، وقد ذكره علي بن أبي طالب عليه السلام، وسهل بن عبد الله رحمه الله-، وغيرها من أهل التحقيق، أهل الكشف والوجود.

ثم إنّه سبحانه- تجلّى بنوره إلى ذلك الهباء، ويسمونه أصحاب الأفكار: "الهيولي الكلي"، والعالم كلّ فيه بالقوّة والصلاحية، فقبل منه كلُّ شيء في ذلك الهباء، على حسب قوته واستعداده؛ كما قبل زوايا البيت نور السراج، وعلى قدر قرّبه من ذلك النور يشتدّ ضوؤه وقبوله. قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾³ فنشبهه نوره بالمصباح. فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء، إلا حقيقة محمد صلى الله عليه وآله المسماة بالعقل. فكان سيّد العالم بأسره، وأوّل ظاهر في الوجود. فكان وجوده من ذلك النور الإلهي، ومن الهباء، ومن الحقيقة الكليّة. وفي الهباء وُجد عينه، وعين العالم من تجلّيه، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب، وأسرار الأنبياء أجمعين.

وأما المثال الذي عليه وُجد العالم كلّ من غير تفصيل؛ فهو العلم القائم بنفس الحقّ تعالى-. فإنّه - سبحانه- علّمنا بعلمه بنفسه، وأوجدنا على حدِّ ما علّمنا؛ ونحن على هذا الشكل المعين في علمه. ولو لم يكن⁴ الأمر كذلك؛ لأخذنا هذا الشكل بالاتفاق، لا عن قصد؛ لأنّه لا يعلمه. وما يتمكّن أن تخرج صورة في الوجود بحكم الاتفاق. فلولا أنّ هذا الشكل المعين معلوم لله - سبحانه-، ومراد له؛ ما أوجدنا عليه. ولم يأخذ هذا الشكل من غيره؛ إذ قد ثبت أنّه كان ولا شيء معه. فلم يبق إلا أن يكون ما برز عليه في نفسه من الصورة. فعلمه بنفسه علّمه بنا أولاً، لا عن عدم؛ فعلمه بنا كذلك. فمثالنا، الذي هو عين علمه بنا، قديم بقدم الحقّ؛ لأنّه صفة له، ولا تقوم بنفسه الحوادث سجّل الله عن ذلك-.

وأما قولنا: ولم وُجد؟ وما غايته؟ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁵ فصرّح

1 في الهامش بخط آخر: "مطلب: بما له كنا (...). الحدتات".

2 ص 73

3 [النور : 35]

4 ص 73 ب

5 [الفاريات : 56]

بالسبب الذي لأجله أوجدنا. وهكذا العالم كله. وخصصنا الجن بالذكر. والجن، هنا، كل مستتر من ملك وغيره. وقد قال تعالى- في حق السماوات والأرض: ﴿إِنَّمَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالْنَا أَتَيْنَا طَائِفِينَ﴾¹ وكذلك قال: ﴿فَأَتَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾² وذلك لما كان غرضاً، وأما لو كان أمراً؛ لأطاعوا وحلوا؛ فإنه لا تتصور منهم معصية؛ جُبلوا على ذلك، والجنُّ الناريُّ والإنس ما جُبلًا على ذلك.

وكذلك من الإنس، أصحاب الأفكار، من أهل النظر والأدلة، المقصورة على الحواس والضرورات والبدييات، يقولون: لا بد أن³ يكون المكلف عاقلاً، بحيث يفهم ما يخاطب به. وصدقوا، وكذلك هو الأمر عندنا؛ العالم كله عاقل، حي، ناطق؛ من جهة الكشف، بحرق العادة التي الناس عليها، أعني حصول العلم بهذا عندنا. غير أنهم قالوا: هذا جباد لا يعقل، ووقفوا عندما أعطاهم بصرهم. والأمر عندنا بخلاف ذلك.

فإذا جاء عن نبي، أن حَجَرَ كلمه، وكشف شاة، وجذع نخلة، وبهجة، يقولون: خلق الله فيه الحياة والعلم في ذلك الوقت. والأمر عندنا ليس كذلك؛ بل سِرَّ الحياة (سار) في جميع العالم، وأن «كل من يسمع المؤذن من رطب ويابس يشهد له» ولا يشهد إلا من علم. هذا عن كشف عندنا، لا عن استنباط من نظر بما يقتضيه ظاهر خبر، ولا غير ذلك. ومن أراد أن يقف عليه؛ فليسلك طريق الرجال، ويلزم الخلوة والذكر؛ فإن الله سيطلعهم على هذا كله عينا؛ فيعلم أن الناس في عمية عن إدراك هذه الحقائق.

فأوجد العالم سبحانه؛ ليظهر سلطان الأسماء: فإن قدرة بلا مقدور، وجوداً بلا عطاء، ورازقا بلا مرزوق، ومغيثا بلا مغاث، ورحيما بلا مرحوم، حقائق معطلة التأثير. وجعل العالم في الدنيا ممتزجا: مزج القبضتين في العجنة، ثم فصل الأشخاص منها؛ فدخل من هذه في هذه، من كل قبضة في أختها، فجُملت الأحوال. وفي هذا تفاضلت العلماء⁴ في استخراج الخبيث من الطيب، والطيب من الخبيث. وغايته؛ التخليص من هذه المزجة، وتمييز القبضتين، حتى تنفرد هذه بعالمها وهذه بعالمها، كما قال الله تعالى:- ﴿لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾⁵.

فمن بقي فيه شيء من المزجة حتى مات عليها؛ لم يحشر يوم القيامة من الأمنين. ولكنه؛ منهم من يتخلص من المزجة في الحساب، ومنهم من لا يتخلص منها إلا في جهنم؛ فإذا تخلص أخرج؛ فهؤلاء هم أهل الشفاعة. وأما من تميز هنا في إحدى القبضتين؛ انقلب إلى النار الآخرة بحقيقته، من قبره، إلى نعيم أو إلى عذاب وحجيم؛ فإنه قد تخلص.

1 [فصلت : 11]

2 [الأحزاب : 72]

3 ص 74

4 ص 74 ب

5 [الأقوال : 37]

فهذا غاية العالم. وهاتان حقيقتان راجعتان إلى صفة، هو الحقُّ عليها في ذاته. ومن هنا قلنا: يرويه أهل النار معذبًا، وأهل الجنة منعمًا. وهذا سرُّ شريف، ربما تقف عليه في الدار الآخرة عند المشاهدة إن شاء الله-. وقد نالها المحققون في هذه الدار¹.

وأما قولنا في هذا الباب: ومعرفة أفلاك العالم الأكبر والأصغر -الذي هو الإنسان- فأعني به عوالم كلياته وأجناسه، وأمرأه الذين لهم التأثير في غيرهم. وجعلتها مقابلةً: هذا نسخة من هذا. وقد² ضربنا لها دوائر، على صور الأفلاك وترتيبها، في كتاب "إنشاء النواير والجداول" الذي بدأنا وضعه بتونس، بمحل الإمام أبي محمد عبد العزيز، وليُّنا وصفيتنا رحمه الله-. فلنلق منه، في هذا الباب، ما يليق بهذا المختصر. فنقول: إنَّ العوالم أربعة: العالم الأعلى؛ وهو عالم البقاء. ثم عالم الاستحالة؛ وهو عالم الفناء. ثم عالم التعمير؛ وهو عالم البقاء والفناء. ثم عالم النسب. وهذه العوالم في موطنين: في العالم الأكبر؛ وهو ما خرج عن الإنسان، وفي العالم الأصغر؛ وهو الإنسان. فأما العالم الأعلى:

فالحقيقة المحمدية، وفلكها الحياة. نظيرها، من الإنسان؛ اللطيفة والروح القدس. ومنهم العرش المحيط، ونظيره من الإنسان؛ الجسم. ومن ذلك الكرسي، ونظيره من الإنسان؛ النفس. ومن ذلك البيت المعمور، ونظيره من الإنسان؛ القلب. ومن ذلك الملائكة، ونظيرها من الإنسان؛ الأرواح التي فيه والقوى. ومن ذلك زحل وفلكه، نظيره من الإنسان؛ القوة العلمية والنفس. ومن ذلك المشتري وفلكه، نظيرهما؛ القوة النازكة ومؤخر الدماغ. ومن ذلك الأحمر³ وفلكه، نظيرهما؛ القوة العاقلة واليافوخ. ومن ذلك الشمس وفلكها، نظيرهما؛ القوة المفكرة ووسط الدماغ. ثم⁴ الزهرة وفلكها، نظيرهما؛ القوة الوهمية والروح الحيواني. ثم الكاتب⁵ وفلكه، نظيرهما؛ القوة الخيالية ومقدم الدماغ. ثم القمر وفلكه، نظيرهما؛ القوة الحسية والجوارح التي تحس. فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائرها من الإنسان.

1 في الهامش: "بلغ إلى هنا".

2 ص 75

3 الأحمر: المرخ.

4 ص 75 ب

5 الكاتب: عطارد.

وأما عالم الاستحالة. فبن ذلك كرة الأثير، وروحها الحرارة واليبوسة وهي كرة النار؛ ونظيرها¹ الصفراء، وروحها القوة الهاضمة. ومن ذلك الهواء، وروحها الحرارة والرطوبة؛ ونظيره الدم، وروحها القوة الجاذبة. ومن ذلك الماء، وروحها البرودة والرطوبة؛ نظيره البلغم، وروحها القوة الدافعة. ومن ذلك التراب، وروحها البرودة واليبوسة؛ نظيره السوداء، وروحها القوة الماسكة.

وأما الأرض فسبع طباق: أرض سوداء، وأرض غبراء، وأرض حمراء، وأرض صفراء، وأرض بيضاء، وأرض زرقاء، وأرض خضراء. نظير هذه السبعة من الإنسان، في جسمه: الجلد، والشحم، واللحم، والعروق، والعصب، والعضلات، والعظام.

وأما عالم التعمير، فمنهم الروحانيون؛ نظيرهم القوى التي في الإنسان. ومنهم عالم الحيوان؛ نظيره ما يُجس من الإنسان. ومنهم عالم النبات؛ نظيره ما ينمو من الإنسان. ومن ذلك عالم الجماد²؛ نظيره ما لا يُجس من الإنسان.

وأما عالم النسب، فمنهم العرَض؛ نظيره الأسود والأبيض والألوان والأكوان. ثم الكيف؛ نظيره الأحوال، مثل الصحيح والسقيم. ثم الكم؛ نظيره: الساق أطول من النراع. ثم الأين؛ نظيره: العنق مكان الرأس، والساق مكان للخذ. ثم الزمان؛ نظيره: حرَّكْتُ رأسي وقت تحريك يدي. ثم الإضافة؛ نظيرها: هذا أبي فأنا ابنه. ثم الوضع؛ نظيره: لغتي ولحني. ثم أن يفعل؛ نظيره: أكلتُ. ثم أن يفعل؛ نظيره: شبعتُ. ومنهم اختلاف الصور في الأمهات؛ كالفيل والحمار والأسد والصرصر؛ نظير هذا: القوة الإنسانيَّة التي تقبل الصور المعنويَّة من مذموم ومحمود: هذا فطين فهو فيل، هذا بليد فهو حمار، هذا شجاع فهو أسد، هذا جبان فهو صرصر. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ق: ونظيره.

2 ص 76

3 [الأحزاب: 4]. وفي الهامش: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه"، يليه: "بلاغ".

الباب السابع
في معرفة بدء الجسوم الإنسانيّة
وهو آخر جنس موجود من العالم الكبير، وآخر صنف من المولّدات

نَشَأَتْ ¹ حَقِيقَةُ بَاطِنِ الْإِنْسَانِ	مَلِكًا قَوِيًّا ظَاهِرَ السُّلْطَانِ
تَمَّ اسْتَوَتْ فِي عَرْشِ آدَمَ ذَاتُهُ	مِثْلَ اسْتِجْوَاءِ الْعَرْشِ بِالرَّحْمَنِ
فَبَدَتْ حَقِيقَةُ جِسْمِهِ فِي عَيْنِهَا	وَبِهَا انْتَهَى مُلْكُ الْوُجُودِ الثَّانِي
وَبَدَتْ مَقَارِفُ عِلْمِهِ فِي لَفْظِهِ ²	عِنْدَ الْكِرَامِ وَحَامِلِ الشُّتَانِ
فَتَصَاغَرَتْ لِغُلُومِهِ أَحْلَامُهُمْ	وَتَكَبَّرَ الْمَلْعُونُ مِنْ شَيْطَانِ
بِأَوْوَا يُقْرَبُ اللَّهُ فِي مَلَكُوتِهِ	إِلَّا الشُّوَيْطَانُ بَاءً بِالْحُنْزَرَانِ

اعلم أيّدك الله- أنّه لَمَّا مضى من عمر العالم الطبيعي، المقيد بالزمان، الحصور بالمكان، إحدى وسبعون ألف سنة من السنين المعروفة في الدنيا، وهذه المدّة: أحد عشر يوماً من أيام غير هذا الاسم، ومن أيام "ذي المعارج" يوم وُحِّسَ يوم، وفي هذه الأيام يقع التفاضل. قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ يُقَدَّرُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾³ وقال: ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾⁴. فأصغر الأيام هي التي تعدّها حركة الفلك المحيط، الذي يظهر في يومه الليل والنهار. فأقصر يوم عند العرب، وهو هذا، لأكبر فلك؛ وذلك لحكمه على ما في جوفه من الأفلاك؛ إذ كانت حركة ما دونه، في الليل والنهار، حركة قسريّة له، قهر بها سائر الأفلاك التي يحيط بها.

ولكلّ⁵ فلك حركة طبيعيّة، تكون له مع الحركة القسريّة. فكلّ فلك دونه؛ ذو حركتين في وقت واحد: حركة طبيعيّة وحركة قسريّة. ولكلّ حركة طبيعيّة، في كلّ فلك، يوم مخصوص، يتعدّد مقداره بالأيام الحادثة عن الفلك المحيط، المعبر عنها بقوله: ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ وكلّها تقطع في الفلك المحيط. فكلّما قطعت على الكمال؛ كان يوماً لها، ويدور التّور. فأصغر الأيام منها هو ثمانية وعشرون يوماً، مما تعدّون، وهو مقدار

1 ص 76 ب

2 "علمه في لفظه" في ق: "لفظه في علمه" وفي الهامش بقلم الأصل: "علمه في لفظه"

3 [المعارج: 4]

4 [الحج: 47]

5 ص 77

قطع حركة القمر في الفلك المحيط.

ونصب الله هذه الكواكب السبعة في السماوات، ليدرك البصر قطع فلكما في الفلك المحيط، لنعلم عدد السنين والحساب. قال تعالى:- ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾¹ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾² ﴿ذَلِكَ تَعْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾³. فلكل كوكب منها يوم مقدّر، يفضل بعضها على بعض، على قدر سرعة حركاتها الطبيعية، أو صغر أفلاكها وكبرها.

فاعلم أنّ الله تعالى- لما خلق القلم واللوح، وسمّاهما العقل والروح "والنفس"⁴، وأعطى الروح صفتين: صفة علمية وصفة عملية، وجعل العقل لها معلماً ومفيداً، إضافة مشاهدة حالية، كما تستفيد من صورة السكين القطع، من⁵ غير نطق يكون منه في ذلك. وخلق تعالى- جوهرها دون النفس، الذي هو الروح المذكور، سمّاه الهباء، وهذه التسمية له، نقلناها من كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الهباء، فذكور في اللسان العربي، قال تعالى:- ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾⁶ كذلك لما رآها عليّ بن أبي طالب، أعني هذه الجوهرة، منبثة في جميع الصور الطبيعية كلّها وأنها لا تخلو صورة منها؛ إذ لا تكون صورة إلا في هذه الجوهرة- سمّاه هباء. وهي مع كلّ صورة بحقيقتها؛ لا تنقسم، ولا تتجزأ، ولا تتصف بالنقص؛ بل هي كالبياض الموجود في كلّ أبيض، بذاته وحقيقته، ولا يقال: قد نقص من البياض قدر ما حصل منه في هذا الأبيض، فهذا مثل حال هذه الجوهرة.

وعين الله سبحانه- بين هذا الروح، الموصوف بالصفتين، وبين الهباء أربع مراتب، وجعل كلّ مرتبة منزلاً لأربعة أملاك، وجعل هؤلاء الأملاك كاللواة على ما أحدثه سبحانه- دونهم من العالم، من عليين إلى أسفل سافلين، ووهب كلّ ملك من هؤلاء الملائكة علم ما يريد إمضاءه في العالم.

فأول شيء أوجده الله في الأعيان، مما يتعلّق به علم هؤلاء الملائكة وتديبرهم: الجسم الكلّ. وأول شكل فتح في هذا الجسم الشكل⁷ الكروي⁸ المستدير، إذ كان أفضل الأشكال. ثمّ نزل سبحانه- بالإيجاد والخلق إلى تمام الصنعة. وجعل جميع ما خلقه تعالى- مملكة لهؤلاء الملائكة، وولّاهم أمورهم في الدنيا والآخرة، وعصمهم عن المخالفة فيما أمرهم به، فأخبرنا سبحانه- أنهم ﴿لَا يَفْضُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁹.

[يونس : 5]

[الإسراء : 12]

[الأنعام : 96]

4 لفظ "والنفس" أورده المؤلف بخط يده بالهامش.

5 ص 77 ب

[الواقعة : 6]

7 ص 78

8 ق: "الكروي" وكتب في الهامش مقابلها: "الكروي"

9 [التحریم : 6]

ولمّا انتهى خلق المولّدات من الجمادات والنبات والحيوان، باتّهاء إحدى وسبعين ألف سنة من سبّيّ الدنيا، ممّا تقدّم، ورتّب العالم ترتيباً حكماً، ولم يجمع سبحانه - لشيء مما خلقه، من أوّل موجود إلى آخر مولود، وهو الحيوان، بين يديه تعالى - إلا للإنسان. وهي هذه النشأة البدئية الترابية؛ بل خلق كلّ ما سواها؛ إمّا عن أمر إلهي، أو عن يد واحدة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾¹ فهذا عن أمر إلهي. وورد في الخبر: أَنَّ اللَّهَ فَخَّكَ خَلْقَ جَنَّةٍ عَذِيْبِهِ، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وخلق آدم، الذي هو الإنسان، بيده، فقال - تعالى - لإبليس على جملة الشريف لآدم ~~عليه السلام~~: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾².

ولمّا خلق الله الفلك الأدنى، الذي هو الأوّل المذكور آنفاً، قسمه اثني عشر قسماً سماها بروجاً، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾³ فجعل كلّ قسم⁴ برجاً، وجعل تلك الأقسام ترجع إلى أربعة في الطبيعة، ثمّ كرر كلّ واحد من الأربعة في ثلاثة مواضع منه، وجعل هذه الأقسام كالمنازل والمناهل، التي ينزل فيها المسافرون، ويسير فيها السائرون في حال سيرهم وسفرهم، لينزل في هذه الأقسام عند سير الكواكب فيها وسباحتهم، ما يحدث الله في جوف هذا الفلك من الكواكب التي تقطع بسيرها في هذه البروج؛ ليحدث الله عند قطعها وسيرها ما شاء أن يحدث من العالم الطبيعي والعنصري، وجعلها علامات على إثر حركة فلك البروج. فاعلم.

فقسم من هذه الأربعة طبيعته الحرارة واليبوسة. والثاني البرودة واليبوسة. والثالث الحرارة والرطوبة. والرابع البرودة والرطوبة. وجعل الخامس والتاسع من هذه الأقسام مثل الأوّل، وجعل السادس والعاشر مثل الثاني، وجعل السابع والحادي⁵ عشر مثل الثالث، وجعل الثامن والثاني عشر مثل الرابع، أعني في الطبيعة. فحصر الأجسام الطبيعية بخلاف، والأجسام العنصرية بلا خلاف، في هذه الأربعة التي هي: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. ومع كونها أربعاً أمّهات؛ فإنّ الله جعل اثنين منها أصلاً في وجود الاثنين الآخرين؛ فانفعلت⁶ اليبوسة عن الحرارة، والرطوبة عن البرودة. فالرطوبة واليبوسة موجودتان عن سببين هما الحرارة والبرودة. ولهذا ذكر الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾⁷ لأنّ المسبّب يلزم من وجوده؛ من كونه مسبباً وجود السبب، أو منفعلاً وجود الفاعل، كيف شئت فقل. ولا يلزم من وجود السبب وجود المسبّب.

[النحل : 40] 1

[ص : 75] 2

[البروج : 1] 3

ص 78 ب 4

ق: "والحادي أحد" 5

ص 79 6

[الأنعام : 59] 7

ولمّا خلق الله هذا الفلك الأول، دار دورة غير معلومة الانتهاء إلا الله تعالى - لأنه ليس فوقه شيء محدود من الأجرام يقطع فيه؛ فإنه أول الأجرام الشفافة، فتتمدد الحركات وتميّز. ولا كان قد خلق الله في جوفه شيئاً، فتميّز الحركة وتنتهي عند من يكون في جوفه. ولو كان؛ لم تميّز، أيضاً، لأنه أطلّس؛ لا كوكب فيه متشابه الأجزاء. فلا يعرف مقدار الحركة الواحدة منه، ولا تتعيّن. فلو كان فيه جزء مخالف لسانر أجزائه؛ عدّ به حركاته بلا شك، ولكن علم الله قدرها وانتهائها وكرورها؛ فحدث عن تلك الحركة اليوم، ولم يكن ثمّ ليل ولا نهار في هذا اليوم.

ثمّ استمرت حركات هذا الفلك، فخلق الله ملائكة: خمسة وثلاثين ملكاً، أضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك الستة عشر، فكان الجميع أحداً وخمسين ملكاً، من جملة هؤلاء الملائكة: جبريل¹، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل. ثمّ خلق تسعمائة ملك وأربعاً وسبعين، وأضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك، وأوحى إليهم، وأمرهم بما يجري على أيديهم في خلقه، فقالوا: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾² وقال فيهم: ﴿لَا يَفْضُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾³. فهؤلاء من الملائكة هم الولاة خاصة. وخلق الله ملائكة هم عمّار السماوات والأرض لعبادته؛ فما في السماء والأرض موضع إلا وفيه ملك، ولا يزال الحقّ يخلق من أنفاس العالم ملائكة ما داموا متنفسين.

ولمّا انتهى من حركات هذا الفلك الأول، ومدته أربع وخمسون ألف سنة بما تعدّون، خلق الله النار الدنيا، وجعل لها أمدا معلوماً تنتهي إليه، وتنقضي - صورتها، وتستحيل من كونها دازاً لنا وقبولها صورة مخصوصة، وهي التي نشاهدها اليوم، إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسماوات.

ولمّا انقضى من مدة حركة هذا الفلك ثلاث وستون ألف سنة بما تعدّون، خلق الله النار الآخرة؛ الجنة والنار، اللتين أعدّها الله لعباده، السعداء والأشقياء. فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسع آلاف سنة بما تعدّون، ولهذا سمّيت آخرة، لتأخر خلقها عن خلق الدنيا. وسمّيت الدنيا الأولى؛ لأنها خلقت قبلها. قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾⁴ يخاطب نبيّه ﷺ ولم يجعل للآخرة مدة ينتهي إليها بقاؤها؛ فلها البقاء الدائم.

وجعل سقف الجنة هذا الفلك، وهو العرش عندهم، الذي لا تتعيّن حركته ولا تميّز؛ فحركته دائماً لا تنقضي. وما من خلقٍ ذكرناه خلق، إلا وتعلّق القصد الثاني منه وجود الإنسان، الذي هو الخليفة في العالم. وإنما قلت: "القصد الثاني" إذ كان القصد الأول معرفة الحق، وعبادته، التي لها خلق العالم كُله. فما من

1 ص 79 ب

2 [مریم : 64]

3 [التحریم : 6]

4 ص 80

5 [الضحى : 4]

شيء إلا وهو يستج بحمده. ومعنى القصد الثاني والأول: التعلق الإرادي، لا حدوث الإرادة؛ لأن الإرادة لله صفة قديمة أزلية، اتصفت بها ذاته كسائر صفاته.

ولما خلق الله هذه الأفلاك والسموات، ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾¹، ورتب فيها أنوارها وسرجها، وعمرها بملائكته، وحركها تعالى؛ فتحرّكت طائفة لله، آتية إليه طلباً للكمال في العبودية التي تليق بها؛ لأنه تعالى - دعاها ودعا الأرض، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ لأمر حدّ لها ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾². فهما آتيتان أبداً، فلا تزالان متحركتين. غير أنّ حركة الأرض خفيّة عندنا، وحركتها حول الوسط لأنها أكرز. فأما السماء فأنت طائفة عند أمر الله لها بالإتيان، وأما الأرض فأنت طائفة لما علمت نفسها مقهورة³، وأنه لا بدّ أن يؤتى بها بقوله تعالى: ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ فكانت المرادة بقوله - تعالى: ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ فأنت طائفة كرها؛ ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁴.

وقد كان خلق الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾⁵ من أجل المولات؛ فجعلها خزانة لأقواتهم. وقد ذكرنا ترتيب نشء العالم في كتاب "عقلة المستوفز". فكان من تقدير أقواتها؛ وجود الماء والهواء والنار، وما في ذلك من البخارات والسحب والبروق والرعود والآثار العلوية، و﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾⁶. وخلق الجانّ من النار، والطيور، والبواب البريّة والبحريّة، والحشرات من عفونات الأرض، ليصفو الهواء لنا من بخارات العفونات، التي لو خالطت الهواء الذي أودع الله حياة هذا الإنسان والحيوان وعافيته فيه، لكان سقيماً مريضاً معلولاً؛ فصنّف له الجو سبحانه - لطفاً منه، بتكوين هذه المعفّات؛ فقلّت الأسقام والعلل⁷.

ولما استوت المملكة وتبيّثت، وما عرف أحد من هؤلاء المخلوقات كلّها من أيّ جنس يكون هذا الخليفة، الذي مّد الله له هذه المملكة لوجوده، فلما وصل الوقت المعين في علمه لإيجاد هذا الخليفة، بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة، ومن عمر الآخرة، الذي لا نهاية له في النوام، ثمان آلاف سنة؛ أمر⁸ الله بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كلّ أجناس تربة الأرض. فأتاه بها في خبر طويل، معلوم عند الناس. فأخذها سبحانه - وحمّرها بيديه. فهو قوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْنَ يَدَيْ﴾⁹.

وكان الحقّ قد أودع عند كلّ ملك من الملائكة الذين ذكرناهم، وديعةً لآدم، وقال لهم: ﴿إِنِّي خَالِقٌ

[1] فصلت : 12]

[2] فصلت : 11]

3 ص 80 ب

[4] فصلت : 12]

[5] فصلت : 10]

[6] الأنعام : 96]

7 في الهامش: "بلغ".

8 ص 81

[9] ص : 75]

بَشْرًا مِنْ طِينٍ¹ وهذه الودائع التي بأيديكم له. فإذا خلقته؛ فليؤدِّ إليه كلُّ واحد منكم ما عنده، مما أمثلكم عليه، ثم ﴿إِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾². فلما حَمَّرَ الحَقُّ تعالى - يديه طينة آدم، حتى تغيَّرَ رِيحُهَا - وهو المسنون - وذلك الجزء الهوائي الذي في النشأة جعل ظهره محلًّا للأشقياء والسعداء من ذريته، فأودع فيه ما كان في قبضتيه. فإنه سبحانه - أخبرنا أن في قبضة يمينه السعداء، وفي قبضة اليد الأخرى الأشقياء، و«كلتا يدي ربي يمين مباركة»، وقال: «هؤلاء للجنة، ويعمل أهل الجنة يعملون. وهؤلاء للنار، ويعمل أهل النار يعملون» وأودع الكلُّ طينة آدم، وجمع فيه الأضداد بحكم الجاورة، وأنشأه على الحركة المستقيمة، وذلك في دولة السنبلة. وجعله ذا جهاتٍ ست: الفوق وهو ما يلي رأسه، والتحت يقابله، وهو ما يلي رجله، واليمين وهو ما يلي جانبه الأقرى، والشمال يقابله وهو ما يلي جانبه الأضعف، والأمام³ وهو ما يلي الوجه، ويقابله الخلف وهو ما يلي القفا. وصوره، وعدله، وسواه. ثم نفخ فيه من روحه المضاف إليه. فحدث عند هذا النفخ فيه بسريانه في أجزائه، أركان الأخلاط التي هي الصفراء والسوداء والدم والبلغم.

فكانت الصفراء عن الركن الناري، الذي أنشأه الله منه في قوله تعالى: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾⁴. وكانت السوداء عن التراب، وهو قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾⁵. وكان الدم من الهواء، وهو قوله: ﴿مَسْنُونٍ﴾⁶. وكان البلغم من الماء الذي عجن به التراب فصار طينا. ثم أحدث فيه القوة الجاذبة، التي بها يجذب الحيوان الأغذية. ثم القوة الماسكة، وبها يمسك ما يتغذى به الحيوان. ثم القوة الهاضمة، وبها يهضم الغذاء. ثم القوة الدافعة، وبها يدفع الفضلات عن نفسه؛ من عرق وبخار ورياح وبراز وأمثال ذلك. وأما سريان الأبخرة، وتقسيم الدم في العروق من الكبد، وما يخلصه كلُّ جزء من الحيوان؛ فبالقوة الجاذبة، لا الدافعة. فحفظ القوة الدافعة؛ ما تخرجه كما قلنا - من الفضلات، لا غير. ثم أحدث فيه القوة الغازية والمثمية والحسية⁷ والخيالية والوهمية والحافظة والذاكرة. وهذا كله في الإنسان بما هو حيوان، لا بما هو إنسان فقط. غير أن هذه القوى الأربعة: قوة الخيال والوهم والحفظ والذكر، هي في الإنسان أقوى منها في الحيوان.

ثم خصَّ آدم، الذي هو الإنسان، بالقوة المصورة والمفكرة والعاقلة؛ فتميز عن الحيوان. وجعل هذه

1 [ص : 71]

2 [الحجر : 29]

3 ص 81 ب

4 [الرحمن : 14]

5 [آل عمران : 59]

6 [الحجر : 26]

7 ق: "والحاسية" وعلقت في الهامش "والحسية".

8 ص 82

القوى كلها في هذا الجسم، آلات للنفس الناطقة، لتصل بذلك إلى جميع منافعها المحسوسة والمعنوية. ثم أنشأه خلقاً آخر، وهو الإنسانيّة، فجعله ذرّاً كما بهذه القوى، حيثاً عالياً قادراً مريداً متكلاً سميعاً بصيراً، على حدّ معلوم معتاد في اكتسابه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾¹.

ثم إنّه سبحانه - ما سقى نفسه باسم من الأسماء، إلّا وجعل للإنسان من التخلّق بذلك الاسم حظاً منه، يظهر به في العالم على قدر ما يليق به. ولذلك تأوّل بعضهم قوله الطاهر: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» على هذا المعنى، وأنزله خليفة عنه في أرضه، إذ كانت الأرض من عالم التغيير والاستحالات، بخلاف العالم الأعلى. فيحدث فيهم من الأحكام بحسب ما يحدث في العالم الأرضي من التغيير؛ فيظهر لذلك حكم جميع الأسماء الإلهية؛ فلنلك كان خليفة في الأرض دون السماء والجنّة. ثمّ كان من أمره ما كان: من علم الأسماء، وسجود الملائكة، وإيابة إبليس. يأتي ذكر ذلك كلّ في² موضعه إن شاء الله.

فإنّ هذا الباب مخصوص بابتداء الجسوم الإنسانيّة، وهي أربعة أنواع: جسم آدم، وجسم حواء، وجسم عيسى، وأجسام بني آدم. وكلّ جسم من هذه الأربعة، نشؤه يخالف نشء الآخر في السببية، مع الاجتماع في الصورة الجسائيّة والروحانيّة. وإنما سقنا هذا، ونهنا عليه، لئلا يتوهم الضعيف العقل أنّ القدرة الإلهية، أو أنّ الحقائق لا تعطي أن تكون هذه النشأة الإنسانيّة إلّا عن سبب واحد، يعطي بذاته هذا النشء. فردّ الله هذه الشبهة، بأن أظهر هذا النشء الإنساني في آدم، بطريق لم يظهر به جسم حواء، وأظهر جسم حواء بطريق لم يظهر جسم ولد آدم، وأظهر جسم أولاد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى الطاهر. وينطلق على كلّ واحد من هؤلاء اسم الإنسان، بالحدّ والحقيقة، ذلك ليعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾³ ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁴.

ثمّ إنّ الله قد جمع هذه الأربعة الأنواع من الخلق في آية من القرآن، في سورة الحجرات، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾⁵ يريد آدم ﴿مِن ذَكَرٍ﴾ يريد حواء ﴿وَأُنثَى﴾ يريد عيسى، ومن المجموع ﴿مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾ يريد بني آدم بطريق النكاح والتوالد. فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب، الذي أوتي محمد ﷺ.

ولمّا ظهر جسم آدم، كما ذكرناه، ولم تكن فيه⁶ شهوة نكاح، وكان قد سبق في علم الحقّ إيجاد التوالد والتناسل، والنكاح، في هذه البار، إنما هو لبقاء النوع؛ فاستخرج من ضلع آدم من القصيرى-

1 [المؤمنون : 14]

2 ص 82 ب

3 [البقرة : 231]

4 [الحج : 6]

5 [الحجرات : 13]

6 ص 83

حواء، فقصرت بذلك عن درجة الرجل، كما قال تعالى: ﴿وَالرَّجَالِ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ﴾¹، لما تلحق بهم أبدا. وكانت من الضلع؛ للانحناء الذي في الضلوع؛ لتحنو بذلك على ولدها وزوجها. فحنو الرجل على المرأة؛ فحنو على نفسه؛ لأنها جزء منه. وحنو المرأة على الرجل؛ لكونها خلقت من الضلع، والضع فيه انحناء وانعطاف.

وعمر الله الموضع من آدم، الذي خرجت منه حواء، بالشهوة إليها؛ إذ لا يبقى في الوجود خلاء. فلما عمره بالهواء؛ حن إليها حينئذ إلى نفسه؛ لأنها جزء منه، وحنث إليه؛ لكونه موطنها الذي نشأت فيه. فحب حواء حبّ الموطن، وحبّ آدم حبّ نفسه. ولذلك يظهر حبّ الرجل للمرأة؛ إذ كانت عينه. وأعطيت المرأة القوة المعبّر عنها بالحياء في محبة الرجل؛ فقيوث على الإخفاء؛ لأنّ الموطن لا يتحدّ بها اتّحاد آدم بها.

فصوّر في ذلك الضلع، جميع ما صوّره وخلقه في جسم آدم. فكان نشء جسم آدم في صورته؛ كنشء الفاخوري² فيما ينشئه من الطين والطبخ. وكان نشء جسم حواء؛ نشء النجار فيما ينحته من الصور في الخشب. فلما نحتها في الضلع، وأقام صورتها، وسواها وعدلها؛ نفخ فيها من³ روحه؛ فقامت حية ناطقة أشي؛ ليجعلها محلّا للزراعة والحراث، لوجود الإنبات، الذي هو التناسل. فسكن إليها وسكنت إليه، وكانت لباسا له وكان لباسا لها. قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾⁴ وسرّث الشهوة منه في جميع أجزائه؛ فطلبها.

﴿فَلَمَّا تَعَشَاهَا﴾⁵ وألقى الماء في الرحم، ودار بتلك النطفة من الماء دمّ الحيض الذي كتبه الله على النساء؛ تكون في ذلك الجسم جسم⁶ ثالث، على غير ما تكوّن منه جسم آدم وجسم حواء؛ فهذا هو الجسم الثالث. فتولاه الله بالنشء في الرحم، حالا بعد حال؛ بالانتقال من ماء، إلى نطفة، إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظم، ثم كسا العظم لحما. فلما أتمّ نشأته الحيوانية؛ أنشأه خلقا آخر؛ فنفخ فيه الروح الإنساني ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾⁷.

ولولا طول الأمر لبيّنا تكوينه في الرحم، حالا بعد حال، ومن يتولّى ذلك من الملائكة، الموكلين بإنشاء الصور في الأرحام إلى حين الخروج. ولكن كان الغرض الإعلام بأنّ الأجسام الإنسائية، وإن كانت واحدة في الحدّ والحقيقة والصور الجسّية والمعنوية، فإنّ أسباب تأليفها مختلفة؛ لئلاّ يتخيّل أنّ ذلك لذات

1 [البقرة : 228]

2 الفاخوري: صانع الفخار.

3 ص 83

4 [البقرة : 187]

5 [الأعراف : 189]

6 ق: وجسم

7 [المؤمنون : 14]

السبب تعالى الله - بل ذلك راجع إلى فاعل مختار، يفعل ما يشاء، كيف يشاء، من غير تحجير، ولا¹ تصور على أمر دون أمر ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾².

ولمّا قال أهل الطبيعة: إنّ ماء المرأة لا يتكوّن منه شيء، وإنّ الجنين النكّاتن في الرحم إنّما هو من ماء الرجل؛ لذلك جعلنا تكوين جسم عيسى تكوينا آخر، وإن كان تدبيره في الرحم تدبير أجسام البنين. فإن كان من ماء المرأة؛ إذ تمثّل لها الروح ﴿بِنَسْرًا سَوِيًّا﴾³، أو كان عن نفخ بغير ماء؛ فعلى كلّ وجه، هو جسم رابع مغاير في النشء غيره من أجسام النوع. ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ فِي صِفَةِ نَشْءِهِ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ الضمير يعود على آدم، ووقع التشبه في خلقه من غير أب؛ أي صفة نشئه صفة نشء آدم، إلّا أنّ آدم خلقه من تراب، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ﴾⁴.

ثمّ إنّ عيسى، على ما قيل، لم يلبث في بطن مريم لبث البنين المعتاد؛ لأنّه أسرع إليه التكوين، لمّا أراد الله أن يجعله آية، ويردّه به على الطبيعيتين حيث حكموا على الطبيعة بما أعطتهم من العادة، لا بما تقتضيه بما أودع الله فيها من الأسرار والتكوينات العجيبة. ولقد أنصف بعض حدّاق هذا الشأن الطبيعة، فقال: لا نعلم منها إلّا ما أعطتنا خاصّة، وفيها ما لا نعلم.

فهذا قد ذكرنا ابتداء الجسوم الإنسانيّة، وأنها أربعة أجسام مختلفة النشء، كما قترنا، وأنّه آخر الموالّدات. فهو نظير العقل الأوّل، وبه ارتبط. لأنّ الوجود دائرة، فكان ابتداء⁵ الدائرة وجود العقل الأوّل الذي ورد في الخبر: «أنّه أوّل ما خلق الله العقل» فهو أوّل الأجناس، وانتهى الخلق إلى الجنس الإنسانيّ. فكملت الدائرة، واتّصل الإنسان بالعقل، كما يتّصل آخر الدائرة بأولها، فكانت دائرة. وما بين طرفي الدائرة، جميع ما خلق الله من أجناس العالم بين العقل الأوّل، الذي هو القلم أيضا، وبين الإنسان، الذي هو الموجود الآخر.

ولمّا كانت الخطوط الخارجة من النقطة التي في وسط الدائرة، إلى المحيط الذي وجد عنها، تخرج على السواء لكلّ جزء من المحيط؛ كذلك نسبة الحقّ تعالى - إلى جميع الموجودات نسبة واحدة؛ فلا يقع هناك تغيير ألبيّة، وكانت الأشياء كلّها ناظرة إليه، وقابلة منه ما يهبها؛ نظر أجزاء المحيط إلى النقطة. وأقام سبحانه - هذه الصورة الإنسانيّة بالحركة المستقيمة، (ك)صورة القمّد الذي للخيمة؛ فجعله لبنة هذه السماوات. فهو سبحانه - يمسكها أن تزول بسببه. فعبرنا عنه بالقمّد. فإذا فنيث هذه الصورة، ولم

1 ص 84

2 [آل عمران : 6]

3 [مريم : 17]

4 [آل عمران : 59]

5 ص 84ب

يبقى منها على وجه الأرض متنفس ﴿انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾¹ لأنَّ القمَد زال؛ وهو الإنسان. ولَمَّا انتقلت العمارة إلى النار الآخرة بانتقال الإنسان إليها، وخربت الدنيا بانتقاله عنها؛ علمنا قطعاً أنَّ الإنسان هو العين المقصودة لله من العالم، وأتته² الخليفة حقاً، وأتته محلّ ظهور الأسماء الإلهية، وهو الجامع لحقائق العالم كلّ: من ملك وفلك وروح وجسم وطبيعة وجهاد ونبات وحيوان، إلى ما خصّ به من علم الأسماء الإلهية، مع صغر حجمه وجزمه. وإنما قال الله فيه: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ لكون الإنسان متولداً عن السماء والأرض، فهما له كالأبوين، فرفع الله مقدارهما (لأجله) ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾³ فلم يُرد (الكبير) في الجرّمية، فإنّ ذلك معلوم حسّاً.

غير أنّ الله تعالى - ابتلاءً ببلاءٍ ما ابتلى به أحداً من خلقه؛ إمّا لأن يسعده أو يشقيه، على حسب ما يوفقه إليه وإلى استعماله. فكان البلاء الذي ابتلاه به؛ أن خلق فيه قوة تسمى الفكر، وجعل هذه القوة خادمة لقوة أخرى تسمى العقل. وجبر العقل مع⁴ سيادته على الفكر، أن يأخذ منه ما يعطيه. ولم يجعل للفكر مجالاً إلا في القوة الخيالية. وجعل سبحانه - القوة الخيالية محلاً جامعاً لما تعطىها القوة الحساسة. وجعل له قوة يقال لها: المصورة. فلا يحصل في القوة الخيالية، إلا ما أعطاه الحس، أو أعطته القوة المصورة. ومادة المصورة من المحسوسات؛ فتركب صوراً لم يوجد لها عين، لكن أجزاءها كلّها موجودة حسّاً.

وذلك لأنَّ العقل خلق ساذجاً؛ ليس عنده من العلوم النظرية شيء. وقيل⁵ للفكر: ميز بين الحقّ والباطل، الذي في هذه القوة الخيالية. فينظر بحسب ما يقع له؛ فقد يحصل في شبهة، وقد يحصل في دليل عن غير علم منه بذلك؛ ولكن في زعمه أنّه عالم بصور الشبهة من الأدلة، وأنّه قد حصل على علم، ولم ينظر إلى قصور المواد التي استند إليها في اقتناء العلوم. فيقبلها العقل منه، ويحكم بها؛ فيكون جملة أكثر من علمه بما لا يتقارب.

ثم إنّ الله كلّف هذا العقل معرفته سبحانه - ليرجع إليه فيها، لا إلى غيره. ففهم العقل تقيض ما أراد به الحقّ، بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾⁶، ﴿لَقَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁷ فاستند إلى الفكر، وجعله إماماً يقتدي به، وغفل عن الحقّ في مراده بالتفكير أنّه خاطبه أن يتفكر. فيرى أنّ علمه بالله لا سبيل إليه إلا بتعريف الله؛ فيكشف له عن الأمر على ما هو عليه. فلم يفهم كلُّ عقل هذا الفهم، إلا عقول خاصّة الله من أنبيائه

1 [الحاقة : 16]

2 ص 85

3 [غافر : 57]

4 ق: "على" وصححت في الهامش بقلم الأصل وإشارة الصواب.

5 ص 85 ب

6 [الأعراف : 184]

7 [يونس : 24]

وأوليائه¹.

يا ليت شعري؛ هل بأفكارهم قالوا: ﴿بلى﴾ حين ﴿أشهدهم على أنفسهم﴾² في قبضة النزلة من ظهر آدم؟ لا، والله؛ بل عناية إلهاده إياهم ذلك، عند أخذه إياهم عنهم من ظهورهم. ولما رجعوا إلى الأخذ عن قواهم المفكرة في معرفة الله، لم يجتمعوا قط على حكم واحد في معرفة الله، وذهبت كل طائفة إلى مذهب. وكثرت القالة في الجناح الإلهي الأحمى. واجتروا غاية الجرأة على الله. وهذا كله من الابتلاء الذي ذكرناه، من خلقه الفكر في الإنسان.

وأهل الله افتقروا إليه فيما كلفهم من الإيمان به في معرفته، وعلموا أن المراد منهم رجوعهم إليه في ذلك، وفي كل حال. فمنهم القائل: "سبحان من لم يجعل سبيلا إلى معرفته إلا العجز عن معرفته". ومنهم من قال: "العجز عن درك الإدراك إدراك". وقال ﷺ: «لا أحصي- شاء عليك» وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾⁴. فرجعوا إلى الله في المعرفة به، وتركوا الفكر في مرتبته، ووفوه حقه؛ لم ينقلوه إلى ما لا ينبغي له التفكر فيه. وقد ورد النهي عن التفكر في ذات الله، والله يقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾⁵. فوهبهم الله من معرفته ما وهبهم، وأشهدهم من مخلوقاته ومظاهره ما أشهدهم؛ فعلموا أنه ما يستحيل عقلا من طريق الفكر، لا يستحيل نسبة إلهية، كما سنورد من ذلك طرفا، في باب الأرض المخلوقة من بقية طينة آدم، وغيرها.

فالذي ينبغي للعاقل، أن يدين الله به في نفسه، أن يعلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁶ من ممكن ومحال، ولا كل محال. نافذ الاقتدار. واسع العطاء. ليس لإيجاده تكرار؛ بل⁷ أمثال تحدث في جوهر أوجدته، وشاء بقاءه، ولو شاء أفناه مع الأنفاس ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁸.

1 في الهامش: "ابن الحموي ومحمد بن زرافة".

2 [الأعراف : 172]

3 ص 86

4 [طه : 110]

5 [آل عمران : 28]

6 [البقرة : 20]

7 ص 86ب

8 [آل عمران : 6]. وفي الهامش: "بلغ قراءة لممود الرنجابي".

الباب الثامن

في معرفة الأرض التي خُلِقَتْ من بقية خميرة طينة آدم ﷺ
وهي أرض الحقيقة وذكر بعض ما فيها من الغرائب والعجائب

يا أختِ بلِ يا عَمِّي المَعْقُولَةُ أَنْتِ الأَمِينَةُ عِنْدَنَا المَجْهُولَةُ¹
نَظَرَ البَتُونَ إِلَيْكَ أختِ أَيْبِهِمْ فَتَنَافَسُوا عَن هِمَّةِ مَعْلُولَةٍ
إِلَّا القَلِيلَ مِنَ البَنِينِ فَأَيْبَهُمْ عَظَفُوا عَلَيْكَ بِأَشْيِيسِ مَجْبُولَةٍ
يا عَمِّي قُلْ: كَيْفَ أَظْهَرَ بَصَرَهُ فِيكَ الأَخِي مُحَقِّقًا تَنْزِيلَهُ
حَتَّى بَدَأَ مِنْ مِثْلِ ذَاتِكَ عَالَمٌ قَدْ يَرْتَضِي رَبُّ الوَزِيِّ تَوَكُّيلَهُ
أَنْتِ الإِمَامَةُ، والإِمَامُ أْحْوَكِ، والمَأْمُومُ أَمْثَالُ لَهْ مَسْئُولُهُ

إعلم أنّ الله تعالى - لنا خلق آدم ﷺ الذي هو أول جسم إنسانيّ تكوّن، وجعله أصلاً لوجود الأجسام الإنسانيّة، وفضلت² من خميرة طينته فضلة، خلق منها النخلة. فهي أخت لآدم ﷺ وهي لنا عمّة. وسماها الشرع عمّة، وشبّهها بالمؤمن، ولها أسرار عجيبة دون سائر النبات. وقُضِلَ من الطينة، بعد خلق النخلة، قدر السمسم في الحفاء. فدّ الله في تلك الفضلة أرضاً واسعة الفضاء، إذا جُعِلَ العرش وما حواه والكرسيّ والسموات والأرضون وما تحت الترى والجنّات كلّها والنار في هذه الأرض، كان الجميع فيها كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض. وفيها من العجائب والغرائب ما لا يُقدَّرُ قدرُهُ، ويهر العقول أمرُهُ، وفي كلِّ نَفْسٍ خلق الله فيها عوالم هُيُوسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ³.

وفي هذه الأرض ظهرت عظمتُ الله، وعظمتُ عند المشاهد لها قدرته. وكثير من المحالات العقليّة التي قام الليل الصحيح العقليّ على إحالتها، هي موجودة في هذه الأرض، وهي مسرح عيون العارفين، العلماء بالله، وفيها يجولون. وخلق الله من جملة عوالمها عالماً على صُورنا، إذا أصرهم العارفُ يشاهد نفسه فيها. وقد أشار إلى مثل ذلك عبد الله بن عباس ؓ فيما روي عنه في حديث "هذه الكعبة، وأنها بيت

1 رسمها في ق بين: "المجهولة" و "المجمولة" وفي ه، س: المجهولة

2 ص 87

3 [الأنبياء : 20]

واحد¹ من أربعة عشر بيتاً" و"أَنَّ فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنَ السَّبْعِ الْأَرْضِينَ خَلَقْنَا مِثْلَنَا حَتَّى أَنْ فِيهِمْ ابْنُ عَبَّاسٍ مِثْلِي" وصدقَتْ هذه الرواية عند أهل الكشف.

فلنرجع إلى ذِكْر هذه الأرض واتساعها، وكثرة عالمها المخلوقين فيها ومنها، و(ما) يقع للعارفين فيها (من) تجليات إلهية. أخبر بعض العارفين بأمر أعرفه شهوداً، قال: "دخلت فيها يوماً مجلساً يستسى مجلس الرحمة، لم أر مجلساً قط أعجب منه، فبينما أنا فيه؛ إذ ظهر لي تجلُّ إلهي¹ لم يأخذني عني، بل أبقاني معي، وهذا من خاصية هذه الأرض. فإنَّ التجليات الواردة على العارفين في هذه الدار في هذه الهياكل، تأخذهم عنهم، وتفتنهم عن شهودهم، من الأنبياء والأولياء وكلِّ مَنْ وقع له ذلك، وكذلك عالم السموات العلى، والكرسي الأزهي، وعالم العرش المحيط الأعلى، إذا وقع لهم تجلُّ إلهي²؛ أخذهم عنهم فصعقوا. وهذه الأرض إذا حصل فيها صاحبُ الكشف، العارف، ووقع له تجلُّ؛ لم يفنه عن شهوده، ولا اختطفه عن وجوده، وجمع له بين الرؤية والكلام".

قال: واتفق لي في هذا المجلس أمور وأسرار لا يسعني ذكُّها؛ لغموض معانيها وعدم وصول الإدراكات، قبل أن يشهد مثل هذه المشاهد لها. وفيها من البساتين والجنات والحيوان والمعادن، ما لا يعلم قدر ذلك إلا الله تعالى. - وكل ما فيها من² هذا كله، حي ناطق كحياة كل حي ناطق، ما هو مثل ما هي الأشياء (عليه) في الدنيا، وهي باقية لا تفتنى ولا تتبدل، ولا يموت عالمها، وليست تقبل هذه الأرض شيئاً من الأجسام الطبيعية الطبيعية البشرية، سوى عالمها أو عالم الأرواح متاً بالخاصية. وإذا دخلها العارفون، إنما يدخلونها بأرواحهم لا بأجسامهم، فيتركون هياكلهم في هذه الأرض الدنيا ويتجزدون.

وفي تلك الأرض صورٌ عجيبة النشء، بديعة الخلق، قائمون على أفواه السكك المشرفة على هذا العالم الذي نحن فيه، من الأرض والسماء والجنة والنار. فإذا أراد أحدٌ منّا الدخول لتلك الأرض، من العارفين من أي نوع كان، من إنس أو جنّ أو ملك، أو أهل الجنة، بشرط المعرفة، وتجرد عن هيكله؛ وجد تلك الصور على أفواه السكك قائمين موكلين بها، قد نصبهم الله سبحانه - لتلك الشغل. فيبادر واحد منهم إلى هذا الداخل، فيخلع عليه حلة على قدر مقامه، ويأخذ بيده ويجول به في تلك الأرض، ويَبْتَوُّ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ³ ويعتبر في مصنوعات الله، ولا يمزّ بحجر ولا شجر ولا مدر ولا شيء، ويريد أن يكلّمه؛ إلا كلمه كما يكلّم الرجل صاحبه، ولهم لغات مختلفة.

وتعطي هذه الأرض، بالخاصية، لكل من دخلها، الفهم بجميع ما فيها من الألسنة. فإذا قضى منها وظّره، وأراد الرجوع⁴ إلى موضعه، مشى معه رفيقه إلى أن يوصله إلى الموضع الذي دخل منه، يودعه،

1 ص 87 ب

2 ص 88

3 [يوسف : 56]

4 ص 88 ب

ويخلع عنه تلك الحلة التي كساه، وينصرف عنه، وقد حصل علوما جمّة ودلائل، وزاد في علمه بالله ما لم يكن عنده مشاهدة. وما رأيت الفهم ينفذ، أسرع مما ينفذ، إذا حصل في هذه الأرض.

وقد ظهر عندنا -في هذه الدار، وهذه النشأة- ما يعضد هذا القول. فمن ذلك ما شاهدناه ولا أذكره. ومنها ما حدثني أوحّد الدين حامد بن أبي الفخر الكرمانى -وفقه الله- قال: كنت أخدم شيخا وأنا شاب، فرض الشيخ، وكان في محارة، وقد أخذ البطن. فلما وصلنا تكريت قلت له: يا سيدي؛ اتركني أطلب لك دواء مسكا من صاحب مارستان سنجان من السبيل. فلما رأى احتراقي، قال لي: رح إليه.

قال: فَرَحْتُ إلى صاحب السبيل، وهو في خميته جالس، ورجاله بين يديه قائمون، والشمعة بين يديه، وكان لا يعرفني ولا أعرفه. فرآني واقفا بين الجماعة. فقام إليّ، وأخذ يدي، وأكرمني، وسألني: ما حاجتك؟ فذكرت له حال الشيخ. فاستحضر- البواء، وأعطاني إياه، وخرج معي في خدمتي، والخدام بالشمعة بين يديه. فحُفْتُ أن يراه الشيخ فيخرج. فحلفْتُ عليه أن يرجع؛ فرجع.

فجئت الشيخ، وأعطيته البواء، وذكرْتُ له كرامة الأمير صاحب السبيل بي. فتبسّم الشيخ، وقال لي: يا ولدي؛ إنني أشفقْتُ عليك لَمَّا رأيت من احتراقك من أجلي، فأذنتُ¹ لك. فلَمَّا مشيتُ، خفتُ أن يخبلك الأمير بعدم إقباله عليك؛ فتجذرتُ عن هيكلي هذا، ودخلتُ في هيكل ذلك الأمير، وقعدتُ في موضعه. فلَمَّا جنّتُ أكرمتك، وفعلتُ معك ما رأيت، ثم عدتُ إلى هيكلي هذا، ولا حاجة لي في هذا البواء، وما أستعمله. فهذا شخص قد ظهر في صورة غيره، فكيف أهل تلك الأرض؟!.

قال لي بعض العارفين: لَمَّا دخلت هذه الأرض؛ رأيتُ فيها أرضا كلّها مسك عطر، لو شمته أحد منا في هذه الدنيا لهلك؛ لقوة رائحته؛ تمتد ما شاء الله أن تمتد. ودخلتُ في هذه الأرض أرضا من الذهب الأحمر اللين، فيها أشجار كلّها ذهب، وثمرها ذهب. فيأخذ التفاحة أو غيرها من الثمر، فيأكلها؛ فيجد من لذّة طعمها، وحسن رائحتها ونقمتها، ما لا يصفها واصفٌ: تقصر- فاكهة الجنة عنها، فكيف فاكهة الدنيا. والجسم والصورة والشكل ذهب، والصورة والشكل كصورة الثمرة وشكلها عندنا، وتختلف في الطعم. وفي الثمرة من النقش البديع والزينة الحسنة، ما لا تتوهمه نفس، فأحرى أن تشهده عين.

ورأيتُ من كِبَرِ ثمرها، بحيث لو جعلت الثمرة بين السماء والأرض، لحجبت أهل الأرض عن رؤية السماء. ولو جعلت على الأرض، لفضلت عليها أضعافا. وإذا قبض عليها الذي يريد أكلها، بهذه اليد المعهودة في² القدر، عمّا بقبضته لِنَقَمَتِهَا: ألطف من الهواء، يطبق³ عليها يده مع هذا العظم، وهذا مما تحيله العقول هنا في نظرها. ولَمَّا شاهدتها ذو النون المصري نطق بما حكى عنه من إيراد الكبير على الصغير، من

1 ص 89

2 ص 89ب

3 ق: "يغلق" و"بجانها" يطبق" بجم الأصل.

غير أن يُصغّر الكبير، أو يُكَبِّر الصغير، أو يوسِّع الضِّيق، أو يضيق الواسع، فالعظم في التَّفاحة على ما ذكرته باق، والقبض عليها باليد الصغيرة والإحاطة بها موجود، والكيفيّة مشهودة مجهولة لا يعرفها إلا الله. وهذا العلم بما انفرد الحقُّ به. واليوم الواحد الزمانيّ عندنا هو عدّة سنين عندهم، وأزمنة تلك الأرض مختلفة.

قال: ودخلتُ فيها أرضاً من فضّة بيضاء في الصورة، ذات شجر وأنهار وثمر شهويّ، كلّ ذلك فضّة، وأجسام أهلها منها كلّها فضّة، وكذلك كلّ أرض شجرها وثمرها وأنهارها وبحارها وخلقتها من جنسها. فإذا تُوولتْ وأكلتْ، وجد فيها من الطعم والروائح والنعمّة مثل سائر المأكولات، غير أنّ اللذّة لا توصف ولا تحكى. ودخلت فيها أرضاً من الكافور الأبيض، وهي في أماكن منها أشدّ حرارة من النار: يخوضها الإنسان ولا تحرقه، وأماكن منها معتدلة، وأماكن باردة. وكلّ أرض من هذه الأرضين، التي هي أماكن في هذه الأرض¹ الكبيرة، لو جُعِلت السماء فيها؛ لكانت كحلقة في فلاة بالنسبة إليها. وما في جميع أراضيها أحسنُ عندي، ولا أوفى لمزاجي، من أرض الزعفران. وما رأيت عالماً من عالم كلّ أرض أبسط نفوساً منهم، ولا أكثر بشاشة بالوارد عليهم، يتلقّونه بالترحيب والتأهيل.

ومن عجائب مطعوماتها؛ أنّه أيّ شيء أكلتُ منها، إذا قطعتم من الثمرة قطعة، نبث في زمان قَطَعِك إياها مكانها، ما سدّ تلك الثلثة. أو تقطف بيدك ثمرة من ثمرها؛ فزمان قَطَفِك إياها يتكوّن مثلها، بحيث لا يشعر بها إلا الفطن، فلا يظهر فيها نقص أصلاً.

وإذا نظرت إلى نساءها، ترى أنّ النساء الكائنات في الجتّة من الحور بالنسبة إليهنّ، كنسائنا من البشر بالنسبة إلى الحور في الجنان. وأما مجامعتهنّ فلا يشبه لنتها لثة. وأهلها أعشق الخلق فيمن يرد عليهم. وليس عندهم تكليف، بل هم مجبولون على تعظيم الحقّ وجلاله تعالى، لو راموا خلاف ذلك ما استطاعوا.

وأما أبنيتهم، فمنها ما يحدث عن همهم، ومنها ما يحدث كما تُبنى عندنا من اتّخاذ الآلات وحسن الصنعة.

ثمّ إنّ بحارها لا يمتزج بعضها ببعض، كما قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾² فتعانين³ منتهى بحر الذهب تصطفق أمواجه، ويباشره بالهجرة بحر الحديد؛ فلا يدخل من واحد في الآخر شيء. وماؤهم ألطف من الهواء في الحركة والسيلان، و(هو) من الصفاء بحيث أن لا يخفى عنك من دوابّه، ولا من الأرض التي يجري البحر عليها شيء. فإذا أردت أن تشرب منه؛ وجدت له

1 ص 90

2 [الرحمن: 19، 20]

3 ص 90ب

من اللذة ما لا تجده لمشروب أصلا.

وخلّقها ينبتون فيها كسائر النباتات من غير تاسل، بل يتكثرون من أرضها تكوّن الحشرات عندنا، ولا ينعقد من ماثم في نكاحهم ولد، وإن نكاحهم إنما هو مجرد الشهوة والنعم.

وأما مراكزهم فتعظم وتصغر بحسب ما يريد الركب. وإذا سافروا من بلد إلى بلد، فإنهم يسافرون برا وبحرا، وسرعة مشيهم في البر والبحر أسرع من إدراك البصر للمبصر.

وخلّقها متفاوتون في الأحوال: ففهم من تغلب عليهم الشهوات، وفهم من يغلب عليهم تعظيم جناب الحق. ورأيت فيها ألوانا لا أعرفها في ألوان الدنيا، ورأيت فيها معادن تشبه الذهب، وما هي بذهب ولا نحاس، وأحجارا من اللآلئ ينفذها البصر لصفاتها شفاقة من اليواقيت الحمر.

ومن أعجب ما فيها¹: إدراك الألوان في الأجسام السفلية التي هي كالهواء، ويتعلق الإدراك بألوانها، كما يتعلق بالألوان التي في الأجسام الكثيفة. وعلى أبواب مداتها عقود من الأشجار الياقوتية؛ كل حجر منها يزيد على الخمسةائة ذراع. وعلو الباب في الهواء عظيم، وعليه معلق من الأسلحة والغدد، ما لو اجتمع ملك الأرض كلها ما وفي بها.

وعندهم ظلمة ونور، من غير شمس تتعاقب. وتتعاقد يعرفون الزمان، وظلمتهم لا تحجب البصر عن مدركه، كما لا يحجب النور. ويفزو بعضهم بعضا، من غير شحناء ولا عداوة ولا فساد بينة. وإذا سافروا في البحر وغرقوا، لا يعدو عليهم الماء كما يعدو علينا؛ بل يمشون فيه كشيء - دوابه، حتى يلحقون بالساحل. وتحلّ بتلك الأرض زلازل؛ لو حلت بنا لانتقلت الأرض، وهلك ما كان عليها.

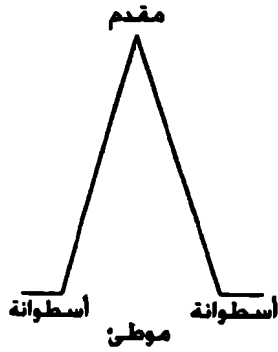
وقال: لقد كنت يوما مع جماعة منهم في حديث، وجاءت زلزلة شديدة، بحيث أتت رأيت الأبنية تتحرك كلها تحركا، لا يقدر البصر بممكن من رؤيتها؛ لسرعة الحركة مروراً وكروراً، وما عندنا خبر، وكانا على الأرض قطعة منها، إلى أن فرغت الزلزلة. فلما فرغت، وسكنت الأرض، أخذت الجماعة بيدي، وعزيتي في ابنة لي اسمها فاطمة!. فقلت² للجماعة: إنّي تركتها في عافية عند والديها. قالوا: صدقت ولكن هذه الأرض، ما تزلزل بنا وعندنا أحد، إلا مات ذلك الشخص، أو مات له أحد. وإنّ هذه الزلزلة لموت ابنتك، فانظر في أمرها.

فقدت معهم ما شاء الله، وصاحبي ينتظرنى. فلما أردت فراقهم؛ مشوا معي إلى ثم السكة، وأخذوا خلعتهم. وجئت إلى بيتي، فلقيت صاحبي فقال لي: إنّ فاطمة تُنازع. فدخلتُ عليها، فقضت. وكنت بمكة مجاوراً؛ فجهزناها، ودفناها بالمعلى. فهذا من أعجب ما أخبرتُ (به) عن تلك الأرض.

(قال): ورأيت بها كعبة يطوف بها أهلها، غير مكسوة، تكون أكبر من البيت الذي بمكة، ذات

أركان أربعة؛ تكلمهم إذا طافوا بها، وتحتهم، وتفيدهم علوما لم تكن عندهم. ورأيت في هذه الأرض بحرا من تراب، يجري مثل ما يجري الماء. ورأيت حجارة صغارا وكبارا، يجري بعضها إلى بعض، كما يجري الحديد إلى المغناطيس، فتتألف هذه الحجارة، ولا تنفصل بعضها من بعض بطبعها، إلا إن فصلها فاصل مثل ما يفصل الحديد عن المغناطيس؛ ليس في قوته أن يمتنع. فإذا تُركت وطبعها¹؛ جرث بعضها إلى بعض، على مقدارٍ من المساحة مخصوص، فتتضمُّ هذه الحجارة بعضها إلى بعض، فينشأ منها صورة² سفينة.

ورأيت منها مركبا صغيرا وشيئين³. فإذا التأمَت السفينةُ من تلك الحجارة، رموا بها في بحر التراب، وركبوا فيها، وسافروا حيث يشتهون من البلاد. غير أن قاع السفينة من رمل وتراب، يلصق بعضه ببعض لصوق الخاصية. لما رأيت فيما رأيت، أعجب من جريان هذه السفن في ذلك البحر. وصورة الإنشاء في المراكب سواء، غير أن لهم في جناحي السفينة، تما يلي مؤخرها، اسطوانتين عظيمتين تعلق المركب أكثر من القامة، وأرض المركب من حمة مؤخره، ما بين الأسطوانتين مفتوح، متساوٍ مع البحر، ولا يدخل فيه من رمل ذلك البحر شيء أصلا بالخاصية، وهذا شكله في الهامش:



وفي هذه الأرض مدائن، تسمى مدائن النور، لا يدخلها من العارفين إلا كلُّ مصطفى مختار. وهي ثلاث عشرة مدينة، وهي⁴ على سطح واحد، وبنائها عجيب؛ وذلك أنهم عمدوا إلى موضع في هذه الأرض، فبنوا فيه مدينة صغيرة لها أسوار عظيمة، يسير الراكب فيها، إذا أراد أن يدور بها، مسيرة ثلاثة أعوام. فلما أقاموها؛ جعلوها خزانة لمنافعهم ومصالحهم وعُددهم، وأقاموا على بُعدٍ من جوانبها، أبراجا تعلق على أبراج المدينة، بما⁵ دار بها، ومدوا البناء بالحجارة حتى صار للمدينة كالسقف للبيت، وجعلوا ذلك السقف أرضا، يتوَّأ عليها مدينة أعظم من التي يتوَّأ أولا، وعمرها واتخذوها مسكنا، فضاقت عنهم، فبنوا عليها مدينة أخرى أكبر منها، وما زال يكثر عمارها، وهم يصعدون بالبنيان، طبقة فوق طبقة حتى بلغت ثلاث عشرة مدينة.

(قال): ثم إنِّي غبْتُ عنهم مدة، ثم دخلتُ إليهم مرّة أخرى، فوجدتهم قد زادوا مدينتين: واحدة فوق

1 ق: تُرك وطبعه.

2 ص 92

3 الشيني: ضرب من السفن. وفي س: وسفينتين

4 كانت في ق: "وما هي" وهناك إشارة على "ما" يمكن أن تتل على حذفتها، وهي كذلك في ه، س.

5 ص 92

أخرى. ولهم ملوكٌ فيهم لطف وحنان، صحبتُ منهم جماعة: منهم "التالي"، وهو التابع، بمنزلة القَيْلِ¹ في جَمِيرٍ². ولم أرَ مَلِكًا أكثرَ منه ذَكَرًا لله تعالى، قد شغله ذِكرُ الله عن تدبير مُلكه. انتفعتُ به وكان كثيرُ الجالسةِ لي. ومنهم "ذو العرف": وهو مَلِكٌ عظيمٌ لم أرَ في ملوكِ الأرض أكثرَ من تأتي إليه الرسل من الملوكِ منه، وهو كثيرُ الحركة، هَيِّنَ لَيِّنَ، يصلُ إليه كلُّ أحدٍ، يتلطفُ في النزولِ، لكنَّه إذا أغضبَ لم يَقمَ لغضبه شيءٌ، أعطاه الله من القوَّة ما شاء.

ورأيتُ ليجرَّها مَلِكًا منيع الحِمَى يدعى: "الساجح". هو قليلُ الجالسةِ مع من يقصدُ إليه، وما له ذلك الالتفاتِ إلى أحدٍ، غيرَ أنَّه مع ما يخطرُ له لا مع ما يَزدادُ منه³. ويجاوره سلطانُ عظيمٍ اسمه: "السابق"، إذا دخلَ عليه الوافد؛ قامَ إليه من مجلسه، وبشَّ في وجهه، وأظهرَ السرورَ بقدمه، وقامَ له بجميعِ ما يحتاجُ إليه من قبل أن يسأله عن شيءٍ. فقلتُ له في ذلك. فقال لي: "أكره أن أرى في وجه السائل ذلَّةَ السؤالِ مخلوقٍ؛ غيرةٌ أن يندلَّ أحدٌ لغيرِ الله. وما كلُّ أحدٍ يقفُ مع الله على قدم التوحيد، وإنَّ أكثرَ الوجوهِ مصروفةٌ إلى الأسبابِ الموضوعَةِ مع الحجابِ عن الله. فهذا يجعلني أن أبادرَ إلى ما ترى من كرامةِ الوافد". قال: ودخلتُ على مَلِكٍ آخرٍ يدعى "القائمُ بأمرِ الله"، لا يلتفتُ إلى الوافدِ عليه لاستيلاءِ عظمةِ الحقِّ على قلبه، فلا يشعرُ بالوافدِ، وما يَقدُ عليه من يَقدُ من العارفينِ، إلَّا لينظروا إلى حاله التي هو عليها، تراه واقفاً قد عقدَ يديه إلى صدره عقدَ العبدِ اللئيلِ الجاني، مطرِّقا إلى موضعِ قدميه، لا تتحركُ منه شعرةٌ، ولا يضطربُ منه مفصلٌ، كما قيلَ في قومٍ هذه حالتهم مع سلطانهم:

كأَنَّمَا الطَّيْرُ مِنْهُمُ فَوْقَ أَرْؤُسِهِمْ
لَا خَوْفَ ظَلَمٍ وَلَكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ

يتعلَّمُ العارِفونَ منه حالَ المراقبةِ.

قال: ورأيتُ مَلِكًا يدعى بـ"الرادع" ميمب المنظر، لطيف الخبر، شديد الغيرة، دائم الفكرة⁴ فيما كلَّفَ النظرَ فيه، إذا رأى أحداً يخرج عن طريقِ الحقِّ ردَّه إلى الحقِّ. قال: صحبتُه وانتفعتُ به. وجالستُ من ملوكهم كثيرا، ورأيتُ منهم من العجائبِ مما يرجع إلى ما عندهم، من تعظيمِ الله، ما لو سطرناه، لأعيا الكاتبُ والسامعُ. فاقصرنا على هذا القدرِ من عجائبِ هذه الأرض. ومداتها لا تحصى كثرة، ومداتها أكثرُ من ضياعها، وجميعُ من يملكها من الملوكِ: ثمانية عشر سلطانا؛ منهم من ذكرنا، ومنهم من سكتنا عنه، ولكلِّ سلطانِ سيرةٌ وأحكامٌ ليست لغيره.

1 المقول: القَيْلُ بلفظة أهل اليمن؛ قال ابن سيده: المقول والقَيْلُ المَلِكُ من ملوكِ جَمِيرٍ يقول ما شاء، وأصله قَيْلٌ؛ وقيل: هو دون المَلِكِ الأعلى، والجمع أقوال. [لسان العرب]

2 جَمِيرٌ أبو قبيلةٍ من اليمن، وهو حمير بن سَبَأَ بنِ يَشْجَبَ بنِ يَثْرِبَ بنِ قُحْطَانَ، ومنهم كانت الملوكُ في الدهرِ الأوَّلِ، واسم جَمِيرٍ القَرْحَجِيُّ. [لسان العرب]

3 ص 93

4 ص 93 ب

قال: وحضرتُ يوماً في ديوانهم لأرى ترتيبهم. فمما رأيتُ أنّ المليك منهم هو الذي يقوم برزق رعيته، بلغوا ما بلغوا؛ فرأيتهم إذا استوى الطعام، وقف خلق لا يحصى عددهم كثيرة، يستؤمنهم الجبابة، وهم رسل أهل كلّ بيت، فيعطيه الأمين من المطبخ على قدر عائلته، ويأخذه الجابي وينصرف.

وأما الذي يقسمه عليهم شخص واحد لا غير، له من الأيدي على قدر الجبابة؛ فيغرف في الزمن الواحد لكلّ شخص طعامه في وعائه وينصرف، وما فضل من ذلك يُرفع إلى خزانه. فإذا فرغ منهم ذلك القاسم؛ دخل الخزانة، وأخذ ما فضل وخرج به إلى الصعاليك، الذين على باب دار المليك، فيلقيه إليهم فيأكلوه، هكذا في كلّ يوم.

ولكلّ ملك شخص حسن الهيئة، هو على الخزانة، يدعونه "الخازن"، بيده جميع ما يملكه ذلك المليك. ومن شرعهم أنّه إذا ولّاه ليس له عزله. ورأيتُ فيهم شخصاً أعجبتني حركاته، وهو جالس إلى جانب المليك، وكنت على يمين المليك، فسألته: ما منزلة هذا عنكم؟ فتبسّم وقال: أعجبك؟ قلت له: نعم. قال: هذا المعيار الذي يبني لنا المساكن والمدن، وجميع ما تراه من آثار عمله. ورأيتُ في سوق صيارفهم أنّه لا ينتقد لهم سيكّتهم إلّا واحد في المدينة كلّها، وفيما تحت يد ذلك المليك من المدن.

قال: وهكذا رأيتُ سيرتهم في كلّ أمر لا يقوم به إلّا واحد، لكن له وِزْعة². وأهل هذه الأرض أعرف الناس بالله، وكلّ ما أحاله العقل بدليله عندنا وجدناه في هذه الأرض ممكناً قد وقع، وإنّ الله على كلّ شيء قدير³. فعلمنا أنّ العقول قاصرة، وأنّ الله قادر على جمع الضدّين، ووجود الجسم في مكانين، وقيام العزّض بنفسه وانتقاله، وقيام المعنى بالمعنى، وكلّ حديث وآية وردت عندنا مما صرفها العقل عن ظاهرها، وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض، وكلّ جسد يتشكل فيه الروحاني، من ملك وجنّ، وكلّ صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم: فمن أجساد هذه الأرض لها من هذه الأرض⁴ موضع مخصوص، ولهم رقائق ممتدّة إلى جميع العالم، وعلى كلّ رقيقة أمين. فإذا عاين ذلك الأمين، روحاً من الأرواح، قد استعدّ لصورة من هذه الصور التي بيده؛ كساه إياها، كصورة دحية لجبريل.

وسبب ذلك: أنّ هذه الأرض مدها الحقّ تعالى- في البرزخ، وعين منها موضعاً لهذه الأجساد التي تلبسها الروحانيات وتنتقل إليها النفوس عند النوم وبعد الموت، فنحن من بعض عالمها. ومن هذه الأرض طرف يدخل في الجتّة يستوى السوق. ونحن نبين لك مثال صورة امتداد الطرف، الذي يلي العالم من هذه الأرض. وذلك أنّ الإنسان إذا نظر إلى السراج أو الشمس والقمر، ثمّ حال بأهداب أجهانه بين الناظر والجسم المستنير، يبصر من ذلك الجسم المستنير إلى عينيه، شبه الخطوط من النور، تتصل من

1 ص 94

2 وِزْعة: أعوان.

3 [البقرة : 20]

4 ص 94

السراج إلى عينيه¹، متعدّدة. فإذا رفع تلك الأهداب، من مقابلة الناظر قليلا قليلا، يرى تلك الخطوط الممتدة، تنقبض إلى الجسم المستنير.

فالجسم المستنير مثال للموضع المعين من هذه الأرض لتلك الصور، والناظر مثال² العالم، وامتداد تلك الخطوط كصور الأجساد التي تنتقل إليها في النوم وبعد الموت، وفي سوق الجئة، والتي تلبسها الأرواح³، وقصدك إلى رؤية تلك الخطوط بذلك الفعل، من إرسال الأهداب الحائلة بين الناظر والجسم النير مثال الاستعداد، وانبعثت تلك الخطوط عند هذه الحال انبعثت الصور عند الاستعداد، وانقباض الخطوط إلى الجسم النير عند رفع الحائل، رجوع الصور إلى تلك الأرض عند زوال الاستعداد. وليس بعد هذا البيان بيان. وقد بسطنا القول في عجائب هذه الأرض وما يتعلّق بها من المعارف في كتاب كبير لنا فيها خاصّة. انتهى الجزء الحادي⁴ عشر⁵.

1 ق: عينه

2 ق: "مثل".

3 ص 95

4 ق: الحادي أحد

5 في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف أيّنه الله".

وأفضل الصفة: "سمع جميع هذا الجزء إلى البلاغ في الجزء الثاني عشر بخط القاري على مصتفه الشيخ الإمام العالم محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي، بقراءة الأمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي، الأئمة أبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأربلي، وأبو بكر بن سليمان الحموي الواعظ، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد- ابنا المصنف-، وأبو الفضل يوسف بن عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وأبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعلي بن محمود بن أبي الرجا- الحنفيان-، وعيسى بن اسحق الهندياني، ويعقوب بن معاذ الوري، ويونس بن عثمان المصنفي، وأحمد بن أبي الهيثم بن أبي المعالي، ومحمد بن علي بن محمد- المصنفيان- وإبراهيم بن محمد بن محمد القرطبي، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي (= الأخطاطي) ويحيى بن إسمايل بن محمد المصنفي، وحسين بن محمد الموصلبي، ومحمد بن يرقش المعظمي، وأبو القاسم بن أبي الفتح بن إبراهيم المصنفي، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي.

وسمع من موضع اسمه إلى البلاغ أحمد بن محمد البرزالي.

وسموا من موضع أسماهم إلى البلاغ أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن زرافة، وعلي بن أبي الفناهم الفسالي. وسمع من باب "بده الجسم الإنسانيّة" إلى البلاغ بيان بن عثمان بن محمد الحنبلي- وذلك في مجلسين آخرها ثالث شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلثين وستائة بمنزل المصنف بدمشق- والحمد لله وصلاته على محمد وآله".

ثم يلي ذلك في بين الكتابة السابقة: "وسمع مع هذه الجماعة بالقراءة والتاريخ يوسف بن الحسن بن بدر النابلسي- كنه إبراهيم القرشي- وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الأنطلي الواعظ أبوه- كنه إبراهيم حامدا ومصليا".

الجزء الثاني عشر من الفتح المكي¹
 بسم الله الرحمن الرحيم²
 الباب التاسع
 في معرفة وجود الأرواح الماريجية التارية

مَرْحَ النَّارِ وَالتَّبَاتِ فَقَامَتْ صُورَةُ الْجَنِّ بَرَزًا بَيْنَ شَيْئَيْنِ
 بَيْنَ رُوحٍ مُجَسِّمٍ ذِي مَكَانٍ فِي حَضِيضٍ وَبَيْنَ رُوحٍ بِلاَ أَيْنِ
 فَالَّذِي قَابَلَ التَّجَسُّمَ مِنْهَا طَلَبَ الْقُوَّةَ لِلتَّفْعُدِي بِلاَ مَيْنِ
 وَالَّذِي قَابَلَ الْمَلَائِكَةَ مِنْهَا قَبَلَ الْقَلْبَ بِالشُّكْلِ فِي الْعَيْنِ
 وَلِهَذَا يُطِيعُ وَتُثَا وَيَقْصِي- وَيَجَازِي مُصَالِفُوهُمْ بِنَارَيْنِ

قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾³ وورد في الحديث الصحيح «أن الله خلق الملائكة من نور، وخلق الله الجان من نار، وخلق الإنسان مما قيل لكم» فأما قوله ﷺ في خلق الإنسان: «مما قيل لكم» ولم يقل مثل ما قال في خلق الملائكة والجان، طلبا للاختصار؛ فإنه أوتي جوامع الكلم، وهذا منها. فإن الملائكة لم يختلف أصل خلقها ولا الجان، وأما الإنسان اختلف خلقه على أربعة أنواع من الخلق: فخلق آدم لا يشبه خلق حواء، وخلق حواء لا يشبه خلق سائر بني آدم، وخلق عيسى ﷺ لا يشبه خلق من ذكرنا. فقص رسول الله ﷺ الاختصار، وأحال على ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان. فآدم من طين، وحواء من ضلع، وعيسى من نَفْخِ رُوحِ، وبنو آدم من ﴿مَاءٍ مَوِينٍ﴾⁴.
 ولما أنشأ الله الأركان الأربعة، وعلل الدخان إلى مقعر فلك الكواكب الثابتة، وفتق في ذلك الدخان سبع سماوات، ميز بعضها عن بعض ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁵ بعد ما قدر في الأرض أقواتها، وذلك كله في أربعة أيام. ثم قال للسماوات والأرض: ﴿إِنِّي طَوَّعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي أجيبا إذا دُعيتُما لما يراد

1 ص 95 ب

2 البسمة ص 96

3 [الرحمن : 15]

4 ص 96 ب

5 ق: "وبني" وصحت بالهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

6 [السجدة : 8]

7 [فصلت : 12]

منكما، مما أمنتما عليه أن تُبرزاه فهـ ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾¹.

فجعل سبحانه- بين السماء والأرض التحاما معنويًا، وتَوَحُّها لما يريد سبحانه- أن يوجد، في هذه الأرض، من المولّدات من معدن ونبات وحيوان، وجعل الأرض كالأهل²، وجعل السماء كالبعل³، والسماء تلقي إلى الأرض من الأمر الذي أوحى الله فيها، كما يلقي الرجل الماء بالجماع في المرأة، وتُبرز الأرض عند الإلقاء ما خبأه الحقّ فيها من التكوينات على طبقاتها.

فكان من ذلك أنّ الهواء لما اشتعل وحمي، اتقد مثل السراج، وهو اشتعال النار ذلك اللهب، الذي هو احتراق الهواء، وهو المارح. وإنما سمي مارجا، لأنّه نار مختلط بهواء، وهو الهواء المشتعل، فإنّ المرح: الاختلاط، ومنه سمي المرح مرجا لاختلاط النبات فيه.

فهو من عنصرين: هواء ونار -عني الجانّ- كما كان آدم من عنصرين: ماء وتراب عُجِنَ به فحدث له اسم الطين كما حدث لامتزاج النار بالهواء اسم المارح، ففتح سبحانه- في ذلك المارح صورة الجانّ، فيما فيه من الهواء، يتشكل في أيّ صورة شاء، وبما فيه من النار سَخَفَ وَعَظَمَ لطفه، وكان فيه طلب الفهر والاستكبار والعزة؛ فإنّ النار أرفع الأركان مكانا. وله سلطان على إحالة الأشياء التي تقتضيها الطبيعة، وهو السبب الموجب، لكونه استكبر عن السجود لآدم عندما أمره الله ﷻ بتأويل آذاه أن يقول: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾⁵ يعني بحكم الأصل الذي فضّل الله به بين الأركان الأربعة⁶.

وما علم أنّ سلطان الماء، الذي خلق منه آدم أقوى منه، فإنّه يُذهبه، وأنّ التراب أثبت منه، للبرد واليبس، فلادم القوّة والثبوت لغلبة الركبن اللذين أوجده الله منهما، وإن كان فيه بقية الأركان، ولكن ليس لها ذلك السلطان وهو الهواء والنار كما في الجانّ من بقية الأركان، ولذا سمي مارجا، ولكن ليس لها في نشأته ذلك السلطان.

وأعطي آدم التواضع للطينية⁷ بالطبع، فإن تكبر فلأمر يفرض له، يقبله بما فيه من النارية، كما يقبل اختلاف الصور في خياله وفي أحواله من الهوائية، وأعطي الجانّ التكبر بالطبع للنارية، فإن تواضع فلأمر يعرض له، يقبله بما فيه من الترابية، كما يقبل الثبات على الإغواء، إن كان شيطانا، والثبات على الطاعات إن لم يكن شيطانا.

وقد أخبر النبي ﷺ لما تلا سورة الرحمن على أصحابه قال: «إني تلوتها على الجنّ فكانوا أحسن

[فصلت : 11]

2 كالأهل: كالزوجة.

3 كالبعل: كالزوج.

4 ص 97

5 [الأعراف : 12]

6 في الهامش: "بلغ".

7 ص 97 ب

استماعا لها منكم، فكانوا يقولون: ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب، إذا قلت: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾¹، ثابتين عليه ما تزلزلوا عندما كان يقول لهم **الطغاة** في تلاوته: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وذلك بما فيه من الترابية، وبما فيه من الماتية: ذهب بجمية النارية. فمن الطائع والعاصي مثلنا، ولم التشكل في الصور كالملائكة.

وأخذ الله بأبصارنا عنهم فلا نراهم، إلا إذا شاء الله أن يكشف لبعض عباده فيراهم. ولما كانوا من عالم السخافة والطف، قبلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسية، فالصورة الأصلية التي ينسب إليها الروحاني، إنما هي أول صورة قبل عند ما أوجده الله، ثم تختلف عليه الصور² بحسب ما يريد أن يدخل فيها، ولو كشف الله عن أبصارنا، حتى نرى ما تصوّره القوة المصوّرة التي وكلها الله بالتصوير في خيال المتخيّل منا، لرأيت مع الأناة الإنسان في صور مختلفة، لا يشبه بعضها بعضا.

ولما نُفِخ الروح في اللهب، وهو كثير الاضطراب لسخافته، زاده النفخ اضطرابا، وغلب الهواء عليه، وعدم قراره على حالة واحدة، ظهر عالم الجان على تلك الصورة. وكما وقع التناسل في البشر- بإلقاء الماء في الرحم، فكانت النزية والتوالد في هذا الصنف البشري الادمي، كذلك وقع التناسل في الجان، بإلقاء الهواء في رحم الأثني منهم، فكانت النزية والتوالد في صنف الجان، وكان وجودهم بـ"القوس"³، وهو ناري، هكذا ذكر الوارد حفظه الله.

فكان بين خلق الجان وخلق آدم ستون ألف سنة، وكان ينبغي على ما يزعم بعض الناس، أن ينقطع التوالد من الجان بعد انقضاء أربعة آلاف سنة، وينقضي التوالد من البشر بعد انقضاء سبعة آلاف سنة، ولم يقع الأمر على ذلك، بل الأمر راجع إلى ما يريد الله. فالتوالد في الجن إلى اليوم باق، وكذلك فينا. فتحقق بهذا كم لآدم من السنين؟ وكم بقي إلى انقضاء الدنيا؟ وفناء البشر- عن ظهرها وانقلابهم إلى الدار الآخرة؟ وليس هذا بمذهب الراسخين في العلم، وإنما قال به شرذمة لا يعتد بقولها.

فالملائكة أرواح منفوخة في أنوار، والجان أرواح منفوخة في رياح، والأناسي أرواح منفوخة في أشباح، ويقال: إنه لم يفصل عن الموجود الأول من الجان أثني، كما فصلت حواء من آدم. قال بعضهم: "إن الله خلق للموجود الأول من الجان فرجا في نفسه، فنكح بعضه ببعضه، فولد مثل ذرية آدم ذكرانا وإناثا، ثم نكح بعضهم بعضا، فكان خلقه خثي، ولذلك هم الجان من عالم البرزخ، لهم شبهة بالبشر- وشبهه بالملائكة، كالخثي يشبه الذكر ويشبه الأثني. وقد روينا فيما روينا من الأخبار، عن بعض أئمة الدين أنه رأى رجلا ومعه ولدان وكان خثي- الواحد من ظهره، والآخر من بطنه، نكح فولد له، ونكح فولد.

[الرحمن : 13]

2 ص 98

3 يقصد في برج القوس.

4 ص 98

وسمي خنثى من الإخنثاء وهو الاسترخاء، والرخاوة عدم القوة والشدة، فلم تقو فيه قوة الذكورية، فيكون ذكرا، ولم تقو فيه قوة الأنوثة فيكون أنثى، فاسترخى عن هاتين القوتين فسوي خنثى، والله أعلم.

ولمّا غلب على الجانّ عنصر- الهواء والنار، لذلك كان غذاؤهم ما يحمله الهواء¹ مما في العظام من الدسم، فإنّ الله جاعل لهم فيها رزقا، فإنّا نشاهد جوهر العظم وما يحمله من اللحم لا ينتقص منه شيء، فعلمنا قطعاً أنّ الله جاعل لهم فيها رزقا، ولهذا قال النبي ﷺ في العظام: «إنّها زاد إخوانكم من الجنّ» وفي حديث «إنّ الله جاعل لهم فيها رزقا» وأخبرني بعض المكاشفين أنّه رأى الجنّ يأتون إلى العظم فيشتمونه كما تشتم السباع، ثم يرجعون وقد أخذوا رزقهم وغذاءهم في ذلك الشّم، فسبحان اللطيف الخبير.

وأما اجتماع بعضهم ببعض عند النكاح، فالتواءة مثل ما تبصر الدخان الخارج من الأتون²، أو من فرن الفخار، يدخل بعضه في بعضه، فيلتدّ كلّ واحد من الشخصين بذلك التداخل، ويكون ما يلقونه كلقاح النخلة بمجرّد الرائحة، كغذائهم سواء.

وهم قبائل وعشائر، وقد ذكر أنّهم محصورون في اثنتي عشرة قبيلة أصولا، ثم يتفرّعون إلى ألفاظ، وتقع بينهم حروب عظيمة، وبعض الزوابع قد يكون عين حرهم، فإنّ الزوبعة تقابل ربحين، تمنع كلّ واحدة صاحبها أن تحترقها، فيؤدّي ذلك المنع إلى النور المشهود في الغبرة في الحيس، التي أثارها تقابل الربحين المتضادين، فمثل ذلك يكون حرهم، وما³ كلّ زوبعة حرهم، وقصة⁴ عمرو الجنيّ رحمه الله-، مشهورة مروية، وقتلّه في الزوبعة التي أبصرت فانتشعت عنه وهو على الموت، لما لبث أن مات، وكان عبدا صالحا من الجانّ، ولو كان هذا الكتاب مبناه على إيراد أخبار وحكايات لذكرنا منها طرفا، وإنما هذا كتاب علم المعاني، فلتنظر⁵ حكاياتهم في تواريخ الأدب وأشعارهم.

ثمّ يرجع ونقول: وإنّ هذا العالم الروحاني إذا تشكل وظهر في صورة حسّية، يقيد البصر بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة ما دام البصر ينظر إليه بالخاصّية، ولكن من الإنسان، فإذا قيده، ولم يرح ناظرا إليه، وليس له موضع يتوارى فيه، أظهر له هذا الروحاني صورة، جعلها عليه كالستر، ثمّ يخيل له مشي تلك الصورة إلى جهة مخصوصة، فيتبعها بصره، فإذا اتّبعها بصره، خرج الروحاني عن تقيده، فغاب عنه، وبمغيبه تزول تلك الصورة عن نظر الناظر الذي اتّبعها بصره، فإنّها للروحاني كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره، فإذا غاب جسم السراج فقد ذلك النور، فهكذا هذه الصورة. فمن يعرف

1 ص 99

2 الأتون: أخذود الجبار والجصاص، وأتون الحمام.

3 ص 99ب

4 ق: "وحديث" وصححت أعلى الكلمة.

5 ق: فليتنظر.

هذا ويجب تقييده، لا يتبع الصورة بصره. وهذا من الأسرار الإلهية التي¹ لا تُعرف إلا بتعريف الله، وليست الصورة غير عين الروحاني، بل هي عينه، ولو كانت في ألف مكان، أو في كل مكان ومختلفة الأشكال.

وإذا اتفق قتلُ صورة من تلك الصور وماتت في ظاهر الأمر، انتقل ذلك الروحاني من الحياة الدنيا إلى البرزخ، كما تنتقل نحن بالموت ولا يبقى له في عالم الدنيا حديث، مثلنا سواء، وتسمى تلك الصور المحسوسة التي تظهر فيها الروحانيات أجسادا وهو قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾² وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾³ والفرق بين الجان والملائكة وإن اشتركوا في الروحانية: أن الجان غذائهم ما تحمله الأجسام الطبيعية من الطعام. والملائكة ليست كذلك. ولهذا ذكر الله في قصة ضيف إبراهيم الخليل: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَنبِيَهُمْ لَّا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾⁴ يعني إلى العجل الحنيد، أي لا يأكلون منه، وخاف.

وحين جاء وقت إنشاء عالم الجان، توجه من الأمناء الذين في الفلك الأول من الملائكة، ثلاثة، ثم أخذوا من توابهم من السماء الثانية ما يحتاجون إليه منهم في هذا النشاء، ثم نزلوا إلى السماوات، فأخذوا من التواب اثنين من السماء الثانية والسادسة من هناك، ونزلوا إلى الأركان فهَيَّؤُوا المحلَّ، وأتبعتهن ثلاثة آخر من⁵ الأمناء، وأخذوا من الثانية ما يحتاجون إليه من توابهم، ثم نزلوا إلى السماء الثالثة والخامسة⁶ من هناك فأخذوا ملكين، ومروا بالسماء السادسة فأخذوا نائباً آخر من الملائكة، ونزلوا إلى الأركان ليُكَلِّمُوا التسوية، فنزلت الستة الباقية وأخذت ما بقي من التواب في السماء الثانية وفي السماوات، فاجتمع الكل على تسوية هذه النشأة بإذن العلم الحكيم.

فلما تمت نشأته، واستقامت بنيته، توجه الروح من عالم الأمر، فنفتح في تلك الصورة روحاً، سرث فيه بوجودها الحياة، فقام ناطقاً بالحمد والثناء لمن أوجده جبلةً جبيل عليها، وفي نفسه عزّة وعظمة لا يعرف سببها ولا على من يعتز بها، إذ لم يكن ثم مخلوق آخر من عالم الطباع سواه، فبقي عابداً لربه مصرّاً على عزته، متواضعاً لربوبية موجهه، بما يعرض له مما هو عليه في نشأته، إلى أن خلق آدم. فلما رأى الجان صورته غلب على واحد منهم -اسمه الحارث⁷- بغض تلك النشأة، وتجهّم وجهه لرؤية تلك الصورة الآدمية، وظهر ذلك منه لجنسه. فعتبوه لذلك، لما رأوه عليه من الغم والحزن لها. فلما كان من أمر آدم ما كان،

1 ص 100

2 [ص : 34]

3 [الأنبياء : 8]

4 [هود : 70]

5 ص 100 ب

6 ق : "الرابعة" وعليها إشارة حذف، وصححت بالهامش بقلم الأصل.

7 رسمها في ق : "الحرت" وكذلك في ما يلي في هذا الباب..

أظهر الحارث ما كان يجد في نفسه منه، وأبى عن امتثال أمر¹ خالقه بالسجود لآدم، واستكبر على آدم بنشأته وافتخر بأصله، وغاب عنه سِرَّ قوَّة الماء الذي جعل الله منه كلَّ شيء حيٍّ، ومنه كانت حياة الجنَّ وهم لا يشعرون.

وتأمل إن كنت من أهل الفهم قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى السَّمَاءِ﴾² فخي العرش وما حوى عليه من المخلوقات ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾³ فجاء بالنكرة ولا يسبِّح إلَّا حيٍّ. ورد في الحديث الحسن عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبِّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ - هَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَشَدَّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ الْمَاءُ. فَجَعَلَ الْمَاءُ أَقْوَى مِنَ النَّارِ» فلو كان عنصر-الهواء في نشأة الجنَّ، غير مشتعل بالنار، لكان الجنُّ أقوى من بني آدم، فإنَّ الهواء أقوى من الماء، فإنَّ الملائكة قالت في هذا الحديث: «يا ربِّ؛ فهل خلقت شيئاً أشدَّ من الماء؟ قال: نعم، الماء؟ قال: نعم، الهواء. ثمَّ قالت: يا ربِّ؛ فهل خلقت شيئاً أشدَّ من الهواء؟ قال: نعم، ابن آدم» الحديث. فجعل النشأة الإنسانيَّة أقوى من الهواء، وجعل الماء أقوى من النار، وهو العنصر الأعظم في الإنسان، كما أنَّ النار العنصر الأعظم في الجنَّ. ولهذا قال في الشيطان: ﴿وَإِنْ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾⁴ فلم ينسب إليه من القوَّة شيئاً، ولم يردَّ على العزيز في قوله: ﴿وَإِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ﴾⁵ ولا أكذبه، مع⁶ ضعف عقل المرأة عن عقل الرجل⁷، فإنَّ النساء ناقصات عقل، فما ظنك بقوَّة الرجل!.

وسبب ذلك أنَّ النشأة الإنسانيَّة، تعطي التوَّدة في الأمور والأناة والفكر والتدبير، لقلبة العنصرين الماء والتراب على مزاجه فيكون أفر العقل لأنَّ التراب يَبْطِطُه وَيُنْسِكُه، والماء يَلْيَنُه وَيَسْهَلُه، والجنَّ ليس كذلك، فإنَّه ليس لعقله ما يمسكه عليه ذلك الإمساك الذي للإنسان، ولهذا يقال: فلانَّ خفيف العقل، وسخيف العقل، إذا كان ضعيف الرأي، هلباجة، وهذا هو نعت الجنَّ، وبه ضلَّ عن طريق الهدى لحفَّة عقله، وعدم⁸ تثبته في نظره، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾⁹ فجمع بين الجهل وسوء الأدب لحفَّته.

فمن عصى من الجنَّ، كان شيطاناً، أي مبعوداً من رحمة الله، وكان أوَّل من سمي شيطاناً من الجنَّ: الحارث، فأبلسه الله، أي طرده من رحمته، وطرد الرحمة عنه، ومنه تفرَّعت الشياطين بأجمعها. فمن آمن منهم، مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن إبليس، التحق بالمؤمنين من الجنَّ، ومن بقي على كفره كان

1 ص 101

2 [هود : 7]

3 [الإسراء : 44]

4 [النساء : 76]

5 [يوسف : 28]

6 ص 101 ب

7 ثابت في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب.

8 ثابت في الهامش بقلم الأصل.

9 [الأعراف : 12]

شيطانا. وهي مسألة خلاف بين علماء الشريعة: فقال بعضهم: إنَّ الشيطان لا يُسلم أبداً، وتأوَّل قوله القياس في شيطانه وهو القرين الموكل به: «إنَّ الله أعانه عليه فأسلم» روي برفع الميم وفتحها أيضاً. فتأوَّل¹ هذا القائل الرفع أنه قال: فأسلمُ منه، أي ليس له عليَّ سبيل. وهكذا تأوَّلَه الخالف وتأوَّل الفتح فيه على الاضيقاد، قال: فمعناه انقاد مع كونه عدوًّا، فهو -يعنيه- لا يأمرني إلَّا بخير، جبرا من الله وعصمة لرسول الله ﷺ. وقال الخالف: معنى فأسلمَ بالفتح: أي آمنَ بالله، كما يُسلم الكافر عندنا، فيرجع مؤمنا وهو الأوَّل والأوجه.

وأكثر الناس يزعمون أنه أوَّل الجنِّ؛ بمنزلة آدم من الناس، وليس كذلك عندنا، بل هو واحد من الجنِّ، وأنَّ الأوَّل فيهم بمنزلة آدم في البشر. إنما هو غيره، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾² أي من هذا الصنف من المخلوقين، كما كان قابيل من البشر وكتبه الله شقيًّا، فهو أوَّل الأشقياء من البشر، وإبليس أوَّل الأشقياء من الجنِّ، وعذاب الشياطين من الجنِّ في جهنَّمَ أكثر ما يكون بالزمرير لا بالحرور، وقد يعذب بالنار، وبنو آدم: أكثر عذابهم بالنار.

ووقفتُ يوما على مخبول العقل من الأولياء، وعيناه تدمعان، وهو يقول للناس لا تقفوا مع قوله - تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾³ لإبليس فقط، بل انظروا في إشارته سبحانه - لكم بقوله لإبليس: ﴿جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ فإنه مخلوق من النار، فيعود لعنه الله - إلى أصله، وإن عذب به، فعذاب⁴ الفخار بالنار أشدَّ، فتحفظوا. فما نظر هذا الوليَّ من دَكرِ جهنَّمَ إلَّا النار خاصَّة، وغفل عن أنَّ جهنَّمَ اسمٌ لحرورها وزميرها، وبجملتها سُميت جهنَّمَ، لأنَّها كريمة المنظر، والجهام: السحاب الذي قد هَرَق ماءه. والغيث: رحمة الله. فلما أزال الله الغيث من السحاب بإنزائه، أطلق عليه اسم الجهام، لزوال الرحمة الذي هو الغيث منه. كذلك الرحمة أزالها الله من جهنَّمَ، فكانت كريمة المنظر والحبر. وسُميت أيضا جهنَّمَ لبعدها. يقال: رَكِيمة جهنمام، إذا كانت بعيدة القعر. نسأل الله العظيم لنا وللمؤمنين الأمن منها⁵. ويكفي هذا القدر من هذا الباب.

1 ص 102

2 [الكهف : 50]

3 [ص : 85]

4 ص 102 ب

5 "الأمن منها" تاجتة في الهامش.

الباب العاشر في معرفة دورة الملوك

وأول منفصل فيها عن أول موجود، وآخر منفصل فيها عن آخر منفصل عنه،
وبماذا عمر الموضع المنفصل عنه منها؟ وتمهيد الله هذه المملكة حتى جاء مليكها،
وما مرتبة العالم الذي بين عيسى ومحمد عليهما¹ السلام- وهو زمان الفترة

وَلَمْ يَكُنْ صِفَةً مِمَّا بِهِ وَصِفًا	الْمَلِكُ لَوْلَا وَجُودُ الْمَلِكِ مَا عُرِفَا
قَدِ التَّقَثُ طَرَفَاهَا، هَكَذَا كَثِيفًا	فَدَوْرَةُ الْمَلِكِ بَرْهَانٌ عَلَيْهِ إِنَّا
وَكَانَ أَوْلَاهَا عَنْ سَابِقِ سَلَفًا	فَكَانَ آخِرَهَا كَيْثَلِ أَوْلَاهَا
مَلِيكُهَا سَيِّدًا لِلَّهِ مُعْتَرِفًا	وَعِنْدَمَا كَلَّمَتْ بِالْحَقِّ قَامَ بِهَا
وَمَا يَكُونُ وَمَا قَدْ كَانَ وَانْصَرَفًا	أَغْطَاهُ خَالِقُهُ فَضْلًا مَعَارِفَهَا

إعلم أيديك الله- أنه ورد في الخبر، أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» بالراء- وفي رواية بالزاي وهو (أي الفخر) التبجح بالباطل وفي صحيح مسلم: «أنا سيد الناس يوم القيامة» فثبتت له السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر، وقال ﷺ: «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين» يريد (أنه) على علم بذلك، فأخبره الله تعالى- بمرتبته، وهو روح قبل إيجاد الأجسام الإنسانيّة، كما أخذ الميثاق على بني آدم قبل إيجاد أجسامهم، وألقنا الله تعالى- بأنبيائه، بأن جعلنا شهداء على أممهم معهم حين يبعث من كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وهم الرسل، فكانت الأنبياء في² العالم توابه ﷺ، من آدم إلى آخر الرسل عليهم السلام-.

وقد أبان ﷺ عن هذا المقام، بأمر منها قوله ﷺ: «والله؛ لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني» وقوله في نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان: «إنه يؤمنا منا»، أي يحكم فينا بسنة نبينا ﷺ، «ويكسر الصليب ويقتل الخنزير» ولو كان محمد ﷺ قد بعث في زمان آدم، لكانت الأنبياء وجميع الناس تحت حكم شريعته إلى يوم القيامة جسًا، ولهذا لم يُبعث عامّة إلا هو، خاصّة، فهو الملك والسيد، وكلُّ رسول سواه فبعث إلى قوم مخصوصين، فلم تَمَّ رسالة أحد من الرسل سِوَى رسالته ﷺ. فمن زمان آدم

ﷺ إلى زمان بعث محمد ﷺ، إلى يوم القيامة مُلكه، وتقدّمه في الآخرة على جميع الرسل وسيادته، فنصوص على ذلك في الصحيح عنه.

فروحانيته ﷺ موجودة وروحانية كل نبي ورسول، فكان الإمداد يأتي إليهم من تلك الروح الطاهرة، بما يظهرون به من الشرائع والعلوم، في زمان وجودهم رسلا، وتشريعه الشرائع: كعلي ومعاذ وغيرها في زمان وجودهم ووجوده ﷺ¹. وكإلياس وخضر عليهما السلام- وعيسى ﷺ في زمان ظهوره في آخر الزمان حاكما بشرع محمد ﷺ في أمته، المقرّر في الظاهر، لكن لَمَّا لم يتقدّم في عالم الحسّ وجود عينه ﷺ أوّلا، نُسب كلّ شرع إلى مَنْ بعث به، وهو في الحقيقة شرع محمد ﷺ، وإن كان مفقود العين من حيث لا يُعلم ذلك، كما هو مفقود العين الآن، وفي زمان نزول عيسى ﷺ؛ فالحكم شرعه².

وأما نَسَخُ الله بشرعه جميع الشرائع، فلا يُخرج هذا النسخ ما تقدّم من الشرائع، أن يكون مَنْ شرعه، فإنّ الله قد أشهدنا في شرعه الظاهر المنزل به ﷺ في القرآن والسنة، النسخ، مع إجماعنا وإتقاننا على أنّ ذلك المنسوخ شرعه الذي بعث به إلينا، فنسخ بالمتأخّر المتقدّم، فكان تبنيها لنا هذا النسخ الموجود في القرآن والسنة- على أنّ نسخه لجميع الشرائع المتقدّمة، لا يخرجها عن كونها شرعا له. وكان نزول عيسى ﷺ في آخر الزمان حاكما بغير شرعه أو بعضه³ الذي كان عليه في زمان رسالته، وحكيه بالشرع الحمديّ المقرّر اليوم، دليلا على أنّه لا حكم لأحد اليوم من الأنبياء عليهم السلام-، مع وجود ما قرره ﷺ في شرعه، ويدخل في ذلك ما هم عليه أهل الذمّة، من أهل الكتاب ما داموا "يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون" فإنّ حكم الشرع على الأحوال.

فخرج من هذا المجموع كلّ، أنّه مَلِكٌ وسيّد على جميع بني آدم، وأنّ جميع مَنْ تقدّمه كان مُلكا له وتبعا، والحاكون فيه تواب عنه. فإن قيل: فقوله ﷺ: «لا تفضلوني» فالجواب: "نحن ما فضلناه بل الله فضله فإنّ ذلك ليس لنا" وإن كان قد ورد: «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده»⁴ لَمَّا ذكر الأنبياء عليهم السلام- فهو صحيح، فإنّه قال: «فبهداهم» وهداهم من الله وهو شرعه ﷺ، أي الزم شرعك الذي ظهر به توابك من إقامة الدين، «وَلَا تَفْرُقُوا فِيهِ»⁵ فلم يقل: "فبهم اقتده" وفي قوله: «وَلَا تَفْرُقُوا فِيهِ» تبيية على أحديّة الشرائع، وقوله: «اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ»⁶ وهو الدين فهو مأمور باتّباع الدين، فإنّ الدين إنما هو من الله لا من غيره.

1 ص 104

2 هـ، س: والحكم بشرعه

3 ثابت في الهامش بقلم الأصل.

4 ص 104 ب

5 [الأنعام : 90]

6 [الشورى : 13]

7 [النحل : 123]

وانظروا في قوله **الظلمة**: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني» فأضاف الاتباع إليه، وأمر هو **بالتابع** الدين وهذي الأنبياء لا بهم، فإن الإمام الأعظم إذا حضر لا يبقى لنايب من توابه حكم إلا له، فإذا غاب حكم التواب بمراسمه، فهو الحاكم غيبًا وشهادة، وما أوردنا هذه الأخبار والتنبيهات، إلا تأنيسًا لمن لا يعرف هذه المرتبة من كشفه، ولا أطلعه الله على ذلك من نفسه.

وأما أهل الله فهم على ما نحن عليه فيه، قد قامت لهم شواهد التحقيق على ذلك، من عند ربهم في نفوسهم، وإن كان يتصور على جميع ما أوردناه في ذلك احتمالات كثيرة، فذلك راجع إلى ما تعطيه الألفاظ من القوة في أصل وضعها، لا ما هو عليه الأمر في نفسه، عند أهل الأذواق، الذين يأخذون العلم عن الله كالخضر وأمثاله. فإن الإنسان ينطق بالكلام يريد به معنى واحداً -مثلاً- من المعاني التي يتضمنها ذلك الكلام، فإذا فُسر بغير مقصود المتكلم من تلك المعاني، فإنما فُسر المفسر بعض² ما تعطيه قوة اللفظ، وإن كان لم يصب مقصود المتكلم.

ألا ترى الصحابة كيف شق عليهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾³ فأتى به نكرة، فقالوا: "وأينما لم يلبس إيمانه بظلم؟". فهؤلاء الصحابة، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، ما عرفوا مقصود الحق من الآية، والذي نظروه سائق في الكلمة غير منكور، فقال لهم النبي **ﷺ**: «ليس الأمر كما ظننتم؛ وإنما أراد الله⁴ بالظلم هنا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁵ فقوة الكلمة تتم كل ظلم، وقصد المتكلم إنما هو ظلم معين مخصوص. فكذلك ما أوردناه من الأخبار، في أن بني آدم سوقة ومُلك لهذا السيد محمد **ﷺ** هو المقصود من طريق الكشف، كما كان الظلم هناك المقصود من المتكلم به؛ الشرك خاصة. ولذلك تتقوى التفاسير في الكلام بقرائن الأحوال، فإنها الميزة للمعاني المقصودة للمتكلم، فكيف من عنده الكشف الإلهي، والعلم اللدني الرتاني؟.

فينبغي للعاقل المنصف، أن يسلم لهؤلاء القوم ما يخبرون به، فإن صدقوا في ذلك، فذلك الظن بهم، وأنصفوا بالتسليم، حيث لم يزد المسلم ما هو حق في نفس الأمر. وإن لم يصدقوا لم يضر المسلم بل انتفعوا حيث تركوا الخوض فيما ليس لهم به قطع، وزدوا علم ذلك إلى الله تعالى. فوفوا الربويّة حقها، إذ كان ما قاله أولياء الله ممكناً، فالتسليم أولى بكل وجه.

وهذا الذي نزعنا إليه من دورة المُلْك، قال به غيرنا كالإمام أبي القاسم بن قسي⁶ في "خلعه"، وهو

1 ص 105

2 تاجية في الهامش بقلم الأصل.

3 [الأنعام : 82]

4 ص 105 ب

5 [لقمان : 13]

6 ابن قسي: أحمد بن القاسم الصوفي صاحب المرتلة من بلاد الأندلس. سجنه عبد المؤمن، ومات بها سنة 545. صف "خلع العتلين في الوصول إلى حضرة الجمعين". [هدية العارفين - (1 / 44)]

روايتنا عن ابنه عنه، وهو من سادات القوم، وكان شيخه الذي كشف له على يديه، من أكبر شيوخ المغرب، يقال له: ابن خليل من أهل لَبَّنة، فنحن ما نعلم في كل ما نذكره إلا على ما يلقي الله عندنا من ذلك، لا على ما تخمّله الألفاظ من الوجوه، وقد تكون جميع المحتملات في بعض الكلام مقصودة للمتكلّم، فنقول بها كلّها.

فدورة المُلْك، عبارة عمّا عمّد الله من آدم إلى زمان محمد ﷺ، من الترتيبات في هذه النشأة الإنسانية، بما ظهر من الأحكام الإلهية فيها، فكانوا خلفاء الخليفة السيّد، فأول موجود ظهر من الأجسام الإنسانية، كان آدم عليه السلام، وهو الأب الأول من هذا الجنس، وسائر الآباء من الأجناس يأتي بعد هذا الباب إن شاء الله.

وهو أوّل من ظهر بحكم الله من هذا الجنس، ولكن كما قرّرناه، ثمّ فصل عنه أبنا ثانيا لنا سمّاه أمّا، فصَحّ لهذا الأب الأوّل الدرجة عليها لكونه أصلا لها، فختم النّوّاب من دورة المُلْك بمثل ما به بدأ، لينبئه على أنّ الفضل بيد الله، وأنّ ذلك الأمر ما اقتضاه الأب الأوّل لِناتِه، فأوجد عيسى - عن مريم، فتنزّلت مريم منزلة آدم، وتنزل عيسى منزلة حوّاء، فكما وُجِدَتْ أُنثى من ذكر وُجِدَ ذَكَرٌ من أُنثى، فختم بمثل ما به بدأ، في إيجاد ابن من غير أب، كما كانت حوّاء من غير أمّ، فكان عيسى - وحوّاء أخوين²، وكان آدم ومريم أبوين³ لها.

وَإِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ⁴ فَأَوْقَعَ التّشْبِيهَ فِي عَدَمِ الْأَبُوَّةِ الذّكْرِيَّةِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ نَصَبَهُ دَلِيلًا لِعِيسَى فِي بَرَاءَةِ أُمِّهِ وَلَمْ يَوْقَعَ التّشْبِيهَ بِحَوَّاءَ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ، لَكُنْ مَرَأَةً مَحَلَّ التّهْمَةِ لَوْجُودِ الْحَمْلِ، إِذْ كَانَتْ مَحَلًّا مَوْضُوعًا لِلْوَلَادَةِ، وَلَيْسَ الرَّجُلُ مَحَلًّا لِنَتِّكَ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْأَدَلَّةِ ارْتِفَاعُ الشُّكُوكِ، وَفِي حَوَّاءَ مِنْ آدَمَ لَا يَقَعُ الْإِلْتِبَاسُ لَكُنْ آدَمَ لَيْسَ مَحَلًّا لِمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الْوَلَادَةِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ دَلِيلًا إِلَّا عِنْدَ مَنْ ثَبَتَ عِنْدَهُ وُجُودَ آدَمَ وَتَكْوِينَهُ، وَالتَّكْوِينُ مِنْهُ، وَكَمَا لَا يُعْهَدُ ابْنٌ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، كُنْتَكَ لَا يُعْهَدُ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ، فَالْمَثَلُ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى، أَنَّ عِيسَى كَحَوَّاءَ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الدّخْلُ يَتَطَرَّقُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُنْكَرِ، لَكُنْ الْأُنْثَى، كَمَا قُلْنَا، مَحَلًّا لِمَا صَدَرَ عَنْهَا، وَلِنَتِّكَ كَانَتْ التّهْمَةُ، كَانَ التّشْبِيهَ بِآدَمَ لِحْصُولِ بَرَاءَةِ مَرِيْمَ بِمَا يُمْكِنُ فِي الْعَادَةِ. فَظَهَرَ عِيسَى مِنْ مَرِيْمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ كظهور حوّاءَ مِنْ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَهُوَ الْأَبُ الثَّانِي.

ولمّا انفصلت حوّاءَ مِنْ آدَمَ، عمّر موضعها منه بالشّهوة النكاحية إليها، التي وقع بها الغشيان لظهور التناسل والتوالد، وكان الهواء الخارج الذي عمّر موضعه جسم حوّاءَ عند خروجها، إذ لا خلاءَ فِي الْعَالَمِ،

1 ص 106

2 ق، ه، س: أخوان

3 ق، ه، س: أبوان

4 ص 106 ب

5 [آل عمران : 59]

فطلب ذلك الجزء الهوائي موضعه الذي أخذته حواء بشخصيتها، فحرك آدم لطلب موضعه، فوجده معموراً¹ بجوّاء، فوقع عليها فلما تفتشها حملت منه فجاءت بالنزوة، فبقي ذلك ستة جارية في الحيوان من بني آدم وغيره بالطبع.

لكن الإنسان هو الكلمة الجامعة ونسخة العالم، فكلّ ما في العالم جزء منه، وليس الإنسان بجزء لواحد من العالم، وكان سبب هذا الفصل، وإيجاد هذا المنفصل الأوّل، طلب² الأنس بالمشاكل في الجنس، الذي هو النوع الأخصّ، وليكون في عالم الأجسام بهذا الالتحام الطبيعيّ الإنسانيّ الكامل بالصورة، الذي أرادّه الله، ما يشبه القلم الأعلى واللوح المحفوظ، الذي يعبر عنه بالعقل الأوّل والنفس الكلّ. فإذا قلت: القلم الأعلى، فتفتنّ للإشارة، التي تتضمّن الكاتب وقصد الكتابة، فيقوم معك معنى قول الشاعر: «إنّ الله خلق آدم على صورته».

ثمّ عبارة الشارع في الكتاب العزيز، في إيجاد الأشياء عن ﴿كُنْ﴾ فأتى بجرّين، اللذين هما بمنزلة المقدّمين، وما يكون عند ﴿كُنْ﴾ بالنتيجة، وهذان الحرفان هما الظاهران. والثالث الذي هو الرابط بين المقدّمين خفي في ﴿كُنْ﴾ وهو الواو المحذوف لالتقاء الساكنين. كذلك إذا التقى الرجل والمرأة، لم يسق للقلم عينٌ ظاهرة، فكان إلقاءه النطفة في الرحم، غيباً، لأنّه سرٌّ، ولهذا عبر عن النكاح بالسرّ. في اللسان قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا³﴾ وكذلك⁴ عند الإلقاء يسكنان عن الحركة، وتَمَكَّنَ إخفاء القلم كما خفي الحرف الثالث الذي هو الواو من "كن" للساكنين، وكان الواو، لأنّ له العلوّ، لأنّه متولّد عن الرفع، وهو إشباع الضمّة، وهو من حروف العلة.

وهذا الذي ذكرناه، إنّما هو إذا كان الملّك عبارة عن الأناسيّ خاصة، فإن نظرنا إلى سيادته على جميع ما سيوى الحقّ، كما ذهب إليه بعض الناس، للحديث المرويّ: «إنّ الله يقول: لولاك يا محمد- ما خلقتُ سماء ولا أرضاً ولا جنة ولا ناراً» وذكر خلق كلّ ما سيوى الله. فيكون أوّل منفصل فيها: النفس الكلّية عن أوّل موجود، وهو العقل الأوّل، وآخر منفصل فيها حواء عن آخر موجود آدم. فإنّ الإنسان آخر موجود من أجناس العالم. فإنّه ما تمّ إلاّ ستة أجناس، وكلّ جنس تحته أنواع، وتحت الأنواع أنواع. فالجنس الأوّل الملّك. والثاني الجانّ. والثالث المعدن. والرابع النبات. والخامس الحيوان. وانهى الملّك وتمهد واستوى، وكان الجنس السادس جنس الإنسان، وهو الخليفة على هذه المملكة.

وإنّما وُجد آخر، ليكون إماماً بالفعل حقيقة، لا بالصلاحيّة والقوّة. فعندما وُجد عينه، لم يوجد إلاّ

1 ص 107

2 ثابت في الهامش بخط الأصل.

3 [البقرة : 235]

4 ص 107ب

واليا سلطانا ملحوظا، ثم جعل له توابا حين تأخرت نشأة جسده؛ فأول¹ نائب كان له وخليفة: آدم عليه السلام. ثم ولد واتصل النسل، وعين في كل زمان خلفاء، إلى أن وصل زمان نشأة الجسم الطاهر محمد ﷺ، فظهر مثل الشمس الباهرة، فاندرج كل نور في نوره الساطع، وغاب كل حكم في حكمه، واقادت جميع الشرائع إليه، وظهرت سيادته التي كانت باطنة، فهو الأول والأخير والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم² فإنه قال: «أوتيت جوامع الكلم» وقال عن ربه: «ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الأولين والآخرين» فحصل له التخلق والنسب الإلهي من قوله تعالى- عن نفسه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾³ شديداً ومنافع للتائب⁴ كذلك بعث بالسيف وأرسل رحمة للعالمين.

وكل منفصل عن شيء فقد كان عامرا لما عنه انفصل، وقد قلنا: «إنه لا خلاء في العالم»، فعمر موضع انفصاله بظله، إذ كان انفصاله إلى النور، وهو الظهور. فلما قابل النور بذاته امتد ظله، فعمر موضع انفصاله؛ فلم يفقده من انفصل عنه؛ فكان مشهودا لمن انفصل إليه، ومشهودا لمن انفصل عنه، وهو المعنى الذي أراده القائل⁴ بقوله:

شَهْدَتُكَ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ

فمن أسرار العالم، أنه ما من شيء يحدث إلا وله ظل يسجد لله ليقوم بعبادة ربه على كل حال، سواء كان ذلك الأمر الحادث مطيعا أو عاصيا. فإن كان من أهل الموافقة كان وظله على السواء، وإن كان مخالفا ناب ظله منابه في الطاعة لله، قال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ هُمْ وَرَثَتُهُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَلْئِن جَاءتْهُمُ السَّلَاطَةُ لَأَن يَدْعُوا بِآبَائِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ أَعْمَىٰ﴾⁵ السلطان ظل الله في الأرض؛ إذ كان ظهوره بجميع صور الأسماء الإلهية التي لها الأثر في عالم الدنيا والعرش ظل الله في الآخرة. فالظلال أبدأ تابعة للصورة المنبعثة عنها، جسما ومعنى. فالحس قاصر لا يقوى قوة الظل المعنوي للصورة المعنوية، لأنه يستدعي نورا مقيدا، لما في الحس من التقييد والضيق وعدم الاتساع. ولهذا نبهنا على الظل المعنوي، بما جاء في الشرع، من أن «السلطان ظل الله في الأرض»، فقد بان لك أن بالظلال عميرت الأماكن.

فهذا قد ذكرنا طرفا مما يليق بهذا الباب، ولم نغن فيه مخافة التطويل، وفيما أوردناه كفاية لمن تثبه، إن كان ذا فهم سليم، وتذكرة لمن شاهد وعلم، واشتغل بما هو أعلى، أو غفل بما هو أنزل، فيرجع إلى ما ذكرناه

1 ص 108

2 [الحديد : 3]

3 [الحديد : 25]

4 القائل هو أبو بكر الشبلي (سبق تعريفه في الباب الخامس)، والبيت:

فلما أراني الوجود أنك حاضري شهيدتك موجودا بكل مكان

5 ص 108 ب

6 [الرعد : 15]

فَضْلٌ

(مراتب أهل الفترة)

وأما مرتبة العالم الذي بين عيسى عليه السلام ومحمد عليه السلام، وهم أهل الفترة، فهم على مراتب مختلفة بحسب ما يتجلى لهم من الأسماء عن علم منهم بذلك وعن غير علم. فمنهم من وحّد الله بما تجلّى لقلبه عند فكره، وهو صاحب الدليل، فهو على نور من ربه، ممتزج بكونٍ من أجل فكره، فهذا يُعِثُّ أمةً وحده، كقَسِّ بن ساعدة² وأمثاله، فإنه ذكّر في خطبته ما يدلّ على ذلك، فإنه ذكّر المخلوقات واعتبازه فيها، وهذا هو الفكر. ومنهم من وحّد الله بنورٍ وجدّه في قلبه، لا يقدر على دفعه، من غير فكر ولا رويّة، ولا نظر ولا استدلال، فهم على نور من ربّهم خالص غير ممتزج بكونٍ، فهؤلاء يُحْسِرُونَ أخفاء أبرياء. ومنهم من ألقي في نفسه، واطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سرّه، لخلوص يقينه، على منزلة محمد

1 ص 109

2 قس بن ساعدة: حكيم من أهل الفترة "هو أول من آمن بالبعثة من أهل الجاهلية، وأول من اتكأ على عصا في الخطبة، وأول من قال أما بعد. وأول من كتب: من فلان إلى فلان. وقد جاء أنه خطب الناس بعكاظ وبشريم بمبث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحتمّهم على أتباعه وذلك قبل البعثة. روى الإمام محمد بن داود بن علي الظاهري في كتاب (الزهرة): أن وفد إياد لما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلموا سالم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قس بن ساعدة فقالوا: يا رسول الله مات. قال: كأنّي أنظر إليه في سوق عكاظ على جبل أهرق وهو يخطب الناس وهو يقول كلاما ما أراني أحفظه. فقال بمض القوم: نحن نحفظه يا رسول الله. فقال: هاتوا. فقال قائلهم إنه قال: أيها الناس اسمعوا وعوا وإذا وعيتم فانضعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، جميع وأشبات، وآيات بعد آيات، إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا، ليل داح وسماه ذات فجّاح وبحار ذات أمواج، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا، أقسم قس قسما حقا لا حاشا فيه ولا آثما، إن لله ديننا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه ونبيا خاتما حان حينه وأظلمكم أو انه وأدركم إياته، فطوبى لمن آمن به فهناه، وويل لمن خالقه وعصاه. ثم قال: تبا لأرباب الفضلة من الأمم الخالية والقرون الماضية، يا معشر إياد أين الآباء والأجداد وأين المريض والمواد، وأين الفراغنة الشداد، أين من بنى وشيد، وزخرف ونجد وغره المال والولد، أين من بنى وطني وجمع فأوعى وقال: أنا ربكم الأعلى، ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأولادا وأبعد منكم آمالا وأطوال منكم أجالا طحنهم الثرى بكله ومزقهم الدهر بتطاوله، فتلك عظامم بالية ويوتهم خالية عمرها الثناب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود، ليس بوالد ولا مولود. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فأيمك يروي شعره؟ فأنشده أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال:

في الناهبين الأولين من القرون لنا جوائر

لما رأيت مواردنا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قسوي نحوها تمضي - الأصاغر والأكابر

لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقين غابر

أيقنت أنّي لا محالة حيث صار القوم صائر

ﷺ وسيادته، وعموم رسالته باطنا من زمان¹ آدم إلى وقت هذا المكاشف، فأمن به في عالم الغيب على شهادة منه، وبيّنه من ربه، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيئَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾² يشهد له في قلبه بصدق ما كُشف به، فهذا يُحشر يوم القيامة في ضنائن خلقه، وفي باطنية محمد ﷺ³.

ومنهم من تبع ملة حق، ممن تقدّمه، كمن تهوّد أو تنصّر أو اتبع ملة إبراهيم أو من كان من الأنبياء، لأننا علم وأعلم أنّهم رسل من عند الله، يدعون⁴ إلى الحق لطائفة مخصوصة، فتبعمهم وآمن بهم وسلك سننهم، فخرم على نفسه ما حرّمه ذلك الرسول، وتعبّد نفسه مع الله بشريعته، وإن كان ذلك ليس بواجب عليه، إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا إليه، فهذا يُحشر مع من تبعه يوم القيامة ويتميّز في زمرة في ظاهريته؛ إذ كان شرع ذلك النبي قد تقرّر في الظاهر.

ومنهم من طالع في كتب الأنبياء، شرف محمد ﷺ، ودينه، وثواب من اتبعه؛ فأمن به وصدّق على علم، وإن لم يدخل في شرع نبيّ من تقدّم، وأتى مكارم الأخلاق، فهذا أيضا يُحشر في المؤمنين بمحمد ﷺ، لا في العاملين، ولكن في ظاهريته ﷺ.

ومنهم من آمن بنبوته، وأدرك نبوة محمد ﷺ، فأمن به، فله اجران، وهؤلاء كلّهم سعداء عند الله. ومنهم من عطّل، فلم يقرّ بوجوده عن نظر قاصر، ذلك القصور هو بالنظر إليه غاية قوته، إضعف في مزاجه عن قوّة غيره.

ومنهم من عطّل، لا عن نظر بل عن تقليد، فذلك شقيّ مطلق.

ومنهم من أشرك عن نظر، أخطأ فيه طريق الحق، مع بذل الجهود الذي تعطيه قوته.

ومنهم من أشرك لا عن استقصاء نظر، فذلك شقيّ.

ومنهم من أشرك عن تقليد فذلك شقيّ⁵.

ومنهم من عطّل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوّة التي هو عليها لضعفها.

ومنهم من عطّل بعد ما أثبت، لا عن استقصاء في النظر أو تقليد، فذلك شقيّ.

فهذه كلّها مراتب أهل الفترة الذين ذكرناهم في هذا الباب⁶.

1 ثابت في الهامش بقلم الأصل.

2 [هود : 17]

3 في الهامش: "بلغ".

4 ص 109 ب

5 ص 110

6 في الهامش: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه. كعبه علي النشمي".

الباب الحادي عشر¹ في معرفة آباءنا العلويّات وأمّهاتنا السفليّات

<p>أنا ابنُ آباءِ أرواحٍ مُطَهَّرَةٍ ما بينَ رُوحٍ وجِسمٍ كانَ مَظهُرُنا ما كُنْتُ عنِ واحدٍ حتّى أوحدَهُ هُم لِإِلَهِ إِذا حَقَّقْتُ شَأْنَهُم فَنِسْبَةُ الصُّنْعِ لِلتَّجَارِ لَيْسَ لَهَا فَيُضدُّ الشَّخْصُ فِي تَوْجِيهِ مُوجِدِهِ فَإِنْ نَظَرْتُ إِلَى الآلاتِ طَالَ بِنَا وَإِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يُوجِدُنا إِنِّي وُلِدْتُ وَجِنْدَ العَيْنِ مُنْقَرِدًا</p>	<p>وَأَمّهاتِ نُفوسٍ عُنُصْرِيّاتِ عَنِ اجْتِمَاعِ بَتَغْنِيقِي وَلَنَاتِ بَلْ عَنِ جَمَاعَةِ آباءِ وَأُمَمَاتِ كَصَانِعِ صَنَعِ الأَشْيَا بِآلاتِ كَذاكَ أوجَدنا رَبُّ البرِيّاتِ وَيَضدُّ الشَّخْصُ فِي إِثْبَاتِ عِلَالِ إِسنادُ عَنقَنَةٍ حتّى إِلَى اللّاتِ قُلْنَا يُوخَدَتِهِ لا بِالجَماعِ والنّاسِ كُلَّهُمُ أَوْلادُ عِلالاتِ²</p>
--	---

أعلم -أيّدك الله- أنّه لَمّا كان المقصود من هذا العالم الإنسان، وهو الإمام، لذلك أضفنا الآباء والأمّهات إليه فقلنا: "آباؤنا العلويّات وأمّهاتنا³ السفليّات". فكلّ مؤثّر أبّ وكلّ مؤثّر فيه أمّ، هذا هو الضابط لهذا الباب. والمتولّد بينهما من ذلك الأثر يسقى ابنا ومولّدا. وكذلك المعاني في إنتاج العلوم؛ إنّما هو بمقدّمتين، تتكح إحداهما الأخرى بالمفرد الواحد الذي يتكرر فيها، وهو الرابطة، وهو النكاح، والنتيجة التي تصدر بينهما هي المطلوبة. فالأرواح كلّها آباء، والطبيعة أمّ لَمّا كانت محلّ الاستحالات. وتتوجّه هذه الأرواح على هذه الأركان التي هي العناصر القابلة للتغيير والاستحالة، تُظهِر فيها المولّدات، وهي المعادن والنبات والحيوان والجانّ، والإنسان أكملها.

وكذلك جاء شرعنا أكمل الشرائع، حيث جرى مجرى الحقائق الكلّيّة، فأوتي جوامع الكلم، واقتصر على أربع نسوة، وحزّم ما زاد على ذلك، بطريق النكاح الموقوف على العقد، فلم يدخل في ذلك ملك

1 ق: الباب الحادي أحد عشر.

2 هذا البيت مكتوب بالهامش.

3 ص 110 ب

اليمين، وأباح ملك اليمين في مقابلة الأمر الخامس، الذي ذهب إليه بعض العلماء. كذلك الأركان من عالم الطبيعة أربعة، وبتكاح العالم العلوي لهذه الأربعة، يوجد الله ما يتولد فيها. واختلفوا في ذلك على ستة مذاهب: فطائفة زعمت أن كل واحد من هذه الأربعة أصل في نفسه. وقالت طائفة: ركن النار هو الأصل؛ فما كثف منه¹ كان هواء، وما كثف من الهواء كان ماء، وما كثف من الماء كان ترابا. وقالت طائفة: ركن الهواء هو الأصل؛ فما سخف منه كان نارا، وما كثف منه كان ماء. وقالت طائفة: ركن الماء هو الأصل. وقالت طائفة: ركن التراب هو الأصل. وقالت طائفة: الأصل أمر خامس، ليس واحدا من هذه الأربعة. وهذا هو الذي جعلناه بمنزلة ملك اليمين. فعمت شريعتنا في النكاح أم المذاهب، ليندرج فيها جميع المذاهب.²

وهذا المذهب؛ بالأصل الخامس هو الصحيح عندنا، وهو المسمى بالطبيعة. فإن الطبيعة معقول واحد، عنها ظهر ركن النار وجميع الأركان. فيقال: ركن النار من الطبيعة ما هو عينها، ولا يصح أن تكون المجموع الذي هو عين الأربعة، فإن بعض الأركان منافر للآخر بالكيفية، وبعضها منافر لغيره بأمر واحد، كالنار والماء متنافران من جميع الوجوه، والهواء والتراب كذلك؛ ولهذا ربها الله في الوجود ترتيبا حكيمًا، لأجل الاستحالات. فلو جعل المنافر مجاورا لمنافره لما استحال إليه، وتعطلت الحكمة. فجعل الهواء يلي ركن النار، والجامع بينها الحرارة. وجعل الماء يلي الهواء، والجامع بينها الرطوبة. وجعل التراب يلي الماء، والجامع بينها البرودة. فالهليل أب والمستحيل أم، والاستحالة³ نكاح، والذي استحال إليها ابن. فالتكلم أب، والسامع أم، والتكلم نكاح، والموجود من ذلك في فهم السامع، ابن.⁴

فكل أب علوي فإنه مؤثر، وكل أم سفلية فإنه مؤثر فيها، وكل نسبة بينها معيثة، نكاح وتوجه، وكل نتيجة ابن. ومن هنا يفهم قول المتكلم لمن يريد قيامه: "قم" فيقوم المراد بالقيام، عن أثر لفظة "قم"، فإن لم يقم السامع، وهو أم بلا شك، فهو عقيم، وإذا كان عقيما فليس بأم في تلك الحالة.⁵

وهذا الباب إنما يختص بالأمهات. فأول الآباء العلوية معلوم، وأول الأمهات السفلية شبيبة المعلوم الممكن، وأول نكاح القصد بالأمر، وأول ابن وجود عين تلك الشبيبة التي ذكرنا. فهذا أب ساري⁶ الأبوّة، وتلك أم سارية الأمومة، وذلك النكاح ساري في كل شيء، والنتيجة دائمة لا تنقطع في حق كل ظاهر العين. فهذا يسمى عندنا "النكاح الساري في جميع الذراري"، يقول الله تعالى- في الليل على ما قلناه:

1 ص 111

2 في الهامش: "بلغ قراءة".

3 ص 111 ب

4 في الهامش: "المحموي".

5 في الهامش: "بلغ".

6 ق: سار

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾¹ ولنا فيه كتاب شريف منبع الحمى، البصير فيه أعمى؛ فكيف من حل به العمى؟ فلو رأيت تفصيل هذا المقام، وتوجّحات هذه الأسماء² الإلهية الأعلام، لرأيت أمرا عظيما، وشاهدت مقاما هائلا جسيما، فلقد تنزه العارفون بالله وبصنعه الجميل³.

يا ولي؛ وبعد أن أشرت إلى فهمك الثاقب، ونظرك الصائب، بالأب الأول الساري، وهو الاسم الجامع الأعظم، الذي تتبعه جميع الأسماء في رفعه ونصبه وخفضه، الساري حكمه. والأتم الأولية الآخرة السارية في نسبة الأنوثة في جميع الأبناء، فلنشرع في الآباء الذين هم أسباب موضوعة بالوضع الإلهي، والأمهات، واتصاهما بالنكاح المعنوي والحتسي المشروع، حتى يكون الأبناء أبناء حلال، إلى أن أصل إلى التناسل الإنساني، وهو آخر نوع تكون، وأول مبدع بالقصد تعين، فنقول:

إنّ العقل الأول، الذي هو أول مبدع خلق، وهو القلم الأعلى، ولم يكن ثمّ محدث سيّواه، وكان مؤثرا فيه، بما أحدث الله فيه، من انبعاث اللوح المحفوظ عنه، كانبعاث حواء من آدم في عالم الأجرام، ليكون ذلك اللوح موضعا ومحلا لما يكتب فيه هذا القلم الأعلى الإلهي، وتخطيط الحروف الموضوعة، للدلالة على ما جعلها الحق تعالى - أدلة عليه، فكان اللوح المحفوظ أول موجود انبعاثي، وقد ورد في الشرع: «إنّ أول ما خلق الله القلم⁴، ثم خلق اللوح وقال للقلم: اكتب. قال القلم: وما أكتب؟ قال الله له: اكتب وأنا أملي عليك. فخط القلم في اللوح ما يملي عليه الحق، وهو علمه في خلقه الذي يخلق إلى يوم القيامة».

فكان بين القلم واللوح نكاح معنوي معقول، وأثر جسي - مشهود. ومن هنا كان العمل بالحروف المرقومة عندنا، وكان ما أودع في اللوح من الأثر، مثل الماء الدافق الحاصل في رحم الأثى، وما ظهر من تلك الكتابة من المعاني المودعة في تلك الحروف الجرّمية، بمنزلة أرواح الأولاد المودعة في أجسامهم، فافهم ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

وجعل الحق في هذا اللوح العاقل عن الله، ما أوحى به إليه المسيح بحمده، الذي لا يفقه تسبيحه إلا من أعلمه الله به، وفتح سمعه لما يورده، كما فتح سمع رسول الله ﷺ، ومن حضر - من أصحابه لإدراك تسبيح الحصى في كفه الطاهرة الطيبة ﷺ. وإنما قلنا فتح سمعه: إذ كان الحصى - ما زال منذ خلقه الله، مسبحا بحمد موجهه، فكان خرق العادة في الإدراك السمعي، لا فيه.

ثم أوجد فيه صفتين: صفة علم وصفة عمل. فبصفة العمل تظهر صور المألّم عنه، كما تظهر صورة

[1] [النحل : 40]

2 ص 112

3 في الهامش: "بلغ".

4 ص 112 ب

5 [الأحزاب : 4]

التابوت¹ للعين، عند عمل النجّار، فيها يعطي الصّور، والصّور على قسمين:² صور ظاهرة جسّية، وهي الأجرام وما يتصل بها جسّاً، كالأشكال والألوان والأكوان، وصور باطنة معنويّة غير محسوسة، وهي ما فيها من العلوم والمعارف والإرادات. ويتبيّن الصّفتين ظهر ما ظهر من الصّور، فالصفة العلامّة أب؛ فإنّها المؤثّرة، والصفة العاملة أم؛ فإنّها المؤثّر فيها، وعنها ظهرت الصّور التي ذكرناها.

فإنّ النجّار المهندس؛ إذا كان عالمًا ولا يحسن العمل، فيلقب ما عنده على سمع من يحسن عمل النجارة، وهذا الإلقاء نكاح، فكلام المهندس أب، وقبول السامع أم، ثمّ يصير علم السامع أبًا، وجوارحه أمًا، وإن شئت قلت: فالمهندس أب، والصانع الذي هو النجّار أم، من حيث ما هو مُضغ لما يلقي إليه المهندس، فإذا أثر فيه، فقد أنزل ما في قوّته في نفس النجّار، والصورة التي ظهرت للنجّار في باطنه مما ألقى إليه المهندس، وحصلت في وجود خياله، قائمة ظاهرة له، بمنزلة الولد الذي ولد له فهّمه عن المهندس. ثمّ عمِل النجّار؛ فهو أب في الخشب، الذي هو أمّ النجارة، بالآلات الذي يقع بها النكاح، وإنزال الماء الذي هو أثر كلّ ضربة بالتدوم أو قطع بالمنشار، وكلّ قطع وفصل وجمع³ في القطع المنجورة لإنشاء الصورة، فظهر⁴ التابوت الذي هو بمنزلة الولد المولود الخارج للحس.

فهكذا فلتفهم الحقائق في ترتب الآباء والأمّهات والأبناء، وكيفيّة الإنتاج. فكلّ أب ليس عنده صفة العمل، فليس هو أب من ذلك الوجه. حتى أنّه لو كان عالمًا، ومُنِع آلة التوصيل بالكلام أو الإشارة، ليقع الإفهام، وهو غير عامل، لم يكن أبًا من جميع الوجوه، وكان أمًا لما حصل في نفسه من العلوم. غير أنّ الجنين لم يخلق فيه الروح في بطن أمّه، أو مات في بطن أمّه، فأحالتة طبيعة الأمّ إلى أن تصرّف، ولم يظهر له عين، فافهم.

وبعد أن عرفت الأب الثاني من الممكنات، وأنّه أمّ ثانية للقلم الأعلى، كان مما ألقى إليها من الإلقاء الأقدس الروحانيّ، الطبيعة والهباء؛ فكان أول أمّ ولدت توأمين: فأول ما ألقى الطبيعة، ثمّ تبعها بالهباء. فالطبيعة والهباء أخ وأخت لأب واحد، وأمّ واحدة. فأنكح (الحق) الطبيعة الهباء، فوُلد بينهما صورة الجسم الكلّي، وهو أول جسم ظهر. فكان الطبيعة الأب، فإنّ لها الأثر، وكان الهباء الأمّ فإنّ فيها ظهر الأثر، وكانت النتيجة الجسم. ثمّ نزل التوالد في العالم إلى التراب، على ترتب مخصوص ذكرناه في كتابنا المسّوق بـ"عقلة المستوفز" وفيه طول لا يسعه هذا الباب؛ فإنّ الغرض الاختصار.

ونحن لا⁵ نقول بالمركز، وإنما نقول بنهاية الأركان، وإنّ الأعظم يجذب الأصغر، ولهذا نرى البخار والنار

1 ص 113

2 في الهامش: "محمد بن زرافة".

3 ثابت في الهامش بقلم الأصل.

4 ص 113 ب

5 ص 114

يطلبان العلوّ، والحجر وما أشبهه يطلب السفلى، فاختلفت الجهات وذلك على الاستقامة من الاثنين، أعني طالب العلوّ والسفلى. فإنّ القائل بالمركز يقول: "إنّه أمرٌ معقولٌ دقيقٌ تطلبه الأركان، ولولا التراب لدار به الماء، ولولا الماء لدار به الهواء، ولولا الهواء لدار به النار". ولو كان كما قال لَكُنَّا نرى البخار يطلب السفلى، والحسّ يشهد بخلاف ذلك. وقد يتنا هذا الفصل في كتاب "المركز" لنا، وهو جزء لطيف.

فإذا ذكرناه في بعض كتبنا إنما نسوقه على جملة مثال النقطة من الأكرة التي عنها يحدث المحيط، لما لنا في ذلك من الغرض المتعلّق بالمعارف الإلهيّة والنسب، تكون الخطوط الخارجة من النقطة إلى المحيط على السواء، لتساوي النسب، حتى لا يقع هنالك تفاضل. فإنّه لو وقع تفاضل أدى إلى نقص المفضول، والأمر ليس كذلك. وجعلناه (أي المركز) محلّ العنصر الأعظم، تنبيها على أنّ الأعظم يحكم على الأقل، وذكرناه مشارا إليه في "عقلة المستوفز".

ولمّا أدار الله هذه الأفلاك العلويّة، وأوجد الأيام بالفلك الأول، وعينه بالفلك الثاني الذي فيه الكواكب¹ الثابتة للأبصار، ثمّ أوجد الأركان: ترابا وماء وهواء وفارا، ثمّ سوى السماوات سبعا طباقا، وفتحها، أي فصل كلّ سماء على جدّة، بعد ما كانت رتقا، إذ كانت دخانا، وفتح الأرض إلى سبع أرضين: سماء أولى لأرض أولى، وثانية لثانية إلى سبع، وخلق الجوّاري الخمس، في كلّ سماء كوكب، وخلق القمر وخلق أيضا الشمس.

فحدث الليل والنهار بخلق الشمس في اليوم، وقد كان اليوم موجودا، فجعل النصف من هذا اليوم لأهل الأرض نهارا؛ وهو من طلوع الشمس إلى غروبها، وجعل النصف الآخر منه ليلا؛ وهو من غروب الشمس إلى طلوعها، واليوم عبارة عن المجموع، ولهذا خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فإنّ الأيام كانت موجودة بوجود حركة فلك البروج وهي الأيام المعروفة عندنا لا غير. فما قال الله: خلق العرش والكرسي، وإنما قال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾² فإذا دار فلك البروج دورة واحدة، فذلك هو اليوم الذي خلق الله فيه السماوات والأرض، ثمّ أحدث الله الليل والنهار عند وجود الشمس لا الأيام.

وأما ما يطرأ فيها من الزيادة والنقصان، أعني في الليل والنهار لا في الساعات، فإنّها أربع وعشرون ساعة، وذلك لحلول الشمس في منطقة البروج، وهي³ حائليّة بالنسبة إلينا، فيها ميل: فيطول النهار إذا كانت الشمس في المنازل العالية، حيث كانت، وإذا حلّت الشمس في المنازل النازلة، قصر النهار حيث

1 ص 114 ب

2 [الأعراف : 54]

3 ص 115

كانت، وإنما قلنا: "حيث كانت"، فإنه إذا طال الليل عندنا طال النهار عند غيرنا، فتكون الشمس في المنازل العالية، بالنسبة إليهم، وفي المنازل النازلة بالنسبة إلينا. فإذا قصر النهار عندنا طال الليل عندهم، لما ذكرناه. واليوم هو اليوم بعينه أربع وعشرون ساعة، لا يزيد ولا ينقص، ولا يطول ولا يقصر في موضع الاعتدال. فهذا هو حقيقة اليوم، ثم قد نسي النهار وحده يوما بحكم الاصطلاح، فافهم.

وقد جعل الله هذا الزمان الذي هو الليل والنهار، والزمان هو اليوم؛ فالليل والنهار موجودان في الزمان، جعلها أباً وأماً، لما يحدث الله فيها كما قال: ﴿يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾¹ كمثل قوله في آدم: ﴿قَلَمًا تَفْشَاهَا حَمَلَتْ﴾² فإذا غشي الليل النهار؛ كان الليل أباً وكان النهار أمّاً، وصار كل ما يحدث الله في النهار بمنزلة الأولاد التي تلد المرأة. وإذا غشي النهار الليل؛ كان النهار أباً وكان الليل أمّاً، وكان كل ما يحدث الله من الشئون في الليل بمنزلة الأولاد التي تلد الأم. وقد بيّنا هذا الفصل في كتاب "الشأن" لنا، تكلمنا³ فيه على قوله تعالى:- ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾⁴ وسيأتي إن شاء الله- في هذا الكتاب، إن ذكرنا الله به، من معرفة الأيام طرف شاف⁵.

وكذلك قال تعالى- أيضاً: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾⁶ فراد بياناً في التناكح، وأبان سبحانه- بقوله: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾⁷ أن الليل أم له، وأن النهار متولد عنه، كما ينسلك المولود من أمه إذا خرج منها، والحية من جلدها، فيظهر مولداً في عالم آخر غير العالم الذي يحويه الليل، والأب هو اليوم الذي ذكرناه. وقد بيّنا ذلك في كتاب "الزمان" لنا ومعرفة الدهر. فهذا الليل والنهار أبوان بوجوه، وأمان بوجوه، وما يحدث الله فيها في عالم الأركان من المولدات عند تصرفها، يستون أولاد الليل والنهار كما قررناه.

ولما أنشأ الله أجرام العالم كله، القابل للتكوين فيه، جعل من حد ما يلي مقعر السماء الدنيا إلى باطن الأرض: عالم الطبيعة والاستحالات، وظهور الأعيان التي تحدث عند الاستحالات، وجعلها بمنزلة الأم. وجعل من مقعر فلك السماء الدنيا إلى آخر الأفلاك بمنزلة الأب. وقدّر فيها منازل وزينها بالأنوار الثابتة والساجحة. فالساجحة تقطع في الثابتة، والثابتة والساجحة تقطع في⁸ الفلك المحيط، بتقدير العزيز، بدليل أنه رُئي في بعض الأهرام التي بديار مصر، مكتوباً بقلم يذكر في ذلك تاريخ الأهرام، أنها بُنيت والنسر في

1 [الأعراف : 54]

2 [الأعراف : 189]

3 ص 115 ب

4 [الرحمن : 29]

5 ق: "طرفاً شافياً".

6 [الحج : 61]

7 [يس : 37]

8 ص 116

الأسد، ولا شك أنه الآن في الجدي، كذا ندرکه، فدلّ على أنّ الكواكب الثابتة تقطع في فلك البروج الأطلس، والله يقول في القمر: ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرَاهُ مَنَازِلَ﴾¹ وقال في الكواكب: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وقال تعالى:- ﴿وَالشُّنْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾² وقد قرئ: ﴿لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾، وليس بين القراعتين تافراً، ثم قال: ﴿ذَلِكَ تَشْدِيدُ الْعَزِيمِ الْعَلِيمِ﴾ ينظر إلى قوله في القمر إنه قدره منازل، وقال: ﴿لَا الشُّنْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾³ أي في شيء مستدير.

وجعل لهذه الأنوار المسماة بالكواكب أشعة متصلة بالأركان، تقوم اتصالاتها بها مقام نكاح الآباء للأمهات فيحدث الله تعالى- عند اتصال تلك الشعاعات النورية في الأركان الأربعة، من عالم الطبيعة، ما يتكون فيها مما نشاهده جساً. فهذه الأركان لها بمنزلة الأربعة النسوة في شرعنا. وكما لا يكون نكاح شرعي عندنا حلالاً إلا بعقد شرعي، كذلك أوحى في كل سماء أمرها: فكان من ذلك الوحي تنزل الأمر بينهما، كما قال تعالى:- ﴿يُنزَلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يعني الأمر الإلهي.

وفي تفسير هذا التنزل أسرار⁴ عظيمة، تقرب مما نشير إليه في هذا الباب، وقد روي عن ابن عباس، أنه قال في هذه الآية: "لو فسرتها لقلتم إني كافر" وفي رواية "لرجموني" وإنما من أسرار آي القرآن، قال تعالى:- ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾⁵ ثم قال: ﴿يُنزَلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ ثم تم وأبان فقال: ﴿لِتَقْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁶ وهو الذي أشرنا إليه بصفة العمل الذي ذكرناه آنفاً، من إيجاد الله صفة العلم والعمل في الأب الثاني، فإن القدرة للإيجاد وهو العمل، ثم تم في الأخبار، فقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾⁷ وقد أشرنا إليه بصفة العلم التي أعطى الله للأب الثاني، الذي هو النفس الكلية المنبعثة، فهو العليم سبحانه- بما يوجد، التقدير على إيجاد ما يريد إيجاداً لا مانع له، فجعل الأمر ينزل بين السماء والأرض، كالولد يظهر بين الأبوين.

وأما اتصال الأشعة النورية الكوكبية عن الحركة الفلكية السماوية، بالأركان الأربعة التي هي أمّ المولّدات، في الحين الواحد للكُلِّ معاً، جعله الحقّ مثلاً للعارفين في نكاح أهل الجنة في الجنة، جميع نساتهم وجواربهم في الآن الواحد، نكاحاً جسدياً، كما أنّ هذه الاتصالات جسدية، فينكح الرجل في الجنة جميع من عنده من المنكوحات، إذا اشتهى ذلك، في الآن الواحد نكاحاً جسدياً محسوساً بإيلاج ووجود⁸ لئنة

[1] [يس : 39]

[2] [يس : 38]

[3] [يس : 40]

[4] ص 116 ب

[5] [الطلاق : 12]

[6] [الطلاق : 12]

[7] [الطلاق : 12]

[8] ص 117

خاصة بكل امرأة، من غير تقدم ولا تأخر، وهذا هو النعم البائس والاعتقاد الإلهي، والعقل يعجز عن إدراك هذه الحقيقة من حيث فكره، وإنما يدرك هذا بقوة أخرى إلهية، في قلب من يشاء من عباده، كما أن الإنسان في الجنة في سوق الصور - إذا انتهى صورة دخل فيها، كما تشكل الروح هنا عندنا، وإن كان جسماً، ولكن أعطاه الله هذه القدرة على ذلك، والله على كل شيء قدير. وحديث سوق الجنة ذكره أبو عيسى الترمذي في مصنفه، فانظره هناك.

فإذا اتصلت الأشعة النورية في الأركان الأربعة، ظهرت المولدات عن هذا النكاح، الذي قدره العزيز العليم، فصارت المولدات بين آباء، وهي الأفلاك والأنوار العلوية، وبين أمهات، وهي الأركان الطبيعية السفلية، وصارت الأشعة المتصلة من الأنوار بالأركان كالنكاح، وحركات الأفلاك وسباحات الأنوار بمنزلة حركات المجامع، وكان حركات الأركان بمنزلة الخاض للمرأة، لاستخراج الزئبد الذي يخرج بالخض، وهو ما يظهر من المولدات في هذه الأركان للمين، من صورة المعادن والنبات والحيوان ونوع الجن والإنس، فسبحان القادر على ما يشاء، لا إله إلا هو رب كل شيء ومليكه.

قال¹ تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾² فقد تبين لك -أيها الولي- آباؤك وأمهاتك من هم إلى أقرب أب لك، وهو الذي ظهر عينك به، وأملك كذلك القرية إليك، إلى الأب الأول وهو الجد الأعلى، إلى ما بينها من الآباء والأمهات، فشكروهم الذي يُسرون به ويفرحون بالثناء عليهم، هو أن تنسبهم إلى مالكمهم وموجدهم، وتسلب الفعل عنهم، وتلحقه بمستحقه الذي هو خالق كل شيء. فإذا فعلت ذلك فقد أدخلت سرورا على آباءك بفعلك ذلك، وإدخال هذا السرور عليهم، هو عين برك بهم وشكرك إياهم، وإذا لم تفعل هذا ونسيت الله بهم فما شكرتهم ولا امتثلت أمر الله في شكرهم.

فإنه قال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي﴾³ فقدّم نفسه ليعرفك أنه السبب الأول والأولي، ثم عطف وقال: ﴿وَوَالِدَيْكَ﴾ وهي الأسباب التي أوجدك الله عندها، لتنسبها إليه سبحانه، ويكون لها عليك فضل التقدم بالوجود خاصة، لا فضل التأثير لأنه في الحقيقة لا أثر لها، وإن كانت أسبابا لوجود الآثار. فهنا القدر صح لها الفضل، وطلب منك (الشكر لها)⁴، وأنزلها الحق لك وعندك منزلته في التقدم عليك، لا في الأثر، ليكون الثناء بالتقدم والتأثير، لله تعالى، وبالتقدم والتوقف للوالدين، ولكن على⁵ ما شرطناه، فلا تشرك بعبادة ربك أحدا.

فإذا أثبتت على الله تعالى، وقلقت ربنا ورب آباءنا العلويات وأمهاتنا السفليات، فلا فرق بين أن

1 ص 117 ب

2 [الجمان : 14]

3 [الجمان : 14]

4 ما بين القوسين لم يرد في ق، وأبتناه من س، وفي هـ: الشكر

5 ص 118

أقولها أنا، أو يقولها جميع بني آدم من البشر، فلم يخاطب شخصا بعينه، حتى نسوق آباءه وأمهاته من آدم وحواء إلى زمانه، وإنما القصد هذا النشء الإنساني، فكنتُ مترجماً عن كل مولود بهذا التحميد، من عالم الأركان وعالم الطبيعة والإنسان، ثم نرتقي¹ في النيابة عن كل مولد بين مؤثر ومؤثر فيه، فنحمده بكل لسان، ونتوجه إليه بكل وجه، فيكون الجزاء لنا من عند الله من ذلك المقام الكل.

كما قال لي بعض مشيختي، إذا قلت: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" أو قلت: "السلام عليكم" إذا سلمت في طريقك على أحد، فأحضر- في قلبك كل صالح لله من عباده في الأرض والسماء وميت وحى، فإنه من ذلك المقام يزدُّ عليك، فلا يبقى ملك مقرب ولا روح مطهر يبلغه سلامك إلا ويزدُّ عليك، وهو دعاء، فيستجاب فيك، فتفلح. ومن لم يبلغه سلامك من عباد الله المهتمين في جلاله المشتغلين به، المستفرغين فيه، وأنت قد سلمت عليهم بهذا الشمول، فإن الله ينوب عنهم في الرد عليك، وكفى² بهذا شرفاً في حقك، حيث يسلم عليك الحق، فليته لم يسمع أحداً ممن سلمت عليه حتى ينوب عن الجميع في الرد عليك؛ فإنه بك أشرف.

قال تعالى- تشرifa في حق يحيى (عليه السلام): ﴿وَوَسَّلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾³ وهذا سلام فضيلة وإخبار؛ فكيف بسلام واجب، ناب الحق مناب من أجاب عنه، وجزاء الفرائض أعظم من جزاء الفضائل، في حق من قيل فيه: ﴿وَوَسَّلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾⁴ فيجمع له بين الفضيلتين. وقد وردت صلاة الله علينا ابتداء، وما وصل إلي: هل ورد السلام ابتداء، كما وردت الصلاة أم لا؟ فن روى في ذلك شيئاً وتحققه، فقد جعلت أمانةً في عنقه أن يلحقه في هذا الموضع، إلى جانب صلاة الله علينا في هذا الباب؛ ليكون بشري للمؤمنين، وشرفاً لكتابي هذا، والله المعين والموفق لا رب غيره.

وأما الآباء الطبيعيون والأمتها، فلم نذكرهم. فلنذكر الأمر الكل من ذلك: وهم أبوان وأمان. فالأبوان: هما الفاعلان والأمان هما المنفعلان، وما يحدث عنها هو المنفعل عنها. فالحرارة والبرودة فاعلان، والرطوبة واليبوسة منفعلان، فنكحت الحرارة اليبوسة فأنتجا ركن النار، ونكحت الحرارة الرطوبة فأنتجا ركن الهواء، ثم نكح البرودة الرطوبة فأنتجا ركن الماء، ونكح البرودة اليبوسة فأنتجا⁵ ركن التراب.

فحصلت في الأبناء حقائق الآباء والأمتها، فكانت النار حارة يابسة: فحارتهما من جهة الأب ويوستها من جهة الأم، وكان الهواء حاراً رطباً فحارته من جهة الأب ورطوبته من جهة الأم وكان الماء بارداً رطباً

1 ق: ترتقي

2 ص 118 ب

3 [مرم: 15]

4 [مرم: 15]

5 ص 119

فبرودته من جمحة الأب ورتوبته من جمحة الأم، وكانت الأرض باردةً يابسة، فبرودتها من جمحة الأب ويوستها من جمحة الأم. فالحرارة والبرودة من العلم، والرطوبة واليبوسة من الإرادة، هذا حدُّ تعلُّقها في وجودها من العلم الإلهي، وما يتولّد عنها من القدرة، ثم يقع التوالد في هذه الأركان من كونها أمّهات لآباء الأنوار العلوية لا من كونها آباء، وإن كانت الأبوة فيها موجودة.

فقد عزفناك؛ أنّ الأبوة والبنوة من الإضافات والنسب، فالأب ابنٌ لأبٍ، هو ابن له، والابنُ أب لابنٍ هو أب له، وكذلك باب النسب، فانظر فيه، والله الموقّق لا ربّ غيره.

ولمّا كانت اليبوسة منفعة عن الحرارة، وكانت الرطوبة منفعة عن البرودة، قلنا في الرطوبة واليبوسة: إنّها منفعتان، وجعلناها بمنزلة الأمّ للأركان. ولمّا كانت الحرارة والبرودة فاعلين؛ جعلناها بمنزلة الأب للأركان. ولمّا كانت الصنعة تستدعي صانعا ولا بدّ، والمنفعل يطلب الفاعل بذاته، فإنّه منفعل لذاته، ولو¹ لم يكن منفعلا لذاته لما قبل الاتفعال والأثر، و(لما) كان مؤثرا فيه، بخلاف الفاعل، فإنّه يفعل بالاختيار، إن شاء فعل فيستقى فاعلا، وإن شاء ترك وليس ذلك للمنفعل.

ولهذه الحقيقة ذكر تعالى-، وهو من فصاحة القرآن وإيجازه: ﴿وَلَا زُطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾² فذكر المنفعل، ولم يذكر "ولا حار ولا بارد" (وذلك أنّه) لمّا كانت الرطوبة واليبوسة عند العلماء بالطبيعة تطلب الحرارة والبرودة اللتين هما منفعتان عنها، كما تطلب الصنعة الصانع، لذلك ذكرها دون ذكر الأصل، وإن كان الكلّ في الكتاب المبين، فلقد جبا³ الله سيّدنا محمدا ﷺ بعلوم ما نالها أحد سيّواه، كما قال: «فعلمت علم الأوّلين والآخريّن» في حديث الضرب باليد. فالعلم الإلهي هو أصل العلوم كلّها، وإليه⁴ ترجع. وقد استوفينا ما يستحقّه هذا الباب على غاية الإيجاز والاختصار، فإنّ الطول فيه إنّما هو بذكر الكيفيات، وأمّا الأصول فقد ذكرناها ومعدناها، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵. انتهى الجزء الثاني عشر من الفتوحات المكيّة.

1 ص 119 ب

2 [الأنعام : 59]

3 ق، س: "حاي" ثم عملت في ق

4 ق: والياء.

5 [الأحزاب : 4]

الجزء الثالث عشر من الفتح المكي¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الثاني عشر³

في معرفة دورة فلك سيدنا محمد ﷺ

وهي دورة السيادة، و«لإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله -تعالى-»

وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ وَأَقِفْ	أَلَا بِأَبِي مَنْ كَانَ مَلَكًا وَسَيِّدًا
لَهُ فِي الْعُلَى مَجْدٌ تَلِيْدٌ وَطَارِفٌ	فَذَاكَ الرَّسُولُ الْأَبْطَحِيُّ مُحَمَّدٌ
وَكَانَتْ لَهُ فِي كُلِّ غَضْرِ مَوَاقِفٌ	أَتَى بِزَمَانِ السَّغْدِ فِي آخِرِ الْمَدَى
فَأَتَقْتُ عَلَيْهِ أَلْسُنَ وَعَوَارِفٌ	أَتَى لِانْكِسَارِ الدَّهْرِ يَجْبُرُ صَدْعَهُ
وَلَيْسَ لِذَاكَ الْأَمْرِ فِي الْكَوْنِ صَارِفٌ	إِذَا زَامَ أَمْرًا لَا يَكُونُ خِلَافُهُ

إعلم -أيديك الله-؛ أنّه لما خلق الله الأرواح، المحصورة المدبّرة للأجسام، بالزمان عند وجود حركة الفلك، لتعيين المدة المعلومة عند الله. وكان عند أوّل خلق الزمان بحركته، خلق الروح المدبّرة، روح محمد ﷺ، ثمّ صدرت الأرواح عند الحركات، فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة، وأعلمه الله بنبوته، وبشره بها وآدم لم يكن إلّا كما قال: «بين الماء والطين» واتهى الزمان بالاسم الباطن في حقّ محمد⁵ ﷺ، إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به.

انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر، فظهر محمد ﷺ بذاته جسما وروحا، فكان الحكم له باطنا أولا، في جميع ما ظهر من الشرائع، على أيدي الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين. ثمّ صار الحكم له ظاهرا، فنسخ كلّ شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر، لبيان اختلاف حكم الاسمين، وإن كان المشرّع واحدا، وهو صاحب الشرع.

فإنّه قال: «كُنْتُ نَبِيًّا» وما قال: «كُنْتُ إِنْسَانًا»، ولا «كُنْتُ موجودًا». وليست النبوة إلّا بالشرع

1 العنوان ص 120ب، أما ص 120 فيضاه

2 البسمة ص 121

3 في الهامش: بلغ قراءة لعمود الزنجاني على مؤلفه.

4 ق: "وكان" مع إشارة مسح لحرف النون، وصححت في الهامش بقلم الأصل.

5 ص 121ب

المقرر عليه من عند الله، فأخبر أنه صاحب النبوة، قبل وجود الأنبياء الذين هم توابه في هذه الدنيا، كما قررناه فيما تقدم من أبواب هذا الكتاب.

فكانت استدارته؛ انتهاء دورته بالاسم الباطن، وابتداء دورة أخرى بالاسم الظاهر، فقال: «استدار كهيته يوم خلقه الله»¹ في نسبة الحكم لنا ظاهرا، كما كان في النورة الأولى منسوباً إلينا باطنا، أي إلى محمد، وفي الظاهر منسوباً إلى من نسب إليه من شرع إبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء والرسل. وفي الأنبياء من الزمان أربعة حرم: هود وصالح وشعيب سلام الله عليهم - ومحمد ﷺ. وعينها² من الزمان ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب مضر. ولما كانت العرب تنسأ في الشهور، فترد المحرم منها حلالاً والحلال منها حراماً، وجاء محمد ﷺ فرد الزمان إلى أصله الذي حكم الله به عند خلقه، فعين الحزم من الشهور على حد ما خلقها الله عليه، فلماذا قال في اللسان الظاهر: «إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلقه الله» كذلك استدار الزمان؛ فأظهر (الله) محمداً ﷺ كما ذكرناه جسماً وروحاً بالاسم الظاهر حساً، فنسخ من شرعه المتقدم ما أراد الله أن ينسخ منه، وأبقى ما أراد الله أن يبقى منه، وذلك من الأحكام خاصة لا من الأصول.

ولما كان ظهوره بـ"الميزان"³ وهو العدل في الكون، وهو معتدل؛ لأن طبعه الحرارة والرطوبة، كان (ظهوره ﷺ) من حكم الآخرة، فإن حركة الميزان متصلة بالآخرة إلى دخول الجنة والنار. ولهذا كان العلم في هذه الأمة أكثر مما كان في الأوائل، وأعطى محمد ﷺ علم الأولين والآخرين، لأن حقيقة الميزان تعطي ذلك⁴، وكان الكشف أسرع في هذه الأمة مما كان في غيرها، لغلبة البرد واليبس على سائر الأمم قبلنا، وإن كانوا أذكىاء وعلماء، فأحاذ منهم معينون بخلاف ما هم الناس⁵ اليوم عليه.

ألا ترى هذه الأمة قد ترجمت جميع علوم الأمم، ولو لم يكن المترجم عالماً بالمعنى الذي دل عليه لفظ المتكلم به، لما صح أن يكون هذا مترجماً، ولا كان ينطلق على ذلك اسم الترجمة. فقد علمت هذه الأمة علم من تقدم، واختصت بعلم لم تكن⁶ للمتقدمين. ولهذا أشار ﷺ بقوله: «فعلمت علم الأولين» وهم الذين تقدموه ثم قال: «والآخرين» وهو علم ما لم يكن عند المتقدمين، وهو ما تعلمه أمته من بعده إلى يوم القيامة. فقد أخبر أن عندنا علوماً لم تكن قبل، فهذه شهادة من النبي ﷺ لنا، وهو الصادق بذلك.

فقد ثبت له ﷺ السيادة في العلم في الدنيا، وثبت له أيضاً السيادة في الحكم حيث قال: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يلبني» ويبين ذلك عند نزول عيسى ﷺ وحكمه فينا بالقرآن، فصحت له

1 صحیح البخاری 2958، وصحیح مسلم 3179

2 ص 122

3 يقصد برج الميزان.

4 ثابت في الهامش بقلم الأصل.

5 ص 122 ب

6 "لم تكن" كتبت في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب.

السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى. ثم أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة، بفتح باب الشفاعة، ولا يكون ذلك لنبي يوم القيامة إلا له ﷺ، فقد شفع ﷺ في الرسل والأنبياء أن تشفع. نعم، و(شفع أيضا) في¹ الملائكة، فأذن الله تعالى- عند شفاعته له في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك ورسول ونبي ومؤمن أن يشفع.

فهو ﷺ أول شافع، بإذن الله، وأرحم الراحمين آخر شافع يوم القيامة. فيشفع الرحيم عند المنتقم، أن يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط، فيخرجه المنعم المفضل. وأي شرف أعظم من دائرة تُدار يكون آخرها أرحم الراحمين؟ وآخر الدائرة متصل بأولها، فأَي شرف أعظم من شرف محمد ﷺ؟ حيث كان ابتداء هذه الدائرة، حيث اتصل بها آخرها لكمالها. فبه سبحانه- ابتدأت الأشياء وبه كملت. وما أعظم شرف المؤمن حيث تلت شفاعته، بشفاعة أرحم الراحمين، فالمؤمن بين الله وبين الأنبياء.

فإن العلم في حق الخلق، وإن كان له الشرف التام الذي لا يُجبل مكاتبته، ولكن لا يعطى السعادة في القرب الإلهي إلا بالإيمان، فنور الإيمان في المخلوق أشرف من نور العلم الذي لا إيمان معه، فإذا كان الإيمان يحصل عنه العلم، فنور ذلك العلم المولد من نور الإيمان أعلى، وبه يمتاز (المؤمن العالم) على المؤمن الذي ليس بعالم، فيرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين درجات²، على المؤمنين الذين لم يوتوا العلم، ويريد العلم بالله، فإن رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «أتم أعلم بمصالح دينكم».

فلا فلك أوسع من فلك محمد ﷺ فإن له الإحاطة، وهي لمن حَصَّ الله بها من أمته بحكم التبعية. فلنا الإحاطة بسائر الأمم، ولذلك كنا شهداء على الناس. فأعطاها الله من وحي أمر السماوات ما لم يعط غيره في طالع مولده.

فن الأمر الخصوص بالسماء الأولى: من هناك؛ لم يتدل حرف من القرآن ولا كلمة، ولو ألقى الشيطان في تلاوته ما ليس منها بنقص أو زيادة، لنسخ الله ذلك، وهذا عصمة. ومن ذلك الثبات؛ ما سُخت شريعته بغيرها، بل ثبتت محفوظة، واستقرت بكل عين ملحوظة، ولذلك تُستشهد بها كل طائفة. ومن الأمر الخصوص بالسماء الثانية: من هناك أيضا؛ حُصَّ بعلم الأولين والآخرين، والتودة والرحمة والرفق ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾³. وما أظهر في وقت غلظة على أحد إلا عن أمر إلهي، حين قيل له: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾⁴ فأمر به لما لم يقتض طبعه ذلك، وإن كان بشرا؛ يفضب لنفسه ويرضى لنفسه. فقد قَدَّمَ لذلك دواء نافعا، يكون⁵ في ذلك الغضب رحمة من حيث لا يُشعر بها في حال

1 ص 123

2 ص 123 ب

3 [الأحزاب : 43]

4 [التوبة : 73]

5 ص 124

الغضب، فكان يُدَلُّ بغضبه مثل دالّته برضاه، وذلك لأسرار عرفناها ويعرفها أهل الله متاً، فصحت له
السيادة على العالم من هذا الباب.

فإن غير أمته؛ قيل فيهم: ﴿يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَدْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾¹ فأصلهم الله على علم. وتولى الله
فيما حفظ ذكروه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾² لأنه سمع العبد وبصره ولسانه وبده،
واستحفظ كتابه غير هذه الأمة، فحرفوه.

ومن الأمر الخصوص من وحي السماء الثالثة: من هناك أيضاً؛ السيف النبي بعثه به، والخلافة،
واختص بقتال الملائكة معه منها، أيضاً. فإن ملائكة هذه السماء قاتلت معه يوم بدر، ومن هذه السماء
أيضاً؛ بعث من قوم ليس لهم همة، إلا في قرى الأضياف ونحر الجزر، والحروب البائسة وسفك الدماء،
وبهذا يمدحون ويمدحون. قيل في بعضهم³:

ضُرُوبٌ يَنْضِلُ السَّيْفِ سَوَاقٍ سِمَانِيَا إِذَا عَدِمُوا زَادَا فَإِنَّكَ عَاقِرٌ

وقال الآخر منهم يمدح قومه⁴:

لَا يَتَعَدَّنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُغْتَرِكٍ
سُمُّ السُّدَاةِ وَآفَةُ الْجَزِيرِ
وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

فمدحهم⁵ بالكرم والشجاعة والعفة.

يقول عنتر بن شداد⁶ في حفظ الجار في أهله:

[البقرة: 75]

[الحجر: 9]

3 القائل هو أبو طالب (85 - 3 ق. هـ / 540 - 619 م) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، أبو طالب. والده الإمام
علي كرم الله وجهه، وعم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم وروسائهم، ومن الخطباء العقلاء
الأباة. وله تجارة كسائر قريش. نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام م
أقرباؤه (بنو قريش) بقتله فخاه أبو طالب وصددهم عنه. وفي الحديث: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب. مولاه
ووفاته بمكة. (الموسوعة الشعرية)

4 القول للشاعرة الخزيمية بنت بدر بن هفان بن مالك من بني ضبيعة، البكرية العدنانية (؟ - 50 ق. هـ / ؟ - 574 م) شاعرة من
الشهيرات في الجاهلية، وهي أخت طرفة ابن العبد لأمه. وفي المؤرخين من يسميها الخزيمية بنت هفان بن مالك بإسقاط بدر، تزوجها
بشر بن عمرو بن مَرْثَدَ سيد بني أسد وقتله بنو أسد يوم قلاب (من أيام الجاهلية)، فكان أكثر شعرها في رثائه ورفاه من قتل معه
من قوما ورفاه أخيها طرفة. (الموسوعة الشعرية)

5 ص 124 ب

6 عنتر بن شداد العبسي (؟ - 22 ق. هـ / ؟ - 601 م) أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد.
أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شجاعة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي
شعره رقة وعنوبة. وكان من أحسن العرب شجاعة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعنوبة. كان مغرباً
بأبنة عمه عبلة فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً،
وقته الأسد الرهيب أو جبار بن عمرو الطائي. (الموسوعة الشعرية)

وَأَعْصُ طَرْفِي مَا بَدَثَ لِي جَارِي حَتَّى يُؤَارِي جَارِي مَا وَاهَا

ولا خفاء عند كلِّ أحد بفضل العرب على المعجم بالكرم والحماسة والوفاء، وإن كان في المعجم كرماء وشجعان، ولكن آحاد، كما أنّ في العرب جنباء وبخلاء ولكن آحاد، وإنما الكلام في الغالب لا في النادر، وهذا ما لا ينكره أحد.

فهذا مما أوحى الله في هذه السماء، فهذا كله من الأمر الذي يتنزل بين السماء والأرض لمن فهم. ولو ذكرنا على التفصيل ما في كلِّ سماء من الأمر الذي أوحى الله سبحانه- فيها، لأبرزنا من ذلك عجائب، ربما كان ينكرها بعض من ينظر في ذلك العلم، من طريق الرصد والتسيير من أهل التعليم، ويحار المنصف منهم فيه إذا سمعه.

ومن الوحي المأمور به في السماء الرابعة: نَسَخَهُ بِشَرِيعَتِهِ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ، وظهور دينه على جميع الأديان، عند كلِّ رسول ممن تقدّمه، وفي كلِّ كتاب منزل، فلم يبق لدين من الأديان حكم عند الله إلا ما قرر منه، فبتقريره ثبت فهو من شرعه وعموم رسالته، وإن كان بقي من ذلك حكم فليس هو من حكم الله إلا في أهل الجزية خاصة، وإنما قلنا: ليس هو حكم الله لأنه سماء باطلا، فهو على مَنْ اتّبعه، لا له. فهذا (ما) أعني بظهور دينه على جميع الأديان، كما قال النابغة² في مدّحه:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَغْطَاكَ سُورَةَ تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَنَّبُ
بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبٌ

وهذه منزلة محمد ﷺ، ومنزلة ما جاء به من الشرع، من الأنبياء وشرائعهم سلام الله عليهم أجمعين-. فإنّ أنوار الكواكب اندرجت في نور الشمس؛ فالتنزل لنا والليل وحده لأهل الكتاب، إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وقد بسطنا في "التنزيلات الموصليّة" من أمر كلِّ سماء ما إذا وقفت عليه عرفت بعض ما في ذلك.

ومن الوحي المأمور به في السماء الخامسة: من هناك؛ المختصّ بمحمد ﷺ أنّه ما ورد قطّ عن نبيّ من الأنبياء أنّه حُتِبَ إليه النساء إلا محمد ﷺ، وإن كانوا قد رزقوا منهنّ كثيرا، كسليمان عليه السلام وغيره، ولكن

2 النابغة الأدياني (؟ - 18 ق. هـ / ؟ - 605 م) زياد بن معاوية بن ضباب الذيباني الغطفاني الحضرمي، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر يسوق عكاظ فتصده الشعراء فتمرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والحنساء ممن يعرض شعره على النابغة. كان حظا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فنضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الفسانيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضى عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب دياجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمرا طويلا. والبيتان من قصيدة له مطلعها:
أَتَانِي أَيْتَتْ اللَّعْنَ أُنْكَ لِمَتِّي وَبِئْسَ الْوَأْتِيَتْهَا وَأَضْبُ [الموسوعة الشعرية]

كلامنا في كونه¹ حَبَّ إليه، وذلك² أنه ﷺ كان «نبيًا وآدم بين الماء والطين» كما قررناه، وعلى الوجه الذي شرحناه. فكان مقطعا إلى ربه، لا ينظر معه إلى كون من الأكوان، لشغله بالله عنه، فإنَّ النبيَّ مشغول بالتلويح من الله ومراعاة الأدب، فلا يتفرغ إلى شيء دونه، فحَبَّ الله إليه النساء، فأحَبَّ عناية من الله بهنَّ، فكان ﷺ يحَبُّنَّ، بكون الله حَبِيبَهُنَّ إليه. خرَّج مسلم في صحيحه في أبواب الإيمان «أنَّ رجلا قال لرسول الله ﷺ: "إني أحبُّ أن يكون نعلي حسنا، وثوبي حسنا" فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الله جميل يحَبُّ الجمال».

ومن هذه السماء؛ حَبَّ الطَّيِّب. وكان من سنَّته النكاح لا التبتُّل، وجعل النكاح عبادة للسرِّ الإلهي الذي أودع فيه، وليس إلَّا في النساء، وذلك ظهور الأعيان للثلاثة الأحكام التي تقدَّم ذكرها، في الإنتاج عن المقدمتين، والرابط الذي جعله علَّة الإنتاج. فهذا الفضل وما شاكله، مما اختص به محمد ﷺ، وزاد فيه بنكاح الهبة. كما جعل في أمته فيما يبيِّن لها من النكاح، لمن لا شيء له من الأعواض، بما يحفظه من القرآن خاصة، لا أنه يعلمها، وهذا وإن لم يثوِّق قوة الهبة فيه اتِّساع³ للأمة، وليس في الوسع استيفاء ما أوحى الله من الأمر في كلِّ سماء.

ومن الأمر الموحى في السماء السادسة: إعجاز القرآن، والذي أعطيه ﷺ من جوامع الكلم، من هذه السماء، تنزل إليه، ولم يُعطَ ذلك نبيَّ قبله. وقد قال: «أعطيت سِتًّا لم يُعطهنَّ نبيُّ قبلي» وكلَّ ذلك أوحى في السماوات من قوله (تعالى): ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁴ فجعل في كلِّ سماء، ما يصلح تنفيذه في الأرض في هذا الخلق. فكان من ذلك أن يُعثَّ وحده إلى الناس كافة، فعمَّت رسالته. وهذا مما أوحى الله به في السماء الرابعة. وُصِّر بالرعب، وهو مما أوحى الله به في السماء الثالثة من هناك، ومنها ما حلَّ الله له من الغنائم، وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا، من السماء الثانية من هناك، وأوتيت جوامع الكلم من أمر وحي السماء السادسة، ومن أمر هذه السماء ما خصَّه الله به من إعطائه إياه مفاتيح خزائن الأرض. ومن الوحي المأمور به في السماء السابعة: من هناك؛ وهي السماء الدنيا التي تلينا؛ كون الله خصَّه بصورة الكمال، فكلمت به الشرائع، وكان خاتم النبيِّين ولم يكن ذلك لغيره ﷺ. فهذا وأمثاله انفراد بالسيادة⁵ الجامعة للسيادات كلها، والشرف المحيط الأعمُّ ﷺ. فهذا قد نبهنا على ما حصل له في مولده من بعض ما أوحى الله به في كلِّ سماء من أمره.

وقوله: "الزمان"، ولم يقل: الدهر ولا غيره، ينبته على وجود "الميزان"، فإنه ما خرج عن الحروف التي

1 في كونه "كتبنا بالهامش بقلم الأصل.

2 ص 125 ب

3 ص 126

4 [فصلت: 12]

5 ص 126 ب

في الميزان، بذكر الزمان. وجعل ياء الميزان مما يلي الزاي، وخفف الزاي وعددها في الزمان؛ إشعاراً بأن في هذه الزاي حرفاً مدغمًا، فكان أول وجود الزمان في الميزان للعدل الروحاني، وفي الاسم الباطن لمحمد ﷺ، بقوله: «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين» ثم استدار بعد انقضاء دورة الزمان، التي هي ثمانية وسبعون ألف سنة. ثم ابتدأت دورة أخرى من الزمان بالاسم الظاهر، فظهر فيها جسم محمد ﷺ وظهرت شريعته على التعيين والتصریح لا بالكناية، واتصل الحكم بالآخرة، فقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾¹ وقيل لنا: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾² وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾³.

فبالميزان أوحى في كلِّ سماء أمرها، وبه قدر في الأرض أقواتها، ونصبه الحق في العالم في كلِّ شيء. ميزانٌ معنويٌّ وميزانٌ جسديٌّ⁴ لا يخطئ أبداً، فدخل الميزان في الكلام، وفي جميع الصناعات المحسوسة، وكذلك في المعاني؛ إذ كان أصل وجود الأجسام والأجرام، وما تحمله من المعاني عند حكم الميزان، وكان وجود الميزان وما فوق الزمان عن الوزن الإلهي، الذي يطلبه الاسم الحكيم، ويظهره الحكم العدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾⁵ وعن الميزان ظهر العقرب، وما أوحى الله فيه من الأمر الإلهي، والقوس والجدي والبلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة.

وانتهت الدورة الزمانية إلى الميزان، لتكرار التور، فظهر محمد ﷺ، وكان له في كلِّ جزء من أجزاء الزمان حكم، اجتمع فيه بظهوره ﷺ، وهذه الأسماء؛ أسماء ملائكة خلقهم الله وهم اثنا عشر ملكاً. وجعل لهم الله مراتب في الفلك المحيط، وجعل بيد كلِّ ملك ما شاء أن يجعله مما يبرزه، فمن هو دونهم إلى الأرض حكمة. فكانت روحانية محمد ﷺ، تكتسب عند كلِّ حركة من الزمان أخلاقاً، بحسب ما أودع الله في تلك الحركات من الأمور الإلهية، فما زالت تكتسب هذه الصفات الروحانية قبل وجود تركيبها، إلى أن ظهرت صورة جسمه في عالم الدنيا، بما جنَّبه الله⁶ عليه من الأخلاق الحمودة، فقيل فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁷ فكان ذا خلق، لم يكن ذا مخلق.

ولما كانت الأخلاق، تختلف أحكاماً باختلاف المحلِّ التي ينبغي أن تقابل بها، احتاج صاحب الخلق إلى علم يكون عليه، حتى يصرف في⁸ ذلك المحلِّ الخلق الذي يليق به عن أمر الله، فيكون قرينة إلى الله.

[1] [الأنبياء : 47]

[2] [الرحمن : 9]

[3] [الرحمن : 7]

[4] ص 127

[5] [البقرة : 163]

[6] ص 127 ب

[7] [القلم : 4]

[8] ثابت في الهامش بقلم الأصل.

فلذلك تزلت الشرائع لتبين للناس محال أحكام الأخلاق التي جُبل الإنسان عليها، فقال الله في مثل ذلك: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ¹ لوجود التأنيف في خلقه، فأبان عن الحلّ الذي لا ينبغي أن يظهر فيه حكم هذا الخلق، ثم بين الحلّ الذي ينبغي أن يظهر فيه هذا الخلق، فقال: ﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ نُورِ اللَّهِ²، وقال تعالى:- ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ³ فأبان عن الحلّ الذي ينبغي أن لا يظهر فيه خلق الخوف، ثم قال لهم: ﴿وَخَافُونَ﴾ فأبان لهم حيث ينبغي أن يظهر حكم هذه الصفة. وكذلك الحسد والحرص، وجميع ما في هذه النشأة الطبيعية الظاهر حكم روحانياتها فيها، قد أبان الله لنا حيث نُظهِرها وحيث نمنعها، فإنه من المحال إزالتها عن هذه النشأة إلا بزوالها، لأنها عينها، والشئ لا يفارق نفسه، قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين» وقال: «زادك الله حرصا ولا تعد».

وإنما قلنا: "الظاهر حكم روحانياتها فيها" تحزنا بذلك من أجل أهل الكشف، والعلماء الراسخين في العلم من المحققين العالمين. فإنّ المسعى بالجناد والنبات عندنا؛ لهم أرواح بطنت عن إدراك غير أهل الكشف إياها في العادة، لا يُحس بها مثل ما يُحسها من الحيوان. فالكلّ عند أهل الكشف حيوان ناطق، بل حيّ ناطق. غير أنّ هذا المزاج الخاص يستوى إنسانا لا غير بالصورة، ووقع التفاضل بين الخلائق في المزاج، فإنه لا بدّ في كلّ ممتزج من مزاج خاص لا يكون إلا له، به يتميّز عن غيره، كما يجتمع مع غيره في أمر، فلا يكون عين ما يقع به الافتراق والتميّز، عين ما يقع به الاشتراك وعدم التميّز، فاعلم ذلك وتحقّقه. قال تعالى:- ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ⁵ و"شئ" نكرة، ولا يسبّح إلا حيّ عاقل عالم بمسبّحه. وقد ورد «أنّ المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويايس»، والشرائع والنبوّات من هنا القليل مشحونة. ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار؛ الكشف: فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين، بلسان نُطق تسمعه آذاننا منها، وتخطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله، مما ليس يدركه كلّ إنسان. فكلّ جنس من خلق الله، أمة من الأمم، فطرهم الله على⁶ عبادة تخصّهم، أوحى بها إليهم في نفوسهم. فرسولهم من ذواتهم: إعلام من الله بالهام خاصّ جبّلتهم عليه، كهلم بعض الحيوانات بأشياء، يقصر عن إدراكها المهندس النحرير، وعلمهم على الإطلاق بمنافعهم فيما يتناولونه من الحشائش والمأكّل، وتجنّب ما يضرّهم من ذلك. كلّ ذلك في فطرتهم. كذلك المسعى جمادا ونباتا، أخذ الله بأبصارنا وأسماعنا عمّا هم عليه من النطق.

(وقال ﷺ): «لا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل فنجذه بما فعله أهله»؛ جعل الجهلاء من الحكماء

[1] [الإسراء : 23]

[2] [الأنبياء : 67]

[3] [آل عمران : 175]

4 ص 128

[5] [الإسراء : 44]

6 ص 128 ب

هذا، إذا صحَّ إيمانهم به، من باب العلم بالاختلاج، يريدون به علم الزجر، وإن كان علم الزجر علما صحيحا في نفس الأمر، وأنه من أسرار الله، ولكن ليس هو مقصود الشارع في هذا الكلام. فكان له ﷻ الكشف الأتم، فيرى ما لا نرى.

ولقد نبّه ﷻ على أمرٍ عمل عليه أهلُ الله فوجدوه صحيحا، قوله: «لولا تزييدٌ في حديثكم، وتمريجٌ في قلوبكم، لرأيتم ما أرى، ولسمعتُم ما أسمع» فُحِصَ برتبة الكمال في جميع أمورهِ، ومنها الكمال في العبودية؛ فكان عبدا صرفا، لم يُقَمِّ بذاته ربانيَّةً على أحد، وهي التي أوجبَتْ له السيادة، وهي اللبيل على شرفه على السوام. وقد قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كلِّ أحيانه» ولنا منه ميراث وافر، وهو أمرٌ يختصُّ بباطن الإنسان وقوله، وقد يظهر خلاف ذلك بأفعاله، مع تحقُّقه بالمقام، فيلتبس (الأمر) على مَنْ لا معرفة له بالأحوال، فقد بينَّا في هذا الباب ما مسَّت الحاجة إليه. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

الباب الثالث عشر في معرفة حَمَلَةِ العرش

العرش - والله - بِالرَّحْمَنِ مَحْمُولٌ وَحَامِلُوهُ وَهَذَا الْقَوْلُ مَعْقُولٌ
وَأَيُّ حَوْلٍ لِمَخْلُوقٍ وَمَقْدِرَةٍ لَوْلَاهُ، جَاءَ بِهِ عَقْلٌ وَتَنْزِيلٌ
جِسْمٌ وَرُوحٌ وَأَقْوَاتٌ وَمَرْبَتَةٌ مَا تَمَّ غَيْرَ الَّذِي رَكِبَتْ تَفْصِيلٌ
فَذَا هُوَ الْعَرْشُ إِنْ حَقَّقْتَ سُورَتَهُ وَالْمَسْتُوبِي بِإِسْمِهِ الرَّحْمَنُ مَأْمُولٌ
وَهُمْ ثَمَانِيَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَالْيَوْمُ أَرْبَعَةٌ مَا فِيهِ تَقْلِيلٌ
مُحَمَّدٌ تَمَّ رِضْوَانٌ وَمَالِكُهُمْ وَآدَمٌ وَخَلِيلٌ تَمَّ جَبْرِيلُ
وَالْحَقُّ بَيْنَكَالِ إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُنَا سَيُومَى ثَمَانِيَةَ عُرٍّ بِهَالِيلُ

اعلم - أيّد الله الوليّ الحميم - أنّ العرش في لسان العرب يُطَلَّق، ويراد به: المَلِك. يقال: نُكِلَ عَرْشُ المَلِكِ، إذا دخل في مُلكه خلل، ويطلق¹ ويراد به: السرير. فإذا كان العرش عبارة عن المَلِك، فتكون حَمَلَتُهُ هم القائمون به. وإذا كان العرش السرير؛ فتكون حملته ما يقوم عليه من القوائم، أو مَنْ يحملونه² على كواهلهم³. والعدد يدخل في حَمَلَةِ العرش. وقد جعل الرسول حكمهم في الدنيا أربعة، وفي القيامة ثمانية. فثلا رسول الله ﷺ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾⁴ ثم قال: «وهم اليوم أربعة» يعني في يوم الدنيا، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ يعني يوم الآخرة.

روينا عن ابن مسرة الجبلي⁵ من أكبر أهل الطريق علما وحالا وكشفا: "العرش المحمول هو المَلِك، وهو محصور في جسم وروح وغذاء ومرتبة" فآدم وإسراييل للصور، وجبريل ومحمد للأرواح، وميكائيل

1 ص 129 ب

2 ق: يحمله.

3 ق: "هياكلهم" وصححت في الهامش بقلم آخر.

4 [الحاقة : 17]

5 محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي (269-319هـ) حكى عنه صاحبه محمد بن حزم التنوخي "أنه كان في سكناه المدينة يتبع آثار النبي ﷺ، قال: ودلّه بعض أهل المدينة على دار مارية أم إبراهيم سرّة النبي ﷺ، فقص إليها إذا ديرة لطيفة بين البساتين بشرقي المدينة عرضها وطولها واحد قد شق في وسطها بمخاط، وفرش على حائطها خشب غليظ يرهق إلى ذلك الفرض على خارج لطيف، وفي أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبي ﷺ في الصيف، قال: فرأيت أبا عبد الله بعدما صلى في البيتين والسقيفة وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب أحد البيتين بشبره، فكشفته بعد اصرافي وهو ساكن في الجبل عن ذلك، فقال: هذا البيت الذي ترائي فيه بيته على تلك الحالة في العرض والطول بلا زيادة ولا نقصان". [فتح الطيب من غصن الأنتلس الرطيب - (2 / 150-151)]

وإبراهيم للأرزاق، ومالك ورضوان للوعد والوعيد. وليس في المَلَك إلا ما ذُكِر. والأغذية التي هي الأرزاق جَسِيَّة ومعنوية، فالذي نذكر في هذا الباب الطريقة الواحدة التي هي بمعنى المَلَك، لما يتعلَّق به من الفائدة في الطريق، وتكون حملته؛ عبارة عن القائمين بتدبيره. فمدبِّر صورة عنصريَّة أو صورة نوريَّة، و(مدبِّر) روحًا مدبِّرًا لصورة عنصريَّة، و(مدبِّر) روحًا مدبِّرًا مسخَّرًا¹ لصورة نوريَّة، وغذاء لصورة عنصريَّة وغذاء علوم ومعارف لأرواح، ومرتبة حَسِيَّة من سعادة بدخول الجنة، ومرتبة حَسِيَّة من شقاوة بدخول جهنم، ومرتبة² روحية علمية.

فبني هذا الباب على أربع مسائل: المسألة الأولى الصورة، والمسألة الثانية الروح، والمسألة الثالثة الغذاء، والمسألة الرابعة المرتبة، وهي الغاية. وكلّ مسألة منها تنقسم قسمين: فتكون ثمانية: وهم حملة عرش المَلَك، أي إذا ظهرت الثمانية قام المَلَك وظهر واستوى عليه مليكه.

المسألة الأولى؛ الصورة: وهي تنقسم قسمين: صورة جَسِيَّة عنصريَّة، تتضمن صورة جسدية خيالية. والقسم الآخر صورة جَسِيَّة نورية. فلنبتدئ بالجسم النوري فنقول: إنَّ أوَّل جسم خلقه الله، أجسام الأرواح المَلَكِيَّة المهيَّمة في جلال الله، ومنهم العقل الأوَّل، والنفس الكلِّ، وإليها انتهت الأجسام النورية المخلوقة من نور الجلال، وما ثمَّ مَلَك من هؤلاء الملائكة مَنْ وُجد بواسطة غيره إلا النفس، التي دون العقل، وكلّ مَلَك خلق بعد هؤلاء فدخلون تحت حكم الطبيعة؛ فهم من جنس أفلاكها التي خُلِقوا منها، وهم عمّارها، وكذلك ملائكة العناصر. وآخر صنف من الأملاك؛ الملائكة المخلوقون من أعمال العباد وأنفاسهم. فلنذكر ذلك صنفا صنفا في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

اعلم أنَّ الله تعالى- كان قبل أن³ يخلق الخلق -ولا قبلية زمان، وإنما ذلك عبارة للتوصيل تدلّ على نسبة يحصل بها المقصود في نفس السامع- كان جلّ وتعالى: «في عماء؛ ما تحته هواء وما فوقه هواء» وهو أوَّل مظهر إلهي ظهر فيه، سرى فيه النور الذاتي كما ظهر في قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁴ فلما انصبغ ذلك العماء بالنور، فتح فيه صور الملائكة المهيَّمين، الذين هم فوق عالم الأجسام الطبيعية، ولا عرش ولا مخلوق تقدّمهم، فلما أوجدهم تجلّى لهم، فصار لهم من ذلك التجلّي غيبا، كان ذلك الغيب روحا لهم، أي لتلك الصور، وتجلّى لهم في اسمه الجميل، فهاموا في جلال جماله فهم لا يفيقون.

فلما شاء أن يخلق عالم التدوين والتسطير، عيّن واحدا من هؤلاء الملائكة الكروبيين، وهو أوَّل مَلَك ظهر من ملائكة ذلك النور؛ سمّاه العقل والقلم. وتجلّى له في مجلى التعلم الوهبي، بما يريد إيجاد من خلقه، لا إلى غاية وحدّ، فقبِل بذاته علم ما يكون، وما للحقّ من الأسماء الإلهية الطالبة صدور هذا العالم

1 ثابت في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 130

3 ص 130 ب

4 [النور : 35]

الخالقي، فاشتق من هذا العقل موجودا آخر¹ سماه اللوح، وأمر القلم أن يتدلّى إليه، ويودع فيه جميع ما يكون إلى يوم القيامة لا غير. وجعل لهذا القلم ثلاثمائة وستين سنّا في² قلميته، أي من كونه قلماً، و(جمل) من كونه عقلاً ثلاثمائة وستين تجلياً أو رقيقة، كلّ سنّ أو رقيقة تغترف من ثلاثمائة وستين صنفاً من العلوم الإجمالية، فيفضّلها في اللوح. فهذا حصر ما في العالم من العلوم إلى يوم القيامة. فعلمها اللوح حين أودعه إياها القلم، فكان من ذلك علم الطبيعة؛ وهو أول علم حصل في هذا اللوح، من علوم ما يريد الله خلقه، فكانت الطبيعة دون النفس، وذلك كلّ في عالم النور الخالص.

ثم أوجد سبحانه - الظلمة المحضة، التي هي في مقابلة هذا النور، بمنزلة العدم المطلق، المقابل للوجود المطلق. فعندما أوجدها أفاض عليها النور إفاضة ذاتية بمساعدة الطبيعة، فلأمّ شععتها ذلك النور، فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش، فاستوى عليه الاسم الرحمن بالاسم الظاهر، فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق. وخلق من ذلك النور المتزج الذي هو مثل ضوء السحر؛ الملائكة الحافين بالسري، وهو قوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾³ فليس لهم شغل إلا كونهم حافين من حول العرش، يسبحون بحمده، وقد بيّنّا خلق العالم في كتاب ستمينا "عقلة المستوفز" وإنما نأخذ منه في هذا الباب رؤوس⁴ الأشياء.

ثم أوجد الكرسي في جوف هذا العرش، وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته. فكلّ فلّك أصل لما خلق فيه من عمّاره، كالعناصر فيما خلق منها من عمّارها، كما خلق آدم من تراب، وعمّر به وبنيه الأرض. وقسم في هذا الكرسي الكريم الكلمة إلى خبر وحكم، وهما القدمان اللتان تدلّنا له من العرش، كما ورد في الخبر النبويّ. ثم خلق في جوف الكرسيّ الأفلاك: فلّك في جوف فلّك، وخلق في كلّ فلّك عالماً منه يعمرونه، ستمام ملائكة؛ يعني رُسلاً، وزيتها بالكواكب، ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁵، إلى أن خلق صور المولّات..

ولمّا أكمل الله هذه الصور النورية والعنصرية بلا أرواح، تكون غيباً لهذه الصور، تجلّى لكلّ صنف من الصور بحسب ما هي عليه، فتكوّن عن الصور وعن هذا التجلّي أرواح الصور، وهي المسألة الثانية، فخلق الأرواح وأمرها بتدبير الصور، وجعلها غير منقسمة بل ذات واحدة، وميّز بعضها عن بعض فميّزت، وكان ميّزها بحسب قبول الصور من ذلك التجلّي، وليست الصور بأبنيّات لهذه الأرواح على الحقيقة، إلا أنّ هذه الصور لها كالملك في حقّ الصور العنصرية، وكالمظاهر في حقّ الصور كلّها.

1 ثابت في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 131

3 [الزمر : 75]

4 ص 131 ب

5 [فصلت : 12]

ثم أحدث الله الصور الجسدية الخيالية، بتجلٍ آخر بين اللطائف والصور، تتجلى في تلك الصور الجسدية، الصور النورية¹ والنارية، ظاهرة للعين. وتتجلى الصور الحسية حاملة للصور المعنوية، في هذه الصور الجسدية، في النوم وبعد الموت وقبل البعث، وهو البرزخ الصوري، وهو قَرْنٌ من نور، أعلاه واسعٌ وأسفله ضيقٌ. فإنَّ أعلاه السماء، وأسفله الأرض. وهذه الأجساد الصورية، التي يظهر فيها الجنُّ والملائكة وباطن الإنسان، وهي الظاهرة في النوم²، وصَوْرُ سوق الجنة. وهي هذه الصور التي تعمر الأرض، التي تقدّم الكلام عليها في بابها.

ثم إنَّ الله تعالى، جعل لهذه الصور ولهذه الأرواح غذاء، وهو المسألة الثالثة- يكون بذلك الغذاء بقاؤهم، وهو رزق جسّي ومعنويّ. فالمعنويّ منه غذاء العلوم والتجليات والأحوال. والغذاء المحسوس معلوم. وهو ما تحمله صور المطعومات والمشروبات من المعاني الروحانية، أعني القوى. فذلك هو الغذاء فالغذاء كلّه معنويّ على ما قلناه، وإن كان في صور محسوسة. فتتفدّى كلُّ صورة، نورية كانت أو حيوانية أو جسدية، بما يناسبها. وتفصيل ذلك يطول.

ثم إنَّ الله جعل لكلِّ عالم مرتبة في السعادة والشقاء، ومنزلة، وتفصيلها لا تنحصر. فسعادتها بحسبها؛ فمنها سعادة غرضية، ومنها سعادة كمالية، ومنها سعادة ملائمة، ومنها سعادة وضعيّة، أعني شرعيّة. والشقاوة مثل ذلك في التقسيم، بما³ لا يوافق الغرض، ولا الكمال ولا المزاج، وهو غير الملائم ولا الشرع. وذلك كلّه محسوس ومعقول. فالمحسوس منه ما يتعلّق بدار الشقاء، من الآلام في الدنيا والآخرة، وما يتعلّق بدار السعادة من اللذات في الدنيا والآخرة. ومنه خالص وممتزج. فالخالص يتعلّق بالدار الآخرة، والممتزج يتعلّق بالدار الدنيا؛ فيظهر السعيد بصورة الشقيّ، والشقيّ بصورة السعيد، وفي الآخرة يمتازون. وقد يظهر الشقيّ في الدنيا بشقاوته، ويتصل بشقاء الآخرة، وكذلك السعيد، ولكنهم مجهولون، وفي الآخرة يمتازون ﴿وَأَمَّا تَرَأَوْنَ أَهْلًا لَمْ تَجْعَلْ لَهُمْ مَرْجُواً﴾⁴ فهناك تلحق المراتب بأهلها لحوقا لا ينخرم ولا يتبدّل.

فقد بان لك معنى الثمانية، التي هي مجموع الملوك، المعبر عنه بالعرش، وهذه هي المسألة الرابعة. فقد بان لك معنى الثمانية. وهذه الثمانية للنسب الثمانية التي يوصف بها الحقُّ. وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر وإدراك المطعوم والمشوم والملموس بالصفة اللائمة به، فإنَّ لهذا الإدراك بها تعلّقاً⁵، كأدراك السمع بالمسموعات والبصر بالمبصرات، ولهذا انحصر الملوك في ثمانية؛ فالظاهر منها في

1 ص 132

2 "وهي الظاهرة في النوم" نابتة في الهامش بقلم الأصل.

3 ص 132 ب

4 [يس : 59]

5 ق، س: تعلّق.

الدنيا أربعة: الصورة والغذاء والمرتتان، ويوم القيامة تظهر الثانية بجمعها للعيان، وهو¹ قوله تعالى:-
﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾²، فقال ﷺ: «وهم اليوم أربعة»، هذا في تفسير العرش بالملك.
وأما العرش الذي هو السرير؛ فإنَّ الله ملائكة يحملونه، على كواهلهم، هم اليوم أربعة، وغدا يكونون
ثمانية، لأجل الحمل إلى أرض الحشر، وورد في صور هؤلاء الأربعة الحملة، ما يقاربه قول ابن مسرّة، فقيل:
الواحد على صورة الإنسان، والثاني على صورة الأسد، والثالث على صورة النسر، والرابع على صورة
الثور، وهو الذي رآه السامريّ، فتخيّل أنّه إله موسى، فصنع لقومه العجل، وقال: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ
مُوسَى﴾³ القصة ﴿وَإِلَّا يَتَّبِعُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ عَلَافٌ كَاذِبُونَ﴾⁴ وهو يهدي السبيل⁴.

1 ص 133

2 [الحاقة : 17]

3 [طه : 88]

4 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب الرابع عشر

في معرفة أسرار الأنبياء؛ أعني أنبياء الأولياء
وأقطاب الأمم المكملين من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله،
وإنَّ القطب واحد منذ خلقه الله لم يمّت، وأين مسكنه؟

أَنْبِيَاءُ الْأَوْلِيَاءِ الْوَرَثَةُ	عَرَفَ اللَّهُ بِهِمْ مَنْ بَعَثَهُ
تَمَّ فِي رُفْعِ إِمَامٍ وَاحِدٍ	سِرُّ هَذَا الْأَمْرِ رُوحَ نَفْسِهِ
تَمَّ لَمَّا عَقَدَ اللَّهُ لَهُ	وَسَرَى فِي خَلْقِهِ مَا تَكَنَّه
وَتَلَقَّاهُ عَلَى عِزَّتِهِ	مِنَّةً مِنْهُ قُلُوبُ الْوَرَثَةِ
مَوْضِعَ الْقُطْبِ الَّذِي يَسْكُنُهُ	لَيْسَ يَنْدِرُهُ سِوَى ² مَنْ وَرِثَهُ

اعلم -أيديك الله- أنّ النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله، يتضمّن ذلك الوحي شريعة يتعبده بها في نفسه، فإن بُعث بها إلى غيره كان رسولا. ويأتيه الملك على حالتين: إمّا ينزل بها على قلبه على اختلاف أحوال، في ذلك التنزل، وإمّا على صورة جسدية من خارج، يلقي ما جاء به إليه على أذنه فيسمع، أو يلقيها على بصره فيبصره، فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع، سواء. وكذلك سائر القوى الحساسة. وهذا باب قد أغلق برسول الله صلى الله عليه وآله. فلا سبيل أن يتعبّد الله أحدا بشريعة ناسخة لهذه الشريعة الحمديّة. وإنّ عيسى عليه السلام إذا نزل ما يحكم إلّا بشريعة محمد صلى الله عليه وآله. وهو (أي عيسى-) خاتم الأولياء. فإنّه من شرف محمد صلى الله عليه وآله أن ختم الله ولاية أمته والولاية مطلقة بنبيّ رسولٍ مكرم، ختم به مقام الولاية. فله يوم القيامة حشران؛ يحشر مع الرسل رسولا، ويحشر³ معنا وليّا تابعا محمدا صلى الله عليه وآله، كرمه الله - تعالى- والياس بهذا المقام على سائر الأنبياء.

وأما حالة أنبياء الأولياء في هذه الأمة، فهو كلّ شخص أقامه الحقّ في تجلٍّ من تجلياته، وأقام له مظهر محمد صلى الله عليه وآله، ومظهر جبريل عليه السلام، فأسمعه ذلك المظهر الروحاني خطاب الأحكام المشروعة لمظهر محمد صلى الله عليه وآله. حتى إذا فرغ من خطابه، وفرغ عن قلب هذا الولي، عقل صاحب هذا المشهد جميع ما تضمّنه ذلك

1 ص 133 ب

2 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

3 ص 134

الخطاب من الأحكام المشروعة، الظاهرة في هذه الأمة الحمديّة. فيأخذها هذا الوليّ، كما أخذها المظهر الحمديّ، للحضور الذي حصل له في هذه الحضرة، مما أمر به ذلك المظهر الحمديّ من التبليغ لهذه الأمة¹. فيردُّ إلى نفسه وقد وعى ما خاطب الروح به مظهر محمد ﷺ، وعلم صحّته علم يقين بل عين يقين. فأخذ حكم هذا النبيّ، وعمل به على بينة من ربه.

فربّ حديث ضعيف قد ترك العمل به لضعف طريقه، من أجل وِضَاع كان في رواته، يكون صحيحاً في نفس الأمر، ويكون هذا الواضع مما صدق في هذا الحديث، ولم يضعه. وإنما ردّه المحدث لعدم الثقة بقوله في قلبه، وذلك إذا انفرد به ذلك الواضع، أو كان مدار² الحديث عليه. وأما إذا شاركه فيه ثقة سمعه معه، فقبل ذلك الحديث من طريق ذلك الثقة. وهذا وِليّ قد سمعه من الروح يليقه على حقيقة محمد ﷺ، كما سمع الصحابة في حديث جبريل عليه السلام مع محمد ﷺ، في الإسلام والإيمان والإحسان، في تصديقه إياه. وإذا سمعه من الروح الملقّي؛ فهو فيه مثل الصاحب الذي سمعه من فم رسول الله ﷺ، علماً لا يشكّ فيه، بخلاف التابع، فإنه يقبله على طريق غلبة الظنّ، لارتفاع التهمة المؤثرة في الصدق.

وربّ حديث يكون صحيحاً من طريق رواته، يحصل لهذا المكاشف الذي قد عاين هذا المظهر، فسأل النبيّ ﷺ عن هذا الحديث الصحيح، فأنكره وقال له: "لم أقله ولا حكمتُ به" فيعلم ضعفه، فيترك العمل به عن بينة من ربه، وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه، وهو في نفس الأمر ليس كذلك. وقد ذكر مثل هذا "مسلم" في صدر كتابه الصحيح. وقد يُعرّف هذا المكاشف، من وضع ذلك الحديث الصحيح طريقه، في زعمهم، إما أن يسمّى له أو تقام له صورة الشخص.

فهؤلاء هم أنبياء الأولياء، ولا يتفردون قطّ بشرية، ولا يكون لهم خطاب بها إلا بتعريف: إن هذا هو شرع³ محمد ﷺ. أو يشاهد المنزل عليه بذلك الحكم في حضرة التمثّل، الخارج عن ذاته والداخل، المعبر عنه بالمبشّرات في حقّ النائم. غير أنّ الوليّ يشترك مع النبيّ، في إدراك ما تدرّكه العامّة في النوم، في حال اليقظة، سواء. وقد أثبت هذا المقام للأولياء أهل طريقنا، وإتيان غير⁴ هذا وهو الفعل بالهمة، والعلم من غير معلّم من الخلقين، غير الله، وهو علم الحضر. فإن آتاه الله العلم بهذه الشريعة التي تعبّده بها، على لسان رسول الله ﷺ، بارتفاع الوسائط، أعني الفقهاء وعلماء الرسوم، كان من العلم اللدنيّ، ولم يكن من أنبياء هذه الأمة. فلا يكون من الأولياء وارث نبيّ إلا على هذه الحالة الخاصة من مشاهدة الملّك عند الإلقاء على حقيقة الرسول؛ فافهم.

فهؤلاء هم أنبياء الأولياء. وتستوي الجماعة كلّها في الدعاء إلى الله على بصيرة، كما أمر الله تعالى - نبيّه

1 ثابتة في الهامش مع إشارة الصحيح.

2 ص 134 ب

3 ص 135

4 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

ﷺ أن يقول: «أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي»¹ وهم أهل هذا المقام، فهم في هذه الأمة، مثل الأنبياء في بني إسرائيل، على مرتبة تعبد هارون بشرية موسى عليها السلام، مع كونه نبياً، فإن الله قد شهد بنبوته، وصرح بها في القرآن. فمثل هؤلاء يحفظون الشريعة² الصحيحة التي لا شك فيها، على أنفسهم وعلى هذه الأمة ممن اتبعتهم، فهم أعلم الناس بالشرع، غير أن الفقهاء لا يسلمون لهم ذلك. وهؤلاء لا يلزمهم إقامة³ الدليل على صدقهم، بل يجب عليهم الكتم لمقامهم، ولا يردون على علماء الرسوم فيما ثبت عندهم، مع علمهم بأن ذلك خطأ في نفس الأمر. فحكمهم حكم المجتهد الذي ليس له أن يحكم في المسألة بغير ما أذاه إليه اجتهاده وأعطاه دليله، وليس له أن يخطيء الخالف له في حكمه، فإن الشارع قد قرّر ذلك الحكم في حقه. فالأدب يقتضي له أن لا يخطيء ما قرره الشارع حكماً، ودليله وكشفه يحكم عليه باتباع حكم ما ظهر له وشاهده.

وقد ورد الخبر عن النبي ﷺ: «إن علماء هذه الأمة أنبياء بني إسرائيل» يعني المنزلة التي أشرنا إليها، فإن أنبياء بني إسرائيل كانت تحفظ عليهم شرائع رسولهم، وتقوم بها فيهم. وكذلك علماء هذه الأمة وأمتها، يحفظون عليها أحكام رسولها ﷺ، كعلماء الصحابة، ومن نزل عنهم من التابعين وأتباع التابعين كالشوري، وابن عيينة، وابن سيرين⁴، والحسن، ومالك⁵، وابن أبي رباح، وأبي حنيفة⁶، ومن نزل عنهم كالشافعي⁷،

1 [يوسف : 108]

2 ص 135 ب

3 تاجية في الهامش بقلم الأصل.

4 محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر مولده لسنتين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان وكان سيرين أبوه مكتئباً لأنس بن مالك وهم إخوة أربعة محمد وأنس ومعبد ويحيى وحفصة وكرمة أولاد سيرين حمل عن ستمهم العلم وكان محمد بن سيرين من أروع التابعين وفقهاء أهل البصرة وعبادهم وكان يبرر الرؤيا رأى ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بالبصرة في شوال بعد الحسن بمائة يوم وقبره بإزاء قبر الحسن بالبصرة مشهور بزار. [مشاهير علماء الأمصار - (1 / 143)]

5 الإمام مالك بن أنس (189-99هـ): صاحب كتاب الموطأ في الحديث الشريف عالم المدينة وإماماً أحد المجتهدين الأربعة مات وله تسعون سنة وقبره بالمدينة على شط بقع الفرقد وكان وفاته في أيام الرشيد ولد وأسنانه ثابتة فسمي : ضحاكاً لضحك الله في جناته. أخذ عنه العلم جماعة كثيرة منهم: الشافعي قال : إذا ذكر العلماء فالك النجم، وإذا جاء الحديث عنه فاشدد يدك به. وقال مالك: ليس العلم بكرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله تعالى في القلب... وكتابه الموطأ في الطبقة الأولى من كتب الحديث عند المحققين وكان شارحه - صاحب المصنف والمسوى - شديد الاعتناء به حتى قال : إن المقصود في هذه الدورة العمل بالموطأ وترك العمل بغيره من التفرجات والكتب. وهذا يدل على عظمة رتبة هذا التأليف. [أبجد العلوم - (3 / 122)]

6 الإمام : أبو حنيفة نoman بن ثابت إمام الحنفية ومقتدى أصحاب الرأي (80 .150هـ): ولد سنة 80 من الهجرة. لم ير أحداً من الصحابة - باتفاق أهل الحديث - وإن كان عاصر بعضهم - على رأي الحنفية -... وقد ضعف المحدثون أبا حنيفة - رحمه الله - في الحديث وهو كذلك كما يظهر من الرجوع إلى فقه مذهب هذا الإمام وحصرفاته في الكلام... والكتب المؤلفة في ترجمته كثيرة يوجد بعضها فهي تفتي عن الإطالة في هذا المقام. [أبجد العلوم - (3 / 121)].

7 الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي (150-204هـ): ثالث المجتهدين وأعلم العلماء الربانيين لنا حملت به أمه رأت كأن المشتري خرج من بطنها وأهض ووقع في كل بلدة منه شظية فعبير المعبر: أنه يخرج من بطنك عالم عظيم فكان كما عبر. وهو: أول من دون علم أصول الفقه ورزق السعادة التامة في علمه. قال أحمد بن حنبل: كان الشافعي كالشمس للنهار والعالمانية للناس وإني لأدعو له في أثر صلاتي: "اللهم اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي". قال في مدينة العلوم : وبالجملة هو عالم الدنيا وعالم الأرض شرقاً وغرباً جمع الله له من العلوم والمفاخر ما لم يجمع لإمام بعده، وفضائله أكثر من أن تحصى إلا الجملات. حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره. مات بمصر سنة 206. [أبجد العلوم - (3 / 123)]

وابن حنبل¹، ومن جرى مجرى هؤلاء إلى هلم جرا في حفظ الأحكام.

وطائفة أخرى² من علماء هذه الأمة، يحفظون عليها أحوال الرسول ﷺ، وأسرار علومه كعلمي، وابن عباس³، وسلمان، وأبي هريرة، وحذيفة، ومن التابعين كالحسن البصري⁴، ومالك بن دينار، وبنان الحمال، وأيوب السخيتاني، ومن نزل عنهم بالزمان كشييان الراعي، وفرح الأسود المعمر، والفضيل بن عياض⁵، وذو النون المصري، ومن نزل عنهم كالجنيد، والتستري، ومن جرى مجرى هؤلاء من السادة في حفظ الحال النبوي والعلم اللدني والسر الإلهي.

فأسرار حفظة الحكم، موقوفة في الكرسى عند القدمين، إذ لم يكن لهم حال نبوي يعطي سرا إلهيا ولا علما لدنيا. وأسرار حفاظ الحال النبوي والعلم اللدني، من علماء حفاظ الحكم وغيرهم، موقوفة عند العرش والعلماء، ولا موقوفة، ومنها ما لها مقام ومنها ما لا مقام لها، وذلك مقام لها تميز به، فإن ترك العلامة بين أصحاب العلامات علامة محققة، غير محكوم عليها بتقييد، وهي أسنى العلامات، ولا يكون ذلك إلا للممكن الكامل في الورث المحمدي.

وأما أقطاب الأم المكلين، في غير هذه الأمة ممن تقدمنا بالزمان، فجماعة ذكرت في أسأؤهم باللسان

1 الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي (164-241هـ) إمام أهل السنة بلا منافع وقلوة أهل الحديث بغير منازع. وله ببغداد، به عرف صحيح الحديث من ضعيفه والجروح من المغلل. رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة واليمن والشام والجزيرة وكتب عن علمائها، وسمع الحديث من شيوخ بغداد وسمع منه الشيخان الكبيران: البخاري ومسلم وأبو زرعة وأبو داود السجستاني وخلق كثير سؤاؤهم وفضائله كثيرة ومناقبه جمّة في الإسلام وآثاره مشهورة ومقاماته في الدين مذكورة وهو رابع المجتهدين المعول على قوله ورأيه وروايته. قال ابن راهويه: هو حجة بين الله وبين عباده في أرضه وكان يحفظ ألف ألف حديث وكانت مجالسته الأخيرة لا يذكر من أمر الدنيا شيئا ضرب تسعة وعشرين سوطا على إنكار خلق القرآن. قال أحمد بن محمد الكندي: رأيت في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي ربي وقال: يا أحمد ضريت في؟ قلت: نعم يا رب قال: هنا وجهي انظر إليه قد أجتكت النظر إليه. [العلوم - (3 / 124)]

2 ص 136

3 عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمي، أبو العباس الجبر البحر، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو الخلفاء. ولد في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له بالحكمة مرتين وقال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس! وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وعمر وعثمان، وعلي، وأبي العباس، وأبي ذر، وأبي سفيان، وطائفة من الصحابة، وقال مجاهد: ما رأيت أحنا قط مثل ابن عباس لقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة، وكان يسمى البحر لكثرة علومه. وعن عبيد الله بن عبد الله قال: كان ابن عباس قد فات الناس بمخالي: بعلم ما سبق، وفقه ما احتج إليه، وحلم ونسب ونائل، ولا رأيت أحنا أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بقضاء أبي بكر وعمرو وعثمان ولا أعلم بشعر منه. وتوفي سنة ثمان وستين للهجرة. [الوفاي بالوفيات - (5 / 404)]

4 الحسن البصري (21 - 110 هـ = 642 - 728 م) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكبه الربيع وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هدبا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج بن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إنني قد اتليت هنا الأمر فانظر لي أعوانا يعينوني عليه. فأجابته الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريد، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستمن بالله. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في فضائل مكة. توفي بالبصرة. [الأعلام للزركلي - (2 / 226)]

5 الفضيل بن عياض بن مسعود العمي البروعي أبو علي الزاهد أحد العباد. روى عن الأعمش ومنصور وجعفر الصادق وسليمان التيمي وحيد الطويل ويحيى الأنصاري وخلق. وعنه الشافعي والسفيانان وابن المبارك ويحيى القطان ويشر الحافى والسري السقطي وخلق. قال ابن سعد: كان ثقة نبيلًا فاضلاً عابداً ورعاً كبير الحديث. مات بمكة في أول سنة سبع وثمانين ومائة. [طبقات الحفاظ - (1 / 19)]

العربي، لَمَّا أشهدتهم ورأيتهم في حضرة برزخية، وأنا بمدينة قرطبة، في مشهد أقدس، فكان منهم: "المفروق" و"مداوي الكلوم" و"البكاء" و"المرتفع" و"الشفاء" و"المالحق" و"العاقب" و"المنحور" و"شجر الماء" و"عنصر الحياة" و"الشريد" و"الراجع" و"الصانع" و"الطيار" و"السالم" و"الخليفة" و"المقسوم" و"الحتي" و"الرامي" و"الواسع" و"البحر" و"الملصق" و"الهادي" و"المصلح" و"الباقى"، فهؤلاء المكملون الذين سُموا لنا من آدم عليه السلام إلى زمان محمد ﷺ.

وأما القطب الواحد، فهو روح محمد ﷺ، وهو المدِّ لجميع الأنبياء، والرسل سلام الله عليهم أجمعين- والأقطاب، من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة. قيل له ﷺ: «متى كنت نبياً؟» فقال ﷺ: «وآدم بين الماء والطين» وكان اسمه "مداوي الكلوم" فإنه بجراحات الهوى خبير. (بجراحات) الرأي والدنيا والشيطان والنفس، بكلِّ لسان نبوي، أو رسالي، أو لسان الولاية (أيضاً هو جدّ خبير). وكان له نظر إلى موضع ولادة جسمه بمكة، وإلى الشام، ثم صُرف الآن نظره إلى أرض كثيرة الحرِّ واليبس، لا يصل إليها أحد من بني آدم بجسده، إلا أنه قد رآها بعض الناس من مكة، في مكانه من غير ثقلة، زُوِّبَتْ له الأرض فرآها، وقد أخذنا نحن عنه علوماً جمّة بما أخذ مختلفة.

ولهذا² الروح المحمديّ مظاهر في العالم، أكمل مظهره في قطب الزمان وفي الأفراد، وفي ختم الولاية المحمديّ، وختم الولاية العامّة الذي هو عيسى عليه السلام، وهو المعبر عنه (في عنوان هذا الباب) بمسكنه. وسأذكر فيما بعد هذا الباب ابن شاء الله-، ما له، من كونه "مداوي الكلوم" من الأسرار، وما انتشر عنه من العلوم. ثم ظهر هذا السرّ بعد ظهور حال "مداوي الكلوم" في شخص آخر اسمه "المستسلم للقضاء والقدر"، ثم انتقل الحكم منه إلى "مظهر الحق"، ثم انتقل من "مظهر الحق" إلى "الهائج"، ثم انتقل من "الهائج" إلى شخص يستقى "واضع الحكم"، وأظنه "لقمان" والله أعلم، فإنه كان في زمان داود، وما أنا منه على يقين أنه لقمان، ثم انتقل من "واضع الحكم" إلى "الكاسب"، ثم انتقل من "الكاسب" إلى "جامع الحكم"، وما عرفت لمن انتقل الأمر من بعده، وسأذكر في هذا الكتاب- إذا جاءت أسماء هؤلاء، ما اختصوا به من العلوم، ونذكر لكل واحد منهم، مسألة ابن شاء الله-، ويجري ذلك على لساني، فما أدري ما يفعل الله بي، ويكتفي هذا القدر من هذا الباب ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

اتمى الجزء الثالث عشر.⁴

1 ص 136 ب

2 ص 137

3 [الأحزاب : 4]

4 في الهامش: "بلغ".

الجزء الرابع عشر¹
 بسم الله الرحمن الرحيم²
 الباب الخامس عشر
 في معرفة الأنفاس ومعرفة أقطابها
 المحققين بها وأسرارهم

عَالَمُ الْأَنْفَاسِ مِنْ نَفْسِي	وَهُمُ الْأَغْلَوْنَ فِي الْقُدُسِ
مُضْطَفَاهُمْ سَيِّدٌ لَسِنٍّ	وَخِيَهُ يَأْتِيهِ فِي الْجَرَسِ
قُلْتُ لِلْبَوَّابِ حِينَ رَأَى	مَا أَقَاسِيهِ مِنْ الْحَرَسِ
قَالَ مَا تَبَغَيْهِ يَا وَلَدِي؟	قُلْتُ قُرْبَ السَّيِّدِ النَّدِيسِ ³
مَنْ شَفِيعِي لِلْإِمَامِ عَسَى	خَطَرَةٌ مِنْهُ لِمُخْتَلِسِ
قَالَ مَا يُعْطِي عَوَارِفَهُ	لِفَنِّي غَيْرِ مُبْتَلِسِ

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ نَفْسَ الرَّحْمَنِ يَأْتِنِي مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ»⁴ قيل: كَأَنَّ الْأَنْفَاصَ نَفَسَ اللَّهِ بِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، مَا كَانَ فِيهِ مِنْ مَقَاسَاةِ الْكُفَّارِ الْمُشْرِكِينَ. وَالْأَنْفَاصُ رَوَاحُ الْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ. فَلَمَّا تَنَسَّمْتُ مَشَامُ الْعَارِفِينَ عَزَفَ هَذِهِ الْأَنْفَاصُ؛ تَوَفَّرَتْ الدَّوَاعِي مِنْهُمْ إِلَى طَلَبِ مُحَقِّقِ ثَابِتِ الْقَدَمِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، يُبْنِيهِمْ بِمَا فِي طَيِّ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْأَقْدَسِ⁵، وَمَا جَاءَتْ بِهِ هَذِهِ الْأَنْفَاصُ مِنَ الْعَزْفِ الْأَنْفَاصِ، مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْقُلُومِ، بَعْدَ الْبَحْثِ بِالْمَهْمِ وَالْتَعَرُّضِ لِنَفْحَاتِ الْكِرْمِ، عَزَفُوا بِشَخْصِ الْإِلَهِيِّ، عِنْدَهُ السَّرِّ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ، وَالْعِلْمَ الَّذِي يَرِيدُونَ تَحْصِيلَهُ، وَأَقَامَهُ الْحَقُّ فِيهِمْ قَطْبًا يَدُورُ عَلَيْهِ فُلُكُهُمْ، وَإِمَامًا يَقُومُ بِهِ مُلْكُهُمْ، يُقَالُ لَهُ: "مَدَاوِي الْكُلُومِ". فَانْتَشَرَ عَنْهُ فِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمِ وَالْأَسْرَارِ مَا لَا يَحْصُرُهَا كِتَابٌ.

وَأَوَّلُ سِرٍّ أُطَّلِعَ عَلَيْهِ؛ الدَّهْرُ الْأَوَّلُ، الَّذِي عَنْهُ تَكُونَتْ الدَّهُورُ، وَأَوَّلُ فِعْلٍ أُعْطِيَ، فِعْلٌ مَا تَهْتَضِيهِ رُوحَانِيَّةُ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، سَمَاءُ "كِيَوَانٍ". فَكَانَ يُصَيِّرُ الْحَدِيدَ فِضَّةً بِالتَّدْبِيرِ وَالصَّنْعَةِ، وَيَصَيِّرُ الْحَدِيدَ ذَهَبًا

1 العنوان ص 137 ب

2 البسملة ص 138

3 رجل تَنَشَّ وَتَدَشَّ وَتَدَشَّ أَي فَمَهَّمْ سَرِجَ السَّمْعِ فَطِنَ. وَقِيلَ: هُوَ الْعَالَمُ بِالْأُمُورِ وَالْأَخْبَارِ. [لسان العرب].

4 مسند الشاميين للطبراني 1053، كز العمال 33951

5 ص 138 ب

بالخاصية، وهو سرّ عجيب، ولم يطلب على هذا رغبة في المال، ولكن رغبة في حسن المال، ليقف من ذلك على رتبة الكمال، وأنه مكتسب في التكوين، فإنّ المرتبة الأولى؛ من عقد الأبخرة المعدية بالحركات الفلكية والحرارة الطبيعية، زنبقا وكبريتا. وكلُّ متكوّن في المعدن فإنه يطلب الغاية التي هو الكمال، وهو الذهب. لكن تطرأ عليه في المعدن عللٌ وأمراضٌ من يُبَسِّمُ مفرط أو رطوبة مفرطة، أو حرارة أو برودة تخرجه عن الاعتدال. فيؤثر فيه ذلك المرض صورة، تُسَمَّى الحديد¹ أو النحاس أو الأُسْرُب² أو غير ذلك من المعادن.

فأعطي هذا الحكيم معرفة العقاقير والأدوية، المزيلي استعمالها تلك العلة الطارئة، على شخصية هذا الطالب درجة الكمال من المعدنيات، وهي³ الذهب، فأزالها. فصَحَّ ومشى حتى لحق بدرجة الكمال. ولكن لا يقوى في الكمالية قوّة الصحيح الذي ما دخل جسمه مرض. فإنّ الجسد الذي يدخله المرض بعيد أن يتخلّص وينقَى الخلوص الذي لا يشوبه كدر، وهو الخلاص الأصلي، كبحي في الأنبياء وآدم عليهما السلام. ولم يكن الغرض إلاّ درجة الكمال الإنساني في العبودية. فإنّ الله خلقه في أحسن تقويم، ثمّ رده إلى (أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فأبقوا على الصّحة الأصليّة. وذلك أنّه في طبيعته اكتسب علل الأعراض، وأمراض الأغراض، فأراد هذا الحكيم أن يردّه إلى أحسن تقويم، التي خلقه الله عليه. فهذا كان قصد الشخص العاقل بمعرفة هذه الصنعة، المسماة بالكيمياء، وليست بسوى معرفة المقادير والأوزان.

فإنّ الإنسان لما خلقه الله وهو آدم أصل هذه النشأة الإنسانيّة والصورة الجسميّة الطبيعيّة العنصريّة - رَكَّبَ جسده من حارّ وبارد⁵ ورطب ويابس، بل من بارد يابس، وبارد رطب، وحارّ رطب، وحارّ يابس، وهي الأخلاط الأربعة: السوداء، والبلغم، والدم، والصفراء. كما هي في جسم العالم الكبير: النار، والهواء، والماء، والتراب. فخلق الله جسم⁶ آدم من طين، وهو مزج الماء بالتراب، ثمّ نفخ فيه نفسا وروحا. ولقد ورد في النبوة الأولى، في بعض الكتب المنزلة على أنبياء بني إسرائيل، ما أذكر نصّه الآن، فإنّ الحاجة مسّت إلى ذكره، فإنّ أصدق الأخبار ما روي عن الله تعالى:-

فروينا عن مسلمة بن وضّاح، مسندا إليه، وكان من أهل قرطبة، فقال: قال الله في بعض ما أنزله على نبيّ في بني إسرائيل: "إني خلقت -يعني آدم- من تراب وماء، ونفخت فيه نفسا وروحا، فسويته جسده من قِبَلِ التراب، ورطوبته من الماء، وحرارته من النفس، وبرودته من الروح. قال: ثمّ جعلت في

1 ص 139

2 الأُسْرُب: الرصاص.

3 ق: "وهو" وعلت فوقها بقلم الأصل.

4 [التين: 5، 6]

5 ص 139 ب

6 تابتة في الهامش بقلم الأصل.

الجسد بعد هذا أربعة أنواعٍ آخر، لا تقوم واحدةٍ منهم إلا بالأخرى، وهي: المرّتان والدم والبلغم، ثمّ أسكنتُ بعضهنّ في بعض، فجعلت مسكن اليبوسة في المرّة السوداء، ومسكن الحرارة في المرّة الصفراء، ومسكن الرطوبة في الدم، ومسكن البرودة في البلغم، ثمّ¹ قال جلّ ثناؤه: فأَيّ جسد اعتدلت فيه هذه الأخلاط كلت صحته واعتدلت بنيته، فإن زادت واحدةٍ منهم على الأخرى وقهرت، دخل الشّم على الجسد بقدر ما زادت، وإذا كانت ناقصة، ضعف عن مقاومتها، فدخل الشّم بغيرها، وضعفها عن مقاومتها، فعلم الطب أن يزيد في الناقص أو ينقص من الزائد طلب الاعتدال" في كلام طويل عن الله تعالى - ذكرناه في "الموعظة الحسنة".

فكان هذا الإمام، من أعلم الناس بهذا النشء الطبيعي، وما للعالم العلويّ فيه من الآثار المودعة في أنوار الكواكب، وسباحتها، وهو الأمر الذي أوحى الله في السماوات، وفي اقتراناتها وهبوطها وصعودها وأوجها وحضيضها، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾² وقال في الأرض: ﴿وَوَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾³. وكان لهذا الشخص فيما ذكرناه - مجال رحبّ وباع متسعّ وقدم راسخة. لكن ما تعدت قوته في النظر الفلّك السابع من باب النوق والحال. لكن حصل له ما في الفلّك المكوّكب والأطلس بالكشف والاطلاع، وكان الغالب عليه قلب الأعيان في زعمه. والأعيان لا تنقلب عندنا جملة واحدة. فكان هذا الشخص لا يبرح يسبح⁵ بروحانيته، من حيث رصده وفكره، مع المقابل في درجه ودقائه. وكان عنده من أسرار إحياء الموات عجائب، وكان بما خصه الله به أنه ما حلّ بموضع قد أجذب إلا أوجد الله فيه الحصب والبركة، كما روينا عن رسول الله ﷺ في خضر - ﷺ وقد سئل عن اسمه بخضر. فقال ﷺ: «ما قعد على فروة إلا اهتزت تحته خضراء»⁶.

وكان هذا الإمام له تلميذ كبير في المعرفة الذاتية وعلم القوّة، وكان يتلطف بأصحابه في التنبه عليه، ويستتر عن عامّة أصحابه ذلك، خوفاً عليه منهم. ولذلك سمي "مداوي الكلوم"، كما استكم يعقوب يوسف -عليهما السلام-، حذرا عليه من إخوته. وكان يشغل عامّة أصحابه بعلم التدبير، ومثل ذلك، مما يشاكل هذا الفنّ من تركيب الأرواح في الأجساد، وتحليل الأجساد وتأليفها، بخلع صورة عنها أو خلع صورة عليها،

1 ص 140

2 [فصلت : 12]

3 "في الأرض" ثابت في الهامش بخط الأصل.

4 [فصلت : 10]

5 ص 140 ب

6 الخضر: نبيّ مَعْتَرٍ محبوب عن الأبخار. ابن عباس: الخضر نبيّ من بني إسرائيل، وهو صاحب موسى، صلوات الله على نبينا وعليه، الذي التقى معه يتخفّع البخترن. ابن الأنباري: الخضر عبد صالح من عباد الله تعالى. أهل العربية: الخضر، بفتح الخاء وكسر الصاد؛ وروي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: جلس على لوزة بيضاء فإذا هي تهرت خضراء، وقيل: سمي بذلك لأنه كان إذا جلس في موضع قام وتحت روضة تهرت؛ وعن مجاهد: كان إذا صلى في موضع اخضر ما حوله، وقيل: ما تحتها، وقيل: سمي خضراً لحسنه وإشراق وجهه تشبيهاً بالنبات الأخضر الفص؛ قال: ويجوز في العربية الخضر، كما يقال كَبِدٌ وكَبِدٌ. قال الجوهرى: وهو أفصح. والفروة: الحبة التي تلبس. [لسان العرب]

ليقنوا من ذلك على صنعة الله العليم الحكيم. وعن هذا القطب خرج علم العالم، وكونه إنسانا كبيرا، وأن الإنسان مختصره في الجرئمة، مضاهيه في المعنى.

فأخبرني الروح الذي أخذتُ منه ما أودعته في هذا الكتاب، أنه جمع أصحابه يوما في دسكرة¹، وقام فيهم خطيباً²، وكانت عليه ممابة. فقال: "افهموا عني ما أرمزه لكم في مقامي هذا، وفكروا فيه واستخرجوا كثره، واتساع زمانه في أي عالم هو. وإني لكم ناصح، وما كل ما يُندرى يُداع، فإنه لكل علم أهل يختص بهم. وما يمكن الانفراد ولا يسع الوقت، فلا بد أن يكون في الجمع فطرٌ مختلفة، وأذهانٌ غير متلفة. فالمنقود من الجماعة واحد. إياه أقصد بكلامي، ويده مفتاح رمزي. ولكل مقام مقال. ولكل علم رجال. ولكل وارد حال. فافهموا عني ما أقول. وعوا ما تسمعون، فبنور النور أقسمتُ، وبروح الحياة، وحياء الروح آليث، إني عنكم لمنقلب من حيث جنث، وراجع إلى الأصل الذي عنه وجدتُ، فقد طال مكثي في هذه الظلمة، وضاق نفسي بترادف هذه الفتنة، وإني سألتُ الرحلةَ عنكم، وقد أذن لي في الرحيل، فاثبتوا على كلامي، فتعلقون ما أقول بعد انقضاء سنين سنيها وذكر عددها- فلا تبرحوا حتى آتيكم بعد هذه المدّة، وإن برحتم فلتسرعوا إلى هذا المجلس الكثرة (تلو الكثرة)، وإن لطف مغناه، وغلب على الحرف معناه، فالحقيقة الحقيقية، والطريقة الطريقة، فقد اشتركت الجنة والدنيا في اللبّين والبناء، وإن كانت الواحدة من طين وتين، والأخرى من عسجد وجين³". هذا ما كان من وصيته ليني⁴، وهذه مسألة عظيمة رمزها وراح، فمن عرفها استراح.

ولقد دخلتُ يوما بقرطبة على قاضيا أبي الوليد ابن رشد⁵، وكان يرغب في لقائي، لما سمع وبلغه ما

1 الشُّكْرَةُ: بناء كالتصريح حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي؛ والجمع التُّسَاكِرُ؛ قال الليث: يكون للملوك، وهو معزب. والمسكرة: بناء على هيئة القصر فيه منازل بيوت للخدم والحشم، وليست بعريّة محضة. والشُّكْرَةُ: الصُّوْتَةُ. [لسان العرب]

2 ص 141

3 المسجد واللجين: الذهب والفضة.

4 ص 141 ب

5 ابن رشد (520 - 595 هـ = 1126 - 1198 م) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ض الانلسي، أبو الوليد: الفيلسوف. من أهل قرطبة. يسميه الأفرنج (Averroes) عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة. وصف نحو خمسين كتابا، منها "فلسفة ابن رشد - ط" وتسميته حديثة وهو مشتمل بعض مصنفاته، و"التحصيل" في اختلاف مذاهب العلماء، و"الحيران" و"فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - ط" و"الضروري" في المنطق، و"مناهج الأدلة" في الأصول، و"المسائل - خ" في الحكمة، و"تهافت التهافت - ط" في الرد على الغزالي، و"بداية المجتهد ونهاية المقتصد - ط" في الفقه، و"جوامع كتب أرسطاطاليس - خ" في الطبيعيات والالهيّات، و"تلخيص كتب أرسطو - خ" و"علم ما بعد الطبيعة - ط" و"الكليات - ط" بالتصوير الشمسي، في الطب، ترجم إلى اللاتينية والإسبانية والعربية، و"شرح أرجوزة ابن سينا - خ" في الطب، في خزانة الترويين (الرقم 2786) جاس، و"تلخيص كتاب النفس - ط" ورسالة في "حركة الفلك".

وكان دمث الأخلاق، حسن الرأي. ولي قضاء قرطبة بعد أبي محمد بن مغيث (ت 576هـ)، عرف المنصور أبو يوسف (ت 595) قدره فأجله وقدمه عام 591هـ. واتهمه بعد ذلك خصومه بالزندقة والحاد، فأوغروا عليه صدر المنصور، فنفاه إلى مراكن، وأحرق بعض كتبه، ثم رضي عنه وأذن له بالعودة إلى وطنه أواخر 594هـ، فعاجلته الوفاة بمراكن، وهلت جسده إلى قرطبة. قال ابن الأبار: كان يفرغ إلى فتواه في الطب كما يفرغ إلى فتواه في الفقه. [أنظر: الأعلام للزركلي 318/5، الوافي بالوفيات 198/1، تاريخ الإسلام 63/9، عيون الأنباء 351/1]

فتح الله به عليّ في خلوتي، فكان يظهر التعجب مما سمع. فبعثني والدي إليه في حاجة، تصدًا منه حتى يجتمع بي؛ فإنه كان من أصدقائه. وأنا صبيّ ما بقل وجهي ولا طُرّ شاربي¹. فعندما دخلتُ عليه؛ قام من مكانه إليّ بحبّة وإعظاما، فعانقني وقال لي: نعم. قلت له: نعم. فزاد فرحه بي ليفهمي عنه. ثمّ إنّي استشعرت بما أفرحه من ذلك، فقلت له: لا. فانتبض، وتغيّر لونه وشكّ فيما عنده، وقال: كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الإلهي: هل هو ما أعطاه لنا النظر؟ قلت له: "نعم، لا. وبين نعم ولا تطير الأرواح من موادّها، والأعناق من أجسادها". فاصفرّ لونه، وأخذة الإفكل²، وقعد بحوقل، وعرف ما أشرتُ به إليه. وهو عين هذه المسألة، التي ذكرها هذا القطب الإمام، أعني "مداوي الكلوم".

وطلب بعد ذلك من أبي الاجتماع بنا ليعرض ما عنده علينا؛ هل يوافق أو يخالف، فإنه كان من أرباب الفكر والنظر العقلي. فشكر الله تعالى- الذي كان في زمانٍ رأى فيه مَنْ دخل خلوته جاهلا، وخرج مثل هذا الخروج، من غير درس ولا بحث ولا³ مطالعة ولا قراءة، وقال: "هذه حالة أثبتناها، وما رأينا لها أربابا. فالحمد لله الذي أنا في زمانٍ فيه واحد من أربابها، الفاتحين مغالقي أبوابها، والحمد لله الذي خصّني برويته".

ثمّ أردتُ الاجتماع به مرّة ثانية، فأقيم لي رحمه الله- في الواقعة، في صورةٍ ضربَ بيني وبينه فيها حجابٌ رقيقٌ، أنظرُ إليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني، وقد سُفل بنفسه عني. فقلت: "إنّه غير مراد لما نحن عليه". فما اجتمعت به حتى درج⁴. وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة مراكش، ونُقل إلى قرطبة، وبها قبره. ولَمّا جُمع التابوت الذي فيه جسده على الدابة، جُمِلت تواليفه تعادله من الجانب الآخر، وأنا واقفٌ ومعِي الفقيه الأديب أبو الحسين محمد بن جبير كاتب السيّد أبي سعيد- وصاحبي أبو الحكم عمرو بن السراج الناسخ، فالتفت أبو الحكم إلينا وقال: "ألا تنظرون إلى من يعادل الإمام ابن رشد في مركوبه؛ هذا الإمام وهذه أعماله"، يعني تواليفه. فقال له ابن جبير: "يا ولدي؛ نعم ما نظرت، لا فُض فوك". فقيدتها عندي موعظة وتذكرة. رحم الله جميعهم، وما بقي من تلك الجماعة غيري، وقلنا في ذلك:

هَذَا الْإِمَامُ وَهَذِهِ أَعْمَالُهُ يَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَتَتْ أَمَالُهُ

وكان⁵ هذا القطب؛ "مداوي الكلوم"، قد أظهر سيرَ حركة الفلك، وأنه لو كان على غير هذا الشكل الذي أوجده الله عليه، لم يصحّ أن يتكوّن شيء في الوجود الذي تحت حيطته، وتبيّن الحكمة الإلهية في ذلك، ليُري الألباب علّم الله في الأشياء، وأنه بكلّ شيء عليم، لا إله إلا هو العليم الحكيم. وفي معرفة

1 طُرّ الشارب: القص والحلق.

2 الإفكل: الرعدة.

3 ص 142

4 درج: مات.

5 ص 142 ب

الذات والصفات، علم ما أشار إليه هذا القطب، فلو تحرك غير المستدير لما عمّر الخلاء بحركته، وكانت أحياناً كثيرة تبقى في الخلاء، فكان لا يتكوّن عن تلك الحركة تمام أمر، وكان ينقص منه قدر ما نقص من عمارة تلك الأحياء بالحركة، وذلك بمشيئة الله تعالى - وحكمته الجارية في وضع الأسباب.

وأخبر هذا القطب، أنّ العالم موجود ما بين المحيط والنقطة، على مراتبهم وصغر أفلاكهم وعظمتها، وأنّ الأقرب إلى المحيط أوسع من الذي في جوفه؛ فيومه أكبر ومكانه أفسح ولسانه أفصح، وهو إلى التحقّق بالقوّة والصفاء أقرب. وما انحط إلى العناصر، نزل عن هذه الدرجة حتى إلى كرة الأرض. وكلّ جزء في كلّ محيط يقابل ما فوقه وما تحته بذاته، لا يزيد واحد على الآخر بشيء، وإن اتسع الواحد وضاق الآخر. وهذا من إيراد الكبير على الصغير، والواسع على الضيق، من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع، والكلّ ينظر إلى النقطة بنواتم. والنقطة مع صغرها تنظر إلى كلّ جزء من المحيط بها بذاتها، فالتحصّر (هو) المحيط، والاحتصر منه النقطة، وبالعكس فانظر.

ولمّا انحط الأمر إلى العناصر حتى انتهى إلى الأرض، كثر عكّره، مثل الماء في الجبّ، والزيت وكلّ مانع في الدنّ، ينزل إلى أسفله عكّره، ويصفو أعلاه. والمعنى في ذلك ما يجده عالم الطبيعة من الحجب المانعة، عن إدراك الأنوار؛ من العلوم والتجليات بكندورات الشهوات والشبهات الشرعية، وعدم الورع؛ في اللسان والنظر والسمع والمطعم والمشرب والملبس والمركب والمنكح، وكندورات الشهوات: بالانكباب عليها والاستفراغ فيها وإن كانت حلالاً. وإنما لم يمنع نيل الشهوات في الآخرة وهي أعظم من شهوات الدنيا - من التجلّي، لأنّ التجلّي هنالك على الأبصار، وليست الأبصار بمحلّ للشهوات، والتجلّي هنا في الدنيا، إنما هو على البصائر والبواطن دون الظواهر، والبواطن محلّ الشهوات. ولا يجمع التجلّي والشهوة في محلّ واحد، فلهذا جنح العارفون والزهاد في هذه الدنيا إلى التقليل من نيل شهواتها والشغل بكسب حطامها.

وهذا² الإمام هو الذي أعلم أصحابه، أنّ تمّ رجالاً سبعة، يقال لهم: "الأبدال"، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكلّ بدل إقليم، وإليهم تنظر روحانيات السماوات السبع، ولكلّ شخص منهم قوّة، من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات، وهم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم، سلام الله عليهم أجمعين -.

وأما يحيى فله تردّد بين عيسى وبين هارون. فينزل على قلوب هؤلاء الأبدال السبعة، من حقائق هؤلاء الأنبياء عليهم السلام. وتنتظر إليهم هذه الكواكب السبعة بما أودع الله تعالى - في سباحتها في أفلاكها، وبما أودع الله في حركات هذه السماوات السبع، من الأسرار والعلوم والآثار العلويّة والسفليّة،

قال تعالى:- ﴿وَأَوْخَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾¹ فلهم في قلوبهم في كل ساعة وفي كل يوم، بحسب ما يعطيه صاحب تلك الساعة، وسلطان ذلك اليوم.

- فكل أمر علمي يكون في يوم الأحد فمن مادة إدريس عليه السلام وكل أثر علوي يكون في ذلك اليوم في عنصر الهواء والنار فمن سباحة الشمس، ونظرها المودع من الله تعالى- فيها. وما يكون من أثر في عنصر الماء والتراب في ذلك اليوم، فمن حركة الفلك الرابع، وموضع هذا الشخص الذي يحفظه من الأقاليم، الإقليم الرابع.

فما يحصل لهذا الشخص الخصوص من الأبدال بهذا الإقليم من العلوم، علم أسرار الروحانيات، وعلم النور والضياء، وعلم البرق والشعاع، وعلم كل جسم مستنير، ولماذا استنار؟ وما المزاج الذي أعطاه هذا القبول؟ مثل الجباحب من الحيوان، وكأصول شجر التين من النبات، وكسجر المهى والياقوت، وبعض لحوم الحيوان، وعلم الكمال في المعدن والنبات والحيوان والإنسان والملك، وعلم الحركة المستقيمة حينما ظهرت في حيوان أو نبات، وعلم معالم التأسيس وأنفاس الأنوار، وعلم خلع الأرواح المدبّرات وإيضاح الأمور المبهمة، وحلّ المشكل من المسائل الغامضة، وعلم النغمات الفلكية والبولابية، وأصوات آلات الطرب من الأوتار وغيرها، وعلم المناسبة بينها وبين طبائع الحيوان، وما للنبات منها؟ وعلم ما إليه تنهي المعاني الروحانية والروائح العطرية، وما المزاج الذي عطرها؟ ولماذا (سوالى ماذا) ترجع؟ وكيف ينقلها الهواء إلى الإدراك الشئتي؟، وهل هو جوهر أو عرض؟ كل ذلك يناله ويعلمه، صاحب ذلك الإقليم في ذلك اليوم، وفي سائر الأيام في ساعات حكم حركة ذلك الفلك، وحكم ما فيه من الكواكب، وما فيه من روحانية النبي، هكذا إلى تمام دور الجمعة.

- وكل أمر علمي يكون³ في يوم الاثنين، فمن روحانية آدم عليه السلام، وكل أثر علوي في عنصر- الهواء والنار فمن سباحة القمر، وكل أثر سفلي في عنصر- الماء والتراب، فمن حركة فلك السماء الدنيا. ولهذا الشخص الإقليم السابع. فَمَا يحصل لهذا البدل من العلوم في نفسه في يوم الاثنين، وفي كل ساعة من ساعات أيام الجمعة، مما يكون لهذا الفلك حكم فيها: علم السعادة والشقاء، وعلم الأسماء وما لها من الخواص، وعلم المدّ والجزر، والربو والنقص.

- وكل أمر علمي يكون في يوم الثلاثاء؛ فمن روحانية هارون عليه السلام، وكل أثر علوي في عنصر- النار والهواء فمن روحانية الأحمر، وكل أثر سفلي في ركن الماء والتراب فمن حركة الفلك الخامس. ولهذا البدل من الأقاليم الإقليم الثالث، فَمَا يعطيه من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام: علم تدبير الملك

[صفت : 12]

ص 144

ص 144 ب

وسياسته، وعلم الجِمية والحماية، وترتيب الجيوش والقتال ومكاند الحروب، وعلم القرايين وذبح الحيوان، وعلم أسرار أيام النحر وسريانه في سائر البقاع، وعلم الهدى والضلال وتميُّز الشبهة من الدليل.

- وكلُّ أمر علميٍّ يكون في يوم الأربعاء؛ فمن روحانية عيسى عليه السلام وهو يوم النور، وكان له نظر إلينا في دخولنا في هذا الطريق التي نحن اليوم عليها. وكلُّ أثر في عنصر- النار¹ والهواء فمن روحانية سباحة الكاتب في فلكه، وكلُّ أثر سفليٍّ في ركن الماء والتراب فمن حركة فلَك السماء الثانية. وللبدل صاحب هذا اليوم الإقليم السادس. وما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام: علم الأوهام والإلهام والوحي والآراء والأقيسة والرؤيا والعبارة والاختراع الصناعي والعظُرْدَة وعلم الغلط الذي يعلق بعين النهم وعلم التعاليم وعلم الكتابة والآداب والزجر والكهانة والسحر والطلّسّمات والعزائم.

- وكلُّ أمر علميٍّ يكون في يوم الخميس؛ فمن روحانية موسى عليه السلام، وكلُّ أثر علويٍّ في ركن النار والهواء، فمن سباحة المشتري، وكلُّ أثر سفليٍّ في عنصر الماء والتراب فمن حركة فلكه، ولهذا البدل من الأقاليم الإقليم الثاني. وما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام؛ علم النبات والنواميس، وعلم أسباب الخير ومكارم الأخلاق، وعلم القريات، وعلم قبول الأعمال، وأين يُتَمَّهى بصاحبها؟.

- وكلُّ أمر علميٍّ يكون في يوم الجمعة؛ يكون لهذا الشخص الذي يحفظ الله به الإقليم الخامس، فمن روحانية يوسف عليه السلام، وكلُّ أثر علويٍّ يكون في ركن النار والهواء فمن نظر كوكب الزهرة، وكلُّ أثر سفليٍّ في ركن الماء والأرض فمن حركة فلَك الزهرة، وهو من الأمر الذي أوحى الله في كلِّ سماء. وهذه الآثار هي²: الأمر الإلهي الذي ينتزل بين السماء والأرض؛ وهو في كلِّ ما يتولّد بينها بين السماء بما ينزل منها، وبين الأرض بما تقبل من هذا النزول، كما يقبل رجم الأتني الماء من الرجل للتكوين، والهواء الرطب من الطير، قال تعالى:- ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾³ والقدرة ما لها تعلق إلا بالإيجاد، فعلمنا أن المقصود بهذا النزول، إنما هو التكوين. وما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام: علم التصوير من حضرة الجمال والأنس، وعلم الأحوال.

- وكلُّ أمر علميٍّ يكون في يوم السبت لهذا البدل الذي له حفظ الإقليم الأول؛ فمن روحانية إبراهيم الخليل عليه السلام، وما يكون فيه من أثر علويٍّ في ركن النار والهواء، فمن حركة كوكب كيوان⁴ في فلكه. وما كان من أثر في العالم السفلي ركن الأرض والماء- فمن حركة فلكه. يقول تعالي في الكواكب السيارة: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁵ وقال تعالي:- ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾¹ فخلقها للاهتداء بها. وما يحصل له من العلوم في

1 ص 145

2 ص 145 ب

3 [الطلاق : 12]

4 كيوان: زحل.

5 [الأنبياء : 33]

هذا اليوم وفي ساعاته من باقي الأيام ليلا ونهارا: علم الثبات والتمكين، وعلم اللوام والبقاء.

وأعلم هذا الإمام بمقامات هؤلاء الأبدال وهجيراتهم، وقال:

إِنَّ مَقَامَ الْأَوَّلِ وَهَجِيرَهُ: ﴿لَيْسَ كَثِيرُهُ شَيْءٌ﴾² وسبب ذلك كون الأوتية له، إذ³ لو تقدّم له مثل لما

صحّت له الأوتية، فذكره مناسب لمقامه.

ومقام الشخص الثاني في هجيره: ﴿لَتَفِدَّ الْبَخْرُ قَبْلَ أَنْ تَفِدَّ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾⁴ وهو مقام العلم الإلهي،

وتعلّقه لا ينتهي. وهو الثاني من الأوصاف، فإنّ أول الأوصاف الحياة ويليها العلم.

وهجير الشخص الثالث ومقامه: ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾⁵ وهي المرتبة الثالثة، فإنّ الآيات الأول

هي الأسماء الإلهية، والآيات الثواني في الآفاق، والآيات التي تلي الثواني في أنفسنا، قال تعالى: ﴿سَتَرْنَاهُمْ

آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾⁶ فلها اختص بهذا الهجير؛ الثالث من الأبدال.

ومقام الرابع في هجيره: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾⁷ وهو الركن الرابع من الأركان الذي يطلب المركز، عند

من يقول به، فليس لنقطة الأكرة (شيء) أقرب من الأرض، وتلك النقطة كانت سبب وجود المحيط، فهو

يطلب القرب من الله موجد الأشياء، ولا يحصل إلا بالتواضع، ولا أنزل في التواضع من الأرض، وهي

منابع العلوم وتفسر الأنهار، وكلّ ما ينزل من المعصرات فإنما هو من بخارات الرطوبات التي تصعد من

الأرض، فمنها تنفجر العيون والأنهار؛ ومنها تخرج البخارات إلى الجو فتستحيل ماء فتنزل غيثا، فلها

اختصّ الرابع، بالرابع من الأركان.

ومقام الخامس: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁸ ولا يسأل إلا المولود، فإنه في مقام

الطفولة من الطفل، وهو الندى، قال تعالى: ﴿أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾¹⁰ فلا يعلم

حتى يسأل، فالولد في المرتبة الخامسة لأنّ أمهاته أربعة، وهي الأركان، فكان هو العين الخامسة، فلها كان

السؤال هجير البديل الخامس من بين الأبدال.

وأما مقام السادس، فهجيره: ﴿أَفَوْضَلْ إِلَى اللَّهِ﴾¹¹ وهي المرتبة السادسة فكانت للسادس. وإنما

كانت السادسة لأنّه في المرتبة الخامسة - كما ذكرنا - يسأل، وقد كان لا يعلم؛ فعندما سأل علم، ولما علم

1 [النحل : 16]

2 [الشورى : 11]

3 ص 146

4 [الكهف : 109]

5 [الناربات : 21]

6 [فصلت : 53]

7 [النبا : 40]

8 ص 146 ب

9 [النحل : 43]

10 [النحل : 78]

11 [غار : 44]

تحقق بعلمه برئته، ففوّض أمره إليه، لأنّه علم أنّ أمره ليس بيده منه شيء، وأنّ الله يفعل ما يريد، فقال: قد علمت أنّ الله لَمَّا ملكني أمري وهو يفعل ما يريد، علمت أنّ التفويض في ذلك أرجح لي، فلنلك اتّخذ هجيرا.

ومقام السابع: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾¹ وذلك أنّ لها المرتبة السابعة، وكان أيضا تكوين آدم، المعبر عنه بالإنسان في الرتبة السابعة، فإنّه (صادر) عن عقل ثمّ نفس ثمّ هباء ثمّ فلك ثمّ فاعلين² (النار والهواء) ثمّ منفعلين³ (الأرض والماء)، فهذه ستّة، ثمّ تكوّن الإنسان، الذي هو آدم، في الرتبة السابعة. ولَمَّا كان وجود الإنسان في "السنبلة"⁴، ولها من الزمان في الولاية سبعة آلاف سنة، فوجد الإنسان في الرتبة السابعة من المدة. فما⁵ حمل الأمانة إلا من تحقّق بالسبعيّة، وكان هذا هو السابع من الأبدال، فلنلك اتّخذ هجيرا هذه الآية. فهذا قد بيّنا لك مراتب الأبدال.

وأخبرت أنّ هذا القطب، الذي هو "مداوي الكلوم"، كان في زمان حبسه في هيكله وولايته في العالم إذا وقف، وقف لوقفته سبعون قبيلة، كلّهم قد ظهرت فيهم المعارف الإليّية وأسرار الوجود، وكان أبدا لا يتعدّى كلامه السبعة، ومكث زمانا طويلا في أصحابه، وكان يعيّن في زمانه من أصحابه، شخصا فاضلا كان أقرب الناس إليه مجلسا كان اسمه "المستسلم"، فلَمَّا درج هذا الإمام، وليّ مقامه في القطبيّة "المستسلم"، وكان غالبُ علمه علمُ الزمان، وهو علمٌ شريف منه يعرف الأزل، ومنه ظهر قوله عليه السلام: «كان الله ولا شيء معه» وهذا علمٌ لا يعلمه إلا الأفراد من الرجال، وهو المعبر عنه بالدهر الأوّل ودهر الدهور. وعن هذا الأزل وُجد الزمان، وبه تسمّى الله بالدهر، وهو قوله عليه السلام: «لا تسبوا الدهر فإنّ الله هو الدهر» والحديث صحيح ثابت، ومن حصل له علمُ الدهر؛ لم يقف في شيء ينسبه إلى الحقّ، فإنّ له الاتّساع الأعظم.

من هذا العلم تعدّدت المقالات في الإله، ومنه⁶ اختلفت العقائد، وهذا العلم يقبلها كلّها ولا يردّها منها شيئا، وهو العلم العام، وهو الظرف الإلهي. وأسارره عجيبة، ما له عين موجودة. وهو في كلّ شيء حاكم، يقبل الحقّ نسبتته، ويقبل الكونُ نسبتته. هو سلطان الأسماء كلّها المعيّنة والمغيبية عتّا. فكان لهذا الإمام فيه اليد البيضاء، وكان له من علمه بدهر الدهور، علم حكمة الدنيا في لعبها بأهلها، ولم سمي لعبا، والله أوجده؟ وكثيرا ما ينسب اللعب إلى الزمان؛ فيقال: لعب الزمان بأهله. وهو متعلّق السابقة، وهو الحاكم في العاقبة. وكان هذا الإمام يذمّ الكسب ولا يقول به، مع معرفته بحكمته، ولكن كان يرقّي بذلك هم أصحابه

1 [الأحزاب : 72]

2 ق: فاعلان.

3 ق: منفعلان.

4 يقصد برج السنبلة أو العنبراء.

5 ص 147

6 ص 147 ب

عن التعلّق بالوسائط. أخبرت أنّه ما مات حتى علم من أسرار الحقّ في خلقه ستة وثلاثين ألف علم وخمسة عشر من العلوم العلوية خاصة.

ومات رحمه الله - وولي بعده شخص فاضل اسمه "مظهر الحقّ"، عاش مائة وخمسين سنة ومات. وولي بعده "الهاجج" وكان كبير الشأن، ظهر بالسيف، عاش مائة وأربعين سنة، مات مقتولا في غزاة، كان الغالب على حاله من الأسماء الإلهية "القهار". ولَمَّا قُتِل ولي بعده شخص يقال أنّه: "لقمان" - والله أعلم - وكان يلقب "واضع الحكم"، عاش مائة وعشرين سنة، كان عارفا بالترتيب والعلوم الرياضية والطبيعية والإلهية. وكان كثير الوصية لأصحابه. فإن كان (هذا الإمام) هو لقمان، فقد ذكر الله لنا ما كان يوصي به ابنه، مما يدلّ على رتبته في العلم بالله، وتحريضه على القصد والاعتدال في الأشياء في عموم الأحوال.

ولَمَّا مات رحمه الله -، وكان في زمان داود عليه السلام، ولي بعده شخص اسمه "الكاسب" وكانت له قدم راسخة في علم المناسبات بين العالمين، والمناسبة الإلهية التي وُجد لها العالم على هذه الصورة التي هو عليها. كان هذا الإمام إذا أراد إظهار أثر ما في الوجود، نظر في نفسه إلى المؤثر فيه من العالم العلوي، نظرة مخصوصة على وزن معلوم، فيظهر ذلك الأثر من غير مباشرة ولا جيلة طبيعية. وكان يقول: إنّ الله أودع العلم كلّ في الأفلاك، وجعل الإنسان مجموع رقائق العالم كلّ. فمن الإنسان إلى كلّ شيء في العالم رقيقة ممتدة، من تلك الرقيقة يكون من ذلك الشيء في الإنسان، ما أودع الله عند ذلك الشيء من الأمور التي أمّنه الله عليها ليؤدّيها إلى هذا الإنسان، وبذلك الرقيقة يحرك الإنسان العارف ذلك الشيء لما يريد، فما من شيء في العالم إلا وله أثر في الإنسان، وللإنسان أثر فيه. فكان لهذا؛ كشف هذه الرقائق ومعرفتها، وهي مثل أشعة النور.

عاش هذا الإمام ثمانين سنة، ولَمَّا مات ورثه شخص يسمّى: "جامع الحكم" عاش مائة وعشرين سنة، له كلام عظيم في أسرار الأبدال والشيخ والتلميذ، وكان يقول بالأسباب، وكان قد أعطي أسرار النبات. وكان له في كلّ علم يختص بأهل هذا الطريق قدم. وفيما ذكرناه في هذا الباب غنية، هو الله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل³.

1 ص 148

2 ص 148 ب

3 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش: "بلغ"، "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه. كتبه علي النشمي".

الباب السادس عشر

في معرفة المنازل السفلية والعلوم الكونية
ومبدأ معرفة الله منها، ومعرفة الأوتاد والأبدال،

ومن تولّاهم من الأرواح العلوية وترتيب أفلاكها

عِلْمُ الْكَتَائِبِ أَغْلَامٌ مُرْتَبَةٌ هِيَ اللَّيْلُ عَلَى الْمَطْلُوبِ لِتُرْسَلِ
وَهِيَ الَّتِي حَجَبَتْ أَسْرَارَ ذِي عَمَةٍ وَهِيَ الَّتِي كَشَفَتْ مَعَالِمَ السُّبُلِ
لَهَا مِنَ الْعَالَمِ الْقَلْبِيِّ سَبْعَةٌ مِنَ الْهَلَالِ وَخُذْ عَلْوًا إِلَى رُحْلِ
لَوْلَا الَّذِي أَوْجَدَ الْأَوْتَادَ أَرْبَعَةٌ رَسَى بِهَا الْأَرْضَ فَابْتَرَّتْ مِنَ الْمِيلِ
لَمَّا اسْتَقَرَّ عَلَيْهَا مَنْ يَكُونُ بِهَا فَأَعْجَبَ لَهُ مَثَلًا نَاهِيكَ مِنْ مَثَلِ

اعلم -أيديك الله- أننا قد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا منازل الأبدال ومقاماتهم، ومن تولّاهم من الأرواح العلوية وترتيب أفلاكها، وما للنيرات فيهم من الآثار، وما لهم من الأقاليم، فلنذكر في هذا الباب ما بقي مما ترجمت عليه.

المنازل السفلية هنا عبارة عن الجهات الأربع التي يأتي منها الشيطان إلى الإنسان، وسميناها سفلية لأن الشيطان من عالم السفلى، فلا يأتي إلى الإنسان إلا من المنازل التي تناسبه، وهي اليمين والشمال والخلف والأمام، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تِلْبَتُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾² ويستعين على الإنسان بالطبع، فإنه المساعد له فيما يدعو إليه من اتباع الشهوات، فأمر الإنسان أن يقاتله من هذه الجهات، وأن يحصن هذه الجهات بما أمره الشرع أن يحصنها به حتى لا يجد الشيطان إلى الدخول إليه منها سبيلا.

فإن جاءك من بين يديك وطردته، لاحظ لك من العلوم علوم النور، منة من الله عليك وجزاء، حيث أثرت جناب³ الله على هواك. وعلوم النور على قسمين: علوم كشف، وعلوم برهان بصحيح فكر، فيحصل له من طريق البرهان ما يردّ به الشبهة المضلة القادحة في وجود الحق وتوحيده وأسمائه وأفعاله. فبالبرهان يردّ على المعطلة، ويدلّ على إثبات وجود الإله، وبه يردّ على أهل الشرك ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾⁴ ويدلّ على توحيد الإله من كونه إلهًا، وبه يردّ على من ينفي أحكام الأسماء الإلهية وصحة

1 ص 149

2 [الأعراف : 17]

3 ص 149 ب

4 [الحجر : 96]

آثارها في الكون، ويدلّ على إثباتها بالبرهان السمعيّ من طريق الإطلاق، وبالبرهان العقليّ من طريق المعاني، وبه يرادّ على نفاة الأفعال من الفلاسفة، ويدلّ على آتة سبحانه- فاعل، وأنّ المفعولات مرادة له سمعا وعقلا. وأمّا علوم الكشف فهو ما يحصل له من المعارف الإلهيّة في التجليات في المظاهر.

وإن جاءك من خلفك؛ وهو ما يدعوك إليه أن تقول على الله ما لا تعلم، وتدعي النبوة والرسالة، وأنّ الله قد أوحى إليك. وذلك أنّ الشيطان إنّما ينظر في كلّ ملة كلّ صفة علّق الشارع المذمة عليها في تلك الأمة؛ فيأمرك بها، وكلّ صفة علّق الحمدة عليها؛ نهاك عنها. هذا على الإطلاق. والملك على النقيض¹ منه؛ يأمرك بالحمود منها وينهاك عن المذموم. فإذا طردته من² خلفك لاحت لك علوم الصدق ومنازله، وأين ينتهي بصاحبه، كما قال تعالى:- ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾³ ألا إنّ ذلك صدقهم هو الذي أقدم ذلك المقعد ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ فإنّ الاقتدار يناسب الصدق، فإنّ معناه: القويّ، يقال: "رمح صدق" أي صلب قويّ.

ولمّا كانت القوة صفة هذا الصادق، حيث قوي على نفسه فلم يتزيّن بما ليس له، والتزم الحقّ في أقواله وأحواله وأفعاله، وصدق فيها أقدمه الحقّ ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، أي أطلعه على القوة الإلهيّة التي أعطته القوة في صدقه الذي كان عليه، فإنّ الملك هو الشديد أيضا، فهو مناسب للـ"مقتدر"، قال قيس بن الخطيم⁴ يصف طعنة:

مَلَكْتُهَا كَفِّي فَأَنْهَزْتُ فَتَقَهَا يَزِي قَائِمٍ مِنْ نُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

أي شددت كفي بها، يقال: "ملكك العجين" إذا شددت عجنه. فيحصل لك إذا خالفته في هذا الأمر الذي جاءك به علم تعلق الاقتدار الإلهيّ بالإيجاد، وهي مسألة خلاف بين أهل الحقائق من أصحابنا، ويحصل لك علم العصمة والحفظ الإلهيّ حتى لا يؤثر فيك وهمك، ولا غيرك فتكون خالسا لرئك. وإن جاءك من جهة اليمين، فتويّت عليه ودفعته، فإنّه⁵ إذا جاءك من هذه الجهة الموصوفة بالقوة، فإنّه يأتي إليك ليضوّف إيمانك ويقينك، ويلقي عليك شها في أدلتك ومكاشفاتك، فإنّه له في كلّ كشف أمر يطلعك الحقّ عليه، أمر من عالم الخيال ينصبه لك، مشابها لحالك الذي أنت به في وقتك. فإن لم يكن

1 "على النقيض" مكتوبة بالهامش.

2 ص 150

3 [القدر: 55]

4 قيس بن الخطيم الأوسي (؟ - 2 ق. هـ / ؟ - 620 م) أبو يزيد. شاعر الأوس وأحد صانديها في الجاهلية. أول ما اشتهر به تنبيه قاتلي أبيه وجده حتى قتلها، وقال في ذلك شعرا. وله في وقعة بسات التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة. أدرك الإسلام وترث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه. والبيت من قصيدة مطلعها:

تَنَكَّرَ لَيْلَى حُسْنَهَا وَصَفَاتِهَا وَبَاتَتْ قَامِسَى مَا يَنَالُ لِقَائَهَا (الموسوعة الشعرية)

5 ص 150 ب

لك علم قويّ بما تُعيّز به بين الحقّ وما يخيّله لك، فتكون موسويّ المقام، وإلا التبس عليك الأمر، كما خيلت السحرة للعامة أنّ الجبال والعصيّ حيّات، ولم تكن كذلك.

وقد كان موسى عليه السلام لما ألقى عصاه فكانت روحاً تنسحق¹، خاف منها على نفسه على مجرى العادة، وإنما قدّم الله بين يديه معرفة هذا قبل جمع السحرة، ليكون على يقين من الله أنّها آية، وأنّها لا تضرّه، وكان خوفه الثاني عندما أَلقت السحرة الجبال والعصيّ، فصارت حيّات في أبصار الحاضرين، كان خوفه على الأمة، لئلاّ يلتبس عليهم الأمر فلا يفرّقون بين الخيال والحقيقة، أو بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله. فاختلقت تعلق الحوفين، فإنه عليه السلام على بينة من ربه، قويّ الجأش بما تقدّم له، إذ قيل له في الإلقاء الأول: وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى² أي ترجع عصا كما كانت في عينك، فأخفى تعالى- العصا⁴ في روحانيّة الحيّة البرزخيّة، فتلقفت جميع حيّات السحرة المتخيّلة في عيون الحاضرين، فلم يبق لتلك الجبال والعصيّ عينٌ ظاهرة في أعينهم، وهي ظهور حجّته على حجّتهم في صور جبال وعصيّ.

فأبصرت السحرة والناس، جبال السحرة وعصيّهم، التي ألقوها جبالاً وعصيّاً، فهذا كان تلقّفها، لا أنّها انعدمت الجبال والعصيّ، إذ لو انعدمت لدخل عليهم التلبيس في عصا موسى، وكانت الشبهة تدخل عليهم، فلما رأى الناس الجبال جبالاً، علموا أنّها مكيدة طبيعيّة، يعضدها قوّة كيديّة روحانيّة، فتلقفت عصا موسى صور الحيّات من الجبال والعصيّ كما يبطل كلام الخصم إذا كان على غير حقّ أن يكون حجّة، لا أنّ ما أتى به ينعدم؛ بل يبقى محفوظاً معقولاً عند السامعين، ويزل عندهم كونه حجّة. فلما علمت السحرة قدر ما جاء به موسى من قوّة الحجّة، وأنّه خارج عمّا جاؤوا به وتحققت شغوف ما جاء به على ما جاؤوا به، ورواؤ خوفه، علموا أنّ ذلك من عند الله، ولو كان من عنده، لم يخف لأنه يعلم ما يجري.

فآيئته عند السحرة خوفه، وآيئته⁵ عند الناس تلقّف عصاه، فأمنت السحرة. قيل: كانوا ثمانين ألف ساحر، وعلموا أنّ أعظم الآيات في هذا الوطن تلقّف هذه الصور من أعين الناظرين وإبقاء صورة حيّة عصا موسى في أعينهم والحال عندهم واحدة، فعلموا صدق موسى فيما يدعوهم إليه، وأنّ هذا الذي أتى به خارج عن الصور والحيل المعلومة في السحر، فهو أمرٌ إلهيّ ليس لموسى عليه السلام فيه تمعّل، فصدّقوا برسالته على بصيرة، واختاروا عذاب فرعون على عذاب الله، وآثروا الآخرة على الدنيا، وعلموا من عملهم

1 [طه : 20]

2 ص 151

3 [طه : 21]

4 ق: فأخى العصا تعالى.

5 ص 151 ب

بذلك ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾¹ وَأَنَّ الْحَقَائِقَ لَا تَبْدَلُ، وَأَنَّ عَصَا مُوسَى مَبْطُونَةٌ فِي صُورَةِ الْحَيَّةِ عَنِ أَعْيُنِ الْجَمِيعِ، وَعَنِ الَّذِي أَلْقَاهَا، بِخَوْفِهِ الَّذِي شَهِدُوا مِنْهُ؛ فَهَذِهِ فَائِدَةُ الْعِلْمِ.

وإِنْ جَاءَكَ الشَّيْطَانُ مِنْ جَهَّةِ الشَّمَالِ، بِشَبَهَاتِ التَّمْطِيلِ أَوْ وَجُودِ الشَّرِيكَ لِلَّهِ تَعَالَى - فِي الْوَهْمِ فَطَرَدْتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْوِيكَ عَلَى ذَلِكَ بِدَلَالِ التَّوْحِيدِ وَعِلْمِ النَّظَرِ. فَإِنَّ الْخَلْفَ لِلْمَعْطَلَةِ، وَدَفْعَهُمْ بِضَرُورَةِ الْعِلْمِ الَّذِي يُعَلِّمُ بِهِ وَجُودَ الْبَارِي. فَالْخَلْفُ لِلتَّمْطِيلِ، وَالشَّمَالُ لِلشَّرِكِ، وَالْيَمِينُ لِلضَّعْفِ، وَمَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمُ التَّشْكِيكَ فِي الْحَوَاسِّ.

ومن² هنا دخل التلبس على السوفسطائية، حيث أدخل (الشيطان) لم الغلط في الحواس، وهي التي يستند إليها أهل النظر في صحة أدلتهم، وإلى البدييات في العلم الإلهي وغيره، فلما أظهر لم الغلط في ذلك قالوا: ما تم علم أصلا يوثق به. فإن قيل لهم: فهذا علم، بأنه ما تم علم! فما مستندكم وأتم غير قائلين به؟ قالوا: وكذلك تقول، إن قولنا هذا ليس بعلم، وهو من جملة الأغالط. يقال لهم: فقد علمتم أن قولكم: هذا ليس بعلم، وقولكم: إن هذا، أيضا، من جملة الأغالط، إثبات ما نفيتموه. فأدخل عليهم الشبه فيما يستندون إليه في تركيب مقدماتهم في الأدلة، ويرجعون إليه فيها.

ولهذا عصمنا الله من ذلك؛ فلم يجعل للحس غلطا جملة واحدة، وأن الذي يدركه الحس حق، فإنه موصل ما هو حاكم، بل شاهد، وإنما العقل هو الحاكم، والغلط منسوب إلى الحاكم في الحكم. ومعلوم عند القائلين بغلط الحس، وغير القائلين به أن العقل يغلط إذا كان النظر فاسدا، أعنى نظر الفكر، فإن النظر ينقسم إلى صحيح وفساد، فهذا هو ﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾³.

ثم لتعلم أن الإنسان قد جعله الحق قسمين في ترتيب مدينة⁴ بدنه؛ وجعل القلب بين القسمين منه كالفاصل بين الشئيين؛ فجعل في القسم الأعلى الذي هو الرأس، جميع القوى الحسية والروحانية، وما جعل في النصف الآخر من القوى الحساسة إلا حاسة اللمس، فيدرك الخشن واللين، والحر والبارد، والرطب واليابس، بروحه الحساس، من حيث هذه القوة الخاصة السارية في جميع بدنه لا غير ذلك. وأما من القوى الطبيعية المتعلقة بتدبير البدن بالقوة الجاذبة، وبها تجذب النفس الحيوانية ما به صلاح العضو؛ من الكبد والقلب والقوة الماسكة، وبها تمسك ما جذبته الجاذبة على العضو، حتى يأخذ منه ما فيه منافعه. فإن قلت: فإذا كان المقصود المنفعة، فمن أين دخل المرض على الجسد؟ فاعلم أن المرض من الزيادة على ما يستحقه (ذلك العضو) من الغذاء، أو النقص مما يستحقه، فهذه القوة ما عندها ميزان

1 [الطلاق : 12]

2 ص 152

3 [الأعراف : 17]

4 ص 152ب

الاستحقاق، فإذا جذبت زائدا على ما يحتاج إليه البدن، أو نقصت عنه؛ كان المرض، فإنَّ حقيقتها الجذب، ما حقيقتها الميزان. فإذا أخذته على الوزن الصحيح؛ فذلك لها بحكم الاتحاق، ومن قوّة أخرى لا بحكم القصد. وذلك ليعلم المحدث نقصه "وَأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ".

وكذلك فيه، أيضا، القوّة الدافعة، وبها يعرق البدن. فإنَّ الطبيعة ما¹ هي دافعة بمقدار مخصوص لأنّها تجهل الميزان، وهي محكومة لأمر آخر من فضولٍ يطرأ في المزاج، تعطيه القوّة الشهوانية، وكذلك أيضا هذا كلّ سارٍ في جميع البدن علوا وسفلا. وأمّا سائر القوى فمحلّها النصف الأعلى، وهو النصف الأشرف محلّ وجود الحياتين: حياة الدم وحياة النفس. فأنيّ عضو مات من هذه الأعضاء؛ زالت عنه القوى التي كانت فيه من المشروط وجودها بوجود الحياة. وما لم يمت العضو، وطرأ على محلّ قوّة ما خلل، فإنَّ حكمها يفسد ويتخبّط ولا يعطي علما صحيحا، كمحلّ الخيال إذا طرأت فيه علة، فالخيال لا يبطل، وإنما يبطل قبول الصحة فيما يراه علما، وكذلك العقل، وكلّ قوّة روحانية.

وأما القوى الحسيّة فهي، أيضا، موجودة، لكن تطرأ حجب بينها وبين مدركاتها في العضو القائمة به؛ من ماء ينزل في العين وغير ذلك. وأما القوى ففي محلّها ما زالت ولا برحت، ولكنّ الحجب طرأ، فمنعت. فالأعمى يشاهد الحجاب ويراه، وهو الظلمة التي يجدها، فهي ظلمة الحجاب، فمشهده الحجاب. وكذلك ذائق العسل والسكر إذا وجده مُرّا، فالمباشر للعضو القائم به قوّة الذوق، إنما هو المِرّة الصفراء، فلذلك أدرك المرارة. فالجس² يقول: أدركت مرارة، والحاكم إن أخطأ يقول: هذا السكر مُرٌّ، وإن أصاب عرف العلة، فلم يحكم على السكر بالمرارة، وعرف ما أدركت القوّة وعرف أنّ الحسّ الذي هو الشاهد مصيب على كلّ حال، وأنّ القاضي يخطئ ويصيب.

* * *

فصل

(معرفة الحقّ)

وأما معرفة الحقّ من هذا المنزل؛ فاعلم أنّ الكون لا تعلق له بعلم الذات أصلا، وإنما متعلقه العلم بالمرتبة، وهو مستى الله. فهو (أي العلم بالمرتبة) اللبيل المحفوظ الأركان، الساذ على معرفة الإله، وما يجب أن يكون عليه سبحانه - من أسماء الأفعال ونعوت الجلال، وبآية حقيقة يصدر الكون من هذه الذات، المنعوتة بهذه المرتبة، الجهولة العين والكيف. وعندنا لا خلاف في أنّها (أي الذات) لا تعلم بل يُطلق عليها نعوت تنزيه صفات الحدث، وأنّ القدم لها، والأزل الذي يُطلق لوجودها إنما هي أسماء تدلّ

على سلوب؛ من نهي الأوثية وما يليق بالحدوث، وهذا يخالفنا فيه جماعة من المتكلمين الأشاعرة، ويتخيلون أنهم قد علموا من الحق صفة نفسية ثبوتية، وهيئات أتى لهم بذلك. وأخذت طائفة من شاهدينا من المتكلمين كأبي عبد الله الكتاني وأبي العباس الأشقر والضرير السلوي، صاحب الأرجوزة في علم الكلام، (أخذت) على أبي سعيد الخزاز وأبي حامد وأمثالهما في قولهم: "لا يعرف الله إلا الله". وإنما اختلف أصحابنا في رؤية الله تعالى، إذا رأيناه في الدار الآخرة بالأبصار، ما الذي نرى؟ وكلامهم فيه معلوم عند أصحابنا، وقد أوردنا تحقيق ذلك في هذا الكتاب، مفردًا في أبواب منازلها وغيرها، بطريق الإيماء لا بالصرح، فإنه مجال ضيق، تقف العقول فيه لمناقضته أدلتها، فهو المرقى سبحانه - على الوجه الذي قاله وقاله رسول الله ﷺ وعلى ما أراده من ذلك. فإن الناظرين فيما قاله وأوحى به إلينا اختلفوا في تأويله، وليس بعض الوجوه بأولى من بعض. فتركنا الخوض في ذلك، إذ الخلاف فيه لا يرتفع من العالم بكلامنا، ولا بما نورد فيه.

فصل

(حديث الأوتاد)

وأما حديث الأوتاد؛ الذي يتعلق من معرفتهم بهذا الباب. فاعلم أن الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم؛ أربعة لا خامس لهم، وهم أخص من الأبدال، والإمامان أخص منهم، والقطب هو أخص الجماعة. والأبدال في هذا الطريق لفظًا مشترك، يطلقون الأبدال على من تبدلت أوصافه المذمومة بالحمودة، ويطلقونه على عدد خاص، وهم أربعون عند بعضهم لصفة يجتمعون فيها، ومنهم² من قال: عددهم سبعة، والذين قالوا: سبعة؛ متى من جعل السبعة الأبدال خارجين عن الأوتاد، متميزين، ومتى من قال: إن الأوتاد الأربعة من الأبدال، فالأبدال سبعة، ومن هذه السبعة أربعة هم الأوتاد، واثنان هما الإمامان، وواحد هو القطب؛ وهذه الجملة هم الأبدال. وقالوا: سُموا أبدالًا لكونهم إذا مات واحد منهم كان الآخر بدله، ويؤخذ من الأربعين واحد، وتكمل الأربعون بواحد من الثلاثمائة، وتكمل الثلاثمائة بواحد من صالح المؤمنين. وقيل: سُموا أبدالًا لأنهم أعطوا من القوة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون، لأمر يقوم في نفوسهم على علم منهم، فإن لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام؛ فقد يكون من صلحاء الأمة وقد يكون من الأفراد.

وهؤلاء الأوتاد الأربعة لهم مثل ما للأبدال الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا: روحانية إلهية وروحانية

1 ص 154

2 ص 154 ب

إبته. فمنهم من هو على قلب آدم، والآخر على قلب إبراهيم، والآخر على قلب عيسى، والآخر على قلب محمد عليهم السلام. فمنهم من ثمّده روحانيّة إسرافيل، وآخر (تمّده) روحانيّة ميكائيل، وآخر (تمّده) روحانيّة جبريل، وآخر (تمّده) روحانيّة عزرائيل. ولكلّ وتدّ ركن من أركان البيت. فالذي على قلب آدم ^{عليه السلام} له الركن الشمالي، والذي على ^{عليه السلام} قلب إبراهيم ^(عليه السلام) له الركن العراقي، والذي على قلب عيسى ^(عليه السلام) له الركن الباني، والذي على قلب محمد ^(عليه السلام) له ركن الحجر الأسود، وهو لنا بحمد الله.

وكان بعض الأركان في زماننا، لربيع بن محمود الماردينيّ الحطّاب، فلما مات خلفه شخص آخر. وكان الشيخ أبو علي الهواريّ قد أطلعه الله عليهم في كشفه قبل أن يعرفهم، وتحقّق صورهم، فما مات حتى أبصر منهم ثلاثة في عالم الحسّ؛ أبصر ربيعا الماردينيّ وأبصر الآخر وهو رجل فارسيّ وأبصرنا ولازمنا إلى أن مات سنة سبع وتسعين وخمسائة، أخبرني بذلك وقال لي: ما أبصرت الرابع وهو رجل حبشيّ.

واعلم أنّ هؤلاء الأوتاد يحوون على علوم جمّة كثيرة؛ فالذي لا بدّ لم من العلم به، وبه يكونون أوتادا فما زاد من العلوم، فمنهم من له خمسة عشر علما، ومنهم من له ولا بدّ ثمانية عشر علما، ومنهم من له أحد وعشرون علما، ومنهم من له أربعة وعشرون علما. فإنّ أصناف العدد كثيرة. هذا العدد؛ من أصناف العلوم، لكلّ واحد منهم لا بدّ له منه. وقد يكون الواحد أو كلّهم يجمع أو يجمعون علم الجماعة وزيادة، ولكنّ الخاص لكلّ² واحد منهم ما ذكرنا من العدد، فهو شرط فيه وقد لا يكون له ولا لواحد منهم علم زائد؛ لا من الذي عند أصحابه ولا مما ليس عندهم. فمنهم من له الوجه وهو قوله تعالى- عن إبليس: ﴿لَئِنَّمْ لَأَيُّنَّهْم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ³﴾ ولكلّ جمّة وتدّ يشفع يوم القيامة فمن دخل عليه إبليس من جمته.

فالذي له الوجه له من العلوم: علم الاصطلام والوجد والشوق والعشق وغامضات المسائل، وعلم النظر، وعلم الرياضة، وعلم الطبيعة، والعلم الإلهي، وعلم الميزان، وعلم الأنوار، وعلم السبحات الوجّهية، وعلم المشاهدة، وعلم الفناء، وعلم تسخير الأرواح، وعلم استنزال الروحانيّات العلى، وعلم الحركة، وعلم إبليس، وعلم المجاهدة، وعلم الحشر، وعلم النشر، وعلم موازين الأعمال، وعلم جهمّ، وعلم الصراط.

والذي له الشمال له: علم الأسرار، وعلم الغيوب، وعلم الكنوز، وعلم النبات، وعلم المعدن، وعلم الحيوان، وعلم خفيّات الأمور، وعلم المياه، وعلم التكوين، وعلم التلوين، وعلم الرسوخ، وعلم الثبات، وعلم المقام، وعلم القدم، وعلم الفصول الموقّمة، وعلم الأعيان، وعلم السكون، وعلم الدنيا، وعلم الجنّة، وعلم الخلود، وعلم التقلّبات.

والذي له الميم له: علم البرازخ، وعلم الأرواح البرزخية، وعلم منطلق الطير، وعلم لسان الرياح، وعلم التنزل، وعلم الاستحالات، وعلم الزجر، وعلم مشاهدة الذات، وعلم تحريك النفوس، وعلم الميل، وعلم المعراج، وعلم الرسالة، وعلم الكلام، وعلم الأنفاس، وعلم الأحوال، وعلم السماع، وعلم الحيرة، وعلم الهوى. والذي له الخلف له: علم الحياة، وعلم الأحوال المتعلقة بالعقائد، وعلم النفس، وعلم التجلي، وعلم الميّنات، وعلم النكاح، وعلم الرحمة، وعلم التعاطف، وعلم التوؤد، وعلم¹ الذوق، وعلم الشرب، وعلم الرّي، وعلم جواهر القرآن، وعلم درر الفرقان، وعلم النفس الأمّارة.

فكل شخص كما ذكرنا لا بدّ له من هذه العلوم فما زاد على ذلك فذلك من الاختصاص الإلهي. فهذا قد بيّنا مراتب الأوتاد، وكنا في الباب الذي قبله، بيّنا ما يختص به الأبدال وبيّنا في فصل المنازل من هذا الكتاب ما يختص به القطب والإمامان مستوفى الأصول في باب يخصه، وهو السبعون ومائتان من أبواب هذا الكتاب ﴿وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾². انتهت الجملة الثانية من الفتوحات المكية بانتهاء الباب السادس عشر، يتلوه الباب السابع عشر: في معرفة انتقال العلوم الكونية ونبد من العلوم الإلهية الممدّة الأصليّة:

عُلُومُ الْكَوْنِ تَنْقَلُ انْقِلَابًا وَعِلْمُ الْوَجْهِ لَا يَرْجُو زَوَالًا

والحمد لله وحده.

1 ص 156 ب

2 [الأحزاب: 4]. وفي الهامش: "انتهت القراءة والسماع على سيدنا رضي الله عنه". "وتلا ذلك بخط آخر الإشارة إلى السماع التالي: السماع الأول: قرأت وأنا محمود بن عبد الله بن أحمد الرنجاني جميع هذا الجلد من أوله إلى آخره على مؤلفه الشيخ الإمام العلامة محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي أئد الله بركته وأعلى درجته- في مجالس آخرها يوم السبت عاشر رمضان المبارك سنة ست وثلاثين وسبعمائة في منزلة بدمشق.... وصلّى الله على سيدنا محمد وآله". ثم يلي هذا السماع صديق على صحة ما ذكر بقلم الشيخ الأكبر نفسه: "صح ما ذكره أئمه الله من هذه القراءة عليّ. وكتب منشيّه محمد بن علي بن محمد بن العربي في التاريخ".

ثم يلي في الورقة ص 157 السماعان التاليان:

السماع الأول: "سمع جميع هذه الجملة وتشمل على ستة أجزاء على مصنفها الشيخ الإمام العالم العارف المحقق محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي الأئمة أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأربلي وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي الحجاب، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز الصغار، وأبو بكر بن سليمان بن علي الحموي الواعظ، وأبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد- ابنا المصنف- وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعلي بن محمود بن أبي الرجا- الحضيان- وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، ويعقوب بن معاذ بن عبد الرحمن الوربي، ومحمد بن برتقش المعظمي، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي (الأخلاطي)، وأحمد بن أبي الهيجاء، ومحمد بن علي بن محمد- الدمشقيان-، ويعسى بن إسحق الهندي، ويونس بن عثمان بن أبي القاسم الدمشقي، وعبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي الواعظ- أبوه-، ويحيى بن إسماعيل بن محمد اللطفي، وأبو القاسم بن أبي الفتح بن إبراهيم الدمشقي، وكتب السماع لإبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي- وذلك في مجالس آخرها تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة بمنزل المصنف بدمشق، والحمد لله وحده، وصلاته على محمد وآله وصحبه وسلامه".

السماع الثاني: وهو بخط المصنف: "أقول وأنا محمد بن علي بن محمد بن العربي: قرأت عليّ البنت الموقفة أم دلال بنت شيخنا الزكي أحمد بن مسعود بن شداد المقرئ الموصلي، وأذنت لها أن تحثّ بما عني، وجميع الكتاب كله، وهو الثاني من الفتوح المكي، تجزئة سبع وثلاثين مجلدا. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله وصلّى الله على محمد وآله أجمعين".

يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1767

الفهارس

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
البقرة	2	121	51ب	الفاتحة	1	1	37
البقرة	2	163	127	الفاتحة	1	2	58
البقرة	2	187	83ب	الفاتحة	1	2	59ب
البقرة	2	209	5ب	الفاتحة	1	3	58
البقرة	2	228	83	الفاتحة	1	3	59ب
البقرة	2	231	82ب	الفاتحة	1	4	58
البقرة	2	235	107	الفاتحة	1	4	63
البقرة	2	282	13	الفاتحة	1	5	58
البقرة	2	7، 6	65ب	الفاتحة	1	5	58
البقرة	2	10 - 8	67	الفاتحة	1	5	64
البقرة	2	12، 11	68	الفاتحة	1	5	64ب
آل عمران	3	6	5ب	الفاتحة	1	6	65
آل عمران	3	6	84	الفاتحة	1	7	59ب
آل عمران	3	6	86ب	الفاتحة	1	7	65
آل عمران	3	28	71ب	الفاتحة	1	3، 2	60ب
آل عمران	3	28	86	الفاتحة	1	7، 6	58
آل عمران	3	43	4	الفاتحة	1	7، 6	64ب
آل عمران	3	54	29	البقرة	2	8	68
آل عمران	3	59	81ب	البقرة	2	13	68ب
آل عمران	3	59	84	البقرة	2	14	68ب
آل عمران	3	59	106ب	البقرة	2	15	29
آل عمران	3	175	127ب	البقرة	2	15	69
آل عمران	3	97، 96	33	البقرة	2	20	86
النساء	4	76	101	البقرة	2	20	94
النساء	4	78	62	البقرة	2	29	30ب
النساء	4	80	40ب	البقرة	2	31	52ب
النساء	4	126	43ب	البقرة	2	75	124

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
التوبة	9	67	29
التوبة	9	73	123ب
التوبة	9	79	29
التوبة	9	128	52ب
يونس	10	5	77
يونس	10	24	85ب
هود	11	7	101
هود	11	17	109
هود	11	41	39
هود	11	70	100
يوسف	12	28	101
يوسف	12	56	88
يوسف	12	108	135
الرعد	13	15	108ب
الرعد	13	39	57
الحجر	15	9	124
الحجر	15	26	81ب
الحجر	15	29	3
الحجر	15	29	81
الحجر	15	96	149ب
النحل	16	16	145ب
النحل	16	36	52
النحل	16	40	78
النحل	16	40	111ب
النحل	16	43	146ب
النحل	16	60	43ب
النحل	16	78	146ب
النحل	16	123	104ب
الإسراء	17	12	77

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
النساء	4	171	4ب
المائدة	5	60	28
الأنعام	6	59	79
الأنعام	6	59	119ب
الأنعام	6	82	105
الأنعام	6	90	104ب
الأنعام	6	96	77
الأنعام	6	96	80ب
الأنعام	6	149	25
الأعراف	7	12	97
الأعراف	7	12	101ب
الأعراف	7	17	149
الأعراف	7	17	152
الأعراف	7	17	155ب
الأعراف	7	54	30ب
الأعراف	7	54	114ب
الأعراف	7	54	115
الأعراف	7	145	56ب
الأعراف	7	146	40ب
الأعراف	7	172	38ب
الأعراف	7	172	67
الأعراف	7	172	85ب
الأعراف	7	184	85ب
الأعراف	7	189	83ب
الأعراف	7	189	115
الأطفال	8	29	13
الأطفال	8	37	74ب
التوبة	9	40	55ب
التوبة	9	67	28ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الحج	22	61	115ب
المؤمنون	23	1	7ب
المؤمنون	23	14	82
المؤمنون	23	14	83ب
النور	24	35	73
النور	24	35	130ب
الفرقان	25	45	44
الفرقان	25	60	52
الشمراء	26	62	56
الجم	27	87	5
الروم	30	47	9ب
لقمان	31	13	105ب
لقمان	31	14	117ب
لقمان	31	14	117ب
السجدة	32	8	96ب
الأحزاب	33	4	26ب
الأحزاب	33	4	30
الأحزاب	33	4	37
الأحزاب	33	4	58ب
الأحزاب	33	4	65ب
الأحزاب	33	4	76
الأحزاب	33	4	112ب
الأحزاب	33	4	119ب
الأحزاب	33	4	129
الأحزاب	33	4	133
الأحزاب	33	4	137
الأحزاب	33	4	148ب
الأحزاب	33	4	156ب
الأحزاب	33	26	67ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الإسراء	17	20	62
الإسراء	17	23	127ب
الإسراء	17	44	101
الإسراء	17	44	128
الإسراء	17	85	51ب
الإسراء	17	110	52ب
الإسراء	17	110	52ب
الكهف	18	50	102
الكهف	18	65	13
الكهف	18	109	146
مريم	19	15	118ب
مريم	19	15	118ب
مريم	19	17	84
مريم	19	64	79ب
طه	20	5	11ب
طه	20	20	150ب
طه	20	21	150ب
طه	20	88	133
طه	20	110	86
طه	20	114	13
طه	20	114	32
الأنبياء	21	8	100
الأنبياء	21	20	87
الأنبياء	21	33	145ب
الأنبياء	21	47	126ب
الأنبياء	21	65	69ب
الأنبياء	21	67	127ب
الحج	22	6	82ب
الحج	22	47	76ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
فصلت	41	11	73ب
فصلت	41	11	80
فصلت	41	11	96ب
فصلت	41	12	80
فصلت	41	12	80ب
فصلت	41	12	96ب
فصلت	41	12	126
فصلت	41	12	131ب
فصلت	41	12	140
فصلت	41	12	143ب
فصلت	41	53	146
الشورى	42	11	12
الشورى	42	11	20ب
الشورى	42	11	22
الشورى	42	11	24ب
الشورى	42	11	24ب ا
الشورى	42	11	57
الشورى	42	11	71ب
الشورى	42	11	145ب
الشورى	42	13	104ب
الشورى	42	51	39ب
الدخان	44	4	56
الدخان	44	4	63
الجاثية	45	13	72ب
محمد	47	19	20ب
محمد	47	31	19ب
الحجرات	49	13	82ب
الناربات	51	21	146
الناربات	51	56	73ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الأحزاب	33	40	11ب
الأحزاب	33	43	123ب
الأحزاب	33	72	73ب
الأحزاب	33	72	146ب
فاطر	35	15	19
يس	36	37	115ب
يس	36	38	116
يس	36	39	116
يس	36	40	116
يس	36	59	132ب
يس	36	82	68ب
الصفافات	37	180	22
ص	38	34	100
ص	38	71	81
ص	38	75	78
ص	38	75	81
ص	38	85	102
الزمر	39	3	52ب
الزمر	39	67	26ب
الزمر	39	67	26ب
الزمر	39	68	5
الزمر	39	69	45
الزمر	39	73	41
الزمر	39	75	131
غافر	40	44	146ب
غافر	40	57	85
فصلت	41	5	17
فصلت	41	10	80ب
فصلت	41	10	140

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الطلاق	65	12	ب116
الطلاق	65	12	ب116
الطلاق	65	12	ب145
الطلاق	65	12	ب151
التحریم	66	6	78
التحریم	66	6	ب79
التحریم	66	12	ب4
الملك	67	16	ب11
القلم	68	4	ب127
الحاقة	69	16	ب84
الحاقة	69	17	ب129
الحاقة	69	17	133
المعارج	70	4	ب76
المعارج	70	23	ب42
المعارج	70	33	ب42
النبا	78	37	ب50
النبا	78	40	146
البروج	85	1	78
الأعلى	87	1	ب39
الفجر	89	4	55
الشمس	91	7	62
الشمس	91	8	26
الشمس	91	8	62
الضحى	93	4	80
التين	95	6، 5	139
العلق	96	1	39
العاديات	100	9	67

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
النجم	53	9	32
النجم	53	9	66
النجم	53	9، 8	ب10
القمر	54	55	150
الرحمن	55	7	ب126
الرحمن	55	9	ب126
الرحمن	55	13	ب97
الرحمن	55	14	ب81
الرحمن	55	15	96
الرحمن	55	29	ب115
الرحمن	55	78	40
الرحمن	55	20، 19	90
الواقعة	56	6	ب77
الحديد	57	3	108
الحديد	57	4	ب11
الحديد	57	7	ب51
الحديد	57	13	45
الحديد	57	25	108
المجادلة	58	7	ب11
المجادلة	58	7	ب54
المجادلة	58	7	ب54
المجادلة	58	7	ب54
المجادلة	58	7	ب54
الحشر	59	22	ب43
الصف	61	14	55
الطلاق	65	12	ب43
الطلاق	65	12	ب116

فهرس الأحاديث النبوية

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
126	صحيح مسلم 812، مسند أحمد 8969	أعطيت بيتاً لم يُغظهنّ نبيّ قبلي
52	صحيح مسلم 751، سنن النسائي 169	أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك
63	صحيح البخاري 4343، صحيح مسلم 286	أمّتي
40	صحيح البخاري 6021، صحيح ابن حبان 348	إنّ الحقّ يد العبد ورجله ولسانه وسمعه وبصره
122	صحيح البخاري 2958، وصحيح مسلم 3177	إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله
17	شعب الإيمان للبيهقي 1958، مسند الشهاب القضاي 1090	إنّ القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، إنّ جلاءها؛ ذكّر الله وتلاوة القرآن
24ب	تفسير الألوسي - (5) / تفسير حقي - (8) / (75)	إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أتم
101ب	صحيح مسلم 5034، سنن الترمذي 1092	إنّ الله أعانه عليه فأسلم
99	سنن أبي داود 35، مسند الشاميين للطبراني 846	إنّ الله جاعل لهم فيها رزقا
49، 47	بغية الحارث 875، المعجم الكبير للطبراني 13404	إنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن
48ب، 107، 82	صحيح مسلم 4731، مسند أحمد 7021	إنّ الله خلق آدم على صورته

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
95ب	صحيح مسلم 5314، مسند أحمد 24038	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ، وَخَلَقَ اللَّهَ الْجِبْنَ مِنْ نَارٍ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِمَّا قِيلَ
28ب	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 727، مسند أحمد 7720	إِنَّ اللَّهَ يَتَبَشَّشُ لِلرَّجُلِ يَوطِئُ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ
107ب		إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لَوْلَاكَ يَا مُحَمَّدُ - مَا خَلَقْتُ سَمَاءَ وَلَا أَرْضًا وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارًا
128	سنن أبي داود 432، وسنن النسائي 641	إِنَّ الْمُؤَدَّنَ يَشْهَدُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ مِنْ رَطْبٍ وَيَابَسٍ
101	مسند أحمد 11805، تفسير ابن أبي حاتم 12936	إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبِّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ - هَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَشَدَّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ الْمَاءُ. فَجَعَلَ الْمَاءُ أَقْوَى مِنَ النَّارِ « يَا رَبِّ؛ فَهَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَشَدَّ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْهَوَاءُ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا رَبِّ؛ فَهَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَشَدَّ مِنَ الْهَوَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ابْنُ آدَمَ
112ب	مسند أحمد 21647، سنن أبي داود 4078	إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّوْحَ وَقَالَ لِلْقَلَمِ: اكْتُبْ. قَالَ الْقَلَمُ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ اللَّهُ لَهُ: اكْتُبْ وَأَنَا أَمْلِي عَلَيْكَ. فَحَطَّ الْقَلَمُ فِي اللَّوْحِ مَا يَمْلِي عَلَيْهِ الْحَقُّ، وَهُوَ عِلْمُهُ فِي خَلْقِهِ الَّذِي يَخْلُقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
125ب	صحيح مسلم 131، مسند أحمد 3600	إِنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي أَحَبُّ إِنْ يَكُونُ نَعْلِي حَسَنًا، وَثَوْبِي حَسَنًا" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ
53ب		إِنْ صَلَحَتْ أُمَّتِي فَلَهَا يَوْمٌ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَلَهَا نِصْفُ يَوْمٍ

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
30	مسند أحمد 10510، صحيح ابن حبان 7610	إنّ ضرس الكافر في النار مثل أحد، وكثافة جلده أربعون ذراعا بذراع الجبار
ب135		إنّ علماء هذه الأمة أنبياء بني إسرائيل
103	صحيح البخاري 4343، صحيح مسلم 287	أنا سيّد الناس يوم القيامة
103	سنن الترمذي 3073، مسند أحمد 2415	أنا سيّد ولد آدم ولا فخر
ب123	تفسير اطفيش (9 / 456)	أتم أعلم بمصالح دنياكم
ب84	تخريج أحاديث الإحياء 191	إنّه أول ما خلق الله العقل
99	سنن الترمذي 18، مسند أحمد 3935	إنّها زاد إخوانكم من الجنّ
ب97	سنن الترمذي 3213، دلائل النبوة للبيهقي 532	إني تلوّتها على الجنّ فكانوا أحسن استماعا لها منكم، فكانوا يقولون: ولا شيء من آلاء ربّنا نكذب
138، 29	مسند الشاميين للطبراني 1053، كز العمال 33951	إني لأجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن
ب25	مسند أحمد 11664، وسنن الترمذي 2066	أو تخاف يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «قلب المؤمن» وفي رواية: «وما يؤمنني وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله
56، 53، 5، 4	مسند أحمد 7096، مصنف	أوتيت جوامع الكلم
ب، 108	ابن أبي شيبة 97	
ب 11	مسند أحمد 7565، سنن أبي داود 2857	أين الله؟ فأشارت (الأمة) إلى السماء
ب28	المستدرک علی الصحیحین للحاكم 4699، شعب الإيمان للبيهقي 1368	حبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
حلوة خضرة	صحيح مسلم 4925، سنن الترمذي 2117	42
خضراء الدّمن: جارية حسناء في منبت سوء	مسند الشهاب القضاعي 890	42
رأيت ربّي في صورة شابّ	المعجم الكبير للطبراني 20854	ب29
زادك الله جزواً ولا تمدّ	صحيح البخاري 741، سنن أبي داود 585	ب127
السلطان ظلّ الله في الأرض	شعب الإيمان للبيهقي 7117، مسند الشهاب القضاعي 294	ب108
شفعت الملائكة والنبّيون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين	مسند أحمد 11463، ومصنف عبد الرزاق 20857	64
ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الأولين والآخرين فإن لم تكن تره	مسند أحمد 3304، المعجم الكبير للطبراني 16640	ب119، 108
	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	42
في عاء؛ ما تحته هواء وما فوقه هواء	مسند أحمد 15599، سنن الترمذي 3034	ب130
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	58
قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله	مسند أحمد 11664، وسنن الترمذي 2066	25
قولوا لا إله إلا الله وإني رسوله	صحيح البخاري 492، صحيح مسلم 39	55
كان الله ولا شيء معه	المستدرک على الصحيحين للحاكم 3265، المعجم الكبير	ب44، ب46، ب72، 147

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
	للطبراني 14904	
129	صحيح مسلم 558، مسند أحمد 25172	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يذكر الله على كل أحيانه
74	سنن أبي داود 432، وسنن النسائي 641	كل من يسمع المؤذن من رطب ويابس يشهد له
81	سنن الترمذي 3290، والمستدرک على الصحيحين للحاکم 201	كلتا يدي ربي بين مباركة
ب26	صحيح مسلم 3406، ومسند أحمد 6204	كلتا يديه بين
103، 121، 126	الإبانة الكبرى لابن بطة 1879، المستدرک على الصحيحين للحاکم 4174	كنت نبيا وآدم بين الماء والطين
86	صحيح مسلم 751، سنن النسائي 169	لا أحصي ثناء عليك
147	صحيح مسلم 4169، مسند أحمد 8774	لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر
29	المستدرک على الصحيحين للحاکم 3030، السنن الكبرى للنسائي 10771	لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن
ب104		لا تفضلوني
ب128	سنن الترمذي 2107، مصنف ابن أبي شيبة 101	لا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل فخذة بما فعله أهله
ب127	صحيح البخاري 71، صحيح مسلم 1350	لا حسد إلا في اثنتين
ب52	سنن الترمذي 2198، مسند أحمد 13322	لا رسول بعدي ولا نبي

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
56	صحيح مسلم 4390، مسند أحمد 3399	لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا
128ب	مسند أحمد 21261	لولا تزييد في حديثكم، وتمريخ في قلوبكم، لرأيتم ما أرى، ولسمعت ما أسمع
105ب	صحيح البخاري 3175، صحيح مسلم 178	ليس الأمر كما ظننتم؛ وإنما أراد الله بالظلم هنا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: هَيَّا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ
60	سنن أبي داود 4272، والمعجم الأوسط للطبراني 2203	المؤمن مرآة أخيه
140ب	صحيح البخاري 3150، مسند أحمد 7765	ما تعد على فروة إلا اهتزت تحته خضراء
52ب، 136ب	المستدرک علی الصحیحین 4174، دلائل النبوة للبيهقي 434	متى كنت نبيًا؟ قال: وآدم بين الماء والطين
40	صحيح مسلم 4689، سنن الترمذي 1952	من تواضع لله رفعه الله
45ب، 54ب، 59	أدب الدنيا والدين للماوردي - (1 / 86)، المحرر الوجيز - (6 / 339)	مَنْ عَزَفَ نَفْسَهُ عَزَفَ رَبَّهُ
67	مسند أحمد 11395، والسنن الكبرى للبيهقي	مَنْ كَانَ مَوَاصِلًا فَلْيَوَاصِلْ حَتَّى الشَّخَرِ
29	صحيح البخاري 977، صحيح مسلم 1498	نُصِرْتُ بِالصَّبَا
81	موطأ مالك 1395، وسنن أبي داود 4081	هؤلاء للجنة، ويعمل أهل الجنة يعملون. وهؤلاء للنار، ويعمل أهل النار يعملون
104، 104ب، 122ب	مسند أحمد 14104	والله! لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن

الحدث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
يَبْعَنِي	مسند أبي يعلى الموصلي 2081	
وهم اليوم أربعة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير	شعب الإيمان للبيهقي 380 صحيح البخاري 2070، صحيح مسلم 220	129ب، 133 104
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	مسند أحمد 11664، وسنن الترمذي 2066	25 ب
يضع الجبائر فيها قدمه	مسند أحمد 7393، السنن الكبرى للنسائي 11522	30ب
يجب من الشاب ليست له صبوة	مسند أحمد 16731، المعجم الكبير للطبراني 14269	11 ب
يفرح بتوبة عبده	مسند أحمد 7845، مصنف عبد الرزاق 20585	11 ب

فهرس الشعر

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر
110	أنا ابن آباء أرواح مطهرة	عنصريات ت	9	البسيط
3	حركات الحروف ست ومنها	الكلمات ت	5	الخفيف
16ب	العلم والمعلوم والعالم	واحد د	3	السريع
70ب	روح الوجود الكبير	الصغير ر	19	المجتث
138	عالم الأنفاس من نسي	القدس س	6	المديد
121	ألا بأبي من كان ملكا وسيدا	واقف ف	5	الطويل
103	الملك لولا وجود الملك ما عرفا	وصفا ف	5	البسيط
129	العرش والله بالرحمن محمول	معقول ل	7	البسيط
148ب	علم الكشاف أعلام مرتبة	للسل ل	5	البسيط
142	هذا الإمام وهذه أعماله	آماله ل	1	الكامل
69ب	انظر إلى هذا الوجود الحكم	المعلم م	14	الكامل
49ب	عجبا للظاهر ينقسم	ينقسم م	6	المتدارك
31ب	في سبب البدء وأحكامه	وأحكامه م	3	السريع
56ب	للتبرين طلوع بالفواد فما	لها م	4	البسيط
37ب	بسملة الأسماء ذو منظرين	عين ن	9	السريع
96	مرج النار والنبات فقامت	شيين ن	5	الخفيف
76ب	نشأت حقيقة باطن الإنسان	السلطان ن	6	الكامل
133	أنبياء الأولياء الورثة	بعته ه	5	الرملي
19ب	في نظر العبد إلى ربه	وتزيه ه	4	السريع

استشهادات

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر	الشاعر
150	ملكْتُ بها كفي فأنهرتُ فثَقَّها	وراءها ء	1	الطويل	قيس بن الخطيم
125	ألم تر أنّ الله أعطاك سورة	يتذبذب ب	2	الطويل	النايفة
60	إذا ضاق عليك الأمر	نشرح ح	2	الهمز	
124	ضروب بنصل السيف سوق سيانها	عافر ر	1	الطويل	أبو طالب
124	لا ينعدن قومي الذين هو	الجزر ر	2	الكامل	الخرزق البكرية العدنانية
43ب	والله قد ضرب الأقل لنوره	والنبراس س	1	الكامل	أبو تمام
25	ضعيفُ العصا بادي العروق تري له	إصبعا ع	1		الراعي النيمري
43	إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت	صديق ق	1	الطويل	أبو نواس
30ب	قد استوى بشرّ على العراق	ممرق ق	1	الرجز	بميث
46ب	إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنما	دليلا ل	1	الكامل	الأخطل
61	قد يرحلُ المرءُ لمطلوبه	الراحل ل	1	السرّيع	إبراهيم بن مسعود الألبيري

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر	الشاعر	
93	كأنما الطير منهم فوق أروسهم	إجلال ل	1	البيسيط		
51	ولكن للعيان لطيف معنى	الكليم م	1	الوافر	ابن حزم الأندلسي	
27ب	إذا ما رايته رُفَعَتْ لِمَجْدٍ	بالميم ن	1	الوافر	الشماخ الذبياني	
108	شَهْنَتُكَ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ	مكان ن	1	الطويل	أبو بكر الشبلي	
28	يَوْمًا يَمَانِي إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ	فعدناني ن	1	البيسيط	عمران السدوسي	
124ب	وأغض طرفي ما بدت لي جارتني	مأواها ه	1	الكامل	عنترة بن شداد	
20					مجموع الآيات	

مصطلحات صوفية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الأب	57ب، 113ب، 115ب، 119	الأب الأول	106، 112، 117ب
الأب الثاني	106ب، 113ب، 116ب	أب علوي	111ب
آباؤنا	110	إبراهيم	33، 100، 104ب، 109، 122، 129، 129ب، 130، 143ب، 145ب، 149ب، 154ب، 155، 41ب، 51ب، 64، 78، 82، 100ب، 101ب، 102، 155ب
الإيراة	30ب، 80	الإيراة	57ب
الإرث- الوارث	42ب	الاتحاد	27ب، 49ب، 51، 54ب
أرض الحقيقة	86ب	الأثر- المؤثر - المؤثر فيه	108ب، 110ب، 112ب، 113ب، 117ب، 119ب، 148
الاستقامة	114	الأحدية-أحدية	67، 104ب
الاستواء/السوا	10، 30ب، 65ب	الأحد-أحدية	
ء		الكترة	
الاسم	147ب	إدريس	143ب
الاسم الجامع	38، 112	آدم	29ب، 47، 48ب، 49،

المصطلح	صفحة المخطوط
الأمانة	146ب، 147
الأمر- الأمر الإلهي	116، 145، 145ب
أسماء الأسماء الإلهية	34ب
الأشئ	82ب، 83ب، 98، 98ب، 106، 106ب
	112ب، 145ب
الأنس	42ب، 107، 145ب
الإنسان/ العالم الأصغر	70ب، 74ب، 75
الإثية	62
أهل الوجود	73
الباء - نقطة الباء	38ب، 39، 54
باطل/عدم	14ب
بحر	15، 90ب، 92، 136ب
البحران	64
بدل	143ب، 144، 145ب، 146، 146ب، 148ب، 149، 154، 154ب
	156ب
البرق	144
البسط	47ب
البقاء	80

المصطلح	صفحة المخطوط
اسم ذات- اسم مرتبة	153ب
أسماء الإحصاء	34
الاصطلام	55ب
اصل الجواهر	34
الفرد	
الأفراد	20، 137، 147، 154ب
الألف/ قيوم	38ب، 41
الحروف	
الإله المجهول	153ب
الألواح	56
إلياس	104، 134
الأم	57، 57ب، 106، 106ب، 110ب، 111، 111ب، 112، 113، 113ب، 115، 115ب، 115ب
	116ب، 119
أم القرآن	37ب، 56ب، 57
أم الكتاب	57
أم سفلية	18، 111ب، 117
الإمام الأعظم	104ب
الإمام المهدي	93
الإمامان	154ب، 156ب
الإمامة- الإمام	36، 86ب

المصطلح	صفحة المخطوط
جبريل	23، 79ب، 129، 134،
الجرس	134ب، 154ب
جرس	138
الجسد	138
الجمع	139ب، 140
جمع الجمع	48ب، 51ب، 63
جنة الكتيب /	27ب
حضرة الحق	41
جنة عدن	78
الجنة / حضرة	41
الرسول	
جوامع الكلم /	5، 5ب، 31ب، 32
العلم	
حجاب / العبد	40، 40ب، 45ب
الحرف	52
الحضرة / كن	17، 17ب
حق الحق / أنت	26ب، 30ب
الحق الخلق به	72
حق اليقين	51
حق خالق	14، 81
الحقائق الأول	8
الحقيقة الكلية	71ب، 72، 72ب، 73

المصطلح	صفحة المخطوط
البيت	75، 154ب
البيت المعمور	75
بيت الوجود	67ب
بيتة الله	109، 134، 134ب،
تابوت	150
التجلي الأقدس -	113ب
التجلي المقدس	61ب
التجلي الذاتي	17، 17ب، 27ب،
تجلي غيب -	130ب
تجلي شهادة	130ب
التجلي للشيء	17
التخلي	74
التصريف	27
التصوف	63
التلوين	7ب، 8ب، 156
التمكين	7ب، 145ب
التوحيد	19، 20، 22، 23ب،
	27ب، 43، 43ب،
	54ب، 55، 63ب،
	64ب، 65، 67ب، 93،
	151ب
الثبوت	8ب، 30ب، 97

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
خلق جديد	71	الحقيقة الحمدي	5، 23، 70، 75
خليل	129	حقيقة اليقين /	51
الدرة البيضاء /	84، 84ب، 107	مشاهدة	
العقل الأول		حكيم الوقت	55ب
دولة السنبل	81	حواء	82ب، 82ب، 83، 83ب، 96، 96ب، 98ب، 106، 106ب، 107، 107ب، 112، 118
الرجل / آدم	106ب، 107	الحياة	100ب، 141
الرحمة	102ب	ختم الختم	137
الرحمن - الرحيم	38، 52ب، 62ب، 63	ختم النبوة	133ب، 137
الرغبة	36	المطلقة	
رقيقة	94ب، 131، 148، 148ب	ختم الولاية	137
روح الأرواح	22، 75، 94ب، 121	الخاصة	
روح العالم	70ب	ختم الولاية العامة	133ب، 137
الروح الكل	61	ختم الولاية أو خاتم الولاية	133ب
الروح الحمدي	121، 121ب، 134، 134ب، 137	الخزانة	93ب، 94
الروح / العقل	47ب، 48، 49ب، 50، 56ب، 57ب، 61ب، 62، 62ب، 63، 63ب، 65ب، 77، 77ب، 94، 117، 121، 121ب، 130، 137	خزانة الخيال	24، 69
الزمان الحمدي	137	الخضر	32ب، 135، 140ب
السالك	42، 44ب، 65	الخلافة - خليفة	48ب
		خلق تقدير -	116ب
		خلق إيجاد	

المصطلح	صفحة المخطوط
الطائفة	12ب، 43
الطلسم	145
طوالع	26
الظاهر والباطن	37، 44، 46، 108
الظل	44، 108ب
ظل الله	44، 108ب
الظلمة	153، 153ب
العالم	36
عالم الأمر	100ب
عالم الأنفاس	8، 138
عالم الخلق	131
العالم الكبير-	76، 139ب
العالم الصغير	
عالم الملك	62ب، 44ب، 43ب
عالم الملكوت	62ب، 44ب
العبد الكامل-	52
العبد الجامع	
الكامل	
العبودية- العبودية	8ب، 41
العادل / الميزان	126ب، 127
الحكي المعنوي /	
الحق / الميل	
العدم (المطلق)	131

المصطلح	صفحة المخطوط
سالك	42، 44ب، 65
السحاب	102ب
سر القدر	15
السراج	96ب، 99ب
السريـر	129ب، 131، 133
سوق الجنة	94ب، 117، 132
الشاهد/ المحس	18، 18ب، 153ب
الشرب	156، 156ب
الشـروق-	49، 57
المشرق	
الشريعة	135
الشهود	17ب
الشيئية	111ب
الصدق	150
الصراط	65
المستقيم	
الصفة	16ب، 29ب، 39،
	47ب، 48، 49، 54،
	57، 60ب، 66ب،
	69ب، 113
الصورة/ الأمر	29ب، 73ب، 99ب،
	100، 100ب
الضراح	31

المصطلح	صفحة الخطوط	المصطلح	صفحة الخطوط
عرائن الحق	42ب	فوق	44ب، 46، 59، 60ب،
العرش	66ب	الفيض	63ب، 75، 155ب
عرش	129، 131	القدم	33ب، 130ب، 142ب
عرش الحياة /	101	قدم - على قدم	141ب
الماء		القرآن الكبير /	51
عرش الروح /	56ب، 65ب	الوجود	93
النفس الناطقة		القرب	37ب، 57، 57ب، 58ب
عرش القرآن	62ب	القطب	10ب
العصمة	150	القلب	20، 133، 133ب،
العقل (الأول)	19ب، 23، 84، 84ب،	القلم (الأعلى)	136ب، 137، 138ب،
	107، 107ب، 112،	القوت	140ب، 141ب، 142ب،
	130	الكتاب الإلهي /	147، 154، 154ب،
الماء	58، 130ب، 132، 136	الموجودات	156ب
العمد أو الماسك	84ب	الكتاب الجامع /	16ب، 17، 17ب، 32
العنصر الأعظم	101، 114	آدم	
الغيبية	53	الكتاب المرقوم	112، 107، 23
الفترة	66، 67ب، 69	كتاب الوجود /	8ب، 96
الفترة	103، 108ب	القران	57
الفرق	27ب، 64	الكرسي	107
فرق الفرق	27ب		
الفترة	7ب		
الفقر	5ب، 6، 19		
الفناء	37ب، 42، 42ب،		

المصطلح	صفحة المخطوط
المشاهدة	68، 69، 155ب
المصحف الكبير	37ب، 38
المعرفة	24ب
المفاتيح الأول	34
المفصل	35، 35ب
المقام	32، 48ب
المكاشفة	13
المكر	29
المهدي	93
المهم	19ب، 130، 130ب
الموت المعنوي	132
ميثاق- ميثاق النرية	103
الميزان	53ب، 122، 126ب، 127، 127ب، 152ب، 153، 155ب
نار جحيم	102ب
النار / دار الغضب	81، 97، 101، 111
نبوة الاخبار-	139ب
نبوة التشريع	
نبي اتباع- نبي شريعة	133ب، 135ب
نسخة	74ب

المصطلح	صفحة المخطوط
كفر	66
كلمة التوحيد	67ب
كلمة الحضرة	17، 17ب
الكمال	26، 30ب، 71ب، 77، 126، 128ب، 132ب، 138ب، 139، 144
اللطيفة	75
اللوح (المحفوظ)	56، 56ب، 107، 112
ليل	55
المثل	29ب، 49
مجلى المظاهر الإلهية	20، 133ب، 136ب
مجلى التعوت المقدسة	20، 133ب، 136ب
الجمل	44
الحمدى	58ب، 104، 134، 136، 137
المختصر	142ب، 143
مختصر العالم	140ب
مرآة القديم	59ب
المراقبة	13
المسافر	78ب
مسرح عيون العارفين	87

المصطلح	صفحة المخطوط
الهوية	43ب
وارد	15، 27ب، 43، 62، 87ب، 90، 141
وتد	154ب، 155ب
الوجد	155ب
الوحداني - الوحدانية	43ب، 45ب
الوحي	116، 124ب، 125، 126، 133ب، 145
الود	31
الوقت / الوقت المعلوم	15
ولي - الولاية	112، 133ب، 136ب، 137، 146ب
الوهم	82
يد الله - اليدان	26ب، 27، 81، 106
يقين	32ب، 40ب، 51، 109، 134، 150ب

المصطلح	صفحة المخطوط
النفس	19ب
نقطة الباء	39
النكاح الإلهي	111ب، 112، 117، 125ب
النكاح الطبيعي	107، 117
النكاح المعنوي	111ب، 112
نكته	4ب
نواب محمد (ص)	103ب
النور	141
نور الأيمان	123
النور الممتزج	131
النيابة	118
الهباء	70، 73، 77ب، 113ب
الهجير	145ب، 146، 146ب، 147
الهمة	45، 60ب، 135
الهو	43ب
الهوى	62ب

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
أبراهم الخليل	33، 100، 104ب،	أبو العباس	153ب
	109، 122، 129،	الأشقر	
أبراهم بن أدهم	32ب	أبو القاسم بن قسي	105ب
إبراهم بن مسعود الألبيري	61	أبو الوليد بن رشد = ابن رشد	141ب
إبليس	41ب، 51ب، 64، 78، 82، 100ب، 101ب،	أبو بكر الصديق	17ب، 24ب، 55ب، 56
	102، 155ب	أبو حنيفة	135ب
ابن العريف	20، 60	أبو سعيد الخراز	153ب
الصنهاجي		أبو طالب المكي	7ب، 8، 8ب
ابن خليل (من شيوخ المغرب)	106	أبو عبد الله الكتاني	153ب
ابن رستم مكين	1	أبو علي الهواري	155
الدين أبو شجاع الأصفهاني		أبو محمد عبد العزيز	32، 75
ابن مسرة الجبلي	129ب، 133	أبو مدين	38ب، 47، 125
أبو الحسين محمد بن جبير	142	أبو هريرة	136
أبو الحكم عمرو بن السراج الناصح	142	أحمد بن حنبل	135ب
أبو السعود بن الشبل البغدادي	66	الأخطل	46ب
		إدريس (النبي)	143ب
		آدم	29ب، 47، 48ب، 49،
			52ب، 53، 53ب، 54

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
عيسى			54ب، 55، 59، 60،
جبريل	23، 79ب، 129، 134،		64، 76ب، 78، 81،
	134ب، 154ب		82، 82ب، 83، 83ب،
الجنيد (أبو القاسم)	136ب، 32ب، 136		84، 85ب، 86ب، 87،
الحسن البصري	136		96، 96ب، 97، 98،
الحسن بن علي بن أبي طالب	135ب		98ب، 100ب، 101،
حواء			102، 103، 103ب،
	82ب، 82ب، 83،		104، 105ب، 106،
	83ب، 96، 96ب،		106ب، 107، 107ب،
	98ب، 106، 106ب،		108، 109، 112، 115،
	107، 107ب، 112،		118، 120، 129ب،
	118		131ب، 133، 136ب،
الحضر	32ب، 135، 140ب		139، 139ب، 143ب،
داود (النبي)	148، 137،		144ب، 146ب، 154ب،
الدجال	51ب	إسرافيل (النبي)	5، 79ب، 129، 129ب،
دحية الكلبي	94ب		154ب
ذو النون المصري	89ب	إلياس (النبي)	104، 134
الراعي النميري	25	أوحد الدين حامد	88ب
الربيع بن محمود	155	بن أبي الفخر	
الماردني الحطاب		الكرماني	
رضوان	64، 129، 129ب	أيوب السخيتاني	136
الروح (من الملائكة)	63ب	البسطامي (أبو يزيد)	32ب، 66ب
روح القدس	2، 63، 65ب، 75	بشر	30ب
		بنان الجمال	136
		الترمذي (أبو)	117

الاسم	صفحة المخطوط
عمر بن الخطاب	43
عنترة بن شداد	124ب
عيسى (النبي)	53، 57، 82ب، 84، 96ب، 102ب، 103ب، 104، 106، 106ب، 108ب، 121ب، 122ب، 133ب، 137، 143ب، 144ب، 154ب، 155
الغزالي (أبو حامد)	153ب
محمد بن محمد	
فرح الأسود	136
فرعون	151ب
الفضيل بن عياض	136
قاييل	102
قس بن ساعدة	109
قيس بن الخطيم	150
لقمان الحكيم	105ب، 137، 147ب، 148
مالك (من الملائكة)	129، 129ب
مالك بن أنس	135ب
مالك بن دينار	136
محمد بن سيرين	135ب

الاسم	صفحة المخطوط
الزجاجي	6
زوبعة (من الجن)	99، 99ب
السامري	133
سفيان الثوري	135ب
سلمان الفارسي	136
الشافعي (الإمام)	135ب
الشبلي	38، 66
شعيب (النبي)	121ب
شيبان الراعي	136
صالح المؤمنين	154ب
صالح عليه السلام	121ب
الضريير السلاوي	153ب
عائشة (أم المؤمنين)	129
عبد الله بن عباس	87، 87ب، 116ب، 136
عثمان بن عفان	58ب
عراية الأوسي	27، 27ب
عزرائيل	79ب، 154ب
عكرمة	29ب
علي بن أبي طالب	73، 77ب، 103ب، 136

صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط	الاسم
79ب، 129، 129ب،	ميكائيل	57، 57ب، 84،	مريم (عليها السلام)
154ب		103ب، 106، 106ب	مسلم (الإمام)
125	النايفة	103ن،	مسلمة بن وضاح
135، 143ب، 144ب	هارون (النبي)	139ب	مسيلمة الكذاب
101ب	هامة بن الهام	51ب	معاذ بن جبل
121ب	هود (النبي)	103ب	المهدي (المنتظر)
53، 118ب، 139،	يحيى (النبي)	93	موسى (النبي)
143ب		51، 64، 103ب،	
135، 135ب، 139ب	يعقوب (النبي)	104ب، 121ب،	
140ب، 143ب، 145	يوسف (النبي)	122ب، 133، 135،	
		143ب، 145، 150ب،	
		151، 151ب	

فهرس الأماكن

صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط	الاسم
57	الشرق	90	البحرين
ب32	شرق تونس	52	بكة
ب32	الشونيزية	ب32	بيت أبي يزيد
ب30	العراق	ب32	بيت الأبرار
ب141، ب139، ب136	قرطبة	ب154، ب31، ب32، ب32،	بيت الله الحرام
ب91، ب87	الكعبة	ب33، ب51، ب91، ب136	البيت المعمور
106	لبلة	ب31، ب75	تكريت
ب88	مارستان سنجان	ب88	تونس
142	مراكش	ب75، ب32	جنة عدن
ب139، ب32	المسجد الحرام	78	الحجر الأسود
49	المشرق	155	الديار المصرية
116	مصر	116	ركن الحجر الأسود
ب32	مغارة ابن آدم	155	الركن الشمالي
ب106، ب49، ب31	المغرب	ب154	الركن العراقي
33	مقام إبراهيم عليه السلام	155	الركن اليمني
ب33، ب32، ب32، ب31	مكة المكرمة	155	زاوية الجنيد
ب136، ب91، ب51	المنارة المحروسة	ب32	سنجان
ب32	المن	ب88	الشام
ب138، ب29، ب29		ب136	

فهرس الكتب

المؤلف	المواضع	الكتاب
78		التوراة
31ب، 34ب، 72ب، 75	ابن العربي	إنشاء الجداول والنوائير
62ب	ابن العربي	التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية
125	ابن العربي	التنزلات الموصلية
6ب، 62ب	ابن العربي	الجمع والتفصيل في معرفة أسرار التنزيل
115ب	ابن العربي	الزمان ومعرفة الدهر
115	ابن العربي	الشان
80ب، 113ب، 114ب، 131	ابن العربي	عقلة المستوفز
31ب	ابن العربي	عناء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب
114	ابن العربي	المركز
20	أبو العباس بن العريف الصنهاجي	محاسن المجالس
105ب	أبو القاسم بن قسي	خلع النعلين
8ب	أبو طالب المكي	قوت القلوب
117	الترمذي	الجامع الصحيح
65	محمد عبد الجبار النفري	المواقف
125ب	مسلم	صحيح مسلم بن الحجاج

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة الخطوط
الأشعرية	ب153
الطبيعون	84
الفلاسفة	ب149
القدماء	16
الجسمة	12
المعطلة	ب149، ب151

المحتويات

- رموز مستخدمة في التحقيق 281
- الفصل الثاني في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات وهي الحروف الصغرى 285
- نكتة وإشارة 286
- مسألة (إطلاق لفظة الاختراع على الحق تعالى) 296
- الفصل الثالث في العلم والعالم والمعلوم من الباب الثاني 299
- الباب الثالث في تنزيه الحق تعالى- عما في طي الكلمات التي أطلقها عليه سبحانه- في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من التشبيه والتجسيم، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً 302
- وَصَلَّى (المدرِك بذاته والمدرِك بفعله) 305
- وَصَلَّى (إدراك المعلومات بالقوى الخمس) 306
- نفث روح في روح (الإصبعان سرُّ الكمال الذاتي) 310
- القبضة واليمين 310
- نفث روح في روح 312
- ومن ذلك: "التعجب، الضحك، الفرح، والغضب" 312
- التبشيشُ 313
- التسكين 313
- النفس 313
- الصورة 314
- الذراع 314
- (القدم) 315
- نفث الروح الأكنس في الرُّوع الأنفس بما تقم من الألفاظ 315
- الباب الرابع في سبب بُذء العالم ومراتب الأسماء الحسنى من العالم كله 317
- الباب الخامس في معرفة أسرار (بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم) والفاحة من وجه ما، لا من جميع الوجوه 323
- وَصَلَّى: قوله: "الله" من (بسم الله) 328
- حلّ المقتل وتفصيل المجل 330
- وَصَلَّى: قوله: (الرَّحْمَن) من البسمة 333
- وَصَلَّى في قوله: (الرَّحِيم) من البسمة 340
- مفتاح (ألف الذات وألف العلم) 341
- يضاح (ألف الرَّحِيم ألف العلم) 342
- لطيفة (النقطتان الرحيمية موضع التضمن) 343

- 344..... وَصَلَّ فِي أَسْرَارِ أَمِّ الْقُرْآنِ مِنْ طَرِيقِ خَاصِّ.....
- 348..... تَنْبِيهِ (الْلَامُ تَنْفِي الرَّسْمِ، كَمَا أَنَّ الْبَاءَ تَنْبِيهِ)
- 349..... وَصَلَّ فِي قَوْلِهِ: (رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ).....
- 351..... وَصَلَّ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)
- 352..... وَصَلَّ فِي قَوْلِهِ -جَلَّ جَلَّ تَلَاوَهُ وَتَقَدَّسَ-: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).....
- 353..... وَصَلَّ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)
- 354..... فصول تقييس وقواعد تأسيس
- 355..... بسط ما أوجزناه في هذا الباب
- 356..... فَصَلَّ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ):
- 357..... وَصَلَّ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)
- 358..... وَصَلَّ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لِمَا آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ)
- 358..... وَصَلَّ فِي دَعْوَى الْمُدْعَى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)
- 360..... الباب السادس في معرفة بدء الخلق الروحاني ومن هو أول موجود فيه؟ وممَّ وجد؟ وفيه وجد؟ وعلى أي مثل وجد؟ ولمَّ وجد؟ وما غايته؟ ومعرفة أفلاك العالم الأكبر والأصغر
- 361..... إيجاز البيان بضرب من الإجمال
- 362..... بسط الباب وبيانه، ومن الله التأييد والعون
- 368..... الباب السابع في معرفة بدء الجسوم الإنسانيَّة وهو آخر جنس موجود من العالم الكبير، وآخر صنف من المولدات
- 379..... الباب الثامن في معرفة الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام وهي أرض الحقيقة وذكر بعض ما فيها من الغرائب والعجائب
- 388..... الباب التاسع في معرفة وجود الأرواح المارجية الثلويَّة
- 395..... الباب العاشر في معرفة دورة الملك وأول منفصل فيها عن أول موجود، وآخر منفصل فيها عن آخر منفصل عنه، وبماذا عمر الموضع المنفصل عنه منهما؟ وتمهيد الله هذه المملكة حتى جاء ملكها، وما مرتبة العالم الذي بين عيسى ومحمد -عليهما السلام- وهو زمان الفترة
- 401..... فصل (مراتب أهل الفترة)
- 403..... الباب الحادي عشر في معرفة آياتنا العلويَّة وأمهاتنا السفليَّة
- 413..... الباب الثاني عشر في معرفة دورة فلك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وهي دورة السيادة، و«إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله -تعالى-»
- 422..... الباب الثالث عشر في معرفة حَمَلَةُ العرش

- الباب الرابع عشر في معرفة أسرار الأنبياء؛ اعني أنبياء الأولياء وأقطاب الأمم المكملين من آدم عليه السلام إلى محمد عليه السلام، وابن القطب واحد منذ خلقه الله لم يمّت، وأين مسكنه؟..... 427
- الباب الخامس عشر في معرفة الأنفس ومعرفة أقطابها المحققين بها وأسرارهم..... 432
- الباب السادس عشر في معرفة المنازل السفلية والعلوم الكونية ومبدأ معرفة الله منها، ومعرفة الأوتاد والأبدال، ومن تولاهم من الأرواح العلوية وترتيب أفلاكها..... 443
- فصل (معرفة الحق)..... 447
- فصل (حديث الأوتاد)..... 448

الفهارس

- فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات..... 453
- فهرس الأحاديث النبوية..... 458
- فهرس الشعر..... 465
- استشهدات..... 466
- مصطلحات صوفية..... 468
- فهرس الأعلام..... 476
- فهرس الأماكن..... 480
- فهرس الكتب..... 481
- فهرس الفرق..... 482

السفر الثالث من الفتوحات المكيّة²

1 العنوان في صفحة غير مرقمة في البداية. وفيها طابع دفعة برقم 1847، ثم طابع آخر يحمل رقم الأوقاف الإسلامية 1757. وإشارة إلى عدد الصفحات: 308 صحيفة

2 العنوان ص 1ب. ومكتوب بعد العنوان ويخط آخر ما يلي: "إنشاء مولانا وسيدنا شيخ الإسلام صفوة الأنام سلطان الحقيقين إمام الأمة قدوة الأئمة محيي الملّة والدين؛ أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي - رضي الله عنه".

وفي الجزء الأيسر من الصفحة كتب صدر الدين التونسي ما يلي: "انتقلت هذه الجلبانة ومآثر الكتاب بحكم الإنعام من مصنفها رضي الله عنه وأرضاه إلى العبد الضعيف محمد بن إسحق بن محمد - غفر الله له ولوالديه، وقعه بكل علم مقرب إليه نافع لديه - أمين - في شهر سنة سبع وثلاثين وستائة. والحمد لله حق حمده وصلواته التامات على محمد وآله".

وأسفل منها قليلا من حمة اليمين مكتوب بخط آخر: "وقف هذا الكتاب مع سائرهم تماما الشيخ الإمام المذكور بجنب هذه السطور بخط يده - رضي الله عنه وعن سلفه - على البار الكتب المنشأة عند قبره لينتفع به عامة المسلمين وشرط ألا يخرج منها البتة لا يبرهن ولا بغيره. قبل الله منه وأثابه رضاه. إنه أرحم الراحمين". يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1757

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ ﴾	آيات قرآنية
« »	حديث شريف
()	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية*
س	نسخة السلجوقية
هـ	نسخة القاهرة

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتم دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كمرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).

أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع عشر

2 معرفة انتقال ائمة العلوم العنونه ونبت

من العلوم الالهة المرة الاصلية

علم الكون تشتمل الكمال. وعلم الوجه لا يربو زوالا
فتبها وتنفيها جميعاً وتفجع فبرها حالاً فخالاً
الامى كيف يعلم سواكم ومثلك من مبارك او ثعلا
الا كيف يعلم سواكم وهل غير سواكم من مثالا
ومن كلب الطيرين بلاد ليل الا لقر كلب الا لظا
الا كيف تهر الخ قلوب وما ترموا التآلف والوطا
الا كيف يعرف سواكم وهل شئ سواكم لا ولا
الا كيف تبصركم عيون ولست البيرات ولا الخلالا
الا لا ارى نفسى سواكم وكيف ارى السحال او الخلالا
الا انت انت وان انت ليطلب من ان انتك الثوا لا
لفقر نام عنرت من حودي تولد من غناك فظان ط لا
والاعنى ليخبرني الله ولم يرت بسواه فلكنت ا لا
ومن قصدا السراج يريد ما يرا يحتمن الالهة به ز لا لا

الحياة

الصفحة الثانية من مخطوط قونية

وقد علم ان وكهانة يحيى بها ما وكهنة من الاسما فقبض قبضة
 من اثر الرسول فرمى بها في العجل الذي صنعته فجيبي في ذلك العجل
 وكان ذلك القا من الشبيكلين في نفس السامر لان الشبيكلين
 يعلم منزلة الارواح فوجد السامر في نفسه هاذة القوة وما
 علم انها من القا ابليس معال وكذا سولت في نفس وفعل
 ذلك ابليس من حرصه على اظلاله ما يعتقدوه من الشرية
 لله تعالى معج عيسى على صورة جبريل في المعنى والاسم والصوره
 المشبهه فالتمخو البشر بالروحاني والتمخو الروحاني بصورة
 البشر في نازله واحده ويكفي هذا القدر من هذا الباب فانه باب
 واسع لسوهم واسيهم ولحقاق الرسول عليهم السلام به مجال رحب
 فانه منزل الكمال من حقله سادة على ابنا جنسه وكهنة حاكما
 على صاحب الجمال والجمال وهو من مقامات ابي زيد البسكامي
 والافراد والله يقول الحق وهو يهتدى للتبديل

انهي اكرم اعمو المبرر

وبانها نه انهي السامر الثالث من الفتوحات

المكده بتلوه الجزاء الماء والعنبر

من السيف الرابع لسا استغلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ¹

الباب السابع عشر

في معرفة انتقال العلوم الكونية

وتبذ من العلوم الإلهية الممددة الأصلية

عُلُومُ الْكَوْنِ تَنْقَلُ انْقِطَالًا
فَتُنْتَبِهُهَا وَتَنْفِيهَا جَمِيعًا
إِلَهِي؛ كَيْفَ يَعْلَمُكُمْ سِوَاكُمْ؟
إِلَهِي؛ كَيْفَ يَعْلَمُكُمْ سِوَاكُمْ؟
وَمَنْ طَلَبَ الطَّرِيقَ بِلا دَلِيلِ
إِلَهِي؛ كَيْفَ تَهْوَاكُمْ قُلُوبُ
إِلَهِي؛ كَيْفَ يَعْرِفُكُمْ سِوَاكُمْ؟
إِلَهِي؛ كَيْفَ تُبْصِرُكُمْ عَيْنُونَ
إِلَهِي؛ لا أَرَى نَفْسِي سِوَاكُمْ
إِلَهِي؛ أَنْتَ أَنْتَ وَإِنِّي
لِفَقْرِي قَامَ عِنْدِي مِنْ وُجُودِي
وَأَطَّلَقَنِي لِظَهْرِي إِلَيْهِ
وَمَنْ قَصَدَ السَّرَابَ يُرِيدُ مَاءً
أَنَا³ الْكَوْنُ الَّذِي لا شَيْءَ مِثْلِي
وَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ فَانظُرْ
فَمَا فِي الْكَوْنِ غَيْرَ وُجُودِ فَرْدٍ

وَعِلْمُ الْوَجْهِ لا يَرْجُو زَوَالًا
وَقَطْعُ نَجْدِهَا خَالًا فَخَالًا
وَمِثْلُكَ مَنْ تَبَارَكَ أَوْ تَعَالَى
وَهَلْ غَيْرٌ يَكُونُ لَكُمْ مِثَالًا؟
إِلَهِي لَقَدْ طَلَبَ الْمُخَالَا
وَمَا تَرْجُو الثَّالِفَ وَالرِّوَصَالَ؟
وَهَلْ شَيْءٌ سِوَاكُمْ؟ لا وَلا لا
وَلَسْتَ الثِّيْرَاتِ وَلا الظُّلَلَا؟
وَكَيْفَ أَرَى الْمُحَالَ أَوْ الضُّلَلَا؟
لِيَطْلُبُ مِنْ أَنَايَتِكَ التَّوَالَا
تَوَلَدَ مِنْ غِنَاكَ فَكَانَ خَالَا
وَلَمْ يَرِنِي سِوَاهُ فَكُنْتُ آلا
يَرَى عَيْنَ الْحَيَاةِ² بِهِ زُلَالَا
وَمَنْ أَنَا مِثْلُهُ قَبْلَ الْإِسْخَالَا
عَسَاكَ تَرَى مُمَاتِلَهُ اسْتِخَالَا
تَنْزَرُهُ أَنْ يَسَاوَمَ أَوْ يُتَالَا

اعلم أيديك الله- أن كل ما في العالم منتقل من حال إلى حال. فعالم الزمان في كل زمان منتقل وعالم الأنفاس في كل نفس. وعالم التجلي في كل تجلٍ. والعلّة في ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾⁴

1 البسمة ص 2

2 كانت في ق: الوجود، وأسفلها صححت: الحياة.

3 ص 2 ب

4 [الرحمن : 29]

وأيدته بقوله تعالى: ﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَانِ﴾¹ وكلّ إنسان يجد من نفسه تنوع الخواطر في قلبه في حركاته وسكناته فما من ثقلٍ يكون في العالم الأعلى والأسفل إلّا وهو عن توجّه إلهي بتجلّ خاصّ لتلك العين، فيكون² استناده من ذلك التجلّي بحسب ما تعطيه حقيقته.

واعلم أنّ المعارف الكويّية منها علوم مأخوذة من الأكوان، ومعلوماتها أكوان، وعلوم تؤخذ من الأكوان ومعلوماتها نسب، والنسب ليست بأكوان. وعلوم تؤخذ من الأكوان ومعلومها ذات الحقّ، وعلوم تؤخذ من الحقّ ومعلومها الأكوان، وعلوم تؤخذ من النسب ومعلومها الأكوان، وهذه كلّها تسمّى العلوم الكويّية، وهي تنتقل بانتقال معلوماتها³ في أحوالها.

وصورة انتقالها أيضا أنّ الإنسان يطلب ابتداء معرفة كوني من الأكوان، أو يتخذ دليلا على مطلوبه كونا من الأكوان، فإذا حصل له ذلك المطلوب لاح له وجه الحقّ فيه ولم يكن ذلك الوجه مطلوباً له. فتعلّق به هذا الطالب وترك قصده الأوّل، وانتقل العلم يطلب ما يعطيه ذلك الوجه. فمنهم من يعرف ذلك، ومنهم من هو حاله هذا، ولا يعرف ما انتقل عنه، ولا ما انتقل إليه، حتى أنّ بعض أهل الطريق زلّ فقال: "إذا رأيتم الرجل يقيم على حال واحدة أربعين يوماً فاعلموا أنّه مُراءٍ".

يا عجبا! وهل تعطي الحقائق أن يبقى أحدٌ نفسين أو زمانين على حال واحدة، فتكون الألوهيّة معطّلة الفعل في حقّه؟! هذا ما لا يُصوّر. إلّا أنّ هذا العارف لم يعرف ما يراد بالانتقال، يكوّن الانتقال كان في الأمثال. فكان ينتقل مع الأنفاس، من الشيء إلى مثله، فالتبست عليه الصورة بكونه ما تغيّر عليه من الشخص حاله الأوّل في تحيّلته، كما يقال: فلانّ ما زال اليوم ماشيا، وما قعد. ولا شكّ أنّ المشي- حركات كثيرة متعدّدة، وكلّ حركة ما هي عين الأخرى، بل هي مثلها، وعلمك ينتقل بانتقالها؛ فيقول: "ما تغيّر عليه الحال"، وكم تغيّرت عليه من الأحوال!.

فصل⁴: (انتقالات العلوم الإلهيّة)

وأما انتقالات العلوم الإلهيّة، فهو الاسترسال الذي ذهب إليه أبو المعالي إمام الحرمين، والتعلّقات التي ذهب إليها محمد بن⁵ عمر بن الخطيب الرازي. وأما أهل القدم الراسخة من أهل طريقنا فلا يقولون هنا بالانتقالات، فإنّ الأشياء عند الحقّ مشهودة معلومة الأعيان والأحوال على صورها التي تكون عليها

1 [الرحمن : 31]

2 ق: فتكون.

3 ص 3

4 ص 3ب

5 "محمد بن" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب.

ومنها إذا وجدت أعيانها إلى ما لا يتناهى، فلا يحدث تعلق على مذهب ابن الخطيب، ولا يكون استرسال على مذهب إمام الحرمين رضي الله عن جميعهم-. والليل العقلي الصحيح يعطي ما ذهبنا إليه، وهذا الذي ذكره أهل الله ووافقناهم عليه، يعطيه الكشف من المقام الذي وراء طور العقل، فصدق الجميع، وكلّ قوّة أعطت بحسبها.

فإذا أوجد الله الأعيان فإنما أوجدها لها لا له، وهي على حالاتها بأماكها وأزمنتها- على اختلاف أمكنتها وأزمنتها. فيكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيئاً بعد شيء إلى ما لا يتناهى على التالي والتتابع. فالأمر بالنسبة إلى الله واحد كما قال تعالى:- ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَفِمْحٍ بِالْبَصْرِ﴾¹ والكثرة في نفس المعدودات، وهذا² الأمر قد حصل لنا في وقت، فلم يختل علينا فيه، وكان الأمر في الكثرة واحداً عندنا، ما غاب ولا زال، وهكذا شهده كلُّ من ذاق هذا.

فهم في المثال كشخص واحد له أحوال مختلفة، وقد صوّرت له صورة في كلّ حال يكون عليها، هكذا كلّ شخص، وجعل بينك وبين هذه الصور حجاب، فكشف لك عنها وأنت من جملة من له فيها صورة، فأدركت جميع ما فيها عند رفع الحجاب بالنظرة الواحدة، فالحق سبحانه- ما عدل بها عن صورها في ذلك الطبق، بل كشف لها عنها وألبسها حالة الوجود لها، فعابثت نفسها على ما تكون عليه أبداً.

وليس في حق نظرة الحقّ زمانّ ماضٍ ولا مستقبل، بل الأمور كلّها معلومة له في مراتبها، بتعداد صورها فيها. ومراتبها لا توصف بالتناهي ولا تنحصر، ولا حدّ لها تقف عنده. فهكذا هو إدراك الحقّ - تعالى- للعالم ولجميع الممكنات، في حال عدما ووجودها. فعليها تنوّعت الأحوال في خيالها لا في علمها فاستفادت من كشفها لذلك علما لم يكن عندها لإحالة لم تكن عليها. فتحقق هذا؛ فإنها مسألة خفية غامضة تتعلق بسرّ القدر، القليل من أصحابنا من يعثر عليها.

وأما تعلق علمنا بالله، فعلى قسمين³: معرفة بالذات الإلهية؛ وهي موقوفة على الشهود والرؤية، لكنّها رؤية من غير إحاطة. ومعرفة بكونه إلهاً؛ وهي موقوفة على أمرين أو أحدهما: وهو الوهب، والأمر الآخر: النظر والاستدلال. وهذه هي المعرفة المكتسبة. وأما العلم بكونه مختاراً؛ فإنّ الاختيار تعارضه أحديّة المشيئة، فنسبته إلى الحقّ إذا وُصف به، إنّما ذلك من حيث ما هو الممكن عليه، لا من حيث ما هو الحقّ عليه، قال تعالى:- ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَنَّاتٍ مِنْ رِزْقٍ وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِيهِ غَيْرَ كَيْدٍ مِنْ رَبِّهِ﴾⁴ وقال تعالى:- ﴿أَقْمَرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾¹

1 [الفر: 50]

2 ص 4

3 ص 4ب

4 [السجدة: 13]

وقال: ﴿مَا يُدُلُّ الْقَوْلُ لَنِي﴾ وما أحسن ما تمّ به هذه الآية: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾² وهنا تبه على برّ القدر، وبه كانت الحجّة البالغة لله على خلقه، وهذا هو الذي يليق بجناب الحقّ. والذي يرجع إلى الكون: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾³ فما شئنا، ولكن استدرّك للتوصيل؛ فإنّ الممكن قابلٌ للهداية والضلالة، من حيث حقيقته؛ فهو موضع الانقسام وعليه يرد التقسيم. وفي نفس الأمر ليس لله فيه إلا أمر واحد، هو معلوم عند الله من جملة حال الممكن.⁴

مسألة

(ظاهر معقول الاختراع، عدم المثال في الشاهد)

ظاهر معقول الاختراع، عدم المثال في الشاهد؛ كيف يصحّ الاختراع في⁵ أمر لم يزل مشهودا له - تعالى - معلوما، كما قرّناه في علم الله بالأشياء في كتاب "المعرفة بالله".

مسألة

(الأسماء الإلهية نسب وإضافات ترجع إلى عين واحدة)

الأسماء الإلهية نسب وإضافات ترجع إلى عين واحدة، إذ لا يصحّ هناك كثرة، بوجود أعيان فيه، كما زعم من لا علم له بالله من بعض النظائر، ولو كانت الصفات أعيانا زائدة وما هو إله إلا بها، لكانت الألوهية معلولة بها؛ فلا يخلو أن تكون هي عين الإله، فالشيء لا يكون علّة لنفسه أو لا تكون، فالله لا يكون معلولا لعلّة ليست عينه؛ فإنّ العلّة متقدّمة على المعلول بالرتبة، فيلزم من ذلك افتقار الإله من كونه معلولا لهذه الأعيان الزائدة، التي هي علّة له وهو محال. ثمّ إنّ الشيء المعلول لا يكون له علّتان وهذه كثيرة، ولا يكون إله إلا بها، فبطل أن تكون الأسماء والصفات أعيانا زائدة على ذاته، "تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا".

مسألة

(الصورة في المرآة جسدّ برزخيّ)

الصورة في المرآة جسدّ برزخيّ، كالصورة التي يراها النائم، إذا وافقت الصورة الخارجة، وكذلك الميت والمكاشف، وصورة⁶ المرآة أصدق ما يعطيه البرزخ؛ إذا كانت المرآة على شكل خاص ومقدار جرم

1 [الزمر : 19]

2 [آق : 29]

3 [السجدة : 13]

4 في الهامش: "بلغ".

5 ص 5

6 ص 5

خاص، فإن لم تكن كذلك لم تصدق في كل ما تعطيه، بل تصدق في البعض.

واعلم أنّ أشكال المرآئي تختلف، فتختلف الصور. فلو كان النظر بالانعكاس إلى المرآت، كما يراه بعضهم، لأدركها الرائي على ما هي عليه: من كبر جرمها وصغره؟ ونحن نبصر- في الجسم الصقيل الصغير الصورة المرئية الكبيرة في نفسها صغيرة، وكذلك الجسم الكبير الصقيل يكبر الصورة في عين الرائي، ويخربها عن حدّها، وكذلك العريض والطويل والمتموج. فإذن ليست الانعكاسات تعطي ذلك، فلم يتمكن أن نقول إلا أنّ الجسم الصقيل أحد الأمور التي تعطي صور البرزخ. ولهذا لا تتعلق الرؤية فيها إلا بالمحسوسات؛ فإنّ الخيال لا يمكّنك إلا ما له صورة محسوسة، أو مركّب من أجزاء محسوسة، تركبها القوّة المصورة؛ فتعطي صورة لم يكن لها في الحس وجود أصلاً، لكن أجزاء ما تركبت منه محسوسة لهذا الرائي بلا شك.

مسألة

(أكل نشأة ظهرت في الموجودات الإنسان)

أكل نشأة ظهرت في الموجودات: "الإنسان" عند الجميع، لأنّ الإنسان الكامل وُجد على الصورة لا الإنسان الحيوان. والصورة لها الكمال. ولكن لا يلزم من هذا أن يكون هو الأفضل عند الله؛ فهو أكل بالجموع. فإن قالوا: يقول الله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾² ومعلوم أنّه لا يريد أكبر في الجرم، ولكن يريد في المعنى؟ قلنا له: صدقت، ولكن من قال: إنّها أكبر منه في الروحية؟ بل معنى السماوات والأرض من حيث ما يدلّ عليه كلّ واحدة منهما من طريق المعنى المنفرد من النظم الخاص لأجرامها، أكبر في المعنى من جسم الإنسان، لا من كلّ الإنسان. ولهذا يصدر عن حركات السماوات والأرض أعيان المولّدات والتكوينات والإنسان من حيث جرمه من المولّدات، ولا يصدر من الإنسان هذا، وطبيعة العناصر من ذلك، فلماذا كانا أكبر من خلق الإنسان إذ هما له كالأبوين، وهو من³ الأمر الذي يتنزّل بين السماء والأرض، ونحن إنّما ننظر في الإنسان الكامل، فنقول: إنّ أكل، وأمّا أفضل عند الله⁴ فذلك لله تعالى- وحده، فإنّ الخلق لا يعلم ما في نفس الخالق إلا بإعلامه إيّاه.

1 ص 6

2 [غافر: 57]

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

4 لفظ الجلالة ثابت في الهامش بقلم الأصل.

مسألة

(ليس للحق صفة نفسية ثبوتية إلا واحدة)

ليس للحق صفة نفسية ثبوتية إلا واحدة، لا يجوز أن يكون له اثنتان فصاعداً¹، إذ لو كان لكانت ذاته مركبة منها أو منهن، والتركيب في حقه محال، فإثبات صفة زائدة ثبوتية على واحدة محال.

مسألة

(جواز أن يكون العباد مرحومين في آخر الأمر)

لما كانت الصفات نسبتاً وإضافات، والنسب أمور عدمية، وما تم إلا ذات واحدة من جميع الوجوه، لذلك جاز أن يكون العباد مرحومين في آخر الأمر، ولا يسرد عليهم عدم الرحمة إلى ما لا نهاية له، إذ لا مكره له على ذلك، والأسماء والصفات ليست أعياناً؛ توجب حكماً عليه في الأشياء، فلا مانع من شمول الرحمة للجميع، ولا سبياً وقد ورد سبقها للفضب، فإذا انتهى الغضب إليها، كان الحكم لها، فكان الأمر على ما قلناه، لذلك قال تعالى: ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾² فكان حكم هذه المشيئة في الدنيا بالتكليف.

وأما في الآخرة؛ فالحكم لقوله: ﴿يَقُولُ مَا يُرِيدُ﴾³. فمن يقدر أن يدلّ على أنه لم يرد إلا تسرد العذاب على أهل النار، ولا بد؟ أو على واحد في العالم كله، حتى يكون حكم الاسم المعذب والمبلي والمنتم وأمثاله صحيحاً؟ والاسم المبلي وأمثاله: نسبة وإضافة لا عين موجودة. وكيف تكون الذات الموجودة تحت حكم ما ليس بوجود؟ فكل ما ذكر من قوله: ﴿لَوْ شَاءَ﴾⁴ و﴿لَيَنْ شِئْنَا﴾⁵ لأجل هذا الأصل، فله الإطلاق.

وما تم نص⁷ يرجع إليه، لا يتطرق إليه احتمال في تسرد العذاب، كما لنا في تسرد النعم، فلم يبق إلا الجواز، وأنه رحمن الدنيا والآخرة. فإذا فهمت ما أشرنا إليه، قلّ تشغيبك، بل زال بالكليّة.

1 ص 6ب

2 [الرعد : 31]

3 [البقرة : 253]

4 ثابت في الهامش قبل الأصل مع إشارة التصويب.

5 [البقرة : 20]

6 [الإسراء : 86]

7 ص 7

مسألة

(إطلاق الجواز على الله تعالى، - سوء أدب مع الله)

إطلاق الجواز على الله تعالى، - سوء أدب مع الله، ويحصل المقصود بإطلاق الجواز على الممكن، وهو الأتيقن. إذ لم يرد به شرع، ولا دلّ عليه عقل فافهم. وهذا القدر كاف؛ فإن العلم الإلهي أوسع من أن يستقصى، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

الباب الثامن عشر

في معرفة علم المتجهدين، وما يتعلق به من المسائل،
ومقداره في مراتب العلوم، وما يظهر منه من العلوم في الوجود

عِلْمُ التَّهَجُّدِ عِلْمٌ الْغَيْبِ لَيْسَ لَهُ
إِنَّ التَّنَزَّلَ يُعْطِيهِ وَإِنَّ لَهُ
فَإِنَّ دَعَاةَ إِلَى الْمِعْرَاجِ خَالِقُهُ
فَكُلُّ¹ مَنْزِلَةٍ تُعْطِيهِ مَنْزِلَةٌ
مَا لَمْ يَمَّ، هَذِهِ فِي اللَّيْلِ حَالَتُهُ
تَوَافُجُ² الزُّهْرِ لَا تُعْطِيكَ زَانِحَةٌ
إِنَّ الْمُلُوكَ وَإِنْ جَلَّتْ مَنَاصِبُهَا
فِي مَنْزِلِ الْعَيْنِ إِخْسَاسٌ وَلَا نَظْرٌ
فِي عَيْنِهِ سُورًا تَقْلُوبًا بِهِ صُورٌ
بَدَتْ لَهُ بَيْنَ أَعْلَامِ الْعُلَا سُورٌ
إِذَا تَحَكَّمَ فِي أَجْفَانِهِ السَّهَرُ
أَوْ يُدْرِكُ الْفَجْرَ فِي آفَاقِهِ النَّصْرُ
مَا لَمْ يَجِدْ بِالنَّسِيمِ اللَّيْلِ السَّخْرُ
لَهَا مَعَ السُّوْقَةِ الْأَسْرَارُ وَالسَّمْرُ

اعلم أيديك الله - أن المتجهدين ليس لهم اسم خاص إلهي يعطيهم التهجّد ويقمهم فيه، كما لمن يقوم الليل كله. فإنّ قائم الليل كله له اسم إلهي يدعو به ويحركه. فإنّ التهجّد عبارة عنّ يقوم وينام ويقوم وينام ويقوم، فمن لم يقطع الليل في مناجاة ربه هكذا فليس بمتهجّد. قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾³ وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾⁴.

وله علم خاص من جانب الحق، غير أنّ هذه الحالة لَمَّا لم تجد في الأسماء الإلهية من تستند إليه، ولم تر أقرب نسبة إليها من الاسم الحق، فاستندت إلى الاسم الحق، وقيلها هذا الاسم. فكلّ علم يأتي به المتهجّد، إنّما هو من الاسم الحق. فإنّ النبي ﷺ قال لمن يصوم الدهر ويقوم الليل: «إنّ لنفسك عليك حقاً، ولعينك عليك⁵ حقاً؛ فصم وأفطر وقم وتمّ» فجمع له بين القيام والنوم لأداء حق النفس من أجل العين، ولأداء حق النفس من جانب الله. ولا تؤدّي الحقوق إلّا بالاسم الحق، ومنه لا من غيره، فلها استند المتهجّدون لهذا الاسم.

1 ص 7 ب

2 النافذة: وعاء المسك.

3 [الإسراء : 79]

4 [المزمل : 20]

5 ص 8

ثم إنه للمتجهّد أمرٌ آخر لا يعلمه كلّ أحد، وذلك أنّه لا يجني ثمرة مناجاة التهجّد، ويحصّل علومه، إلاّ من كانت صلاة الليل له نافلة. وأمّا من كانت فريضته من الصلاة ناقصة، فإنّها تكمل من فرائض نوافله. فإن استغرقت الفرائض نوافل العبد المتجهّد، لم تبق له نافلة وليس بمتجهّد، ولا صاحب نافلة. فلهذا لا يحصل له حال النوافل ولا علومها ولا تجلّياتها فاعلم ذلك.

فنوم المتجهّد ليحقّ عينه، وقيامه ليحقّ ربّه، فيكون ما يعطيه الحقّ من العلم والتجلّي في نومه ثمرة قيامه، وما يعطيه من النشاط والقوّة وتجلّيها وعلومها في قيامه ثمرة نومه، وهكذا جميع أعمال العبد بما افترض عليه. فتتداخل علوم المتجهّدين كتداخل ضفيرة الشعر. وهي من العلوم المعشوقة للنفوس حيث تلتف هذا الالتفاف، فتظهر لهذا الالتفاف أسرار العالم الأعلى والأسفل، والأسماء الدالة على الأفعال والتزييه¹، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْتَقَتِ السَّمَاوَاتُ بِالسَّمَاءِ﴾² أي اجتمع أمر الدنيا بأمر الآخرة، وما تمّ إلاّ دنيا وآخرة؛ وهو المقام المحمود الذي ينتجه التهجّد. قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْتَغِكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾³ و"عسى" من الله واجبة، و"المقام المحمود" هو الذي له عواقب الشاء، أي إليه يرجع كلّ شاء.

وأما قدر علم التهجّد؛ فهو عزيز المقدار. وذلك أنّه لما لم يكن له اسم إلهيّ يستند إليه كسائر الآثار، عرف من حيث الجملة؛ أنّ تمّ أمراً غاب عنه أصحاب الآثار، و(غابت عنه) الآثار. فطلب ما هو؟ فأذاه النظر إلى أن يستكشف عن الأسماء الإلهيّة؛ هل لها أعيان؟ أو هل هي نسب، حتى يرى رجوع الآثار؛ هل ترجع إلى أمر وجودي أو عديّ؟ فلما نظر رأى أنّه ليس الأسماء أعياناً موجودة، وإنما هي نسب، فرأى مستند الآثار إلى أمر عديّ.

فقال المتجهّد⁴: قصارى الأمر؛ أن يكون رجوعي إلى أمر عديّ. فأمعن النظر في ذلك، ورأى نفسه مولداً من قيام ونوم، ورأى النوم رجوع النفس إلى ذاتها وما تطلبه، ورأى القيام حقّ الله عليه. فلما كانت ذاته مركّبة من هذين الأمرين؛ نظر إلى الحقّ من حيث ذات الحقّ؛ فلاح له أنّ الحقّ إذا انفرد بذاته لذاته لم يكن العالم. وإذا توجه إلى العالم ظهر عين العالم لذلك التوجّه. فرأى أنّ العالم كلّ موجود عن ذلك التوجّه، المختلف النسب. ورأى المتجهّد⁵ ذاته مركّبة من نظر الحقّ لنفسه دون العالم؛ وهو حالة النوم

1 ص 8 ب

2 [القيامة : 29]

3 [الإسراء : 79]

4 ربما كان رسمها: التهجّد.

5 ص 9

6 رسمها في ق: التهجّد.

للناثم. ومن نظره إلى العالم؛ وهو حالة القيام لأداء حق الحق عليه. فعلم أن سبب وجود عينه؛ أشرف الأسباب؛ حيث استند من وجهه إلى الذات، معزاة عن نسب الأسماء، التي تطلب العالم إليه. فتحقق أن وجوده أعظم الوجود، وأن علمه أسنى العلوم، وحصل له مطلوبه، وهو كان غرضه، وكان سبب ذلك انكساره وفقره، فقال في قضاء وطره من ذلك ممتثلاً :

رَبِّ لَيْلٍ بِئْتُهُ مَا أَتَى فَجَزُهُ حَتَّى انْقَضَى وَطَرِي
مِنْ مَقَامٍ كُنْتُ أَعْتَقُهُ بِحَدِيثِ طَيْبِ الْخَبِيرِ

وقال في الأسماء:

لَمْ أَجِدْ لِلْإِسْمِ مَذْلُولًا غَيْرَ مَنْ قَدْ كَانَ مَفْعُولًا
ثُمَّ أَعْطَيْتُنَا حَقِيقَتَهُ كَوْنَهُ لِلْعَقْلِ مَفْعُولًا
فَتَلَفَّظْنَا بِهِ أَدْبًا وَاعْتَقَدْنَا الْأَمْرَ مَجْهُولًا

وكان قدر علمه في العلوم قدر معلومه، وهو الذات في المعلومات. فيتعلق¹ بعلم التهجّد علم جميع الأسماء كلّها، وأحقّها² به الاسم القيوم الذي ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾³ وهو العبد في حال مناجاته. فبمعلم الأسماء على التفصيل، أي كلّ اسم جاء؛ علم ما يحوي عليه من الأسرار، الوجودية وغير الوجودية، على حسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم. وبما يتعلّق بهذه الحالة من العلوم: علم البرزخ، وعلم التجلّي الإلهي في الصور، وعلم سوق الجنة، وعلم تعبير الرؤيا لا نفس الرؤيا من جهة من يراها، وإنما هي من جانب من تُرى له. فقد يكون الرائي هو الذي رآها لنفسه، وقد يراها له غيره، والعابر لها هو الذي له جزء من أجزاء النبوة، حيث علم ما أريد بتلك الصورة، ومن هو صاحب ذلك المقام.

واعلم أن المقام الحمد الذي للمتّهجد، يكون لصاحبه دعاءً معين، وهو قول الله تعالى- لِنَبِيِّهِ ﷺ يأمره به: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقِي﴾⁴ يعني لهذا المقام؛ فإنه موقف خاصّ بمحمد، يحمّد الله فيه بمحامد لا يعرفها إلا إذا دخل ذلك المقام ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقِي﴾⁵ أي إذا انتقل عنه إلى غيره من المقامات والمواقف؛ أن تكون العناية به معه في خروجه منه، كما كانت معه في دخوله إليه ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾⁶ من أجل المنازعين فيه. فإنّ المقام الشريف لا يزال صاحبه محسوداً، ولَمَّا كانت

1 ص وب

2 من هنا تبدأ الكتابة بخط جديد مع تشكيل حروف الكلمات حتى نهاية الصفحة.

3 [البقرة : 255]

4 [الإسراء : 80]

5 [الإسراء : 80]

6 [الإسراء : 80]

النفوس لا تصل إليه، رجعت تطلب وجهها من وجوه القدر فيه، تعظيماً لحالمهم التي هم عليها، حتى لا ينسب النقص إليهم عن هذا المقام الشريف. فطلب صاحب هذا المقام النصر¹ بالحجة التي هي السلطان على الجاحدين شرف هذه المرتبة ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾² ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 10

2 [الإسراء : 81]

3 [الأحزاب : 4]

الباب التاسع عشر

في سبب نقص العلوم وزيادتها

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾¹ وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ صَدْرِ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ»

تَجَلَّى وَجُودِ الْحَقِّ فِي فَلَكِ النَّفْسِ	ذَلِيلٌ عَلَى مَا فِي الْعُلُومِ مِنَ النَّقْصِ
وَأِنْ غَابَ عَنِ ذَلِكَ التَّجَلِّي بِنَفْسِهِ	فَهَلْ مُدْرِكٌ إِيَّاهُ بِالْبَحْثِ وَالْفَحْصِ؟
وَأِنْ ظَهَرَتْ لِلْعِلْمِ فِي النَّفْسِ كَثْرَةٌ	فَقَدْ ثَبَّتَ السِّرُّ الْحَقُّقُ بِالنَّقْصِ
وَلَمْ يَبْدُ مِنْ شَمْسِ الْوُجُودِ وَنُورِهَا	عَلَى عَالَمِ الْأَرْوَاحِ شَيْءٌ سِوَى الْقَرِصِ
وَلَيْسَ يُنَالُ الْعَيْنُ فِي غَيْرِ مَظْهَرٍ	وَلَوْ هَلَكَ الْإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِصِ
وَلَا رَبِّ فِي قَوْلِي الَّذِي قَدْ بَيَّنَّهُ	وَمَا هُوَ بِالزُّورِ الْمَسْوُوعِ وَالْحَرِصِ

اعلم أيديك الله - أن كل حيوان وكل موصوف بإدراك فإنه في كل نفس في علم جديد من حيث ذلك الإدراك، لكن الشخص المدرك قد لا يكون ممن² يجعل باله أن ذلك علم. فهذا هو في نفس الأمر علم. فاتصاف العلوم بالنقص في حق العالم هو أن الإدراك قد حيل بينه وبين أشياء كثيرة مما كان يدركها، لو لم يتم به هذا المانع كن طراً عليه العمى أو الصمم وغير ذلك.

ولما كانت العلوم تعلقو وتتضع بحسب المعلوم؛ لذلك تعلقت المهم بالعلوم الشريفة العالية التي إذا اتصف بها الإنسان زكث نفسه وعظمت مرتبته. فأعلاها مرتبة العلم بالله. وأعلى الطرق إلى العلم بالله علم التجليات. ودونها علم النظر. وليس دون النظر علم إلهي وإنما هي عقائد في عموم الخلق، لا علوم.

وهذه العلوم هي التي أمر الله نبيه ﷺ بطلب الزيادة منها. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾³ أي زدني من كلامك ما نزيد به علماً بك. فإنه قد زاد هنا من العلم؛ العلم بشرف التأني عند الوحي، أدبا مع المعلم الذي أتاه به، من قبل ربه. ولهذا أردف هذه الآية بقوله: ﴿وَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْفَائِزِينَ﴾⁴ أي ذلت، فأراد علوم التجلي، والتجلي أشرف الطرق إلى تحصيل العلوم، وهي علوم الأذواق.

[1] طه : 114

[2] ص 10 ب، من هنا عادت الكتابة بالخط الجديد المشار إليه في الصفحة السابقة واسم حتى نهاية ص 12.

[3] طه : 114

[4] طه : 111

واعلم أنّ للزيادة والنقص بابا آخر نذكره أيضا إن شاء الله؛ وذلك أنّ الله جعل لكلّ شيء وشفئ الإنسان من جملة الأشياء - ظاهرا وباطنا. فهي تدرك بالظاهر أمورا تستحقّ عينا، وتدرك بالباطن أمورا تستحقّ علما، والحقّ¹ سبحانه - هو الظاهر والباطن، فبه وقع الإدراك، فإنه ليس في قدرة كلّ ما سيؤى الله أن يدرك شيئا بنفسه، وإنما أدركه بما جعل الله فيه. وتجلّي الحقّ لكلّ من تجلّى له من أيّ عالم كان، من عالم الغيب أو الشهادة، إنما هو من الاسم الظاهر. وأمّا الاسم الباطن؛ فمن حقيقة هذه النسبة أنه لا يقع فيها تجلّ أبدا، لا في الدنيا ولا في الآخرة، إذ كان التجلّي عبارة عن ظهوره لمن تجلّى له في ذلك الجلي، وهو للاسم الظاهر، فإنّ معقولية النسب لا تبدل، وإن لم يكن لها وجود عيني، لكن لها الوجود العقليّ فهي معقولة.

فإذا تجلّى الحقّ؛ إمّا منته، أو إجابة لسؤال فيه - فتجلّى لظاهر النفس - وقع الإدراك بالحقّ في الصورة في برزخ التمثّل، فوَقعت الزيادة عند المتجلّى له في علوم الأحكام؛ إن كان من علماء الشريعة، وفي علوم موازين المعاني إن كان منطقيّا، وفي علوم ميزان الكلام إن كان نحويّا، وكذلك صاحب كلّ علم من علوم الأكوان وغير الأكوان، تقع له الزيادة في نفسه من علمه الذي هو بصدده.

فأهل هذه الطريقة، يعلمون أنّ هذه الزيادة إمّا كانت من ذلك التجلّي الإلهيّ لهؤلاء الأصناف، فإنهم لا يقدرّون على إنكار ما كشف لهم. وغير العارفين يحسّون بالزيادة، وينسبون ذلك إلى أفكارهم. وغير هذين يجدون من الزيادة ولا يعلمون أنّهم استرادوا شيئا. فهم في المثل **كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَشْقَارًا يَنْسُ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ**³ وهي هذه الزيادة وأصلها. والعجب من الذين نسبوا ذلك إلى أفكارهم، وما علم أنّ فكره ونظيره وبحته في مسألة من المسائل، هو من زيادة العلوم في نفسه، من ذلك التجلّي الذي ذكرنا. فالناظر مشغول بمتعلّق نظره وبغاية مطلبه، فيحجب عن علم الحال، فهو في مزيد علم وهو لا يشعر.

وإذا وقع التجلّي أيضا بالاسم الظاهر لباطن النفس وقع الإدراك بالبصيرة، في عالم الحقائق والمعاني المجردة عن الموادّ، وهي المعبر عنها بالنصوص، إذ النصّ ما لا إشكال فيه، ولا احتمال بوجوده من الوجوه، وليس ذلك إلّا في المعاني، فيكون صاحب المعاني مستريحاً من تعب الفكر، فتقع الزيادة له عند التجلّي في العلوم الإلهيّة، وعلوم الأسرار وعلوم الباطن وما يتعلّق بالآخرة، وهذا مخصوص بأهل طريقنا. فهذا سبب الزيادة.

1 ص 11

2 ص 11ب

3 [الجمعة : 5]

وأما سبب نقصها، فأمران: إما سوء في المزاج في أصل النشء، أو فساد عارض في القوة الموصلة إلى ذلك. وهذا لا ينبجر، كما قال الحضرمي في الغلام: "إنه طبع كافرا" فهذا في أصل النشء. وأما الأمر العارض فقد يزول، إن كان في القوة، بالطب، وإن كان في النفس فيشغله حب الرئاسة واتباع الشهوات، عن اقتناء العلوم التي فيها شرفه وسعادته، فهذا أيضا قد يزول بداعي الحق من قلبه، فيرجع إلى الفكر الصحيح، فيعلم أن الدنيا منزل من منازل المسافر، وأنها جسر تُعبّر، وأن الإنسان إذا لم تتحل نفسه هنا بالعلوم ومكارم الأخلاق وصفات الملأ الأعلى، من الطهارة والتزّه عن الشهوات الطبيعية الصارفة عن النظر الصحيح، واقتناء العلوم الإلهية؛ فيأخذ في الشروع في ذلك، فهذا أيضا سبب نقص العلوم.

ولا أعني بالعلوم التي يكون النقص منها عيبا في الإنسان، إلا العلوم الإلهية. وإلا فالحقيقة تعطي أنه ما تمّ نقص قط، وأن الإنسان في زيادة علم أبدا دائما، من جهة ما تعطيه حواسه، وتقلبات أحواله في نفسه وخواطره، فهو في مزيد علوم، لكن لا منفعة فيها، والظنّ والشكّ والنظر والجهل والغفلة والنسيان؛ كلّ هذا وأمثاله لا يكون معها العلم بما أنت فيه بحكم الظنّ أو الشكّ أو النظر أو الجهل أو الغفلة أو النسيان.

وأما نقص علوم التجليّ وزياتها؛ فالإنسان على إحدى حالتين: خروج الأنبياء بالتبليغ، أو الأولياء بحكم الوراثة النبوية. كما قيل لأبي يزيد حين خلع عليه خلع النيابة، وقال له: "أخرج إلى خلقي بصفتي فمن رآك رأني" فلم يسهه إلا امتثال أمر ربه. فخطا خطوة إلى نفسه من ربه، فغشي عليه. فإذا النداء: "رَبُّوا عَلَيَّ حَيِّبِي فَلَا صَبْرَ لَه عَنِّي" فإنه كان مستهلكا في الحقّ كأبي عقّال المغربي، فرَدّه إلى مقام الاستهلاك فيه الأرواح الموكلة به المؤيدة له، لَمَّا أمر بالخروج. فرَدّه إلى الحقّ وخُلعت² عليه خُلعة النلة والافتقار والانكسار. فطاب عيشه، ورأى ربه؛ فزاد أنسه، واستراح من حمل الأمانة المعارة التي لا بدّ له أن تؤخذ منه.

والإنسان من وقت رُقيّه في سلم المعراج، يكون له تجلّ إلهيّ بحسب سلم معراجه، فإنه لكلّ شخص من أهل الله سلمٌ يخصّه لا يرقى فيه غيره، ولو رقى أحد في سلم أحد، لكانت النبوة مكتسبة، فإن كلّ سلم يعطي لذاته مرتبة خاصة لكلّ من رقى فيه، وكانت العلماء ترقى في سلم الأنبياء، فتنال النبوة برقيتها فيه. والأمر ليس كذلك، وكان يزول الاتساع الإلهيّ بتكرار الأمر. وقد ثبت عندنا أنه لا تكرار في ذلك الجناب.

غير أنّ عدد درج المعاني كلّها -الأنبياء والأولياء والمؤمنون والرسول- على السواء؛ لا يزيد سلم على سلم

فإن كنت خارجا ووصلت إلى آخر درج، ظهر بذاته في ظاهره على قدرك، وكنت له مظهرا في خلقه، ولم يبق في باطنك منه شيء أصلا، وزالت عنك تجليات الباطن جملة واحدة. فإذا دعاك إلى الدخول إليه؛ فهي أول درج يتجلى لك في باطنك، بقدر ما ينقص من ذلك التجلي في ظاهره، إلى أن تنتهي إلى آخر درج، فيظهر على باطنك بذاته ولا يبقى في ظاهره² تجلّ أصلا. وسبب ذلك أن لا يزال العبد والربّ معا في كمال وجود كلّ واحد لنفسه؛ فلا يزال العبد عبدا، والربّ ربّا مع هذه الزيادة والنقص.

فهذا هو سبب زيادة علوم التجليات ونقصها في الظاهر والباطن، وسبب ذلك التركيب. ولهذا كان جميع ما خلقه الله وأوجده في عينه مركبا، له ظاهر وله باطن، والذي تسمعه من البسائط إنما هي أمور معقولة، لا وجود لها في أعيانها، فكلّ موجود سيوى الله تعالى؛ مركب. هذا أعطانا الكشف الصحيح الذي لا مرية فيه، وهو الموجب لاستصحاب الافتقار له، فإنه وصف ذاتي له.

فإن فهمتَ فقد أوضحنا لك المنهاج، ونصبتنا لك المعراج، فاسلك واعرج، تبصر وتشاهد ما يتناه لك. ولَمَّا عَيَّنَّا لك درج المعارج³، ما أبقينا لك في النصيحة التي أمرنا بها رسولُ الله ﷺ، فإنه لو وصفنا لك الثمرات والنتائج ولم نعيّن لك الطريق إليها، لشوّقناك إلى أمر عظيم لا تعرف الطريق الموصل إليه، فوالذي نفسي بيده، إنه لهو المعراج، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 ص 13

2 ق: "باطنك" وعلت بقلم الأصل في الهامش بعد إشارة الحذف.

3 ص 13 ب

4 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش بقلم الشيخ: "بلغ قراءة الظهير محمود، عليّ. وكتبه ابن العربي".

الباب العشرون

في العلم العيسوي، ومن أين جاء؟ وإلى أين ينتهي؟
وكيفيته؟ وهل تعلق بطول العالم، أو بعرضه، أو بهما؟

عَلِمَ عَيْسَى - هُوَ الَّذِي	تَجَمَّلَ الْخَلْقُ قَدْرَهُ
كَانَ يَخْبِي بِهِ الَّذِي	كَانَتْ الْأَرْضُ قَبْرَهُ
فَأَوَّمَ النَّفْخُ إِذْنَ مَنْ	غَابَ فِيهِ وَأَمْرَهُ
إِنَّ لَاهُوتَهُ الَّذِي	كَانَ فِي الْغَيْبِ صَهْرَهُ
هُوَ رُوحٌ مُمَثَّلٌ	أَظْهَرَ اللَّهُ سِرَّهُ
جَاءَ مِنْ غَيْبِ حَضْرَةِ	قَدَّمَ مَا اللَّهُ بَدْرَهُ
صَارَ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ مَا	كَانَ رُوحًا فَفَقْرَهُ
وَأَتَتْهُ فِيهِ أَمْرُهُ	فَجَبَّاهُ وَسَرَّهُ
مَنْ ¹ يَكُنْ مِثْلَهُ فَقَدْ	عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَهُ ²

اعلم -أيديك الله- أن العلم العيسوي هو علم الحروف، ولهذا أعطي النفخ، وهو الهواء الخارج من تجويف القلب، الذي هو روح الحياة. فإذا تقطع الهواء في طريق خروجه إلى فم الجسد، سمي مواضع انقطاعه حروفا، فظهرت أعيان الحروف.

فلما تألفت ظهرت الحياة الحسنية في المعاني؛ وهو أول ما ظهر من الحضرة الإلهية للعالم، ولم يكن للأعيان في حال عدما شيء من النسب إلا السمع، فكانت الأعيان مستعدة في ذواتها، في حال عدما، لقبول الأمر الإلهي إذا ورد عليها بالوجود. فلما أراد بها الوجود قال لها: ﴿كُنْ﴾ فتكونت، وظهرت في أعيانها. فكان الكلام الإلهي أول شيء أدركته من الله تعالى - بالكلام الذي يليق به سبحانه.

فأول كلمة تركبت، كلمة "كن" وهي مركبة من ثلاثة أحرف: كاف، وواو، ونون. وكل حرف من ثلاثة؛ فظهرت التسعة التي جذرها الثلاثة. وهي أول الأفراد. وانتهت بسائط العدد بوجود التسعة من

1 ص 14

2 كتب فوق: "عظم" كلمة: "ضعف"، وفوق كلمة: "أجره" كلمة: "بزه" فيكون: "صَفَّ اللهُ بَرَّهُ" ليشير إلى إمكانية الأخذ بالروايتين.

«كن» فظهر بـ«كن» عينُ المعدود والعدد. ومن هنا كان أصلُ تركيبِ المقدمات من ثلاثة، وإن كانت في الظاهر أربعة، فإنَّ الواحد¹ يتكرر في المقدمتين، فهي ثلاثة. وعن الفرد وُجد الكون، لا عن الواحد.

وقد عزفنا الحقَّ أنَّ سبب الحياة في صور المولِّدات، إنما هو النفخ الإلهي في قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾² وهو النَّفْسُ الذي أحيا الله به الإيمان، فأظهره. قال ﷺ: «إِنَّ نَفْسَ الرَّحْمَنِ يَأْتِيَنِي مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ» فحيث بذلك النَّفْسُ الرحمانيَّ صورةُ الإيمان في قلوب المؤمنين وصورةُ الأحكام المشروعة.

فأعطي عيسى علم هذا النفخ الإلهي ونسبته، فكان ينفخ في الصورة الكائنة في القبر، أو في صورة الطائر الذي أنشأه من الطين؛ فيقوم حيًّا بالإذن الإلهي الساري في تلك النفخة، وفي ذلك الهواء. ولولا سريان الإذن الإلهي فيه لما حصلت حياة في صورة أصلا. فمن نفس الرحمن جاء العلم العيسوي إلى عيسى، فكان يحيي الموتى بنفخه ﷺ وكان انتهاؤه إلى الصُّور المنفوخ فيها، وذلك هو الحظ الذي لكل موجود من الله، وبه يصل إليه، إذا صارت إليه الأمور كلها.

وإذا تحلَّل الإنسان في معراجهِ إلى ربِّهِ، وأخذ كلُّ كَوْنٍ منه في طريقهِ ما يناسبهِ، لم يبق منه إلا هذا السرِّ، الذي عنده من الله، فلا³ يراه إلا به ولا يسمع كلامه إلا به، فإنه يتعالى ويتقدَّس أن يُنْزَكَ إلا به. وإذا رجع الشخص من هذا المشهد، وتركَّب صورته التي كانت تحلَّلت في عروجه، وردَّ العالم إليه جميع ما كان أخذه منه مما يناسبه، فإنَّ كلَّ عالم لا يتعدى جنسه، فاجتمع الكلُّ على هذا السرِّ الإلهي واشتمل عليه، وبه سبَّحت الصورة بحمده، وحمدت ربَّها، إذ لا يحمدُه سِوَاهُ. ولو حمدته الصورة من حيث هي لا من حيث هذا السرِّ؛ لم يظهر الفضل الإلهي ولا الامتنان على هذه الصورة، وقد ثبت الامتنان له على جميع الخلائق، فثبت أنَّ الذي كان من المخلوق لله من التعظيم والثناء، إنما كان من ذلك السرِّ الإلهي، ففي كلِّ شيء من روحه، وليس شيء فيه. فالحقُّ هو الذي حمد نفسه، وسبَّح نفسه، وما كان من خير إلهي لهذه الصورة عند ذلك التحميد والتسبيح؛ فمن باب المنة لا من باب الاستحقاق الكوني، فإن جعل الحقُّ له استحقاقا فمن حيث أنَّه أوجب ذلك على نفسه.

فالكلمات عن الحروف، والحروف عن الهواء، والهواء عن النَّفْسِ الرحمانيِّ. وبالأسماء تظهر الآثار في الأكوان، وإليها ينتهي العلم العيسوي. ثمَّ⁴ إنَّ الإنسان بهذه الكلمات يجعل الحضرة الرحمانيَّة تعطيه من نفسها ما تقوم به حياة ما يسأل فيه بتلك الكلمات، فيصير الأمر دوريا دائما.

1 ص 14 ب

2 [الحجر : 29]

3 ص 15

4 ص 15 ب

واعلم أنّ حياة الأرواح حياة ذاتية، ولهذا يكون كلّ ذي روح حيّ بروحه، ولتأ علم بذلك السامريّ حين أبصر جبريل وعلم أنّ روحه عين ذاته، وأنّ حياته ذاتية، فلا يظنّ موضعاً إلاّ حيي ذلك الموضع، بمباشرة تلك الصورة الممتلئة إياه؛ فأخذ من أثره قبضة وذلك قوله تعالى- فيما أخبر به عنه أنّه قال ذلك: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَمْرِ الرُّسُولِ﴾¹ فلما صاغ العجل وصوّره؛ نبذ فيه تلك القبضة، فخار العجل.

ولتأ كان عيسى عليه السلام روحاً، كما سماه الله، وكما أنشأه، روحاً في صورة إنسان ثابتة، أنشأ جبريل في صورة أعرابي غير ثابتة²، كان (عيسى) يحيي الموتى بمجرد النفخ، ثمّ إنّه أيده بروح القدس، فهو روح مؤبد بروح طاهرة من دنس الأكوان. والأصل في هذا كلفه الحيّ الأزليّ؛ عين الحياة الأبدية. وإنما ميّز الطرفين؛ أعني الأزل والأبد وجود العالم وحدوثه الحيّ. وهذا العلم هو المتعلق بطول العالم، أعني العالم الروحانيّ؛ وهو عالم المعاني والأمر. ويتعلق بعرض العالم؛ وهو عالم الخلق والطبيعة والأجسام، والكلّ لله ﴿آلَهُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ﴾³ ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾⁴ ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁵ وهذا كان علم الحسين بن منصور رحمه الله-

فإذا سمعت أحداً من أهل طريقنا يتكلم في الحروف فيقول: إنّ الحرف الفلاني طوله كذا ذراعاً أو شبراً، وعرضه كذا، كالخلاج وغيره، فإنّه يريد بالطول: فعله في عالم الأرواح. وبالعرض: فعله في عالم الأجسام. ذلك المقدار المذكور الذي يميّزه به، وهذا الاصطلاح من وضع الخلاج.

فمن علم من المحققين حقيقة ﴿كُنْ﴾ فقد علم العلم العلويّ. ومن أوجد بهمته شيئاً من الكائنات فما هو من هذا العلم.

ولتأ كانت التسعة ظهرت في حقيقة هذه الثلاثة الأحرف (كُون)، ظهر عنها من المعدودات التسعة الأفلاك. وبحركات مجموع التسعة الأفلاك، وتسيير كواكبها؛ وجدت الدنيا وما فيها، كما أنّها أيضاً تخرب بحركاتها. وبحركة الأعلى من هذه التسعة؛ وجدت الجنة بما فيها. وعند حركة ذلك الأعلى؛ يتكوّن جميع ما في الجنة، وبحركة الثاني الذي يلي الأعلى؛ وجدت النار بما⁷ فيها، والقيامة والبعث والحشر والنشر.

وما ذكرناه كانت الدنيا ممتزجة: نعيم ممزوج بعذاب. وما ذكرناه أيضاً، كانت الجنة نعيماً كلّها، والنار عذاباً

1 [طه : 96]

2 يشير هنا إلى ظهور جبريل بصورة دحية الكلبي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض المرات.
3 ص 16

4 [الأعراف : 54]

5 [الإسراء : 85]

6 [الأعراف : 54]

7 ص 16ب

كلها، وزال ذلك المرح في أهلها. فنشأة الآخرة لا تقبل مزاج نشأة الدنيا، وهذا هو الفرقان بين نشأة الدنيا والآخرة. إلا أن نشأة النار -عني أهلها- إذا انتهى فيها الغضب الإلهي؛ أمده، ولجئ بالرحمة التي سبقته في المدى، يرجع الحكم لها فيهم، وصورتها صورتها لا تبدل، ولو تبدلت تعذبوا. فيحكم عليهم أولا، بإذن الله وتوليته، حركة الفلك الثاني من الأعلى، بما يظهر فيهم من العذاب، في كل محل قابل للعذاب. وإنما قلنا في كل محل قابل للعذاب؛ لأجل من فيها من لا يقبل العذاب.

فإذا انقضت مدتها، وهي خمس وأربعون ألف سنة، تكون في هذه المدة عذابا على أهلها، يتعذبون فيها عذابا متصلا لا يفتر ثلاثة وعشرين ألف سنة، ثم يرسل الرحمن عليهم نومة يغيبون فيها عن الإحساس، وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾¹ وقوله ﴿لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يُحْيَوْنَ﴾² في أهل النار الذين هم أهلها أنهم: «لا يموتون فيها ولا يحيون» يريد حالهم في هذه الأوقات التي يغيبون فيها عن إحساسهم، مثل الذي يغشى عليه من أهل العذاب في الدنيا، من شدة الجزع وقوة الآلام المفرطة، فيمكثون كذلك تسع عشرة ألف سنة.

ثم يفيقون من غشيتهم، وقد بدل الله جلودهم جلودا غيرها، فيعذبون فيها خمس عشرة ألف سنة، ثم يغشى عليهم، فيمكثون في غشيتهم إحدى عشرة ألف سنة، ثم يفيقون، وقد بدل الله جلودهم جلودا غيرها لينوقوا العذاب، فيجدون العذاب الأليم سبعة آلاف سنة، ثم يغشى عليهم ثلاثة آلاف سنة، ثم يفيقون فيرزقهم الله لذة وراحة، مثل الذي ينام على تعب ويستيقظ. وهذا من رحمته التي سبقت غضبه، ووسعت كل شيء، فيكون لها عند³ ذلك حكم التأيد من الاسم الواسع الذي به وسع كل شيء رحمة وعلما، فلا يجدون ألما، ويدوم لهم ذلك، ويستغفونهم ويقولون: نسينا فلا نسأل، حذارا أن نذكر بنفوسنا. وقد قال الله لنا: ﴿اٰخِسْتُوْا فِيْهَا وَلَا تَكَلَّمُوْا﴾⁴ فيسكتون وهم فيها مبلسون، ولا يبقى عليهم من العذاب إلا الخوف من رجوع العذاب عليهم.

فهذا القدر من العذاب، هو الذي يسرمد عليهم، وهو⁵ الخوف، وهو عذاب نفسي- لا جسدي- وقد يذهلون عنه في أوقات. فنصمهم الراحة من العذاب الحسي، بما يجعل الله في قلوبهم من أنه نور رحمة واسعة، يقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُنَسِّئُكُمْ كَمَا نَبِّئْتُمْ﴾⁶ ومن هذه الحقيقة يقولون: "نسينا" إذا لم يحسوا

1 [طه : 74]

2 ص 17

3 ق: "حكم عند".

4 [المؤمنون : 108]

5 ص 17 ب

6 [الجنات : 34]

بالالام، وكذلك قوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾¹ ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾² أي تُترك في جهنم إذ كان النسب
الترك، وبالهمز³: التأخر.

فأهل النار حظُّهم من النعم عدم وقوع العذاب، وحظُّهم من العذاب توقُّعه، فإنه لا أمان لهم بطر
الأخبار عن الله، ويحبسون عن خوف التوقُّع في أوقات: فوقتنا يحبسون عنه عشرة آلاف سنة، وو
الفي سنة، ووقتا ستة آلاف سنة ولا يخرجون عن هذا المقدار المذكور، متى ما كان لا بد أن يكون ه
القدر لهم من الزمان. وإذا أراد الله أن ينعمهم من اسمه الرحمن؛ ينظرون في حالهم التي هم عليها
الوقت، وخروجهم مما كانوا فيه من العذاب، فينعمون بذلك القدر من النظر، فوقتنا يدوم لهم هذا النعم
ألف سنة، ووقتا تسعة آلاف سنة، ووقتا خمسة آلاف سنة، فيزيد وينقص. فلا تزال حالهم هذه د
في جهنم إذ هم أهلها. وهذا⁴ الذي ذكرناه، كَلِمَة من العلم العيسوي، الموروث من المقام الحمدي. ﴿وَأ
يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 [التوبة : 67]

2 [طه : 126]

3 بالهمز: "نَسَا" من النسيتة، وهو التأخر.

4 ص 18

5 [الأحزاب : 4]

الباب الحادي والعشرون
في معرفة ثلاثة علوم كويتية،
وتوابع بعضها في بعض

عِلْمُ التَّوَالِجِ عِلْمُ الْفِكْرِ يَضْحَبُهُ
هِيَ الْأَدِلَّةُ إِنْ حَقَّقْتَ صُورَتَهَا
عَلَى الَّذِي أَوْقَفَ الْإِبْجَادَ أَجْمَعَهُ
وَالْوَاوُ لَوْلَا سُكُونُ الثُّونِ أَظْهَرَهَا
فَاعِلْمٌ بِأَنَّ وُجُودَ الْكَوْنِ فِي مَلِكٍ¹
عِلْمُ النَّاتِجِ فَاثْسَبُهُ إِلَى النَّظَرِ
مِثْلُ الدَّلَالَةِ فِي الْأُنْثَى مَعَ الذَّكْرِ
عَلَى حَقِيقَةِ "كُنْ" فِي عَالَمِ الصُّورِ
فِي الْعَيْنِ قَابِئَةً تَمِثِي- عَلَى قَدْرِ
وَفِي تَوَجُّهِهِ فِي جَوْهَرِ الْبَشَرِ

اعلم -أيديك الله- أن هذا هو علم التوالد والتناسل، وهو من علوم الأكوان، وأصله من العلم الإلهي. فلنبتين لك أولاً صورته في الأكوان وبعد ذلك ظهره لك في العلم الإلهي، فإن كل علم أصله من العلم الإلهي، إذ كان كل ما سوى الله من الله. قال تعالى:- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾² فهذا علم التوالج، سار في كل شيء، وهو علم الالتحام والنكاح، ومنه³ جسّي. ومعنوي وإلهي. فاعلم أنك إذا أردت أن تعلم حقيقة هذا، فلتنظره أولاً في عالم الحس، ثم في عالم الطبيعة، ثم في المعاني الروحانية، ثم في العلم الإلهي. فأما في الحس فاعلم أنه إذا شاء الله أن يظهر شخصاً بين اثنين؛ ذاك الاثنان هما ينتجانها. ولا يصح أن يظهر عنها ثالث، ما لم يتم بها حكم ثالث؛ وهو أن يفضي- أحدهما إلى الآخر بالجماع. فإذا اجتمعا على وجه مخصوص وشرط مخصوص؛ وهو أن يكون الحمل قابلاً للولادة، لا يفسد البذر إذا قبله، ويكون البذر يقبل فتح الصورة فيه، هذا هو الشرط الخاص. وأما الوجه المخصوص؛ فهو أن يكون التقاء الفرجين، وإنزال الماء أو الريح عن شهوة، فلا بد من ظهور ثالث، وهو المستى ولنا، والاثنان يستميان والدين، وظهور الثالث يستى ولادة، واجتماعهما يستى نكاحاً وسفاداً⁴، وهذا أمر محسوس واقع في الحيوان.

وإنما قلنا: بوجه مخصوص وشرط مخصوص، فإنه ما يكون عن كل ذكر وأنثى يجتمعان بنكاح ولد ولا بد، إلا بحصول ما ذكرناه، وسنيتيه في المعاني بأوضح من هذا، إذ المطلوب ذلك.

1 كتب فوقها: "معا" وفي الهامش: "فلأك" وعليه لفظ: "معا" يشير إلى صمة أي من الفظنين.

2 [الجمانية: 13]

3 ص 18ب

4 السفاد: نزول الذكر على الأنثى، ويقال للحيوانات عادة، وربما قصد به الزنى بين البشر تشبيهاً بفعل الحيوان.

وأما في الطبيعة؛ فإنَّ السماء إذا أمطرت الماء، وقبِلت الأرض الماء، ﴿وَوَزَيْتَ﴾ وهو خملها. فـ ﴿أَبْتَثَّ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾² وكذلك لقاح النخل والشجر ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾³ لأجل التوالد.

وأما في المعاني؛ فهو أن تعلم أنَّ الأشياء على قسمين: مفردات ومركبات. وأنَّ العلم بالمفرد يتقدّم على العلم بالمركب، والعلم بالمفرد يقتنص بالحدّ، والعلم بالمركب يقتنص بالبرهان. فإذا أردت أن تعلم وجود العالم؛ هل هو عن سبب أم لا؟ فلتعمد إلى مفردين، أو ما هو في حكم المفردين، مثل المقدّمة الشرطيّة، ثمّ تجعل أحد المفردين موضوعا مبتدأ، وتحمل المفرد الآخر عليه، على طريق الإخبار به عنه فقول: "كلّ حادثٍ". فهذا المستى مبتدأ؛ فإنّه الذي بدأت به. وموضوعا أول؛ فإنّه الموضوع الأوّل الذي وضعته، لتحمل عليه بما تجرّ به عنه. وهو مفرد؛ فإنَّ الاسم المضاف في حكم المفرد.

ولا بدّ أن تعلم بالحدّ معنى "الحادث"، ومعنى "كلّ" الذي أضفته إليه وجعلته له كالسور لما يحيط به، فإنَّ "كلّ" تقتضي الحصر بالوضع في اللسان، فإذا علمت الحادث، حينئذ حملت عليه مفردا آخر، وهو قولك "فله سبب". فأخبرت به عنه، فلا بدّ أن تعلم أيضا معنى "السبب"، ومعقوليته في الوضع، وهذا هو العلم بالمفردات المقتنصة بالحدّ، فقام من هذين المفردين⁴ صورة مركبة، كما قامت صورة الإنسان من حيوانية ونطق، فقلت فيه: حيوان ناطق.

فتركيب المفردين؛ يحمل أحدهما على الآخر لا ينتج شيئا، وإنما هي دعوى يفتر مدّعيا إلى دليل على صحّتها، حتى يصدق الخبر عن الموضوع بما أخبر به عنه، فيأخذ متنا ذلك مسلما، إذا كان في دعوى خاصة، على طريق ضرب المثال مخافة التطويل. وليس كتابي هذا بمحلّ لـ "ميزان المعاني" وإنما ذلك موقوف على علم المنطق، فإنّه لا بدّ أن يكون كلّ مفرد معلوما، وأن يكون ما يخبر به عن المفرد الموضوع معلوما أيضا؛ إما ببرهان جسّي أو بديهي أو نظريّ يرجع إليهما.

ثمّ تطلب مقدّمة أخرى تعمل فيها ما عملت في الأولى، ولا بدّ أن يكون أحد المفردين مذكورا في المقدمتين، فهي أربعة في صورة التركيب، وهي ثلاثة في المعنى لما نذكره إن شاء الله-. وإن لم يكن كذلك فإنّه لا ينتج أصلا.

1 ص 19

2 [الحج : 5]

3 [الناريايات : 49]

4 ص 19 ب

فنعول في هذه المسألة التي مثلنا بها في المقدمة الأخرى: "والعالم حادث" وتطلب فيه من العلم بحدّ المفرد فيها ما طلبته في المقدمة الأولى من معرفة العالم ما هو؟ وحمل الحدوث عليه بقولك: "حادث" وقد كان هذا الحادث -الذي هو محمول في هذه المقدمة- موضوعاً في الأولى، حين حملت عليه السبب، فتكرر الحادث في المقدمتين، وهو الرابط بينهما، فإذا ارتبطا سمي ذلك الارتباط وجه الدليل. وسمي اجتماعهما دليلاً¹ وبرهاناً. فينتج بالضرورة أنّ حدوث العالم له سبب. فالعلة الحدوث، والحكم السبب. فالحكم أعمّ من العلة؛ فإنه يشترط في هذا العلم أن يكون الحكم أعمّ من العلة أو مساوياً لها، وإن لم يكن كذلك فإنه لا يصدق. هذا في الأمور العقلية.

وأما مأخذها في الشرعيات؛ فإذا أردت أن تعلم مثلاً، أنّ النبيذ حرام بهذه الطريقة، فنقول: "كلّ مسكر حرام، والنبيذ مسكر، فهو حرام"². وتعتبر في ذلك ما اعتبرت في الأمور العقلية كما مثلت لك. فالحكم التحريم، والعلة الإسكاز. فالحكم أعمّ من العلة الموجبة للتحريم. فإنّ التحريم قد يكون له سبب آخر غير السكر، في أمر آخر، كالتحريم في الفصص والسرقة والجناية وكلّ ذلك علل في وجود التحريم في المحرم. فلهذا الوجه الخصوص صدق.

فقد بان لك بالتقريب ميزان المعاني، وأنّ النتائج إنما ظهرت بالتوالج الذي في المقدمتين، اللتين³ هما كالأبوين في الحس، وأنّ المقدمتين مركبة من ثلاثة، أو ما هو في حكم الثلاثة. فإنه قد يكون للجملة معنى الواحد في الإضافة والشرط، فلم تظهر نتيجة إلا من الفردية. إذ لو كان الشفع، ولا يصحبه الواحد؛ صحبة خاصة، ما صحّ أن يوجد عن الشفع شيء أبداً. فبطل الشريك في وجود العالم، وثبت الفعل للواحد، وأنه بوجوده ظهرت الموجودات عن الموجودات. فتبين⁴ لك أنّ أفعال العباد، وإن ظهرت منهم، أنه لولا الله ما ظهر لهم فعل أصلاً.

فجمع هذا الميزان بين إضافة الأعمال إلى العباد بالصورة⁵، وإيجاد تلك الأفعال لله تعالى، وهو قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁶ أي وخلق ما تعملون. فنسب العمل إليهم، وإيجاده لله تعالى. والخلق قد يكون بمعنى الإيجاد؛ ويكون بمعنى التقدير، كما أنه قد يكون بمعنى الفعل مثل قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ﴾⁷ ويكون بمعنى الخلق مثل قوله: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾¹.

1 ص 20

2 هناك رواية بين السطرين وفي الهامش بخط آخر مفادها: "كل نبيذ مسكر، وكل مسكر حرام، فالنبيذ حرام".

3 رسمها في ق أقرب إلى اللذين

4 ص 20 ب

5 وما قرئت: بالصور

6 [الصافات: 96]

7 [الكهف: 51]

وأما هذا التوالج في العلم الإلهي والتوالد؛ فاعلم أنّ ذات الحقّ تعالى- لم يظهر عنها شيء أصلا من كونها ذاتا، غير منسوب إليها أمر آخر، وهو أن ينسب إلى هذه الذات أنّها قادرة على الإيجاد، عند أهل السنة أهل الحقّ. أو ينسب إليها كونها علّة، وليس هذا مذهب أهل الحقّ، ولا يصحّ. وهذا بما لا يحتاج إليه، ولكن كان الغرض في سياقه، من أجل مخالفي أهل الحقّ، لتقرّر عنده أنّه ما نُسب وجود العالم لهذه الذات، من كونها ذاتا، وإنما نسبوا العالم لها بالوجود من كونها علّة، فلهذا أوردنا مقالاتهم.

ومع هذه النسبة؛ وهي كونه قادرا، لا بدّ من أمر ثالث، وهو إرادته الإيجاد لهذه العين المقصودة بأن توجد، ولا بدّ من التوجّه بالقصد إلى إيجادها بالقدرة عقلا وبالقول شرعا بأن تتكوّن. فما وجد الخلق إلّا عن الفردية² لا عن الأحديّة، لأنّ أحديته لا تقبل الثاني، لأنّها ليست أحديّة عدد. فكان ظهور العالم في العلم الإلهي عن ثلاث حقائق معقولة، فسرى ذلك في توالد الكون بعضه عن بعض، لكون الأصل على هذه الصورة.

ويكفي هذا القدر من هذا الباب، فقد حصل المقصود بهذا التنبيه، فإنّ هذا الفنّ في مثل طريق أهل الله، لا يحتمل أكثر من هذا فإنّه ليس من علوم الفكر هذا الكتاب، وإنما هو من علوم التلقّي والتدلي، فلا يحتاج فيه إلى ميزان آخر³ غير هذا وإن كان له به ارتباط فإنّه لا يخلو عنه جملة واحدة، ولكن بعد تصحيح المقدمات، من العلم بمفرداتها بالحدّ الذي لا يُمتنع، والمقدمات بالبرهان الذي لا يُدفع. يقول الله في هذا الباب ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾⁴ فهذا مما كتبا بصدده في هذا الباب، وهذه الآية وأمثالها أحوجتنا إلى ذكر هذا الفنّ، ومن باب الكشف لم يشتغل أهل الله بهذا الفنّ من العلوم لتضييع الوقت، وعمر الإنسان عزيز ينبغي أن لا يقطعه الإنسان إلّا في مجالسة ربّه والحديث معه على ما شرعه له، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

اتتهى الجزء الخامس عشر والحمد لله.

1 [لقمان : 11]

2 ص 21

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

4 [الأنبياء : 22]

5 [الأحزاب : 4]

الجزء السادس عشر¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الثاني والعشرون في معرفة علم منزل المنازل، وترتيب جميع العلوم الكويتية

عَجِبْنَا لِأَفْوَالِ التَّنْصِيبِ السَّامِيَّةِ إِنَّ الْمَنَازِلَ فِي الْمَنَازِلِ سَارِيَّةٌ
كَيْفَ الْغُرُوجِ مِنَ الْحَضِيضِ إِلَى الْعَلَا إِلَّا بِفَهْرِ الْحَضْرَةِ الْمُتَعَالِيَّةِ
فَصِنَاعَةُ التَّخْلِيلِ فِي مَفْرَاجِهَا نَحْوَ الطَّائِفِ وَالْأُمُورِ السَّامِيَّةِ
وَصِنَاعَةُ التَّرْكِيبِ عِنْدَ رُجُوعِهَا بَسْنَا الرُّجُودَ إِلَى ظِلَامِ الْهَاطِيَّةِ

اعلم أيديك الله - أنه لما كان العلم المنسوب إلى الله، لا يقبل الكثرة ولا الترتيب، فإنه غير مكسب، ولا مستفاد، بل علمه عين ذاته، كسائر ما ينسب إليه من الصفات، وما سُمِّي به من الأسماء. وعلوم ما سوى الله لا بد أن تكون مرتبة محصورة: سواء كانت علوم وهب أو علوم كسب، فإنها لا تخلو من هذا الترتيب الذي نذكره. وهو علم المفرد أولاً، ثم علم التركيب، ثم علم المركب، ولا رابع لها. فإن كان من المفردات الذي لا يقبل التركيب علمه مفرداً، وكذلك ما بقي، فإن كل معلوم لا بد أن يكون مفرداً أو مركباً، والمركب يستدعي بالضرورة تقدم علم³ التركيب وحينئذ يكون علم المركب.

فهذا قد علمت ترتيب جميع العلوم الكويتية. فلنبين لك حضر- المنازل في هذا المنزل؛ وهي كثيرة لا نحصى، ولنقتصر منها على ما يتعلق بما يختص به شرعنا ويمتاز به، لا بالمنازل التي يقع فيها الاشتراك، بيننا وبين غيرنا من سائر علوم الملل والنحل، وجمعتها تسعة عشر- مرتبة أمهات. ومنها ما يتفرع إلى منازل، ومنها ما لا يتفرع. فلنذكر أسماء هذه المراتب، ولنجعل لها اسم "المنازل"، فإنه كذا عرّفنا بها في الحضرة الإلهية، والأدب أولى.

1 العنوان ص 21ب

2 البسطة ص 22

3 ص 22ب

فلنذكر ألقاب هذه المنازل، وصفات أربابها، وأقطابها المتحققين بها وأحوالهم، وما لكلّ حال من هذه الأحوال من الوصف، ثم بعد ذلك نذكر إن شاء الله -كلّ صنف من هذه التسعة عشر، ونذكر بعض ما يشتمل عليه من أمتهات المنازل، لا من المنازل، فإنه تمّ منزل يشتمل على ما يزيد على المائة، من منازل العلامات والدلالات، على أنوار جليّة، ويشتمل على آلاف وأقلّ من منازل الغايات الحاوية على الأسرار الخفيّة والخواصّ الجليّة، ثمّ نتلو ما ذكرنا بما يضاهاى هذا العدد لهذه المنازل من الموجودات، قديمها وحديثها، ثمّ نذكر ما يتعلّق ببعض معاني¹ هذا المنزل على التقريب والاختصار إن شاء الله تعالى.

دِكْرُ ألقابها وصفات أقطابها

فمن ذلك: منازل² الثناء والمدح هو لأرباب الكشوفات والفتح، ومنازل الرموز والألغاز لأهل الحقيقة والجاز، ومنازل الدعاء لأهل الإشارات والبعد، ومنازل الأفعال لأهل الأحوال والاتصال، ومنازل الابتداء لأهل الهواجس والإيماء، ومنازل التنزيه لأهل التوجيه في المناظرات والاستنباط، ومنازل التقريب للغرباء المتألّهين، ومنازل التوقّع لأصحاب البراقع من أجل السُّبُحات، ومنازل البركات لأهل الحركات، ومنازل الأقسام لأهل التدبير من الروحانيّين، ومنازل الدهر لأهل النوق، ومنازل الإتيّة لأهل المشاهدة بالأبصار، ومنازل اللام والألف للالتفاف الحاصل بالتخلّق بالأخلاق الإلهيّة ولأهل السرّ الذي لا ينكشف، ومنازل التقرير لأهل العلم بالكيمياء الطبيعيّة والروحانيّة، ومنازل فناء الأكوان للضنائن المخدّرات، ومنازل الألفة لأهل الأمان من أهل الفُرف، ومنازل الوعيد للمتمسّكين³ بقائمة العرش الأجد، ومنازل الاستخبار لأهل غامضات الأسرار، ومنازل الأمر للمتحقّقين بحقائق سرّه فيهم.

وأما صفاتهم:

فأهل المدح لهم الزهو، وأهل الرموز لهم النجاة من الاعتراض، وأما المتألّهون فلهم التيه بالتخلّق، وأما أهل الأحوال والاتصال فلهم الحصول على العين، وأما أهل الإشارة فلهم الحيرة عند التبليغ، وأما أهل الاستنباط فلهم الغلط والإصابة وليسوا بمعصومين، وأما الغرباء فلهم الانكسار، وأما أهل البراقع فلهم الخوف، وأما أهل الحركة فلهم مشاهدة الأسباب، والمدبّرون لهم الفكر، والممكنون لهم الحدود، وأهل المشاهد لهم الجحد، وأهل الكتم لهم السلامة، وأهل العلم لهم الحكم على المعلوم، وأهل الستر منتظرون رفعه، وأهل الأمان في موطن الخوف من المكر، وأهل القيام لهم التعود، وأهل الإلهام لهم التحكم، وأهل التحقيق لهم ثلاثة أثواب: ثوب إيمان وكفر ونفاق.

1 ص 23

2 بالهامش "منزل".

3 ص 23ب

وأما¹ ذكر أحوالهم:

فاعلم أنّ الله تعالى - قد هيأ المنازل للنازل، ووطأ المعامل للماعل، وزوى المراحل للراحل، وأعلى المعاليم للعالم، وفصل المقاسم للقاسم، وأعدّ القواصم للقاصم، وبيّن العواصم للعاصم، ورفع القواعد للقاعد، ورتّب المراد للراصد، وسخّر المراكب للراكب، وقرب المذاهب للذاهب، وسطرّ الهامد للحامد، وسهّل المقاصد للقاصد، وأنشأ المعارف للمعارف، وثبتّ المواقف للواقف، ووعرّ المسالك للسالك، وعيّن المناسك للناسك، وأخرس المشاهد للمشاهد، وأحرس الفراقيد للفراقيد.

ذكر صفات أحوالهم:

فإنّه سبحانه - جعل النازل مقدّراً، والماعل مفكّراً، والراحل مشتمّراً، والعالم مشاهداً، والقاصم مكابداً، والقاصم مجاهداً، والعاصم مساعداً، والقاعد عارفاً، والراصد واقفاً، والراكب محمولا، والذاهب معلولا، والحامد مستولوا، والقاصد مقبولوا، والعارف مبخوتا، والواقف مبهوتا، والسالك مردوداً²، والناسك معبوداً، والشاهد محكّماً، والراقد مسلماً.

فهذا قد ذكرنا صفات هؤلاء التسعة عشر صنفاً في أحوالهم، فلنذكر ما يتضمّن كلّ صنف من أمّهات المنازل. وكلّ منزل من هذه الأمّهات يتضمّن أربعة أصناف من المنازل. الصنف الأوّل يسمّى منازل الدلالات، والصنف الآخر يسمّى منازل الحدود، والصنف الثالث يسمّى منازل الخواص، والصنف الرابع يسمّى منازل الأسرار، ولا تحصى كثرة. فلنقتصر على التسعة عشر، ولنذكر أعداد ما تنطوي عليه من الأمّهات وهذا أولها.

- منزل المدح:

له منزل الفتح؛ فتح السرّين ومنزل المفاتيح الأوّل ولنا فيه جزء سميّناه "مفاتيح الفيوب" ومنزل العجائب، ومنزل تسخير الأرواح البرزخية، ومنزل الأرواح العلوية، ولنا في بعض معانيه من النظم قولنا:

مَنَازِلُ الْمَدْحِ وَالْتِبَاهِي	مَنَازِلٌ مَا لَهَا تَبَاهِي ³
لَا تَطْلُبِينَ فِي السُّمُوِّ مَدْحًا	مَدَائِحُ الْقَوْمِ فِي التَّرَى هِي
مَنْ ظَمِئَتْ نَفْسُهُ بِجَهَادًا	يَلْتَرِبُ مِنْ أَعْدَابِ الْيَبَاهِي

يقول⁴ ليس مدح العبد أن يتصف بأوصاف سيّده؛ فإنّه سوء أدب، وللسيّد أن يتصف بأوصاف

1 ص 24

2 ص 24ب

3 ق: تناء

4 ص 25

عبده تواضعا. فالسيد النزول، لأنه لا يحكم عليه، فنزوله إلى أوصاف عبده تفضل منه على عبده حتى يبسطه. فإن جلال السيد أعظم في قلب العبد، من أن يدل عليه، لولا تنزله إليه. وليس للعبد أن يتصف بأوصاف سيده؛ لا في حضرته ولا عند إخوانه من العبيد، وإن وآه عليهم، كما قال عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا خسر» وقال تعالى: ﴿تِلْكَ النَّارُ الْأَخْزَرُ نَجْمُهَا أَي تَمْلِكُهَا مَلِكًا﴾ اللذين لا يريدون علواً في الأرض ¹ فإن الأرض قد جعلها الله ذلولا، والعبد هو اللليل، والذلة لا تقتضي العلو، فمن جاوز قدره هلك، يقال: "ما هلك امرؤ عرف قدره".

وقوله: "ما لها تناء" يقول إنه ليس للعبد في عبوديته نهاية يصل إليها، ثم يرجع ربا، كما أنه ليس للرب حد ينتهي إليه ثم يعود عبدا. فالرب رب إلى غير نهاية، والعبد عبد إلى غير نهاية. فلنا قال: "مدائح القوم في الثرى هي" وهو أذل من وجه الأرض. وقال: "لا يعرف لذة الماء إلا الظمآن"، يقول: لا يعرف لذة الاتصاف بالعبودية، إلا من ذاق الآلام عند اتصافه بالرهوبية، واحتياج الخلق إليه، مثل سليمان، حين طلب أن يجعل الله أرزاق العباد على يديه حسا²، فجمع ما حضره من الأقوات في ذلك الوقت؛ فخرجت دابة من دواب البحر فطلبت قوتها. فقال لها: خذي من هذا قدر قوتك في كل يوم. فأكلته حتى أنت على آخره، فقالت: زدني فما وفيت برزقي، فإن الله يعطيني كل يوم مثل هذا عشر-مئات، وغيري من النواب أعظم مني وأكثر رزقا؟ فتاب سليمان عليه السلام إلى ربه، وعلم أنه ليس في وسع مخلوق ما ينبغي للمخلوق تعالى-، فإنه طلب من الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده. فاستقال من سؤاله حين رأى ذلك، واجتمعت النواب عليه تطلب أرزاقها من جميع الجهات، فضاق لذلك ذرعا، فلما قبل الله سؤاله وأقاله، وجد من اللذة لنلك ما لا يقدر قدرها.

- منزل الرموز:

فاعلم سوفك الله - أنه وإن كان منزلا، فإنه يحوي على منازل: منها منزل الوحدانية، ومنزل العقل الأول والعرش الأعظم والصدى، والإيمان من العماء إلى العرش، وعلم التمثل، ومنزل القلوب والحجاب، ومنزل الاستواء الفهواني، والألوهية السارية، واستمداد الكهان، والدهر، والمنازل التي³ لا ثبات لها ولا ثبات لأحد فيها، ومنزل البرازخ، والإلهية والزيادة والغيرة، ومنزل الفقد والوجدان، ومنزل رفع الشكوك والوجد الحزون، ومنزل القهر والخسف، ومنزل الأرض الواسعة.

ولما دخلت هذا المنزل، وأنا بتونس، وقعت مني صيحة ما لي بها علم أنها وقعت مني، غير أنه ما بقي

1 [التصص : 83]

2 ص 25 ب

3 ص 26

أحد من سمعها إلا سقط مغشياً عليه، ومن كان على سطح البار من نساء الجيران، مستشرفا علينا غشي-
عليه، ومنهن من سقطت من السطوح إلى صحن البار، على علوها، وما أصابه بأس، وكنت أول من أفاق،
وكتنا في صلاة خلف إمام، فما رأيت أحداً إلا صاعقا، فبعد حين أفاقوا. فقلت: ما شأنكم؟ فقالوا: أنت ما
شأنك؟ لقد صححت صيحةً أثرت ما ترى في الجماعة. فقلت: والله ما عندي خبر آتى صحح.

و(بما يحوي عليه) منزل الآيات الغريبة، والحكم الإلهية، ومنزل الاستعداد والزينة، والأمر الذي مسك
الله به الأفلاك السماوية، ومنزل الذكر والسلب. وفي هذه المنازل قلت:

مَنَازِلُ الْكَوْنِ فِي الْوُجُودِ	مَنَازِلُ كُلِّهَا رُجُورُ
مَنَازِلٌ ¹ لِلْفُقُولِ فِيهَا	دَلَائِلُ كُلِّهَا تَجُورُ
لَمَّا آتَى الطَّالِبُونَ قَضَا	لِنَيْلِ شَيْءٍ بِذَلِكَ جُورُوا
فَيَا عَمِيدَ الْكِيَانِ حُورُوا	هَذَا الَّذِي سَأَلْتُمْ وَجُورُوا

"الرمز" و"اللفز" هو الكلام الذي يعطي ظاهره ما لم يقصده قائله. وكذلك منزل العالم في الوجود،
ما أوجده الله لعينه وإنما أوجده الله لنفسه، فاشتغل العالم بغير ما وجد له، فخالف قصد موجدته. ولهذا
يقول جماعة من العلماء العارفين، وهم أحسن حالا ممن دونهم: إن الله أوجدنا لنا. والحقق والعبد لا يقول
ذلك، بل يقول: إنما أوجدنا له، لا حاجة منه إليّ، فأنا لغير ربّي ورمزه. ومن عرف أشعار الألفاز عرف ما
أردناه.

وأما قوله:

لَمَّا آتَى الطَّالِبُونَ قَضَا لِنَيْلِ شَيْءٍ بِذَلِكَ جُورُوا

من المجازاة، يقول: من طلب الله لأمرٍ فهو لما طلب، ولا ينال منه غير ذلك. وقوله: "فيا عميد
الكيان" يقول: من عبد الله لشيءٍ فذلك الشيء معبوده وربّه، والله بريء منه، وهو لئما عبده. وقوله:
"حوزوا" أي خذوا ما جتم له² أي بسببه. و"جوزوا" أي روحوا عتاً فإتكم ما جتم إلينا ولا بسببنا.

- منزل الدعاء:

هذا³ المنزل يحوي على منازل؛ منها منزل الأُنس بالشبيه، ومنزل التَغذّي ومنزل مكة والطاهب
والحجب، ومنزل المقاصير والابتلاء، ومنزل الجمع والتفرقة والمنع، ومنزل النواشي والتقدّيس. وفي هذا

1 ص 26 ب

2 ق: 4.

3 ص 27

لِتَأْتِيَهُ الرَّحْمَنُ فِيكَ مَنَازِلُ فَأَجِبْ بِدَاءِ الْحَقِّ طَوْعًا يَا قُلُ¹
رَفَعْتَ إِلَيْكَ الْمُرْسَلَاتِ أَكْفَهَا تَرْجُو التَّوَالٍ فَلَا يَجِيبُ السَّائِلُ
أَنْتَ الَّذِي قَالَ اللَّيْلُ بِفَضْلِهِ وَأَنَا عَلَيْهِ شَوَاهِدٌ وَذَلَائِلُ
لَوْلَا اخْتِصَاؤُكَ بِالْحَقِيقَةِ مَا زَهَتْ بِتَرْوِكَ الْأَعْلَى لَدَيْهِ مَنَازِلُ

يقول: إنَّ دعاء الحقَّ عباده، إنما هو لسان أسماء تطلبه من أسمائه؛ وذلك العبد في ذلك الوقت تحت سلطانها. و"المرسلات": لطائف الخلق ترفع أكفها إلى من هي في يديه من الأسماء، لتجود به على من يطلبها من الأسماء، والمستول أبدا إنما هو من له المهيمنة على الأسماء؛ كالعلم الذي له التقدم على الخير والحسيب والحصي والمفضل. ولهذا قال:

أَنْتَ الَّذِي قَالَ اللَّيْلُ بِفَضْلِهِ

والحقيقة التي اختصَّ بها إحاطته بما تحته في الرتبة، من الأسماء الإلهية؛ إذ القادر في الرتبة دون المريد، والعالم في الرتبة فوق المريد²، والحَيُّ فوق الكل، فالمنازل التي تحت إحاطة الاسم الجامع تتخر بنزوله إليها إجابة لسؤالها.

- منزل الأفعال:

وهو يشتمل على منازل منها منزل الفضل والإلهام، ومنزل الإسراء الروحاني، ومنزل التلطّف، ومنزل الهلاك. وفي هذه المنازل أقول:

لِمَنَازِلِ الْأَفْعَالِ يَزِقُّ لَامِعُ وَرِيَا حُمَا تَرْجِي السَّحَابَ رَازِعُ
وَسِيَاهُمَا فِي الْعَالَمِينَ تَوَافِدُ وَسُيُوفُهَا فِي الْكَائِنَاتِ قَوَاطِعُ
أَلْقَتْ إِلَى الْعِزِّ الْحَقِيقِ أَمْرَهَا فَالْعَيْنُ تُبْصِرُ وَالتَّنَاوُلُ شَاسِعُ

الناس في أفعال العباد على قسمين: طاقة ترى الأفعال من العباد، وطاقة ترى الأفعال من الله. وكلُّ طاقة يبدو لها مع اعتقادها ذلك شبه البرق اللامع في ذلك، يعطيها أن للذي نفى عنه ذلك الفعل نسبةً ما، وكلُّ طاقة لها سحاب، تحول بينها وبين نسبة الفعل لمن نَشَتْهُ عنه. وقوله في رياحها: "إنها شديدة" أي الأسباب والأدلة التي قامت لكل³ طاقة على نسبة الأفعال لمن نسبتهما إليه قوّة بالنظر إليه، ووصف

1 يا فلان: يا فلان.

2 ص 27ب

3 ص 28

سهاهما بالنفوذ في نفوس الذين يعتقدون ذلك، وكذلك سيوفها فيهم قواطع.

وقوله: "إنها" ألقت إلى العز" أي احتمت بجنى مانع يمنع المخالف أن يؤثر فيه، فيبقى على هذا كل أحد على ما هي إرادة الله فيه، قال تعالى:- ﴿رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾¹.

وقوله: "فالعين تبصر" يقول: الجس يشهد أن الفعل للعبد، والإنسان يجد ذلك من نفسه، بما له فيه من الاختيار. وقوله: "التناول شاسع" أي ونسبته إلى غير ما يعطيه الحس والنفوس بعيد المتناول، إلا أنه لا بد فيه من برق لامع، يعطي نسبة في ذلك الفعل، لمن نهي عنه، لا يقدّر على مجدها.

- منزل الابتداء:

ويشتمل على منازل منها منزل الغلظة والشبكات، ومنزل التنزلات والعلم بالتوحيد الإلهي، ومنزل الرحموت، ومنزل الحق والفرع. وفي هذا المنزل أقول:

لِلْإِبْتِدَاءِ شَوَاهِدٌ وَذَلَائِلُ	وَأَلَهُ إِذَا حُطَّ الرِّكَابُ مَنَازِلُ
يُخَوِّي ² عَلَى عَيْنِ الْحَوَادِثِ حُكْمَهُ	وَيَمْدُهُ اللَّهُ الْكَرِيمِ الْفَاعِلُ
مَا يَنْتَهُ نَسَبٌ وَبَسِينٌ إِلَهِي	إِلَّا التَّغَلُّقُ وَالْوُجُودُ الْحَاصِلُ
لَا تَنْتَمَعَنَّ مَقَالَةً مِنْ جَاهِلِي:	مَبْنَى الْوُجُودِ حَقَائِقُ وَأَبَاطِلُ
مَبْنَى الْوُجُودِ حَقَائِقُ مَشْهُودَةٌ	وَسِوَى الْوُجُودِ هُوَ الْمَحَالُ الْبَاطِلُ

يقول: لابتداء الأنوان شواهد فيها؛ أنها لم تكن لأنفسها، ثم كانت. و"له" الضمير يعود على الابتداء "إذا حط الركاب" أي إذا تكبفتة من أين جاء، وجدته من عند من أوجده، ولذلك كان له البقاء، قال - تعالى:- ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقِي﴾³ فإذا حططت عنده، عرفت منزلته منه الذي كان فيها، إذ لم يكن لنفسه. وتلك منزل الأولية الإلهية في قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾⁴ ومن هذه الأولية صدر ابتداء الكون، ومنه تستمد الحوادث كلها، وهو الحاكم فيها، وهي الجارية على حكمه، ونفي النسب عنه فإن أولية الحق تمد أولية العبد، وليس لأولية الكون⁵ إمداد⁶ لشيء، فإتم نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأزل. هذا مذهب القوم، وما بقي مما لم يدخل تحت حصر هذه الثلاثة، فعمى وتلبس، هكذا صرح به صاحب

[الأضام : 108]

2 ص 28

3 [النحل : 96]

4 [الحديد : 3]

5 ق: "العبد" وعليها إشارة الحذف والتعديل في الهامش بقلم الأصل.

6 ص 29

وقول من قال:

مَبْنَى الْوُجُودِ حَقَائِقٌ وَأَبَاطِلُ

ليس بصحيح. فَإِنَّ الْبَاطِلَ هُوَ الْعَدَمُ وَهُوَ صَحِيحٌ، فَإِنَّ الْوُجُودَ الْمُسْتَفَادَ فِي حَكْمِ الْعَدَمِ، وَالْوُجُودَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ وَجُودَهُ لِنَفْسِهِ، وَكُلَّ عَدَمٍ وَجِدَ؛ فَمَا وَجِدَ إِلَّا مِنْ وَجُودٍ كَانَ مَوْصُوفًا بِهِ لغيره لِنَفْسِهِ، وَالَّذِي اسْتَفَادَ هُوَ الْوُجُودَ لِعَيْنِهِ، وَأَمَّا الْحَالُ الْبَاطِلُ فَهُوَ الَّذِي لَا وَجُودَ لَهُ؛ لَا لِنَفْسِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

- منزل التنزيه:

هذا المنزل يشتمل على منازل منها منزل الشكر، ومنزل البأس، ومنزل النشر، ومنزل النصر. والجمع، ومنزل الرجح والخسران والاستحالات. ولنا في هذا:

لِمَنَازِلِ التَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيرِ	بِسْرِ مَقُولٍ حُكْمُهُ مَفْقُولٌ
عِلْمٌ يَقُودُ عَلَى الْمَنْزَرِ حُكْمُهُ	فِي زَنْدُوسِ قُدَيْسٍ رَوْضُهُ مَطْلُوعٌ
فَمَنْزَرُهُ ² الْحَقُّ الْمُبِينُ مُجَوِّزٌ	مَا قَالَهُ فَمَرَامُهُ تَضَلِيلٌ

يقول: المنزّه على الحقيقة مَنْ هُوَ نَزِهَ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يَنْزَهُ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَنْزَهُ عَنْهُ، وَهُوَ الْخَلُوقُ. فَلِهَذَا يَعُودُ التَّنْزِيهِ عَلَى الْمَنْزَرِ. قَالَ ﷺ: «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ» فَمَنْ كَانَ عَمَلُهُ التَّنْزِيهِ، عَادَ عَلَيْهِ تَنْزِيهِهُ؛ فَكَانَ مَحَلَّهُ مَنْزَرًا، عَنْ أَنْ يَقُومَ بِهِ اعْتِقَادٌ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ عَلَيْهِ، وَمِنْ هُنَا قَالَ مَنْ قَالَ: "سُبْحَانِي" تَعْظِيمًا لَجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى. - ولهذا قال: "روضه مطلول" وهو نزول التنزيه إلى محلّ العبد المنزّه خَالَقَهُ ﷻ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ³.

- منزل التقريب:

هذا المنزل يشتمل على منزلين: منزل خرق العوائد ومنزل أحديّة "كن" وفيه أنشدت:

لِمَنَازِلِ التَّقْرِيبِ شَرْطٌ يَعْلَمُ	وَأَلَهَا عَلَى ذَاتِ الْكِيَانِ تَحْكُمُ
فَإِذَا أَتَى شَرْطُ الْقِيَامَةِ وَاسْتَوَى	جَبَّارُهَا خَضَعَ الْوُجُودُ وَيَخْدُمُ
هَيْهَاتَ ⁴ لَا تَجْنِي الثُّفُوسُ بِقَارِهَا	إِلَّا الَّتِي فَعَلَتْ وَأَنْتَ مُجَسِّمُ

1 هو أبو العباس بن العريف الصنهاجي.

2 ص 29 ب

3 [الأحزاب : 4]

4 ص 30

يقول: إِنَّ التَّقْرِيبَ مِنْ صِفَاتِ الْهَدَايَاتِ، لِأَنَّهَا تَقْبَلُ التَّقْرِيبَ وَضَدَّهُ، وَالْحَقُّ هُوَ الْقَرِيبُ. وَإِنْ كَانَ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَتَقَرَّبُ، وَالْمَصْدَرُ مِنْهُ التَّقْرِيبُ وَالتَّقَرُّبُ، وَلَمَّا قَالَ: "شَرَطُ يُعَلِّمُ" وَهُوَ قَبُولُ التَّأَثُّرِ، قَالَ: وَلَا يُعْرَفُ وَيُنْكَشَفُ الْأَمْرُ عَمُومًا إِلَّا فِي الْآخِرَةِ، وَقَالَ: وَالنَّفُوسُ مَا لَهَا جَنَى إِلَّا مَا غَرَسَتْهُ فِي حَيَاتِهَا الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَلَهَا التَّقْرِيبُ مِنْ أَعْمَالِهَا ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾¹.

- منزل التَّوَقُّعِ:

وهذا المنزل أيضا يشتمل على منزلين: منزل الطريق الإلهي، ومنزل السمع. وفيه نظمت:

ظَهَرَتْ مَنَازِلُ لِلتَّوَقُّعِ بَادِيَةً	وَقُطُوفُهَا لِيَدِ الْمُقَرَّبِ دَائِيَةً
فَأَقْطِفْ مِنْ أَعْصَانِ الدُّنْيَا تِمَارَهَا	لَا تَقْطِفَنَّ مِنَ النُّصُوبِ الْعَادِيَةِ
لَا تَخْرُجَنَّ عَنِ اغْتِدَالِكَ وَالزَّمَنِ	وَسَطِ الطَّرِيقِ تَرِ الْحَقَائِقِ بَادِيَةٍ

يقول²: ما يتوقَّعه الإنسان قد ظهر، لأنَّه ما يتوقَّع شيئاً إلا وله ظهور عنده في باطنه، فقد برز من غيبه الذي يستحقُّه إلى باطن من يتوقَّعه، ثم إنَّه يتوقَّع ظهوره في عالم الشهادة، فيكون أقرب في التناول، وهو قوله: ﴿قُطُوفُهَا دَائِيَةٌ﴾³ أي قريبة ليد القاطف، يقول: احفظ طريق الاعتدال، لا تحرف عنه. والاعتدال هنا: ملازمتك حقيقتك، لا تخرج عنها كما خرج المتكبرون. ومن كان برزخاً بين الطرفين كان له الاستشراق عليهما، فإذا مال إلى أحدهما غاب عن الآخر.

- منزل البركات:

وهو أيضا يشتمل على منزلين: على منزل الجمع والفرقة، ومنزل الحصام البرزخي؛ وهو منزل الملك

والقهر. وفيه قلت:

لِنَنَازِلِ الْبَرَكَاتِ نُورٌ يَنْسَطِعُ	وَلَهُ بِجَبَاتِ الْقُلُوبِ تَوَقُّعُ
فِيهَا الْمَزِيدُ لِكُلِّ طَالِبٍ مَشْهَدٌ	وَلَهَا إِلَى تَمَسِّ الْوُجُودِ تَطَّلُعُ
فَإِذَا تَحَقَّقَ سِرُّ طَالِبٍ حِكْمَةٌ	بِحَقَائِقِ الْبَرَكَاتِ شَدُّ الْمَطَّلِعِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فِي كَوْنِهِ	أَعْيَانُهُ مَشْهُودَةٌ تَسْمَعُ

1 [الزُّلْمَةُ : 7، 8]

2 ص 30

3 [الحاقة : 23]

4 ص 31

البركات: الزيادة، وهي من نتائج الشكر. وما سُمى الحقُّ نفسه تعالى - بالاسم الشاكر والشكور إلا لزيد في العمل الذي شرع لنا أن نعمل¹ به، كما يزيد الحقُّ النعم بالشكر مثلاً، فكلَّ نفس متطلّعة للزيادة.

يقول: وإذا تحقّق طالب الحكم الزيادة، انفرد بأمر يجهد أن لا يشاركه فيها أحد، لتكون الزيادة من ذلك النوع، وصاحب هذا المقام تكون حاله المراقبة للحال الذي يطلبه.²

- منزل الأقسام والإيلاء:

وهذا المنزل يشتمل على منازل منها: منزل الفهوائيات الروحانية، ومنزل المقاسم الروحانية، ومنزل الرقوم، ومنزل مساقط النور، ومنزل الشعراء، ومنزل المراتب الروحانية، ومنزل النفس الكليّة، ومنزل القطب، ومنزل انقهاق الأنوار على عالم الغيب، ومنزل مراتب النفس الناطقة، ومنزل اختلاف الطرق، ومنزل المودّة، ومنزل علوم الإلهام، ومنزل النفوس الحيوانية، ومنزل الصلاة الوسطى. وفي هذا قلت:

مَنَازِلُ الأَقْسَامِ فِي العَرَضِ	أَحْكَامُهَا فِي عَالَمِ الأَرْضِ
تَجْرِي بِأَفْلاكِ السُّعُودِ عَلَى	مَنْ قَامَ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ
وَعِلْمُهَا وَثَقَّ عَلَى عَيْنِهَا	وَحُكْمُهَا فِي الطُّولِ وَالْعَرَضِ

يقول: القسم (هو) نتيجة التهمة، والحقُّ يعامل الخلق من حيث ما هم عليه، لا من حيث ما هو عليه، ولهذا لم يؤلِّ الحقُّ تعالى - للملائكة، لأنهم ليسوا من عالم التهمة، وليس مخلوق أن يقسم بمخلوق، وهو مذهبنا، وإن أقسم بمخلوق عندنا فهو عاص، ولا كفارة عليه إذا خيّن، وعليه التوبة مما وقع فيه لا غير.

وإنما أقسم الحقُّ بنفسه حين أقسم، بذكر المخلوقات وحذف الاسم، يدلّ على ذلك إظهار الاسم في مواضع من الكتاب العزيز، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَّبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾⁵ ﴿يَرْبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾⁶ فكان ذلك إعلاما في المواضع التي⁷ لم يجر للاسم ذكْر ظاهر، أنه غيب هنالك، لأمر أَرادَه سبحانه - في ذلك، يعرفه مَنْ عَرَفَه الحقُّ ذلك، من نبيِّ ووليِّ مُلَهم. فإنَّ القسم دليل على تعظيم⁸ المقسم به، ولا شكَّ أنه قد ذكر في القسم، من يُبصر ومن لا يُبصر، فدخل في ذلك الرفيع والوضيع، والمرضي عنه والمنضوب

1 ق: "اعمل"

2 ثابت في الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة الظهير عليّ، وكتبه ابن العربي".

3 ص 31

4 رسمها في ق: يولي

5 [الناريايات : 23]

6 [المعارج : 40]

7 ق، س: "الذي" وفوق الكلمة في ق: "التي"

8 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

9 ص 32

عليه، والحبوب والمحقوت، والمؤمن والكافر، والموجود والمعدوم، ولا يعرف منازل الأقسام إلا من عرف عالم الغيب، فيغلب على الظن أن الاسم الإلهي هنا مضمر، وقد عرفناك أن عالم الغيب هو الطول، وعالم الشهادة هو القرض.

- منزل الإيئة:

ويشتمل على منازل، منها: منزل سليمان عليه السلام دون غيره من الأنبياء، ومنزل الستر الكامل، ومنزل اختلاف المخلوقات، ومنزل الروح، ومنزل العلوم. وفيه أقول:

إِيئَةٌ قُدْسِيَّةٌ مَشْهُودَةٌ	لِيُجُودِهَا عِنْدَ الرِّجَالِ مَنَازِلُ
تَقْنِي الْكِيَانَ إِذَا تَجَلَّتْ صُورَةٌ	فِي سُورَةٍ أَغْلَامُهَا تَقَاضِلُ
وَتُرِيكَ فِيكَ وَجُودَهَا بِنُغُوتِهَا	خَلْفَ الظَّلَالِ وَجُودُهَا لَكَ شَامِلُ

يقول: إن الحقيقة الإلهية المنعوتة بنعوت التنزيه، إذا شوهدت¹ تقني كل عين سواها، وإن تقاضلت مشاهدتها في الشخص الواحد، بحسب أحواله وفي الأشخاص لاختلاف أحوالهم، لما أعطت الحقيقة أنه لا يشهد الشاهد متا إلا نفسه، كما لا تشهد هي متا إلا نفسها، فكل حقيقة للأخرى مرآة، «المؤمن مرآة أخيه» ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾².

- منزل الدهور:

يحتوي هذا المنزل على منازل منها: منزل السابقة، ومنزل العزة، ومنزل روحانيات الأفلاك، ومنزل الأمر الإلهي، ومنزل الولادة، ومنزل الموازنة، ومنزل البشارة باللقاء. وفيه أقول:

وَمِنَ الْمَنَازِلِ مَا يَكُونُ مَقْدَرَةٌ	مِثْلُ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ مُتَوَّهُمٌ
دَلَّتْ عَلَيْهِ الدَّائِرَاتُ بِدَوْرِهَا	وَأَنَّ التَّصَرُّفَ وَالْمَقَامَ الْأَعْظَمَ

يقول: لَمَا كَانَ الْأَزَلُّ أَمْرًا مُتَوَّهُمًا فِي حَقِّ الْحَقِّ، كَانَ الزَّمَانُ أَيْضًا فِي حَقِّ الْحَقِّ أَمْرًا مُتَوَّهُمًا، أَي مَدَّةً مُتَوَّهُمَةً، تَقَطُّعُهَا حَرَكَاتُ الْأَفْلَاقِ، فَإِنَّ الْأَزَلَ كَالزَّمَانِ لِلْمَخْلُوقِ، فَافْهَم.

- منزل لام ألف:

هذا منزل الالتفاف، والغالب عليه الامتلاف لا الاختلاف. قال تعالى: ﴿وَالْتَقَتِ السَّمَاوَاتُ بِالسَّمَاوَاتِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاءُ﴾⁴. ويحوي على منازل منها: منزل مجمع البحرين وجمع الأمرين، ومنزل التشريف

1 ص 32 ب

2 [الشورى: 11]

3 ص 33

4 [القيامة: 29، 30]

الحمدّي الذي (هو) إلى جانب المنزل الصمديّ. وفيه أقول:

مَنَازِلُ اللَّامِ فِي التَّخْفِيقِ وَالْأَلْفِ عِنْدَ اللَّقَاءِ انْفِصَالٌ حَالٌ وَضَلِيلُهَا
هُمَا التَّلِيلُ عَلَى مَنْ قَالَ إِنَّ أَنَا سِرُّ الوجودِ وَإِنِّي عَيْنُهُ، فَهُمَا
يَنفَمُ التَّلِيلَانِ إِذْ دَلَّ بِحَالِهَا لَا كَالَّذِي دَلَّ بِالْأَقْوَالِ فَانصَرَمَا

يقول: وإن ارتبط اللام بالألف، وانعقد وصارا عينا واحدة، وهو ظاهر في المزدوج من الحروف، في المقام الثامن والعشرين بين الواو والياء، اللذين لهما الصّحة والاعتلال، فلما في الألف¹ من العلة، ولما في اللام من الصّحة، وقعت المناسبة بينه وبين هذين الحرفين (أي الواو والياء)، فيلي الصحيح منه حرف الصّحة، ويلي المعتلّ منه حرف العلة، فيداه (إحداهما) مبسوطة بالرحمة، (والأخرى) مقبوضة بتقيضا.

وليس² للام الألف صورة في نظم المفرد، بل هو غيب فيها، ورتبة على حالها، بين الواو والياء. وقد استتاب في مكانه الزاي والحاء والطاء اليابسة. فله في غيبه الرتبة السابعة والثامنة والتاسعة، فله منزلة القمر بين البدر واللال، فلم تزل تصحبه رتبة البرزخيّة، في غيبته وظهوره، فهو الرابع والعشرون، إذ كانت له السبعة بالزاي، والثمانية بالحاء، والتسعة بالطاء، واليوم أربع وعشرون ساعة، ففي أيّ ساعة عملت به فيها أنجح عملك، على ميزان العمل بالوضع، لأنّه في حروف الرّم، لا في حروف الطبع، لأنّه ليس له في حروف الطبع إلا اللام.

وهو من حروف اللسان؛ برزخ بين الحلق والشفنتين، والألف ليست من حروف الطبع؛ فما ناب إلا مناب حرف واحد وهو اللام الذي عنه تولّد الألف إذا أشبعت حركته، فإن لم تُشبع ظهرت همزة، ولهذا جعل الألف بعض العلماء نصف حرف، والهمزة نصف حرف، في الرّم الوضعي لا في اللفظ الطبيعي.

ثمّ نرجع فنقول: إن انعقد اللام بالألف كما قلنا وصارا عينا واحدة، فإنّ نخديه يدلّان على أنّها اثنان، ثمّ العبارة باسمه تدلّ على أنّه اثنان: فهو اسم مركّب من اسمين ليعينين: العين الواحدة اللام، والأخرى الألف، ولكنّ لنا ظهرا في الشكل على صورة واحدة³، لم يفرّق الناظر بينهما، ولم يميّز له أيّ الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر الألف، فاختلف الكتاب فيه: فمنهم من راعى التلفظ، ومنهم من راعى ما يتبدئ به مخطّطه، فيجعله أولا، فاجتمعا في تقديم اللام على الألف، لأنّ الألف هنا تولّد عن اللام، بلا شكّ.

1 ق: "لام الألف" والترجيح من ه، س

2 ص 33 ب

3 ص 34

وكذلك الهمزة تلو اللام في مثل قوله: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ زَهْبَةً﴾¹ وأمثاله.

وهذا الحرف؛ أعنى لام ألف، هو حرف الالتباس في الأفعال. فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد الخلق، لمن هو؟ إن قلت: هو الله؛ صدقت، وإن قلت: هو للمخلوق؛ صدقت. ولولا ذلك ما صح التكليف. وإضافة العمل من الله للعبد. يقول ﷺ: «إنما هي أعمالكم تُرَدُّ عليكم» ويقول الله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نُكْفِّرُوهُ﴾² و﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾³ والله يقول الحق.

فكذلك؛ أي الفخذين جعلت، اللام أو الألف، صدقت. وإن اختلف العمل في وضع الشكل عند العلماء به للتحقق بالصورة، وكلّ مَنْ دلّ على أنّ الفعل للواحد من الفخذين دون الآخر، فذلك غير صحيح وصاحبه ينقطع ولا يثبت، وإنّ غيره من أهل ذلك الشأن يخالفه في ذلك، ويُدلّ في زعمه. والقول معه، كالقول مع مخالفه، ويتعارض الأمر ويُشكّل إلّا على مَنْ تورّ الله بصيرته وهداه إلى سواء السبيل.

- منزل⁴ التقرير:

وهو يشتمل على منازل منها: منزل تعداد النعم، ومنزل رفع الضرر، ومنزل الشرك المطلق. وفي ذلك أقول:

تَقَرَّرَتِ الْمَنَازِلُ بِالسُّكُونِ	وَرَجَحَتِ الظُّهُورَ عَلَى الْكُؤُونِ
وَدَلَّتْ بِالْعِيَانِ عَلَى عُيُونِ	مُفَجَّرَةَ مِنَ الْمَاءِ الْمَعِينِ
وَدَلَّتْ بِالْبُرُوقِ سَحَابَ مُزْنِ	إِذَا لَمَعَتْ عَلَى الثُّورِ الْمَجِينِ

اعلم أيّدك الله - أنه يقول: الثبوت يقرر المنازل. فمن ثبت نبت، وظهر لكل عين على حقيقتها، ألا ترى ما تعطيك سرعة الحركة من الثبته، فيحكم الناظر على الشيء بخلاف ما هو عليه ذلك الشيء، فيقول في النار الذي في الجمرة أو في رأس الفتيلة، إذا أسرع بحركته عرضاً: إنه خطأ مستطيل. أو يديره بسرعة؛ فيرى دائرة نار في الهواء، وسبب ذلك عدم الثبوت. وإذا ثبتت المنازل دلّت على ما تحوي عليه من العلوم الإلهية.

- منزل المشاهدة:

وهو منزل واحد؛ هو منزل فناء الكون، فيه يفنى مَنْ لم يكن وبيتى مَنْ لم يزل. وفيه أقول:

فِي فَنَاءِ الْكُؤُونِ مَنَزِلٌ
رُوحُهُ فَيُنْتَا تَنْزِلٌ

[الحشر : 13]

[آل عمران : 115] ولفظ الآية وفقاً لقراءة ورش

[فصلت : 40]

4 ص 34ب

مَا لَهُ نَوْرٌ وَلَا ظِلٌّ	إِنَّهُ لَنَيْلَةٌ قَدْرِي
مَا لَهُ عَنْهُ تَثْقُلٌ	هُوَ عَيْنُ الثُّورِ صِرْفًا
مَلِكٌ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ	فَأَنَا الْإِمَامُ حَقًّا
فَيُؤَلِّمُكُمْ وَيَقْرَأُ	عِنْدَهُ مِفْتَاحُ أَمْرِي
لَسْتُ بِالسَّمَاءِ الْأَعْلَى	سَمَّهَرِيًّا فِي طَوَالٍ
دَائِمٌ لَا يَتَّبِعُكُمْ	فَالْمَقَامُ الْحَقُّ فِيكُمْ
وَهُوَ الْإِمَامُ الْأَعْلَى	وَهُوَ الْقَاهِرُ مِنْهُ
يَلُ مِنْ الْمَهَادِ الْأَكْمَلِ	لَيْسَ بِالثُّورِ الْمُثْمَلِ
بِمَكَانِ السَّرِّ الْأَفْضَلِ	وَأَنَا مِنْهُ يَقِينًا
وَبِأَمْرِ الْأَمْرِ الْأَنْزَلِ	فَبَيْنَ الْعَيْنِ أَسْمُو

يقول: حالة الفناء لا نور ولا ظلمة، مثل ليلة القدر. ثم قال: وذلك هو الضوء² الحقيقي والظل الحقيقي، فإنه الأصل الذي لا ضد له، والأنوار تقابلها الظلم؛ وهذا لا يقابله شيء. وقوله: "أنا الإمام" يعني شهوده للحق من الوجه الخاص الذي منه إلي، "وهو الصدر الأول" ومن هذا المقام يقع التفصيل والكثرة والعدد في الصور، وجعل "السهمريات" كناية عن تأثير القيومية³ في العالم ولها الثبوت، ولنا قال: "لا تبدل" وله القهر والعدل. لا يقبل التشبيه. فبشهود الذات أعلو، وبالأمر الإلهي أنزل إماما في العالم.

- منزل الألفة:

هو منزل واحد، فيه أقول:

وَهِيَ بِهَذَا التَّغْيِ مَعْرُوفَةٌ	مَنَازِلُ الْأَلْفَةِ مَأْلُوفَةٌ
فَأَنَّهَا بِالْأَمْنِ مَخْفُوفَةٌ	فَقُلْ لِمَنْ عَرَسَ فِيهَا أَمٌّ
وَعَنْ عَذَابِ الْوِثْرِ مَضْرُوفَةٌ	وَهِيَ عَلَى الْأَثْنَيْنِ مَوْقُوفَةٌ

هذا منزل الأعراس والسرور والأفراح، وهو مما امتن الله به على نبيه محمد ﷺ، فقال: ﴿لَوْ أَنفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ يريد عليك ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ آَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾⁴ يريد على مودتك وإجابتك وتصديقك.

1 ص 35
2 ق: "النور" وحذفت وعللت بالهامش بقلم الأصل: "الضوء".

3 ص 35 ب

4 [الأفعال: 63]

- منزل الاستخبار:

وهو يشتمل على منازل منها: منزل المنازعة الروحانية، ومنزل حلية السعداء؛ كيف تظهر على الأشقياء وبالعكس، ومنزل الكون قبل الإنسان. وفيه أقول:

إذا استفهمتُ عَنْ أَحْبَابِ قَلْبِي أَخَالُونِي عَلَى اسْتِفْهَامِ لَفْظِي
مَنَارِلَهُمْ¹ بِلَفْظِكَ لَيْسَ إِلَّا فَيَا شُوْبِي لِنَاكَ وَسُوءَ حَظِّي
وَعَظَلْتُ النَّفْسَ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَمَا التَّفَنُّتُ بِخَاطِرِهَا لِيُوْغِظِي
لَفْظَتُهُمْ عَسَى - أَحْظَى بِكَوْنِ فَكَأَنَّا عَيْنَ كَوْفِي عَيْنَ لَفْظِي

يقول: إنهم في لساني إذا سألتُ عنهم، وفي سواد عيني إذا نظرتُ إليهم، وفي قلبي إذا فكّرتُ فيهم واشتقتُ إليهم. فهم معي في كلِّ حال أكون عليها، فهم عيني ولست عيנם: إذ لم يكن عندهم مني ما عندي منهم.

وَمَنْ عَجِبَ أَلِي أَجِنُ إِلَيْهِمْ وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمْ مَعِي
وَتَرَضُّهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْغِي²

- منزل الوعيد:

وهو منزل واحد يحوي على الجور والامستسك بالكون، وفيه قلت:

إِنَّ الْوَعِيدَ لَمَنْزِلَانِ هُمَا لَمَنْ تَرَكَ السُّلُوكَ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَقْوَمِ
فَإِذَا تَحَقَّقَ بِالْكَمَالِ وَجُودُهُ وَمَشَى - عَلَى حُكْمِ الْعُلُوِّ الْأَقْدَمِ
عَادَا نَعِيمًا عِنْدَهُ فَتَعِيمُهُ فِي النَّارِ وَهِيَ نَعِيمٌ كُلُّ مُكْرَمِ

منزل³ روحاني وهو عذاب النفوس، ومنزل جسماني وهو العذاب المحسوس. ولا يكون إلا لمن حاد عن الطريق المشروع في ظاهره وباطنه. فإذا وُفِّق للاستقامة، وسبقت له العناية؛ عُصِمَ من ذلك، وتنعَمَ بنار الجاهدة لِجَنَّةِ الْمَشَاهِدَةِ.

2 البيتان ثابتان في الهامش، وهما للقاضي الفاضل (529 - 596 هـ / 1135 - 1200 م) عبد الرحم بن علي بن محمد بن الحسن النخعي. أديب وشاعر وكاتب ولد في عسقلان وقدم القاهرة في الخامسة عشرة من عمره في أيام الخليفة الفاطمي الحافظ لعين الله وعمل كاتباً في دواوين الدولة ولما ولي صلاح الدين أمر مصر- فرض إليه الوزارة وديوان الإنشاء وأصبح لسانه إلى الخلفاء والملوك والمسجل لحوادث الدولة وأحداث تلك الحقبة من الزمان ولما مات السلطان سنة 589 هـ أضر اعتزال السياسة إلى أن مات في الساج من ربيع الآخر سنة 596 هـ له رسائل ديوانية في شؤون الدولة، ورسائل إخوانية في الشوق والشكر، وديوان في الشعر، وله مجموعات شعرية في كتب مفرقة من كتب التراث. [الموسوعة الشعرية]. كما أوردت الموسوعة هاتان البيتان مع تفسير لطيف فيها لأبي مسلم الفوت.

- منزل الأمر:

وهو يشتمل على منازل: منزل الأرواح البرزخية، ومنزل التعليم، ومنزل السرى، ومنزل النسب¹،
ومنزل التمام، ومنزل القطب والإمامين. ولنا فيه:

مَنَازِلُ الأَمْرِ فَهُوَ أَيْتُهُ النَّاتِ
فَلَيْتَنِي قَاتِمٌ فِيهَا مَدَى عُمْرِي
هَهَا نَحْضَلُ أَفْرَاجِي وَآلِنَانِي
وَلَا أُزُولُ إِلَى وَقْتِ المَلَأَقَةِ
فَقُرَّةُ العَيْنِ لِلْمُخْتَارِ كَانَ لَهُ
إِذَا تَبَرَّزَ فِي صَدْرِ المُنَاجَاةِ

الأمر الإلهي من صفة الكلام، وهو مسدودٌ دون الأولياء من جهة التشريع، وما في الحضرة الإلهية أمر تكليفي إلا أن يكون مشروعاً، فما بقي للوليّ إلا سماعُ أمرها، إذا أمرت الأنبياء، فيكون² للوليّ عند سماعه ذلك لذة سارية في وجوده، لكن يبقى للأولياء المناجاة الإلهية التي لا أمر فيها ستمراً وحديثاً.

فكلّ من قال من أهل الكشف: إنه مأمور بأمر إلهي، في حركاته وسكناته، مخالفٍ لأمر شرعيّ محمديّ تكليفيّ، فقد التبس عليه الأمر، وإن كان صادقاً فيما قال: إنه سميع، وإنما يمكن أن ظهر له تجلُّ إلهي، في صورة نبيه ﷺ، مخاطبه نبيه. أو أقيم في سماع خطاب نبيه. وذلك أنّ الرسول موصَّلٌ لأمر الحقِّ تعالى- الذي أمر الله به عباده. فقد يمكن أن يسمع من الحقِّ، في حضرة ما، ذلك الأمر الذي قد جاءه به أولاً رسوله ﷺ، فيقول: أمرني الحقُّ. وإنما هو في حقّه تعريّفٌ بأنّه قد أمر، وانقطع هذا النسب بمحمد ﷺ، وما عدا الأوامر من الله المشروعة، فللأولياء في ذلك القدم الراضخة.

فهذا قد آتينا على التسعة عشر صنفاً من المنازل، فلنذكر أخصّ صفات كلّ منزل، فنقول:

* * *

وَضَلَّ

- أخصّ صفات منزل المدح: تعلق العلم بما لا يتناهى.

- وأخصّ صفات منزل الرموز: تعلق العلم بخواصّ الأعداد والأسماء، وهي الكلمات والحروف، وفيه علمُ السميّاء.

- وأخصّ³ صفات منزل الدعاء: علوم الإشارة والتحلية.

1 الحروف المعجمة ممتلئة في ق، والترجيح من س، وفي هذا "السبب".

2 ص 37

3 ص 37ب

- وأخَصَّ صفات منزل الأفعال: علمُ الآن.
- وأخَصَّ صفات منزل الابتداء: علم المبدأ والمعاد، ومعرفة الأوليات من كلِّ شيء.
- وأخَصَّ صفات التنزيه: علمُ السلخ والخلع.
- وأخَصَّ صفات التقريب: علمُ الدلالات.
- وأخَصَّ صفات منزل التوقُّع: علمُ النَّسب والإضافات.
- وأخَصَّ صفات منزل البركات: علمُ الأسباب، والشروط، والعلل، والأدلة، والحقيقة.
- وأخَصَّ صفات الأقسام: علوم العظمة.
- وأخَصَّ صفات منزل الدهر: علمُ الأزل، وديمومة الباري وجوداً.
- وأخَصَّ صفات منزل الإيئة: علمُ الذات.
- وأخَصَّ صفات منزل ¹ لام ألف: علمُ نسبة الكون إلى المكوَّن.
- وأخَصَّ صفات منزل التقرير: علمُ الحضور.
- وأخَصَّ صفات منزل فناء الكون: علمُ قلب الأعيان.
- وأخَصَّ صفات منزل الألفة: علمُ الالتحام.
- وأخَصَّ صفات منزل الوعيد: علمُ المواطن.
- وأخَصَّ صفات منزل الاستفهام: علمُ «لَيْسَ كَلِمَةٍ شَيْءٌ»².
- وأخَصَّ صفات منزل الأمر: علمُ العبادة.

وَضَلَّ

(لكلِّ منزل من هذه المنازل صنف من الممكنات)

اعلم¹ أنه لكلِّ منزل من هذه المنازل التسعة عشر. صنف² من الممكنات. فمنهم صنف الملائكة وهم

1 تاجية في الهامش بقلم الأصل
2 [الشورى: 11]

صنف واحد وإن اختلفت أحوالهم. وعلم الأجسام ثمانية عشر: الأفلاك أحد عشر- نوعا، والأركان أربعة، والمولّدات ثلاثة. ولها وجه آخر يقابلها من الممكنات في الحضرة الإلهية: الجوهر: للذات وهو الأول. الثاني: الأعراض وهي للصفات. الثالث: الزمان وهو للأزل، الرابع: المكان وهو للاستواء أو النعوت. الخامس: الإضافات للإضافات. السادس: الأوضاع للفهواتية. السابع: الكميّات للأسماء. الثامن: الكيفيات للتجليات. التاسع: التأثيرات للوجود، العاشر: الانفعالات للظهور في صور الاعتقادات. الحادي³ عشر: الخاصية وهي للأحدية. الثاني عشر: الحيرة؛ وهي للوصف بالنزول والفرح والقرض وأشبه ذلك. الثالث عشر: حياة الكائنات للحَي. الرابع عشر: المعرفة للعلم. الخامس عشر: الهواجس للإرادة. السادس عشر: الإبصار للبصير. السابع عشر: السمع للسميع. الثامن عشر: الإنسان للكمال. التاسع عشر: الأنوار والظلم للنور.

وَضَلَّ⁴ فِي نِظَائِرِ الْمَنَازِلِ التَّسْعَةَ عَشَرَ

نظائرها من القرآن حروفُ الهجاء التي في أوّل السور وهي أربعة عشر- حرفا، في خمس مراتب: أحديّة وثنائيّة وثلاثيّة ورباعيّة وخماسيّة. ونظائرها من النار: الخزنة تسعة عشر- ملكا. نظائرها في التأثير: اثنا عشر برجا والسبعة الدراري. نظائرها من القرآن: حروف البسملة. ونظائرها من الرجال: النقباء اثنا عشر والأبدال السبعة، وهؤلاء السبعة منهم الأوتاد أربعة والإمامان اثنان والقطب واحد. والنظائر لهذه المنازل من الحضرة الإلهية ومن الأكوان كثير.

وَضَلَّ

(في منزل المنازل، أو الإمام المبين)

اعلم أنّ منزل المنازل عبارة عن المنزل الذي يجمع جميع المنازل، التي تظهر في عالم الدنيا، من العرش إلى الثرى، وهو المستى بالإمام المبين. قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾⁵ فقوله: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ دليل على أنّه ما أودع فيه إلا علوما متناهية، فنظرنا؛ هل ينحصر- لأحدٍ عددها؟ فخرجت عن الحصر، مع كونها متناهية، لأنّه ليس فيه إلا ما كان من يوم خلق الله العالم إلى أن ينتضي- حال الدنيا وتنتقل العمارة إلى⁶ الآخرة.

فسألنا من أثق به من العلماء بالله: هل تنحصر- أمّهات هذه العلوم التي يجوبها هذا الإمام المبين؟ فقال: نعم. فأخبرني الثقة الأمين الصادق صاحب، وعاهدي أنّي لا أذكر اسمه: أنّ أمّهات العلوم التي

1 ص 38

2 ق: صفا

3 ق: الحادي احد.

4 ص 38 ب

5 [يس : 12]

6 ص 39

تتضمن كل "أم" منه ما لا يحصى كثرة، تبلغ بالعدد إلى مائة ألف نوع من العلوم، وتسعة وعشرين ألف نوع وستائة نوع، وكل نوع يحوي على علوم جمّة، ويعبر عنها بالمنازل.

فسألت هذا الثقة: هل نالها أحد من خلق الله وأحاط بها علماً؟ قال: لا. ثم قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾¹ وإذا كانت الجنود لا يعلمها إلا هو، وليس للحق منازع يحتاج هؤلاء الجنود إلى مقاتلته (إلا شخص الإنس والجن، فتمعّبت في كثرة جند الحق مع قلة عدد المنازع!)²، فقال لي: لا تعجب ﴿فَوَزَّبَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾³ لقد (جرى) ثم ما هو أعجب. فقلت: ما هو؟ فقال لي: الذي ذكر الله في حق امرأتين من نساء رسول الله ﷺ، ثم تلا: ﴿وَإِنْ تَطَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾⁴ فهذا أعجب من ذكر الجنود، فأسرار الله عجيبة.

فلما قال لي ذلك، سألت الله أن يطلعني على فائدة هذه المسألة، وما هذه العظمة التي جعل الله نفسه في مقابلتها وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة؟ فأخبرت⁵ بها، فما سررت بشيء سروري بمعرفة ذلك، وعلمت لمن استندتا (هاتان المرأتان)، ومن يقويتها. ولولا ما ذكر الله نفسه في النصرة، ما استطاعت الملائكة والمؤمنون مقاومتها. وعلمت أنها حصل لها من العلم بالله، والتأثير في العالم ما أعطاهما هذه القوة. وهذا من العلم الذي كهيته المكنون، فشكرت الله على ما أوتى. فما أظن أن أحدا من خلق الله استند إلى ما استند هاتان المرأتان.

يقول لوط عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾⁶ وكان عنده الركن الشديد ولم يكن يعرفه، فإن النبي ﷺ، قد شهد له بذلك فقال: «يرحم الله أخي لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد» وعرفناه عائشة وحفصة. فلو علم الناس علم ما كاتنا عليه، لعرفوا معنى هذه الآية، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁷.

1 [المدر: 31]

2 ما بين القوسين لم يرد في ق وأبنتاه من س

3 [الناريات: 23]

4 [التحريم: 4]

5 ص 39 ب

6 [هود: 80]

7 [الأحزاب: 4]

الباب الثالث والعشرون في معرفة الأقطاب المصونين وأسرار صونهم

<p> فِي وَجُودِي فَلَيْسَ عَيْنٌ تَرَاهَا فَبَتَّاهَا وَجُودُهُ سَوَّاهَا جَاءَ رُوحٌ مِنْ عِنْدِهِ أَحْيَاهَا حُبُّهُ وَاتِّبَاعُهُ لَهَوَّاهَا فَدَعَاَهُ لَهُ بِمَا أَخْلَاهَا أَيْنَ أَنَسِي؟ فَقَالَ مَا تَنْسَاهَا؟ مِنْ قُورَاقِمٍ فَهِيَ الَّتِي لَا تُضَاهَى مَا عَشِيقَتُنَا مِنْهَا سَوَى مَعْنَاهَا يَلْسَانَ الرُّسُولِ مِنْ أَغْلَاهَا بِكَ يَا سَيِّدِي فَمَا أَخْلَاهَا صَدَقَ الرُّوحُ إِنَّهُ يَهْوَاهَا طَرَبْنَا ذَاتَهَا إِلَى سُكْنَاهَا وَتَجَلَّى لَهَا بِمَا قُورَاهَا </p>	<p> إِنَّ اللَّهَ جَكَمَةً أَخْفَاهَا خَلَقَ الْجِسْمَ دَارَ لَهْوٍ وَأُنْسٍ ثُمَّ لَمَّا تَعَدَّدَتْ وَاسْتَقَامَتْ ثُمَّ لَمَّا تَحَقَّقَ الْحَقُّ عِلْمًا قَالَ لِلْمَوْتِ خُذْ إِلَيْكَ عَبِيدِي وَتَجَلَّى لَهُ فَقَالَ: إِلَهِي كَيْفَ أَنَسَى دَارًا جَعَلْتَ قُورَاهَا يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَاعْتِمَادِي أَغْلَمْتُنَا بِمَا تُرِيدُونَ مِنَّا فَقَطَفْنَا أَيَّامَنَا فِي سُورٍ قَالَ: رُدُّوْا عَلَيَّ دَارَ هَوَاهُ فَرِيدُنَا مُخْلِئِينَ سُكَارَى وَبَنَاهَا عَلَى اغْتِدَالِ قُورَاهَا </p>
--	--

اعلم -أيديك الله- أن هذا الباب يتضمن ذكر عباد الله المستميين باللامية؛ وهم الرجال الذين حلوا من
 الولاية في أقصى درجاتها، وما فوقهم إلا درجة النبوة، وهذا يسمى مقام القرية في الولاية، وآيتهم من
 القرآن: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾² يَبْنُوْنَ بِنَعْوَاتِ نِسَاءِ الْجَنَّةِ وَحُورِهَا؛ على نفوس رجال الله، الذين
 اقتطعهم إليه³ وصانهم، وحبسهم في خيام صون الغيرة الإلهية؛ في زوايا الكون، أن تمتد إليهم عين فتشغلهم.
 لا والله؛ ما يشغلهم نظر الخلق إليهم، لكنه ليس في وسع الخلق أن يقوموا بما لهذه الطائفة من الحق عليهم،
 لعلو منصبها، فتقف العباد في أمر لا يصلون إليه أبدا. فحبس ظواهرهم في خيمات العادات والعبادات، من

1 ص 40

2 [الرحمن : 72]

3 ص 40ب

الأعمال الظاهرة، والمثابرة على الفرائض منها والنوافل، فلا يُعرفون بخرق عادة؛ فلا يُعظّمون، ولا يُشار إليهم بالصلاح الذي في عرف العامة، مع كونهم لا يكون منهم فساد؛ فهم الأخفياء الأبرياء، الأمناء في العالم، الغامضون في الناس فيهم.

قال رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ: «إِنَّ أَعْظَمَ أَوْلِيَاءِي عِنْدِي لِمُؤَمِّنٍ خَفِيفِ الْحَاذِّ، ذُو حَظٍّ مِنْ صَلَاةٍ، أَحْسَنَ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ»، يريد أنهم لا يُعرفون بين الناس بكبير عبادة، ولا يَتَهَكَمُونَ الحَارِمَ سِرًّا وَعَلْنًا.

قال بعض الرجال في صفتهم، لَمَّا سئل عن العارف، قال: "مُسَوِّدَ الْوَجْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"، فإن كان أراد ما ذكرناه من أحوال هذه الطائفة؛ فإنه يريد بأسوداد الوجه¹؛ استفراغ أوقاته كلها في الدنيا والآخرة في تجليات الحق له، ولا يرى الإنسان عندنا في مرآة الحق إذا تجلّى له غير نفسه ومقامه، وهو كوكب من الأكوان، والكوكب في نور الحق ظلمة، فلا يَشْهَدُ إِلَّا سَوَادَهُ، فإنّ وجه الشيء حقيقته وذاته. ولا يدوم التجلّي إلا لهذه الطائفة على الخصوص؛ فهم مع الحق في الدنيا والآخرة، على ما ذكرناه؛ من دوام التجلّي، وهم الأفراد.

وأما إن أراد بالتسويد؛ من السيادة، وأراد بالوجه حقيقة الإنسان، أي له السيادة في الدنيا والآخرة، فيمكن، ولا يكون ذلك إلا للرسول خاصّة، فإنّه كمالهم، وهو في الأولياء نقص، لأنّ الرسل مضطرون في الظهور لأجل التشريع، والأولياء ليس لهم ذلك.

ألا ترى الله سبحانه- لَمَّا أَكَلَ الدِّينَ، كيف أمره في السورة التي نعى الله إليه فيها نفسه، فأنزل عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَفْزِزْ²﴾، أي اشغل نفسك بتزيه ربك، والثناء عليه بما هو أهله. فاقتطعه بهذا الأمر من العالم، لَمَّا كل ما أريد منه، من تبليغ الرسالة، وطلب بالاستغفار أن يستره عن خلقه، في حجاب صوّنه، لينفرد به دون خلقه دائما، فإنّه كان في³ زمان التبليغ والإرشاد، وشغله بأداء الرسالة، فإنّ له وقتا لا يسعه فيه غير ربه، وسائر أوقاته فيما أمر به من النظر في أمور الخلق، فردّه إلى ذلك الوقت الواحد، الذي كان يختلسه من أوقات شغله بالخلق، وإن كان عن أمر الحق.

1 ص 41

2 [النصر: 1 - 3]

3 ص 41ب

ثم قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾¹ أي يرجع الحق إليك رجوعاً مستصحباً، لا يكون للخلق عندك فيه دخول، بوجه من الوجوه. ولَمَّا تلا رسول الله ﷺ هذه السورة، بكى أبو بكر الصديق ﷺ وحده، دون من كان في ذلك المجلس، وعلم أن الله تعالى - قد نعى إلى رسول الله ﷺ نفسه، وهو كان أعلم الناس به. وأخذ الحاضرون يتعجبون من بكائه، ولا يعرفون سبب ذلك.

والأولياء الأكبر إذا تروكوا وأنفسهم، لم يختار أحد منهم الظهور أصلاً، لأنهم علموا أن الله ما خلقهم لهم، ولا لأحد من خلقه بالتعلق، من التصد الأول. وإنما خلقهم له سبحانه. فشغلوا أنفسهم بما خلقوا له. فإن أظهرهم الحق عن غير اختيار منهم، بما يجعل في قلوب الخلق منهم، فذلك إليه سبحانه، ما لم فيه تفضل. وإن سترهم، فلم يجعل لهم في قلوب الناس قدراً، يعظّمونهم من أجله، فذلك إليه تعالى. - فهم² لا اختيار لهم مع اختيار الحق. فإن خيرهم ولا بد، فيختارون الستر عن الخلق، والاتقطاع إلى الله. ولَمَّا كان حالهم ستر مرتبتهم عن نفوسهم فكيف عن غيرهم - تعين علينا أن نبين منازل صؤنهم.

فمن منازل صؤنهم: أداء الفرائض في الجماعات، والدخول مع الناس في كل بلد، يزري ذلك البلد. ولا يُوطن مكاناً في المسجد، وتختلف أماكنه في المسجد الذي تقام فيه الجمعة، حتى يضع عينه في غبار الناس. وإذا كلم الناس فيكلمهم ويرى الحق رقيباً عليه في كلامه. وإذا سمع كلام الناس سمع كذلك، ويقلل من مجالسة الناس إلا من جيرانه، حتى لا يُشعر به، ويقضي - حاجة الصغير والأرملة، ويلعب أولاده وأهله بما يرضي الله تعالى -، ويمزح ولا يقول إلا حقاً، وإن عُرف في موضع، انتقل عنه إلى غيره، فإن لم يتمكن له الانتقال، استقصى من يعرفه، وأحاط عليهم في حوائج الناس، حتى يرغبوا عنه. وإن كان عنده مقام التحول في الصور، تحول، كما كان للروحاني التشكل في صور بني آدم، فلا يُعرف أنه ملك؛ وكذلك كان "قضيبة البان"، وهذا كله ما لم يُرد الحق إظهاره ولا شهرته من حيث لا يشعر.

ثم إن هذه الطائفة؛ إنما نالوا هذه³ المرتبة عند الله؛ لأنهم صانوا قلوبهم أن يدخلها غير الله، أو تتعلق بكون من الأكوام سيوى الله، فليس لهم جلوس إلا مع الله، ولا حديث إلا مع الله، فهم بالله قائمون، وفي الله ناظرون، وإلى الله راحلون ومنقلبون، وعن الله ناطقون، ومن الله آخذون، وعلى الله متوكلون، وعند الله قاطنون، فما لم معروف سيواً، ولا مشهود إلا إياه. صانوا نفوسهم عن نفوسهم، فلا تعرفهم نفوسهم، فهم في غيابات الغيب محبوبون. هم ضنائن الحق المستخلصون: يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق: مشي ستر وأكل حجاب. فهذه حالة هذه الطائفة المذكورة في هذا الباب.

[النصر : 3]

ص 42

ص 42 ب

تَمَّة شريفة لهذا الباب

(ومن هذه الحضرة بُعثت الرسل)

قلنا: ومن هذه الحضرة بُعثت الرسل -سلام الله عليهم أجمعين- مشرّعين. ووجه (الحق) معهم هؤلاء تابعين لهم، قائمين بأمرهم. من عين واحدة: أخذ عنها الأنبياء والرسل ما شرّعوا، وأخذ عنها الأولياء ما اتّبعوهم فيه. فهم التابعون على بصيرة، العالمون بمن اتّبعوهم، وفيما اتّبعوهم. وهم العارفون بمنزل¹ الرسل، ومناهج السبل من الله، ومقاديرهم عند الله تعالى. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

اتمى الجزء السادس عشر والمجد لله³.

1 ص 43

2 [الأحزاب : 4]

3 في أسفل الكتابة نجد هنا السماع: "سمع جميع هذا الجزء والتي قبله على مصتها الشيخ الفقيه الإمام العالم الأوحى محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي -أباه الله- قراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي؛ الأئمة أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي الجباب، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابناه عبد الواحد، وأحمد، ويوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد -ابنا المصنف-، وأحمد بن محمد التكريتي، وعلي بن محمود -الحقانيان- وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وحسين بن محمد الموصلي، ومحمد بن يرهش المظلي، ويعقوب بن معاذ الوربي، وعيسى بن إسحق الهذلي، ويونس بن عثمان الدمشقي، ومحمد بن نصر- الله بن هلال، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، وأحمد بن أبي الهيجاء، وأبو القاسم بن أبي الفتح بن إبراهيم، ومحمد بن علي بن محمد المطرز -الدمشقيون- وأحمد بن محمد بن سليمان الدمشقي، وأحمد بن موسى بن حسين التركماني، ويحيى بن إسحاق بن محمد المظلي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن زرافة،.... ابن الخلال، وعلي بن أبي الغنم الفسالي، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنلسي. الواعظ أبوه، وكتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وذلك في تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستائة، بمنزل المصنف بدمشق".

الجزء السابع عشر¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الرابع والعشرون

في معرفة جاءت عن العلوم الكويتية وما تضمنته من العجائب،
ومن حصلها من العالم، ومراتب أقطابهم، وأسرار الاشتراك بين شريعتين، والقلوب المتصقفة بعالم
الأفاس، وبالأفاس، وأصلها، وإلى كم تنتهي منازلها؟

تَعَجَّبْتُ مِنْ مَلِكٍ يَتَّوَدُّ بِنَا مُلْكَا
فَذَلِكَ مُلْكُ الْمَلِكِ إِنْ كُنْتَ نَاظِمًا
فَخُذْ عَنِ وُجُودِ الْحَقِّ عِلْمًا مُقَدَّسًا
فَإِنْ كُنْتَ مِثْلِي فِي الْعُلُومِ فَقَدْ تَرَى
فَهَلْ فِي الْعَلَى شَيْءٌ يَقَاوِمُ أَمْرَكُمْ
فَلَوْ كُنْتَ تَنْدِرِي يَا حَبِيبِي وَجُودَهُ
وَكَانَ⁴ إِلَهُ الْخَلْقِ يَأْتِيكَ ضِغْفٌ مَا
وَمَنْ مَالِكٍ أَضْحَى لِمَمْلُوكِهِ مِلْكَا
مِنَ اللَّوْلُؤِ الْمُنْتَوِرِ مِنْ عِلْمِنَا سِلْكًا³
لِنَأْخُذَ ذَلِكَ الْعِلْمَ مَنْ شَاءَ عَنْكَ
بِأَنَّ الْيَبِي فِي كَوْنِهِ نُسْخَةٌ مِنْكَ
وَقَدْ فَتَكَتْ أَسْيَافُكُمْ فِي الْوَزَى فَتْكََا!
وَمَنْ أَنْتَ، كُنْتَ السَّيِّدَ الْعَلَمِ الْمَلِكَا
أَتَيْتَ إِلَيْهِ إِنْ تَحَقَّقْتَهُ مَلِكَا

اعلم أيديك الله - أن الله يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾⁵ فإذا علمت هذا علمت أن الله رب كل شيء ومليكه، فكل ما سوى الله تعالى - مريبوب لهذا الرب، ومُلك لهذا الملك الحق سبحانه. ولا معنى لكون العالم ملكا لله تعالى - إلا تصرفه فيه، على ما يشاء من غير تحجير، وأنه محل تأثير الملك، سيده، جلّ علاه. فتنوع الحالات التي هو العالم عليها، هو تصرف الحق فيه على حكم ما يريد.

ثم إنه لما رأينا الله تعالى - يقول: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾⁶ فأشرك نفسه مع عبده في الوجود عليه، وإن كان هو الذي أوجب على نفسه ما أوجب، فكلامه صدق ووعد حق، كما يوجب الإنسان

1 العنوان ص 43

2 البسملة ص 44

3 هنا البيت ثابت في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب.

4 ص 44

5 [عافر : 60]

6 [الأفام : 54]

بالنذر على نفسه ابتداءً، ما لم يوجبه الحقّ عليه. فأوجب الله عليه الوفاء بنذره الذي أوجبه على نفسه، فأمره بالوفاء بنذره. ثم رأيناه تعالى- لا يستجيب إلا بعد دعاء العبد إياه كما شرع، كما أنّ العبد لا يكون مجيباً للحقّ حتى يدعوه الحقّ إلى ما يدعوه إليه، قال تعالى:- ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾¹ فصار للعبد والعالم الذي هو مُلْكُ الله² سبحانه- تصرّف إلهي في الجانب الأحمى بما تقتضيه حقيقة العالم بالطلب الناقى، وتصريف آخر بما يقتضيه وضع الشريعة.

فلَمَّا كان الأمر على ما ذكرناه، من كون الحقّ يجيب أمر العبد إذا دعاه وسأله، كما أنّ العبد يجيب أمر الله إذا أمره، وهو قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾³ فشارك في القضية. ولَمَّا كان الحقّ يقتضي- بذاته أن يتنلّ له، سواءً شرع لعباده أعمالاً أو لم يشرع، كذلك يقتضي (العبد) بقاء وجود عينه، حفظ الحقّ إياه، سواءً شرع الحقّ ما شرعه أو لم يشرع، ثم لما شرع للعبد أعمالاً إذا عملها، شرع لنفسه أن يجازي هذا العبد على فعل ما كلفه به، فصار الجناب العالى مُلكاً لهذا المُلك الذي هو العالم، بما ظهر من أثر العبد فيه من العطاء عند السؤال. فانطلق عليه صفة يعبر عنها مُلْكُ المُلك. فهو سبحانه- مالك ومُلك بما يأمر به عباده، وهو سبحانه- مُلك بما يأمره به العبد فيقول: ﴿زَبَّ اغْفِرْ لِي﴾⁴ كما قال له الحقّ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾⁵ فيستى ما كان من جانب الحقّ للعبد أمراً، ويستى ما كان من جانب العبد للحقّ دعاءً؛ أدبا إلهياً؛ وإنما هو على الحقيقة أمرٌ، فإنّ الحدّ يشمل الأمرين معاً.⁷

وأوّل من اصطاح على هذا الاسم (أي مُلك المُلك) في علمي؛ محمد بن علي الترمذي الحكيم، وما سمعنا هذا اللفظ عن أحد سواه، وربما تقدّمه غيره بهذا الاصطلاح، وما وصل إلينا، إلا أنّ الأمر صحيح. ومسألة الوجوب على الله عقلاً مسألة خلاف بين أهل النظر من المتكلمين، فمن قائل بذلك، وغير قائل بها. وأما الوجوب الشرعيّ فلا ينكره إلا من ليس بمؤمن بما جاء من عند الله.

واعلم أنّ المتضايين، لا بدّ أن يحدث لكلّ أحد من المتضايين اسم تعطيه الإضافة، فإذا قلت: "زيد" فهو إنسان بلا شكّ، لا يُعقل منه غير هذا. فإذا قلت: "عمرو" فهو إنسان؛ لا يُعقل منه غير هذا. فإذا قلت: زيد بن عمرو، أو زيد عبد عمرو؛ فلا شكّ أنّه قد حدث لزید اسم البنوة؛ إذ كان ابن عمرو، وحدث لعمرو اسم الأبوة؛ إذ كان أباً لزید. فبنوة زيد أعطت الأبوة لعمرو، والأبوة لعمرو أعطت البنوة

[البقرة : 186]

2 ص 45

3 [البقرة : 40]

4 هبنة في الهامش بقلم الأصل.

5 [الأعراف : 151]

6 [طه : 14]

7 ص 45ب

لزيد. فكل واحد من المتضامين أحدث لصاحبه معنى لم يكن يوصف به قبل الإضافة. وكذلك زيد عبد عمرو؛ فأعطت العبادة أن يكون زيد مملوكا وعمرو مالكا. فقد أحدثت مملوكية زيد اسم المالك لعمرو، وأحدث ملك عمرو لزيد مملوكية زيد. فقيل فيه: مملوك، وقيل في عمرو: مالك، ولم¹ يكن لكل واحد منها معقولية هذين الاسمين قبل أن توجد الإضافة.

فالحق حق والإنسان إنسان. فإذا قلت: الإنسان، أو الناس عبيد الله. قلت: إن الله ملك الناس، لا بد من ذلك. فلو قدرت ارتفاع وجود العالم من الذهن جملة واحدة من كونه ملكا لم يرتفع وجود الحق لارتفاع العالم، وارفع وجود معنى الملك عن الحق ضرورة، ولما كان وجود العالم مرتبطا بوجود العالم الحق فعلا وصلاحيته؛ لهذا كان اسم الملك لله تعالى- أزلا، وإن كان عين العالم معدوما في العين، لكن معقوليته موجودة، مرتبطة باسم المالك، فهو مملوك لله تعالى-، وجودا وتقديرا، قوة وفعلا، فإن فهمت وإلا فافهم.

وليس بين الحق والعالم بؤن يُعقل أصلا إلا التمييز بالحقائق. فالله ولا شيء معه سبحانه- ولم يزل كذلك، ولا يزال كذلك لا شيء معه. فمعيته معنا، كما يستحق جلاله، وكما ينبغي لجلاله، ولو لا ما نسب لنفسه أنه معنا؛ لم يقتض العقل أن يطلق عليه معنى المعية، كما لا يفهم منها العقل السليم، حين أطلقها الحق على نفسه، ما يفهم من معية العالم بعضه مع بعض، لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾²، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾³. وقال تعالى:- ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾⁵ لموسى وهارون.

فنعول: إن الحق معنا على حد ما قاله، وبالمعنى الذي أراده. ولا نقول: إنا مع الحق. فإنه ما ورد، والعقل لا يعطيه. فما لنا وجه عقلي، ولا شرع يطلق به أننا مع الحق. وأما من نفى عنه إطلاق الأبيته، من أهل الإسلام؛ فهو ناقص الإيمان؛ فإن العقل ينفي عنه معقولية الأبيته. والشرع الثابت في السنة، لا في الكتاب، قد أثبت إطلاق لفظ الأبيته على الله. فلا تتعدى، ولا يقاس عليها، وتطلق في الموضع الذي أطلقها الشارع.

قال رسول الله ﷺ للسوداء التي ضربها سيدها: «أين الله؟ فأشارت إلى السماء. فقيل إشارتها. وقال: أعتقها فإنها مؤمنة». فالسائل بالأبيته أعلم الناس بالله تعالى-، وهو رسول الله ﷺ. وتأول بعض علماء الرسوم إشارتها إلى السماء، وقبول النبي ﷺ ذلك منها، لأنها كانت الآلهة التي تُعبَد في الأرض. وهنا تأويل جاهل بالأمر غير عالم، وقد علمنا أن العرب كانت تعبد كوكبا في السماء يسمى الشُعْرَى، سنه لهم

1 ص 46

2 [الشورى: 11]

3 ص 46هـ

4 [الحديد: 4]

5 [طه: 46]

أبو كبشة، وتعتقد فيها أنها رب الأرباب، هكذا وقفت على مناجاتهم إياها. ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى﴾¹ فلو² لم يُعبد كوكب في السماء، لساغ هذا التأويل لهذا المتأول.

وهذا أبو كبشة الذي كان شرع عبادة الشعري، هو من أجداد رسول الله ﷺ لأمه. ولذلك كانت العرب تنسب رسول الله ﷺ إليه فتقول: ما فعل ابن أبي كبشة؟ حيث أحدث عبادة إله واحد، كما أحدث جدّه عبادة الشعري.

ومن أقطاب هذا المقام من كان قبلنا "محمد بن علي الترمذي الحكيم"، ومن شيوخنا أبو مدين³ رحمه الله - وكان يُعرف في العالم العلويّ بأبي النجا، وبه يستونه الروحانيون، وكان يقول ﷺ: سورتي من القرآن ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾⁴ ومن أجل هذا كنا نقول فيه: إنه أحد الإمامين؛ لأنّ هذا هو مقام الإمام.

ثمّ قول: ولَمَّا كان الحقّ تعالى - مجيباً لعبده المضطرّ فيما يدعوه به ويسأله منه، صار كالمُتصرّف، فلهذا كان يشير أبو مدين بقوله، فكان يقول فيه: "مُلْكُ الْمُلْكِ"، وأما صحّة هذه الإضافة لتحقّق العبد في كلّ نفس أنّه مُلكٌ لله تعالى - من غير أن يتخلّل هذا الحال دعوى تناقضه، فإذا كان بهذه المثابة، حينئذ يصدق عليه أنّه مُلكٌ عنده، فإن شأبته رائحة من الدعوى؛ وذلك بأن يدعي لنفسه ملكاً غريباً عن⁵ حضوره في تملك الله إياه ذلك الأمر، الذي سَمَاهُ مُلكاً له وملكاً، لم يكن في هذا المقام، ولا صحّ له أن يقول في الحقّ: إنّهُ مُلْكُ الْمُلْكِ، وإن كان كذلك في نفس الأمر. فقد أخرج هذا نفسه بدعواه بجهله أنّه مُلكٌ لله، وغفلته في أمرٍ ما، فيحتاج إلى ميزانٍ عظيم، صاحب هذا المقام، لا يبرح بيده، ونُصب عينيه.

* * *

وَضَلَّ

(أسرار الاشتراك بين الشريعتين)

وأما أسرار الاشتراك بين الشريعتين، فمثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾⁶ وهذا مقام ختم

[1] النجم: 49

2 ص 47

3 أبو مدين التلمساني (589هـ) شيعي بن الحسن الأنطلسي التلمساني، أبو مدين. من مشاهير الصوفية، أصله من الأنطلس، أقام طاس، وسكن بجاية، وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور، وتوفي بلمسان، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. له: (مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب - ط) 92 ورقة في شسترته (الرقم 3259). (الموسوعة الشعرية). وهناك اختلاف واضح في تاريخ وفاته عند المؤرخين، إلا أنّ الشيخ ذكر في السفر 31 ص 132 أنّ وفاته كانت عام 589هـ.

4 [الملك: 1]

5 ص 47

6 [طه: 14]

الأولياء. ومن رجاله اليوم خضر وإلياس، وهو تقرير الثاني ما أثبتته الأول من الوجه الذي أثبتته مع مغايرة الزمان، ليصح المتقدم والمتأخر، وقد لا يتغير المكان ولا الحال، فيقع الخطاب بالتكليف للثاني من عين ما وقع للأول. ولما كان الوجه الذي جمعهما لا يتقيد بالزمان والأخذ منه، أيضاً، لا يتقيد بالزمان-جاز الاشتراك في الشريعة من شخصين، إلا أن العبارة يختلف زمانها ولسانها، إلا أن ينطقا في آن واحد بلسان واحد، كوسى وهارون، لَمَا قِيلَ لَهَا: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾¹ ومع هذا كله فقد قيل لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾² فأتى بالنكرة في قوله: ﴿قَوْلًا﴾ ولا³ ستيماً وموسى يقول: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾⁴ يعني هارون، فقد يمكن أن يختلفا في العبارة، في مجلس واحد، فقد جمعها مقام واحد، وهو البعث في زمان واحد، إلى شخص واحد، برسالة واحدة.

وإن كان قد منع وجود مثل هذا جماعة من أصحابنا وشيوخنا كأبي طالب المكي، ومن قال بقوله وإليه نذهب، وبه أقول وهو الصحيح عندنا؛ فإن الله تعالى- لا يكرر تجلياً على شخص واحد، ولا يشرك فيه بين شخصين للتوسع الإلهي، وإنما الأمثال والأشباه تؤم الراي والسامع للتشابه الذي يعسر- فصله إلا على أهل الكشف والقائلين من المتكلمين أن العرض لا يبقى زمانين. ومن الاتساع الإلهي أن الله ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾⁵، وميز كل شيء في العالم بأمر، ذلك الأمر هو الذي ميزه عن غيره، وهو أحديّة كل شيء، فما اجتمع اثنان في مزاج واحد. قال أبو العتاهية⁶:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدٌ

وَلَيْسَتْ سِوَىٰ أَحَدِيَّةٍ كُلِّ شَيْءٍ.

فما اجتمع قطّ اثنان فيما يقع به الامتياز، ولو وقع الاشتراك فيه ما امتازت، وقد امتازت عقلا وكشفاً. ومن هذا المنزل في هذا الباب، تعرف إيراد⁷ الكبير على الصغير، والواسع على الضيق من غير أن يضيق الواسع أو يوسع الضيق، أي لا يغير شيئاً عن حاله، لكن لا على الوجه الذي يذهب إليه أهل النظر من المتكلمين والحكماء في ذلك؛ فإنهم يذهبون إلى اجتماعها في الحد والحقيقة، لا في الجرمية؛ فإنّ كبر الشيء

[طه : 43]

[طه : 44]

3 ص 48

4 [الفصص : 34]

5 [طه : 50]

6 أبو العتاهية: (130 - 211 هـ / 747 - 826 م) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي، أبو إسحاق. شاعر مكثّر، سريع الخطر، في شعره إنباع، يعد من مقدي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما. كان يجيد القول في الزهد والمسخ وأكثر أنواع الشعر في عصره. ولد ونشأ قرب الكوفة، وسكن بغداد. كان في بدء أمره يبيع الجرار ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. وهجر الشعر مدة، فبلغ ذلك الخليفة العباسي المهدي، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل إن لم يقل الشعر، فعاد إلى نظم، فأطلقه. توفي في بغداد. (الموسوعة الشعرية)

وصفره لا يؤثر في الحقيقة الجامعة لها.

ومن هذا الباب أيضا قال أبو سعيد الخزاز: "ما عُرف الله إلا بجمعه بين الضدين، ثم تلا: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ" ¹ يريد من وجه واحد لا من نسب مختلفة، كما يراه أهل النظر من علماء الرسوم.

واعلم أنه لا بدّ من نزول عيسى عليه السلام، ولا بدّ من حكمه فينا بشرية محمد ﷺ يوحي الله بها إليه من كونه نبيا، فإنّ النبي لا يأخذ الشرع من غير مرسله، فيأتيه الملك مخبرا بشرع محمد الذي جاء به ﷺ وقد يلهمه إلهاما، فلا يحكم في الأشياء بتحليل وتحريم إلا بما كان يحكم به رسول الله ﷺ لو كان حاضرا، ويرفع اجتهاد المجتهدين بنزوله عليه السلام، ولا يحكم فينا بشرعه الذي كان عليه في أوان رسالته ودولته، فما هو عالم بها من حيث الوحي الإلهيّ إليه بها، هو رسول ونبيّ، وما هو الشرع الذي كان عليه محمد ﷺ هو تابع له فيه، وقد يكون له من الاطلاع على روح محمد ﷺ كشفًا، بحيث أن يأخذ عنه ما شرع الله له أن يحكم به في أمته ﷺ فيكون عيسى عليه السلام صاحبًا وتابعا من هذا الوجه، وهو عليه السلام من هذا الوجه خاتم الأولياء.

فكان من شرف النبيّ ﷺ أن ختم الأولياء في أمته نبيّ رسولٍ مكرمٍ هو عيسى عليه السلام، وهو أفضل هذه الأمة المحمدية. وقد تبه عليه الترمذي الحكيم في كتاب "ختم الأولياء" له، وشهد له بالفضلية على أبي بكر الصديق وغيره، فإنه وإن كان وليا في هذه الأمة، والملة المحمدية، فهو نبيّ ورسول في نفس الأمر، فله يوم القيامة حشران: يحشر في جماعة الأنبياء والرسل بلواء النبوة والرسالة، وأصحابه تابعون له، فيكون متبوعا كسائر الرسل. ويحشر أيضا معنا وليا في جماعة أولياء هذه الأمة، تحت لواء محمد ﷺ تابعا له، مقدّما على جميع الأولياء من عهد آدم إلى آخر وليّ يكون في العالم، فجمع الله له بين الولاية والنبوة ظاهرا.

وما في الرسل يوم القيامة من يتبعه رسول ³ إلا محمد ﷺ فإنه يحشر- يوم القيامة في أتباعه عيسى- والياس عليهما السلام-، وإن كان كل من في الموقف، من آدم لمن دونه تحت لوائه ﷺ فذلك لوائه العام، وكلامنا في اللواء الخاص بأمته ﷺ.

وللولاية المحمدية الخصوصية بهذا الشرع المنزل على محمد ﷺ ختم خاص، هو في الرتبة دون عيسى- عليه السلام لكونه رسولا وقد ولد في زماننا ورأيت أيضا واجتمعت به، ورأيت العلامة الحتمية التي فيه؛ فلا وليّ بعده إلا وهو راجع إليه، كما أنه لا نبيّ بعد محمد ﷺ إلا وهو راجع إليه، كعيسى- إذا نزل. فنسبة كل وليّ يكون بعد هذا الختم إلى يوم القيامة نسبة كل نبيّ يكون بعد محمد ﷺ في النبوة كالياس وعيسى- والحضر-

1 [الحديد : 3]

2 ص 49

3 ص 49 هـ

في هذه الأمة.

وبعد أن يتنث لك مقام عيسى عليه السلام إذا نزل، فقل ما شئت؛ إن شئت قلت: شريعتين لعين واحدة، وإن شئت قلت: شريعة واحدة.

وصل

(القلوب المتعشقة بالأنفاس)

وأما القلوب المتعشقة بالأنفاس؛ فإنه¹ لَمَا كانت خزائن² الأرواح الحيوانية تعشقت بالأنفاس الرحمانية للمناسبة، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ نَفْسَ الرَّحْمَنِ يَأْتِنِي مِنْ قِبَلِ السَّمَنِ» ألا وَإِنَّ الرُّوحَ الحَيَوَانِيَّ نَفْسٌ، وَإِنَّ أَصْلَ هَذِهِ الْأَنْفَاسِ عِنْدَ الْقُلُوبِ الْمُتَعَشِّقِ بِهَا النَّفْسِ الرَّحْمَانِيَّ الَّذِي مِنْ قِبَلِ السَّمَنِ، لَمَنْ أُخْرِجَ عَنْ وَطَنِهِ وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَسْكَنِهِ وَسَكَنِهِ، فَفِيهَا تَهْرِجُ الْكَرْبُ وَدَفْعُ الثُّؤْبِ، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ نَفْحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لِلنَّفْحَاتِ رَبِّكُمْ».

وتنتهي منازل هذه الأنفاس في العدد إلى ثلاثمائة نفس وثلاثين نفساً، في كل منزل من منازلها التي جعلتها الخارج من ضرب ثلاثمائة وثلاثين في ثلاثمائة وثلاثين، فما خرج فهو عدد الأنفاس التي تكون من الحق من اسمه الرحمن في العالم البشري. والذي أتحمقه أن لها منازل تزيد على هذا المقدار مائتين منزلاً في حضرة الفهوانية خاصة. فإذا ضربت ثلاثمائة وثلاثين في خمسمائة وثلاثين، فما خرج لك بعد الضرب فهو عدد الأنفاس الرحمانية في العالم الإنساني، كل نفس منها علم إلهي مستقل، عن تجلّ إلهي خاص لهذه المنازل، لا يكون لغيرها، فمن شم من هذه الأنفاس رائحة³ عرف³ مقدارها.

وما رأيت من أهلها من هو معروف عند الناس، وأكثر ما يكونون من بلاد الأندلس، واجتمعت بواحد منهم بالبيت المقدس، وبمكة، فسألته يوماً في مسألة. فقال لي: هل تشم شيئاً؟ فعلمت أنه من أهل ذلك المقام، وخدمني مدة. وكان لي عم أخو والدي شقيقه - اسمه: عبد الله بن محمد بن العربي كان له هذا المقام جساً ومعنى، شاهدنا ذلك منه قبل رجوعنا لهذا الطريق في زمان جاهليتي ﷺ وَاللَّهِ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﷻ.

1 قرأ "بأنه".

2 ص 50

3 ص 50 ب

4 [الأحزاب: 4]. ومكتوب بالهامش: "بلغ محبي".

الباب الخامس والعشرون

في معرفة وتد مخصوص معمر، وأسرار الأقطاب

المختصين بأربعة أصناف من العلوم، ويسر المنزل والمنازل، ومن دخله من العالم؟

إِنَّ الْأُمُورَ لَهَا حَدٌّ وَمُطَلَعٌ مِنْ بَعْدِ ظَهْرِ وَيَطْنُ فِيهِ تَجْتَمِعُ
فِي الْوَاحِدِ الْعَيْنِ سِرٌّ لَيْسَ يَتَلَمَّهُ إِلَّا مَرَاتِبَ أَعْدَادٍ بِهَا يَقَعُ
هُوَ الَّذِي أَبْرَزَ الْأَعْدَادَ أَجْمَعَهَا وَهُوَ الَّذِي مَا لَهُ فِي الْعَدِّ مُنْسَعُ
مَجَالُهُ ضَيِّقٌ رَحْبٌ فَصُورَتُهُ كَنَاطِرٍ فِي مَرَاءٍ حِينٍ يَنْطَبِعُ
فَمَا تَكَثَّرَ، إِذْ أَعْطَتْ مَرَاتِبُهُ¹ تَكَثَّرًا، فَهَوَ بِالْتَّنْزِيهِ يَفْتَتِيْعُ
كَذَلِكَ الْحَقُّ إِنْ حَقَّقْتَ سُورَتَهُ بِنَفْسِهِ وَيَكْمُ تَقَلُّو وَتَضَعُ

اعلم² أيها الولي الحميم؛ أيديك الله - أن هذا الوجد، هو "خضر" صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره إلى الآن، وقد رأينا من رآه، واتفق لنا في شأنه أمر عجيب؛ وذلك أن شيخنا أبا العباس العربي رحمه الله - جرت بيني وبينه مسألة في حق شخص، كان قد بشر بظهوره رسول الله ﷺ؛ فقال لي: هو فلان ابن فلان، وسمى لي شخصا أعرفه باسمه، وما رأيته، ولكن رأيت ابن عمته، فرمما توقفت فيه، ولم آخذ بالقبول؛ أعني قوله فيه، لكوني على بصيرة في أمره. ولا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه، ولم أشعر بذلك فإني كنت في بداية أمري.

فانصرفت عنه إلى منزلي. فكنت في الطريق، فلقيني شخص لا أعرفه، فسلم علي ابتداء؛ سلام محب مشفق، وقال لي: يا محمد؛ صدق الشيخ أبا العباس، فيما ذكر لك عن فلان، وسمى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العربي. فقلت له: نعم. وعلمت ما أراد. ورجعت من حينئذ إلى الشيخ لأعزفه بما جرى. فعندما دخلت عليه، قال لي: يا أبا عبد الله؛ أحتاج منك إذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها، إلى الحضر يتعرض إليك، يقول لك: صدق فلانا فيما ذكره لك؟ ومن أين يتفق لك هذا، في كل مسألة تسمعها مني؛ فتتوقف؟ فقلت: إن باب التوبة مفتوح. فقال³: وقبول التوبة واقع. فعلمت أن ذلك الرجل كان الحضر، ولا شك أنني استفهمت الشيخ عنه: أهو هو؟ قال: نعم، هو الحضر.

1 ق: "حقيقته" وصححت في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 51

3 ص 51 ب

ثم اتفق لي مرة أخرى، أنني كنت بمرسى تونس بالحفرة في مركب في البحر، فأخذني وجع في بطني، وأهل المركب قد ناموا. فقامت إلى جانب السفينة، وتطلعت إلى البحر، فرأيت شخصا على بُعد في ضوء القمر، وكانت ليلة البدر، وهو يأتي على وجه الماء، حتى وصل إليّ؛ فوقف معي، ورفع قدمه الواحدة واعتمد على الأخرى. فرأيت باطنها وما أصابها بلل، ثم اعتمد عليها ورفع الأخرى؛ فكانت كذلك. ثم تكلم معي بكلام كان عنده، ثم سلم وانصرف، يطلب المنارة محرسا على شاطئ البحر- على تلّ بيننا وبينه مسافة تزيد على ميلين. فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاثة. فسمعت صوته وهو على ظهر المنارة يستبح الله تعالى-، وربما مشى- إلى شيخنا جراح بن خميس الكناني، وكان من سادات القوم مرابطا بمرسى عيرون، وكنت جئت من عنده بالأمس من ليلتي تلك. فلما جئت المدينة لقيت رجلا صالحا، فقال لي: كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الحضر؟ ما قال لك، وما قلت له؟.

فلما كان بعد ذلك التاريخ، خرجت إلى السياحة بساحل البحر المحيط، ومعني رجل ينكر خرق العوائد¹ للصالحين، فدخلت مسجدا خرابا منقطعا لأصليّ فيه أنا وصاحبي صلاة الظهر. فإذا بجماعة من السامعين المنقطعين دخلوا علينا يريدون ما نريده من الصلاة في ذلك المسجد، وفيهم ذلك الرجل الذي كلمني على البحر، الذي قيل لي: إنه الحضر، وفيهم رجل كبير القدر أكبر منه منزلة، وكان بيني وبين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك ومودة. فقامت، فسلمت عليه. فسلم عليّ وفرح بي، وتقدم بنا يصليّ. فلما فرغنا الصلاة، خرج الإمام وخرجت خلفه، وهو يريد باب المسجد، وكان الباب في الجانب الغربي يشرف على البحر المحيط، بموضع يسمى: بكة.

فقامت أتحدث معه على باب المسجد، وإذا بذلك الرجل الذي قلت: إنه الحضر، قد أخذ حصيرا صغيرا كان في محراب المسجد، فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الأرض، ووقف على الحصير في الهواء يتنقل. فقلت لصاحبي: أما تنظر إلى هذا وما فعل؟ فقال لي: سر إليه وسأله؟ فتركت صاحبي واقفا، وجئت إليه. فلما فرغ من صلاته، سلمت عليه، وأنشدته لنفسني:

شُغِلَ الْمَجِبُ عَنِ الْهَوَاءِ بِسِرِّهِ	فِي حُبِّ مَنْ خَلَقَ الْهَوَاءَ وَسَخَّرَهُ
الْعَارِفُونَ ² عَشُّوْلَهُمْ مَغْفُوْلَةٌ	عَنْ كُلِّ كَوْنٍ تَرْتَضِيهِ مُظَاهِرَةٌ
فَهُمْ لَدَيْهِ مُكْرَمُونَ وَفِي الْوَرَى	أَخْوَالُهُمْ مَجْهُوْلَةٌ وَمُسْتَرَةٌ

فقال لي: يا فلان؛ ما فعلت ما رأيت إلا في حق هذا المنكر، وأشار إلى صاحبي الذي كان ينكر

خَزَقَ العوائد، وهو قاعد في صحن المسجد ينظر إليه، ليعلم أنّ الله يفعل ما يشاء مع من يشاء. فرددت وجمي إلى المنكر، وقلت له: ما تقول؟ فقال: ما بعد العين ما يقال. ثم رجعت إلى صاحبي، وهو ينتظرنى بباب المسجد، فتحدّثت معه ساعة، وقلت له: من هذا الرجل الذي صلّى في الهواء؟ وما ذكركم له ما اتفق لي معه قبل ذلك. فقال لي: هذا الخضر- فسكّت وانصرفت الجماعة، وانصرفنا نريد زُوطة موضع مقصود، يقصده الصلحاء من المنقطعين، وهو بمقربة من بُشكنصار، على ساحل البحر المحيط- فهذا ما جرى لنا مع هذا الودت، نفعنا الله برؤيته، وله من العلم اللدني ومن الرحمة بالعالم، ما يليق بمن هو على رتبته، وقد أثنى الله عليه.

واجتمع به رجل من شيوخنا؛ وهو علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب عليّ المتوكّل، وأبي عبد الله قضيب البان، كان¹ يسكن بالمقلى خارج الموصل- في بستان له، وكان الخضر- قد ألبسه الخرقه بحضور قضيب البان، وألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه، وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إيّاها، وقد كنت لبست خرقه الخضر بطريق أبعد من هذا، من يد صاحبنا تقيّ الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن آب التوزري، ولبسها هو من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية وهو محمد² بن حمويه، وكان جدّه قد لبسها³ من يد الخضر.

ومن ذلك الوقت، قلت بلباس الخرقه، وألبستها الناس لَمّا رأيت الخضر- قد اعتبرها، وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن، فإنّ الخرقه عندنا إمّا هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلّق، ولهذا لا يوجد لباسها متّصلاً برسول الله ﷺ ولكن توجد صحبة وأدبا، وهو المعبرُ عنه بلباس التقوى، فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحدا من أصحابهم عنده نقص في أمرٍ ما، وأرادوا أن يكملوا له حاله، يتحدّ⁴ به هذا الشيخ؛ فإذا اتّحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال، ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله، فيسري فيه ذلك الحال، فيكمل له ذلك، فذلك هو اللباس⁵ المعروف عندنا، والمنقول عن المحقّقين من شيوخنا.

ثمّ أعلم أنّ رجال الله على أربع مراتب: رجال لهم الظاهر، ورجال لهم الباطن، ورجال لهم الحدّ، ورجال لهم المطلق. فإنّ الله سبحانه- لَمّا أغلق دون الخلق باب النبوة والرسالة، أبقى لهم باب الفهم عن الله، فيما أوحى به إلى نبيّه ﷺ في كتابه العزيز. وكان عليّ بن أبي طالب ﷺ يقول: "إنّ الوحي قد انقطع

1 ص 53

2 لم يرد في ق وترك فراغا بمحله، وأثبتناه من س.

3 "قد لبسها" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

4 ق: "بحقق" وصححت بالهامش بخط آخر مع إشارة التصويب.

5 ص 53 ب

بعد رسول الله ﷺ وما بقي بأيدينا إلا أن يرزق الله عبدا فهما في هذا القرآن". وقد أجمع أصحابنا أهل الكشف- على صحة خبر عن النبي ﷺ أنه قال في آي القرآن: «إنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحَدُّ ومُطَّلَع». ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال، ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف قطب؛ على ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف.

دخلت على شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز، من أهل باغة بأغرناطة سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وهو من أكبر من لقيته في هذا الطريق¹، لم أر في طريقه مثله في الاجتهاد، فقال لي: "الرجال أربعة: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾²، وهم رجال الظاهر. و﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾³ وهم رجال الباطن؛ جلساء الحق تعالى-، ولهم المشورة. ورجال الأعراف وهم رجال الحد، قال الله تعالى:- ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾⁴ أهل الشم والتميز والسراح عن الأوصاف، فلا صفة لهم، كان منهم أبو يزيد البسطامي. ورجال إذا دعاهم الحق إليه يأتونه رجالا لسرعة الإجابة لا يركبون ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾⁵ وهم رجال المُطَّلَع.

فرجال الظاهر: هم الذين لهم التصرف في عالم الملك والشهادة، وهم الذين كان يشير إليهم الشيخ محمد بن قائد الأواني. وهو المقام الذي تركه الشيخ العاقل أبو السعود بن الشبل البغدادي، أدبا مع الله. أخبرني أبو البدر التاشكي البغدادي رحمه الله- قال: لَمَّا اجتمع محمد بن قائد الأواني، وكان من الأفراد، بأبي السعود هذا، قال له: يا أبا السعود؛ إن الله قسم المملكة بيني وبينك، فلم لا تتصرف فيها كما أتصرف أنا؟. فقال له أبو السعود: يا ابن قائد؛ وهبتك سهمي، نحن⁶ تركنا الحق يتصرف لنا، وهو قوله تعالى:- ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾⁷ فامتثل أمر الله. فقال لي أبو البدر: قال لي أبو السعود: إني أعطيت التصرف في العالم منذ خمس عشرة سنة من تاريخ قوله، فتركته، وما ظهر علي منه شيء.

وأما رجال الباطن: فهم الذين لهم التصرف في عالم الغيب والملكوت، فيستنزلون الأرواح العلوية بهمهم فيما يريدونه، وأعني أرواح الكواكب لا أرواح الملائكة، وإنما كان ذلك لما منع إلهي قوتي يقتضيه مقام الأملاك. أخبر الله به في قول جبريل عليه السلام لحمد ﷺ فقال: ﴿وَمَا تَنْزِيلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾⁸ ومن كان تنزله

1 ص 54

2 [الأحزاب : 23]

3 [النور : 37]

4 [الأعراف : 46]

5 [الحجج : 27]

6 ص 54 ب

7 [المرمل : 9]

8 [مریم : 64]

بأمر ربه لا تؤثر فيه الخاصية، ولا ينزل بها. نعم أرواح الكواكب تستنزل بالأسماء والبخورات وأشباه ذلك، لأنه تنزل معنوي، ولمن يشاهد فيه صوراً (هو) خيالي، فإِنَّ ذات الكوكب لا تبرح من السماء مكانها، ولكن قد جعل الله لمطرح شعاعاتها في عالم الكون والفساد تأثيرات معتادة عند العارفين بذلك، كالري عند شرب الماء، والشبع عند الأكل، ونبات الجنة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو، حكمة أودعها العلم¹ الحكيم، جلّ وعزّ، فيفتح لهؤلاء الرجال في باطن الكتب المنزلة والصحف المطهرة وكلام العالم كلّه ونظم الحروف والأسماء من حجة معانيها ما لا يكون لغيرهم اختصاصاً إلهياً.

وأما رجال الحدّ: فهم الذين لهم التصرف في عالم الأرواح النارية، عالم البرزخ والجبروت، فإنه تحت الجبر. ألا تراه مقهوراً تحت سلطان ذوات الأذنان وهم طائفة؛ منهم - من الشهب النواقب، لما قهرهم إلاّ بجنسهم. فعند هؤلاء الرجال استنزال أرواحها وإحضارها، وهم رجال الأعراف، والأعراف: سُورَ حاجز بين الجنة والنار، برزخٌ ﴿بِاطْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾² فهو حدّ بين دار السعداء ودار الأشقياء، دار أهل الروية ودار الحجاب.

وهؤلاء الرجال؛ أسعد الناس بمعرفة هذا السور، ولهم شهود الخطوط المتوهمة بين كلّ تقيضين، مثل قوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾³ فلا يتعدون الحدود. وهم رجال الرحمة التي ﴿وَوَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁴. فلهم في كلّ حضرة دخول واستشراق، وهم العارفون بالصفات التي يقع بها الامتياز لكلّ موجود عن غيره من⁵ الموجودات العقلية والحسية.

وأما رجال المطلع: فهم الذين لهم التصرف في الأسماء الإلهية، فيستنزلون بها منها ما شاء الله، وهذا ليس لغيرهم، ويستنزلون بها كلّ ما هو تحت تصرف الرجال الثلاثة: رجال الحدّ والباطن والظاهر، وهم أعظم الرجال، وهم الملامية، هذا في قوتهم، وما يظهر عليهم من ذلك شيء، منهم: أبو السعود وغيره؛ فهم والعامّة في ظهور العجز وظاهر العوائد سواء.

وكان لأبي السعود في هؤلاء الرجال تميّز، بل كان من أكبرهم، وسمعه أبو البدر على ما حدثنا مشافهة يقول: إنّ من رجال الله من يتكلّم على الخاطر، وما هو مع الخاطر. أي لا علم له بصاحبه، ولا يقصد التعريف به. ولتأّ وصف لنا عمر البرّاز وأبو البدر وغيرهما حال هذا الشيخ، رأيناها يجري مع أحوال هذا

1 ص 55

2 [الحديد: 13]

3 [الرحمن: 20]

4 [الأعراف: 156]

5 ص 55

الصف العالي من رجال الله. قال لي أبو البدر: كان كثيرا ما ينشد بيتا لم نسمع منه غيره وهو¹:

وَأَثَبْتُ فِي مُسْتَتَعِّعِ الْمَوْتِ رَجُلَةً وَقَالَ لَهَا مِنْ دُونِ إِحْمَصِكَ الْحَشْرُ

وكان يقول: "ما هو إلا الصلوات الخمس، وانتظار الموت". وتحت هذا الكلام علم كبير. وكان يقول: "الرجل مع الله تعالى - كساعي² الطير: فَمَ مشغول، وقدم تسمى". وهذا كله أكبر حالات الرجال مع الله، إذ الكبير من الرجال من يعامل كل موطن بما يستحقه، وموطن هذه الدنيا لا يمكن أن يعامله الحق إلا بما ذكره هذا الشيخ، فإذا ظهر في هذه الدار من رجلٍ خلاف هذه المعاملة، عُلِمَ أَنَّ تَمَّ نَفْسًا وَلَا بَدَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَأْمُورًا بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ، وَهِيَ الرِّسَالَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. - وقد يكون بعض الورثة لم أمر في وقتٍ بذلك، وهو مكر خفي؛ فإنه انفصال عن مقام العبودية التي خلق الإنسان لها.

وأما سرّ المنزل والمنازل: فهو ظهور الحق بالتجلي في صور كل ما سواهُ، فلولا تجليه لكل شيء ما ظهرت شبيبة ذلك الشيء. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ ۖ فَيَكُونُ﴾³ فقوله: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ هو التوجه الإلهي لإيجاد ذلك الشيء، ثم قال: ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ فنفس سماع ذلك الشيء خطاب الحق (هو) تكوّن ذلك الشيء، فهو بمنزلة سريان الواحد في منازل العدد، فظهر الأعداد إلى ما لا يتناهى، بوجود الواحد في هذه المنازل. ولولا وجود عينه فيها ما ظهرت أعيان الأعداد، ولا كان لها اسم. ولو ظهر الواحد باسمه في هذه المنزلة⁴، ما ظهر لناك العدد عين، فلا تجمع عينه واسمه معا أبدا، فيقال: اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، إلى ما لا يتناهى، وكلّ ما أسقطت واحدا من عدد معين زال اسم ذلك العدد، وزالت حقيقته. فالواحد بذاته يحفظ وجود أعيان الأعداد، وباسمه يعدما.

كذلك إذا قلت: "القديم" فني الحدث، وإذا قلت: "الله" فني العالم، وإذا أخليت العالم من حفظ الله لم يكن للعالم وجودٌ وفني، وإذا سرى حفظ الله في العالم بقي العالم موجودا. فبظهوره وتجليه يكون العالم باقيا. وعلى هذه الطريقة أصحابنا، وهي طريقة النبوة، والمتكلمون من الأشاعرة أيضا عليها، وهم القائلون بانعدام الأعراض لأنفسها، وبهذا يصح افتقار العالم إلى الله في بقائه في كل نفس، ولا يزال الله خلّاقا على الدوام. وغيرهم من أهل النظر لا يصح لهم هذا المقام. وأخبرني جماعة من أهل النظر من علماء الرسوم أنّ طائفة من الحكماء عثروا على هذا، ورأيتهم مذهبا لابن السيد البطليوسي في كتاب ألفه في هذا الفن ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 البيت للشاعر أبي تمام؛ سبق تعريفه في السفر الثاني.

2 ص 56

3 [النحل: 40]

4 ص 56ب

5 [الأحزاب: 4]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب السادس والعشرون
في معرفة أقطاب الرموز، وتلويحات من أسرارهم
وعلوهم في الطريق

أَلَا إِنَّ الرُّمُوزَ دَلِيلٌ صِدْقِي عَلَى الْمَغْنَى الْمَغْتِيبِ فِي الْفُؤَادِ
وَإِنَّ الْعَالِيَيْنَ لَهُ رُمُوزٌ وَالْفَرَازِ لِيُدْعَى بِالْعِبَادِ
وَلَوْلَا اللَّغْزُ كَانَ الْقَوْلُ كُفْرًا وَأَدَى الْعَالِيَيْنَ إِلَى الْعِنَادِ
فَهُمْ بِالرُّمُوزِ قَدْ حَسِبُوا فَقَالُوا بِإِهْزَاقِ النَّعَاءِ وَبِالْفَسَادِ
فَكَيْفَ بِنَا لَوْ أَنَّ الْأَمْرَ يَبْدُو بِلَا سِتْرٍ يَكُونُ لَهُ اسْتِثْنَادِي
لِقَامِ بِنَا الشَّقَاءِ هُنَا يَقِينًا وَعِنْدَ الْبَغْتِ فِي يَوْمِ التَّنَادِ
وَلَكِنَّ الْغُفُورَ أَقَامَ سِتْرًا لِنُسْعِدَنَا عَلَى رَغْمِ الْأَعَادِي

اعلم أيها الولي الحميم؛ أيديك الله بروح القدس وفهمك² - أن الرموز والألغاز ليست مرادة لأشئها، وإنما هي مرادة لما رُمِزَتْ له، ولما أَلْغِزَ فيها، ومواضعها من القرآن: آيات الاعتبار كلها، والتنبيه على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾³ فالأمثال ما جاءت مطلوبة لأنفسها، وإنما جاءت ليُعَلِّمَ منها ما ضُرِبَتْ له، وما نُصِبَتْ من أجله مثلا، مثل قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا تُوَقَّدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾⁴ فجعله كالباطل كما قال: ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾⁵ ثم قال: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَنَبِّئْهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾⁶ ضربه مثلا للحق ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾⁷.

وقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾⁸ أي تعجبوا وجوزوا وابعروا إلى ما أردته بهذا التعريف وإن في ذلك لَعِبْرَةٌ لَأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾⁹ من عَبَّرَتْ الوادي إذا جُرِّتُهُ.

1 ص 57، ومكتوب بالهامش بقلم الشيخ ابن العربي: "بلغ قراءة الظهير محمود علي، وكتبه ابن العربي".

2 ص 57ب

3 [العنكبوت : 43]

4 [الرعد : 17]، ولفظ "توقدون" وفقا لقراءة ورش عن نافع، وعند حفص: "توقدون".

5 [الإسراء : 81]

6 [الرعد : 17]

7 [الرعد : 17]

8 [الحشر : 2]

9 [آل عمران : 13]

وكذلك الإشارة والإيماء، قال تعالى- لنبية زكريا: ﴿أَلَا نَحْكُمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْرًا﴾¹ أي بالإشارة، وكذلك ﴿فَأَنشَأَتْ إِلَيْهِ﴾² في قصة مريم، لَمَّا نَدَرَتْ للرحمن أن تمسك عن الكلام.

ولهذا العلم رجالٌ، كبيرٌ قَدْرُهُمْ، من أسرارهم: سرُّ الأزل والأبد والحال والخيال والرويا والبرازخ وأمثال هذه من النسب الإلهية، ومن علومهم خواص العلم بالحروف والأسماء، والخواص المركبة والمفردة من كل شيء من العالم الطبيعي، وهي الطبيعة المجهولة.

فأما علم سرِّ الأزل: فاعلم أنّ الأزل عبارة عن نفي الأوليّة لمن يوصف به، وهو وصفٌ لله تعالى- من كونه إلهًا، وإذا انتفت الأوليّة عنه تعالى- من كونه إلهًا، فهو المسمى بكلّ اسم سُمي به نفسه أزلا، من كونه متكلمًا، فهو: العالم الحيّ المرید القادر السميع البصير المتكلم الخالق البارئ المصور الملك، لم يزل مسمى بهذه الأسماء، وانتفت عنه أوليّة التقييد، فسمع المسموع، وأبصر المبصر إلى غير ذلك: وأعيان المسموعات متا، والمبصرات معدومة غير موجودة، وهو يراها أزلا، كما يعلمها أزلا ويميزها ويفصلها أزلا، ولا عين لها في الوجود النفساني العيني، بل هي أعيان ثابتة في رتبة الإمكان.

فالإمكانية لها أزلا كما هي لها حالا وأبدا، لم تكن قطّ واجبةً لنفسها، ثمّ عادت ممكنة. ولا مُحالًا ثمّ عادت ممكنة. بل كما كان الوجوب الوجودي الذاتي لله تعالى- أزلا، كذلك وجوب الإمكان للعالم أزلا. فالله في⁵ مرتبته بأسمائه الحسنی، يستی منعوته موصوفا بها.

فعين نسبة الأول له (هي عين) نسبة الآخر والظاهر والباطن، لا يقال: هو أوّل بنسبة كذا، ولا آخر بنسبة كذا. فإنّ الممكن مرتبط بواجب الوجود في وجوده وعدمه، ارتباط افتقار إليه في وجوده، فإنّ أوجده لم يزل (الممكن) في إمكانه، وإن عدم لم يزل عن إمكانه. فكما لم يدخل على الممكن في وجود عينه، بعد أن كان معدوما، صفةً تزيله عن إمكانه، كذلك لم يدخل على الخالق، الواجب الوجود في إيجاد العالم، وصفٌ يزيله عن وجوب وجوده لنفسه. فلا يُعقل الحقُّ إلّا هكذا، ولا يُعقل الممكن إلّا هكذا.

فإن فهمت علمت معنى الحدوث ومعنى القدم. فقل بعد ذلك ما شئت. فأوليّة العالم وأخريته أمرٌ إضافي إن كان له آخر، أمّا في الوجود فله آخر في كلّ زمان فرد، و(له) انتهاء عند أرباب الكشف،

[آل عمران : 41]

[مريم : 29]

ص 58

4 تاجة في الهامش بقلم الأصل.

ص 58 ب

ووافقتهم الحسابية على ذلك، كما وافقتهم الأشاعرة على أن العرض لا يبقى زمانين: فالأول من العالم (هو) بالنسبة إلى ما يُخلَق بعده، والآخر من العالم (هو) بالنسبة إلى ما خُلِقَ قبله. وليس كذلك معقولة الاسم الله بالأول والآخر والظاهر والباطن. فإنَّ العالمَ يتعدّد، والحقّ واحد لا يتعدّد، ولا يصحّ أن يكون أوّلاً لنا؛ فإنّ رتبته لا تناسب ربتنا، ولا تقبل ربتنا أوّليته، ولو¹ قبلت ربتنا أوّليته لاستحال علينا اسم الأوّلية، بل كان ينطلق علينا اسم الثاني لأوّليته، ولسنا بثانٍ له تعالى عن ذلك،- فليس هو بأوّل لنا؛ فهذا كان عين أوّليته (هو) عين آخريته.

وهذا المذركُ عزيزُ المنال، يتعدّر تصوّره على من لا أنسّة له بالعلوم الإلهية التي يعطيها التجلّي والنظر الصحيح، وإليه كان يشير أبو سعيد الخزاز بقوله: "عرفت الله بجمعه بين الضدين" ثمّ يتلو: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾²، فقد أثبت لك عن سير الأزل، وأنه نعمت سلمي.

وأما سرُّ الأبد: فهو نفي الآخرة. فكما أنّ الممكن انتفت عنه الآخرة شرعاً، من حيث الجملة، إذ الجنة والإقامة فيها إلى غير نهاية، كذلك الأوّلية بالنسبة إلى ترتب الموجودات الزمانية (هي) معقولة موجودة، فالعالم بذلك الاعتبار الإلهي لا يقال فيه أوّل ولا آخر، وباعتبار الثاني هو أوّل وآخر ينسبتين مختلفتين، بخلاف ذلك، في إطلاقها على الحقّ عند العلماء بالله.

وأما سرُّ الحال: فهو الديمومة وما لها أوّل ولا آخر، وهو عين وجود كلّ موجود، فقد عزّفتك ببعض ما يعلمه رجال الرموز من الأسرار، وسكّث عن كثير، فإنّ بابه واسع، وعلم الرؤيا والبرزخ والنسب الإلهية من هذا القبيل³، والكلام فيها يطول.

وأما علومهم في الحروف والأسماء: فاعلم أنّ الحروف لها خواص، وهي على ثلاثة أضرب: منها حروف رقمية ولفظية ومستحضرة، وأعني بالمستحضرة: الحروف التي يستحضرها الإنسان في وهمه وخياله ويصوّرها، فإمّا أن يستحضر الحروف الرقمية، أو الحروف اللفظية، وما تمّ للحروف رتبة أخرى، فيفعل بالاستحضر كما يفعل بالكتابة أو التلقظ.

فأمّا حروف التلقظ فلا تكون إلا أسماء، فذلك خواصّ الأسماء، وأمّا المرقومة فقد لا تكون أسماء.

واختلف أصحاب هذا العلم في الحرف الواحد، هل يفعل أم لا؟ فرأيت منهم من منع، من ذلك جماعة، ولا شكّ أنّي لَمّا خضت معهم في مثل هذا، أوقفتهم على غلطهم في ذلك الذي ذهبوا إليه

1 ص 59

2 [الحديد : 3]

3 ص 59 ب

وإصابتهم، وما (الذي) نفّسهم من العبارة عن ذلك.

ومنهم من أثبت الفعل للحرف الواحد، وهؤلاء أيضا مثل الذين منَعوا؛ مخطئون ومصيبون. ورأيت منهم جماعة، وأعلمتهم بموضع الغلط والإصابة، فاعترفوا كما اعترف الآخرون، وقلت للطاقتين: جربوا ما عرفتم من ذلك على ما بيّناه لكم. فجزّوه فوجدوا الأمر كما ذكرناه، ففرحوا بذلك. ولولا أنّي آليت عقدا أن لا يظهر مِنِّي أثر عن حرف، لأريتهم من ذلك عجباً.

فاعلم أنّ الحرف¹ الواحد، سواء كان مرقوماً أو متلفظاً به، إذا عرِيَ القاصدُ للعمل به عن استحضاره في الرّم أو في اللفظ خيالا لم يعمل، وإذا كان معه الاستحضار عَمِل، فإنه مركّب من استحضار ونطق أو رقم، وغاب عن الطاقتين صورة الاستحضار مع الحرف الواحد، فمن اتفق له الاستحضار مع الحرف الواحد، ورأى العمل (به)، غفل عن الاستحضار ونسب العمل للحرف الواحد. ومن اتفق له التلفظ أو الرقم بالحرف الواحد دون استحضار، فلم يعمل الحرف شيئا، قال بمنع ذلك. وما واحد منهم تفتّن لمعنى الاستحضار، وهذه حروف الأمثال المركبة كالواوين وغيرها. فلما نبهناهم على مثل هذا جزّبوها ذلك؛ فوجدوه صحيحا. وهو علم ممقوت عقلا وشرعا.

فأمّا الحروف اللفظية: فإنّ لها مراتب في العمل، وبعض الحروف أعمّ عملا من بعض وأكثر، فالواو أعمّ الحروف عملا، لأنّ الواو² فيها قوّة الحروف كلّها، والهاء أقلّ الحروف عملا، وما بين هذين الحرفين من الحروف تعمل بحسب مراتبها على ما قرّناه في كتاب "المبادي والغايات فيما تتضمّنه حروف المعجم من المعجائب والآيات".

وهذا العلم يستمى علم الأولياء، وبه تظهر أعيان الكائنات. ألا ترى تنبيه الحقّ على ذلك بقوله: ﴿كَوْنٌ فَيَكُونُ³﴾⁴ فظهر الكون عن الحروف، ومن هنا جملة الترمذي علم الأولياء، ومن هنا منع من منع أن يعمل الحرف الواحد، فإنه رأى مع الاقتدار الإلهي لم يأت في الإيجاد حرف واحد، وإنما أتى بثلاثة أحرف: حرف غيبيّ وحرفين ظاهرين، إذا كان الكائن واحدا، فإن زاد على واحد ظهرت ثلاثة أحرف. فهذه علوم هؤلاء الرجال المذكورين في هذا الباب.

وعمل أكثر رجال هذا العلم لذلك جدولا، وأخطؤوا فيه وما صحّ، فلا أدري أبالقصد عملوا ذلك، حتى يتروكوا الناس في عماية من هذا العلم؟ أم جملوا ذلك وجرى فيه المتأخّر على سنن المتقدم؟ وبه قال

1 ص 60

2 ثابتة في الهامش.

3 ص 60 ب

4 [البقرة: 117]

تلميذ جعفر الصادق وغيره، وهذا هو الجدول في طبائع الحروف:

حار	بارد	يابس	رطب
ا	ب	ج	د
هـ	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

فكل¹ حرف وقع في جدول الحرارة فهو حار، وما وقع منها في جدول البرودة فهو بارد، وكذلك اليوسة والرطوبة، ولم نر هذا الترتيب يصيب في كل عمل، بل يعمل بالاتفاق كأعداد الوفاق.

واعلم أنّ هذه الحروف لم تكن لها هذه الخاصية من كونها حروفاً، وإنما كان لها من كونها أشكالاً. فلما كانت ذوات أشكال، كانت الخاصية للشكل. ولهذا يختلف عملها باختلاف الأقلام، لأنّ الأشكال تختلف: فأما الرقمية، فأشكالها محسوسة بالبصر، فإذا وُجِدَتْ أعيانها، وصحبت²ها أرواحها وحياتها النابتة، كانت الخاصية لذلك الحرف لشكله وتركيبه مع روحه. وكذلك إن كان الشكل مركباً من حرفين أو ثلاثة أو أكثر، كان للشكل روح آخر ليس الروح الذي كان للحرف على انفراده، فإنّ ذلك الروح يذهب وتبقى حياة الحرف معه، فإنّ الشكل لا يدبّره سوى روح واحد، وينقل روح ذلك الحرف الواحد إلى البرزخ مع الأرواح، فإنّ موت الشكل زواله بالهوى. وهذا الشكل الآخر المركب من حرفين أو ثلاثة أو ما كان، ليس هو عين الحرف الأول الذي لم يكن مركباً، (كما) إنّ عمراً ليس هو عين زيد، وإن كان مثله.

وأما³ الحروف اللفظية: فإنّها تتشكل في الهواء ولهذا تتصل بالسمع على صورة ما نطق بها المتكلم،

1 ص 61

2 ق: صحبتا

3 ص 61 ب

فإذا تشكلت في الهواء قامت بها أرواحها، وهذه الحروف لا يزال الهواء يمسك عليها شكلها، وإن انقضى عملها، فإن عملها إنما يكون في أول ما تشكل في الهواء، ثم بعد ذلك تلتحق بسائر الأسم، فيكون شغلها تسبيح ربها وتصعد علواً ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾¹ وهو عين شكل الكلمة، من حيث ما هي شكل مسبح لله تعالى-، ولو كانت كلمة كُفْر، فإن ذلك يعود وباله على المتكلم بها لا عليها، ولهذا قال الشارح: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يظن أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفاً» فجعل العقوبة للمتلفظ بها بسببها وما تعرّض إليها.

فهذا كلام الله -سبحانه-، يعظم ويمجد ويقدّس المكتوب في المصاحف، ويقرأ على جملة القرية إلى الله، وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى في حق الله من الكفر والسب، وهي كلمات كفر عاد وباله على قائلها، وبقيت الكلمات على بابها، تتولى يوم القيامة عذاب أصحابها أو نعيمهم.

وهذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موتٌ بعد وجودها، بخلاف الحروف الرقيّة، وذلك² لأن شكل الحرف الرقي والكلمة الرقيّة، تقبل التغير والزوال، لأنه في محلّ يقبل ذلك. والأشكال اللفظية في محلّ لا يقبل ذلك، ولهذا كان لها البقاء، فالجوّ كآه مملوء من كلام العالم، يراه صاحب الكشف صوراً قائمة.

وأما الحروف المستحضرة فإنّها باقية، إذ كان وجود أشكالها في البرزخ لا في الحس، وفعلها أقوى من فعل سائر الحروف، ولكن إذا استحكم سلطان استحضارها واتحد المستحضر- لها ولم يبق فيه متسع لغيرها ويعلم ما هي خاصيتها حتى يستحضرها من أجل ذلك، فيرى أثرها. فهذا شبيه الفعل بالهنة. وإن لم يعلم ما تعطيه، فإنه يقع الفعل في الوجود ولا علم له به. وكذلك سائر أشكال الحروف في كلّ مرتبة. وهذا الفعل بالحرف المستحضر يعبر عنه بعض من لا علم له بالهنة وبالصدق، وليس كذلك، وإن كانت الهنة روحاً للحرف المستحضر لا عين الشكل المستحضر. وهذه الحضرة تعم الحروف كلّها لفظياً وروحياً.

فإذا علمت خواص الأشكال وقع الفعل بها علماً لكاتبها أو المتلفظ بها، وإن لم يعين ما هي مرتبطة به من الانفعالات، لا يعلم ذلك. وقد رأينا من قرأ آية من القرآن وما عنده خبر، فرأى³ أثراً غريباً حدث، وكان ذا فطنة، فرجع في تلاوته من قريب، لينظر ذلك الأثر بأية آية يختص، فجعل يقرأ وينظر، ثمّ بالأية التي لها ذلك الأثر، فرأى الفعل، فتعدّها، فلم ير ذلك الأثر، فعاد ذلك مراراً حتى تحقّقه، فاتخذها لنك

1 [فاطر : 10]

2 ص 62

3 ص 62 ب

الانفعال، ورجع كلما أراد أن يرى ذلك الانفعال، تلا تلك الآية فظهر له ذلك الأثر.

وهو علم شريف في نفسه، إلا أنّ السلامة منه عزيزة، فالأولى ترك طلبه، فإنه من العلم الذي اختص الله به وأولياءه على الجملة، وإن كان عند بعض الناس منه قليل، ولكن من غير الطريق الذي يناله الصالحون، ولهذا يشقى به مَنْ هو عنده ولا يسعد. فإلله يجعلنا من العلماء بالله ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

الباب السابع والعشرون
في معرفة أقطاب: "صِلْ فَقَدْ تَوَيْتُ وَصَالَكَ"
وهو من منزل العالم النوراني

فَلَوْلَا¹ التَّوَرُّ مَا اتَّصَلَتْ عُيُونٌ
وَلَوْلَا الْحَقُّ مَا اتَّصَلَتْ عُقُولٌ
إِذَا² سُئِلْتَ عُقُولٌ عَنْ ذَوَاتٍ
وَقَالَتْ: مَا عَلَيْنَا غَيْرَ ذَاتٍ
هِيَ الْمَغْنَى وَنَحْنُ لَهَا حُرُوفٌ
بِعَيْنِ الْمُبْصِرَاتِ وَلَا رَأَتْهَا
بِأَغْيَانِ الْأُمُورِ فَأَذْرَكْنَهَا
تُؤَدُّ مَفَايِرَاتٍ أَنْكَرْتَهَا
تُؤَدُّ ذَوَاتٍ خَلَقِي أَظْهَرْتَهَا
فَهُمَا عَيْتَتْ أَمْرًا عَنَّتَهَا

اعلم أيها الولي الحميم؛ تولاك الله بعنايته- أن الله تعالى- يقول في كتابه العزيز: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾³ فقدّم محبته إياهم على محبتهم إياه، وقال: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾⁴ فقدّم إجابته لنا إذا دعواناه، على إجابتنا له إذا دعانا، وجعل الاستجابة من العبيد، لأنها أبلغ من الإجابة، فإنه لا مانع له من الإجابة سبحانه، فلا فائدة للتأكيد وللإنسان موانع من الإجابة لئلا دعاه الله إليه، وهي: الهوى والنفس والشيطان والدنيا، فلذلك أمر بالاستجابة، فإنّ الاستفعال أشدّ في المبالغة من الإفعال، وأين الاستخراج من الإخراج؟، ولهذا يطلب الكون من الله العون في أفعاله، ويستحيل على الله أن يستعين بمخلوق، قال تعالى- تعلّمنا لنا أن نقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁵ من هذا الباب. فلها قال في هذا الباب: "صِلْ فَقَدْ نويت وصالك" فقد قدّم الإرادة منه لذلك، فقال: صِلْ. فإذا تعمّلت في الصلوة، فذلك عين وصلته بك، فلذلك جعلها تيّة لا عملا.

قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى:- «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا» وهذا قُرْبٌ مَخْصُوصٌ يرجع إلى ما تتقرب إليه سبحانه- به من الأعمال والأحوال، فإنّ القرب العام قوله تعالى:- ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁷ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾⁸ فضاغف القرب بالذراع، فإنّ الذراع

1 ربما كانت في ق: "ولولا".

2 ص 63

3 [المائدة : 54]

4 [البقرة : 186] وهي هنا وفقا لقراءة ورش

5 ص 63

6 [الفاحة : 5]

7 [ق : 16]

8 [الواقعة : 85]

ضعف للشبر، أي قوله: "صل" هو قرب، ثم "تقربت إليه شبرا" فبدا لك أنك ما تقربت إليه إلا به: لأنه لولا ما دعاك، وبين لك طريق القرية، وأخذ بناصيتك فيها، ما تمكن لك أن تعرف الطريق، التي تقرب منه، ما هي؟ ولو عرفتها لم يكن لك حول ولا قوة إلا به.

ولما كان القرب بالسلوك والسفر إليه، لذلك كان من صفته النور، نهتدي به في الطريق كما قال - تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الشُّجُومَ يُنْتَبِئُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ﴾¹ وهو السلوك الظاهر بالأعمال البدئية ﴿وَالْبَخْرِي﴾ وهو السلوك الباطن المعنوي بالأعمال النفسية. فأصحاب هذا الباب معارفهم مكتسبة لا موهوبة، وأكلهم من تحت أقدامهم؛ أي من كسبهم لها² واجتهادهم في تحصيلها. ولولا ما أرادهم الحق لذلك، ما وفقهم ولا استعملهم حين طرد غيرهم بالمعنى ودعاهم بالأمر، فحرم الوصول بجرمانه إياهم استعمال الأسباب التي جعلها طريقا إلى الوصول من حضرة القرب، ولذلك بشرهم فقال: "صل فقد نويت وصالك" فسبقت لهم العناية فسلكوا.

وهم الذين أمرهم الله بلباس النعلين في الصلاة، إذ كان القاعد لا يلبس النعلين، وإنما وضعت للماشي فيها، فدل أن المصلي يمشي في صلاته، ومناجاة ربه في الآيات التي يناجيه فيها، منزلا منزلا: كل آية منزل وحال. فقال لهم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾³ قال الصحاب⁴: لما نزلت هذه الآية أمرنا فيها بالصلاة في النعلين. فكان ذلك تبيها من الله تعالى- للمصلي، أنه يمشي على منازل ما يتلوه في صلاته من سور القرآن، إذ كانت السور هي المنازل لغة، قال النابغة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَغْطَاكَ سُورَةَ تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

أراد منزلة، وقيل لموسى عليه السلام: ﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾⁵ أي قد وصلت المنزل، فإنه كلمه الله بغير واسطة، بكلامه سبحانه- بلا⁶ ترجمان، ولذلك أكد في التعريف لنا بالمصدر فقال تعالى:- ﴿وَوَكَّلْنَا اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيبًا﴾⁷.

ومن وصل إلى المنزل خلع نعليه، فبانث رتبة المصلي بالنعلين، وما معنى المناجاة في الصلاة، وأنها ليست بمعنى الكلام الذي حصل لموسى عليه السلام فإنه قال في المصلي: يناجي. والمناجاة فعل فاعلين، فلا بد من لباس النعلين، إذ كان المصلي مترددا بين حقيقتين، والتردد بين أمرين يعطي المشي- بينها بالمعنى، دل

1 [الأضام : 97]

2 ص 64

3 [الأعراف : 31]

4 الصحاب: الصحابي

5 [طه : 12]

6 ص 64

7 [النساء : 164]

عليه باللفظ "لباس النعلين" ودلّ عليه قول الله تعالى - بترجمة النبي ﷺ عنه: «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل» ثم قال: يقول العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹ فوصفه أنّ العبد مع نفسه في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يُسْمِعُ خَالِقَهُ وَمَنَاجِيَهُ.

ثمّ يرحل العبد من منزل "قوله" إلى منزل "سمعه" لئسمع ما يجيبه الحقّ تعالى - على قوله، وهذا هو السفر، فلماذا لبس نعليه ليسلك بهما الطريق الذي بين هذين المنزلين، فإذا رحل إلى "منزل سمعه" سمع الحقّ يقول له: «حمدني عبدي». فيرحل من "منزل سمعه" إلى "منزل قوله" فيقول: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾²، فإذا فرغ رحل إلى "منزل سمعه" فإذا نزل سمع الحقّ تعالى - يقول له: «أنتي عليّ عبدي»، فلا يزال متردداً في مناجاته قولاً.

ثمّ له رحلة أخرى³ من حال قيامه في الصلاة إلى حال ركوعه، فيرحل من صفة القيومية إلى صفة العظمة، فيقول: "سبحان ربّي العظيم وبحمده"، ثمّ يرفع وهو رحلته من مقام التعظيم إلى مقام النيابة - فيقول: «سمع الله لمن حمده» قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ. فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ» فلماذا جعلنا الرفع من الركوع نيابة عن الحقّ، ورجوعاً إلى القيومية. فإذا سجد اندرجت العظمة في الرفعة الإلهية، فيقول الساجد: "سبحان ربّي الأعلى وبحمده" فإنّ السجود يناقض العلوّ. فإذا نزل خلص بالعلوّ لله. ثمّ إنّه رفع رأسه من السجود واستوى جالساً، وهو قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁴ فيقول: "رب اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجبرني وعافني واعف عني".

فهذه كلّها منازل ومناهل في الصلاة فعلاً، فهو مسافر من حال إلى حال. فمن كان حاله السفر دائماً، كيف لا يقال له: "البس نعليك" أي استعن في سيرك بالكتاب والسنة، وهي زينة كلّ مسجد، فإنّ أحوال الصلاة، وما يطرأ فيها من كلام الله، وما يتعرّض في ذلك من الشبه في غوامض الآيات المتلوّة، وكون الإنسان في الصلاة يجعل الله في قلبه، فيجده، فهذه كلّها بمنزلة⁵ الشوك والوغر الذي يكون بالطريق، ولا سيّما طريق التكليف. فأمر بلباس النعلين ليتهيّ بها ما ذكرناه من الأذى لقدمي السالك، اللتين هما عبارة عن ظاهره وباطنه، فلماذا جعلناها الكتاب والسنة.

وأما نعلنا موسى عليه السلام فليستا هذه، فإنّه قال له ربّه: ﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾⁶ فروينا أنّها

1 [الفاتحة : 2]

2 [الفاتحة : 3]

3 ص 65

4 [طه : 5]

5 ص 65

6 [طه : 12]

كانتا من جلد حمار مَيّت، فجمعت ثلاثة أشياء: الشيء الواحد: الجلد، وهو ظاهر الأمر، أي لا تقف مع الظاهر في كل الأحوال. والثاني: البلادة فإنها منسوبة إلى الحمار. والثالث: كونه ميتا غير مذكى، والموت (هو) الجهل. وإذا كنت ميتا لا تعقل ما تقول ولا ما يقال لك، والمناجي لا بد أن يكون بصفة من يعقل ما يقول ويقال له، فيكون حي القلب، فطنا بمواقع الكلام، غواصا على المعاني التي يقصدها من يناجيه بها، فإذا فرغ من صلاته سلم على من حضر سلام القادم من عند ربه إلى قومه بما أتخفه به.

فقد نَبّهتكَ على سرّ لباس النعلين في الصلاة في ظاهر الأمر، وما المراد بهما عند أهل طريق الله - تعالى- من العارفين. قال عليه السلام: «الصلاة نور» والنور يهتدى به، واسم الصلاة مأخوذة من المصلّي، وهو المتأخّر الذي يلي السابق في الحلبة، ولهذا ترجم هذا الباب بالوُصلة، وجعله من عالم النور.

ولأهل هذا المشهد نور خلع النعلين، ونور لباس النعلين، فهم الحمديون الموسويون، يخاطبون من شجر الخلاف، بلسان النور المشبه بالمصباح، وهو نور ظاهر يمدّه نور باطن في زيت من "شجرة زيتونة مباركة" في خط الاعتدال، منزّهة عن تأثير الجهات، كما كان الكلام لموسى عليه السلام من شجرة. فهو نور² على نور، أي نور من نور. فأبدل حرف "من" بـ"على" لما يفهم به من قرينة الحال. وقد تكون "على" على باها، فإن نور السراج الظاهر يعلو حسا على نور الزيت الباطن، وهو الممدد للمصباح، فلولا رطوبة الدهن ما تمدد المصباح، لم يكن للمصباح ذلك النوام.

وكذلك (لولا)³ إمداد التقوى للعلم العرفاني الحاصل منها، في قوله تعالى:- ﴿وَأَنشَأُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾⁴ وقوله: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾⁵ لانتطع ذلك العلم الإلهي. فنور الزيت باطن في الزيت، محمول فيه، يسري منه معنى لطيف في رقيقة من رقائق الغيب لبقاء نور المصباح.

ولأقطاب هذا المقام أسرار، منها: سرّ الإمداد، وسرّ النكاح، وسرّ الجوارح، وسرّ الغيرة، وسرّ العنين، وهو النبي لا يقوم بالنكاح، وسرّ دائرة الزمهرير، وسرّ وجود الحق في السراب، وسرّ الحجب الإلهية، وسرّ نطق الطير والحيوان، وسرّ البلوغ، وسرّ الصديقين. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁷.

1 ص 66

2 ثابتة في الهامش .

3 لم ترد في ق وكنا في ه، وأثبتناها من س

4 [البقرة: 282]

5 [الأفقال: 29]

6 ص 66

7 [الأحزاب: 4]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب الثامن والعشرون في معرفة أقطاب "الم تركيب"

<p>لَكَيْفَهُ يَوْجُودِ الْحَقِّ مَوْسُومٌ عِلْمٌ يُشَارُ إِلَى هُوَ مَكْتُومٌ بِمَا لَنَا فَهَوُ فِي التَّحْقِيقِ مَعْلُومٌ وَكَيْفَ أَجْمَلُهُ وَالْجَهْلُ مَعْدُومٌ سِوَاةَ فَالْحَلْقُ ظِلَامٌ وَمَظْلُومٌ أَوْ قُلْتُ: إِنَّكَ قَالَ الْإِنُّ: مَفْهُومٌ وَإِنَّمَا الرَّزْقُ بِالتَّقْدِيرِ مَفْسُومٌ</p>	<p>الْعِلْمُ بِالْكَيْفِ مَجْهُولٌ وَمَعْلُومٌ فَظَاهِرُ الْكَوْنِ تَكْيِيفٌ وَبَاطِنُهُ مِنْ أَعْجَبِ الْأَمْرِ أَنْ الْجَهْلَ مِنْ صِفَتِي وَكَيْفَ أَدْرِكُ مَنْ بِالْعَجْزِ أَدْرِكُهُ قَدْ جَزَتْ فِيهِ وَفِي أَمْرِي وَلَسْتُ أَنَا إِنْ قُلْتُ: إِنِّي، يَقُولُ الْإِنُّ مِثْلَهُ: أَنَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا أَتَقْبِي بِهِ بَدَلًا</p>
---	--

اعلم أن أمهات المطالب أربعة، وهي: "هل" سؤال عن الوجود. و"ما" وهو سؤال عن الحقيقة التي يعبر عنها بالماهية، و"كيف" وهو سؤال عن الحال. و"لِمَ" وهو سؤال عن العلة والسبب. واختلف الناس فيما يصح منها أن يسأل بها عن الحق، واتفقوا على كلمة "هل" فإنه يتصور أن يسأل بها عن الحق، واختلفوا فيما بقي: فمنهم من منع، ومنهم من أجاز. فالذي منع وهم الفلاسفة وجاعة من الطائفة - منعوا ذلك عقلا، ومنهم من منع ذلك شرعا.

فأما صورة منعيم عقلا: أنهم قالوا في مطلب "ما" إنه سؤال عن الماهية، فهو سؤال عن الحد، والحق سبحانه - لا حد له، إذ كان الحد مركبا من جنس وفصل، وهذا ممنوع في حق الحق، لأن ذاته غير مركبة من أمر يقع فيه الاشتراك، فتكون به في الجنس. وأمر يقع به الامتياز، وما ثم إلا الله والخلق، ولا مناسبة بين الله والعالم، ولا الصانع والمصنوع، فلا مشاركة، فلا جنس، فلا فصل.

والذي أجاز ذلك عقلا ومنعه شرعا؛ قال: لا أقول إن² الحد مركب من جنس وفصل، بل أقول إن السؤال بما يطلب به العلم بحقيقة المستول عنه، ولا بد لكل معلوم أو مذكور من حقيقة يكون في نفسه عليها، سواء كان على حقيقة يقع له فيها الاشتراك، أو يكون على حقيقة لا يقع له فيها الاشتراك. فالسؤال بما يتصور؛ ولكن ما ورد به الشرع، فمنعنا من السؤال به عن الحق، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾³.

1 ص 67

2 ص 67 ب

3 [الشورى: 11]

وأما منهم الكيفية، وهو السؤال بـ"كيف" فانقسموا أيضا قسمين: فمن قائل: إنه سبحانه - ما له كيفية لأن الحال أمر معقول زائد على كونه ذاتا، وإذا قام بذاته أمر وجودي زائد على ذاته، أدى إلى وجود واجبي الوجود لثابتها أزلا، وقد قام الدليل على إحالة ذلك، وأنه لا واجب إلا هو لذاته، فاستحالت الكيفية عقلا. ومن قائل: إن له كيفية ولكن لا تُعلم؛ فهي ممنوعة شرعا لا عقلا، لأنها خارجة عن الكيفيات المعقولة عندنا، فلا تُعلم، وقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹ يعني في كل ما يُنسب إليه مما نسبه لنفسه، يقول: هو على ما تنسبه إلى الحق، وإن وقع الاشتراك في اللفظ؛ فالمعنى مختلف.

وأما السؤال بـ"لِمَ" فمنوع أيضا؛ لأن أفعال الله تعالى - لا تُعلم، لأن العلة موجبة للفعل، فيكون الحق داخلا تحت موجب، أوجب عليه هذا الفعل، زائد على ذاته. وأبطل غيره إطلاق "لِمَ" على³ فعله شرعا، بأن قال: لا يُنسب إليه ما لم يُنسب إلى نفسه، فهذا معنى قولي: "شرعا" لا أنه ورد النهي من الله عن كل ما ذكرنا منعه شرعا، وهذا كله كلام مدخول، لا يقع التخليص منه بالصحة والفساد إلا بعد طول عظيم. هذا قد ذكرنا طريقة من منع.

وأما من أجاز السؤال عنه بهذه المطالب من العلماء، فهم أهل الشرع منهم؛ وسبب إجازتهم لذلك أن قالوا: "ما حجر الشرع علينا حجرناه، وما أوجبه علينا أن نخوض فيه خضنا فيه، طاعة أيضا، وما لم يرد فيه تحجير ولا وجوب فهو عافية: إن شئنا تكلمنا فيه، وإن شئنا سكتنا عنه". وهو سبحانه - ما نهى فرعون على لسان موسى عليه السلام عن سؤاله بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁴ بل أجاب بما يليق به الجواب، عن ذلك الجناب العالي، وإن كان وقع الجواب غير مطابق للسؤال، فذلك راجع لاصطلاح من اصطاح على أنه لا يُسأل بذلك إلا عن الماهية المركبة. واصطاح على أن الجواب بالأثر، لا يكون جوابا لمن سأل بـ"ما" وهذا الاصطلاح لا يلزم الخصم، فلم يمنع إطلاق هذا السؤال بهذه الصيغة عليه، إذ كانت الألفاظ لا تُطلب لأنفسها، وإنما تُطلب لما تدلُّ عليه من المعاني التي وُضعت لها، فإنها بحكم الوضع، وما كلُّ طائفة وضعتها بإزاء ما وضعتها الأخرى⁵، فيكون الخلاف في عبارة لا في حقيقة، ولا يعتبر الخلاف إلا في المعاني.

وأما إجازتهم الكيفية؛ فمثل إجازتهم السؤال بـ"ما" ويحتجون في ذلك بقوله تعالى: ﴿سَتَفْرَحُكُمْ آيَةُ الْفَلَاحِ﴾⁶ وقوله: "إِنَّ اللَّهَ عَيْنَا وَأَعْيُنَا وَبَدَا، وَإِنَّ بِيَدِهِ الْمِيزَانَ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ" وهذه كلها كيفيات وإن كانت مجهولة لعدم الشبه في ذلك.

1 [الشورى: 11]

2 "إلى الحق و" بالهامش بقلم الأصل.

3 ص 68

4 [الشعراء: 23]

5 ص 68 ب

6 [الرحمن: 31]

وأما إجازتهم السؤال بـ"لم" وهو سؤال عن العلة؛ فلقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾¹، فهذه لام العلة والسبب، فإن ذلك في جواب مَنْ سأل: لِمَ خلق الله الجن والإنس؟. فقال الله لهذا السائل: "ليعبدوني"، أي لعبادتي. فمن ادعى التحجير في إطلاق هذه العبارات فعليه بالليل، فيقال للجميع من المتشرعين؛ المجوزين والمانعين: كلّم قال وما أصاب. وما من شيء قلّموه من متّع وجواز إلا وعليكم فيه دَخَل. والأوّلَى التوقيف عن الحكم بالمنع أو بالجواز.

هذا مع المتشرّعين. وأما غير المتشرّعين من الحكماء؛ فالخوض معهم في ذلك لا يجوز، إلا إن أباح الشرع ذلك أو أوجبه، وأما إن لم يرد في الخوض فيه معهم، نُظِّق من الشارع، فلا سبيل إلى الخوض فيه معهم فعلا، ويتوقّف في الحكم في ذلك، فلا يحكم على من خاض فيه أنه مصيب ولا مخطئ، وكذلك فمِن ترك الخوض، إذ لا حكم إلا للشرع فيما يجوز أن يُتلفَظ به أو لا يُتلفَظ به، بكون ذلك طاعة أو غير طاعة. فهذا إما ولي- قد فصلنا لك ماخذ الناس في هذه المطالب.

وأما العلم النافع في ذلك أن نقول: كما أنه سبحانه- لا يشبه شيئا، كذلك لا تشبهه الأشياء، وقد قام الدليل العقلي والشرعي على نفي التشبيه وإثبات التنزيه، من طريق المعنى، وما بقي الأمر إلا في إطلاق اللفظ عليه سبحانه- الذي أباح لنا إطلاقه عليه في القرآن أو على لسان رسوله. فأما إطلاقه عليه فلا يخلو إما أن يكون العبد مأمورا بذلك الإطلاق، فيكون إطلاقه طاعة فرضا، ويكون المتلفظ به مأجورا مطيعا، مثل قوله في تكبيرة الإحرام: "الله أكبر" وهي لفظة وزنها يقتضي- المفاضلة، وهو سبحانه- لا يفاضل. وإما أن يكون مخيرا، فيكون بحسب ما يقصده المتلفظ وبحسب حكم الله فيه.

وإذا أطلقناه، فلا يخلو الإنسان إما أن يطلقه ويصحب نفسه في ذاك الإطلاق المعنى المفهوم منه في الوضع بذلك اللسان، أو لا يطلقه إلا تعبدا شرعيا على مراد الله فيه، من غير أن يتصور المعنى الذي وضع له في ذلك اللسان كالفارسي الذي لا يعلم اللسان العربي، وهو يتلو القرآن ولا يعقل معناه، وله أجر التلاوة. كذلك العربي فيما تشابه من القرآن والسنة يتلوه³ أو يذكر به ربه تعبدا شرعيا على مراد الله فيه، من غير ميل إلى جانب بعينه مخصّص، فإن التنزيه ونفي التشبيه يطلبه إن وقف بوجهه عند التلاوة لهذه الآيات.

فالأسلم والأوّلَى في حقّ العبد، أن يردّ علم ذلك إلى الله، في إرادته إطلاق تلك الألفاظ عليه، إلا إن

1 [الناربات : 56]

2 ص 69

3 ص 69ب

أطلع الله على ذلك، وما المراد بتلك الألفاظ، من نبي أو ولي محدث ملهم على بيّنة من ربه فيما يلهم فيه أو يحدث، فذلك مباح له، بل واجب عليه أن يعتقد المفهوم منه الذي أخبر به في إلهامه أو في حديثه.

وليعلم أنّ الآيات المتشابهات إنما نزلت ابتلاء من الله لعباده، ثم بالغ سبحانه- في نصيحة عباده في ذلك، ونهاهم أن يتبعوا المتشابه بالحكم، أي لا يحكموا عليه بشيء؛ فإن تأويله لا يعلمه إلا الله. وأمّا الراسخون في العلم إن علموه فبإعلام الله لا بفكرهم واجتهادهم، فإن الأمر أعظم أن تستقلّ العقول بإدراكه من غير إخبار إلهي، فالتسليم أولى، والحمد لله رب العالمين.

وأما قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾¹ وأطلق النظر على الكيفيات، فإن المراد بذلك بالضرورة الكيفيات لا التكيف، فإن التكيف راجع إلى حالة معقولة لها نسبة إلى المكيف، وهو² الله تعالى-، وما أحد شاهد تلقّ القدرة الإلهية بالأشياء عند إيجادها، قال تعالى:- ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾³.

فالكيفيات المذكورة التي أمرنا بالنظر إليها لا فيها، إنما ذلك لتتخذها عبرة ودلالة على أنّ لها من كينها أي صيرها ذات كيفيات، وهي الهيئات التي تكون عليها الخلوقات المكيفات، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرَةِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾⁴ ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾⁵ وغير ذلك، ولا يصح أن ننظر إلا حتى تكون موجودة، فننظر إليها وكيف اختلفت هيئاتها.

ولو أراد بالكيف حالة الإيجاد، لم يقل: "انظر إليها"، فإنها ليست موجودة، فلعلمنا أنّ الكيف المطلوب متا في رؤية الأشياء ما هو ما يتوهم من لا علم له بذلك. ألا تراه سبحانه- لَمَّا أراد النظر الذي هو الفكر، قرنه بحرف "في" ولم يصحبه لفظ "كيف" فقال تعالى:- ﴿وَأُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁶ المعنى أن يفكروا في ذلك، فيعلمون أنّها لم تهم بأنفسها، وإنما أقامها غيرها.

وهذا النظر لا يلزم منه وجود الأعيان، مثل النظر الذي تقدم، وإنما الإنسان كلف أن ينظر بفكره في ذلك لا بعينه. ومن الملكوت ما هو غيب وما هو شهادة. فما⁷ أمرنا قطّ بحرف "في" إلا في الخلوقات لا في الله. لنستدلّ بذلك عليه أنّه لا يشبهها. إذ لو أشبهها، لجاز عليه ما يجوز عليها، من حيث ما أشبهها، وكان يودّي ذلك إلى أحد محظورين: إما أن يشبهها من جميع الوجوه، وهو محال لما ذكرناه، أو

[إبراهيم : 24]

ص 70

[الكهف : 51]

[الغاشية : 17]

[الغاشية : 19]

[الأعراف : 185]

ص 70 ب

يشبهها من بعض الوجوه ولا يشبهها من بعض الوجوه، فتكون ذاته مركبة من أمرين، والتركيب في ذات الحق محال، فالتشبيه محال.

والذي يليق بهذا الباب من الكلام، يتعذر إيراد مجموعا في باب واحد، لما يسبق إلى الأوهام الضعيفة من ذلك، لما فيه من الغموض، ولكن جعلناه مبددا في أبواب هذا الكتاب. فاجعل بالك منه في أبواب الكتاب، تعثر على مجموع هذا الباب، ولا سيما حيث ما وقع لك مسألة تجلُّ إلهي، فهناك قف وانظر، تجد ما ذكرته لك مما يليق بهذا الباب.

والقرآن مشحون بالكيفية؛ فإنَّ الكيفيات أحوال، والأحوال منها¹ ذاتية للمكيّف، ومنها غير ذاتية، والذاتية حكمها حكم المكيّف سواء: إن كان المكيّف يستدعي مكيّفا في كفيّته كان، وإن كان لا يستدعي مكيّفا لتكيّفه، بل كفيّته عين ذاته، وذاته لا تستدعي غيرها²، لأنّها لنفسها هي؛ فكيفيته كذلك؛ لأنّها عينه لا غيره، ولا زائد عليه فافهم، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ق: "من هنا" ثم شطبت وصححت بالهامش: "منها".

2 ص 71

3 [الأحزاب: 4]

الباب التاسع والعشرون
في معرفة سير سلمان¹ الذي ألحقه بأهل البيت
والأقطاب الذين ورثه منهم، ومعرفة أسرارهم

العَبْدُ مُزَقِّطٌ بِالرَّبِّ لَيْسَ لَهُ
وَالِإِبْنُ أَنْزَلُ مِنْهُ فِي الْعَلَا دَرْجًا
فَالِإِبْنُ يَنْظُرُ فِي أَسْوَالِ وَالِدِهِ
وَالِإِبْنُ يَطْمَعُ فِي تَحْصِيلِ رِثَتِهِ
وَالْعَبْدُ يَنْتَقِئُهُ مِنْ مَالِ سَيِّدِهِ
وَالْعَبْدُ مَقْدَارُهُ فِي جَاءِ سَيِّدِهِ
الذَّلُّ² يَضْحَبُهُ فِي نَفْسِهِ أَبَدًا
وَالِإِبْنُ فِي نَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ وَالِدِهِ
عَنْهُ الْفِصَالُ يَرَى فِعْلًا وَتَقْدِيرًا
قَدْ حَزَرَ الشَّرْعُ فِيهِ الْعِلْمَ تَحْرِيزًا
إِذْ كَانَ وَارِثُهُ شَعْبًا وَتَقْدِيرًا
وَأَنْ يَرَاهُ مَعَ الْأَمْوَاتِ مَقْبُورًا
إِلَيْهِ يَرْجِعُ مُخْتَارًا وَمَجْبُورًا
فَلَا يَزَالُ بِسِرِّ الْعِزِّ مَسْتُورًا
فَلَا يَزَالُ مَعَ الْأَنْقَاسِ مَقْهُورًا
عِزُّ فَيْطَلِبُ تَوْقِيرًا وَتَقْدِيرًا

اعلم أيديك الله - أنا رويانا من حديث جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مولى القوم منهم». وخرج الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» وقال تعالى - في حق المختصين من عباده: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾³ فكل عبد إلهي، توجه لأحد عليه حق من المخلوقين، فقد نقص من عبوديته الله بقدر ذلك الحق، فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقه، وله عليه سلطان به، فلا يكون عبدا محضا خالصا لله.

وهذا هو الذي رجح عند المنقطعين إلى الله، انقطاعهم عن الخلق، ولزومهم السياحات والبراري والسواحل، والفرار من الناس، والخروج⁴ عن ملك الحيوان، فإتهم يريدون الحرية من جميع الأكوان. ولقيت منهم جماعة كبيرة في أيام سياحتي، ومن الزمان الذي حصل لي هذا المقام ما ملكت حيوانا أصلا، بل ولا الثوب الذي البسه؛ فإني لا البسه إلا عارية لشخص معين أذن لي في التصرف فيه، والزمان الذي

1 هو الصحابي الجليل سلمان الفارسي

2 ص 71 ب

3 [الحجر: 42]

4 ص 72

أتملك الشيء فيه، أخرج عنه في ذلك الوقت؛ إمّا بالهبة، أو بالعتق إن كان مما يعتق. وهذا حصل لي لئنا أردت التحقق بعبودية الاختصاص لله؛ قيل لي: لا يصح لك ذلك، حتى لا تقوم لأحد عليك حجة. قلت: ولا لله إن شاء الله-. قيل لي: وكيف يصح لك أن لا تقوم لله عليك حجة؟ قلت: إنما تقام الحجج على المنكرين، لا على المعترفين، وعلى أهل الدعاوي وأصحاب الحظوظ، لا على من قال: ما لي حق ولا حظ.

ولمّا كان رسول الله ﷺ عبدا محضا، قد طهره الله وأهل بيته تطهيرا، وأذهب عنهم الرجس؛ وهو كلّ ما يشينهم. فإنّ الرجس هو القذر عند العرب. هكذا حكى الفراء، قال تعالى:- ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾¹ فلا يضاف إليهم إلا مطهّر ولا بدّ، فإنّ المضاف إليهم هو الذي يشبههم³، فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقدّيس. فهذه شهادة من النبي ﷺ لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلهي والعصمة، حيث قال فيه رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم، وإذا كان لا يضاف إليهم إلا مطهّر مقدّس، وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة، فما ظنك بأهل البيت في قوسهم، فهم المطهّرون؛ بل هم عين الطهارة.

فهذه الآية تدلّ على أنّ الله قد شرك أهل البيت مع رسول الله ﷺ في قوله تعالى:- ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾⁴ وأبي وسخ وقذر، أقدر من الذنوب وأوسخ؟ فطهر الله سبحانه- نيته ﷺ بالمغفرة؛ فما هو ذنب بالنسبة إلينا، لو وقع منه ﷺ لكان ذنبا في الصورة لا في المعنى. لأنّ الذم لا يلحق به على ذلك من الله ولا متا شرعا. فلو كان حكمه حكم الذنب، لصحبه ما يصحب الذنب من المذمة، ولم يصدق قوله: ﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾.

فدخل⁵ الشرفاء، أولاد فاطمة كلّهم، ومن هو من أهل البيت، مثل سلمان الفارسي، إلى يوم القيامة، في حكم هذه الآية من الغفران. فهم المطهّرون اختصاصا من الله، وعناية بهم لشرف محمد ﷺ وعناية الله به، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة؛ فإنهم يحشرون مغفورا لهم. وأمّا في الدنيا فمن أتى منهم حداً أقيم عليه. كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره، وقد زنى أو سرق أو شرب، أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة كما عجز وأمثاله، ولا يجوز ذمه.

1 [الأحزاب : 33]

2 ص 72

3 ق: "يشينهم" وصححت لوق الكلمة.

4 [الفتح : 2]

5 ص 73

وينبغي لكلّ مسلم مؤمن بالله وبما أنزله، أن يصدّق الله تعالى- في قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت أنّ الله قد عفا عنهم فيه. فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم، ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله بتطهيره، وذهب الرجس عنه، لا بعمل عملوه ولا بخير قدموه، بل سابق عناية من الله بهم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾¹.

فإذا صحّ الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدرجة، فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع، وتلحق المذمة بعامله، لكان مضافاً إلى أهل البيت من² لم يذهب عنه الرجس، فيكون لأهل البيت من ذلك، بقدر ما أضيف إليهم، وهم المطهرون بالنصّ، فسلمان منهم بلا شكّ، فأرجو أن يكون عقب عليّ وسلمان تلحقهم هذه العناية، كما لحقت أولاد الحسن والحسين وعقبهم، وموالي أهل البيت فإنّ رحمة الله واسعة.

يا وليّ؛ وإذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة، أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم، وشرفهم ليس لأنفسهم، وإنما الله تعالى- هو الذي اجتباهم وكساهم حلّة الشرف. كيف بما وليّ- بمن أضيف إلى من له الحمد والجد والشرف لنفسه وذاته، فهو الجيد عليه السلام فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده، وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة، قال تعالى- لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لِرِيأْسٍ إِلَيْهِ لَوْلَا أَن يَخَافُوا لَآتَيْنَهُمُ السُّلْطَانَ﴾³ وما تجد في القرآن عباداً مضافين إليه -سبحانه- إلا السعداء خاصة، وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد. فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم، القائمين بحدود سيدهم، الواقفين عند مراسمه، فشرفهم أعلى وأتمّ، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام.

ومن هؤلاء الأقطاب، وريث سلمان شرف مقام أهل البيت، فكان عليه السلام من⁴ أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق، وما لأنفسهم والخلق عليهم من الحقوق، وأقوام على أذانها، وفيه قال رسول الله: «لو كان الإيمان بالثريا لنالها رجال من فارس» وأشار إلى سلمان الفارسي، وفي تخصيص النبي صلى الله عليه وآله ذكر الثريا دون غيرها من الكواكب، إشارة بديعة لمثبتي الصفات السبعة، لأنها سبعة كواكب، فافهم. فسّر سلمان الذي ألحقه بأهل البيت، ما أعطاه النبي صلى الله عليه وآله من أداء كتابته. وفي هذا فقه عجيب، فهو عتيقه عليه السلام و«مولى القوم منهم»، والكلّ موالي الحقّ، ورحمته وسعت كلّ شيء: وكلّ شيء عبده ومولاه.

[1] الحديد : 21

2 ص 73

3 الحجر : 42

4 ص 74

وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله، وأنت لا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلاً، فإنَّ الله طهرهم، فليعلم النامِّ لهم، أن ذلك راجع إليه، ولو ظلموه، فذلك الظلم هو في زعمه ظلمٌ، لا في نفس الأمر؛ وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه. بل حكم ظلمهم إيانا في نفس الأمر، يشبه جري المقادير علينا في ماله ونفسه؛ بفرق أو بحرق وغير ذلك من الأمور المهلكة؛ فيحترق أو يموت له أحد أحبابه، أو يصاب في نفسه، وهذا كله مما لا يوافق غرضه.

ولا يجوز له أن يذم قنر الله ولا قضاءه، بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضا، وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر، فإنَّ في طيِّ ذلك نِعْمًا من الله لهذا المصاب. وليس وراء ما ذكرناه خير، فإنه ما وراءه إلا الضجر والسخط وعدم الرضا وسوء الأدب مع الله. فكنا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرا عليه من أهل البيت في ماله ونفسه وعرضه وأهله وذويه؛ فيقابل ذلك كله بالرضا والتسليم والصبر، ولا يلحق المذمة بهم أصلاً، وإن توجَّحت عليهم الأحكام المقررة شرعاً، فذلك لا يقدر في هذا بل يجريه مجرى المقادير. وإنما منعنا تعليق الذمِّ بهم، إذ ميزهم الله عتاً بما ليس لنا معهم فيه قدم.

وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله ﷺ كان يقترض من اليهود، وإذا طالبوه بحقوقهم أذاهم على أحسن ما يمكن، وإن تناول اليهودي عليه بالقول، يقول: «دعوه؛ إنَّ لصاحب الحقِّ مقالا» وقال ﷺ في قصة: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت قطعتم يدها» فوضع الأحكام لله، يضعها كيف يشاء، وعلى أيِّ حال يشاء، فهذه حقوق الله، ومع هذا لم يذمهم الله².

وإنما كلامنا في حقوقنا، وما لنا أن نطالبهم به، فنحن مخيرون إن شئنا أخذنا، وإن شئنا تركنا. والترك أفضل عموماً، فكيف في أهل البيت؟ وليس لنا ذمُّ أحد، فكيف بأهل البيت؟ فإنَّنا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا، وعفونا عنهم في ذلك، أي فيما أصابوه متاً، كانت لنا بذلك عند الله اليد العظيمة والمكانة الزلغية.

فإنَّ النبي ﷺ ما طلب متاً عن أمر الله ﴿إِلَّا التَّوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾³، وفيه سِرُّ صلة الأرحام، ومن لم يقبل سؤال نبيِّه فيما سأله فيه، بما هو قادر عليه؛ بأيِّ وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته؟، وهو ما أسعف نبيِّه ﷺ فيما طلب منه من التودَّة في قرابته، فكيف بأهل بيته، فهم أخصَّ القرابة؟.

ثمَّ إنَّه جاء بلفظ "التودَّة" وهو الثبوت على المحبة. فإنه من ثبت ودَّه في أمر، استصحبه في كلِّ حال،

1 ص 74

2 ص 75

3 [الشورى : 23]

وإذا استصحبته المودة في كل حال، لم يؤخذ أهل البيت بما يطراً منهم في حقّه بما له أن يطالبهم به، فيتركه ترك محبته، وإيثاراً لنفسه لا عليها، قال المحب الصادق¹:

وَكُلُّ مَا يَقَعُ الْمَخُوبُ مَخُوبٌ

وجاء باسم الحب، فكيف حال المودة. ومن البشرى ورود اسم الودود لله² تعالى.

ولا معنى لثبوتها، إلا حصول أثرها بالفعل في النار الآخرة، وفي النار لكل طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم، وقال الآخر في المعنى:

أَجِبْ لِحُبِّهَا سُودَ الْكِلَابِ أَجِبْ لِحُبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى

ولنا في هذا المعنى:

أَجِبْ لِحُبِّكَ الْجَبْنَانَ طُرّاً وَأَعْشِقْ لِشِمِكَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَا

قيل: كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحبب إليها. فهذا فعل المحب في حب من لا تسعيده محبته عند الله، ولا تورثه القرية من الله، فهل هذا إلا من صدق الحب وثبوت الود في النفس؟

فلو صحّت محبتك لله ولرسوله، أحببت أهل بيت رسول الله ﷺ ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك، بما لا يوافق طبعك ولا غرضك، أنه جمال تنعم بوقوعه منهم، فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله، الذي أحببتهم من أجله، حيث ذكرك من محبته، وخطرت على باله، وهم أهل بيت رسوله ﷺ فتشكر الله تعالى- على هذه النعمة، فإنهم ذكروك باللسنة طاهرة بتطهير الله طهارة لم يبلغها علمك.

وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة، مع أهل البيت الذي أنت محتاج إليهم، ولرسول الله ﷺ حيث هداك الله به، فكيف أتق أنا بؤدك الذي تزعم به أنك شديد الحب في، والرعاية لحقوقي أو لجاني، وأنت في حق أهل بيتك بهذه المثابة من الوقوع فيهم. والله ما ذاك إلا من نقص إيمانك، ومن مكر الله بك، واستدراجه إياك من حيث لا تعلم.

وصورة المكر أن تقول وتعتقد أنك في ذلك تذب عن دين الله وشرعه، وتقول في طلب حقك: إنك

1 القائل هو: ميمار الديلمي: (؟ - 428 هـ / ؟ - 1037 م) ميمار بن مرزويه، أبو الحسن الديلمي. شاعر كبير في أسلوبه قوة وفي معانيه ابتكار، قال الحر العاملي: جمع ميمار بين فصاحة العرب ومعاني المعجم، وقال الزبيدي: (الديلمي) شاعر زمانه فارسي الأصل من أهل بغداد، كان منزله فيما يدرب رباح، من الكرخ، وبها وفاته. كان مجوسياً وأسلم سنة 494 هـ على يد الشريف الرضي. والبيت هو: أرضي واستنط أو أرضي تلوثه وكل ما يفعل المحب محبوب

من قصيدة مطلعها: استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب (انظر الموسوعة الشعرية).

2 ص 75 ب

3 ص 76

ما طلبت إلا ما أباح الله لك طلبه، ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع، والبغض والمقت. وإشراك نفسك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك. والواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقاً، وتزل عن حَقِّك لتلاً يندرج في طلبه ما ذكرته لك. وما أنت من حكام المسلمين حتى يتعين عليك إقامة حدٍّ أو إنصاف مظلوم أو ردَّ حقٍّ إلى أهله. فإن كنت حاكماً ولا بدَّ، فاسع في استئصال صاحب الحقِّ عن حَقِّه، إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت، فإن أبي حينئذ يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه. فلو كشف الله لك ما ولي- عن منازلهم عند الله في الآخرة، لوددت أن تكون مولى من مواليهم. فالله يلهمنا رشد أنفسنا. فانظر ما أشرف منزلة سلمان رضي الله عن جميعهم-

ولمَّا¹ بينت لك أقطاب هذا المقام، وأنهم عبید الله المصطفون الأخيار، فاعلم أنّ أسرارهم التي أطلعنا الله عليها، تجهلها العامة بل أكثر الخاصة، التي ليس لها هذا المقام، والخضر- منهم ﷺ، وهو من أكبرهم، وقد شهد الله له أنه آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً، اتبعه فيه كل من موسى عليه السلام الذي قال فيه ﷺ: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني».

- فمن أسرارهم ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة أهل البيت، وما قد تبه الله على علو رتبته في ذلك.

- ومن أسرارهم علم المكر، الذي مكر الله بعباده في بغضهم، مع دعواهم في حب رسول الله ﷺ وسؤاله (الْمُؤَدَّةُ فِي الْقُرْبَى) ²، وهو ﷺ من جملة "أهل البيت". فما فعل أكثر الناس، ما سألهم فيه رسول الله ﷺ عن أمر الله. فعصوا الله ورسوله، وما أحبوا من قرابته إلا من رأوا منه الإحسان، فأغراضهم أحبوا، وبنفوسهم تعشقوا.

- ومن أسرارهم؛ الاطلاع على صحّة ما شرع الله لهم في هذه الشريعة الحمديّة، من حيث لا تعلم العلماء بها. فإنّ الفقهاء والهدّثين الذين أخذوا علمهم ميّتا عن ميّت، إنّما المتأخّر منهم هو³ فيه على غلبة ظنٍّ، إذ كان النقل شهادة والتواتر عزيز، ثمّ إنهم إذا عثروا على أمور تفيد العلم بطريق التواتر، لم يكن ذلك اللفظ المنقول بالتواتر نصّاً فيما حكوا به، فإنّ النصوص عزيزة، فيأخذون من ذلك اللفظ بقدر قوّة فهمهم فيه، ولهذا اختلفوا. وقد يمكن أن يكون لذلك اللفظ في ذلك الأمر نصّ آخر يعارضه ولم يصل إليهم، وما لم يصل إليهم ما تُعبدوا به، ولا يعرفون بأيّ وجه من وجوه الاحتمالات التي في قوّة هذا اللفظ كان يحكم رسول الله ﷺ المشرّع. فأخذه أهل الله عن رسول الله ﷺ في الكشف على الأمر الجليّ،

1 ص 76

2 [الشورى : 23]

3 ص 77

والنص الصريح في الحكم، أو عن الله بالبيّنة التي هم عليها من ربهم، والبصيرة التي بها دعوا الخلق إلى الله عليها، كما قال الله: ﴿أَقْمَرٌ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾¹ وقال: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾² فلم يفرّد نفسه بالبصيرة، وشهد لهم بالاتباع في الحكم، فلا يتبعونه إلا³ على بصيرة، وهم عباد الله أهل هذا المقام.

- ومن أسرارهم أيضا إصابة أهل العقائد فيما اعتقدوه في الجنب الإلهي، وما تجلّى لهم حتى اعتقدوا ذلك، ومن أين تصوّر الخلاف⁴ مع الاتفاق على السبب الموجب الذي استندوا إليه، فإنّه ما اختلف فيه اثنان، وإنما وقع الخلاف فيما هو ذلك السبب، وبماذا يستوى ذلك السبب. فمن قائل: هو الطبيعة، ومن قائل: هو الدهر، ومن قائل غير ذلك، فاتّفق الكلّ في إثباته ووجوب وجوده، وهل هذا الخلاف يضرّهم مع هذا الاستناد أم لا؟، هذا كلّه من علوم أهل هذا المقام.

اتهى الجزء السابع عشر، يتلوه في الجزء الثامن عشر.⁵

[هود : 17]

[يوسف : 108]

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

4 ص 77ب

5 في أسفل الكتابة نجد هذا السماع: "سمع جميع هذا الجزء والذي قبله إلى البلاغ بخط القارئ على مصنفها الإمام العالم محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي؛ الأئمة أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأربلي، وأبو بكر بن سليمان الجعفي، وابنه أحمد، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الحباب، ومحمد بن يوحنا المظلي، وأبو بكر بن يونس بن الحلال، وابنه إبراهيم، ومحمد بن أحمد بن زرافعة، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء الحنفيان، وأحمد بن محمد بن سليمان الدمشقي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، ومحمد بن نصر الله بن هلال، ويونس بن عثمان، ويحوق بن معاذ الوري، وإبراهيم بن محمد بن محمد القرطبي، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد ابن المصنف، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، ويحيى بن إسحاق بن محمد بن علي المطرز، ويوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وعيسى بن إسحق الهنباي، ويان بن عثمان الحنبلّي، ومحمد بن علي بن محمد المطرز، وأحمد بن أبي الوصية بن أبي المعالي، وأبو القاسم بن أبي الفتح بن إبراهيم -الدمشقيون-، ويوسف بن عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وأحمد بن عبد الله بن المسلم الأزدي، وأحمد بن موسى الترككاني، وعمران بن محمد بن عمران النشبي، وعلي بن أبي الفناهم بن الفسال، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وذلك في عاشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلثين وسبعمائة، بمنزل المصنف بدمشق. والحمد لله وصلاته على محمد وآله".

وبليه: "وسمع مع الجماعة أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي الواعظ أبو. كتبه إبراهيم حامدا ومصليا".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ¹

الباب الثلاثون في معرفة الطبقة الأولى والثانية من الأقطاب الركبان

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا رَكِبُوا
وَتَرَقَّتْ هِمُّ النَّوْلِ بِهِمْ
فاجْتَبَاهُمْ وَتَجَلَّى لَهُمْ
مَنْ يَكُنْ ذَا رِفْعَةٍ فِي ذِلَّةٍ
رِثْتُهُ الْحَادِثِ إِنْ حَقَّقْتَهَا
إِنَّ لِلَّهِ عُلُومًا جَمَّةً
لَطَفَتْ ذَاتًا فَمَا يُذَكِّرُهَا
نَجَبَ الْأَعْمَالِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
لِعَزِيْزٍ جَلٍّ مِنْ فَرْدٍ عَظِيمِ
وَتَلَقَّاهُمْ بِكَاسَاتِ التَّدِيمِ
إِنَّهُ يَتَعَرَّفُ مِقْدَارَ الْعَظِيمِ
إِنَّمَا يَظْهَرُ فِيهَا بِالْقَدِيمِ
فِي رَسُولٍ وَنَبِيِّ وَقَسِيمِ
عَالَمِ الْأَنْفَاسِ أَشْقَاسِ النَّسِيمِ

اعلم -أيديك الله- أن أصحاب النجب في العرف هم الركبان، قال الشاعر²:

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا
شَدُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَاتًا وَرُكْبَانَا

الفرسان ركاب الخيل، والركبان ركاب الإبل. فالأفراس في المعروف، تركبها جميع الطوائف، من عجم وعرب. والهجن³ لا يستعملها إلا العرب، والعرب أرباب الفصاحة والحماسة والكرم. ولما كانت هذه الصفات غالبية على هذه الطائفة سميها بالركبان. فمنهم من يركب نجب المعجم، ومنهم من يركب نجب الأعمال. فلذلك جعلناهم طبقتين: أولى وثانية. وهؤلاء أصحاب الركاب؛ هم الأفراد في هذه الطريقة. فإتبعهم على طبقات؛ فمنهم الأقطاب، ومنهم الأئمة، ومنهم الأوتاد، ومنهم الأبدال، ومنهم النقباء، ومنهم النجباء، ومنهم الرجبيون، ومنهم الأفراد. وما منهم طائفة إلا وقد رأيت منهم، وعاشرتهم ببلاد المغرب، وببلاد الحجاز، والشرق.

فهذا الباب مختص بالأفراد، وهي طائفة خارجة عن حكم القطب وحدها، ليس للقطب فيهم تصرف. ولهم من الأعداد: من الثلاثة إلى ما فوقها من الأفراد، ليس لهم ولا لغيرهم فيما دون الفرد الأول -الذي هو

1 البسمة ص 78

2 البيت للشاعر قريظ بن أنيف العبدي من بني تميم.

3 ص 78

الثلاثة- قدم، فإنَّ الأحديّة وهو الواحد لذات الحقّ، والاثنتان للمرتبة، وهو توحيد الألوهيّة، والثلاثة أوّل وجود الكون عن الله.

فالأفراد في الملائكة: الملائكة المهيمون في جمال الله وجلاله، الخارجون عن الأملاك المسخّرة¹ والمدبّرة للذين هما في عالم التدوين والتسطير، وهم من القلم والعقل إلى ما دون ذلك. والأفراد من الإنس مثل المهيمّة من الأملاك. فأوّل الأفراد الثلاثة، وقد قال ﷺ: «الثلاثة ركّب» فأوّل الركب الثلاثة إلى ما فوق ذلك.

ولم من الحضرات الإلهيّة؛ الحضرة الفردانيّة وفيها يميّزون، ومن الأسماء الإلهيّة الفرد، والموادّ الواردة على قلوبهم من المقام الذي ترد منه على الأملاك المهيمّة، ولهذا يجهل مقامهم وما يأتون به، مثل ما أنكر موسى ﷺ على خضر مع شهادة الله فيه لموسى ﷺ وتعرفه بمنزله، وتركبة الله إياه، وأخذ العهد عليه إذ أراد صحبته.

ولمّا علم الخضر أنّ موسى ﷺ ليس له ذوق في المقام الذي هو الخضر عليه، كما أنّ الخضر ليس له ذوق فيما هو موسى عليه من العلم الذي علمه الله، إلّا أنّ مقام الخضر لا يعطي الاعتراض على أحد من خلق الله، لمشاهدة خاصّة هو عليها. ومقام موسى والرسل يعطي الاعتراض من حيث هم رسل لا غير، في كلّ ما يرونه خارجاً عمّا أرسلوا به. ودليل ما ذهبنا إليه في هذا قول² الخضر- لموسى ﷺ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾³ فلو كان الخضر نبيّاً لما قال له: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ فالذي فعله لم يكن من مقام النبوة. وقال له في انفراد كلّ واحد منها بمقامه الذي هو عليه، قال الخضر- لموسى ﷺ: "يا موسى؛ أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا" وافتقرا وتميّزا بالإنكار.

فالإنكار ليس من شأن الأفراد، فإنّ لهم الأوليّة في الأمور، فهم يتنكر عليهم ولا ينكرون. قال الجنيد: "لا يبلغ أحدٌ درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألفٌ صديق بأنّه زنديق" وذلك لأنّهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم.

وهم أصحاب العلم الذي كان يقول فيه عليّ بن أبي طالب ﷺ، حين يضرب بيده إلى صدره ويتهدّد: "إنّ هاهنا لعلوماً جمّة، لو وجدت لها حملةً" فإنّه كان من الأفراد. ولم يُسمع هذا من غيره في زمانه، إلّا أبي

1 ص 79

2 ص 79 ب

3 [الكهف: 68]

هريرة ذكر مثل هذا. خرّج البخاري في صحيحه عنه أنه قال: «حملت عن النبي ﷺ جرابين؛ أما الواحد فبشّته فيكم، وأما الآخر فلو بشّته فُطِعَ مِنِّي هذا البلعوم» البلعوم (هو) مجرى الطعام. فأبو هريرة ذكر أنه حمّله عن رسول الله ﷺ فكان¹ فيه ناقلا عن غير ذوق، ولكنّه علمٌ، لكونه سمعه من رسول الله ﷺ، ونحن إنما تتكلّم فمِنَ أعطي عين الفهم في كلام الله تعالى- في نفسه، وذلك علم الأفراد.

وكان من الأفراد عبد الله بن العباس، البحر، كان يلقّب به لاتّساع علمه، فكان يقول في قوله ﷻ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾²: "لو ذكرت تفسيره لرجموني" وفي رواية: "لقلمت إنّي كافر".

وإلى هذا العلم كان يشير عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، زين العابدين، حلّيم الصلاة والسلام- بقوله، فلا أدري هل هما من قبيله أو تمثّل بهما:

يا رَبِّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أُبُوْحُ بِهِ لَقِيْلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَقْبُدُ الْوَثْنَا
ولا سَتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي يَرَوْنَ أَفْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا

فنبّه بقوله: "يعبد الوثنا" على مقصوده، ينظر إليه تأويل قوله ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُوْرَتِهِ» بإعادة الضمير على الله، وهو من بعض محتملاته.

بالله يا أخي- أنصفتي فيما أقوله لك، لا شك أنك قد جفّفت معي على أنه كلّ ما صحّ عن³ رسول الله ﷺ من الأخبار، في كلّ ما وصف به فيها ربّه تعالى-، من الفرح والضحك والتعجّب والتبشّش والغضب والتردّد والكراهة والحبّة والشوق، إنّ ذلك وأمثاله يجب الإيمان به والتصديق، فلو أنّ هبّث فحاثّ من هذه الحضرة الإلهيّة كشفنا وتجلّينا وتعريفنا إلهيّاً على قلوب الأولياء، بحيث أن يعلموا بإعلام الله ويشاهدوا بإشهاد الله من هذه الأمور المعبر عنها بهذه الألفاظ على لسان الرسول، وقد وقع الإيمان مِنِّي ومنك ههنا كلّه، إذا أتى بمثله هذا الوليّ في حقّ الله تعالى-، ألسنت تزندقه كما قال الجنيد؟ ألسنت تقول: إنّ هنا مشبّه، هذا عابدٌ وثنٌ؟! كيف وصف الحقّ بما وصف به الخلوّق؟ ما فعلت عبدة الأوثان أكثر من هنا، كما قال عليّ بن الحسين؟ ألسنت كنت تقثله أو تقفي بقتله كما قال ابن عباس؟!.

فبأيّ شيء آمنّت وسلّمت لَمَّا سمعت ذلك من رسول الله ﷺ في حقّ الله من الأمور التي تحيلها الأدلّة العقلية وميّعت من تأويلها؟ والأشعريّ تأولها على وجوه من التنزيه في زعمه، فأين الإنصاف؟ فهلّا

1 ص 80

2 [الطلاق: 12]

3 ص 80

قلت: القدرة واسعة أن تعطي لهذا الولي ما¹ أعطت للنبي من علوم الأسرار؟ فإن ذلك ليس من خصائص النبوة، ولا حَجَر الشارح على أمته هذا الباب، ولا تكلم فيه بشيء، بل قال: «إن يكن في أمتي محدثون فعمُر منهم» فقد أثبت النبي ﷺ أن ثم من يحدث، من ليس بنبي، وقد يحدث بمثل هذا، فإنه خارج عن تشريع الأحكام من الحلال والحرام، فإن ذلك -أعني التشريع- من خصائص النبوة.

وليس الاطلاع على غوامض العلوم الإلهية² من خصائص نبوة التشريع، بل هي سارية في عباد الله؛ من رسول وولي وتابع ومتبوع يا ولي- فأين الإنصاف منك؟ أليس هذا موجودا في الفقهاء وأصحاب الأفكار، الذين هم فراغة الأولياء، ودجاجة عباد الله الصالحين؟ والله يقول لمن عمل مثا بما شرع الله له؛ إن الله يعلمه ويتولى تعليمه، بعلوم أنتجت أعماله. قال تعالى: ﴿وَأَتَتْكُمْ اللَّهُ وَتَعَلَّمَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾³ وقال: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾⁴.

ومن أقطاب هذا المقام عمر بن الخطاب وأحمد بن حنبل. ولهذا قال ﷺ في عمر بن الخطاب يذكر ما أعطاه الله من القوة: «يا عمر؛ ما لقيك الشيطان في⁵ فج إلا سلك فجاً غير فجك» فدل على عصمته بشهادة المعصوم، وقد علمنا أن الشيطان ما يسلك قط بنا إلا إلى الباطل، وهو غير⁶ فج عمر بن الخطاب. فما كان عمر يسلك إلا فجاج الحق بالنص، فكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم في جميع مسالكة وللحق صولة.

ولمّا كان الحق صعب المرام، قويا حملة على النفوس، لا تحمله ولا تقبله، بل تمجّه وترده، لهذا قال ﷺ: «ما ترك الحق لعمر من صديق» وصدق ﷺ يعني: في الظاهر والباطن: أمّا في الظاهر فلعدم الإنصاف، وحب الرئاسة، وخروج الإنسان عن عبوديته واشتغاله بما لا يعنيه، وعدم تهوّغه لما دعي إليه من شغله بنفسه وعبه عن عيوب الناس. وأمّا في الباطن فما ترك الحق لعمر في قلبه من صديق، فما كان له تعلق إلا بالله.

ثم الطامة الكبرى، أنك إذا قلت لواحد من هذه الطائفة المنكبة: "اشتغل بنفسك". يقول لك: إنما أقوم حماية لدين الله وغيرة له، والغيرة لله من الإيمان، وأمثال هذا، ولا يسكن ولا ينظر: هل ذلك من

1 ص 81

2 تاجية في الهامش بقلم الأصل.

3 [القرة: 282]

4 [الأفال: 29]

5 ص 81

6 تاجية في الهامش .

قبيل الإمكان أم لا؟ أعني أن يكون الله قد عَرَفَ ولياً¹ من أوليائه، بما يجريه في خلقه كالخضر، ويعلمه علوماً من لدنه، تكون العبارة عنها بهذه الصيغ، التي ينطق بها الرسول ﷺ كما قال الخضر: ﴿وَمَا قُلْتُهٖ عَنْ أَمْرِي﴾² وآمن هذا المنكر بها على زعمه، إذ جاء بها رسول الله ﷺ. فوالله لو كان مؤمناً بها؛ ما أنكرها على هذا الولي، لأنَّ الشارع ما أنكر إطلاقها في جناب الحق، من استواء ونزول ومعية وضحك وفرح وتبشيش وتعجب وأمثال ذلك، وما ورد عنه ﷺ قط أنه حجزها على أحد من عباد الله، بل أخبر عن الله أنه يقول لنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾³ ففتح لنا، وندبنا إلى التأسي به ﷺ وقال: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾⁴ وهذا من اتباعه والتأسي به.

فمن التأسي به إذا ورد علينا من الحق سبحانه - وأردُّ حق، فعلمنا من لدنه علماً فيه رحمة جانا الله بها، وعناية حيث كفا في ذلك على بينة من ربنا، ويتلوها شاهد منا، وهو اتباعنا سنته وما شرع لنا، لم نخل بشيء منها، ولا ارتكبنا مخالفة بتحليل ما حرّم أو تحريم ما أحلّ، فنطلب لذلك المعلوم الذي علمناه من جانب الحق، أمثال⁵ هذه العبارات النبوية، لنفصح بها عن ذلك، ولا سيما إذا سئلنا عن شيء من ذلك، لأنَّ الله أخبر عن هذه صفته، أنه يدعو إلى الله على بصيرة. فمن التأسي بالمأمور به برسول الله ﷺ أن نطلق على تلك المعاني هذه الألفاظ النبوية؛ إذ لو كان في العبارة عنها ما هو أفصح منها لأطلقها ﷺ فإنه المأمور بتبيين ما أنزل به علينا، ولا نعدل إلى غيرها لما نزيده من البيان، مع التحقق بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁶ فإننا إذا عدلنا إلى عبارة غيرها، ادعينا بذلك، أنا أعلم بحق الله وأنزه من رسول الله ﷺ وهذا أسوأ ما يكون من الأدب. ثم إنَّ المعنى لا بد أن يختل عند السامع، إذ كان ذلك اللفظ، الذي خالفت به لفظ من كان أفصح الناس وهو رسول الله ﷺ والقرآن لا يدل على ذلك المعنى بحكم المطابقة، فشرع لنا التأسي.

وغاب هذا المنكر المكفر، من أتى بمثل هذا عن النظر في هنا كله، وذلك لأمرين أو لأحدهما: إن كان عالماً فلحسد قام به، قال تعالى: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَشْهِيهِمْ﴾⁷ وإن كان جاهلاً فهو بالنبوة أجمل.

يا ولي؛ لقينا من أقطاب هذا المقام، بجبل أبي قبيس بمكة، في يوم واحد ما يزيد على السبعين

1 ص 82

2 [الكهف : 82]

3 [الأحزاب : 21]

4 [آل عمران : 31]

5 ص 82 ب

6 [النورى : 11]

7 [البقرة : 109]

8 ص 83

رجلا. وليس لهذه الطبقة تلميذ في طريقهم أصلا، ولا يُسَلِّكون أحدا بطريق التربية، لكن لهم الوصية والنصيحة ونشر العلم، فمن وُفِّق أخذ به. ويقال إنَّ أبا السعود بن الشبل كان منهم، وما لقيته ولا رأيته، ولكن شممتُ له رائحة طيبة ونفسا عطرًا، وبلغني أنَّ عبد القادر الجيلي، وكان عدلا قُطب وقته، شهد لحد بن قائد الأواني بهذا المقام، كذا نُقل إليّ، والعهد على الناقل.

فإنَّ ابن قائد زعم أنَّه ما رأى هناك أمامه سيوى قدم نيّته، وهذا لا يكون إلا لأفراد الوقت، فإن لم يكن من الأفراد، فلا بدَّ أن يرى قدم قطب وقته أمامه، زائدا على قدم نيّته، إن كان إماما. وإن كان وتدا؛ فيرى أمامه ثلاثة أقدام. وإن كان بدلا يرى أربعة أقدام وهكذا، إلا أنَّه لا بدَّ أن يكون في حضرة الاتِّباع مقاما. فإذا لم يَمِّمْ في حضرات الاتِّباع وعُدِّلَ به عن يمين الطريق، بين الخدع وبين الطريق، فإنه لا يصر قدما أمامه، وذلك هو طريق الوجه الخاص، الذي من الحقِّ إلى كلِّ موجود. ومن ذلك الوجه الخاص؛ ينكشف للأولياء هذه العلوم التي تُتَكَّر عليهم، ويَزِنْدَقون بها ويَزِنْدِقهم¹ بها، ويكفِّروهم من يؤمن بها إذا جاءت عن الرسل، وهي العلوم عينها وهي التي ذكرناها آنفا.

ولأصحاب هذا المقام التصريف والتصرُّف في العالم. فالطبقة الأولى من هؤلاء تَرَكَّت التصرُّف لله في خلقه، مع التمكّن وتولية الحقِّ لهم إياه: تمكُّنا لا أمرا، لكن عرضا، فلبسوا الستر ودخلوا في سرادقات الغيب، واستتروا بحجب العوائد، ولزموا العبودة والافتقار، وهم الفتيان الظرفاء الملامية، الأخفياة الأبرياء.

وكان أبو السعود منهم: كان رحمه الله - ممن امثل أمر الله في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾² فالوكيل له التصرُّف، فلو أُمِر امثل الأمر، هذا من شأنهم. وأمَّا عبد القادر فالظاهر من حاله أنَّه كان مأمورا بالتصرُّف، فلهدا ظهر عليه. هذا هو الظنُّ بأمثاله. وأمَّا محمد الأواني، فكان يَذْكَر أنَّ الله أعطاه التصرُّف فقبله، فكان يتصرَّف ولم يكن مأمورا، فابتلي، فنقصه من المعرفة القدرُ الذي علا أبو السعود به عليه، فنطق أبو السعود بلسان الطبقة الأولى من طائفة الرُكبان.

وسميناهم أقطابا؛ لشبوتهم. ولأنَّ هذا المقام - أعني مقام العبودة - يدور عليهم، لم أرْذ بتطبيبتهم أنَّ لهم جماعة تحت³ أمرهم يكونون رؤساء عليهم وأقطابا لهم. هم أجَلُّ من ذلك وأعلى، فلا رئاسة لهم أصلا في نفوسهم، لتحققهم بعبوديتهم، وأمرٌ إلهيٌّ بالتقدُّم، فما ورد عليهم فيلزم طاعته، لئلا هم عليه من التحقُّق

1 ص 83 ب

2 [المزمل : 9]

3 ص 84

أيضاً بالعبودية، فيكونون قائمين به في مقام العبودية، بامتثال أمر سيدهم، وأما مع التخيير والعرض أو طلب تحصيل المقام، فإنه لا يظهر به إلا من لم يتحقق بالعبودية التي خلق لها.

فهذا يا ولي- قد عرفتُك في هذا الباب بمقاماتهم، وبقي التعريف بأصولهم وتعيين أحوال الأقطاب، المدبرين من الطبقة الثانية منهم، نذكر ذلك فيما بعد -إن شاء الله-، **هُوَ اللهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**¹ لا ربَّ غيره.²

1 [الأحزاب : 4]
2 بالهامش: "بلغ".

الباب الحادي والثلاثون في معرفة أصول الركبان

حَدِبٌ¹ الدَّهْرُ عَلَيْنَا وَخَنَا
وَعَشِيفْنَا فَعَلَيْنَا عَسَى
نَحْنُ حَكْمَنَاكَ فِي أَنْسِنَا
وَلَقَدْ² كَانَ لَهُ الْحُكْمُ وَمَا
فَشْفِينِي هُوَ دَهْرِي وَالَّذِي
فَرَكِنْنَا نَطْلُبُ الْأُضْلَ الَّذِي
فَلْنَا مِنْهُ الَّذِي حَرَكْنَا
حَرَكَاتِ الدَّهْرِ فِينَا شَهَدَتْ
فَأَنَا الْعَبْدُ الدَّلِيلُ الْمُجْتَنِي

وَمَضَى- فِي حُكْمِهِ وَمَا وَفَى
يَطْرَبُ الدَّهْرُ بِإِقَاعِ الْفِنَا
فَأَحْكُمُ أَنْ شِلْتُ عَلَيْنَا أَوْ لَنَا
كَانَ ذَلِكَ الْحُكْمُ لِلدَّهْرِ بِنَا
صَرَفَ الدَّهْرَ كَذَا صَرَفْنَا
جَقَلَ السِّرُّ لَدَيْنَا عَلْنَا
وَأَلَهُ مِنْهُ الَّذِي سَكَّنَا
أَنَّهُ قَالَ: "أَلَهُ مَا سَكَّنَا"³
وَأَنَا حَقٌّ⁴ وَمَا الْحَقُّ أَنَا

اعلم أيديك الله - أن الأصول التي اعتمد عليها الركبان كثيرة، منها التبري من الحركة إذا أقبحوا فيها، فلهذا زكبوا، فهم الساكون على مراكبهم، المتحركون بتحريك مراكبهم، فهم يقطعون ما أمروا بقطعه بغيرهم، لا يفلتون مستريحين مما تعطيه مشقة الحركة، متبرئين من الدعوى التي تعطيلها الحركة، حتى لو افتخروا بقطع المسافات البعيدة في الزمان القليل، لكان ذلك الفخر راجعا للمركب الذي قطع بهم تلك المسافة لا لهم؛ فلهم التبري وما لهم الدعوى، فهجيرهم: "لا حول ولا قوة إلا بالله" وآيتهم: ﴿وَمَا زَمَيْتَ إِذْ زَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ زَمَىٰ﴾⁵ يقال لهم: وما قطعتم هذه المسافات حين قطعتموها، ولكن⁶ الركاب قطعتموها. فهم المحمولون؛ فليس للعبد صولة إلا بسطان سيده، وله الذلة والعجز والمهانة والضعف من نفسه.

ولما رأوا أن الله قد تبه بقوله تعالى: ﴿وَأَلَهُ مَا سَكَّنَ﴾⁷ فأخلصه له. علموا أن الحركة فيها الدعوى،

1 خذب عليه: تعطف عليه.

2 ص 84 ب

3 إشارة إلى الآية القرآنية: "وَأَلَهُ مَا سَكَّنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" [الأعام: 13]

4 ق: رسمها "حَقٌّ" والتشكيل ليس بقلم الأصل.

5 [الأضال: 17]

6 ص 85

7 [الأعام: 13]

وَأَنَّ السَّكُونَ لَا تَشْوِبُهُ دَعْوَى، فَإِنَّهُ نَفَى الْحَرَكَةَ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنَا بِقَطْعِ هَذِهِ الْمَسَافَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَجَوِّبِ هَذِهِ الْمَفَاوِزَ الْمَهْلِكَةَ إِلَيْهِ، فَإِنْ نَحْنُ قَطَعْنَاهَا بِنَفْسِنَا لَمْ نَأْمَنْ عَلَى نَفْسِنَا مِنْ أَنْ تَمْدَحَ بِذَلِكَ فِي حَضْرَةِ الْإِتِّصَالِ؛ فَإِنَّهَا مَجْبُولَةٌ عَلَى الرَّعُونَةِ وَطَلَبِ التَّقَدُّمِ وَحَبِّ الْفَخْرِ، فَتَكُونُ مِنْ أَهْلِ النِّقْصِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، بِقَدْرِ مَا يَنْبَغِي أَنْ نَحْتَرِمَ بِهِ ذَلِكَ الْجَلَالَ الْأَعْظَمَ.

فَلِنَتَّخِذْ رُكَابًا تَقْطَعُ بِهِ، فَإِنْ أَرَادَتْ الْإِفْتِخَارُ يَكُونُ الْإِفْتِخَارُ لِلرُّكَابِ لَا لِلنَّفْسِ، فَاتَّخِذْ مِنْ "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" نُجْبِيًا، لَمَّا كَانَتْ التُّجْبُ أَصْبَرُ عَنِ الْمَاءِ وَالْعَلْفِ مِنَ الْأَفْرَاسِ وَغَيْرِهَا، وَالطَّرِيقَ مَعْطِشَةَ جَدْبَةٍ، يَهْلِكُ فِيهَا مِنَ الْمَرَآكِبِ مَنْ لَيْسَ لَهُ مَرْتَبَةُ التُّجْبِ، فَلِهَذَا اتَّخَذُوهَا نُجْبِيًا دُونَ غَيْرِهَا مِمَّا يَصَحُّ أَنْ يُرَكَبَ.

وَلَا يَصَحُّ أَنْ يَقْطَعَ ذَلِكَ (رُكَابٌ) "الْحَمْدُ لِلَّهِ" فَإِنَّ هَذَا الذِّكْرَ مِنْ خِصَائِصِ الْوَصُولِ، وَلَا "سُبْحَانَ اللَّهِ" فَإِنَّهُ مِنْ خِصَائِصِ التَّجَلِّيِّ، وَلَا "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" فَإِنَّهُ مِنْ خِصَائِصِ الدَّعَاوِيِّ، وَلَا "اللَّهُ أَكْبَرُ" فَإِنَّهُ مِنْ خِصَائِصِ الْمَفَاضِلَةِ. فَتَعَيَّنَ "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" فَإِنَّهُ مِنْ خِصَائِصِ الْأَعْمَالِ فَعَلًا وَقَوْلًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. لِأَنَّهُمْ بِالْأَعْمَالِ أَمْرُوا، وَالسَّفَرُ عَمَلٌ: قَلْبًا وَبَدَنًا، وَمَعْنَى وَحْسًا، وَذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِـ"لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" فَإِنَّهُ بِهَا يَقُولُونَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" وَبِهَا يَقُولُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ" وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ.

وَلَمَّا كَانَ السَّكُونُ عَدَمَ الْحَرَكَةِ، وَالْعَدَمُ أَصْلُهُمْ، لِأَنَّهُ قَوْلُهُ: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾² يَرِيدُ مَوْجُودًا، فَاخْتَارُوا السَّكُونَ عَلَى الْحَرَكَةِ، وَهُوَ الْإِقَامَةُ عَلَى الْأَصْلِ. فَتَبَّهَ ﷻ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾³ أَنَّ الْخَلْقَ سَلَمُوا لَهُ الْعَدَمَ، وَادَّعَوْا لَهُ فِي الْوُجُودِ، فَمِنْ بَابِ الْحَقَائِقِ عَرَبِيَّ الْحَقِّ خَلَقَهُ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنِ إِضَافَةِ مَا ادَّعَوْهُ لَأَنْفُسِهِمْ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أَي مَا ثَبَتَ، وَالثَّبُوتُ أَمْرٌ وَجُودِيٌّ عَقْلِيٌّ لَا عَيْنِيٌّ بَلْ نَسَبِيٌّ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يَسْمَعُ دَعْوَاكُمْ فِي نِسْبَةِ مَا هُوَ لَهُ، قَدْ نَسَبْتُمُوهُ إِلَيْكُمْ، "عَلِيمٌ" بَأَنَّ الْأَمْرَ عَلَى خِلَافِ مَا ادَّعَيْتُمُوهُ.

وَمِنْ أَصُولِهِمُ: التَّوْحِيدُ بِلِسَانِ: «بِي يَتَكَلَّمُ، وَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يَبْصُرُ» وَهَذَا مَقَامٌ لَا يَحْصُلُ إِلَّا عَنِ فُرُوعِ الْأَعْمَالِ، وَهِيَ النِّوَافِلُ. فَإِنَّ هَذِهِ الْفُرُوعَ تَنْتِجُ الْحَبِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ، وَالْحَبِيَّةَ تَوْرَثُ الْعَبْدَ أَنْ يَكُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، فَتَكُونُ هَذِهِ الصِّفَةُ أَصْلًا لِهَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْعِبَادِ، فِيمَا يَعْلَمُونَهُ وَيَحْكُمُونَ بِهِ مِنْ أَحْكَامِ الْحَضَرِ- وَعِلْمِهِ. فَهُوَ أَصْلٌ مَكْتَسَبٌ، وَهُوَ لِلْحَضَرِ أَصْلُ عِنَايَةِ إِلَهِيَّةٍ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي آتَاهُ اللَّهُ، وَعَنْ تِلْكَ الرَّحْمَةِ كَانَ لَهُ هَذَا الْعِلْمُ

1 ص 85

2 [مریم : 9]

3 [الأعام : 13]

4 ص 86

الذي طلب موسى ﷺ أن يعلمه منه.

فإن نطقنت لهذا الأمر الذي أوردناه، عرفت قدر ولاية هذه الملة الحمديّة، والأمة ومنزلتها، وأن ثمره زهرة فروع أصلها المشروع لها في العاقبة هي أصل الخضر الذي امتن الله تعالى- على عبده موسى ﷺ ببقائه وأدبه به، فأنتج للمحمدي فرع فرع أصله، ما هو أصل للخضر، ومثل موسى ﷺ يطلب منه أن يعلمه بما هو عليه من العلم. فانظر منزلة هذا العارف الحمدي: أين تميّز؟ فكيف لك بما ينتجه الأصل الذي ترجع إليه هذه الفروع؟.

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَّقِرُونَ بِأَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتَهُ عَلَيْهِمْ» فهذا هو الأصل: أداء الفرض، ثم قال: «ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل» وهو ما زاد على الفرائض، ولكن من جنسها، حتى تكون الفرائض أصلا لها، مثل نوافل الخيرات؛ من صلاة وزكاة وصوم وحجّ وذكّر. فهذا هو الفرع الأقرب إلى الأصل. ثم يُنتج له هذا العمل الذي هو نافلة- محبة الله إياه، وهي محبة خاصة جزاء، ليست هي محبة الامتنان، فإن محبة الامتنان الأصليّة، اشترك فيها جميع أهل السعادة عند الله تعالى-، وهي التي أعطت لهؤلاء التقرب إلى الله بنوافل الخيرات.

ثم إن هذه المحبة، وهي الفرع الثاني، الذي هو بمنزلة الزهرة، أنتجت له أن يكون الحقّ سمعه وبصره ويذه إلى غير ذلك، وهذا هو الفرع الثالث، وهو بمنزلة الثمرة التي تعقد عند الزهرة، فعند ذلك يكون العبد يسمع بالحقّ وينطق به ويصير به ويبطش به ويدرك به، وهذا وحى خاصّ إلهي، أعطاه هذا المقام، ليس للملك فيه وساطة من الله، ولهذا قال الخضر لموسى ﷺ: ﴿مَا لَمْ يُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾².

فإنّ وحى الرسل، إنّما هو بالملك بين الله وبين رسوله، فلا خُبْر له بهذا النوق، في عين إمضاء الحكم في عالم الشهادة، فما تعودت الأرسال تشريع الأحكام الإلهيّة في عالم الشهادة إلاّ بواسطة³ الروح، الذي ينزل به على قلبه أو في تمثّله، لم يعرف الرسول الشريعة إلاّ على هذا الوصف. لا غير الشريعة؛ فإنّ الرسول له قرب أداء الفرض، والمحبة عليها من الله وما تنتج له تلك المحبة، وله قرب النوافل ومحبتها، وما يعطيه محبتها، ولكن من العلم بالله لا من علم التشريع وإمضاء الحكم في عالم الشهادة، فلم يحيط به خبرا من هذا القبيل. فهذا القدر هو الذي اختصّ به خضر دون موسى ﷺ.

ومن هذا الباب يحكم الحمديّ الذي لم يتقدّم له علم بالشريعة بوساطة النقل وقراءة الفقه والحديث

1 ص 86

2 [الكهف : 68]

3 ص 87

ومعرفة الأحكام الشرعية، فينطق صاحب هذا المقام بعلم الحكم المشروع، على ما هو عليه في الشرع المنزل، من هذه الحضرة. وليس من الرسل وإنما هو تعريف إلهي وعصمة، يعطيها هذا المقام ليس للرسالة فيه مدخل. فهذا معنى قوله: ﴿مَا لَمْ يُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾¹ فإن الرسول لا يأخذ هذا الحكم إلا بنزول الروح الأمين على قلبه، أو بمثل في شاهده يتمثل له الملك رجلا.

ولما كانت النبوة قد مُنعت، والرسالة كذلك، بعد رسول الله ﷺ كان التعريف لهذا الشخص بما هو الشرع المحمدي عليه² في عالم الشهادة، فلو كان في زمان التشريع كما كان زمان موسى، لظهر الحكم من هذا الولي كما ظهر من الحضرة، من غير وساطة ملك بل من حضرة القرب، فالرسول والنبى لهما حضرة القرب مثل ما لهذا، وليس له التشريع منها بل التشريع لا يكون له إلا بوساطة الملك الروح، وما بقي.

إلا إذا حصل للنبي المتأخر من شرع المتقدم ما هو شرع له؛ هل يحصل ذلك بوساطة الروح كسائر شرعه؟ أو يحصل له كما حصل للحضرة ولهذا الولي متا من حضرة الوحي؟ فذهبي أنه لا يحصل له إلا كما يحصل ما يختص به من الشرائع ذلك الرسول، ولهذا يصدق الثقة العدل في قوله: ﴿مَا لَمْ يُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾³.

وما يُعرف له منازع ولا مخالف فيما ذكرناه من أهل طريقنا، ولا وقفنا عليه، غير أنه إن خالفنا فيه أحد من أهل طريقنا فلا يُتصور فيه خلاف لنا إلا من أحد رجلين: إما رجل من أهل الله التبس عليه الأمر، وجعل التعريف الإلهي حكما، فأجاز أن يكون النبي أو الرسول كذلك، ولكن في هذه الأمة، وأما في الزمان الأول، فهو حكم لصاحبه ولا بد، وهو تعريف للرسول بوساطة الملك أن هذا شرع لغيره، قال - تعالى- لَمَّا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءُ: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾⁴ وما ذكر له هداهم إلا بالوحي بوساطة الروح، والرجل الآخر رجل⁵ قاس الحكم على الأخبار. وأما غير ذلك فلا يكون. ومع هذا فلم يصل إلينا عن أحد منهم خلاف، فيما ذكرناه ولا وفاق.⁶

ومن أصول هذه الطبقة أيضا أنه يتكلم بما به يسمع، ولا يقول بذلك سواهم، من حيث النوق، لكن قد يقول بذلك من يقول به من حيث الدليل العقلي. فهؤلاء يأخذونه عن تجلّ إلهي، وغيرهم يأخذ عن نظر صحيح موافق للأمر على ما هو عليه وهو الحق. ووقوع الاختلاف في الطريق؛ فهذا الطريق غير هذا الطريق، وإن اتفقا في المنزل وهو الغاية.

[الكهف : 68] 1

2 ص 87 ب

[الكهف : 68] 3

[الأنعام : 90] 4

5 ص 88

6 بالهامش: "بلغ"، ثم: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه. كتبه علي النشبي".

فهو السميع لنفسه، البصير لنفسه، العالم لنفسه، وهكذا كل ما تسميه به أو تصفه أو تتعته، إن كنت ممن يسيء الأدب مع الله، حيث يطلق لفظ صفة على ما نسب إليه أو لفظ نعت، فإنه ما أطلق على ذلك إلا لفظ اسم، فقال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾¹ و﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾² و﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾³ وقال في حق المشركين: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾⁴ وما قال: صفوهم ولا انتوهم، بل قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁵ فنزه نفسه عن الوصف لفظا ومعنى، إن كنت من أهل الأدب والتفطن. فهذا معنى قولي: "إن كنت ممن يسيء الأدب مع الله".

والخالف لنا يقول: إنه يعلم بعلم، ويقدر بقدرة، ويصير بيبصر، وهكذا جميع ما يتسنى به إلا صفات التنزيه، فإنه لا يتكلم فيها بهذا النوع؛ كالغني وأشباهه إلا بعضهم، فإنه جعل ذلك كله معاني قائمة بذات الله، لا هي هو ولا هي غيره، ولكن هي أعيان زائدة على ذاته.

والأستاذ أبو إسحق جعل (الصفات) السبعة أصولا أعيانا زائدة على ذاته، اتصفت بها ذاته، وجعل كل اسم بحسب ما تعطيه دلالاته. فجعل صفات التنزيه كلها في جدول الاسم الحي، وجعل الخبر والحسيب والعليم والحصي وإخوانه في جدول العلم، وجعل الاسم الشكور في جدول الكلام، وهكذا الحق الكل؛ كل صفة من السبعة ما يليق بها من الأسماء بالمعنى، كالحالق والرازق للقدرة، وغير ذلك على هذا الأسلوب، هذا مذهب الأستاذ.

وأجمع المتكلمون من الأشاعرة، على أن تمّ أموراً زائدة على الذات، ونصبوا على ذلك أدلة. ثمّ إنهم مع إجماعهم على الزائد، لم يجدوا دليلاً قاطعاً على أنّ هذا الزائد على الذات؛ هل هو عين واحدة لها أحكام مختلفة؟ وإن كان زائداً لا بدّ من ذلك؟ أو هل هذا الزائد أعياناً متعدّدة؟. لم يقل حاذقوهم في ذلك شيئاً. بل قال: يمكن أن يكون الأمر في نفسه، أن يرجع إلى عين واحدة، ويمكن أن يرجع إلى أعيان مختلفة، إلا أنه زائد ولا بدّ.

ولا فائدة جاء بها هذا المتكلم إلا عدم التحكّم؛ فإنّ⁷ الذات إذا قبلت عيناً واحدة زائدة، جاز أن تقبل عيناً كثيرة زائدة على ذاتها، فتكون القدماء لا يُخضون كثرة، وهو مذهب أبي بكر بن الطيّب. والخلاف

[1] الأعلى : 1

[2] الرحمن : 78

[3] الأعراف : 180

[4] الرعد : 33

[5] الصفات : 180

6 ص 88

7 ص 89

في ذلك يطول، وليس طريقنا على هذا بُني، أعني في الردّ عليهم ومنازعتهم.

لكن طريقنا تبيين ماخذ كلّ طائفة، ومن أين انتحلته في نحلتها؟، وما تجلّى لها؟، وهل يؤثر ذلك في سعادتها أو لا يؤثر؟ هذا حظّ أهل طريق الله من العلم بالله، فلا نشغل بالردّ على أحد من خلق الله، بل ربما نقيم لهم العذر في ذلك للاتّساع الإلهي، فإنّ الله أقام العذر فيمن يدعو مع الله إليها آخر، ببرهان يرى أنّه دليل في زعمه، فقال عزّ من قائل: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾¹.

ومن أصولهم الأدب مع الله -تعالى- فلا يستونونه إلا بما سمى به نفسه ولا يضيفون إليه إلا ما أضافه إلى نفسه. كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، وقال في السيئة: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾. ثم قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾² قال ذلك في الأمرين إذا جمعتهما، لا تقل: "من الله" فراعى اللفظ.

واعلم أنّ لجمع الأمر حقيقة تخالف حقيقة كلّ مفرد، إذا انفرد ولم يجتمع مع غيره، كسواد المداد بين العفص والزاج، ففصل سبحانه- بين ما يكون منه³ وبين ما يكون من عنده، يقول تعالى- في حقّ طائفة مخصوصة: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁴ بينية المفاضلة، ولا مناسبة. وقال في حقّ طائفة أخرى معيّنة صفتها: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁵ فما هو عنده ما هو عين ما هو منه ولا عين هويته، فبين الطائفتين ما بين المتزلتين.

كما قيل لواحد: «ما تركت لأهلك؟ قال: الله ورسوله. وقيل للآخر: فقال: نصف مالي. فقال: بينكما ما بين كلمتيكما». يعني في المنزلة. فإذا أخذ العبد من كلّ ما سواه، جعله في الله ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ وإذا أخذه من وجه من العالم يقتضى الحجاب والبعد والذمّ، جعله في ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ "خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ فيزّ المراتب.

ثمّ إنّه سبحانه- عرفنا بأهل الأدب ومنزلتهم من العلم به، فقال عن إبراهيم خليله إنّه قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يُعِيدُنِي. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾⁶ ولم يقل: يجوعني ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم يقل: أمرضني ﴿فَهُوَ يَشْفِينِي﴾⁷ فأضاف الشفاء إليه والمرض لنفسه، وإن كان الكلّ من عنده، ولكنّه تعالى- هو أدب رُسُلّه، إذ كان المرض لا تقبله النفوس بخلاف الموت.

[1] المؤمنون : 117

[2] النساء : 79

[3] ص 89 ب

[4] طه : 73

[5] القصص : 60

[6] الشعراء : 78، 79

[7] الشعراء : 80

فإنّ الفضلاء من العقلاء العارفين يطلبون الموت للتخلّص من هذا الحبس، وتطلبه الأنبياء للقاء الله الذي يتضمّنه، وكذلك أهل الله، ولذلك¹ ما خيّر نبيّ في الموت إلاّ اختاره؛ لأنّ فيه لقاء الله، فهو نعمة منه عليه وممّته، والمرض شغل شاغل عن أداء ما أوجب الله على العبد أداءه من حقوق الله، لإحساسه بالألم وهو في محلّ التكليف، وما يحسّ بالألم إلاّ الروح الحيواني، فيشغل الروح المدبّر لجسده عمّا دعي إليه في هذه الدنيا، فلهذا أضاف المرض إليه، والشفاء أو الموت للحقّ.²

كما فعل صاحب موسى ﷺ في إضافة خرق السفينة إليه، إذ جعل خرقها عيباً، وأضاف قتل الغلام إليه وإلى ربه لما فيه من الرحمة بأبويه، ولما ساءهما من ذلك أضافه إليه، وأضاف إقامة الجدار إلى ربه لما فيه من الصلاح والخير، فقال تعالى- عن عبده خضر- في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا³ تَزْيِهَا أَنْ يَضِيفَ إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي مَا ظَاهِرُهُ ذَمٌّ فِي الثَّرْفِ وَالْعَادَةِ، وَقَالَ فِي إِقَامَةِ الْجِدَارِ لَمَّا جَعَلَ إِقَامَتَهُ رَحْمَةً بِالْيَتِيمِينَ، لَمَّا يَصِيبَانَهُ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي هُوَ الْكَفْرُ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ⁴ أَنْ يَخْبِرَ مُوسَى ﷺ: ﴿أَنْ يَتَلَمَّأَ أَشَدُّهَا وَيَسْتَخْرِجَ كَثْرَتَهَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ⁴، وَقَالَ لِمُوسَى فِي حَقِّ الْغَلَامِ: إِنَّهُ طُبِعَ كَافِرًا، وَالْكَفْرُ صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ⁵ وَأَرَادَ أَنْ يَخْبِرَهُ بِأَنَّ اللَّهَ يَبْدُلُ أَبِيهِ ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا⁷.

فأراد أن يضيف ما كان في المسألة من العيب في نظر موسى ﷺ حيث جعله نكراً من المنكر، وجعله نفساً زاكية قُتلت بغير نفس. قال: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا⁸ فَأَتَى بَنُونَ الْجَمْعِ. فَإِنَّ فِي قَتْلِهِ أَمْرَيْنِ: أَمْرًا⁹ إِلَى الْخَيْرِ، وَأَمْرًا¹⁰ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فِي نَظَرِ مُوسَى، وَفِي مُسْتَقَرِّ الْعَادَةِ. فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ فِي هَذَا الْفِعْلِ فَهُوَ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ ضَمِيرُ النَّوْنِ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ نُكْرٍ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ وَفِي نَظَرِ مُوسَى ﷺ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَانَ لِلْخَضِرِ مِنْ حَيْثُ ضَمِيرِ النَّوْنِ. فَنَوْنُ الْجَمْعِ لَهَا وَجْهَانِ لَمَّا فِيهَا مِنْ الْجَمْعِ: وَجْهٌ إِلَى الْخَيْرِ بِهِ أَضَافَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ، وَوَجْهٌ إِلَى الْعَيْبِ، بِهِ أَضَافَ الْعَيْبَ إِلَى نَفْسِهِ.

وجاء بهذه المسألة، والواقعة في الوسط لا في الطرف بين السفينة والجدار، ليكون ما فيها من عيب من جهة السفينة وما فيها من خير من جهة الجدار. فلو كانت مسألة الغلام في الطرف ابتداءً أو انتهاءً، لم

1 ص 90

2 في الهامش: "أحمد، ومحمد بن زرافة".

3 [الكهف: 79]

4 [الكهف: 82]

5 [الزمر: 7]

6 ص 90

7 [الكهف: 81]

8 [الكهف: 81]

9 ق: أمر

10 ق: وأمر

تعط الحكمة أن يكون كل وجه مخلصاً من غير أن يشوبه شيء من الخير أو ضده، فلو كان أولاً وكانت السفينة وسطاً، لم يصل ما في مسألة الغلام من الخير الذي له ولأبويه، حتى يمر على حضرة معيبة ظاهراً وهي السفينة وحينئذ¹ يتصل² بالخير الذي في الجدار. ولو كان الجدار وسطاً وتأخر حديث الغلام لم يصل عيب السفينة إلى الاتصال بعيب الغلام³ حتى يمر بخير ما في الجدار، فيمرّ بغير المناسب. ومن شأن الحضرات أن تقلب أعيان الأشياء، أعني صفاتها إذا مرت بها، فكانت مسألة الغلام وسطاً، فيلي وجه العيب جهة السفينة، ويلي وجه الخير جهة الجدار، واستقامت الحكمة.

فإن قلت: فلم جمع بين الله وبين نفسه في ضمير النون، أعني نون ﴿فَأَرْذَنَّا﴾ وقال ﷺ لما سمع بعض الخطباء وقد جمع بين الله تعالى - ورسول الله ﷺ في ضمير واحد في قوله: "ومن يعصها": «بنس الخطيب أنت»؟ فاعلم أنه من الباب الذي قررناه، وهو أنه لا يضاف إلى الحق إلا ما أضافه الحق إلى نفسه، أو أمر به رسوله أو من آتاه علماً من لده، كالحضر المنصوص عليه. فهذا من ذلك الباب. فلما كان هذا الخطيب عرياناً من العلم اللدني، ولم يكن رسول الله ﷺ تقدّم إليه في إياحة مثل هذا، لهذا ذمّه، وقال: «بنس الخطيب أنت» فإنه كان ينبغي له أن لا يجمع بين الحق والخلق في ضمير واحد، إلا بإذن إلهي من رسول أو علم لدني، ولم يكن واحد من هذين الأمرين عنده، فلهذا ذمّه رسول الله ﷺ.

وقد⁴ قال رسول الله ﷺ في حديث رويناه عنه في خطبة خطبها فذكر الله تعالى - فيها وذكر نفسه ﷺ ثم جمع بين ربه تعالى - وبين نفسه فيها في ضمير واحد، فقال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصها فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً» ﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾ ﷺ: ﴿عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَخْيٌ يُوحَىٰ﴾⁵ وكذا قال الحضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾⁶ يعني جميع ما فعله من الأعمال، وجميع ما قال من الأقوال في العبارة لموسى عليه السلام عن ذلك فافهم.

فهذا، قد أبنت لك عن أصولهم ما فيه كفاية. فالركبان هم المرادون الجذوبون، المصونة أسرارهم في البيض، فلا يتخللها هواء، مثل القاصرات الطرف من الحور، المقصورات في الخيام ﴿كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾⁷.

1 أضيف في الهامش: "الجمال، والحلال".

2 ص 91

3 "لم يصل.... الغلام" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

4 ص 91

5 [النجم : 3، 4]

6 [الكهف : 82]

7 [الصافات : 49]

ومن صفاتهم؛ أنهم لا يكشفون وجوههم عند النوم، ولا ينامون إلا على ظهورهم، لهم التلقي. لا يتحركون إلا عن أمر إلهي، ولا يسكنون إلا كذلك، بإرادته. إرادتهم ما يراد بهم. ولما كان السكون أمرا عديمًا، انلك قرنا به الإرادة دون الأمر، ولما كان التحرك أمرا وجوديًا، لملك قرنا به الأمر الإلهي إن فهمت.

وهم ﷺ لا يزاجون ولا يزاجون، أكثر ما يجري على ألسنتهم: "ما شاء الله"، سُخِّرَتْ لهم السحاب، لهم القدم الراسخة في علم الغيوب، لهم في كل ليلة معراج روحاني، بل في كل نومة من ليل أو نهار، لهم استشراف على بواطن العالم؛ فأروا ملكوت السماوات والأرض، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونِ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾² وقال في حق رسول الله ﷺ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا خَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾³ وهو عين إسرته. و«العلماء ورثة الأنبياء».

أحوالهم الكتمان؛ لو قُطِعُوا إربا إربا ما عُرِفَ ما عندهم، لهذا قال خضر: ﴿مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾⁴ فالكتمان من أصولهم، إلا أن يؤمروا بالإفشاء والإعلان، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ص 92

2 [الأنعام : 75]

3 [الإسراء : 1]

4 [الكهف : 82]

5 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش بقلم ابن العربي: "بلغ قراءة الظهير محمود علي. وكتب ابن العربي".

الباب الثاني والثلاثون
في معرفة الأقطاب المدبرين
أصحاب الركاب من الطبقة الثانية

إِنَّ التَّدْبِيرَ مَغْشُوقٌ لِصَاحِبِهِ بِهِ تَشَقَّتِ الأَسْمَاءُ وَالتَّوَلُّ
عَلَيْهِ عِنْدَ الَّذِي تَقْضِي- سَوَالِفُهُ فِي كُلِّ مَا يَقْتَضِيهِ كَوْنُهُ الْعَمَلُ
بِهِ تَرْتَبُ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ عَجَبٍ فَكُلُّ كَوْنٍ لَهُ فِي عِلْمِهِ أَجَلُ

لقيت من هؤلاء الطبقة جماعة بأشبيلية من بلاد الأندلس. منهم أبو يحيى الصنهاجي الضرير؛ كان يسكن بمسجد الزبيدي، صحبته إلى أن مات، ودُفن بجبل عال كثير الرياح بالشرف²، فكلُّ الناس شقُّ عليهم صعود الجبل، لطوله وكثرة رياحه، فسكَّن الله الريح، فلم تهبَّ من الوقت الذي وضعناه في الجبل، وأخذ الناس في حفر قبره وقطع حجره، إلى أن فرغنا منه وواريناه روضته وانصرفنا، فعند انصرافنا هبت الريح على عاداتها، فتعجَّب الناس من ذلك.

ومهم أيضا صالح البربري وأبو عبد الله الشرفي وأبو الحجاج يوسف الشُّبْرَيْلِي. فأما صالح فساح أربعين سنة، ولزم بأشبيلية مسجد الرُّطَنْدَائِي أربعين سنة على التجريد، بالحالة التي³ كان عليها في سياحته. وأما أبو عبد الله الشرفي فكان صاحب خطوة؛ بقي نحوًا من خمسين سنة ما أسرح له سراجا في بيته، رأيت له عجائب. وأما أبو الحجاج الشُّبْرَيْلِي من قرية يقال لها: شُبْرَيْل بِشَرْفِ أَشْبِيلِيَّة؛ كان ممن يمشي على الماء، وتُعَاشِرُهُ الأرواح. وما من واحد من هؤلاء إلا وعاشرته معاشرة مودَّة وامتراج ومحبة منهم فينا. وقد ذكرناهم مع أشياخنا في "الدرة الفاخرة" عند ذكرنا "من انتفعت به في طريق الآخرة".

فكان هؤلاء الأربعة من أهل هذا المقام، وهم من أكبر الأولياء الملامية، جعل بأيديهم علم التدبير والتفصيل؛ فلهم الاسم المدبر المفضل، وهجَّيرهم: (يُدْبِرُ الأَمْرَ يَقْضِي الأَيَاتِ) ⁴ هم المرانس أهل المنصَّات، فلهم الآيات المعتادة وغير المعتادة. فالعالم كله عندهم آيات بينات، والعامَّة ليست الآيات عندهم إلا التي هي غير معتادة، فتلك تنبهم إلى تعظيم الله.

والله قد جعل الآيات المعتادة لأصناف مختلفين من عباده؛ فمنها للعقلاء مثل قوله تعالى: (وَإِنَّ فِي

1 ص 92

2 شرف الجبل: قته.

3 ص 93

4 [الرعد: 2]

خَلَقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْتِا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيحِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ² فَمَثَ آيَاتِ الْعُقُلَاءِ كُلَّهَا مَعْتَادَةً. وَآيَاتِ الْمَوْقِنِينَ. وَآيَاتِ الْأُولِيِّ الْبَابِ. وَآيَاتِ الْأُولِيِّ النَّهْيِ. وَآيَاتِ السَّمَاعِينَ؛ وَهُمْ أَهْلُ الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ. وَآيَاتِ الْعَالَمِينَ. وَآيَاتِ الْعَالَمِينَ. وَآيَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. وَآيَاتِ الْمُتَفَكِّرِينَ. وَآيَاتِ أَهْلِ التَّذَكُّرِ.

فَهَوْلَاءُ كُلَّهُمْ أَصْنَافٌ نَعَّمَهُمُ اللَّهُ بِنِعْمَتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَآيَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، كُلُّهَا ذَكَرَهَا لَنَا فِي الْقُرْآنِ، إِذَا بَحِثْنَا عَلَيْهَا وَتَدَبَّرْتَهَا عَلِمْتَ أَنَّهَا آيَاتٌ وَدَلَالَاتٌ عَلَى أُمُورٍ مُخْتَلِفَةٍ، تَرْجِعُ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، غُفِلَ عَنِ ذَلِكَ أَكْثَرَ النَّاسِ، وَلِهَذَا عَدَّدَ الْأَصْنَافَ.

فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْتَادَةِ، مَا يَدْرِكُ النَّاسُ دَلَالَتَهَا مِنْ كَوْنِهِمْ نَاسًا وَجِنًّا وَمَلَائِكَةً، وَهِيَ الَّتِي وَصَفَ بِإِدْرَاكِهَا الْعَالَمُ بِفَتْحِ اللَّامِ-. وَمِنَ الْآيَاتِ مَا تَغْمِضُ بِحَيْثُ لَا يَدْرِكُهَا إِلَّا مَنْ لَهُ التَّفَكُّرُ السَّلِيمُ. وَمِنَ الْآيَاتِ مَا هِيَ دَلَالَتُهَا مَشْرُوطَةٌ بِأُولِيِّ الْأَبَابِ، وَهُمْ الْعُقُلَاءُ النَّاطِرُونَ فِي لَبِّ الْأُمُورِ لَا فِي قَشُورِهَا، فَهَمُ الْبَاحِثُونَ عَنِ الْمَعَانِي، وَإِنْ كَانَتْ الْأَبَابُ وَالنَّهْيُ الْعَقُولَ. فَلَمْ يَكْتَفِ سُبْحَانَهُ³ بِلَفْظَةِ الْعَقْلِ حَتَّى ذَكَرَ الْآيَاتِ الْأُولِيِّ الْأَبَابِ. فَمَا كَلَّ عَاقِلٌ يَنْظُرُ فِي لَبِّ الْأُمُورِ وَبِوَاطِنِهَا؛ فَإِنَّ أَهْلَ الظَّاهِرِ لَمْ عَقُولَ بِلَا شَكِّ، وَلَيْسُوا بِأُولِيِّ الْأَبَابِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَضْلَةَ⁴ لَمْ عَقُولَ، وَلَكِنْ لَيْسُوا بِأُولِيِّ النَّهْيِ. فَاخْتَلَفَتْ صِفَاتُهُمْ إِذْ كَانَتْ كُلُّ صِفَةٍ تَعَطَّى صِنْفًا مِنَ الْعِلْمِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا لِمَنْ حَالُهُ تِلْكَ الصِّفَةِ، فَمَا ذَكَرَهَا اللَّهُ سُدَى.

وَكَثَّرَ اللَّهُ ذِكْرَ الْآيَاتِ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ؛ فَفِي مَوَاضِعٍ أَرَدَفَهَا وَتَلَا بَعْضُهَا بَعْضًا، وَأَرَدَفَ صِفَةَ الْعَارِفِينَ بِهَا. وَفِي مَوَاضِعٍ أَرَدَفَهَا. فَمِثْلُ إِرْدَافِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ؛ مَسَاقِفُهَا فِي سُورَةِ الرَّومِ، فَلَا يَزَالُ يَقُولُ تَعَالَى:- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ⁵﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ⁶﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ⁷﴾ فَيَتْلُوهَا⁸ جَمِيعُ النَّاسِ وَلَا يَتَنَبَّهَ لَهَا إِلَّا الْأَصْنَافُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي كُلِّ آيَةٍ خَاصَّةً، فَكَأَنَّ تِلْكَ الْآيَاتِ فِي حَقِّ أَوْلَئِكَ أَنْزَلَتْ آيَاتٍ، وَفِي حَقِّ غَيْرِهِمْ لِحُجْرَةِ التَّلَاوَةِ لِيُؤَجِّرُوا عَلَيْهَا.

وَلَمَّا قَرَأْتُ هَذِهِ السُّورَةَ وَأَنَا فِي مَقَامِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ؛ وَوَصَلْتُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ

1 ص 93

2 [البقرة : 164]

3 ص 94

4 التفضل، بالكسر: الفضل الضعيف الأحق. وقيل: هو الذي لا يتمالك حقًا، والأشقى فضلة. [لسان العرب]

5 [الروم : 20]

6 [الروم : 21]

7 [الروم : 22]

8 رسمها في ق أقرب إلى: فيتلوها

وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴿١﴾ تعجبت كل العجب، من حسن نظم القرآن وجميعه، ولماذا قدم ما كان ينبغي، في النظر العقلي، في ظاهر الأمر، أن يكون على غير هذا النظم. فإنَّ النهار لا ابتغاء الفضل، والليل للمنام، كما قال في القصص: ﴿وَمِنْ زَجَّتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾³ فأعاد الضمير على الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يريد في النهار فأضمر. وإن كان الضميران يعودان على المعنى المقصود. فقد يعمل الصانع بالليل ويبيع ويشترى بالليل. كما أنه ينام أيضا ويسكن بالنهار، ولكنَّ الغالب في الأمور هو المعتبر.

فلاح لي من خلف ستارة هذه الآية، وحسن العبارة عنها الرافعة سترها، وهو قوله: ﴿مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾⁴ أمر زائد على ما يفهم منه في العموم بقرائن الأحوال في ابتغاء الفضل للنهار والمنام لليل ما نذكره:

وهو أن الله تبه بهذه الآية على أن نشأة الآخرة الحسنية، لا تشبه هذه النشأة الدنيوية، وأنها ليست بعينها، بل تركيب آخر ومزاج آخر، كما وردت به الشرائع والتعريفات النبوية في مزاج تلك الدار، وإن كانت هذه الجواهر عينا بلا شك، فإنها التي تبعثر في القبور وتشر، ولكن يختلف التركيب والمزاج، بأعراض وصفات تليق بتلك الدار، لا تليق بهذه الدار، وإن كانت الصورة واحدة في العين والسمع والأنف والشم واليد والرجلين، بكمال النشأة، ولكنَّ الاختلاف بين؛ فمنه ما يشعر به ويحس، ومنه ما لا يشعر به. ولما كانت صورة الإنشاء في الدار الآخرة⁵ على صورة هذه النشأة، لم يشعر بما أشرنا إليه. ولما كان الحكم يختلف، عرفنا أن المزاج اختلف. فهذا الفرق بين حظ الحس والعقل.

فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾⁶ ولم يذكر اليقظة وهي من جملة الآيات. فذكر المنام دون اليقظة في حال الدنيا. فدل على أن اليقظة لا تكون إلا عند الموت، وأن الإنسان نائم أبدا ما لم يمت، فذكر أنه في منام بالليل والنهار في يقظته ونومه، وفي الخبر: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

ألا ترى أنه لم يأت بالباء في قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ﴾ واكتفى بباء الليل، ليحقق بهذه المشاركة، أنه يريد المنام في حال اليقظة المعتادة، فحذفها مما يقوي الوجه الذي أبرزناه في هذه الآية.

فالمنام هو ما يكون فيه النائم في حال نومه، فإذا استيقظ يقول: "رأيت كذا وكذا"، فدل أن الإنسان في منام ما دام في هذه النشأة في الدنيا إلى أن يموت، فلم يعتبر الحق اليقظة المعتادة عندنا في العموم، بل جعل الإنسان في منام في نومه ويقظته كما أوردناه في الخبر النبوي من قوله ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا

[1] (الروم : 23)

2 ص 94

[3] (القصص : 73)

[4] (الروم : 23)

5 ص 95

[6] (الروم : 23)

انتبهوا» فوصفهم بالنوم في الحياة الدنيا.

والعامة¹ لا تعرف النوم في المعتاد، إلا ما جرت به العادة أن يستى نوما، فنبه النبي ﷺ بل صرح أن الإنسان في منام، ما دام في الحياة الدنيا، حتى ينتبه في الآخرة. والموت أول أحوال الآخرة. فصدق الله بما جاء به في قوله تعالى:- ﴿وَمِن آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ وهو النوم العادي ﴿وَالنَّهَارِ﴾ وهو هذا المنام الذي صرح به رسول الله ﷺ.

ولهذا جعل الدنيا عبرة؛ جسرا يُعبر؛ أي تعبر (الدنيا) كما تعبر الرؤيا التي يراها الإنسان في نومه، فكما أن الذي يراه الرائي في حال نومه ما هو مراد لنفسه، إنما هو مراد لغيره، فيعبر من تلك الصورة المرتبة في حال النوم إلى معناها المراد بها في عالم اليقظة، إذا استيقظ من نومه. كذلك حال الإنسان في الدنيا ما هو مطلوب للدنيا، فكّل ما يراه من حال وقول وعمل في الدنيا، إنما هو مطلوب للآخرة، فهناك يُعبر ويظهر له ما رآه في الدنيا. كما يظهر له في الدنيا إذا استيقظ ما رآه في المنام.

فالدنيا جسر يُعبر ولا يُعمر، كالإنسان في حال ما يراه في نومه يعبر ولا يعمر. فإنه إذا استيقظ لا يجد شيئا مما رآه من خير يراه أو شرّ، وديار وبناء وسفر، وأحوال حسنة أو سيئة، فلا بد أن يعبر له العارف بالعبارة² ما رآه، فيقول له: تدلُّ رؤياك لكذا على كذا.

فكذلك الحياة الدنيا منام؛ إذا انتقل إلى الآخرة بالموت لم ينتقل معه شيء مما كان في يده وفي حسّه من دار وأهل ومال، كما كان حين استيقظ من نومه لم ير شيئا في يده، مما كان له حاصلًا في رؤياه في حال نومه. فلماذا قال تعالى- إننا في منام بالليل والنهار، وفي الآخرة تكون اليقظة، وهناك تُعبر الرؤيا.

فمن تورّ الله عين بصيرته وعبر رؤياه هنا قبل الموت أفلح، ويكون فيها مثل³ من رأى رؤيا، ثم رأى في رؤياه أنه استيقظ، فيقص ما رآه، وهو في النوم على حاله؛ على بعض الناس الذين يراهم في نومه، فيقول: رأيت كذا وكذا فيفسره ويعبره له ذلك الشخص بما يراه في علمه بذلك، فإذا استيقظ حينئذ يظهر له أنه لم يزل في منام؛ في حال الرؤيا؛ وفي حال التعبير لها، وهو أصحّ التعبير.

وكذلك النطنّ اللبيب في هذه الدار، مع كونه في منامه، يرى أنه استيقظ، فيعبر رؤياه في منامه؛ لينتبه ويزدجر؛ ويسلك الطريق الأسدّ، فإذا استيقظ بالموت حمد رؤياه وفرح بمنامه، وأثمر(ث) له رؤياه خيرا. فلماذا الحقيقة ما ذكر الله في هذه الآية اليقظة، وذكر المنام، وأضافه إلينا بالليل والنهار، وكان ابتغاء

1 ص 95

2 ص 96

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

الفضل فيه، في ¹ حق من رأي في نومه أنه استيقظ في نومه، فيعبر رؤياه وهي حالة الدنيا، والله يلهمنا رُشد أنفسنا.

هذا من قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾² فهذا تفصيل آيات المنام بالليل والنهار والابتغاء من الفضل، وجعله آيات لقوم يسمعون، أي يفهمون. كما قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾³ أراد الفهم عن الله، وقال فيهم: ﴿صُمٌّ﴾ مع كونهم يسمعون ﴿بَنَمٌ﴾ مع كونهم يتكلمون ﴿عَمِيٌّ﴾ مع كونهم يصرون ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾⁴ فنتيكتك على ما أراد بالسمع والكلام والبصر هنا.

فهذه الطبقة الركابية الثانية؛ ماخذهم للأشياء على هذا الحد الذي ذكرناه في هذه الآية. وإنما ذكرنا هذا المأخذ لنعرفك بطريقتهم، فتبين لك منزلتهم من غيرهم. فلطأتهم بالآيات المنصوبة المعتادة وغير المعتادة - قائمة ناظرة إلى نفوس العالم، ناظرة إلى الوجوه الغرضية التي إليها يتوجهون، بسبب أغراضهم. ناظرة إلى الحدود الإلهية فيما إليه يتوجهون، لا يغفلون عن النظر في ذلك طرفة عين. ففعلتهم التي تقتضيها جبلتهم؛ إنما متعلقها منهم عما ضمن لهم. فهم متيقظون فيما طلب منهم، غافلون عما ضمن لهم، حتى لا يخرجون عن حكم الغفلة، فإنها من جبلة الإنسان.

وغير هذه الطائفة صرفتها الغفلة عما يراد منها⁵. فإن كان الذي يقع إليه التوجه طاعة، ظنوا في دقائق تحصيلها، ونظروا إلى الأمر الإلهي الذي يناسبها، والاسم الإلهي الذي له السلطان عليها. فيفضل لهم الأمر الإلهي الآيئة التي يطلبونها. فإن كانت الآيئة معتادة مثل اختلاف الليل والنهار وتسخير السحاب وغير ذلك من الآيات المعتادة التي لا خبر لنفوس العامة بكونها حتى يفقدوها، فإذا فقدوها حينئذ خرجوا للاستسقاء، وعرفوا في ذلك الوقت موضع دلالتها وقدرها، وأنهم كانوا في آية وهم لا يشعرون، فإذا جاءتهم وأمطروا عادوا إلى غفلتهم.

هذا حال العامة، كما قال الله فيهم معجلاً في هذه النار: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ فِيهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِن أُنْجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾⁶ ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾⁷ و﴿إِذَا هُمْ يَنْتَفُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾¹ يقول الله لهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نَبِّئُكُمْ

1 ص 96

2 [الرعد : 2]

3 [الأخلاق : 21]

4 [البقرة : 171]

5 ص 97

6 [يونس : 22]

7 [العنكبوت : 65]

عَلَى أَقْسَبِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا² وهكذا يقولون في النار ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّكُمْ³ قَالَ تَعَالَى -: ﴿وَلَوْ زُرْتُمْ لَفَعَدُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ﴾⁴ كما عاد أصحاب الفلک إلى⁵ شركهم وتبغيم بعد إخلاصهم لله.

فإذا ظنرت هذه الطائفة إلى هذه الآيات، أرسلوها مع أمرها الإلهي إلى حيث دعاها. وإن كانت الآية غير معتادة، نظروا أي اسم إلهي يطلبها؛ فإن طلبها القهار وإخوانه، فهي آية رهبة وزجر ووعيد؛ أرسلوها على النفوس. وإن طلبها أعني تلك الآية- الاسم اللطيف وإخوانه، فهي آية رغبة؛ أرسلوها على الأرواح، فأشرق لها نور شعثعاني على النفوس، فجنحت بذلك النفوس إلى بارئها، فرزقت التوفيق والهداية، وأعطيت التلذذ بالأعمال، فقامت فيها بنشاط، وتعمرت فيها من ملابس الكسل، وببغض إليها معاشره البطالين، وصحبة الغافلين اللآهين عن ذكر الله، ويكرهون الملأ والجلوة، ويؤثرون الانفراد والحلوة.

ولهذه الطبقة الثانية حقيقة ليلة القدر، وكشفيها وسرّها ومعناها، ولم فيها حكم إلهي اختصوا به، وهي حطهم من الزمان. فانظر ما أشرف مقامهم⁶ إذ حباهم الله من الزمان بأشرفه، فإنها ﴿حَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾⁷ فيه زمان رمضان ويوم الجمعة ويوم عاشوراء ويوم عرفة وليلة القدر. فكأنه قال: فتضاعف خيرها ثلاثا وثمانين ضعفا وثلث، لأنها ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، وقد تكون الأربعة الأشهر مما يكون فيها ليلة القدر⁸، فيكون التضعيف في كل ليلة قدر أربعة وثمانين ضعفا. فانظر ما في هذا الزمان من الخير، وبأي زمان حُصت هذه الطائفة، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁹.

اتهى الجزء الثامن عشر والحمد لله، يتلوه الجزء التاسع عشر.¹⁰

1 [يونس : 23]

2 [يونس : 23]

3 [الأهلام : 27]

4 [الأهلام : 28]

5 ص 97 ب

6 لم ترد في ق، وأثبتناها من س

7 [القدر : 3]

8 ص 98

9 [الأحزاب : 4]

10 بالهامش: "بلغ".

الجزء التاسع عشر¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الثالث والثلاثون

في معرفة أقطاب النيات وأسرارهم، وكيفية أصولهم، ويقال لهم: النياتيون

الرُّوحُ لِلْجَنَسِ وَالنِّيَاتُ لِلْعَمَلِ
فَتَبْصِرُ الرَّهْرَ وَالْأَشْجَارَ بَارِزَةً
كَذَاكَ تَخْرُجُ مِنْ أَعْمَالِنَا صَوْرًا
لَوْلَا الشَّرِيقَةُ كَانَ الْجِنْسُ يَخْجَلُ مِنْ
إِذْ كَانَ مُسْتَتَدُّ التَّكْوِينِ أَجْمَعُهُ
فَالزَّمْ شَرِيقَتَهُ تَنْقَمَ بِهَا سُورًا
مِثْلَ الْمُلُوكِ تَرَاهَا فِي أَسْرَتِهَا
نَحْيًا بِهَا كَحَيَاةِ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ
وَكُلُّ مَا تَخْرُجُ الْأَشْجَارُ مِنْ تَمَرٍ
لَهَا زَوَائِحُ مِنْ نَثْنٍ وَمِنْ عَطْرِ
أَغْرَافِهَا، هَكَذَا يَفْضِي بِهِ نَظْرِي
لَهُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ النَّعْمِ وَالضَّرِّ
تَحْلَهَا صَوْرًا تَزْهُو عَلَى سُورِ
أَوْ كَالْفَرَائِسِ مَعْشُوقِينَ لِلْبَصْرِ

روينا³ من حديث رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يترؤجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» رواه عمر بن الخطاب ؓ.

اعلم أن لمراعاة النيات رجالا على حال مخصوص ونعمت خاص، أذكرهم -إن شاء الله- وأذكر أحوالهم. والنية لجميع الحركات والسكنات في المكلفين للأعمال (هي) كالمطر لما تثبتته الأرض. فالنية من حيث ذاتها واحدة، وتختلف بالمتعلق وهو المنوي، فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها. فإن حظ النية إنما هو القصد للفعل أو تركه. وكون ذلك الفعل حسنا أو قبيحا، وخيرا أو شرا؛ ما هو من أثر النية، وإنما هو من أمر عارض عرض، ميزه الشارع وعينه للمكلف، فليس للنية أثر ألبتة من هذا الوجه خاصة.

كالماء إنما منزلته أن ينزل أو يسبح في الأرض. وكون الأرض الميتة تحيا به، أو ينهدم بيت المعجوز

1 العنوان ص 98

2 البسمة ص 99

3 ص 99

الفيرة بتزوله، ليس ذلك له. فتخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة، والثمرة الطيبة والحبيثة، من خبث مزاج البقعة أو طيبها، أو من خبث البزرة¹ أو طيبها، قال تعالى: ﴿تُنشَأُ بِمَاءٍ وَّاحِدٍ وَنُقْضَلُ بِفَضْحَةٍ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾² ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

فليس للنية في ذلك إلا الإمداد، كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾³ يعني المثل المضروب به في القرآن، أي بسببه، وهو من القرآن. فكما كان الماء سببا في ظهور هذه الروائح المختلفة والطعوم المختلفة، كذلك هي النيات سبب في الأعمال الصالحة وغير الصالحة.

ومعلوم أن القرآن مهداة كله، ولكن بالتأويل، في المثل المضروب؛ ضلّ من ضلّ، وبه اهتدى من اهتدى. فهو من كونه مثلا لم تتغير حقيقته، وإنما العيب وقع في عين الفهم. كذلك النية أعطت حقيقتها، وهو تعلقها بالمنوي، وكون ذلك المنوي حسنا أو قبيحا ليس لها، وإنما ذلك لصاحب الحكم فيه بالحسن والقبح، وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي بيّنا له طريق السعادة والشقاء، ثم قال: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾⁴ هذا راجع للمخاطب المكلف. فإن نوى الخير أثمر خيرا، وإن نوى الشر أثمر شرا. فما أتى عليه إلا من الحل؛ من طيبه أو خبيثه.

يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَضُ السَّبِيلِ﴾⁵ أي هذا أوجبه على نفسي، كأن الله يقول: الذي يلزم جانب الحق منكم (هو) أن يبين لكم السبيل الموصل إلى سعادتكم، وقد فعلت، فإنكم لا تعرفونه إلا بإعلامي لكم به وتبييني".

وسبب ذلك أنه سبق في العلم أن طريق سعادة العباد إنما هو في سبب خاص. وسبب شقائهم أيضا إنما هو في طريق خاص. وليس إلا العدول عن طريق السعادة، وهو الإيمان بالله، وبما جاء من عند الله، بما الزمناء فيه الإيمان به. ولما كان العالم في حال جهل، بما في علم الله من تعيين تلك الطريق، تعين الإعلام به بصفة الكلام، فلا بدّ من الرسول، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ نُنَبِّئَ رَسُولًا﴾⁶ ولا نوجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه، وقد أوجب التعريف على نفسه بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَضُ

1 ص 100

2 [الزهد : 4] وتسقى وضا لقراءة ورش، وعند خصص: يسقى

3 [البقرة : 26]

4 [الإنسان : 3]

5 [النحل : 9]

6 ص 100 ب

7 [الإسراء : 15]

السبيل ﴿ مثل قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾¹ وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾².

وعلى الحقيقة؛ إنما وجب ذلك على النسبة لا على نفسه، فإنه يتعالى أن يجب عليه شيء من أجل حدّ الواجب الشرعيّ، فكأنه لما تعلق العلم الإلهيّ أزلا بتعيين الطريق التي فيها سعادتنا، ولم يكن للعلم بما هو علم - صورة التبليغ، وكان التبليغ من صفة الكلام، تعين التبليغ على نسبة كونه متكلمًا، بتعريف الطريق التي فيها سعادة العباد التي عيّن بها العلم، فأبان الكلام الإلهيّ بترجمته عن العلم ما عيّنهُ من³ ذلك. فكان الوجود على النسبة، فإنها نسب مختلفة. وكذلك سائر النسب الإلهية من إرادة وقدرة وغير ذلك.

وقد بيّنا محاضرة الأسماء الإلهية، ومحاورتها ومجاراتها في حلّة المناظرة على إيجاد هذا العالم، الذي هو عبارة عن كلّ ما سوى الله في كتاب "عقائد مغرب" بؤبنا عليه "محاضرة أزلية على نشأة أبدية"، وكذلك في كتاب "إنشاء الجداول والدوائر" لنا.

فقد علمت كيف تعلق الوجود الإلهيّ على الحضرة الإلهية، إن كثرت فطنا لعلم النسب. وعلى هذا يخرج قوله تعالى:- ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾⁴ وكيف يحشر إليه من هو جليسه وفي قبضته؟ سمع أبو يزيد البسطامي قارئًا يقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ فبكى، حتى ضرب الدمع المنبر، بل روي أنّه طار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر وصاح، وقال: "يا عجبا كيف يحشر إليه من هو جليسه؟!".

فلما جاء زماننا، سُئلنا عن ذلك. فقلنا: "ليس العجب إلا من قول أبي يزيد! فاعلموا إنما كان ذلك لأنّ المتقي جليس الجبار، فينتهي سطوته. والاسم الرحمن ما له سطوة من كونه الرحمن؛ إنما الرحمن يعطي اللين واللطف والعمو والمغفرة. فلنلك يحشر إليه⁵ من الاسم الجبار، الذي يعطي السطوة والهيبة، فإنه (أي الاسم الجبار) جليس المتقين في الدنيا من كونهم متقين".

وعلى هذا الأسلوب تأخذ الأسماء الإلهية كلّها، وكذا تجدها حيث وردت في السنة النبوت. إذا قصدت حقيقة الاسم وتمييزه من غيره، فإنّ له دالتين: دلالة على المسقى به، ودلالة على حقيقته التي بها يتميّز عن اسم آخر، فافهم.

1 [الروم : 47]

2 [الأعام : 54]

3 ص 101

4 [مرم : 85]

5 ص 101 ب

واعلم أنّ هؤلاء الرجال، إنما كان سبب اشتغالهم بمعرفة النية، كونهم نظروا إلى الكلمة وفيها، فعلموا أنّها ما ألّفت حروفها وجمعت إلّا لظهور نشأة قائمة، تدلّ على المعنى الذي جمعت له في الاصطلاح. فإذا تلفظ بها المتكلم، فإنّ السامع يكون همه في فهم المعنى الذي جاءت له، فإنّ بذلك تقع الفائدة، ولهذا وُجدت في ذلك اللسان على هذا الوضع الخاص.

ولهذا لا يقول هؤلاء الرجال بالسمع المقيّد بالنغمات لعلّو همهم، ويقولون بالسمع المطلق. فإنّ السماع المطلق لا يؤثر فيهم إلّا فهم المعاني، وهو السماع الروحاني الإلهي، وهو سماع الأكبر. والسمع المقيّد إنّما يؤثر في أصحابه النغم، وهو السماع الطبيعي. فإذا ادّعى من ادّعى، أنّه يسمع في السماع المقيّد بالألحان المعنى، ويقول: لولا المعنى ما تحركت، ويدّعي¹ أنّه قد خرج عن حكم الطبيعة في ذلك، يعني في السبب الحرك، وقد رأينا من ادّعى ذلك من المتشيعين المتطقلين على الطريقة، فصاحب هذه الدّعى؛ إذا لم يكن صادقاً، (يكون) سريع الفضيحة.

وذلك إنّ هذا المدّعي، إذا حضر مجلس السماع، فاجعل بالك منه. فإذا أخذ القول في القول بتلك النغمات المحركة بالطبع للمزاج القابل أيضاً، وسرت الأحوال في النفوس الحيوانية، فحزّت الهياكل حركة دورية لحكم استدارة الفلك، وهو أعني الدور، بما يدلّك على أنّ السماع طبيعي. لأنّ اللطيفة الإنسانية ما هي عن الفلك، وإنّما هي عن الروح المنفوخ منه، وهي غير متحيّزة، فهي فوق الفلك، فما لها في الجسم تحريك دوري، ولا غير دوري، وإنّما ذلك للروح الحيواني الذي هو تحت الطبيعة والفلك. فلا تكن جاهلاً بنشأتك، ولا بمن يحركك.

فإذا تحرك هذا المدّعي، وأخذ الحال ودار، أو قفز إلى جمّة فوق من غير دور، وقد غاب عن إحساسه بنفسه وبالمجلس الذي هو فيه، فإذا فرغ من حاله ورجع إلى إحساسه، فاسأله: ما الذي حرّكه؟ فيقول: إنّ القول قال كذا وكذا. فهههه منه معنى كذا وكذا، فذلك المعنى حرّكي. فقل² له: ما حرّكك سيوى حسن النغمة، والفهم إنّما وقع لك في حكم التبعيّة، فالطبع حكم على حيوانيتك، فلا فرق بينك وبين الجمل في تأثير النغمة فيك. فيعزّ عليه مثل هذا الكلام، ويثقل.

ويقول لك: "ما عرفنتي، وما عرفت ما حرّكي". فاسكت عنه ساعة. فإنّ صاحب هذه الدّعى، تكون الغفلة مستولية عليه.

ثمّ خذ معه في الكلام الذي يعطي ذلك المعنى. فقل له: ما أحسن قول الله تعالى- حيث يقول، واتل

عليه آية من كتاب الله تتضمن ذلك المعنى الذي كان حركه من صوت المغني، وحققه عنده حتى يتحققه،
 فيأخذ معك فيه ويتكلم. ولا يأخذه لنلك حال، ولا حركة ولا فناء. ولكن يستحسنه ويقول: لقد تتضمن
 هذه الآية معنى جليلا من المعرفة بالله. فما أشد فضيحتة في دعواه.

فقل له: يا أخي؛ هذا المعنى بعينه هو الذي ذكرت لي أنه حركك في السماع البارحة، لما جاء به القول
 في شعره بنغمته الطيبة، فلائي معنى سرى فيك الحال البارحة، وهذا المعنى موجود فيما¹ قد صغته لك
 وسقته بكلام الحق تعالى- الذي هو أعلى وأصدق، وما رأيتك تهترئ مع الاستحسان وحصول الفهم،
 وكنت البارحة يتخبطك الشيطان من المس كما² قال الله تعالى-، وجبك عن عين الفهم السماع
 الطبيعي؟ فما حصل لك في سماعك إلا الجهل بك. فمن لا يفرق بين فهمه وحركته؛ كيف يرحى فلاحه؟.

فالسماع من عين الفهم هو السماع الإلهي، وإذا ورد على صاحبه وكان قويا، لما يرد به من الإجمال،
 غاية فعله في الجسم أن يضجعه لا غير، ويُغيبه عن إحساسه، ولا يصدر منه حركة أصلا، بوجه من
 الوجوه. سواء كان من الرجال الأكبر أو الصغار. هذا حكم الوارد الإلهي القوي. وهو الفارق بينه وبين
 حكم الوارد الطبيعي، فإن الوارد الطبيعي، كما قلنا، تحركه الحركة الدورية والهتان والتخبط؛ فعل الجنون.

وإنما يضجعه الوارد الإلهي لسببٍ أذكره لك؛ وذلك أن نشأة الإنسان مخلوقة من تراب، قال تعالى:
 ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾³ (الإنسان) وإن كان فيه من جميع العناصر، ولكن العنصر-
 الأعظم التراب، قال ﷻ فيه أيضا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾⁴ والإنسان في
 قعوده وقيامه، يُعد عن أصله الأعظم الذي منه نشأ، من أكثر جهاته، فإن قعوده وقيامه وركوعه فروع.

فإذا جاءه الوارد الإلهي، وللوارد الإلهي صفة القيومية، وهي⁵ في الإنسان من حيث جسميته بحكم
 العرض، وروحه المدبر هو الذي كان يقمه ويقعده. فإذا اشتغل الروح الإنساني المدبر عن تدبيره، بما
 يتلقاه من الوارد الإلهي، من العلوم الإلهية، لم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده، فرجع إلى
 أصله؛ وهو ألقوه بالأرض، المعبر عنه بالاضطجاع، ولو كان على سرير، فإن السرير هو المانع له من
 وصوله إلى التراب. فإذا فرغ روحه من ذلك التلقي، وصدر الوارد إلى ربه؛ رجع الروح إلى تدبير جسده؛
 فأقامه من ضجعتة. هذا سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم، عند نزول الوحي عليهم.

1 تايبة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

2 ص 103

3 [طه : 55]

4 [آل عمران : 59]

5 ص 103 ب

وما سُمع قط عن نبيٍّ، أنه تَخَبَّط عند نزول الوحي، هذا مع وجود الواسطة في الوحي، وهو الملك، فكيف إذا كان الوارد برفع الوسائط، لا يصحَّ أن يكون منه قط غيبة عن إحساسه، ولا يتغيَّر عن حاله الذي هو عليه. فإنَّ الوارد الإلهيَّ برفع الوسائط الروحانيَّة يسري في كليَّة الإنسان، وبأخذ كلِّ عضو، بل كلِّ جوهر فرد فيه، حظَّه من ذلك الوارد الإلهيَّ من لطيف وكثيف، ولا يشعر بذلك جليسه، ولا يتغيَّر عليه من حاله الذي هو عليه من جليسه شيء، إن كان يأكل بقي على¹ أكله في حاله أو شربه، أو حديثه الذي هو في حديثه. فإنَّ ذلك الوارد يعمُّ، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾² فمن كانت أبنيتُه، في ذلك الوقت حالة الأكل أو الشرب أو الحديث أو اللعب أو ما كان بقي على حاله.

فلما رأت هذه الطائفة الجليلة، هذا الفرق بين الواردات الطبيعيَّة والروحانيَّة والإلهيَّة، ورات أنَّ الالتباس قد طرأ على من يزعم أنه في نفسه من رجال الله تعالى-، أنفوا أن يتصفوا بالجهل والتخليط، فبأنه محلَّ الوجود الطبيعي، فارتقت همَّتهم إلى الاشتغال بالنيات، إذ كان الله قد قال لهم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ³ الْإِخْلَاصَ (هو) النِّيَّة، ولهذا قيدها بقوله: ﴿لَهُ﴾ ولم يقل: "مخلصين".

وهو من الاستخلاص؛ فإنَّ الإنسان قد يخلص نيَّته للشيطان ويسمى مخلصاً، فلا يكون في عمله لله شيء. وقد يخلص للشركة. وقد يخلص لله، فهذا قال تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الْبَيْنَ﴾⁴ لا لغيره، ولا لحكم الشركة.

فشغلوا نفوسهم بالأصل في قبول الأعمال وتبيل السعادات، وموافقة الطلب الإلهيَّ منهم، فيما كلَّفهم به من الأعمال الخالصة له، وهو المعبر عنه بالنيَّة، فنُسبوا إليها لغلبة شغلهم بها، وتحقَّقوا أنَّ الأعمال ليست مطلوبة لأنفسها⁵، وإنما هي من حيث ما قُصد بها، وهو النيَّة في العمل، كالمعنى في الكلمة، فإنَّ الكلمة ما هي مطلوبة لنفسها، وإنما هي لما تضمَّنَتْه.

فانظر يا أخي- ما أدقَّ نظر هؤلاء الرجال، وهذا هو المعبر عنه في الطريق بمحاسبة النفس، وقد قال رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا». ولقيتُ من هؤلاء الرجال اثنين: أبو عبد الله بن الجاهد، وأبو عبد الله بن قسوم، بأشبيلية، كان هذا مقاصم، وكانوا من أقطاب الرجال النجاشيين.

ولما شرعنا في هذا المقام تأسيًا بهما، وبأصحابه، وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ الواجب امتثاله في أمره:

1 ص 104

2 [الحديد : 4]

3 [البينة : 5]

4 [البينة : 5]

5 ص 104 ب

«حاسبوا أنفسكم» وكان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه، ويقيّدونه في دفتر. فإذا كان بعد صلاة العشاء، وخلّوا في بيوتهم؛ حاسبوا أنفسهم وأحضروا دفاترهم¹، ونظروا فيما صدر منهم في يومهم: من قول وعمل، وقابلوا كلّ عمل بما يستحقّه: إن استحقّ استغفاراً استغفروا، وإن استحقّ توبة تابوا، وإن استحقّ شكراً شكروا، إلى أن يفرغ ما كان منهم في ذلك اليوم، وبعد ذلك ينامون.

فردنا عليهم في هذا الباب بتقييد الخواطر، فكنا نقيّد² ما تحدّثنا به نفوسنا، وما تهمّم به، زائداً على كلامنا وأفعالنا، وكنت أحاسب نفسي مثلهم في ذلك الوقت، وأحضر الدفتر وأطالها بجميع ما خطر لها، وما حدّثت به نفسها، وما ظهر للحسّ من ذاك من قول وعمل، وما توتّه في ذلك الخاطر والحديث. فقلّت الخواطر والنفوس إلاّ فيما يعني. فهذا فائدة هذا الباب، وفائدة الاشتغال بالنيّة. وما في الطريق ما يفعل عنه أكثر من هذا الباب، فإنّ ذلك راجع إلى مراعاة الأنفاس وهي عزيزة.

وبعد أن عزفتك بأصول هذه الطائفة، وما سبب شغلهم بذلك، وآته لهم أمر شرعيّ، وما لهم في ذلك من الأسرار والعلوم، فاعلم أيضاً مقامهم في ذلك وما لهم. فهذه الطائفة على قلب يونس عليه السلام فإنه لما ذهب مغاضباً، وظنّ أنّ الله لا يضيّق عليه، لما عهده من سعة رحمة الله فيه، وما نظر ذلك "الأسع الإلهي الرحماني" في حقّ غيره، فتناله أمته واقتصر به على نفسه - والغضب ظلمة القلب - فأثرت لعلّ منصبه في ظاهره، فأسكن في ظلمة بطن الحوت، ما شاء الله، لينبّه الله على حالته حين كان جنينا في بطن أمه؛ من كان يدبّره فيه؟ وهل كان في ذلك الموطن³ يتصوّر منه أن يغاضب أو يغاضب؟ بل كان في كنف الله لا يعرف سيّو ربه، فردّه إلى هذه الحالة، في بطن الحوت، تعلّمها له بالفعل لا بالقول.

﴿فَتَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ عنرا عن أمته في هذا التوحيد، أي فعل ما تريد، وتبسّط رحمتك على من تشاء، ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁴ مشتقّ من الظلمة، أي ظلمتي عادت عليّ، ما أنت ظلمتني، بل ما كان في باطني سرّي إلى ظاهري، وانتقل النور إلى باطني فاستنار، فأزال ظلمة المغاضبة، وانتشر فيه نور التوحيد، وانبسّطت الرحمة، فسرى ذلك النور في ظاهره، مثل ما سرّ ظلمة الغضب.

فاستجاب له ربه فنجاه من الغمّ؛ فقدفه الحوت من بطنه، مولوداً على الفطرة السليمة، فلم يولد أحد

1 ق: دفترهم.

2 ص 105

3 ص 105 ب

4 [الأنبياء: 87]

من ولد آدم ولادتين سيوى يونس عليه السلام، فخرج ضعيفا كالطفل، كما قال: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾¹. ورباه بالقططين، فإن ورقه ناعم، ولا ينزل عليه ذباب، فإن الطفل لضعفه لا يستطيع أن يزيل الذباب عن نفسه، فغطاه بشجرة؛ خاصيتها أن لا يقربها ذباب، مع نعمة ورقها، فإن ورق اليقططين مثل القطن في النعمة، بخلاف سائر ورق الأشجار كلها، فإن فيها خشونة². فأنشأه الله تعالى نشأة أخرى.

ولما رأت هذه الطائفة أن يونس عليه السلام ما أتى عليه إلا من باطنه، من الصفة التي قامت به، ومن فضده؛ شغلوا نفوسهم بمحيص النيات، والقصد في حركاتهم كلها، حتى لا ينوون إلا ما أمرهم الله به أن ينووه ويقصدوه، وهذا غاية ما يقدر عليه رجال الله.

وهذه الطائفة في الرجال قليلون، فإنه مقام ضيق جدا، يحتاج صاحبه إلى حضور دائم، وأكبر من كان فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه في حرب الهمامة: "فما هو إلا أن رأيت أن الله تعالى قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق" لمعرفة عمر باشتغال أبي بكر بباطنه.

فإذا صدرت منه حركة في ظاهره، فما تصدر إلا من "إل" وهو عزيز. ولهذا كان من يفهم المقامات من المتقدمين من أهل الكتاب، إذا سمعوا أو يقال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا، يقولون: "هذا كلام ما خرج إلا من "إل" أي هو كلام إلهي ما هو كلام مخلوق". فانظر ما أحسن العلم، وفي أي مقام ثبتت هذه الطائفة³، وبأي قائمة استمسكت، جعلنا الله منهم؛ فجلب أعمالهم في الباطن. مساكن السائحين منهم: الفيران والكهوف، وفي الأمصار ما بناه غيرهم من عباد الله تعالى، لا يضعون لبنة على لبنة، ولا قصة على قصة، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن انتقل إلى ربه؛ ما بنى قط مسكنا لنفسه.

وسبب ذلك أنهم رأوا الدنيا جسرا منصوبا من خشب على نهر عظيم، وهم عابرون فيه، راحلون عنه. فهل رأيت أحدا بنى منزلا على جسر خشب؟ لا والله، ولا سبيما وقد عرف أن الأمطار تنزل، وأن النهر يعظم بالسيول التي تأتي، وأن الجسور تنقطع، فكل من بنى على جسر فإنما يعرض به للتلف.

فلو أن عمارة الدنيا يكشف الله عن بصيرتهم حتى يروها جسرا، ويروا النهر الذي بُنيث عليه، أنه خطر قوي، ما بنوا الذي بنوا عليه من القصور المشيدة. فلم تكن لهم عيون يبصرون بها أن الدنيا تنطرية خشب على نهر عظيم جزار، ولا كان لهم سمع يسمعون به قول الرسول؛ العالم بما أوحى الله إليه به: «إن

[الصفات : 145]

ص 2

ص 106 ب

الدنيا قنطرة» فلا بالإيمان عملوا، ولا على الرؤية والكشف حصلوا، فهم كما قال الله فيهم: ﴿وَحَسِبُوا آلَا تَكُونُ نِشْئَةً فَقَعْمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾² في حال سماعهم من الرسول ﷺ حين قال لهم: «إِنَّ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ» وأشبه ذلك. فلا تشغلوا نفوسكم بعبارتها وانفضوا، فما فرغ من قوله ﷺ حتى رجع كثير منهم إلى عمامهم وصممهم، مع كونهم مسلمين مؤمنين. فأخبر الله تعالى- نبيه بقوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾³ بعد التوبة. يقول: ما نفع القول فيهم. يا ولي؛ لو فرضنا أن الدنيا باقية، أَلَسْنَا نبصر- رحلتنا عنها جيلا بعد جيل؟.

فمن أحوال هذه الطائفة، مراعاتهم لقلوبهم، أسرارهم متعلقة بالله من حيث معرفة نفوسهم، لا اجتماع لهم بالنهار مع الغافلين، حركتهم ليلية؛ نظرهم في الغيب، الغالب عليهم مقام الحزن، فإنَّ الحزن إذا قُيد من القلب خرب، فالعارف يأكل الحلوى والعسل، والحقِّق الكبير يأكل الحنظل، كثير التنفيس، لا يلتذ بنعمة أبدا ما دام في هذه النار، لشغله بما كلفه الله من الشكر عليها. لقيتُ منهم بدنيسر عمر الفرقوي، ومدينة فاس عبد الله السقّاد.

العارفون؛ بالنظر إلى هؤلاء، كالأطفال الذين لا عقول لهم، يفرحون⁴ ويلتذون بخشاشه. فما ظنك بالمريدين، فما ظنك بالعامّة. لهم القدم الراسخة في التوحيد، ولهم المشافهة في الفهواتية، يقدمون النفي على الإثبات، لأنَّ التنزيه شأنهم كلفظة "لا إله إلا الله" وهي أفضل كلمة جاءت بها الرسل والأنبياء، توحيدهم كونيّ عقليّ، ليسوا من الهو في شيء، لهم الحضور التام على اللوام، وفي جميع الأفعال. اختصوا بعلم الحياة والإحياء، لهم اليد البيضاء، فيعلمون من الحيوان ما لا يعلمه بيوتاهم، ولا سيقا من كلّ حيوان يمشي- على بطنه، لقربه من أصله الذي عنه تكون.

فإنَّ كلّ حيوان يبعد عن أصله، ينقص من معرفته بأصله، على قدر ما بُعد منه. ألا ترى المريض الذي لا يقدر على القيام والقعود، ويبقى طريحا لضعفه وهو رجوعه إلى أصله- تراه فقيرا إلى ربه مسكينا، ظاهر الضعف والحاجة بلسان الحال والمقال. وذلك أنّ أصله حكم عليه، لَمَّا قَرَّبَ منه. يقول الله: ﴿وَخَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾⁵ وقال: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾⁶ فإذا استوى قائما، وبُعد عن أصله، تفرعن وتجبر، وأدعى القوة وقال: "أنا". فالرجل من كان مع الله في حال قيامه وصِحته كحاله في اضطجاعه من المرض والضعف،

1 ص 107

2 [المائدة : 71]

3 [المائدة : 71]

4 ص 107 ب

5 [الروم : 54]

6 [النساء : 28]

وهو عزيز.

لم البحث الشديد في النظر في أفعالهم، وأفعال¹ غيرهم معهم، من أجل النيات التي بها يتوجهون،
وإليها ينسبون لشدة بحثهم عنها، حتى تخلص لهم الأعمال، ويخلصوها من غيرهم. ولهذا قيل فيهم: النياتيون.
كما قيل: الملامية والصوفية، لأحوال خاصة هم عليها. فلهم معرفة الهاجس والهمة والعزم والإرادة والقصد،
وهذه كلها أحوال مقدمة للنية. والنية هي التي تكون منه عند مباشرة أفعاله، وهي المعتبرة في الشرع
الإلهي؛ ففيها يبحثون، وهي متعلق الإخلاص.

وكان عالمنا الإمام سهل بن عبد الله يدقق في هذا الشأن، وهو الذي تبه على نقر الخاطر، ويقول:
"إنّ النية هو ذلك الهاجس، وإنه السبب الأول في حدوث الهمّ والعزم والإرادة والقصد" فكان يعتمد عليه
وهو الصحيح عندنا، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

الباب الرابع والثلاثون

في معرفة شخص تحقق في منزل الأنفاس، فعين منها أموراً أذكرها إن شاء الله-

فَالعَرَضُ فِي حَقِّهِ إِنْ كَانَ إِنْسَانٌ	إِنَّ الْمُحَقَّقَ بِالْأَنْفَاسِ رَحْمَانٌ
لَهُ الْعَمَاءُ وَإِحْسَانٌ فَأِحْسَانٌ	وَإِنْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْعَيْنِ يَطْلُبُهَا
يَزُورُهُ فِيهِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانٌ	مَقَامُهُ بَاطِنُ الْأَغْرَافِ يَنْسَكُنُهُ
كَمَا لَهُ مِنْ وُجُودِ الْعَيْنِ إِنْسَانٌ	لَهُ مِنَ اللَّيْلِ إِنْ حَقَّقْتَ آخِرَهُ
أَوْ لَاحَ بَاطِنُهُ تَقُولُ: فُرْقَانٌ	إِنْ لَاحَ ظَاهِرُهُ تَقُولُ: فُرْقَانٌ
فَهُوَ الْكَمَالُ الَّذِي مَا فِيهِ نُضْضَانٌ	قَدْ جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ كُلَّ مَنْقَبَةٍ

اعلم أيديك الله بروح القدس- أن المعلومات مختلفة لأنفسها، وأن الإدراكات التي تترك بها المعلومات مختلفة أيضاً لأنفسها، كالمعلومات، ولكن من حيث أنفسها وذواتها، لا من حيث كونها إدراكات، وإن كانت مسألة خلاف عند أرباب النظر. وقد جعل الله لكل² حقيقة مما يجوز أن يُعلم إدراكاً خاصاً، عادة لا حقيقة، أعني محلها، وجعل المدرك بهذه الإدراكات لهذه المدركات عيناً واحدة.

وهي ستة أشياء: سمع، وبصر، وشم، ولس، وطعم، وعقل. وإدراك جميعها للأشياء، ما عدا العقل، ضروري. ولكن الأشياء التي ارتبطت بها عادة لا تخطئ أبداً، وقد غلط في هذا جماعة من العقلاء، ونسبوا الغلط للحس، وليس كذلك، وإنما الغلط للحاكم.

وأما إدراك العقل المعقولات، فهو على قسمين: منه (ما هو) ضروري مثل سائر الإدراكات، ومنه ما ليس بضروري، بل يفتقر في علمه إلى أدوات ست: منها الحواس الخمس³ التي ذكرناها، ومنها القوة المفكرة. ولا يخلو معلوم يصح أن يعلمه مخلوق (من) أن يكون مدركاً بأحد هذه الإدراكات.

وإنما قلنا: إن جماعة غلطت في إدراك الحواس، فنسببت إليها الأغاليط، وذلك أنهم رأوا إذا كانوا في سفينة تجري بهم مع الساحل، رأوا الساحل يجري بجري السفينة، فقد أعطاهم البصر ما ليس بحقيقة ولا معلوم أصلاً، فإنهم عالمون علماً ضرورياً، أن الساحل لم يتحرك من مكانه، ولا يقدر على إنكار ما

شاهدوه من التحرك. وكذلك¹ إذا طعموا سكرًا أو عسلا فوجوده مرًا وهو حلو، فعلموا ضرورة أن حاسة الطعم غلطت عندهم، ونقلت ما ليس بصحيح.

والأمر عندنا ليس كذلك، ولكنّ القصور والغلط وقع من الحاكم، الذي هو العقل لا من الحواس، فإنّ الحواس إدراكها لما تعطيه حقيقتها ضروري، كما أنّ العقل فيما يدركه بالضرورة لا يخطئ، وفيما يدركه بالحواس أو بالفكر قد يغلط، فما غلط حسّ قط، ولا ما هو إدراكه ضروري.

فلا شكّ أنّ الحس رأى تحركًا بلا شكّ، وطعم مرًا بلا شكّ، فأدرك البصر التحرك بذاته، وأدرك الطعم المرارة بذاته، وجاء عقلٌ فحكّم أنّ الساحل متحرك، وأنّ السكر مرّ، وجاء عقلٌ آخر وقال: "إنّ الخلط الصفراوي قام بمحلّ قوّة الطعم، فأدرك المرارة، وحال ذلك الخلط بين قوّة الطعم وبين السكر. فإنّ ذلك فما ذاق الطعم إلا مرارة الصفراء، فقد أجمع العقلان من الشخصين على أنّه أدرك المرارة بلا شكّ. واختلف العقلان فيما هو المدرك للطعم. فإنّ العقل غلط لا الحسّ، فلا ينسب الغلط أبدا في الحقيقة إلا للحاكم لا للشاهد.

وعندي في هذه المسألة أمر آخر يخالف ما ادّعوه؛ وهو أنّ الحلاوة التي في الحلو وغير ذلك من المطعومات ليس هو في المطعوم، لأمر² إذا بحثت عليه وجدت صحّة ما ذهبنا إليه. وكذا الحكم في سائر الإدراكات، ولو كان في العادة فوق العقل مدركٌ آخر يحكم على العقل ويأخذ عنه، كما يحكم العقل على الحسّ لغلط أيضا ذلك المدرك الحاكم فيما هو للعقل ضروري، وكان يقول: إنّ العقل غلط فيما هو له ضروري.

فإذا تهرّ هذا، وعرفت كيف ربّ الله المدركات والإدراكات، وأنّ ذلك الارتباط أمرٌ عاديّ، فاعلم أنّ الله عبدا آخرين، خرق لهم العادة في إدراكهم العلوم؛ فمنهم من يجعل له إدراك ما يدرك بجميع القوى، من المعقولات والمحسوسات بقوة البصر خاصّة؛ وآخر بقوة السمع، وهكذا بجميع القوى. ثمّ بأمور عرضيّة خلاف القوى من ضربٍ وحركة وسكون، وغير ذلك. قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله ضرب بين كفتي، فوجدت برد أنامله بين ثديي، فعلمت علم الأوّلين والآخرين» فدخل في هذا العلم كلّ معلوم معقول ومحسوس بما يدركه الخلق. فهذا علم حاصل، لا عن قوّة من القوى الحسيّة والمعنويّة.، فلماذا قلنا: إنّ ثمّ سببا آخر، خلاف هذه القوى تدرك به المعلومات.

وإنما قلنا: قد¹ تدرك العلوم بغير قواها المعتادة، فحكما على هذه الإدراكات لمدرجاتها المعتادة بالعادة، من أجل المتفرّس؛ فينظر صاحب الفراسة في الشخص، فيعلم ما يكون منه، أو ما خطر له في باطنه، أو ما فعل. وكذلك الزاجر وأشباهه.

وإنما جئنا بهذا كله تأنيسا لما نريد أن ننسبه إلى أهل الله، من الأنبياء والأولياء، فيما يدركونه من العلوم على غير الطرق المعتادة، فإذا أدركوها نُسبوا إلى تلك الصفة التي أدركوا بها المعلومات، فيقولون: فلان صاحب نظر، أي بالنظر يدرك جميع المعلومات، وهذا دُقتُه مع رسول الله ﷺ، وفلان صاحب سمع، وفلان صاحب طعم، وصاحب نَسْ وأَنفاس، يعني الشَم، وصاحب لمس، وفلان صاحب معنى. وهذا خارج عن هؤلاء، بل هو كما يقال² في العامة: صاحب فكر صحيح. فمن الناس من أعطي النظر إلى آخر القوى على قدر ما أعطي وهو له عادة إذا استمر ذلك عليه، لأنّه مشتقّ من العَوْد، أي يعود عليه ذلك في كلّ نظرة أو في كلّ شَم، ما تمّ غير ذلك.

وكذلك أيضا لتعلم أنّ الأسماء الإلهية مثل هذا، وإن كان كلّ اسم يعطى حقيقة خاصة. ففي قوّه أن يعطي كلّ واحد من الأسماء الإلهية ما تعطيه³ جميع الأسماء، قال تعالى: ﴿قُلْ اذْعُوا اللَّهَ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾⁴ وكذلك لو ذكر كلّ اسم، لقال فيه: إنّ له الأسماء الحسنَى، وذلك لأحدية المسقى، فاعلم ذلك.

فمن الناس من يختصّ به الاسم "الله" فتكون معارفه إلهية. ومنهم من يختصّ به الاسم "الرحمن" فتكون معارفه رحمانية، كما كانت في القوى الكونية يقال فيها: معارف هذا الشخص نظرية، وفي حقّ آخر: سمعية. فهو من عالم النظر وعالم السمع وعالم الأنفاس، هكذا تُنسب معارفه في الإلهيات إلى الاسم الإلهي الذي فُتح له فيه، فتندرج فيه حقائق الأسماء كلّها.

فإذا علمت هذا أيضا فاعلم أنّ الذي يختصّ بهذا الباب من الأسماء الإلهية لهذا الشخص المعين الاسم الرحمن، والذي يختصّ به من القوى فينسب إليها قوّة الشَم، ومتعلّقها الروائح وهي الأنفاس. فهو من عالم الأنفاس في نسبة القوى ومن الرحائيتين في مراتب الأسماء.

فنقول: إنّ هذا الشخص المعين في هذا الباب، سواء كان زيدا أو عمرا، أنّ معرفته رحمانية. فكلّ أمر

1 ص 110 ب

2 ق: يقول

3 ص 111

4 [الإسراء : 110]

ينسب إلى الاسم الرحمن في كتاب أو سته، فإنه يُنسب إلى هذا الشخص. فإنَّ هذا الاسم هو¹ المجدُّ له، وليس لاسم إلهي عليه حكمٌ إلاَّ بوساطة هذا الاسم، على أيِّ وجه كان.

ولهذا قول: إنَّ الله سبحانه- قد أبطنَ -في مواضع- رحمته في عذابه ونعمته، كالمرضى الذي جعل في عذابه بالمرض رحمته به، فيما يكفر عنه من الذنوب. فهذه رحمة في نقمة. وكذلك من انتقم منه في إقامة الحدِّ، من قتلٍ أو ضربٍ؛ فهو عذاب حاضر، فيه رحمة باطنة، بها ارتفعت عنه المطالبة في النار الآخرة. كما أنَّه في نعمته في الدنيا من الاسم المنعم أبطنَ نعمته؛ فهو ينعم الآن بما به يتمدِّب، لبطون العذاب فيه في النار الآخرة أو في زمان التوبة.

فإنَّ الإنسان إذا تاب ونظر، وفكَّر فيما تلذَّذ به من المحرِّمات، تعود تلك الصور المستحضرة عليه عذابا، وكان قبل التوبة حين استحضرها في ذهنه يلتذُّ بها غاية اللذة. فسبحان من أبطن رحمته في عذابه، وعذابه في رحمته، ونعمته في نعمته، ونعمته في نعمته، فالبطون أبدا هو روح العين الظاهرة، أيَّ شيء كان.

فهذا الشخص لما كانت معرفته رحانيَّة، وكان الاسم الرحمن استوى على العرش، فقال تعالى:- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾² كانت همته هذا الشخص عرشية، فكما كان العرش للرحمن، كانت المقمة لهذه المعرفة، محلاً³ لاستوائها، فقيل: همته عرشية، ومقام هذا الشخص باطنُ الأعراف، وهو السور الذي بين أهل السعادة والشقاء، وللأعراف رجال سيذكرون، وهم الذين لم يتقدم صفة، كأبي يزيد وغيره، وإنما كان مقامه باطن الأعراف، لأنَّ معرفته رحانيَّة وهمته عرشية، فإنَّ العرش مستوى الرحمن، كذلك باطن الأعراف فيه الرحمة، كما أنَّ ظاهره فيه العذاب.

فهذا الشخص له رحمة بالموجودات كلها؛ بالعصاة والكفَّار وغيرهم. قال تعالى- لسيد هذا المقام وهو محمد ﷺ حين دعا على رِغْلٍ وذُكْوَانٍ وَحَصِيَّةٍ⁴ بالعذاب والانتقام، فقال: عليك بفلان وفلان، وذكر ما كان

1 ص 111 ب

2 [طه : 5]

3 ص 112

4 رِغْلٍ وَذُكْوَانٍ وَحَصِيَّةٍ: أورد البخاري ذكرهم في الحديث التالي: حدثنا حفص بن عمر الحوضي حدثنا همام عن إسحاق عن أنس رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم أقواما من بني سليم إلى بني عامر في سبعين فلما قدموا قال لهم خالي أهتمكم فإن أتوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا كنتم مني قريبا فقدم فأتوه فبينما يتحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ أوتموا إلى رجل منهم فطمعته فأخذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بيته أصحابه فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل قال همام فأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد لقوا ربه فرضي عنهم وأرضاهم فكانوا هم أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم لسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رِغْلٍ وَذُكْوَانٍ وَبَنِي لِحْيَانٍ وَبَنِي عَصِيَّةِ الَّذِينَ عصوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

منهم، قال الله له: «إِنَّ اللَّهَ مَا بَعَثَ سَبَابًا وَلَا لَعْنًا، وَلَكِنْ بَعَثَ رَحْمَةً» فَنَهَى عَنِ الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ وَسَيِّئِهِمْ وَمَا يَكْرَهُونَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹ فَعَمَّ الْعَالَمَ²، أَي لِرَحْمَتِهِمْ وَتَدْعُوِي لَهُمْ لَا عَلَيْهِمْ، فَيَكُونُ عَوَضُ قَوْلِهِ: ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾³ "ثَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَهَدَاهُمْ" كَمَا قَالَ حِينَ جَرَحُوهُ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» يَرِيدُ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمَقْلَبَةِ مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ لَا غَيْرِهِمْ.

فلهذا قلنا في حَقِّ هَذَا الشَّخْصِ صَاحِبِ هَذَا الْمَقَامِ: "إِنَّهُ رَحِيمٌ بِالْعَصَاةِ وَالْكَفَّارِ"، فَإِذَا كَانَ حَاكِمًا هَذَا الشَّخْصِ، وَأَقَامَ⁴ الْحَدَّ أَوْ كَانَ مِنْ تَمَعِينَ عَلَيْهِ شَهَادَةً فِي إِقَامَةِ حَدِّ، فَشَهِدَ بِهِ أَوْ أَقَامَهُ، فَلَا يَجِيءُ إِلَّا مِنْ بَابِ الرَّحْمَةِ، وَمِنْ الْأَسْمِ الرَّحْمَنِ فِي حَقِّ الْمَحْدُودِ وَالْمَشْهُودِ عَلَيْهِ، لَا مِنْ بَابِ الْإِنْتِقَامِ، وَطَلَبُ التَّشْفِي لَا يَقْتَضِيهِ مَقَامُ هَذَا الْأَسْمِ، فَلَا تَعْطِيهِ حَالَةُ هَذَا الشَّخْصِ، قَالَ تَعَالَى- فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسُكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾⁵.

وَمَنْ كَانَ هَذَا مَقَامَهُ وَمَعْرِفَتَهُ، وَهَذَا الْأَسْمِ الرَّحْمَنِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَيَعَايِنُ مِنَ الْأَسْرَارِ ذَوْقًا، مَا بَيْنَ نِسْبَةِ الْإِسْتِوَاءِ إِلَى الْعَرْشِ، وَمَا بَيْنَ نِسْبَةِ الْأَيْنِ إِلَى الْعِمَاءِ؛ هَلْ هُمَا عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ أَوْ يَخْتَلِفُ؟ وَيَعْلَمُ مَا لِلْحَقِّ مِنْ نَعْوَتِ الْجَلَالِ وَاللُّطْفِ مَعًا بَيْنَ الْعِمَاءِ وَالْإِسْتِوَاءِ، إِذْ قَدْ كَانَ فِي الْعِمَاءِ وَلَا عَرْشٍ فَيُوصَفُ بِالْإِسْتِوَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ خُلِقَ الْعَرْشُ وَاسْتَوَى عَلَيْهِ بِالْأَسْمِ الرَّحْمَنِ، وَلِلْعَرْشِ حَدٌّ يَتَمَيَّزُ بِهِ، مِنَ الْعِمَاءِ، الَّذِي هُوَ لِلْأَسْمِ الرَّبِّ، وَاللِّعْمَاءِ حَدٌّ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْعَرْشِ، وَلَا يَدَّ مِنْ انْتِقَالٍ مِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ.

فَمَا كَانَ نَعْتُهُ تَعَالَى- بَيْنَ الْعِمَاءِ وَالْعَرْشِ، أَوْ بِأَيِّ نِسْبَةٍ ظَهَرَ بَيْنَهُمَا، إِذْ وَقَدْ تَمَيَّزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَنِ صَاحِبِهِ بِحَدِّ وَحَقِيقَتِهِ، كَمَا يَتَمَيَّزُ الْعِمَاءُ الَّذِي فَوْقَهُ الْهَوَاءُ وَتَحْتَهُ الْهَوَاءُ، وَهُوَ السَّحَابُ الرَّقِيقُ الَّذِي يَحْمِلُهُ الْهَوَاءُ الَّذِي تَحْتَهُ وَفَوْقَهُ، عَنِ الْعِمَاءِ الَّذِي مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، فَهُوَ عِمَاءٌ غَيْرٌ مَحْمُولٍ.

فَيَعْلَمُ⁶ السَّامِعُ أَنَّ الْعِمَاءَ الَّذِي جَعَلَ لِلرَّبِّ أَيْتِيَّةً، أَنَّهُ عِمَاءٌ غَيْرٌ مَحْمُولٍ، ثُمَّ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى-: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾⁷ فَهَلْ هَذَا الْغَمَامُ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى ذَلِكَ الْعِمَاءِ، فَيَكُونُ الْعِمَاءُ حَامِلًا لِلْعَرْشِ، وَيَكُونُ الْعَرْشُ مَسْتَوِي الرَّحْمَنِ، فَتَجْمَعُ الْقِيَامَةُ بَيْنَ الْعِمَاءِ وَالْعَرْشِ؟ أَوْ هُوَ هَذَا الْغَمَامُ الْمَعْبُودُ الَّذِي فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَتَحْتَهُ هَوَاءٌ؟ فَصَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ يَعْطَى ذَلِكَ كُلَّهُ.

ثُمَّ إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْمَقَامِ يَعْطَى أَيْضًا مِنَ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ بِالْأَسْمِ الرَّحْمَنِ، نَزُولُ الرَّبِّ إِلَى

[الأنبياء : 107] 1

2 "عمم العالم" مكتوبتان في الهامش ظلم الأصل.

3 [محمد : 23]

4 ص 112 ب

5 [برم : 45]

6 ص 113

7 [البقرة : 210]

سواء الدنيا، من العرش يكون هذا النزول أو من العماء، فإنَّ العماء إنما ورد حين وقع السؤال عن الاسم الربّ، فقيل له (ص): «أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال: كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء» فاسم "كان" المضمر هو "ربُّنا"، وقال: «ينزل ربُّنا إلى السماء» فبدلَكَ هذا على أن نزوله إلى السماء الدنيا من ذلك العماء، كما كان استواؤه على العرش من ذلك العماء.

فنسبته إلى السماء الدنيا كنسبته إلى العرش لا فرق، فما فارق العرش في نزوله إلى السماء الدنيا، ولا فارق العماء في نزوله إلى العرش، ولا إلى السماء الدنيا. ولَمَّا أخبر النبي ﷺ أن الله يقول في هذا النزول إلى السماء الدنيا: «هل من تائب فأتوب عليه، هل¹ من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأجيبه» فهذا كلُّه من باب رحمته ولطفه، وهذا حقيقة الاسم الرحمن، الذي استوى على العرش. فنزلت هذه الصفة مع الاسم الربّ إلى السماء الدنيا. فهو ما أعلمناك به: أن كلَّ اسم إلهي يتضمّن حكم جميع الأسماء الإلهية، من حيث أن المسمّى واحد.

فيعلم صاحب هذا المقام، من هذا النزول الربانيّ الساويّ، ما يختصّ بالاسم الرحمن منه، الذي قال به: «هل من تائب، هل من مستغفر» فإنَّ الرحمن يطلب هذا القول بلا شكّ. فهذا حظّ ما يعلم صاحبُ هذا المقام، من هذا النزول بلا واسطة، ويعلم نزول الربّ من العماء إلى السماء، بوساطة الاسم الرحمن. لأنّه ليس للاسم الربّ على صاحب هذا المقام سلطان، فإنّه كما قلنا- للاسم الرحمن، فلا يعلم من الاسم الربّ² ولا غيره أمرا إلاّ بالاسم الرحمن. فيعلم عند ذلك بإعلام الرحمن إيّاه، ما أراد الحقُّ بنزوله من العماء إلى السماء. على هذا الوجه هي معرفته.

ثمّ بما يختصّ بعلمه صاحبُ هذا المقام، بوساطة الاسم الرحمن، علم قول الله: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن» فأتى بياء الإضافة، في السعة والعبودية، فلم يأخذ من³ الله إلاّ قدر ما تعطيه الياء خاصّة. ويتضمّن هذا علمين: علما بما فيه من العناية بعبده المؤمن، فيأخذه من الاسم الرحمن بذاته. وعلما بما فيه من سِرّ الإضافة بحرف الياء، فيأخذه من الله بترجمة الاسم الرحمن. فيعلم أنّ السعة هنا؛ المراد بها، الصورة التي خلُق الإنسان عليها.

كأنّه يقول: ما ظهرت أسمائي كلّها إلاّ في النشأة الإنسانيّة. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أيّ الأسماء الإلهية التي وجدت عنها الأكوان كلّها، ولم تُفطّر الملائكة. وقال ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته» وإن كان الضمير عندنا متوجّها أن يعود على آدم، فيكون فيه ردٌّ على بعض النظار من أهل

1 ص 113 ب

2 ثابت في الهامش بقلم آخر.

3 ص 114 وهذه الصفحة ناقصة لدينا من ق، واعلمنا هنا على ه، س.

4 [القرة: 31]

الأفكار، ويتوجه أن يعود على الله لتخلقه بجميع الأسماء الإلهية.

فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذِهِ السَّعَةَ إِنَّمَا قَبِلَهَا الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ، لِكَوْنِهِ عَلَى الصُّورَةِ، كَمَا قَبِلَتْ الْمِرَاةُ صُورَةَ الرَّائِي دُونَ غَيْرِهَا بِمَا لَا صَقَالَةَ فِيهِ وَلَا صِفَاءً، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا لِلسَّمَاءِ لِكَوْنِهَا شَفَافَةً، وَلَا لِلْأَرْضِ لِكَوْنِهَا غَيْرَ مَصْقُولَةٍ. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ خَلْقَ الْإِنْسَانِ، وَإِنْ كَانَ عَنْ حَرَكَاتٍ فَلَكَيَّةٍ؛ هِيَ أَبُوهُ، وَعَنْ عُنَاصِرٍ قَابِلَةٍ؛ وَهِيَ أُمُّهُ. فَإِنَّ¹ لَهُ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ أَمْرًا مَا هُوَ فِي آبَائِهِ وَلَا فِي أُمَّهَاتِهِ، مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ وَسِعَ جَلَالُ اللَّهِ ﷻ، إِذْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ الَّذِي هُوَ السَّمَاءُ، أَوْ أُمِّهِ الَّتِي هِيَ الْأَرْضُ، أَوْ مِنْهَا، لَكَانَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ أَوْلَى بِأَنْ يَسْمَعَ الْحَقِّ مِنْ تَوْلَدِ عُنُوبِهِمَا، وَلَا سَيِّمَا وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾² يُرِيدُ فِي الْمَعْنَى لَا فِي الْجَرْمِيَّةِ. وَمَعَ هَذَا فَاخْتَصَّ الْإِنْسَانُ بِأَمْرِ اعْطَاهُ هَذِهِ السَّعَةَ، الَّتِي ضَاقَ عَنْهَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ. فَلَمْ تَكُنْ لَهُ هَذِهِ السَّعَةُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ أَمَرَ آخِرُ مِنَ اللَّهِ، فَضَّلَ بِهِ عَلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

فَكَلَّ وَاحِدٌ مِنَ الْعَالَمِ فَاضِلٌ مَفْضُولٌ، فَقَدْ فَضَّلَ كُلَّ وَاحِدٌ مِنَ الْعَالَمِ مِنْ فَضْلِهِ، بِحِكْمَةِ الْاِئْتِقَارِ وَالنَّقْصِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا زَهَا بِهِذِهِ السَّعَةَ، وَافْتَخَرَ عَلَى الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، جَاءَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ وَإِذَا زَهَتْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِهِذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ جَاءَ قَوْلُهُ: «مَا وَسَعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَوَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ» فَأَزَالَ عَنْهُ هَذَا الْعِلْمَ؛ ذَلِكَ الزَّهْوُ وَالْفَخْرُ، وَعُنُوبُهُمَا، وَافْتَقَرَ الْكُلَّ إِلَى رَبِّهِ، وَانْحَجَبَ عَنْ³ زَهْوِهِ وَنَفْسِهِ.

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يدلّ على أنّ بعض الناس يعلم ذلك، وعلم هذا من علمه منّا، من الاسم الرحمن الذي هو له وبه تحقّق، فسل به خبيراً. فرحه عندما زها بعلم ما فضل به عليه السّماء والأرض، وعلم من ذلك أنّه ما حصل له من الاسم الرحمن إلّا قدر ما كشف له مما فيه دواؤه، فإنّ ذلك الأمر الذي به فضل السّماء والأرض هذا العبد، هو أيضاً من الاسم الرحمن ولكن ما جاد به على هذا العبد.

ولا تقول إنّ هذا طعنٌ في كونه نسخة من العالم، بل هو على الحقيقة نسخة جامعة، باعتبار أنّ فيه شيئاً من السّماء بوجه ما، ومن الأرض بوجه ما، ومن كلّ شيء بوجه ما، لا من جميع الوجوه. فإنّ الإنسان على الحقيقة من جملة المخلوقات، لا يقال فيه: إنّهُ سماء ولا أرض ولا عرش، ولكن يقال فيه: إنّهُ يشبه السّماء من وجه كذا، والأرض من وجه كذا، والعرش من وجه كذا، وعنصر النار من وجه كذا،

1 ص 114 ب

2 [غافر : 57]

3 ص 115

وزكّن الهواء من وجه كذا والماء والأرض وكلّ شيء في العالم. فهذا الاعتبار يكون نسخة وله اسم الإنسان، كما للسماء اسم السماء.

ومن علوم صاحب هذا المقام: نزول القرآن فرقاناً¹ لا قرآناً. فإذا علمه قرآناً فليس من الاسم الرحمن، وإنما الاسم الرحمن ترجم له عن اسم آخر إلهي، يتضمّنه الاسم الرحمن. وأتته نزل في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، فعرف بنزوله مقادير الأشياء وأوزانها، وعرف بقدره منها، كما نزل الربّ تعالى- في الثلث الباقي من الليل.

فالليل محلّ النزول الزمانيّ للحقّ وصفته، التي هي القرآن. وكان الثلث الباقي من الليل، في نزول الربّ، غيب محمد ﷺ وغيب هذا النوع الإنسانيّ، فإنّ الغيب ستر، والليل ستر، وسمي هذا الباقي من الليل الثلث، لأنّ هذه النشأة الإنسانيّة لها البقاء دائماً في دار الخلود. فإنّ الثلثين الأوّلين ذهبا بوجود الثلث الباقي، أو الآخر من الليل، فيه نزل الحقّ فأوجب له البقاء أيضاً.

وهو ليل لا يعقبه صباح أبداً، فلا يذهب، لكن ينتقل من حال إلى حال، ومن دار إلى دار، كما ينتقل الليل من مكان إلى مكان أمام الشمس، وإنما يقرّ أمامها لئلاّ تذهب عينه، إذ كان النور ينافي الظلمة وتنافيه، غير أنّ سلطان النور أقوى، فالنور ينقرّ الظلمة، والظلمة لا تنقرّ النور، وإنما هو النور ينتقل، فتظهر الظلمة في الموضع الذي لا عين للنور فيه.

الآن ترى الحقّ تستقى بالنور ولم يتّسم بالظلمة، إذ كان النور وجوداً والظلمة عدماً، وإذ كان النور لا تغالبه الظلمة، بل النور الغالب، كذلك الحقّ لا يغالبه الخلق، بل الحقّ الغالب؛ فسّمى نفسه نوراً.

فتذهب السماء؛ وهو الثلث الأوّل من الليل، وتذهب الأرض وهو الثلث الثاني من الليل، ويبقى الإنسان في الدار الآخرة، أبد الأبد إلى غير نهاية، وهو الثلث الباقي من الليل؛ وهو الولد عن هذين الأبوين: السماء والأرض. فنزل القرآن في الليلة المباركة، في الثلث الآخر منها، وهو الإنسان الكامل، ففرق فيه كلّ أمر حكيم. فتميّز عن أبويه بالبقاء، ﴿تَنزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ﴾³ هو محمد ﷺ.

الآن ترى الشارع كيف قال في ولد الزنا: «إنّه شرُّ الثلاثة»، وكذلك ولد الحلال: خير الثلاثة، من هذا الوجه خاصة. فإنّ الماء الذي حُلق منه الولد من الرجل والمرأة أراد الخروج وهو الماء الذي تكوّن منه الولد، وهو الأمر الثالث، فحرك -لما أراد الخروج- الأبوين للنكاح ليخرج، وكان تحريكه لهما على غير وجه

1 ص 115 ب

2 ص 116

3 [الشرع: 193، 194]

مرضِيّ شرعا، يسمّى سفاحا فقيل فيه: «إنّه شرّ الثلاثة»، أي هو¹ سبب الحركة التي بها انطلق عليهم اسم الشرّ، فجمله ثلاثة أثلاث: الأيون ثلاثان والولد ثالث.

كذلك قَسَمَ الليلَ على ثلاثة أثلاث: ثلاثان ذاهبان، وهما السماء والأرض، وثالث باق هو الإنسان، وفيه ظهرت صورة الرحمن، وفيه نزل القرآن. وإنما سُمّيت السماء والأرض ليلا، لأنّ الظلمة لها من ذاتها، والإضاءة فيها من غيرها، من الأجسام المستنيرة التي هي الشمس وأمثالها، فإذا زالت الشمس أظلمت السماء والأرض.

فهذا يا أخي - قد استفدت علوما لم تكن تعرفها قبل هذا، وهي علوم هذا الشخص المحقّق بمنزل الأنفاس، وكلّ ما أدركه هذا الشخص، فإنما أدركه من الروائح بالقوّة الشبّية لا غير، وقد رأينا منهم جماعة بأشبيلية وعمكة وبالبيت المقدس، وفاوضناهم في ذلك مفاوضة حال، لا مفاوضة نطق. كما أنّي فاوضت طائفة أخرى من أصحاب النظر البصريّ بالبصر، فكنت أسأل وأجاب، ونسأل ونُجيب بمجرّد النظر، ليس بيننا كلام معتاد، ولا اصطلاح بالنظر أصلا، لكن كنت إذا نظرتُ إليه علمتُ جميع ما يريد منّي، وإذا نظر إليّ علمَ جميع ما يريد منه، فيكون نظره إليّ سؤالا أو جوابا، ونظري إليه كذلك، فنحصل علوما جمّة بيننا من غير كلام.

ويكفي هذا القدر من بعض علم هذا² الشخص، فإنّ علومه كثيرة أحطنا بها، فمن أراد أن يعرف مما ذكرناه شيئا، فليعلم الفرق بين "في" في قوله: «كان في عماء» وبين "استوى" في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾³ ولم يقل: "في" كما قال: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾⁴ و﴿فِي اللَّيْلِ﴾⁵ ويتبين لك في كلّ ما ذكرناه، مقام جمع الجمع، ومقام الجمع، ومقام التفرقة، ومقام تمييز المراتب، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶. انتهى الجزء التاسع عشر، يتلوه في الجزء العشرين.⁷

1 ص 116 ب

2 ص 117

3 [طه : 5]

4 [آل عمران : 5]

5 [آل عمران : 27]

6 [الأحزاب : 4]

7 في الهامش: "بلغ".

الجزء العشرون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الخامس والثلاثون

في معرفة هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس وأسراره بعد موته ﷺ

العَبْدُ مَنْ كَانَ فِي حَالِ الْحَيَاةِ بِهِ
وَالْعَبْدُ مَنْ كَانَ فِي حَالِ الْجَبَابِ بِهِ
حَالَةَ الْمَوْتِ لَا دَعْوَى تُصَاحِبُهَا
فِي حَقِّ قَوْمٍ وَفِي قَوْمٍ تَكُونُ لَهُمْ
فَإِنْ فَهِنَتْ أَلْبِي قُلْنَا فُتِمَتْ بِهِ
وَكُنْتَ مِمَّنْ تَرْكِبُهُ³ حَقَائِقُهُ
وَإِنْ⁴ بَجَمَلْتَ أَلْبِي قُلْنَا جِثَّتْ إِلَى

كَحَالِهِ بَعْدَ مَوْتِ الْجَنَسِ وَالرُّوحِ
نُورًا كَأَشْرَاقِ ذَاتِ الْأَرْضِ مِنْ نُوحِ
كَمَا الْحَيَاةُ لَهَا الدَّعْوَى بِتَضَرُّعِ
بِئْسَ الدَّعَاوَى بِإِنْيَاءِ وَتَلْوِجِ
وَزَنَا تَنْزَعَةٍ عَنِ نَفْسٍ وَتَنْزِجِ
وَلَا سَبِيلَ إِلَى طَفَنِ وَتَجْرِجِ
دَارِ السُّؤَالِ بِضَرْ غَيْرِ مَشْرُوحِ

اعلم -أيديك الله بروح القدس- أنّ هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس، أي شخص كان، فإنّ حاله بعد موته يخالف سائر أحوال الموتى. فلنذكر أولاً حصر ما أخذ أهل الله العلوم من الله، كما قررناه في الباب قبل هذا، ولنذكر ما لهم وآثار تلك المآخذ في ذواتهم.

فلنقل: اعلم يا أخي - أنّ علم أهل الله المأخوذ من الكشف، أنّه على صورة الإيمان سواء. فكلّ ما يقبله الإيمان عليه، يكون كشف أهل الله، فإنّه حقّ كلّ، والخبر به وهو النبي ﷺ مخبر به عن كشف صحيح. وذوات العلماء بالله تعالى- تكون على صفة الشيء الذي تأخذ منه العلم بالله، أي شيء كان.

واعلم أنّ الصفات على نوعين: صفات نفسية وصفات معنوية. فالصفات المعنوية في الموصوف: هي التي إذا رفعتها عن الذات الموصوفة بها لم ترتفع الذات التي كانت موصوفة بها. والصفات النفسية: هي التي

1 العنوان ص 117 ب

2 البسطة ص 118، ومكتوب بالهامش: "عيسى".

3 ق: "ركبه" وفي س: "تركه" والترجيع من هـ.

4 ص 118 ب

إذا رفعتها عن الموصوف بها، ارتفع الموصوف بها، ولم يبقَ له عينٌ في الوجود العيني، ولا¹ في الوجود العقلي، حيث ما رفعتها. ثم إنه ما من صفة نفسية للموصوف، التي هي ليست بشيء زائد على ذاته، إلا ولها صفة نفسية، بها يمتاز بعضها عن بعض. فإنه قد تكون ذات الموصوف مركبة من صفتين نفسيّتين إلى ما فوق ذلك، وهي الحدود الذاتية.

وهنا باب مغلق لو فتحناه لظهر ما يُذهب بالعقول، ويزيل الثقة بالمعلوم، وربما كان يؤول الأمر في ذلك، إلى أن يكون السبب الأول من صفات نفس الممكنات، كما أنك إذا جعلت السبب شرطاً في وجود المشروط، ورفعت الشرط، ارتفع المشروط بلا شك، ولا يلزم العكس. فهذا يطرد ولا ينعكس، فتركاه مقلداً لمن يجد مفتاحه فيفتحه.

وإذا كان الأمر عندنا وعند كلِّ عاقل بهذه المثابة، فقد علمت أن الصفات معاني لا تقوم بأنفسها، وما لها ظهور إلا في عين الموصوف. والصفات النفسية معاني وهي عين الموصوف. والمعاني لا تقوم بأنفسها، فكيف تكون هي عين الموصوف لا غيره؟ فيوصف الشيء بنفسه، وصار قائماً بنفسه من حقيقته ألا يقوم بنفسه؟ فإن كلَّ موصوف هو مجموع صفاته النفسية، والصفات لا تقوم بأنفسها، وما ثم ذات² غيرها تجمعها وتظهر.

وقد نهبك على أمر عظيم، لتعرف لماذا (=إلى ماذا) يرجع علم العقلاء من حيث أفكارهم، ويتبين لك أن العلم الصحيح لا يعطيه الفكر، ولا ما قرره العقلاء من حيث أفكارهم، وأن العلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالم، وهو نور إلهي يختص به من يشاء من عباده: من ملك ورسول ونبي وولي ومؤمن. ومن لا تكشف له لا علم له.

ولهذا جاءت الرسل والتعريف الإلهي بما تحيله العقول، فتضطر إلى التأويل في بعضها لتقبله، وتضطر إلى التسليم والعجز في أمور لا تقبل التأويل أصلاً، وغاية أن يقول: "له وجه لا يعلمه إلا الله، لا تبلغه عقولنا" وهذا كله تأنيس للنفس لا علم، حتى لا تردّ شيئاً مما جاءت به النبوة. هذا حال المؤمن العاقل. وأما غير المؤمن فلا يقبل شيئاً من ذلك.

وقد وردت أخبار كثيرة مما تحيلها العقول: منها في الجناب العالي، ومنها في الحقائق وانقلاب الأعيان. فأما التي في الجناب العالي: فما وصف الحقُّ به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسله، مما يجب الإيمان به، ولا يقبله العقل بدليله على ظاهره، إلا إن تأوله بتأويل بعيد. فأيمانه إنما هو بتأويله لا بالخبر. ولم يكن له

كشّف إلهي¹، كما كان للنبيّ، فيعرف مراد الحقّ في ذلك الخبر، فوصف نفسه سبحانه- بالظرفيّة الزمانيّة والمكانيّة، ووصفه بذلك رسوله ﷺ وجميع الرسل، وكلّهم على لسان واحد في ذلك، لأنّهم يتكلّمون عن إلّ واحد.

والعقلاء أصحاب الأفكار؛ اختلفت مقالاتهم في الله تعالى- على قدر نظرهم؛ فالإله الذي يُعبد بالعقل مجردا عن الإيمان، كأنّه بل هو- إله موضوع بحسب ما أعطاه نظر ذلك العقل. فاختلفت حقيقته بالنظر إلى كلّ عقل، وتقابلت العقول.

وكلّ طائفة من أهل العقول تُجهّل الأخرى بالله. وإن كانوا من النظائر الإسلاميّين المتأولين؛ فكلّ طائفة تُكفّر الأخرى.

والرسل صلوات الله عليهم- من آدم ﷺ إلى محمد ﷺ ما نقل عنهم اختلاف فيما ينسبونه إلى الله من النعوت، بل كلّهم على لسان واحد في ذلك. والكتب التي جاؤوا بها كلّها تنطق في حقّ الله بلسان واحد، ما اختلف منهم اثنان، يُصدّق بعضهم بعضا، مع طول الأزمان وعدم الاجتماع. (مع) ما بينهم من الفرق المنازعين لهم من العقلاء؛ ما اختلف نظامهم.

وكذلك المؤمنون بهم على بصيرة؛ المسلمون المسلمون الذين لم يدخلوا نفوسهم في تأويل. فهم² أحد رجلين: إمّا رجل آمن وسلم وجعل علم ذلك إليه إلى أن مات، وهو المقلّد. وإمّا رجل عميل بما علم من فروع الأحكام، واعتقد الإيمان بما جاءت به الرسل والكتب، فكشف الله عن بصيرته، وصيره ذا بصيرة في شأنه، كما فعل بنبيّه ورسوله ﷺ وأهل عنايته، فكاشف وأبصر ودعا إلى الله ﷻ على بصيرة. كما قال تعالى- في حقّ نبيّه ﷺ محمّدا له: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾³ وهؤلاء هم العلماء بالله العارفون، وإن لم يكونوا رسلا ولا أنبياء، فهم على بينة من ربّهم في علمهم به وبما جاء من عنده.

وكذلك وصف نفسه بكثير من صفات الخلقين؛ من الهجاء والإتيان، والتجليّ للأشياء والحدود والحجب والوجه والعين والأعين واليدين والرضا والكراهة والغضب والفرح والتبشّش، وكلّ خبر صحيح ورد في كتاب وستة. والأخبار أكثر من أن تحصى- نّما لا يقبلها إلا مؤمن بها من غير تأويل، أو بعض أرباب النظر من المؤمنين بتأويل اضطرّه إليه إيمانه.

1 ص 120

2 ص 120 ب

3 [يوسف : 108]

فانظر مرتبة المؤمن ما أعزها، ومرتبة أهل الكشف ما أعظمها، حيث ألحق أصحابها بالرسول والأنبياء عليهم السلام- فيما حُصوا به من العلم الإلهي، لأن العلماء ورثة الأنبياء، وما وُزّثوا دينارا ولا درهما؛ وُزّثوا العلم. يقول ﷺ: «إنا معشر الأنبياء لا نُوزّث؛ ما تركنا² صدقة» فمن كان عنده شيء من هذه الدنيا، فليوقفه صدقة على من يراه من الأقربين إلى الله، فهو النسب الحقيقي أو يزهّد فيه، ولا يترك شيئا يوزّث عنه، إن أراد أن يلحق بهم، ولا يرث أحدا. فالحمد لله الذي أعطانا من هذا المقام الحظّ الوافر. فهذا بعض ما ورد علينا من الله ﷻ في الله -تعالى- من الأوصاف.

وأما في قلب الحقائق؛ فلا خلاف بين العقلاء في إثمه لا يكون. ودلّ دليل العقل القاصر؛ من (جمّة) فكره ونظيره، لا من جمّة إيمانه وقبوله، إذ لا أعقل من الرسل وأهل الله (على) أن الأعيان لا تتقلب حقيقة في نفسها، وأن الصفات والأعراض في مذهب من يقول إثمها أعيان موجودة لا تقوم بأنفسها، ولا بدّ لها من محلّ قائم بنفسه، أو غير قائم بنفسه، لكنّه في قائم بنفسه ولا بدّ. ومثال الأول: السواد مثلا، أو أيّ لون كان، (فإثمه) لا يقوم إلا بمحلّ يقال فيه، لقيام السواد به: أسود. ومثال³ الثاني، كالسواد المشرق مثلا، فالسواد هو المشرق، فإنه نمّت له. فهذا معنى قولي: "أو غير قائم بنفسه، لكنّه في قائم بنفسه".

وهذه مسألة خلاف بين النظّار: هل يقوم المعنى بالمعنى؟، فمن قائل به ومنع من ذلك، وقد ثبت أنّ جميع الأعمال كلّها أعراض، وأثما تثنى ولا بقاء لها، وأثمه ليس لها عين موجودة بعد ذهابها، ولا توصف بالانتقال، وأنّ الموت إمّا عرّض موجود في الميت، في مذهب بعض النظّار، وإمّا نسبة افتراق بعد اجتماع، وكذا جميع الأكوان في مذهب بعضهم، وهو الصحيح الذي يقتضيه الدليل. وعلى كلّ حال فإنه (أي الموت) لا يقوم بنفسه.

ووردت الأخبار النبوية، بما يناقض هذا كلّه، مع كوننا مجمعين على أنّ الأعمال أعراض أو نسب. فقال الشارع وهو الصادق، صاحب العلم الصحيح والكشف الصريح: «إنّ الموت يُجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح، يعرفه الناس ولا ينكره أحد، فيُذبح بين الجنة والنار» روي أنّ يحيى عليه السلام هو الذي يُضجعه، ويذبحه بشفرة تكون في يده، والناس ينظرون إليه. وورد أيضا في الخبر أنّ عمل الإنسان يدخل معه في قبره، في صورة حسنة أو قبيحة، فيسأله صاحبه، فيقول: "أنا عمّلك"⁴. وإنّ مانع الزكاة يأتيه ماله، شجاعة أفرغ له زيبتان، وأمثال هذا في الشرع لا تحصى كثرة.

1 ص 121

2 س: ما تركناه

3 ص 121 ب

4 ص 122

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ؛ فَيُؤْمِنُونَ بِهَذَا كَلِمَةً مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ. وَأَمَّا أَهْلُ النَّظَرِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَغَيْرِهِمْ، فَيَقُولُونَ: "تَحُلْ هَذَا عَلَى ظَاهِرِهِ مُحَالٌ عَقْلًا، وَلَهُ تَأْوِيلٌ"، فَيَتَأْوَلُونَهُ بِحَسَبِ مَا يُعْطِيهِمْ نَظَرُهُمْ فِيهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ -أَهْلُ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ- عَقِيبَ تَأْوِيلِهِمْ: "وَاللَّهِ أَعْلَمُ". يَعْنِي فِي ذَلِكَ التَّأْوِيلِ الْخَاصِّ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ؛ هَلْ هُوَ الْمُرَادُ لِلَّهِ أَمْ لَا؟ وَأَمَّا حَلُّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ فَحَالٌ عِنْدَهُمْ جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَالْإِيمَانُ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِلَفْظِ الشَّارِعِ بِهِ خَاصَّةً. هَذَا هُوَ اعْتِقَادُ أَهْلِ الْأَفْكَارِ.

وبعد أن بينا لك هذه الأمور، ومراتب الناس فيها، فإنها من هذا الباب الذي نحن بصده. فاعلم أنه ما تمَّ إلا ذواتٍ أوجدها الله تعالى -فضلا منه عليها، قائمة بأنفسها، وكل ما وُصِفَتْ به، فَنَسَبَ وإضافات بينها وبين الحق من حيث ما وُصِفَتْ، فإذا أوجد الموجدُ، قيل فيه: إنه قادر على الإيجاد. ولولا ذلك ما أوجد. وإذا خُصَّصَ الممكن بأمر دون غيره مما يجوز أن يقوم به، قيل: مرید. ولولا ذلك ما خُصَّصَ بهذا دون غيره. وسبب هذا كله إنما¹ تعطيه حقيقة الممكن، فالممكنات أعطت هذه النسب، فافهم إن كنت ذا لبٍ ونظرٍ إلهيٍّ وكشفٍ رحمانِيٍّ.

وقد تقررنا في الباب الذي قبل هذا، أن ما أخذ العلوم من طرق مختلفة، وهي السمع والبصر - والشَّمِّ واللمس والطعم والعقل، من حيث ضرورياته، وهو ما يدركه بنفسه من غير قوَّةٍ أُخْرَى، ومن حيث فكره الصحيح أيضا، مما يرجع إلى طرق الحواس، أو الضروريات والبدهيَّات لا غير، فذلك يستسى علما.

والأمور العارضة الحاصل عنها العلوم أيضا ترجع إلى هذه الأصول لا تتفك عنها، وإنما سُمِّيَتْ عوارض، من أجل أن العادة في إدراك الألوان أن اللمس لا يدركها، وإنما يدركها البصر. فإذا أدركها الأُكْمَةُ باللمس، وقد رأينا ذلك، فقد عرض لحاسة اللمس ما ليس من حقيقتها في العادة أن تتركه، وكذلك سائر الطرق إذا عرض لها ذلك ما ليس من شأنها في العادة أن يدرك بها يقال فيه: غَرَضٌ لَهَا.

وإنما فعل الله هذا تنبيها لنا، أنه ما تمَّ حقيقة كما يزعم أهل النظر لا ينفذ فيها الاقتدار الإلهي، بل تلك الحقيقة إنما هي بجعل الله لها على تلك الصورة، وأنها ما أدركت الأشياء² المربوط إدراكها بها من كونها بصرا ولا غير ذلك، يقول الله بل بجعلنا، فيدرك جميع العلوم كلها بحقيقة واحدة، من هذه الحقائق إذا شاء الحق. فلماذا قلنا: عرض لها إدراك ما لم تجر العادة بإدراكها إياه، فنعلم قطعا أنه ~~تلك~~ قد يكون مما يعرض لها أن تعلم وترى من ~~أليس كذلك شيء~~³ وإن كانت الإدراكات لم تترك شيئا قط إلا ومثله أشياء كثيرة من

1 ص 122 ب

2 ص 123

3 [الشورى: 11]

جميع المدركات.

ولم ينف سببانه- عن إدراكه قوّة من القوى التي خلقها إلا البصر، فقال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾¹ فنع ذلك شرعا، وما قال لا يدركه السمع ولا العقل ولا غيرها من القوى الموصوف بها الإنسان، كما لم يقل أيضا: "إن غير البصر يدركه"؛ بل ترك الأمر مبهما، وأظهر العوارض التي تعرض لهذه القوى في معرض التنبيه، أنه ربما وضع ذلك في رؤيتنا، من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾²، كما رأينا أول مرثي، وسمعنا أول مسموع، وشمنا أول مشموم، وطعمنا أول مطعوم، ولسنا أول ملموس، وعقلنا أول معقول، بما لم يكن له مثل عندنا، وإن كان له أمثال في نفس الأمر.

ولكن في أوليّة الإدراك سرّ عجيب في نفي المماثلة له، فقد³ أدرك المدرك من لا مثل له عنده فيقيسه عليه، وكون ذلك المدرك يقبل لذاته المثل أو لا يقبله، حكم آخر زائد على كونه مدركا لا يحتاج إليه في الإدراك، إن كنت ذا فطنة.

بل نقول: إنّ التوسّع الإلهي يقتضي، أن لا يمثل في الأعيان الموجودة، وأنّ المثلية أمر معقول متوهم، فإنه لو كانت المثلية صحيحة، ما امتاز شيء عن شيء، مما يقال هو مثله، فذاك الذي امتاز به الشيء عن الشيء ذلك هو عين ذلك الشيء، وما لم يمتاز به عن غيره فما هو إلا عين واحدة.

فإن قلت: رأياه مفترقا مفارقا، ينفصل هذا عن هذا، مع كونه يماثله في الحدّ والحقيقة، يقال له: أنت الغالط، فإنّ الذي وقع به الانفصال هو المعبر عنه بأنّه تلك العين، وما لم يقع به الانفصال هو الذي توهمت أنّه مثل، وهذا من أغمض مسائل هذا الباب.

فما تمّ مثل أصلا ولا يُقدّر على إنكار الأمثال، ولكن بالحدود لا غير. ولهذا تُطلق المثلية من حيث الحقيقة الجامعة المعقولة لا الموجودة؛ فالأمثال معقولة لا موجودة. فنقول في الإنسان: إنه حيوان ناطق بلا شك. وإنّ زيدا ليس هو عين عمرو من حيث صورته⁴، وهو عين عمرو من حيث إنسانيته؛ لا غيره أصلا. وإذا لم يكن غيره في إنسانيته؛ فليس مثله؛ بل هو هو. فإنّ حقيقة الإنسانيّة لا تتبعض؛ بل هي في كلّ إنسان بعينها لا بجزئتها؛ فلا مثل لها. وهكذا جميع الحقائق، كلّها.

فلم تصحّ المثلية إذا جعلتها غير عين المثل. فزيد ليس مثل عمرو من حيث إنسانيته؛ بل هو هو.

1 [الأعلام : 103]

2 [النشوري: 11]

3 ص 123 ب

4 ص 124

وليس زيد مثل عمرو في صورته؛ فإنَّ الفرقان بينهما ظاهر. ولولا الفارق لالتبس زيد بعمرو، ولم تكن معرفة بالأشياء. فما أدرك المدرك أي شيء أدرك، إلا من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹.

وذلك لأنَّ الأصل الذي نرجع إليه في وجودنا، وهو الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فلا يكون ما يوجد عنه إلا على حقيقة أنه لا مثل له؛ فإنه كيف يخلق ما لا تعطيه صفته؟ وحقيقته لا تقبل المثل؛ فلا بد أن يكون كلَّ جوهر فرد في العالم لا يقبل المثل. إن كنت ذا فطنة ولب، فإنه ليس في الإله حقيقة تقبل المثل.

فلو كان قبول المثل موجودا في العالم، لاستند في وجوده من ذلك الوجه إلى غير حقيقة إلهية، وما تمَّ موجد إلا الله، ولا مثل له، فما في الوجود شيء له مثل، بل كلَّ موجود مميَّز عن غيره بحقيقة هو عليها في ذاته، وهذا هو الذي يعطيه الكشف والعلم الإلهي الحق.

فإذا أطلقت المثل على الأشياء كما قد تقرّر، فاعلم أنّي أطلق ذلك عرفا. قال تعالى: ﴿أَمْثَلُكُمْ³﴾ أي كما انطلق عليكم اسم الأمة، كذلك ينطلق اسم أمة على كلِّ دابة وطاقر يطير بجناحيه، وكما أنّ كلَّ أمة وكلَّ عين في الوجود ما سوى الحق تفتقر في إيجادها إلى موجد، تقول بتلك النسبة في كلِّ واحد: إنه مثل للآخر في الافتقار إلى الله.

وهذا يصحّ قطعا أنّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁴، بزيادة الكاف، أو بفرض المثل، فإنك إذا عرفت أنّ كلَّ محدث لا يقبل المثلية كما قرّرناه لك، فالحق أولى بهذه الصفة، فلم تبق المثلية الواردة في القرآن وغيره، إلا في الافتقار إلى الله الموجد أعيان الأشياء.

ثم أرجع وأقول: إنّ كلَّ واحد من أهل الله، لا يخلو أن يكون قد جعل الله علم هذا الشخص بالأشياء في جميع القوى أو في قوّة بعينها كما قرّرنا: إمّا في الشم؛ وهو صاحب علم الأنفاس، وإمّا في النظر فيقال: هو صاحب نظر، وإمّا في الضرب؛ وهو من باب اللمس، بطريق خاص؛ ولذلك كنى عن ذلك بوجود برد الأنامل، فينسب صاحب تلك الصفة التي بها تحصل العلوم إليها، فيقال: هو⁵ صاحب كذا.

1 [الشورى: 11]

2 ص 124 ب

3 [الأنعام: 38]

4 [الشورى: 11]

5 ص 125

كما قررنا أن الصفة هي عين الموصوف في هذا الباب؛ أعني الصفة النفسية. فكما رجع المعنى الذي يقال فيه: إنه لا يقوم بنفسه، صورة قائمة بنفسها، (كذلك) رجعت الصورة التي هي هذا العالم معنى، لتحققه بذلك المعنى، وتألفه به كما تألفت هذه المعاني، فصار من تأليفها ذات قائمة بنفسها، يقال فيها: جسم، وإنسان، وفرس، ونبات، فافهم.

فيصير صاحب علم النوق ذوقا، وصاحب علم الشمّ شمّا، ومعنى ذلك أنه يفعل في غيره ما يفعل النوق فيه إن كان صاحب ذوق، أو ما فعل الشمّ فيه إن كان صاحب شمّ، فقد التحق في الحكم بمعناه، وصار هو في نفسه معنى يدرك به المدرك الأشياء كما يدرك الرائي بالنظر في المرآة، الأشياء التي لا يدركها في تلك الحالة إلا بالمرآة.

كان للشيخ أبي مدين ولد صغير من سوداء، وكان أبو مدين صاحب نظر، فكان هذا الصبي وهو ابن سبع سنين، ينظر ويقول: أرى في البحر في موضع؛ صفته كذا وكذا، سفنا، وقد جرى فيها كذا وكذا. فإذا كان بعد أيام وتحجى تلك السفن إلى بجاية؛ مدينة هذا الصبي التي كان فيها، يوجد الأمر على ما قاله الصبي. فيقال للصبي: بماذا ترى؟ فيقول: بعيني، ثم يقول: لا، إنما أراه بقلبي، ثم يقول: لا، إنما أراه بوالدي، إذا كان حاضرا ونظرتُ إليه، رأيتُ¹ هذا الذي أخبرك به، وإذا غاب عني لا أرى شيئا من ذلك.

ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى- في العبد الذي يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه يقول: «فإذا أحببته كت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» الحديث. فبه يسمع ويبصر. ويتكلم ويبطش ويسعى. فهذا معنى قولنا: يرجع المحقق بمثل صورة معنى ما تحقق به. فكان ينظر بأبيه، كما ينظر الإنسان بعينه في المرآة فافهم. وهكذا كل صاحب طريق من طرق هذه القوى. وقد يجمع الكلّ واحد فيرى بكلّ قوة، ويسمع بكلّ قوة، ويشمّ بكلّ قوة، وهو أتم الجماعة.

وأما أحوالهم بعد موتهم؛ فعلى قدر ما كانوا عليه في الدنيا من التفرد لأمر ما معين أو أمور مختلفة على قدر ما تحقّقوا به في التفرد له، وهم في الآخرة على قدر أحوالهم في الدنيا؛ فمن كان في الدنيا عبدا محضا كان في الآخرة ملكا محضا، ومن كان في الدنيا يتصف بالملك ولو في جوارحه أنها ملك له، نقص من ملكه في الآخرة بقدر ما استوفاه في الدنيا، ولو أقام العدل في ذلك وصرّفه فيما أوجب الله عليه أن يصرّفه فيه شرعا، وهو يرى أنه مالك لذلك لغفلة طرات منه، فإن وبال ذلك يعود عليه ويؤثر فيه.

فلا أعزّ في² الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية النلّ في جناب الحقّ والحقيقة. ولا أذلّ في الآخرة ممن بلغ

في الدنيا غاية العزة في نفسه، ولو كان مصفوعا في الدنيا، ولا أريد بـ"عز الدنيا" أن يكون فيها مَلِكًا إلا أن تكون صفته في نفسه العزة. وكذلك الذلّة. وأما أن يكون في ظاهر الأمر مَلِكًا، أو غير ذلك، فما نبالي في أي مقام وفي أي حال أقام الحقُّ عبده في ظاهره، وإنما المعتبر في ذلك حاله في نفسه.

ذكر عبد الكريم بن هوازن القشيري¹ في بعض كتبه، وغيره، عن رجل من الناس؛ أنه دفن رجلا من الصالحين، فلما جمعه في قبره، نزع الكفن عن خده، ووضع خده على التراب، ففتح الميت عينيه، وقال له: يا هذا؛ أتدللني بين يدي من أعزني؟ فتعجب من ذلك، وخرج من القبر. ورأيت أنا مثل هذا لعبد الله صاحبي الحبشي في قبره، ورآه غاسله وقد هاب أن يغسله، في حديث طويل، ففتح عينيه في المغتسل وقال له: اغسل.

فمن أحوالهم بعد الموت أنهم أحياء بالحياة النفسية التي بها يُستجَب كل شيء. ومن كانت له همة بمعبده في حال عبادته في حياته، بحيث أن يكون يحفظها من الناخذل فيها، حتى لا يتغير عليه الحال إن كان صاحب نفس، فإذا مات ودخل أحد بعده معبده، ففعل فيه ما² لا يليق بصاحبه الذي كان يعمره؛ ظهرت فيه آية. وهذا قد روينا في حكاية عن أبي يزيد البسطامي؛ كان له بيت يتعبد فيه يسمى: "بيت الأبرار" فلما مات أبو يزيد، بقي البيت محفوظا محترما لا يفعل فيه³ إلا ما يليق بالمساجد، فاتفق أنه جاء رجل نبات فيه، قيل: وكان جُنبا، فاحترقت عليه ثيابه من غير نار معهودة، ففر من البيت؛ لما كان يدخله أحد فيفعل فيه ما لا يليق إلا رأى آية.

فيبقى أثر مثل هذا الشخص بعد موته، يفعل مثل ما كان يفعله في حياته سواء، وقد قال بعضهم، وكان مجتبا في الصلاة: "يا رب؛ إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فاجعلني ذلك"، فرئ (=فرؤي) وهو يصلي في قبره. وقد مرّ رسول الله ﷺ ليلة إسرائه بقبر موسى عليه السلام فرآه وهو يصلي في قبره، ثم عرج به إلى السماء، وذكر الإسراء وما جرى له فيه مع الأنبياء، ورأى موسى في السماء السادسة وقد رآه وهو يصلي في قبره.

فمن أحوال هذا الشخص بعد موته، مثل هذه الأشياء لا فرق في حقه، بين حياته وموته، فإنه كان في زمان حياته في الدنيا، في صورة الميت حاله الموت، فجعله الله في حال موته، كمن حاله الحياة، "جزاء وفاقا".

1 أبو القاسم القشيري: الأستاذ الشافعي (ت: 465هـ) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري من بني قشير شيخ خراسان في عصره ومن كتبه: التيسير في التفسير، ولطائف الإشارات، والرسالة القشيرية.

2 ص 126 ب

3 تاجية في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

ومن صفات صاحب هذا المقام في موته، إذا نظر الناظر إلى¹ وجهه وهو ميت، يقول فيه: حي، وإذا نظر إلى مجسّ عروقه يقول فيه: ميت، فيحار الناظر فيه، فإنّ الله جمع له بين الحياة والموت، في حال حياته وموته.

وقد رأيت ذلك لوالدي رحمه الله-، يكاد أنا ما دفناه إلا على شكّ، بما كان عليه في وجهه من صورة الأحياء، وبما كان من سكون عروقه وانقطاع نفسه من صورة الأموات. وكان قبل أن يموت بخمسة عشر- يوما أخبرني بموته، وأنه يموت يوم الأربعاء، وكذلك كان. فلما كان يوم موته وكان مريضاً شديداً المرض، استوى قاعداً غير مستنيد، وقال لي: يا ولدي؛ اليوم يكون الرحيل واللقاء. فقلت له: كتب الله سلامتك في سفرك هذا، وبارك لك في لقائك. ففرح بذلك، وقال لي: جزاك الله يا ولدي- عني خيراً، كلّ ما كنت أسمع منك، تقوله ولا أعرفه، وربما كنت أنكر بعضه، هو ذا أنا أشهده. ثمّ ظهرت على جبينه لُعبة بيضاء، تخالف لون جسده من غير سوء، له نور يتلألأ. فشعر بها الوالد. ثمّ إنّ تلك اللعبة انتشرت على وجهه إلى أن عمّت بدنه. فقبلته ووادعته، وخرجت من عنده، وقلت له: أنا أسير إلى المسجد الجامع، إلى أن يأتيني نعيك. فقال لي: رح ولا تترك أحداً يدخل عليّ. وجمع أهله وبناته. فلما جاء الظهر² جاءني نعيه. فجنّت إليه، فوجدته على حالة يشكّ الناظر فيه بين الحياة والموت. وعلى تلك الحالة دفناه، وكان له مشهد عظيم. فسبحان من يختص برحمته من يشاء.

فصاحب هذا المقام؛ حياته وموته سواء. وكلّ ما قدّمناه في هذا الباب من العلم، هو علم صاحب هذا المقام، فإنه من علم الأنفاس، ولهذا ذكرنا ما ذكرنا من ذلك، وهو ﴿يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 ص 127

2 ص 127 ب

3 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش: "بلغ"، يليه بخط ابن العربي: "بلغ قراءة للظهير محمود وكتبه ابن العربي".

الباب السادس والثلاثون في معرفة العيسويين وأقطابهم وأصولهم

كُلُّ مَنْ أَحْيَا حَقِيقَتَهُ	وَشَفَى مِنْ عِلَّةِ الْحُجْبِ
فَهُوَ عَيْسَى لَا يُنَاطُ بِهِ	عِنْدَنَا شَيْءٌ مِنَ الرَّيْبِ
فَلَقَدْ أَغْطَتْ سَجِيئَتُهُ	رُثْبَةً تَسْمُو عَلَى الرَّيْبِ
بِنُعُوتِ الْقُدْسِ تَعْرِفُهُ	فِي صَرِيحِ الْوَحْيِ وَالْكِتَابِ
لَمْ يَنْلُهَا غَيْرُ وَاثِرِهِ	صَفَةً فِي سَالِفِ الْحَقْبِ
فَسَرَتْ فِي الْكَوْنِ هِمَّتُهُ	فِي أَعَاجِمٍ ¹ وَفِي عَرَبِ
فِيهَا تَحْيَا نَفُوسُهُمْ	وَبِهَا إِزَالَةُ الثُّوبِ

اعلم -أيديك الله- أنه لما كان شرع محمد ﷺ تضمن² جميع الشرائع المتقدمة، وأنه ما بقي لها حكم في هذه الدنيا إلا ما قررته الشريعة الحمديّة، فبتقريرها ثبتت، فتمبّدنا بها نفوسنا، من حيث أنّ محمداً ﷺ قررها، لا من حيث أنّ النبيّ الخصوص بها في وقته قررها. فلهذا أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم.

فإذا عمل الحمدي -وجميع العالم المكلف اليوم من الإنس والجنّ محمدي، ليس في العالم اليوم شرع إلهي سوي هذا الشرع الحمدي- فلا يخلو هذا العامل من هذه الأمة أن يصادف في عمله فيما يفتح له منه، في قلبه وطريقه، ويتحقّق به طريقة من طرق نبيّ من الأنبياء المتقدّمين، مما تتضمّن هذه الشريعة، وقررت طريقته، وصحبتها نتيجه. فإذا فُتِح له في ذلك، فإنّه ينتسب إلى صاحب تلك الشريعة، فيقال فيه: عيسويّ، أو موسويّ، أو إبراهيميّ، وذلك لتحقيق ما تميّز له من المعارف، وظهر له من المقام، من جملة ما هو تحت خيطة شريعة محمد ﷺ.

فتميّز بتلك النسبة أو بذلك النسب من غيره، ليُعرف أنّه ما ورث من محمد ﷺ إلا ما لو كان موسى أو غيره من الأنبياء حيّاً وآتبعه، ما ورث إلا ذلك منه. ولما تقدّمت شرائعهم قبل هذه الشريعة جعلنا هذا³ المعارف وارثاً، إذ كان الورث للأخر من الأول، فلو لم يكن لذلك الأول شرع مقرر قبل تقرير محمد

1 ق، هـ: "اعاجم"، والترجيح من س

2 ص 128

3 ص 128 ب

ﷺ لساونا الأنبياء والرسل، إذ جمعنا زمان شريعة محمد ﷺ كما يساونا اليوم إلياس والحضر- وعيسى- إذا نزل، فإنّ الوقت يحكم عليه، إذ لا نبوة تشريع بعد محمد ﷺ.

ولا يقال في أحد من أهل هذه الطريقة: "إنّه محمدي" إلا لشخصين: إمّا شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن في شرع قبله، فيقال فيه: محمدي. وإمّا شخص جمع المقامات ثم خرج عنها إلى لا مقام، كأبي يزيد وأمثاله. فهذا أيضا يقال فيه: محمدي. وما عدا هذين الشخصين فينسب إلى نبي من الأنبياء، ولهذا ورد في الخبر أنّ «العلماء ورثة الأنبياء»، ولم يقل ورثة نبي خاص، والمحاطب بهذا علماء هذه الأمة. وقد ورد أيضا بهذا اللفظ قوله ﷺ: «علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم» وفي رواية «كأنبياء بني إسرائيل».

فالعيسويون الأوّل هم الحواريون أتباع عيسى، فمن أدرك منهم إلى الآن شرع محمد ﷺ وآمن به واتبعه، واتفق أن يكون قد حصل له من هذه الشريعة، ما كان قبل هذا شرعا لعيسى- ﷺ فيرث من¹ عيسى- ﷺ ما ورثه من غير حجاب، ثم يرث من عيسى- ﷺ في شريعة محمد ﷺ ميراث تابع من تابع، لا من متبوع، وبينها في النوق فرقان. ولهذا قال رسول الله ﷺ في مثل هذا الشخص: «إنّ له الأجر مرتين» كذلك له ميراثان وفتحان وذوقان مختلفان، ولا ينسب فيها إلا إلى ذلك النبي ﷺ.

فهؤلاء هم العيسويون الثواني، وأصولهم توحيد التجريد من طريق المثال، لأنّ وجود عيسى- ﷺ لم يكن عن ذكرٍ بشري، وإنما كان عن تمثّل روح في صورة بشر. ولهذا غلب على أمة عيسى بن مريم، دون سائر الأمم القول بالصورة، فيصوّرون في كنانهم مُثَلًّا، ويتعبّون أنفسهم بالتوجّه إليها. فإنّ أصل نبيهم ﷺ كان عن تمثّل. فسرت تلك الحقيقة في أمته إلى الآن. ولما جاء شرع محمد ﷺ ونهى عن الصور، وهو ﷺ قد حوى على حقيقة عيسى، وانطوى شرعه في شرعه، فشرع لنا ﷺ أن نعبد الله كأنّا نراه، فأدخله لنا في الخيال، وهذا هو معنى التصوير. إلا أنّه نهى عنه في الجس، أن يظهر في هذه الأمة بصورة جسيّة.

ثم إنّ هذا الشرع الخاصّ² الذي هو «اعبد الله كأنك تراه» ما قاله محمد ﷺ لنا بلا واسطة، بل قاله لجبريل ﷺ وهو الذي تمثّل لمريم (بشرًا سويًا) عند إيجاد عيسى ﷺ فكان كما قيل في المثل السائر: "إياك أعني فاسمعي يا جارة" فكنا نحن المرادين بذلك القول، ولهذا جاء في آخر الحديث: «هذا جبريل أراد أن تكلّموا إذا لم تسألوا» وفي رواية: «جاء ليعلم الناس دينهم» وفي رواية: «أتاكم يعلمكم دينكم» فما خرجت الروايات عن كوننا المقصودين³ بالتعليم.

1 ص 129

2 ص 129 ب

3 ق: "المصدقين" وصححت في الهامش بقلم الأصل.

ثم لتعلم أنّ الذي لنا من غير شرع عيسى عليه السلام قوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فهذا من أصولهم.

وكان شيخنا أبو العباس العربي رحمه الله - عيسويًا في نهايته، وهي كانت بدايتنا، أعني نهاية شيخنا في هذا الطريق كانت عيسوية. ثم نُقلنا إلى الفتح الموسوي الشمسي، ثم بعد ذلك نُقلنا إلى هود عليه السلام ثم بعد ذلك نُقلنا إلى جميع النبيين عليهم السلام - ثم بعد ذلك نُقلنا إلى محمد صلى الله عليه وآله هكذا كان أمرنا في هذا الطريق، ثبته الله علينا ولا حاد بنا عن سَوَاء السبيل. فأعطانا الله من أجل هذه النشأة التي¹ أنشأنا الله عليها في هذا الطريق، وجه الحق في كلّ شيء، فليس في العالم عندنا في نظرنا شيء موجود، إلا ولنا فيه شهود عين حقّ، نعظمه منه، فلا نرمي بشيء من العالم الوجودي.

وفي زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ويونس عليه السلام يحيون وهم منقطعون عن الناس. فأما القوم الذين من قوم يونس، فرأيت أثره بالساحل، كان قد سبقني بقليل، فشبرت قدمه في الأرض، فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار ونصفا وربعا² بشبري. وأخبرني صاحبي أبو عبد الله بن خزر الطنجي؛ أنه اجتمع به في حكاية، وجاءني بكلام من عنده، مما يتفق في الأندلس في سنة خمس وثمانين وخمسةائة، وهي السنة التي كتبا فيه، وما يتفق في سنة ست وثمانين مع الإفرنج، فكان كما قال، ما غادر حرفا.

وأما الذي في الزمان من أصحاب عيسى، فهو ما روينا من حديث عزبشاه بن محمد بن أبي المعالي العلوي النوق الجوشاني كتابة، قال: ثنا محمد بن الحسن بن سهل العباسي الطوسي؛ (قال): أنا أبو الحسن علي بن أبي الفضل الفارمدي؛ أنا أحمد بن الحسين بن علي، قال: ثنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد إملاء؛ ثنا يحيى بن أبي³ طالب، ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي، ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال:

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية، أن وجّه نضلة بن معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق فليؤز على ضواحيها. قال: فوجّه سعد نضلة في ثلاثمائة فارس، فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق، وأغاروا على ضواحيها، وأصابوا غنمة وسبيا، فأقبلوا يسوقون الغنمة والسبي حتى رهق بهم العصر، وكادت الشمس أن تغرب.

فألجا نضلة الغنمة والسبي إلى سفح الجبل، ثم قام فأذن فقال: "الله أكبر الله أكبر" قال: ومُجيب من الجبل يجيبه: كبرت كبيرا يا نضلة. ثم قال: "أشهد أن لا إله إلا الله" فقال: كلمة الإخلاص يا نضلة.

1 ص 130

2 "وضفا وربعا" هي في ق: "وضف ورج".

3 ص 130 ب

وقال: "أشهد أنّ محمداً رسول الله" فقال: هو الدين وهو الذي بشرنا به عيسى بن مريم عليها السلام، وعلى رأس أمته تقوم الساعة. ثم قال: "حيّ على الصلاة" قال: "طوبى لمن مشى- إليها وواظب عليها" ثم قال: "حيّ على الفلاح" قال: "قد أفلح من أجاب محمداً ﷺ وهو البقاء لأُمتة" قال: "الله أكبر الله أكبر" قال: "كَبُرَتْ كَبيراً" قال: "لا إله إلا الله" قال: "أخلصت الإخلاص -يا نضلة- فخرم الله جسدك على النار.

قال: فلما فرغ من أذانه قلنا فقلنا: من أنت يرحمك الله: أمَلَكٌ¹ أنت؟ أم ساكن من الجن؟ أم من عباد الله أسمعنا صوتك؛ فأرنا شخصك؟، فإنّا وفد الله ووفد رسول الله ﷺ ووفد عمر بن الخطاب.

قال: فانطلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا زريب بن برثملا؛ وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليها السلام، أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء، إلى نزوله من السماء؛ فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرأ مما نحلته النصارى. ما فعل النبي ﷺ؟ قلنا: قبض. فبكى بكاء طويلاً حتى خضب لحيته بالدموع.

ثم قال: فمن قام فيكم بعده؟ قلنا: أبو بكر. قال: ما فعل؟ قلنا: قبض قال: فمن قام فيكم بعده؟ قلنا: عمر. قال: إذا فاتني لقاء محمد ﷺ فأقرتوا عمر منّي السلام وقولوا:

يا عمر؛ سدّد وقارب، فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها. يا عمر؛ إذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد ﷺ فالهرب الهرب: إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا² في غير مناسبتهم، وانتموا إلى غير مواليهم، ولم يرحم كبيرهم صغيرهم، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم، وترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به، وترك النهي عن المنكر فلم يئنه عنه، وتعلّم عالمهم العلم، ليجلب به الدنانير والدرهم، وكان المطر قيظاً، والولد غيظاً، وطولوا المنابر، وفضضوا³ المصاحف، وزخرفوا المساجد، وأظهروا الرشي، وشيّدوا البناء، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واستخفوا الدعاء، وتقطعت الأرحام، وبيع الحكم، وأكل الربا، وصار التسلّط فخراً، والغنى عزّاً، وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه، وزكبت النساء السروج.

قال: ثمّ غاب عتاً. فكتب بذلك نضلةً إلى سعد، وكتب سعدٌ إلى عمر، فكتب عمر: انت أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار، حتى تنزل هذا الجبل، فإذا لقيته فأقرته منّي السلام، فإنّ رسول الله ﷺ

1 ص 131

2 ص 131 ب

3 الحروف المعجمة مملّة في ق

قال: إنَّ بعض أوصياء عيسى بن مريم عليه السلام نزل بذلك الجبل بناحية العراق. فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار حتى نزل الجبل أربعين يوما، ينادي بالأذان في وقت كلّ صلاة.

لم يتابع الراسبي على قوله عن مالك بن أنس، والمعروف في هذا الحديث مالك بن الأزهر، عن نافع وابن الأزهر مجهول، قال أبو عبد الله الحاكم: لم يسمع بذكر ابن الأزهر في غير هذا الحديث. والسؤال عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أبي بكر هو من حديث ابن لهيعة عن ابن الأزهر. قلنا: هذا الحديث وإن تكلم في طريقه فهو صحيح عند أمثالنا كشفا، وقوله في زخرفة المساجد وتضيض المصاحف؛ ليسا على طريق الذم، وإنما هما دلالة على اقتراب الساعة وفساد الزمان، كدلالة نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدي وطلوع الشمس من مغربها معلوم كلّ ذلك أنّه ليس على طريق الذم، وإنما الدلالات على الشيء قد تكون مذمومة ومحمودة.

هذا الوصي العيسوي ابن برثملا لم يزل في ذلك الجبل يتعبّد لا يعاشر أحدا، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أترى ذلك الراهب بقي على أحكام النصارى؟ لا والله فإنّ شريعة محمد صلى الله عليه وآله ناسخة. يقول صلى الله عليه وآله: «لو كان موسى حيّا ما وسعه إلا أن يتبّعني» وهذا عيسى. إذا نزل ما يؤمّننا إلا متّا أي بستننا، ولا يحكم فينا إلا بشرعنا.

فهذا الراهب ممن هو علي بيتة من ربه، علمه ربه من عنده ما افترضه عليه من² شرع نبينا محمد صلى الله عليه وآله على الطريق التي اعتادها من الله. وهذا عندنا ذوق محقق، فإنّا أخذنا كثيرا من أحكام محمد صلى الله عليه وآله المقررة في شرعه عند علماء الرسوم، وما كان عندنا منها علم فأخذناها من هذا الطريق، ووجدناها عند علماء الرسوم كما هي عندنا، ومن تلك الطريق نصّح الأحاديث النبوية، ونردّها أيضا إذا أعلمنا أنّها واهية الطرق غير صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وإن قرّر الشارع حكم المجتهد وإن أخطأ³، ولكن أهل هذه الطريقة ما يأخذون إلا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا الوصي من الأفراد، وطريقه في مآخذ العلوم طريق الحضرة. صاحب موسى عليه السلام فهو على شرعنا وإن اختلف الطريق الموصل إلى العلم الصحيح، فإنّ ذلك لا يقدح في العلم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله فمن أعطي الولاية من غير مسألة: «إنّ الله يعينه عليها، وإنّ الله يبعث إليه ملكا يسدّده» يريد عصمته من الغلط فيما يحكم به، قال الحضرة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾⁴ وقال صلى الله عليه وآله: «إن يكن في أمّتي محدثون فمنهم

1 ص 132

2 ص 132 ب

3 «وإن أخطأ» مكتوبتان بالهامش بقلم الأصل.

4 [الكهف: 82]

ثم إنه قد ثبت عندنا أنّ النبي ﷺ نهى عن قتل الرهبان الذين اعتزلوا الخلق وانفردوا برهيم، فقال: «ذروهم وما انقطعوا إليه» فأتى بلفظٍ مجمل، ولم يأمرنا بأن ندعوهم، لعلهم ﷺ أنهم على بينة من ربهم، وقد أمر ﷺ بالتبليغ، وأمرنا أن يبلغ الشاهد الغائب. فلولا ما علم رسول الله ﷺ أنّ الله يتولى تعليمهم مثل ما تولى تعليم الحضرة وغيره، ما كان كلامه هذا، ولا قرره على شرع منسوخ عنده في هذه الملة، وهو الصادق في دعواه ﷺ أنه بعث إلى الناس كافة، كما ذكر الله تعالى - فيه. فعصمت رسالته جميع الخلق. وروح هذا التعريف أنه كل من أدركه زمانه، وبلغت إليه دعوته، لم يتعبده الله إلا بشرعه، فإنما نعلم قطعا أنه ﷺ ما شافه جميع الناس بالخطاب في زمانه، فما هو إلا الوجه الذي ذكرنا.

وهذا الراهب من العيسويين الذين ورثوا عيسى عليه السلام إلى زمان بعثة محمد ﷺ فلما بعث محمد ﷺ تعبد الله هذا الراهب بشرعه ﷺ وعلمه من لدنه علما، بالرحمة التي آتاه من عنده، كان وزنه أيضا حالة عيسوية من محمد ﷺ فلم يزل عيسويًا في الشريعتين. ألا ترى هذا الراهب قد² أخبر بنزول عيسى عليه السلام وأخبر أنه إذا نزل يقتل الخنزير، ويكسر الصليب. أتراه بقي على تحليل لحم الخنزير؟ فلم يزل هذا الراهب عيسويًا في الشريعتين، فله الأجر مرتان: أجر أتباعه نبيّه، وأجر أتباعه محمداً ﷺ وهو في انتظار عيسى - إلى أن ينزل.

وهؤلاء الصحابة قد رأوه مع نضلة، وما سألوه عن حاله في الإسلام والإيمان ولا بما يتعبد نفسه من الشرائع، لأنّ النبي ﷺ ما أمرهم بسؤال مثله، فعلمنا قطعا أنّ النبي ﷺ لا يقرّ أحدا على الشرك، وعلم أنّ الله عبادا يتولى الحقّ تعليمهم من لدنه، علم ما أنزله على محمد ﷺ رحمةً منه وفضلا، وكان فضل الله عظيما. ولو كان ممن يؤدّي الجزية، لقلنا إنّ الشرع الحمدي قد قرّر له دينه، مادام يعطي الجزية، وهذه مسألة دقيقة في عموم رسالته، وإنه بظهوره لم يبق شرع إلا ما شرعه، وبما شرع: تهريرهم على شرعهم ما داموا يعطون الجزية، إذا كانوا من أهل كتاب، وكم الله تعالى - من هؤلاء العباد في الأرض.

فأصل العيسويين كما قرناه، تجريد التوحيد من الصور الظاهرة في الأمة العيسوية، والمثل التي لهم في الكنائس، من أجل أنهم على شريعة محمد ﷺ³ ولكن الروحية التي هم عليها، عيسوية في النصرانية وموسوية في اليهود من مشكاة محمد ﷺ من قوله: «اعبد الله كأنك تراه» و«الله في قبلة المصلّي» وإنّ

1 ص 133

2 ص 133 ب

3 ص 134

العبد إذا صلى استقبل ربه» ومن كل ما ورد في الله من أمثال هذه النسب.

وليس للعيسوي من هذه الأمة من الكرامات المشي في الهواء، ولكن لهم المشي - على الماء، والهمدي يمشي في الهواء بحكم التبعية، فإن النبي ﷺ ليلة أسري به وكان محمولا، قال في عيسى - ﷺ: «لو ازداد يقينا لمشي في الهواء» ولا نشك أن عيسى ﷺ أقوى في اليقين منا بما لا يتقارب، فإنه من أولي العزم من الرسل، ونحن نمشي في الهواء بلا شك.

وقد رأينا خلقا كثيرا ممن يمشي في الهواء، في حال مشيهم في الهواء، فعلمنا قطعا، أن مشينا في الهواء إنما هو بحكم صدق التبعية لا بزيادة اليقين على يقين عيسى ﷺ: "قد علم كل منا مشربه" فمشينا بحكم التبعية لحمد ﷺ من الوجه الخاص الذي له هذا المقام، لا من قوة اليقين كما قلنا، الذي كنا نفضل به عيسى ﷺ حاشى الله أن نقول بهذا، كما أن أمة عيسى يمشون على الماء بحكم التبعية، لا بمساواة يقينهم يقين¹ عيسى ﷺ.

فنحن مع الرسل في خرق العوائد الذين اختصوا بها من الله، وظهر أمثالها علينا بحكم التبعية، كما مثله في كتاب "اليقين"، أن المالك الخواص الذين يسكون نعال أستاذهم من الأمراء، إذا دخلوا على السلطان، وبقي بعض الأمراء خارج الباب، حين لم يؤذن لهم في الدخول؛ أتى بمالك الداخلين مع أستاذهم، أرفع مناصبا من الأمراء الذين ما أذن لهم؟ فهل دخلوا إلا بحكم التبعية لأستاذهم؟ بل كل شخص على رتبته، فالأمراء متميزون على الأمراء، والماليك متميزون على الماليك في جنسهم. كذلك نحن مع الأنبياء فيما يكون للأتباع من خرق العوائد.

ثم إن النبي ﷺ ما مشى في الهواء إلا محمولا على البراق، كالراكب وعلى الرفرف كالحمول في الحفة، فأظهر بالبراق والرفرف صورة المقام الذي هو عليه في نفسه، بأنه محمول في نفسه. و(أظهر) نسبة أيضا إلهية من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾² ومن قوله: ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾³ فالعرش محمول. فهذا حمل كرامة بالحاملين، وحال راحة ومجد وعز للمحمولين.

وقد قررنا لك في غير موضع؛ أن الحمل أعلى من غير الحمل في هذا المقام وأمثاله، وأنه "لا حول ولا قوة إلا بالله" مما اختص به الحملة، وإن كان جميع الخلق محمولين، ولكن لم يكشف ذلك الحمل لكل

1 ص 134 ب

2 [طه : 5]

3 [الحاقة : 17]

4 ص 135

أحد، وإن كان الحمل على مراتب: حمل عن مجز، وحمل عن حقيقة كحمل الأثقال، وحمل عن شرف ومجد. فالعناية بهذه الطائفة أن يكونوا محمولين ظاهرا، كما هو الأمر في نفسه باطنا، لتبريهم من الدعوى كما قررناه في بابه.

وللعيسويين همّة فعالة، ودعاء مقبول وكلمة مسموعة. ومن علامة العيسويين إذا أردت أن تعرفهم، فتتظر كل شخص فيه رحمةً بالعالم، وشفقةً عليه، كان من كان، وعلى أي دين كان، وبأية نحلة ظهر، وتسليمٌ لله فيهم. لا ينطقون بما تضيق الصدور له في حق الخلق أجمعين عند خطابهم عباد الله.

ومن علامتهم أنهم ينظرون من كل شيء أحسنه، ولا يجري على ألسنتهم إلا الخير. واشتركت في ذلك الطبقة الأولى والثانية؛ فالأولى مثل ما روي عن عيسى عليه السلام أنه رأى خنزيرا فقال له: "انج بسلام" فقيل له في ذلك، فقال: "أعوذ لسانی قول الخير". وأما الثانية فإن النبي ﷺ قال في الميتة حين مرّ عليها: «ما أحسن بياض أسنانها» وقال من كان معه: "ما أنتن ريحها" وأن النبي ﷺ وإن كان قد أمر بقتل الحيات¹ على وجه خاص، وأخبر أن الله يحب الشجاعة، ولو على قتل حية، ومع هذا فإنه كان بالغار في منى، وقد نزلت عليه سورة " والمرسلات" - والمرسلات يُعرف الغار إلى الآن، دخلته تبركا - فخرجت حية فابتدر الصحابة إلى قتلها، فأعجزتهم. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله وقاها شرکم كما وقام شرها» فسماه شرا مع كونه مأمورا به، مثل قوله -تعالى- في القصص: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾² فسمى القصص سيئة، وندب إلى العفو، لما وقعت عينه ﷺ إلا على أحسن ما كان في الميتة.

فهكذا أولياء الله لا ينظرون من كل منظور إلا أحسن ما فيه، وهم الغني عن مساوي الخلق، لا عن المساوي، لأنهم مأمورون باجتنابها، كما هم ضمٌّ عن سماع الفحشاء، كما هم البكم عن التلفظ بالشوء من القول، وإن كان مباحا في بعض المواطن. هكذا عرفناهم. فسبحان من اصطفاهم واجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ آتَتْهُ﴾³.

فهذا مقام عيسى عليه السلام في محمد ﷺ لأنه تقدّمه بالزمان، وتقلت عنه هذه الأحوال، قال تعالى -لنبيّه ﷺ حين ذكر في القرآن من ذكر من النبيين، وعيسى في جملة من ذكر عليهم السلام-: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ آتَتْهُ﴾.

1 ص 135 ب

2 [النورى : 40]

3 [الأعام : 90]

4 ص 136

وإن كان مقام الرسالة يقتضي تبين الحسن من القبيح، لنعلم كما قال تعالى:- ﴿لَتُبَيَّنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾¹ فإن بَيَّنَّ السوء في حق شخص، فَبَوَّخِي من الله، كما قال في شخص: «بنس ابن العشيرة»، والخضر قتل الغلام، وقال فيه: «طُبع كافرًا» وأخبر لو تركه بما يكون منه من السوء في حق أبيه، وقال: "ما فعلت ذلك عن أمري".

فالذي للرجال من ذواتهم القول الحسن، والنظر إلى الحسن، والإصغاء بالسمع إلى الحسن. فإن ظهر منهم وقتًا ما خلاف هذا؛ من نبي أو ولي مرحوم، فذلك عن أمر إلهي، ما هو لسانهم. فهذا قد ذكرنا من أحوال العيسويين ما يَسْرَهُ الله على لساني، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

1 [النحل : 44]

2 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب السابع والثلاثون في معرفة الأقطاب العيسويين وأسرارهم

فاعلم أيّدك الله بروح القدس- أن:

<p>والعيسويّ الذي يُدينه إقدامه بين التّيبين في الإشهادِ أعلامه كالمسك في شمّها بالوخي إلامه فلا يموت ولا تقينه أيامه تسعى لتظهر في الأكوانِ أخكامه بأنك الله؟ وهو الله علامه تتظنر لجزم الذي أزداه إجزامه أعطى وأعطي الذي أعطاه إكرامه</p>	<p>القطب من ثبت في الأمر إقدامه والعيسويّ¹ الذي يؤما له رفعت وجاءه من أينه كل راحة له الحياة فيخي من يشاء بها فلو تراه وقد جاءه آيته مواجهما بلسان: أنت قلت لهم جوابه: قيل ما قد قيل فاعف ولا صلى عليه إله الخلق من رجل</p>
---	--

اعلم أيّدك الله بروح القدس- أنا قد عرفناك أن العيسوي من الأقطاب هو الذي جمع له الميراثان:
الميراث الروحاني الذي يقع به الانفعال، والميراث² المحمدي ولكن من ذوق عيسى- ~~القطب~~ لا بد من ذلك،
وقد بيّنا مقاماتهم وأحوالهم، فلنذكر في هذا الباب بُنا من أسرارهم.

فنها؛ أنهم إذا أرادوا أن يُغطوا حالا من الأحوال التي هم عليها وهي تحت سلطانهم، لما يرون في ذلك
الشخص من الاستعداد؛ إما بالكشف وإما بالتعريف الإلهي، فيلبسون ذلك الشخص، أو يعاقونه، أو
يقبلونه، أو يعطونه ثوبا من لباسهم، أو يقولون له: "ابسط ثوبك". ثم يفرقون له مما يريدون أن يعطوه -
والحاضر ينظر أنهم يفرقون في الهواء- ويجعلوه في ثوبه على قدر ما يحدد لهم من الفزقات. ثم يقولون له:
"ضمّ ثوبك مجموع الأطراف إلى صدرك"، أو "البسه" على قدر الحال التي يحبون أن يهبوه إياها. فأبي
شيء فعلوا من ذلك، سرى ذلك الحال في ذلك الشخص المأمور، المراد به من وقته لا يتأخر.

وقد رأينا ذلك لبعض شيوخنا؛ جاء لأقوام من العامة، فيقول لي: هذا شخص عنده استعداد، فيقرب
منه. فإذا لمسه أو ضربه بصدره في ظهره، قاصدا أن يهبه ما أراد، سرى فيه ذلك الحال من ساعته،

1 ص 136 ب

2 ص 137

وخرج مما كان فيه، وانقطع إلى ربه.

وكان أيضا له هذه الحال مكي الواسطي، المدفون بمكة تلميذ أردشير؛ كان إذا أخذه الحال يقول لمن يكون¹ حاضرا معه: عانفتي، أو تعرّف الحاضر أمره، فإذا رآه متلبسا بحاله عاقه، فيسري ذلك الحال في هذا الشخص ويتلبس به.

شكا جرير بن عبد الله البجلي² لرسول الله ﷺ أنه لا يثبت على ظهر الفرس، فضرب في صدره يده؛ فما سقط عن ظهر فرس بعد. ونخس رسول الله ﷺ مركوبا كان تحت بعض أصحابه³ بطينا يمشي- به في آخر الناس، فلما نخسه لم يقدر صاحبه على إمساكه، وكان يتقدّم على جميع الركاب. وركب رسول الله ﷺ فرسا بطينا لأبي طلحة، يوم أُغِير على سرح⁴ رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ في حق ذلك الفرس: «إن وجدناه لَبَحْرًا» فما سبق بعد ذلك.

وشكا لرسول الله ﷺ أبو هريرة أنه ينسى ما يسمعه من رسول الله ﷺ فقال له: «يا أبا هريرة؛ ابسط رداءك، فبسط أبو هريرة رداءه؛ فاغترف رسول الله ﷺ غرزة من الهواء أو ثلاث غزفات وألقاها في رداء أبي هريرة، وقال له: ضَمَّ رداءك إلى صدرك، فضمه إلى صدره فما نسي بعد ذلك شيئا يسمعه» وهذا كله من هذا المقام.

فانظر في سير هذا الأمر، إنّه ما ظهر شيء من ذلك إلا بحركة محسوسة، لإثبات الأسباب التي وضعها الله، ليُعْلَم أنّ الأمر الإلهي لا ينخرم، وأنه⁵ في نفسه على هذا الحدّ. فيعرف العارف من ذلك نسب الأسماء الإلهية، وما ارتبط بها من وجود الكائنات، وأنّ ذلك تقتضيه الحضرة الإلهية لذاتها، فيصرف العالم المحقّق بهذه الأمور والتنبيهات الإلهية على أنّ الحكمة فيما ظهر، وأنّ ذلك لا يتبدّل وأنّ الأسباب لا ترتفع أبدا. وكلّ من زعم أنّه رفع سببا بغير سبب، فما عنده علم؛ لا بما رَفَع به ولا بما رَفَع. فلم يُمنح عبدا شيئا أفضل من العلم والعمل به، وهذه أحوال الأدباء من عباد الله تعالى.

ومن أسرارهم أيضا؛ أنّهم يتكلمون في فصول البلاغة في النطق، ويعلمون إيجاز القرآن، ولم يُعلم منهم ولا حصل لهم من العلم بلسان العرب، والتحقّق به على الطريقة المعهودة، من قراءة كتب الآداب، ما يعلمون أنّهم حصل لهم ذلك من هذه الجهة، بل كان ذلك لهم من الهبات الإلهية، بطريق خاص يعرفونه

1 ص 137 ب

2 ق: "جابر بن عبد الله" ومصححة بالهامش بخط آخر: "جرير بن عبد الله البجلي"

3 عزفه في الهامش بخط آخر أنه: جابر بن عبد الله.

4 السرح: المال السام، الليث: السرح المال يُسمّى في المرعى من الأنعام. [لسان العرب]

5 ص 138

إن نفوسهم، إذا أعطوا العبارة عن النبي يرد عليهم في بواطنهم من الحقائق.

وهم أميون؛ وإن أحسنوا الكتابة من طريق النقش، ولكن هم عوام الناس، فينطقون بما هو خارج في المعتاد عن قوتهم، إذ لم يكونوا من العرب، وإن كانوا من العرب فلم يكونوا إلا بالنسب لا باللسان، فيعرف الإعجاز فيه منه، فمن هنالك يعرف إعجاز القرآن، وذلك قول الحق.

قيل لي في بعض الوقائع: أتعرف¹ ما هو إعجاز القرآن؟ قلت لا. قال كونه إخبارا عن حق، التزم الحق يكن كلامك معجزا. فإن المعارض للقرآن؛ أول ما يكذب فيه أنه يجعله من الله، وليس من الله، فيقول على الله ما لا يعلم، فلا يثمر ولا يثبت، فإن الباطل زهوق لا ثبات له. ثم يخبر في كلامه عن أمور مناسبة للسورة التي يريد معارضتها، بأمور تناسبها في الألفاظ، مما لم تقع ولا كانت. فهي باطل، والباطل عدم، والعدم لا يقاوم الوجود. والقرآن إخبار عن أمر وجودي حق في نفس الأمر، فلا بد أن يعجز المعارض عن الإتيان بمثله. فمن التزم الحق في أفعاله وأقواله وأحواله، فقد امتاز عن أهل زمانه، وعن كل من لم يسلك مسلكه، فأعجز من أراد التصور على مقامه من غير حق.

ومن أسرارهم أيضا علم الطبائع، وتأليفها، وتحليلها، ومنافع العقاقير، يعلم ذلك منها كشفا. خرج شيخنا أبو عبد الله الغزالي كان بالمرية رحمه الله- في حال سلوكه من مجلس شيخه أبي العباس بن العريف²، وكان ابن العريف أديب زمانه، فهو بالأحرش بطريق الصادحية، إذ رأى أعشاب ذلك المزج كلها تخاطبه بمنافعها، فتقول له الشجرة أو النجم: خذني، فأني أنفع لكذا، وأدفع من المضار كذا. حتى ذهل وبقي حائرا من نداء كل شجرة منها تحببا له وتقربا منه.

فرجع إلى الشيخ وعرفه بذلك، فقال³ له الشيخ: ما لهذا خدمتنا، أين كان منك الضار النافع، حين قالت لك الأشجار إنها نافعة ضارة؟ فقال: يا سيدي؛ التوبة. قال له الشيخ: إن الله فتنك واختبرك، فأني ما دلتك إلا على الله لا على غيره، فمن صدق توبتك، أن ترجع إلى ذلك الموضع فلا تكلمك تلك الأشجار التي كلفتك، إن كنت صادقا في توبتك. فرجع أبو عبد الله الغزالي إلى الموضع، فما سمع شيئا مما كان قد سمعه. فسجد لله شكرا، ورجع إلى الشيخ فعرفه. فقال الشيخ: الحمد لله الذي اختارك لنفسه، ولم يدفعك إلى كون مثلك من أكوانه تشرف به، وهو على الحقيقة يشرف بك. فانظر همته عليه السلام.

وإذا علم أسرار الطبائع ووقف على حقائقها؛ علم من الأسماء الإلهية التي علمها الله آدم عليه السلام يضيئها،

1 ص 138 ب

2 سبق تعريفه في السفر الثاني.

3 ص 139

وهي علوم عجيبة، لما أطلعنا الله عليها من هذه الطريقة، رأينا أمرا هائلا، وعلمنا من سر الله في خلقه، وكيف سرى الاقتدار الإلهي في كل شيء، فلا شيء ينفع إلا به، ولا يضر إلا به، ولا ينطق إلا به، ولا يتحرك إلا به.

وحجب العالم بالصور، فنسبوا كل¹ ذلك إلى أنفسهم، وإلى الأشياء، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ²﴾ وكلامه حق، وهو خبر. ومثل هذه الأخبار لا يدخلها النسخ، فلا فقر إلا إلى الله. ففي هذه الآية تسمى الله بكل³ شيء يقتدر إليه، ومن هذا الباب يكون الفقير من يقتدر إلى كل شيء، ولا يقتدر إليه شيء، فيتناول الأسباب على أوضاعها الحكيمية، لا يُخل بشيء منها.

وهذا النوق عزيز، ما رأينا أحدا عليه فيمن رأيناه، ولا يُقل إلينا سماعا لا في المتقدم ولا في المتأخر، لكن رأينا ونقل إلينا عن جماعة إثبات الأسباب، وليس من هذا الباب فإن الذي نذكره ونطلبه سريان الألوهية في الأسباب، أو تجليات الحق خلف حجاب الأسباب، في أعيان الأسباب. أو سريان الأسباب في الألوهية⁴. هذا هو الذي لم نجد له ذاتها، إلا قول الله تعالى: - فهي الآية اليتيمة في القرآن، لا يعرف قدرها، إذ لا قيمة لها، وكل ما لا قيمة له ثبت بالضرورة أنه مجهول القدر، ولو اعتقدت فيه النفاسة.

ومن أسرارهم أيضا: معرفة الناشئين في الدنيا؛ وهي النشأة الطبيعية والنشأة الروحانية، وما أصلهما؟ ومعرفة الناشئين في الدار الآخرة الطبيعية والروحانية، وما أصلهما؟ ومعرفة الناشئين: نشأة الدنيا ونشأة الآخرة. فهي ستة علوم لا بد له من معرفتها.

ومن أسرارهم: أنه ما منهم شخص كُمل له هذا المقام إلا ويوهب ستمائة قوة إلهية، ورثها من جدّه الأقرب لأبيه، فيفعل بها بحسب ما تعطيه، فإن شاء أخفاها وإن شاء أظهرها، والإخفاء أعلى⁵. فإن العبودية إنما تأخذ من القوى ما تستعين بها على أداء حق، أو أمر سيدها، لثبوت حكم عبوديتها. فكل قوة تخرجه عن هذا الباب بالقصد فليس هو مطلوبا لرجال الله، فإنهم لا يراجعون ذا القوة المتين، فإن الله ما طلب منهم أن يطلبوا العون منه إلا في عبادته، لا أن يظهروا بها ملوكا أربابا، كما زعمت طائفة من أهل الكتاب، من اتخنوا عيسى ربا، قالوا: إن محمدا يطلب منا أن نعبد كما عبدنا عيسى، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

1 تاجية في الهامش بخط الأصل.

2 (فاطر : 15)

3 ص 139 ب

4 ق: "الإلهية" وأثبت فوقها بقلم الأصل: "الألوهية"

5 ص 140

بِقَضَا أَرْبَابَا مِنْ دُونِ اللَّهِ¹.

ومن أسرارهم أيضا أنهم لا يتعدون في معارجهم، من حيث أبيهم، السماء الثانية، إلا أن يتوجهوا إلى الجَدِّ الأقرب، فرما ينتهي بعضهم إلى السدرة المنتهى، وهي المرتبة التي تنتهي إليها أعمالُ العباد لا تعدّها، ومن هناك يقبلها الحقُّ وهي برزخها إلى يوم القيامة الذي يموت فيه صاحب ذلك العمل، ويكفي هذا القدر من علم أسرار هذه الجماعة، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

انتهى الجزء العشرون، يتلوه في الجزء الحادي والعشرين³.

1 [آل عمران : 64]

2 [الأحزاب : 4]

3 في الهامش: "بلاغ". وكتب في هامش الصفحة من جملة اليمين والأسفل الساعات التالية: "سمع من البلاغ بخط القارئ في الجزء الثامن عشر إلى هنا على مصنفه الإمام العالم الأوحده محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي الأئمة: أبو بكر بن سليمان الحموي، وابناه عبد الواحد وأحمد، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأربلي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، ومحمد بن يرقش المظفر، ويعقوب بن معاذ الوري، ويونس بن عثمان الدمشقي، وأحمد بن أبي الهيجاء، وأبو بكر بن محمد البلخي، وأحمد بن محمد بن سليمان، وعلي بن يوسف القندسي، وعمران بن محمد بن عمران النشبي، وعلي بن أبي بكر الدمشقي، ومحمد بن علي المطرز، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج، ومظفر بن محمود -الحظيون- ومحمد بن نصر الله الملقبي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد أبنا المصنف- وحسين بن محمد الموصلي، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، ويحيى بن إسماعيل الملقبي، وأبو بكر بن يونس بن الخلال، وأبو المظفر يوسف بن الحسن النابلسي، وعلي بن أبي الفخام بن الفضال، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي. - وسمع من مواضع ابن إبراهيم بن أبي بكر الخلال إلى هنا، ومحمد بن أحمد بن زرافعة، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شعاع، وأحمد بن موسى بن حسين التركماني. - وسمع من أول الجزء العشرين عيسى بن إسحق بن يوسف الهلباني، وذلك في ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستائة، بمزلة السمع بدمشق، والحمد لله وصلاته على محمد وآله وصحبه وأزواجه وسلامة".

يليه: "وسمع مع الجماعة بالقراءة والتاريخ أبي عبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي الواعظ والده. الحقه إبراهيم القرشي حاملا ومصليا". يليه: "وأعيدت لمحمد بن بدر قدر ما فاته وكتبه علي بن المظفر النشبي".

الجزء الحادي والعشرون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الثامن والفلاثون

في معرفة من اطلع على المقام المحمدي

ولم ينله من الأقطاب

بَيْنَ التَّبَوَّةِ وَالْوِلَايَةِ فَارِقٌ	لَكِنَّ لَهَا الشَّرْفَ الْأَتَمَّ الْأَعْظَمَ
يَعْتَوُ لَهَا الْفَلَكَ الْمَحِيطُ بِسِرِّهِ	وَكَذَلِكَ التَّمُّ الْعَلِيُّ الْأَفْخَمُ
إِنَّ التَّبَوَّةَ وَالرِّسَالَةَ كَانَتَا	وَقَدْ اثْبَتَتْ وَلَهَا السَّبِيلُ الْأَقْوَمُ
وَأَقَامَ يَتَسَا لِلْوِلَايَةِ مُخَكَّمَا	فِي ذَاتِهِ فَلَهُ الْبَقَاءُ الْأَدْوَمُ
لَا تَطْلُبُنُهُ بِهَايَةَ يُسْفَى لَهَا	فَيَكُونُ عِنْدَ بُلُوغِهِ يَتَهَدَّمُ
صِفَةَ النَّوَامِ لِذَاتِهِ تَفْسِيَّةٌ	فَهُوَ الْوَلِيُّ فَتَهْرَهُ مُتَحَكِّمٌ
يَأْوِي إِلَيْهِ نَبِيُّهُ وَرَسُولُهُ	وَالْعَالَمُ الْأَعْلَى وَمَنْ هُوَ أَقْدَمُ

ثبت³ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالتَّبَوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ؛ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ» الحديث بكامله. فهذا الحديث من أشد ما جرعت الأولياء مرارته؛ فإنه قاطع للوصلة بين الإنسان وبين عبوديته. وإذا انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين عبوديته من أكمل الوجوه؛ انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين الله، فإنَّ العبد على قدر ما يخرج به عن عبوديته، ينقصه من تفريره من سيده، لأنه يزاحمه في أسمائه، وأقل المزاحمة الاسمية، فأبقى علينا اسم الولي؛ وهو من أسمائه سبحانه. وكان هذا الاسم قد نزع من رسوله وخلق عليه، وسماه بالعبد والرسول، ولا يليق بالله أن يسقى بالرسول. فهذا الاسم من خصائص العبودية، التي لا تصح أن تكون للرب. وسبب إطلاق هذا الاسم (هو) وجود الرسالة، والرسالة قد انقطعت. فارتفع حكم هذا الاسم بارتفاعها، من حيث نسبتها بها من الله.

ولمَّا علم رسول الله ﷺ أَنَّ فِي أُمَّتِهِ مَنْ يَجْرَعُ مِثْلَ هَذَا الْكَأْسِ، وَعَلِمَ مَا يَطْرَأُ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ

1 العنوان ص 140 ب

2 البسملة ص 141

3 ص 141 ب

الألم؛ لذلك رحمهم؛ فجعل لهم نصيبا ليكونوا بذلك عبيد العبيد. فقال للصحابة: «ليبلغ الشاهد الغائب» فأمرهم بالتبليغ كما أمره الله بالتبليغ، لينطلق عليهم أسماء¹ الرسل التي هي مخصوصة بالعبيد. وقال ﷺ: «رحم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، فأذاها كما سمعها» يعني حرفاً حرفاً، وهذا لا يكون إلا لمن بلغ الوحي من قرآن أو سنة، بلفظه الذي جاء به. وهذا لا يكون إلا لثقل الوحي من المقرئين والحدّثين؛ ليس للفقهاء، ولا لمن نقل الحديث على المعنى كما يراه سفيان الثوري، وغيره - نصيبٌ ولا حظٌ فيه. فإن الناقل على المعنى، إنما نقل إلينا فهمه في ذلك الحديث النبوي، ومن نقل إلينا فهمه، فإنما هو رسول نفسه، ولا يُحشر يوم القيامة فبين بلغ الوحي كما سمعه، وأدى الرسالة كما يحشر المقرئ والحدّث الناقل لفظ الرسول عينه، في صف الرسل - عليهم السلام -.

فالصحابة إذا تلقوا الوحي على لفظه، فهم رسل رسول الله ﷺ، والتابعون رُسُل الصحابة، وهكذا الأمر جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة. فإن شئنا قلنا في المبلغ إلينا: إنه رسول رسول الله. وإن شئنا أضفناه لمن بلغ عنه. وإنما جوزنا حدّف الوسائط؛ لأن رسول الله كان يخبره جبريل عليه السلام (هو) ملك من الملائكة، ولا تقول فيه: رسول جبريل، وإنما تقول فيه: رسول الله، كما قال الله تعالى²: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾³ وقال ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾⁴ مع قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ﴾⁵ ومع هذا فما أضافه الله إلا إلى نفسه.

فهذا القدر بقي لهم من العبودية. وهو خيرٌ عظيم امتن الله به عليهم. ومما لم ينقله الشخص بسنده متصلاً غير منقطع، فليس له هذا المقام، ولا سُمّ له راحة، وكان من الأولياء المزاحمين الحق في الاسم الوحي، فنقصه من عبوديته بقدر هذا الاسم. فلهذا اسم الحدّث -فتح النال- أوّلَى به من اسم الوحي، فإن مقام الرسالة لا يناله أحد بعد رسول الله ﷺ إلا بقدر ما يتناه، فهو الذي أبواه الحق تعالى - علينا. ومن هنا تعرف مقام شرف العبودية، وشرف الحدّثين، ثقل الوحي بالرواية. ولهذا اشتد علينا غلق هذا الباب، وعلمنا أنّ الله قد طردنا من حال العبودية الاختصاصية، التي كان ينبغي لنا أن نكون عليها. وأما النبوة فقد يتّأها لك فيما تقدّم في باب معرفة الأفراد وهم أصحاب الرّكاب.

ثمّ إنّه تعالى - من باب طردنا من العبادة ومقامها، قال تعالى -: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» ومن نحن حتى تقع القسمة بيننا وبينه؟، وهو السيّد الفاعل المحرك، الذي يقولنا في قولنا: ﴿يَاكَ

1 ص 142

2 ص 142 ب

3 [الفتح : 29]

4 [الأحزاب : 40]

5 [الشعراء : 193 ، 194]

تَعْبُدُ¹ وَأَمْثال ذلك مما أضافه² إلينا، وقد علمنا أنّ نواصينا بيده في قيامنا وركوعنا وسجودنا وجلسنا وفي نطقنا.

يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾³ يقول الله: «حمدني عبدي» تفضّلا منه؛ فإنه من قَوْلِه بهذه اللفظة. وما قَدَرُهُ حتى يقول السيد: قال عبدي وقلت له؟ هذا حجابٌ مُسَدَّل. فينبغي للعبد أن يعرف أنّ الله مكرا خفيًا في عبادته، وكلّ أحد يمكر به على قدر علمه بربه. فيأخذ هذا التكريم الإلهي ابتلاء من الله مدرجا في نعمة، فإذا صَلَّى وتلا وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقولها حكاية من حيث ما هو مأمور بها لتصحّ عبوديته في صلاته، ولا ينتظر الجواب ولا يقول ليجاب، بل يشتغل بما كلفه سيّده به من العمل، حتى يكون ذلك الجواب والإِنعام من السيد، لا من كونه قال. فإنّ القائل على الحقيقة خالقُ القول فيه، فنسلم من هذا المكر، وإن كان منزلة رفيعة، ولكن بالنظر إلى من هو في غير هذه المنزلة من نزل عنها.

فما ورثنا من رسول الله ﷺ من هذا المقام الذي أغلق بابه دوننا، إلا ما ذكرناه من عناية الحق، بمن كَشَفَ له عن ذلك وورقه علم نقل الوحي بالرواية من كتاب وستة. فما أشرف مقام أهل الرواية من القرنين والحديثين، جعلنا الله ممن اختصّ بنقله⁴ من قرآن وستة، فإنّ «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» والحديث مثل القرآن بالنص، فإنه ﷺ ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁵. ومن تحقّق بهذا المقام معنا أبو يزيد البسطامي؛ كشف له منه بعد السؤال والتضريح، قدر خَزَبُ⁶ الإبرة، فأراد أن يضع قدمه فيه فاحترق، فعلم أنّه لا يُنال ذوقا وهو كمال العبادة.

وقد حصل لنا منه ﷺ شعرة، وهذا كثير لمن عرف، فما عند الخلق منه إلا ظله، ولَمَّا أطلعني الله عليه، لم يكن عن سؤال وإنما كان عن عناية من الله، ثمّ إنّه أهدني فيه بالأدب رزقا من لئنه وعناية من الله بي، فلم يصدر منّي هناك ما صدر من أبي يزيد، بل أطلعت عليه وجاء الأمر بالرقّي في سُلْبِه. فعلمت أنّ ذلك خطاب ابتلاء وأمر ابتلاء لا خطاب تشریف، على أنّه قد يكون بعض الابتلاء تشريفا، فتوقفتُ وسألتُ الحجاب، فعلم ما أردت، فوضع الحجاب بيني وبين المقام. وشكّر لي ذلك، فنحنى منه الشعرة التي ذكرناها، اختصاصا إلهيا، فشكرتُ الله على الاختصاص بتلك الشعرة، غير طالب بالشكر

1 [الفاتحة : 5]

2 ص 143

3 [الفاتحة : 2]

4 ص 143 ب

5 [النجم : 3، 4]

6 ألحزب: للإبرة والنفاس ونحوه، وهو هبه، ويجمع على الحزوت. [تهذيب اللغة]

الزيادة، وكيف أطلب الزيادة من ذلك، وأنا أسأل الحجاب، الذي هو من كمال العبودية، فسرت¹ في العبودية، وظهر سلطانها، وحيل بيني وبين مرتبة السيادة. لله الحمد على ذلك. وكم طليتُ إليها وما أجبتُ، وهكذا. إن شاء الله- أكون في الآخرة، عبدا محضا خالصا، ولو ملكني جميع العالم، ما ملكتُ منه إلا عبوديته خاصة حتى تقوم بذاتي جميع عبودية العالم.

وللناس في هذا مراتب؛ فالذي ينبغي للعبد أن لا يزيد على هذا الاسم غيره، فإن أطلق الله السنة الخلق عليه، بأنه ولي الله، ورأى أن الله قد أطلق عليه اسما أطلقه تعالى- على نفسه، فلا يسمعه ممن يسميه به، إلا على أنه بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل، حتى يشتم فيه رائحة العبودية، فإن بنية فاعل قد تكون بمعنى الفاعل.

وإنما قلنا هذا، من أجل ما أمرنا أن نتخذه سبحانه- وكيفا فيما هو له مما نحن مستخلفون فيه، فإن في مثل هذا مكرًا خفيًا، فنحفظُ منه. ويكفي من التنبيه الإلهي العاصم من المكر كونك مأمورا بذلك فامتثل أمره واتخذ وكيفا، لا تدعي الملك فإن الله تولاك فإنه قال: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾² واسم الصالح من خصائص العبودية، ولهذا وصف محمد ﷺ نفسه بالصلاح؛ فإنه ادعى حالة لا تكون إلا للعبيد الكامل.

فمنهم من شهد له بها الحق ﷺ بشري³ من الله، فقال في عبده يحيى عليه السلام: ﴿نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁴ وقال في نبيه عيسى- عليه السلام: ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁵ وقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁶ من أجل الثلاثة الأمور التي صدرت منه في الدنيا؛ وهي قوله عن زوجته سارة أنها أخته بتأويل، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾⁷ اعتذارا، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾⁸ إقامة حجة.

فهذه الثلاثة يعتذر يوم القيامة للناس، إذا سألوه أن يسأل ربه فتح باب الشفاعة، فهذا ذكر صلاحه في الآخرة، إذ لم يؤاخذ بذلك، كما قال الله تعالى- لحمد ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾⁹ وقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ﴾¹ فقدّم البشري قبل العتاب، وهذه الآية عندنا بشري

1 ص 144

2 [الأعراف : 196]

3 ص 144 ب

4 [آل عمران : 39]

5 [آل عمران : 46]

6 [البقرة : 130]

7 [الصفوات : 89]

8 [الأنبياء : 63]

9 [الفتح : 2]

خاصة ما فيها عتاب، بل هو استفهام لمن أنصف وأعطى أهل العلم حقهم.

وأما سليمان وأمثاله -عليهم السلام-، فأخبرنا الحق أنه قال: ﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾² وإن كانوا صالحين في نفس الأمر وعند الله، فهم بين سائل في الصلاح ومشهود له به، مع كونه نعتا عبوديا لا يليق بالله، فما ظنك بالاسم الوليّ الذي قد تسمى الله به بمعنى الفاعل.

فينبغي أن لا ينطلق ذلك الاسم على العبد، وإن³ أطلقه الحق عليه، فذلك إليه تعالى، ويلزم الإنسان عبوديته وما يختص به من الأسماء التي لم تنطلق قط على الحق لفظا، فيما أنزله على نبيه ﷺ. فلما أنزل الله تعالى - على عبده محمد ﷺ هذه الآية ليعرف الناس بها؛ فكان الله حكى عن نبيه ﷺ ما لا بد له أن يقوله ويتلفظ به، فجعله تعالى - قرآنا يتلى، إذ كان ذلك من خصائص العبيد في نفس الأمر.

فقال تعالى:- ﴿إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾⁴ فشهد له بالصلاح؛ إذا كان الحق حاكيا في هذه الآية. وإن كان أمرا فيكون من المشهودين لهم⁵ بالصلاح. فعرفنا أن الله تولاه، وأخبرنا أن الله يتولى الصالحين، فشهد لنفسه بالصلاح بالوجه الذي ذكرناه، ولم يُنقل ذلك عن غيره، بل نُقل ما يقاربه من قول عيسى -عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾⁶ يقول الله تعالى:- ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾⁷ أي فكذلك أنت، فكان من فضله⁸ نيل مثل هذا المقام.

فاحفظ يا وليّ- نفسك في التخلّق بأسماء الله الحسنى، فإن العلماء لم يختلفوا في التخلّق بها، فإذا وقّفت للتخلّق بها، فلا تفتّب في ذلك عن شهود آثارها فيك، ولتكن فيها ومعها بحكم النيابة عنها، فتكون مثل اسم الرسول لا تشارك الحق في إطلاق اسم عليك من أسماؤه بذلك المعنى، والنزم الأدب ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁹ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹⁰.

1 [التوبة : 43]

2 [النمل : 19]

3 ص 145

4 [الأعراف : 196]

5 ق: "له" وصححت بالهامش بقلم الأصل.

6 [مريم : 30 - 33]

7 [البقرة : 253]

8 ص 145 ب

9 [طه : 114]

10 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب التاسع والثلاثون
في معرفة المنزل الذي يحط إليه الولي
إذا طرده الحق تعالى- من جواره

إذا حط الولي فلنيس إلا
عروج وارتقاء في علو
فإن الحق لا شهيد فيه
ففي عين النوى عين النور
فقال المجتبي في كل حال
سُمُو في سُمُو في سُمُو
فلا حُكْمَ عَلَيْهِ بِكُلِّ وَجْهِ
ولا تأثير فيه؛ للعلو

اعلم أيديك الله بروح منه- أن الله تعالى- يقول لإبليس: "اسجد لآدم". فظهر الأمر فيه. وقال لآدم وحواء: ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾². فظهر النهي فيها. والتكليف مقسم بين أمر ونهي؛ وهما محمولان على الوجوب، حتى تخرجهما عن مقام الوجوب قرينة حال. وإن كان مذهبنا فيها التوقيف. وتعين امتثال الأمر والنهي. وهذا أول أمر ظهر في العالم الطبيعي، وأول نهي.

وقد أعلمناك أن الخاطر الأول؛ وأن جميع الأوليات، لا تكون إلا ربانية. ولهذا تصدق ولا تخطئ أبدا. ويقطع به صاحبه، فسultanه قوي. ولما كان هذا أول أمر ونهي، لئلا وقعت العقوبة عند المخالفة، ولم يهمل.

فإذا جاءت الأوامر بالوسائط، لم تقو قوة الأول. وهي الأوامر الواردة إلينا على السنة الرسل. وهي على قسمين: إما ثوان؛ وهو ما يلقي الله إلى نبيه في نفسه من غير واسطة الملك، فيصل إلينا الأمر الإلهي، وقد جاز على حضرة كويتية، فاكسب منها حالة لم يكن عليها. فإن الأسماء الإلهية تلقته في هذه الحضرة الكويتية، فشاركته بأحكامها في حكمه. وإما أن ينزل عليه بذلك الأمر الملك، فيكون الأمر الإلهي قد جاز على حضرتين من الكون: جبريل وأي ملك كان³، وأي نبي كان⁴، فيكون فعله وأمره في القوة، دون الأول والثاني. فلذلك لم تقع الموازنة معجلة: فإما إجمال إلى الآخرة. وإما غفران، فلا يؤاخذ بذلك أبدا، وفعل الله ذلك رحمة بعباده.

كما أنه تعالى- خص النهي بآدم وحواء. والنهي ليس بتكليف عملي، فإنه يتضمن أمرا عديما، وهو: لا

1 ص 146

2 [البقرة: 35]

3 "وأي ملك كان" ناجية في الهامش بقلم الأصل.

4 ص 146 ب

تفعل. ومن حقيقة الممكن أنه لا يفعل. فكأنه قيل له: لا تفارق أصلك. والأمر ليس كذلك؛ فإنه يتضمّن أمراً وجودياً، وهو أن يفعل. فكأنه قيل له: أخرج عن أصلك. فالأمر أشقّ على النفس من النهي، إذ كلف الخروج عن أصله. فلو أنّ إبليس لمّا عصى ولم يسجد، لم يقل ما قال؛ من التكبر، والفضلية التي نسبها إلى نفسه على غيره، فخرج عن عبوديته بقدر ذلك، خلّت به عقوبة الله. وكانت العقوبة لآدم وحواء لمّا كلفا الخروج عن أصلهما، وهو الترك. وهو أمر عديّ - بالأكل - وهو أمر وجوديّ - فشارك الله بين إبليس وآدم وحواء في ضمير واحد، وهو كان أشدّ العقوبة على آدم - فقيل لهم: ﴿اهْبِطُوا﴾¹ بضمير الجماعة.

ولم يكن الهبوط عقوبة لآدم وحواء؛ وإنما كان عقوبة لإبليس. فإنّ آدم أهبط لصدق الوعد؛ بأن يُجبل في الأرض خليفة، بعد ما تاب عليه واجتباها، وتلقّى الكلمات من ربه بالاعتراف. فاعترافه ² (هو) في مقابلة كلام إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾³، فعزّنا الحقّ بمقام الاعتراف عند الله، وما ينتج من السعادة، لتخذه طريقاً في مخالفتنا. وعزّنا بدعوى إبليس ومقاتلته، لنحذر من مثلها عند مخالفتنا.

وأهبط حوّاء للتناسل، وأهبط إبليس للإغواء. فكان هبوط آدم وحواء هبوط كرامة، وهبوط إبليس هبوط خذلان وعقوبة واكتساب أوزار. فإنّ معصيته كانت لا تقتضي تأييد الشقاء؛ فإنه لم يشرك؛ بل افتخر بما خلقه الله عليه، وكتبه شقيّاً. ودار الشقاء مخصوصة بأهل الشرك. فأنزله الله إلى الأرض ليسنّ الشرك بالوسوسة في قلوب العباد. فإذا أشركوا وتبرأ إبليس من المشرك ومن الشرك، لم ينفعه تبرّيه منه. فإنه هو الذي قال له: ﴿اكَفِّرْ﴾⁴ كما أخبر الله تعالى. فخار عليه وزرّ كلّ مشرك في العالم، وإن كان (هو) موحدًا. فإنه «من سنّ سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها».

فإنّ الشخص الطبيعي؛ كإبليس وبني آدم، لا بدّ أن يتصوّر في نفسه مثال ما يريد أن يبرزه. فما سنّ الشرك ووسوس به حتى تصوّره في نفسه، على الصورة التي إذا حصلت في نفس المشرك، زالت عنه صورة التوحيد. فإذا تصوّرها في نفسه بهذه الصورة، فقد خرج التوحيد عن تصوّره في نفسه، ضرورة⁵. فإنّ الشريك مُتصوّر له في نفسه إلى جانب الحقّ الذي في نفسه متخيلاً، أعني من العلم بوجوده. فما تركه في نفسه وحده. فكان إبليس مشركاً في نفسه، بلا شكّ ولا ريب. ولا بدّ أن يحفظ في نفسه بقاء صورة الشريك، ليمدّها المشركين مع الأنفاس، فإنه خائف منهم أن تزول عنهم صفة الشرك، فيوحدوا الله،

1 [البقرة : 36]

2 ص 147

3 [الأعراف : 12]

4 [الحشر : 16]

5 ص 147 ب

فيسعدوا. فلا يزال إبليس يحفظ صورة الشريك في نفسه، ويراقب بها قلوب المشركين، الكائنين في الوقت، شرقا وغربا وجنوبا وشمالا. ويردّ بها الموحّدين، في المستقبل، إلى الشرك، ممن ليس بمشرك.

فلا ينفكّ إبليس دائما على الشرك، فبذلك أشقاه الله. لأنه لا يقدر أن يتصوّر التوحيد نفسا واحدا، لملازمته هذه الصفة، وحرصه على بقائها في نفس المشرك. فإتّها لو ذهب من نفسه، لم يجد المشرك من يحدّثه في نفسه بالشرك، فيذهب الشرك عنه. ويكون إبليس لا يتصوّر الشريك، لأنه قد زالت عن نفسه صورة الشريك، فيكون لا يعلم أنّ ذلك المشرك، قد زال عن إشراكه. فدلّ (هذا) أنّ الشريك يستصحب إبليس دائما. فهو أول مشرك بالله، وأول من سنّ الشرك، وهو أشقى العالمين. فلنلك يطمع في الرحمة من عين المنة. ولهذا قلنا: إنّ العقوبة في حقّ آدم، إنّما كان في جموعه مع إبليس في الضمير، حيث خاطبهم الحقّ بالهبوط، بالكلام الذي يليق بجلاله. ولكن لا بدّ أن يكون في الكلام الصفة التي يقتضها لفظ الضمير، فإنّ صورة اللفظ يطلب المعنى الخاص، وهذه طريقة لم تجعل العلماء بالها من ذلك.

وإنما ذكرنا مسألة آدم تأنيسا لأهل الله تعالى؛- إذا زلّوا خطّوا عن مقامهم؛ أنّ ذلك الانحطاط لا يقضي بشقائهم، ولا بدّ، بل يكون هبوطهم كهبوط آدم؛ فإنّ الله لا يتحيّز ولا يتقيّد. وإذا كان الأمر على هذا الحدّ، وكان الله بهذه الصفة من عدم التقيّد، فيكون عين هبوط الوليّ عند النزلة، وما قام به من الذلّة والحياء والانكسار فيها، عين الترقّي إلى أعلى مما كان فيه؛ لأنّ علوّه بالمعرفة والحال. وقد يزيد من العلم بالله ما لم يكن عنده؛ ومن الحال وهو الذلّة والانكسار- ما لم يكن عليها، وهذا هو عين الترقّي إلى مقام أشرف، فإذا فقد الإنسان هذه الحالة في زلّته، ولم يندم ولا ذلّ ولا انكسر- ولا خاف مقام ربّه؛ فليس من أهل هذه الطريقة. بل ذلك جليس إبليس. بل إبليس أحسن حالا منه؛ لأنه يقول لمن يطبعه في الكفر: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾².

ونحن إنّما نتكلّم على زلات أهل الله، إذا³ وقعت منهم. قال تعالى:- ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَا قَعَلُوا﴾⁴ وقال رسول الله ﷺ: «الندم توبة» وإنّما الإنسان الوليّ إذا كان في المقام الذي كان، والحال التي كان عليها، ملتذّا بها؛ فلذّته إنّما كانت بحاله. فإنّ الله يتعالى أن يُلْتذّ به، فلما زلّ، وعزّته حالة الذلّة والانكسار؛ زالت ضرورة- الحالة التي كان يُلْتذّ بوجودها، وهي حالة الطاعة والموافقة. فلما فقدتها تخيّل أنّه انحطّ من عين الله. وإنّما تلك الحالة لما زالت عنه انحطّ عنها، إذ كانت حاله تقتضي- الرفعة. وهو الآن في معراج الذلّة

1 ص 148

2 [الحشر : 16]

3 ص 148 ب

4 [آل عمران : 135]

والندم والافتقار والانكسار والاعتراف والأدب مع الله تعالى-، والحياء منه، فهو يترقى في هذا المعراج. فيجد هذا العبد في غاية هذا المعراج، حالة أشرف من الحالة التي كان عليها، فعند ذلك يعلم أنه ما انحط، وأنه ترقى من حيث لا يشعر أنه في ترقى.

وأخفى الله ذلك عن أوليائه، لئلا يجترؤا عليه في الخالفات. كما أخفى الاستدراج فحين أشقاه الله، فقال: ﴿سَلَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹ فهم كما قال الله تعالى- فيهم: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾² كذلك أخفى سبحانه- تربيته وعنايته فحين أسعده الله، بما³ شغله الله به من البكاء على ذنبه، ومشاهدته زلته، ونظره إليها في كتابه، وذهل عن أن ذلك الندم يعطيه الترقى عند الله؛ فإنه ما بشره بقبول التوبة، فهو متحقق وقوع الزلّة، حاكم عليه الانكسار والحياء، مما وقع فيه، وإن لم يؤاخذ الله بذلك الذنب. فكان الاستدراج حاصلًا في الخير والشرّ، وفي السعداء والأشقياء.

ولقيت بمدينة فاس، رجلا عليه كآبة، كان يخدم في الأتون. فسألت أبا العباس الحصار وكان من كبار الشيوخ- عنه، فإني رأيته يجالسه ويحنّ إليه، فقال لي: هذا رجل كان في مقام، فانحط عنه، فكان في هذا المقام. وكان من الحياء والانكسار بحالة أوجب عليه السكوت عن كلام الخلق. فما زلت الأطفه بمثل هذه الأدوية، وأزيل عنه مرض تلك الزلّة، بمثل هذا العلاج. وكان قد مكنتني من نفسه. فلم أزل به حتى سرى ذلك اللواء في أعضائه. فأطلق محبته، وفتح له، في عين قلبه باب إلى قبوله، ومع هذا فكان الحياء يستلزمه. وكذلك ينبغي أن تكون زلات الأكابر غالبا: نزولهم إلى المباحات لا غير، وفي حكم النادر، تقع منهم الكبائر.

قيل لأبي يزيد البسطامي رحمته الله: "أيعصي العارف؟ فقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾"⁴. يريد أن⁵ معصيتهم بحكم القدر النافذ فيهم، لا أنهم يقصدون انتهاك حرمة الله. هم، بحمد الله، إذا كانوا أولياء عند الله تعالى وجلّ- معصومون في هذا المقام، فلا تصدر منهم معصية، أصلا، انتهاكا لحرمة الله، كعاصي الغير. فإنّ الإيمان المكتوب في القلوب يمنع من ذلك. فمنهم من يعصي غفلة، ومنهم من يخالف على حضور، عن كشف إلهي، قد عرفه الله فيه، ما قدره عليه قبل وقوعه، فهو على بصيرة من أمره، بيّنة من ربه.

وهذه الحالة له بمنزلة البشرية؛ في قوله: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾⁶ فقد أعلمه

1 [الأعراف : 182]

2 [الكهف : 104]

3 ص 149

4 [الأحزاب : 38]

5 ص 149 ب

6 [الفتح : 2]

بالذنوب الواقعة المغفورة، فلا حكم لها ولا لسلطانها فيه. فإنه إذا جاء وقت ظهورها؛ يكون في صحبتها الاسم "الغفار". فتزل بالبعد، ويحجب الغفار حكمها. فيكون بمنزلة من يلتقي في النار ولا يحترق، كما يراهم الله فكان في النار، ولا حكم لها فيه بالحجاب الذي هو المانع. كذلك زلة العارف؛ صاحب مقام الكشف للأقدار؛ تحل به النازلة، وحكمها بمنزل عنها، فلا تؤثر في مقامه. بخلاف من تحل فيه، وهو على غير بينة ولا بصيرة بما قدر عليه، فهذا يستلزمه الحياء والندم والذلة، وذلك¹ ليس كذلك. وهنا أسرار إلهية لا يسعنا التعبير عنها.

وبعد أن فهمنا مراتبهم² في هذا المقام، وفرقنا لك بين معصية العارفين وبين معاصي العامة من علماء الرسوم ومقلديهم؛ فاعلم أنه حكي عن بعضهم أنه قال: "أقعد على البساط" يريد بساط العبادة "وإياك والاتبساط" أي التزم ما تعطيه حقيقة العبادة، من حيث أنها مكلفة، بأمر حدها لها سيدها، فإنه لولا تلك الأمور لاقتضى مقامها الإدلال والفخر والزهو، من أجل مقام من هو عبده له، ومنزلته. كما زها، يوما عتبه الغلام وافترخ. فقيل له: "ما هذا الزهو الذي نراه في شيائلك، مما لم يكن يعرف قبل ذلك منك؟ فقال: وكيف لا أزهو، وقد أصبح لي مولى، وأصبحت له عبدا".

فما قبض العبيد من الإدلال، وأن يكونوا في الدنيا مثل ما هم في الآخرة؛ إلا التكليف. فهم في شغل بأوامر سيدهم إلى أن يفرغوا منها، فإذا لم يبق لهم شغل، قاموا في مقام الإدلال الذي تقتضيه العبودية، وذلك لا يكون إلا في الدار الآخرة. فإن التكليف لهم مع الأنفاس، في الدار الدنيا. فكل صاحب إدلال في هذه الدار؛ فقد نقص من المعرفة بالله على قدر إدلاله. ولا يبلغ درجة غيره ممن ليس له إدلال أبدا. فإنه فائته أنفاس كثيرة، في حال إدلاله، غاب عما يجب عليه فيها من التكليف، الذي يناقض الاشتغال به الإدلال، فليست³ الدنيا بدار إدلال.

ألا ترى عبد القادر الجيلي؛ مع إدلاله، لَمَّا حضرته الوفاة، وبقي عليه من أنفاسه في هذه الدار، ذلك القدر الزماني، وضع حده في الأرض، واعترف بأن الذي هو فيه الآن هو الحق الذي ينبغي أن يكون العبد عليه في هذه الدار. وسبب ذلك أنه كان في أوقات، صاحب إدلال لِمَا كان الحق يعرفه به من حوادث الأكوان. وعصم أبا السعود تلميذه من ذلك الإدلال، فلزم العبودية المكلفة مع الأنفاس، إلى حين موته. فما حكي أنه تغير عليه الحال عند موته كما تغير على شيخه عبد القادر.

1 "ذلك" بالهامش بقلم الأصل.

2 ص 150

3 ص 150 ب

وحكى لنا الثقة عندنا، قال: سمعته يقول: طريق عبد القادر في طرق الأولياء غريب. وطريقنا في طريق عبد القادر غريب. رضي الله عن جميعهم ونفعنا بهم. والله يعصمنا من المخالفات، وإن كانت قُدّرت علينا، فالله أسأله أن يجعلنا في ارتكابها على بصيرة، حتى يكون لنا بها ارتقاء درجات. **هُوَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** ١.

1 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب الأربعون

في معرفة منزل مجاور لعلم جزئي من علوم الكون، وترتيبه، وغرائبه، وأقطابه
نظم¹ يتضمن ما ترجمنا عليه:

يَقُولُ الَّذِي يُنْطَاةً: كَشَفَ حَقِيقَتِي	يَجَاوِرُ عِلْمَ الْكَوْنِ عِلْمَ إِلَهِي
وَمَا هُوَ عَلَوِيٌّ وَمَا هُوَ سُفْلِي	وَمَا هُوَ مِنْ عِلْمِ الْبَرَازِخِ خَالِصٌ
وَفِي السُّفْلِ وَجْهٌ بِالْحَقَائِقِ عَلَوِيٌّ	لَهُ فِي الْعُلَى وَجْهٌ غَرِيبٌ مُحَقَّقٌ
وَلَا هُوَ جِنِّي وَلَا هُوَ إِنْسِي	وَلَيْسَ الَّذِي يَنْدِرِيهِ مَلَكَ مُخْلِصٌ
بَدَا لَكَ شَكْلٌ مُسْتَقَادًا كِيَانِي	وَلِكَيْتَمَا الْأَغْيَانُ لَمَّا تَأَلَّفَتْ
فَلَسْتَ تَرَاهُ وَهُوَ لِلْعَيْنِ مَرِيٌّ	فَقُلْ فِيهِ مَا تَهْوَاهُ يَثْبَلُهُ أَضْلُهُ
فَمَا هُوَ غَيْبِيٌّ وَمَا هُوَ جِسْمِي	فَمَا هُوَ مَخْكُومٌ وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ
فَلَا هُوَ شَرْقِيٌّ وَلَا هُوَ غَرْبِيٌّ	تَنْزَعُهُ عَنِ خَضِرِ الْجَهَاتِ ضِيَاؤُهُ
وَيَسْرِي بِمِثَالٍ مِنْهُ فِينَا اتِّصَالِي	فَسُبْحَانَ ² مَنْ أَخْفَى عَنِ الْعَيْنِ ذَاتَهُ
وَلِكَيْتَهُ كَشَفَ صَحِيحَ خَيَالِي	تَرَاهُ إِذَا كُنَّا وَمَا هُوَ عَيْنُهُ
فَذَلِكَ مَقْصُودِي بِقَوْلِي: بِمِثَالِي	تَجَلَّى لِزَايِ الْعَيْنِ فِي كُلِّ صُورَةٍ

اعلم -أيديك الله بروح القدس- أن هذا المنزل، منزل الكمال -وهو مجاور منزل الجلال والجمال- هو من
أجل المنازل، والنازل فيه أتم نازل.

اعلم أن خرق العوائد على ثلاثة أقسام: قسم منها يرجع إلى ما يدركه البصر، أو بعض القوى، على
حسب ما يظهر لتلك القوة، مما ارتبطت في العادة بإدراكه، وهو في نفسه على غير ما أدركته تلك القوة،
مثل قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾³ وهذا القسم داخل تحت قدرة البشر- وهو على
قسمين: منه ما يرجع إلى قوة نفسية، ومنه ما يرجع إلى خواص أسماء، إذا تلفظ بتلك الأسماء، ظهرت
تلك الصور، في عين الرائي أو في سمعه خيالاً، وما تم في نفس الأمر⁴ -عني في المحسوس- شيء من

1 ص 151

2 ص 151 ب

3 [طه : 66]

4 ص 152

صورة مرتبة ولا مسموعة، وهو فعل الساحر. وهو على علم أنه ما تم شيء مما وقع في الأعين والأسماع. والقسم الآخر، الذي هو قوة نفسية، يكون عنها فيما تراه العين، أو أي إدراك، كان ما كان، من الأمر الذي ظهر عن خواص الأسماء. والفرق بينهما؛ أن الذي يفعله بطريق الأسماء - وهو الساحر - يعلم أنه ما تم شيء من خارج، وإنما لها سلطان على خيال الحاضرين. فتختلف أبصار الناظرين؛ فيرى صوراً في خياله، كما يرى النائم في نومه، وما تم من خارج شيء مما يدركه.

وهذا القسم الآخر؛ الذي للقوة النفسية؛ منهم من يعلم أنه ما تم شيء من خارج، ومنهم من لا يعلم ذلك، فيعتقد أن الأمر كما رآه. ذكر أبو عبد الرحمن السلمي¹ في كتاب "مقامات الأولياء" في باب الكرامات منه - والله أعلم -؛ عن عُلم الأُسود، وكان من أكبر أهل الطريق - أن بعض الصالحين اجتمع به في قصة، أدته إلى أن ضرب عليم الأُسود إلى اسطوانة كانت قائمة في المسجد من رخام، فإذا هي كلها ذهب. فنظر إليها الرجل أسطوانة ذهب، فتعجب، فقال له: يا هذا؛ إن الأعيان لا تتقلب، ولكن هكذا تراها لحقيقتك بربك، وهذا غير ذلك. فخرج من كلامه، فيما يظهر لمن لا علم له بالأشياء بيادي الرأي أو من أول نظر، أن الأسطوانة حجر كما كانت، وليست ذهباً إلا في عين الرائي، ثم إن الرجل أبصرها بعد ذلك حجراً كما كانت أول مرة.

قال تعالى - في عصا موسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴿٣﴾ ﴿قَالَ أَلَيْهَا يَأْتِي مُوسَى﴾ فَأَلْقَاهَا ﴿٤﴾ مِنْ يَدِهِ فِي الْأَرْضِ ﴿فَإِذَا هِيَ حَيْةٌ تَنْسَى﴾ ﴿٥﴾ فَلَمَّا خَافَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا، عَلَى مَجْرَى الْعَادَةِ فِي النُّفُوسِ، أَنَّهَا تَخَافُ مِنَ الْحَيَاتِ إِذَا فَاجَأَتْهَا، لِمَا قَرَنَ اللَّهُ بِهَا مِنَ الضَّرْرِ لِبَنِي آدَمَ، وَمَا عَلَّمَ مُوسَى مَرَادَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ، فَلَوْ عَلِمَهُ مَا خَافَ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى - لَهُ: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ ﴿٦﴾ أَي تَرْجِعُ عَصَاكَ كَمَا كَانَتْ. أَوْ تَرْجِعُ تَرَاهَا عَصَاً كَمَا كَانَتْ. الْآيَةُ مُحْتَمَلَةٌ، فَإِنَّ الضَّمِيرَ الَّذِي فِي قَوْلِهِ ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ إِذَا لَمْ تَكُنْ عَصَاً، فِي حَالِ كَوْنِهَا فِي نَظَرِ مُوسَى حَيْةً، لَمْ يَجِدِ الضَّمِيرَ عَلَى مَنْ يَعُودُ. كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَوَّدَكَ أَمْرًا مَا - وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ يَحْسُنُ إِلَيْكَ ثُمَّ أَسَاءَ إِلَيْكَ - فَيَقُولُ لَهُ: قَدْ تَغَيَّرْتَ سِيرَتَكَ مَعِي، مَا أَنْتَ هُوَ ذَاكَ الَّذِي كَانَ يَحْسُنُ إِلَيَّ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ هُوَ. فَيَقَالُ لَهُ: سَيَعُودُ مَعَكَ إِلَى سِيرَتِهِ

1 أبو عبد الرحمن السلمي (325 - 412 للهجرة) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن النيسابوري. وهو ابن أخت أبي عمرو إساعيل بن نجاد السلمي السالف. كان رأساً في أخبارهم، صنف لهم "سناً" و"تفسيراً" و"تاريخاً" وله بنيسابور دويبة معروفة لهم. وقبره بترك به. مات في سنة اثنتي عشرة وأربع مائة. [طبقات الأولياء - (1 / 53)]

2 ص 152 ب

3 [طه : 17، 18]

4 [طه : 19، 20]

5 [طه : 20]

6 [طه : 21]

7 ص 153

الأولى من الإحسان إليك، وهو في صورته ما تغيّر، ولكن تغيّر عليك فغلّه معك.

وقدّم الله هذا لموسى عليه السلام توطئة لما سبق في علمه سبحانه- أنّ السحرة تُظهر لعينه مثل هذا، فيكون عنده علمٌ من ذلك، حتى لا يذهل ولا يخاف، إذا وقع منهم عند إلقاءهم حبالهم وعصيهم، وخيّل إلى موسى أنها تسعى. يقول له: فلا تخف إذا رأيت ذلك منهم؛ يقوي جأشه.

فلما وقع من السحرة ما وقع، بما ذكر الله لنا في كتابه، وامتلاً الوادي من حبالهم وعصيهم، وراها موسى فيما خيّل له حيّات تسعى، ﴿أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾¹ فلم تكن نسبة الخوف إليه في هذا الوقت، نسبة الخوف الأول. فإنّ الخوف الأول كان من الحيّة ﴿وَأُولَىٰ مُذِبرًا وَلَمْ يَعْقُبْ﴾² حتى أخبره الله تعالى-. وكان هذا الخوف الآخر الذي ظهر منه للسحرة على الحاضرين، لتلاً تظهر عليه السحرة بالحجّة، فيلبس الأمر على الناس. ولهذا قال الله له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾³ ولما ظهر للسحرة خوف موسى مما رآه، وما علموا متعلق هذا الخوف، أي شيء هو، علموا أنّه⁴ ليس عند موسى من علم السحر شيء، فإنّ الساحر لا يخاف مما يفعله، لعلمه أنّه لا حقيقة له من خارج، وأنّه ليس كما يظهر لأعين الناظرين، فأمر الله موسى أن يلقي عصاه، وأخبر أنّها ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾⁵.

فلما ألقي موسى عصاه فكانت حيّة، علّمت السحرة بأجمعها، بما علمت من خوف موسى، أنّه لو كان ذلك منه، وكان ساحرا ما خاف. وراوا عصاه حيّة حقيقة، علموا عند ذلك أنّه أمر غيبٌ من الله، الذي يدعوهم إلى الإيمان به. وما عنده من علم السحر خبر. فتلقفت تلك الحيّة جميع ما كان في الوادي من الحبال والعصي، أي تلقفت صور الحيّات منها، فبدت حبالا وعصيا كما هي، وأخذ الله بأبصارهم عن ذلك، فإنّ الله يقول: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ وما صنعوا الحبال ولا العصي-. وإنما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيّات، وهي التي تلقفت عصا موسى.

فتنبّه لما ذكرت لك، فإنّ المفسرين ذهلوا عن هذا الإدراك، في إخبار الله تعالى-. فإنّه ما قال: "تلقف حبالهم وعصيهم" فكانت الآية عند السحرة، خوف موسى، وأخذ صور الحيّات من الحبال والعصي. وعلموا أنّ الذي جاء به موسى (هو) من عند الله، فأمنوا بما جاء به موسى عن آخرهم، وخرّوا سجدا عند هذه الآية، وقالوا:⁶ ﴿أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾¹ حتى يرتفع الالتباس. فإنّهم لو

[1 طه : 67]

[2 النمل : 10]

[3 طه : 68]

[4 ص 153 ب]

[5 طه : 69]

[6 ص 154]

وقفوا على العالمين، لقال فرعون: أنا ربّ العالمين. إِيَّاي عَتَوْا. فزادوا ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾، أي الذي يدعو إليه موسى وهارون، فارتفع الإشكال. فتوَعَدَم فرعون بالعذاب، فأثروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة. وكان من كلامهم ما قضى الله علينا.

وأما العامة، فنسبوا ما جاء به موسى إلى أنه من قبيل ما جاءت به السحرة، إلا أنه أقوى منهم، وأعلم بالسحر، بالتلقّف الذي ظهر من حية عصا موسى ﷺ فقالوا: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾² ولم تكن آية موسى عند السحرة، إلا خوفه وأخذ صور الحيات من الجبال والعصي خاصة. فمثل هذا خارج عن قوّة النفس وعن خواص الأسماء، لوجود الخوف الذي ظهر من موسى في أوّل مرّة، فكان الفعل من الله.

ولمّا أوقع السحرة اللبس على أعين الناظرين؛ بتصيير الجبال والعصي حيات في نظرهم، أراد الحق أن يأتيمهم من باهم الذي يعرفونه، كما قال تعالى:- ﴿وَلَلْبَشَرِ اللَّائِي تُلْبَسُونَ﴾³ فإنّ الله يراعي في الأمور المناسبات، فجعل العصا حية كحيات عصيم، في عوم الناس، ولبس على السحرة بما أظهر من خوف موسى، فتختيلوا أنه خاف من الحية⁴، وكان موسى في نفس الأمر غير خائف⁵ من الحيات، لِمَا تقدّم له في ذلك من الله في الفعل الأوّل، حين قال له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾⁶. فنها عن الخوف منها، وأعلمه أنّ ذلك آية له. فكان خوفه الثاني على الناس لئلا يلتبس عليهم الليل والشبهه، والسحرة تظنّ أنه خاف من الحيات، فلبس الله عليهم خوفه، كما لبسوا على الناس. وهذا غاية الاستقصاء الإلهي في المناسبات في هذا الموطن. لأنّ السحرة لو علمت أنّ خوف موسى من الغلبة بالحجة لنا سارعت إلى الإيمان، ثمّ إنّه كان لحية موسى التلقّف، ولم يكن لحياتهم تلقّف ولا أثر، لأنّها جبال وعصي في نفس الأمر.

فهذا المنزل الذي ذكرناه في هذا الباب، أنه مجاور لعلم جزئيّ من علوم الكون، هو هذا العلم الجزئيّ: علم المعجزات، لأنّه ليس عن قوّة نفسيّة، ولا عن خواص أسماء. فإنّ موسى ﷺ لو كان انفعال العصا حية، عن قوّة همته، أو عن أسماء أعطياها؛ ما ولى مُذبراً ولم يعقّب خوفاً. فعلمنا أنّ ثمّ أموراً تختصّ بجانب الحقّ في علمه، لا يعرفها من ظهرت على يده تلك الصورة. فهذا المنزل مجاور لما جاءت به الأنبياء، من كونه ليس عن حيلة، ولم يكن مثل معجزات الأنبياء عليهم السلام- لأنّ الأنبياء لا علم لهم بذلك، وهؤلاء

1 [الأعراف : 121 ، 122]

2 [البلع : 13]

3 [الأأنام : 9]

4 لعله يقصد: الحيات.

5 ص 154 ب

6 [طه : 21]

ظهر ذلك عنهم، بهمتهم أو قوة تسيهم أو¹ صدقهم، قل كيف شئت، فلهدا اختصت باسم الكرامات، ولم تسم معجزات ولا سميت بعجرا.

فإن المعجزة ما يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، إمّا صرفا، وإمّا أن تكون ليست من مقدرات البشر، إلى عدم قوة النفس وخواص الأسماء، وتظهر على أيديهم. وإنّ السخر هو الذي يظهر فيه وجه إلى الحق، وهو في نفس الأمر ليس حقًا، مشتق من السخر الزماني، وهو اختلاط الضوء والظلمة؛ فما هو بليل، لما خالطه من ضوء الصباح، وهو ليس بنهار، لعدم طلوع الشمس للأبصار. فكذلك هذا الذي يستي بعجرا؛ ما هو باطل محقق، فيكون عدما؛ فإنّ العين أدركت أمرا ما لا تشكّ فيه. وما هو حق محض، فيكون له وجود في عينه؛ فإنه ليس في نفسه كما تشهد العين ويطنّه الرائي.

وكرامات الأولياء ليست من قبيل السحر؛ فإنّ لها حقيقة في نفسها وجودية، وليست معجزة؛ فإنه على علم وهي عن قوة همة.

وأما قول عليم: "لحقيقتك بريك تراها ذهباً". فإنّ الأعيان لا تنقلب. وذلك لما رآه قد عظم ذلك الأمر عندما رآه. فقال له: "العلم بك أشرف بما رأيت، فأتصف بالعلم، فإنه أعظم مع كون الأسطوانة كانت ذهباً في نفس الأمر". فأعلمته أنّ الأعيان لا تنقلب، وهو² صحيح في نفس الأمر. أي أنّ الحجرية لم ترجع ذهباً، فإنّ حقيقة الحجرية قبلها هذا الجوهر، كما قبل الجسم الحرارة، فقيل فيه: إنّه حارّ. فإذا أراد الله أن يكسو هذا الجوهر صورة الذهب؛ خلع عنه صورة الحجر، وكساه صورة الذهب، فظهر الجوهر أو الجسم الذي كان حجرا ذهباً. كما خلع عن الجسم الحارّ الحرارة، وكساه البرد فصار بارداً. فما انقلبت عين الحرارة برودة، والجسم البارد بعينه هو الذي كان حاراً، فما انقلبت الأعيان.

كذلك حكاية عليم: الجوهر الذي قبل صورة الذهب عند الضرب، هو الذي كان قد قبل صورة الحجر. والجوهر هو الجوهر بعينه. فالحجر ما عاد ذهباً، ولا الذهب عاد حجراً. كما أنّ الجوهر الهولاني قبل صورة الماء، فقيل هو ماء بلا شك، فإذا جعلته في القدر وأغليتها على النار، إلى أن صعد بخاراً، فتعلم قطعاً أنّ صورة الماء زالت عنه، وقبل صورة البخار، فصار يطلب الصعود لعنصره الأعظم. كما كان إذ قامت به صورة الماء، يطلب عنصره الأعظم فيأخذ سفلاً. فهذا معنى قول عليم في هذا المنزل المختص بالأولياء والهمة المجاورة لعلم المعجزة: إنّ الأعيان لا³ تنقلب.

1 ص 155

2 ص 155 ب

3 ص 156

وقوله: "لحقيقتك بربك" أي إذا اطلعت إلى حقيقتك؛ وجدت نفسك عبدا محضا، عاجزا ميتا ضعيفا
عدما لا وجود لك. كمثل هذا الجوهرة: ما لم يلبس الصور، لم يظهر له عين في الوجود.

فهذا العبد يلبس صور الأسماء الإلهية: فتظهر بها عينه، فأول اسم يلبسه: "الوجود" فيظهر موجودا
لنفسه، حتى يقبل جميع ما يمكن أن يقبله الموجود، من حيث ما هو موجود. فيقبل جميع ما يخلع عليه
الحق من الأسماء الإلهية؛ فيتصف عند ذلك؛ بالحي والقادر والعالم والمريد والسميع والبصير والمتكلم
والشكور والرحيم والخالق والمصور وجميع الأسماء، كما أقصف هذا الجسم بالحجر والذهب والفضة
والنحاس والماء والهواء، ولم تزل حقيقة الجسمية عن كل واحد، مع وجود هذه الصفات. كذلك لا يزول
عن الإنسان حقيقة كونه عبدا، إنسانا، مع وجود هذه الأسماء الإلهية فيه.

فهذا معنى قوله: "لحقيقتك بربك" أي لارتباط حقيقتك بربك. فلا تخلو عن صورة إلهية تظهر فيها،
كذلك هذا الجسم لا يخلو عن صورة يظهر فيها، وكما تنوع أنت بصور الأسماء الإلهية، فينتقل عليك
بحسب كل صورة، اسم غير الاسم الآخر، كذلك ينتقل على هذا الجوهرة اسم الحجرية والذهبية،
للو صف لا لعينه.

فقد¹ تبينت فيما ذكرناه، الثلاثة الأقسام في خرق العوائد؛ وهي المعجزات والكرامات والسحر، وما تم
خرق عادة أكثر من هذا. ولست أعني بالكرامات إلا ما ظهر عن قوة المنة، لا أنني أريد بهذا الاصطلاح
في هذا الموضع؛ التقريب الإلهي لهذا الشخص، فإنه قد يكون ذلك استدراجا ومكرا. وإنما أطلقت عليه
اسم الكرامة، لأنه الغالب، والمكر فيه قليل جدا. فهذا المنزل مجاوز آيات الأنبياء عليهم السلام- وهو العلم
الجزئي من علوم الكون، لا يجاور السحر. فإن كرامة الولي، وخرق العادة له، إنما كانت باتباع الرسول،
والجري على سنته، فكأنها من آيات ذلك النبي، إذ باتباعه ظهرت للمتحقق بالاتباع؛ فلها جاورته.

فأقطاب هذا المنزل: كل ولي ظهر عليه خرق عادة عن غير همته، فيكون إلى النبوة أقرب ممن ظهر
عنه خرق العادة بهمته.

والأنبياء هم العبيد على أصلهم. فكذلك أقطاب هذا المنزل. فكلما قرئت أحوالك من أحوال الأنبياء -
عليهم السلام- كنت في العبادة أمكن، وكانت لك الحجة، ولم يكن للشيطان عليك سلطان. كما قال -
تعالى:- ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾² وقال: ﴿يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾³ فلا أمر

1 ص 156 ب

2 [الحجر : 42]

3 [الجن : 27]

للسيطان فيهم، فكذلك من¹ قَرَّبَ منهم.

ولمَّا عَايَنْتُ هَذَا الْمَشْهَدَ قَلْتُ الْقَصِيدَةَ الَّتِي أَوَّلَهَا:

تَرَرْتُ الْأَمْلاكَ لَيْلًا عَلَى قَلْبِي وَدَارَتْ عَلَيْهِ مِثْلَ دَائِرَةِ الْقَلْبِ
حَذَارًا مِنَ الْقَاءِ اللَّعِينِ إِذَا يَزَى نُزُولَ عُلُومِ الْغَيْبِ عَيْنًا عَلَى الْقَلْبِ
وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِي مِثْلِ ظَوْرِنَا وَعِضْمَتُهُ فِي الْمُرْسَلِينَ بِلَا زَيْبِ

القصيدة بكاملها، وهي مذكورة في أول الباب الثلاثين وثلاثمائة من هذا الكتاب.

وترتيب هذا الباب هو ما ذكرناه من مراتب خرق العوائد. وأما ما فيه من الغرائب: فالحاق البشر بالروحانيين في العنقل، والحاق الروحانيين بالبشر في الصورة، وظهور صورة عنهم، شبيه الصورة التي يتمثلون بها. قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾² يستوى روحا، مثل ما هو جبريل روح، فيحيي الموتى كما يحيي جبريل، قال ابن عباس: "ما وطن جبريل ~~الروح~~ قط موضعا من الأرض إلا حيي ذلك الموضع" ولهذا أخذ السامري قبضة من أثره، حين عرفه، لمَّا جاء لموسى، وقد³ علم أن وطأته يحيا بها ما وطئه من الأشياء، فقبض قبضة من أثر الرسول، فرمى بها في العجل الذي صنعه، فحي ذلك العجل، وكان ذلك إلقاء من الشيطان في نفس السامري، لأن الشيطان يعلم منزلة الأرواح، فوجد السامري في نفسه هذه القوة، وما علم أنها من إلقاء إبليس، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ سَأَلْتُ لِي نَفْسِي﴾⁴ وفعل ذلك إبليس من حرصه على إضلاله، بما يعتقده من الشريك لله تعالى.

فخرج عيسى على صورة جبريل في المعنى والاسم والصورة الممثلة. فالتحق البشر بالروحاني، والتحق الروحاني بصورة البشر في نازلة واحدة. ويكفي هذا القدر من هذا الباب، فإنه باب واسع لمريم وآسية ولحقاتق الرسل عليهم السلام- فيه مجال رحب، فإنه منزل الكمال، من حصله ساد على أبناء جنسه، وظهر حاكما على صاحب الجلال والجمال، وهو من مقامات أبي يزيد البسطامي والأفراد. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ص 157

2 [مريم : 17]

3 ص 157 ب

4 [طه : 96]

5 [الأحزاب : 4]

انتهى الجزء الحادي والعشرون، وباتتهاته انتهى السفر الثالث من الفتوحات المكية، يتلوه الجزء الثاني والعشرون من السفر الرابع - إن شاء الله تعالى¹.

1 خلف الصفحة (أي في ص 158) كتب الساعان التاليان: "سمع جميع هذا الجزء من الفتوحات على مصنفه الإمام العلامة محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي الأئمة: أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأربلي، وأبو الفتح نصر الله بن العزيز بن الصغار، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابناه عبد الواحد وأحمد، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، ومحمد بن بقرش المعظمي، ويوسف بن الحسن النابلسي، ومحمد بن نصر بن هلال، ويعقوب بن معاذ الوري، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وعيسى بن إسحاق الهذلي، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأندلسي، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي بن محمد المطرز، وأحمد بن عبد الرحيم بن بنان، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي - الحنفيان -، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد ابنا المصنف -، ومحمد بن أحمد بن زرافعة، وأحمد بن أبي الهيثم، وأبو بكر بن يونس الحلال، وابنه إبراهيم، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، ويحيى بن إسحاق بن محمد اللطفي، وعلي بن أبي الفخام بن الفسالي، وحسين بن محمد الموصل، وأحمد بن محمد بن سليمان الحريري، وكتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي. وذلك في سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستائة بمزلة المصنف بدمشق. والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه".

يليه: "قرأت وأنا محمود بن عبيد الله بن أحمد الرنجاني جميع هذا المجلد من أوله إلى آخره على مؤلفه الشيخ الإمام العلامة محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي - ضاعف الله قدره - في مجالس آخرها يوم الأربعاء حادي وعشرين رمضان سنة ست وثلاثين وستائة في منزله بدمشق في مؤرخه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين".
وعقبه شهادة الشيخ الأكبر بخط يده: "صح ما ذكره من القراءة علي. وكتب محمد بن علي بن العربي الطائي الحائمي".
يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1757

الفهارس

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
البقرة	2	253	6ب	الفاتحة	1	2	64ب
البقرة	2	253	145	الفاتحة	1	2	143
البقرة	2	255	9ب	الفاتحة	1	3	64ب
البقرة	2	282	66	الفاتحة	1	5	63ب
البقرة	2	282	81	الفاتحة	1	5	142ب
آل عمران	3	5	117	البقرة	2	20	6ب
آل عمران	3	13	57ب	البقرة	2	26	100
آل عمران	3	27	117	البقرة	2	31	114
آل عمران	3	31	82	البقرة	2	35	146
آل عمران	3	39	144ب	البقرة	2	36	146ب
آل عمران	3	41	57ب	البقرة	2	40	45
آل عمران	3	46	144ب	البقرة	2	109	82ب
آل عمران	3	59	103	البقرة	2	117	60ب
آل عمران	3	64	140	البقرة	2	130	144ب
آل عمران	3	115	34	البقرة	2	164	93ب
آل عمران	3	135	148ب	البقرة	2	171	96ب
النساء	4	28	107ب	البقرة	2	186	44ب
النساء	4	79	89	البقرة	2	186	63
النساء	4	164	64ب	البقرة	2	210	113

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الأعراف	7	54	16	المائدة	5	54	63
الأعراف	7	151	45	المائدة	5	71	107
الأعراف	7	156	55	المائدة	5	71	107
الأعراف	7	180	88	الأنعام	6	9	154
الأعراف	7	182	148ب	الأنعام	6	13	85
الأعراف	7	185	70	الأنعام	6	13	85ب
الأعراف	7	196	144	الأنعام	6	27	97
الأعراف	7	196	145	الأنعام	6	28	97
الأعراف	7	122،121	154	الأنعام	6	38	124ب
الأنفال	8	17	84ب	الأنعام	6	54	44ب
الأنفال	8	21	96ب	الأنعام	6	54	100ب
الأنفال	8	29	66	الأنعام	6	75	92
الأنفال	8	29	81	الأنعام	6	90	87ب
الأنفال	8	63	35ب	الأنعام	6	90	135ب
التوبة	9	43	144ب	الأنعام	6	97	63ب
التوبة	9	67	17ب	الأنعام	6	103	123
يونس	10	22	97	الأنعام	6	108	28
يونس	10	23	97	الأعراف	7	12	147
يونس	10	23	97	الأعراف	7	31	64
هود	11	17	77	الأعراف	7	46	54
هود	11	80	39ب	الأعراف	7	54	16

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الإسراء	17	79	7ب	يوسف	12	108	77
الإسراء	17	79	8ب	يوسف	12	108	120ب
الإسراء	17	80	9ب	الرعد	13	2	93
الإسراء	17	80	9ب	الرعد	13	2	96ب
الإسراء	17	80	9ب	الرعد	13	4	100
الإسراء	17	81	10	الرعد	13	17	57ب
الإسراء	17	81	57ب	الرعد	13	17	57ب
الإسراء	17	85	16	الرعد	13	17	57ب
الإسراء	17	86	6ب	الرعد	13	31	6ب
الإسراء	17	110	111	الرعد	13	33	88
الكهف	18	51	20ب	إبراهيم	14	24	69ب
الكهف	18	51	70	الحجر	15	29	14ب
الكهف	18	68	79ب	الحجر	15	42	71ب
الكهف	18	68	86ب	الحجر	15	42	73ب
الكهف	18	68	87	الحجر	15	42	156ب
الكهف	18	68	87ب	النحل	16	9	100
الكهف	18	79	90	النحل	16	40	56
الكهف	18	81	90ب	النحل	16	44	136
الكهف	18	81	90ب	النحل	16	96	28ب
الكهف	18	82	82	الإسراء	17	1	92
الكهف	18	82	90	الإسراء	17	15	100ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
طه	20	21	154ب	الكهف	18	82	91ب
طه	20	43	47ب	الكهف	18	82	92
طه	20	44	47ب	الكهف	18	82	132ب
طه	20	46	46ب	الكهف	18	104	148ب
طه	20	50	48	مريم	19	9	85ب
طه	20	55	103	مريم	19	17	157
طه	20	66	151ب	مريم	19	29	57ب
طه	20	67	153	مريم	19	45	112ب
طه	20	68	153	مريم	19	64	54ب
طه	20	69	153ب	مريم	19	85	101
طه	20	73	89ب	مريم	19	33 -30	145
طه	20	74	16ب	طه	20	5	65
طه	20	96	15ب	طه	20	5	111ب
طه	20	96	157ب	طه	20	5	117
طه	20	111	10ب	طه	20	5	134ب
طه	20	114	10	طه	20	12	64
طه	20	114	10ب	طه	20	12	65ب
طه	20	114	145ب	طه	20	14	45
طه	20	126	17ب	طه	20	14	47ب
طه	20	18 ، 17	152ب	طه	20	20	152ب
طه	20	20 ، 19	152ب	طه	20	21	152ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
التقص	28	83	25	الأنبياء	21	22	21
العنكبوت	29	43	57ب	الأنبياء	21	63	144ب
العنكبوت	29	65	97	الأنبياء	21	87	105ب
الروم	30	20	94	الأنبياء	21	107	112
الروم	30	21	94	الحج	22	5	19
الروم	30	22	94	الحج	22	27	54
الروم	30	23	94	المؤمنون	23	108	17
الروم	30	23	94ب	المؤمنون	23	117	89
الروم	30	23	95	النور	24	37	54
الروم	30	47	100ب	الشعراء	26	23	68
الروم	30	54	107ب	الشعراء	26	80	89ب
لقمان	31	11	20ب	الشعراء	26	193،	116
السجدة	32	13	4ب			194	
السجدة	32	13	4ب	الشعراء	26	194، 193	142ب
الأحزاب	33	4	7	الشعراء	26	79، 78	89ب
الأحزاب	33	4	10	التمل	27	10	153
الأحزاب	33	4	13ب	التمل	27	13	154
الأحزاب	33	4	18	التمل	27	19	144ب
الأحزاب	33	4	21	التقص	28	34	48
الأحزاب	33	4	29ب	التقص	28	60	89ب
الأحزاب	33	4	39ب	التقص	28	73	94ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
الأحزاب	33	40	142ب	الأحزاب	33	4	43
فاطر	35	10	61ب	الأحزاب	33	4	50ب
فاطر	35	15	139	الأحزاب	33	4	56ب
يس	36	12	38ب	الأحزاب	33	4	62ب
الصفافات	37	49	91ب	الأحزاب	33	4	66ب
الصفافات	37	89	144ب	الأحزاب	33	4	71
الصفافات	37	96	20ب	الأحزاب	33	4	84
الصفافات	37	145	105ب	الأحزاب	33	4	92
الصفافات	37	180	88	الأحزاب	33	4	98
الزمر	39	7	90	الأحزاب	33	4	108
الزمر	39	19	4ب	الأحزاب	33	4	117
غافر	40	57	6	الأحزاب	33	4	127ب
غافر	40	57	114ب	الأحزاب	33	4	136
غافر	40	60	44ب	الأحزاب	33	4	140
فصلت	41	40	34	الأحزاب	33	4	145ب
الشورى	42	11	32ب	الأحزاب	33	4	150ب
الشورى	42	11	37ب	الأحزاب	33	4	157ب
الشورى	42	11	46	الأحزاب	33	21	82
الشورى	42	11	67ب	الأحزاب	33	23	54
الشورى	42	11	67ب	الأحزاب	33	33	72
الشورى	42	11	82ب	الأحزاب	33	38	149

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
النجم	53	3، 4	143ب	الشورى	42	11	123
النجم	53	3، 4	91ب	الشورى	42	11	123
القمر	54	50	3ب	الشورى	42	11	124
الرحمن	55	20	55	الشورى	42	11	124ب
الرحمن	55	29	2ب	الشورى	42	23	75
الرحمن	55	31	2ب	الشورى	42	23	76ب
الرحمن	55	31	68ب	الشورى	42	40	135ب
الرحمن	55	72	40	الجاثية	45	13	18
الرحمن	55	78	88	الجاثية	45	34	17ب
الواقعة	56	85	63ب	محمد	47	23	112
الحديد	57	3	28ب	الفتح	48	2	72ب
الحديد	57	3	48ب	الفتح	48	2	144ب
الحديد	57	3	59	الفتح	48	2	149ب
الحديد	57	4	46ب	الفتح	48	29	142ب
الحديد	57	4	104	ق	50	16	63ب
الحديد	57	13	55	ق	50	29	4ب
الحديد	57	21	73	الناريات	51	23	31ب
الحشر	59	2	57ب	الناريات	51	23	39
الحشر	59	13	34	الناريات	51	49	19
الحشر	59	16	147	الناريات	51	56	68ب
الحشر	59	16	148	النجم	53	49	46ب

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	صفحة المخطوط
القيامة	75	29	8ب	الإثنين	62	5	11ب
القيامة	75	29، 30	33	الطلاق	65	12	80
الإنسان	76	3	100	التحریم	66	4	39
الأعلى	87	1	88	الملك	67	1	47
الغاشية	88	17	70	الحاقة	69	17	134ب
الغاشية	88	19	70	الحاقة	69	23	30ب
القدر	97	3	97ب	المعارج	70	40	31ب
البينة	98	5	104	الجن	72	27	156ب
البينة	98	5	104	المزمل	73	9	54ب
الزلزلة	99	7، 8	30	المزمل	73	9	83ب
النصر	110	3	41ب	المزمل	73	20	7ب
النصر	110	1-3	41	المدثر	74	31	39

فهرس الأحاديث النبوية

الحدِيث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
اعبد الله كأنك تراه	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	129ب، 134
إن أعبط أوليائي عندي لمؤمنٌ خفيف الحادِّ، ذو حظٍّ من صلاة، أحسنَ عبادة ربِّه، وأطاعه في السرِّ- والعلائية، وكان غامضا في الناس	سنن الترمذي 2269، المعجم الكبير للطبراني 7768	40ب
إن الدنيا قنطرة		107
إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يظنُّ أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفا	سنن ابن ماجه 3960	61ب
إن الرسالة والنبوة قد انقطعت؛ فلا رسول بعدي ولا نبي	سنن الترمذي 2198، مسند أحمد 13322	141ب
إن العبد إذا صلَّى استقبله ربه	مسند الحميدي 763	134
إن الله خلق آدم على صورته	صحيح مسلم 4731، مسند أحمد 7021	114، 80
إن الله ضرب يده بين كفتي، فوجدتُ برد أنامله بين ثديي، فعلمت علم الأولين والآخرين	مسند أحمد 3304، المعجم الكبير للطبراني 16640	110
إن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده. فقولوا: ربنا لك الحمد	صحيح مسلم 612، مسند أحمد 18834	65
إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء، ولكن يقبضه بقبض العلماء	المعجم الكبير للطبراني 1452، مسند الحميدي 609	10ب
إن الله ما بعثك سبأيا ولا لقانا، ولكن بعثك رحمة	صحيح البخاري 5571، مسند أحمد 11826	112
إن الله وقاها شركم كما وقام شرها	صحيح مسلم 4148، سنن النسائي 2835	135ب
إن الله يعينه عليها، وإن الله يبعث إليه ملكا يسدده		132ب

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
86	صحيح البخاري 6021، مسند أحمد 24997	إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَّقِرُونَ بِأَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ
121ب	السنن الكبرى للنسائي، 11317، المعجم الكبير للطبراني 13165	إِنَّ الْمَوْتَ يَجَاءُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ كَبِشٍ أَمْلَحٍ، يَعْرِفُهُ النَّاسُ وَلَا يَنْكُرُهُ أَحَدٌ، فَيُذْخِعُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
50	المعجم الكبير للطبراني 719، مسند الشهاب القضاعي 652	إِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لِلنَّفَحَاتِ رِيحِكُمْ
8	سنن أبي داود 1162، مسند أحمد 25104	إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا؛ فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ
129	صحيح البخاري 3200، مصنف عبد الرزاق 20565	إِنَّ لَهُ الْأَجْرَ مَرَّتَيْنِ
50، 14ب	مسند الشاميين للطبراني 1053، كز العمال 33951	إِنَّ نَفْسَ الرَّحْمَنِ يَأْتِينِي مِنْ قِبَلِ الْيَمِينِ
137ب	صحيح البخاري 2434، صحيح مسلم 4267	إِنْ وَجَدْنَاهُ لِبَحْرًا
132، 81ب	صحيح البخاري 3210، وصحيح مسلم 4411	إِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مَحْدُثُونَ فَعَمَّرْ مِنْهُمْ
25	سنن الترمذي 3073، مسند أحمد 2415	أَنَا سَيِّدُ وَدِئَادِمِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ
121	مسند أحمد 9593، المعجم الأوسط للطبراني 4734	إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُؤَزَّرُ؛ مَا تَرَكَاهُ صَدَقَةٌ
99ب	صحيح البخاري 1، سنن أبي داود 1882	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مِمَّا نَوَى؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ

الخطوط	الحدث	صفحة
34، 29ب	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 7714، شعب الإيمان للبيهقي 6823	إنما هي أعمالكم تردّ عليكم
53ب	مسند أحمد 11831،	إنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحدّ ومطلّع
71ب،	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 2003	أهل القرآن هم أهل الله وخاصته
143ب	مسند أحمد 7565، سنن أبي داوود 2857	أين الله؟ فأشارت إلى السماء. فقيل إشارتها. وقال: أعتقها فإنها مؤمنة
46ب	مسند أحمد 15599، سنن الترمذي 3034	أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال: كان في عمام ما فوقه هواء وما تحته هواء
113	صحیح البخاري 5572، صحیح مسلم 4693	بنس ابن العشرة
136	صحیح مسلم 1438، مسند أحمد 17536	بنس الخطيب أنت
91	صحیح البخاري 6021، المعجم الكبير للطبراني 7739	بي يتكلم، وبي يسمع، وبي يبصر
85ب	موطأ مالك 1548، سنن الترمذي 1597	الثلاثة ركب
79	تحفة الأحوذی 2383	حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا
104ب	موطأ مالك 174، صحیح مسلم 598	حدني عبيد.. أثنى عليّ عبيد
143ب، 64ب	صحیح البخاري 117، مشكاة المصابيح 271	حلت عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم - جرابين؛ أما الواحد فبثنته فيكم، وأما الآخر فلو بثنته قُطع منّي هذا البلعوم
79ب	صحیح البخاري 2141،	دعوه؛ إن لصاحب الحقّ مقالا
74ب	صحیح البخاري 2141،	

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
	صحيح مسلم 3003	
133		ذروهم وما انقطعوا إليه
142	المستدرک علی الصحیحین للحاكم 271، سنن الدارمي 233	رحم الله امرءا سمع مقالتي فوعاها، فإذاها كما سمعها
72ب	المستدرک علی الصحیحین للحاكم 6616، المعجم الكبير للطبراني 5908	سلمان متا أهل البيت
65ب	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي 3439	الصلاة نور
128ب	البحر المديد - (5 / 282)، سبل الهدى والرشاد - (10 / 337)	علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم
128ب	البحر المديد - (5 / 282)، سبل الهدى والرشاد - (10 / 337)	علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل
128ب، 92	سنن أبي داود 3157، سنن الدارمي 351	العلماء ورثة الأنبياء
125ب	صحيح البخاري 6021، المعجم الأوسط للطبراني 11408	فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يصر به
129ب	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	فإن لم تكن تراه فإنه يراك
116ب	سنن أبي داود 3450، مسند أحمد 7751	قال في ولد الزنا: إنه شر الثلاثة
64ب، 142ب	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
117	مسند أحمد 15599، سنن الترمذي 3034	كان في عشاء
16ب	صحيح مسلم 271، مسند أحمد 10655	لا يموتون فيها ولا يحيون
134	صحيح البخاري 391، صحيح مسلم 852	الله في قبة المصلّي
112	شعب الإيمان للبيهقي 1428، صحيح البخاري 3218	اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون
134	تفظيم قدر الصلاة لحمد بن نصر- المروزي 701، نهاية الإقدام في علم الكلام - (1) (174 /	لو ازداد يقينا لمشى في الهواء
74ب	صحيح البخاري 3216، صحيح مسلم 3196	لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت قطعتم يدها
74	صحيح البخاري 4518، صحيح مسلم 4619	لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من فارس
132، 76ب	مسند أحمد 14104، مسند أبي يعلى الموصلي 2081	لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني
141ب	صحيح البخاري 65، صحيح مسلم 2413	ليبلغ الشاهد الغائب
32ب	سنن أبي داود 4272، والمعجم الأوسط للطبراني 2203	المؤمن مرآة أخيه
135		ما أحسن بياض أسنانها
81ب	تحفة الأحوذى 3647،	ما ترك الحق لعمر من صديق

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
	تفسير حقي - (3 / 204)	
89ب	سنن أبي داود 1429، سنن الترمذي 3608	ما تركت لأهلك؟ قال: الله ورسوله. وقيل للآخر: فقال: نصف مالي. فقال: بينكما ما بين كلمتيكما
113ب، 114ب	الزهد لأحمد بن حنبل 429	ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن
63ب	صحيح البخاري 6982، صحيح مسلم 4832	من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا
147	سنن ابن ماجه 199، مسند أحمد 18406	من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها
91ب	صحيح مسلم 1438، سنن أبي داود 925	من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصها فلا يضّر- إلا نفسه ولا يضّر الله شيئا
74ب، 71ب	سنن النسائي 2565، سنن الدارمي 2583	مولى القوم منهم
95	فيض القدير 6433، حديث أبي الفضل الزهري 710	الناس نيام فإذا ماتوا انتهبوا
148ب	سنن ابن ماجه 4242، المستدرک على الصحيحين للحاكم 7720	الندم توبة
129ب	مصنف ابن أبي شيبة 78، سنن البارقظني 2740	هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم
129ب	صحيح مسلم 11	هذا جبريل أراد أن تعلموا إذا لم تسألوا
129ب	صحيح البخاري 4404، صحيح مسلم 10	هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم
137ب	صحيح البخاري 116، سنن الترمذي 3770	يا أبا هريرة؛ ابسط رداءك، فبسط أبو هريرة رداءه؛ فاعترف رسول الله صلى الله عليه وسلم - غزفة من الهواء أو ثلاث غزفات وألقاها في رداء أبي هريرة، وقال

صفحة المخطوط	مخرج الحديث	الحديث
		له: ضمّ رداءك إلى صدرك، فضمّه إلى صدره فما نسي- بعد ذلك شيئاً يسمعه
81ب	صحيح البخاري 3051، صحيح مسلم 4410	يا عمر؛ ما لقيك الشيطان في فجّ إلا سلك فجّاً غير فجّك
39ب	صحيح البخاري 3121، صحيح مسلم 216	يرحم الله أخي لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد
113ب	صحيح البخاري 1077، وصحيح مسلم 1261	ينزل ربّنا إلى السماء.. هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأجيبه

فهرس الشعر

رقم الخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر
157	تزلت الأملأك ليلا على قلبي	القلب ب	3	الطويل
127ب	كل من أحيأ حقيقته	الحجب ب	7	المديد
62ب	فلولا النور ما اتصلت عيون	رأئها ت	5	الوافر
36ب	منازل الأمر فهوائية الذات	ولئأني ت	3	البسيط
118	العبد من كان في حال الحياة به	والروح ح	7	البسيط
57	ألا إن الرموز دليل صدق	الفؤاد د	7	الوافر
75ب	أحب لحك الحبشان طرا	المنيرا ر	1	الوافر
9	زب ليل بثه ما أتى	وطري ر	2	المديد
99	الروح للجسم والنيات للعمل	بالمطر ر	7	البسيط
71	العبد مرتبط بالرب ليس له	وتقديرا ر	8	البسيط
7	علم التهجد علم الغيب ليس له	نظر ر	7	البسيط
18	علم التوالج علم الفكر يصحبه	النظر ر	5	البسيط
26ب	منازل الكون في الوجود	رموز ز	4	مخلع البسيط
10	تجلى وجود الحق في فلك النفس	النقص ص	6	الطويل
31ب	منازل الأقسام في العرض	الأرض ض	3	السرير
35ب	إذا استفهمت عن أحباب قلبي	لفظي ظ	4	الوافر
50ب	إن الأمور لها حد ومطلع	تجمع ع	6	البسيط
27ب	لمنازل الأفعال برق لامع	زعازع ع	3	الكامل
30ب	لمنازل البركات نور يسطع	توقع ع	4	الكامل
44	تعجبت من ملك يعود بنا ملكا	ملكا ك	7	الطويل

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر
92ب	إِنَّ التَّدْبِيرَ مَعْشُوقٌ لِمُصَاحِبِهِ	والدول ل	3	البسيط
32	إِيَّتِيَّةٌ قَدْسِيَّةٌ مَشْهُودَةٌ	منازل ل	3	الكامل
2	عِلْمُ الْكَوْنِ تَنْتَقِلُ انْتِقَالًا	زوالا ل	16	الوافر
35	فِي فَنَاءِ الْكَوْنِ مَنَزِلٌ	تنزل ل	11	مجزوء الرمل
27	لِتَأْتِيَهُ الرَّحْمَنُ فِيكَ مَنَازِلُ	فل ل	4	الكامل
28	لِلْإِبْتِدَاءِ شَوَاهِدٌ وَدَلَالَتُلُ	منازل ل	5	الكامل
9	لَمْ أَجِدْ لِلْأَسْمِ مَدْلُولًا	مفعولا ل	3	المديد
29	لِمَنَازِلِ التَّزْيِينِ وَالتَّقْدِيسِ	معقول ل	3	الكامل
36	إِنَّ الْوَعِيدَ لِمَنْزِلَانِ هُمَا لِمَنْ	الأقوم م	3	الكامل
78	إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا رَكِبُوا	البيهم م	7	الرمل
141	بَيْنَ النَّبِوَةِ وَالْوِلَايَةِ فَارِقٌ	الأعظم م	7	الكامل
66ب	الْعِلْمُ بِالْكَيفِ مَجْهُولٌ وَمَعْلُومٌ	موسوم م	7	البسيط
29ب	لِمَنَازِلِ التَّقْرِيبِ شَرْطُ يُعْلَمُ	تحكم م	3	الكامل
33	مَنَازِلُ اللَّامِ فِي التَّحْقِيقِ وَالْأَلْفِ	وصلهما م	3	البسيط
32ب	وَمِنْ الْمَنَازِلِ مَا يَكُونُ مُقَدَّرَةً	متوهم م	2	الكامل
108ب	إِنَّ الْحَقَّ بِالْأَنْفَاسِ رَحْمَانٌ	إنسان ن	6	البسيط
34ب	تَهْرَبُ الْمَنَازِلُ بِالسُّكُونِ	الكون ن	3	الوافر
84	حَدِثِ الْبَهْرَ عَلَيْنَا وَخَنَا	وفي ن	9	الرمل
39ب	إِنَّ لِلَّهِ حِكْمَةً أَخْفَاهَا	تراها ه	13	الخفيف
52	شُغِلَ الْحَبُّ عَنِ الْهَوَاءِ بِسَرِّهِ	وسخّره ه	3	الكامل
30	ظَهَرَتْ مَنَازِلُ لِلتَّوَقُّعِ بِأَدِيَةِ	دانيه ه	3	الكامل

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
22	عجبا لأقوال النفوس السامية	سارية هـ	4	الكامل
13ب	علم عيسى هو النبي	قدره هـ	9	مجزوء الخفيف
136	التقطب من تبتث في الأمر أقدامه	إقدامه هـ	8	البسيط
35ب	منازل الألفة مألوفة	معروفه هـ	3	السريع
24ب	منازل المدح والتباهي	تناهي هـ	3	مخلع البسيط
145ب	إذا حط الوئي فليس إلا	علو و	4	الوافر
151	يجاوز علم الكون علم إلهي	حقيقي ي	11	الطويل
مجموع الآيات			258	

استشهادات

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر	الشاعر
75ب	أحبّ لحيها السودان حتى	الكلاب ب	1	الوافر	
64	لم تر أنّ الله أعطاك سورة	يتذبذب ب	1	الطويل	النابعة
75	وكلّ ما يفعل المخبوب مخبوب	محبوب ب	1		محمّد الديلمي
48	وفي كلّ شيء له آية	واحد د	1	المتقارب	أبو العتاهية
55ب	وأثبتّ في مستنقع الموت رجلاه	الحشر ر	1	الطويل	أبو تمام
36	ومن عجب أني أحسن إليهمو	معي ع	2	الطويل	القاضي الفاضل
29	مبني الوجود حقائق وأباطل	وأباطل ل	1	الكامل	
78	فليت لي بهم قوما إذا ركبوا	وركبانا ن	1	البسيط	قريظ بن أنيف العنبري
80	يا ربّ جوهر علم لو أبوح به	الوثنا ن	2	البسيط	الرضي
مجموع الآيات			11		

مصطلحات صوفية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
إبراهيم	89ب، 92، 112ب، 128،	إسراء - معراج	3، 92
إبليس	149ب، 144ب، 73ب، 146، 147، 147ب، 148، 157ب	الاسم الجامع	27ب
الأثر - المؤثر - المؤثر فيه	62ب، 68	اسم ذات - اسم مرتبة	78ب، 144
الأحدية - أحدية	4ب، 21، 29ب، 38،	الأعراس الإلهية	35ب
الأحد - أحدية	38ب، 48، 78ب، 111	الأعراف / الحد	54، 55
الكثر		الأفراد	14، 41، 54، 78ب، 79،
الاختيار	4ب		79ب، 80، 83، 132ب،
الأخفاء	40، 40ب، 83ب	الألوهية أو الألوهة / الضياء	142ب، 157ب
الإخلاص	108، 130ب	إلياس	47ب، 49ب، 128ب
آدم	25، 42، 49، 49ب، 64،	الإمام المهدي	132
	80، 103، 105ب، 114،	إمام مبین	38ب
	120، 139، 146، 147ب،	الإمامان	38ب، 47
الإذن الإلهي	14ب	الأمانة	12ب
إرادة	101	الأمر - الأمر الإلهي	36ب، 97
الأرض الإلهية	26	الأمر الحفي -	77
الواسعة		الأمر الجلي	
استدراج	156ب	الأثنى	18، 18ب
الاستهلاك في	12	الأنس	27
الحق		الإنسان الكامل	6، 116
الاستواء / السواء	25ب، 112ب		

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
إنسان حيوان	6	التلون	ب12
الإيتية	23، 32، 37ب	التمكين	ب12
أول - آخر	59	التوجه الإلهي	ب2، 56
الإيمان / تصديق	ب80	التوحيد	ب28، 85، 105ب، 107ب،
الباطل	ب28، 29، 138ب	الثبوت	ب133، 147، 147ب
باطل / عدم	ب138	جبريل	ب34، 35ب، 85ب
باطن / من	ب53	جبريل	ب15، 54ب، 87، 116،
مراتب الحضرة			ب129، 142، 142ب،
بحر	ب63، 80، 137ب	الجسد	ب146، 157، 157ب
البحران	33	الجلوة	ب13، 14
بدل	ب38، 78ب	الجمعة	ب97
البرق	ب27	جمع الجمع	117
البقاء	ب28، 115ب	الجنة / حضرة	ب16
بيتة الله	ب69، 77، 82، 120ب،	الرسول	
التجلي	ب132، 133، 149ب	حب فرائض -	ب86، 86
تجلي غيب -	ب10، 10ب، 11	حب نوافل	
تجلي شهادة	ب11	الحب / الودود	ب75
التجلي في الشيء	ب56	حجاب / العبد	ب89، 118، 143، 149ب
التدلي	ب21	الحرية	ب72
الترقي	ب148	الحضرة / كن	ب14
التلقي	ب91	الحضور	ب107
		الحق	ب8، 35ب

صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح
25	رب- ربوبية	67، 32ب	حق الحق/أنت
25	رب في عين عبد	135	حق الخلق
53ب	رجال المراتب	146، 146ب، 147	حواء
83	الرحمة الامتنانية	149ب	الحياء
83	الرحمن الرحيم	15ب	الحياة
67	الرزق	102، 50	الحيوان- الحيوانية
85	الرعونة	105، 108، 146	الخاطر
66	رقية	49ب	الختم
136ب، 61	روح الأرواح	49ب	ختم الختم
99، 87، 61	الروح/العقل	49ب	ختم النبوة
110ب	الزاجر		المطلقة
18، 17ب	الزمان الحمدي	49ب	ختم الولاية
32ب، 2ب	الزمان/ السلطان	49ب، 49	ختم الولاية
24	السالك		العامة
24	سالك	156ب	خرق عادة
83ب، 42، 32	الستر	11ب، 47ب، 51، 51ب،	الخضر
112ب، 27ب	السحاب	52، 52ب، 53، 79، 79ب،	
59	سر الحال	82، 86، 86ب، 87، 87ب،	
4، 4ب	سر القدر	90، 91ب، 92، 132ب،	
66، 2	السراب	133	
66	السراج	17، 17ب، 23ب	الخوف
		90	الخير
		133ب	دقيقة

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
السريـر	103ب	عالم الملك	54
السماء	116ب، 140	العبودية- العبودة	83ب، 84، 140، 143ب، 144
السمر	7ب	العـدل / الميزان	125ب، 126
سوق الجنة	9ب	الحكـمي المعنوي/ الحق /الميل	
الشروق-المشرق	121ب	عرائس الحق	99، 93
الشرعة	128، 99، 47ب	العرش	113، 113ب
الصفة	86، 94، 106، 110ب، 113ب، 124ب، 125	عرش	112، 112ب، 113، 113ب
	147ب، 148	عرش الحياة/الماء	115
الصلاة	65ب	عرش القرآن	115
الصورة/ الأمر	114ب	العصمة	72ب
الطائفة	40ب، 41، 42، 42ب، 67، 81ب، 96ب، 97ب، 98	العقل (الأول)	25ب
	104، 105، 106، 106ب، 107، 135	العالم	119ب
طريق/السلوك	63ب	العماء	25ب، 112ب، 113، 117
الظاهر والباطن	11، 13، 48ب، 58ب، 59، 81ب	العنصر الأعظم	103
الظلمة	116ب، 115ب، 116	الغيب	115ب
العالم	119ب	الغيرة	40ب
عالم الأنفاس	2ب، 44، 78، 111	فتح	23، 14ب، 128
عالم البرزخ	55	الفراسة	110ب
عالم الخلق	16	الفردية	20، 21
		الفطرة	105ب

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الفقر	2، 9، 139، 139ب	مجمع البحرين	33
الفناء	12ب، 23، 34ب، 35	المحمدي	18، 33، 37، 86، 87
الفهوانية	37ب، 102ب		128، 128ب، 133ب،
فوق	27، 27ب، 112ب، 113	المخدع	134، 137، 141
قدم - على قدم	83	مرآة الحق	83، 83ب
القرآن الكبير /	138ب	المراقبة	41
الوجود		المسافر	31
القطب	31، 36ب، 38ب، 53ب،	مستوى الرب	12
كرامة	78ب، 83، 83ب، 136	مستوى الرحمن -	113، 113ب
الكشف العرفاني	134ب، 156ب	مستوى الأسماء	
الكلام الإلهي	66	المقيّدة	
كلمة التوحيد	14، 100ب	المشاهدة	23، 34ب، 35
كلمة الحضرة	107ب	المشيئة/ عرش	4ب، 6ب
الكمال	6، 36، 108ب، 151ب،	الذات	
الكون	157ب	المضجع	103، 103ب
ليل	28ب، 29، 26، 26ب، 14،	مطلع	30ب، 50ب، 53ب، 54،
الليل الإنساني	14ب، 2ب	المفصل	55ب
ليلة القدر	115ب	مقام العبودة	27، 93
الجلّي	115ب	والعبودية	
	35، 97ب، 115ب	مقام القرية	40
	11	المقام المحمدي	18، 141
		مقام قرب	87

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
النوافل- مقام	62، 108، 111ب، 155ب،	الهمة	156ب
قرب الفرائض	107ب	الهور	143، 76ب، 76،
المكر	63	الهوى	144، 156ب
الملامية	79، 82، 103، 103ب،	وارد	40، 55ب، 83ب، 93، 108
الملامتية	104، 146	وتد	11ب، 28ب، 35، 38ب،
منزل	50ب، 51، 52ب، 83	وجه الحق- وجه	64
المهدي	3، 42ب، 130	الحق في الأشياء	132
المهم	35، 83، 134	الوجه الخاص	78ب، 79
الميزان	41	وجه الشيء	20ب، 68ب
النار/ دار	25ب	الوحداني-	16ب
الغضب	10ب، 48ب، 53ب، 87ب،	الوحدانية	81
نبوة الاخبار-	103ب، 127ب، 136ب،	الوحي	81، 48ب، 128، 134ب،
نبوة التشريع	142، 142ب، 143	الود	156ب
نبي اتباع- نبي	75ب	الوقت	44، 115
شريعة	83	ولي- الولاية	14ب، 15، 50
نسخة	40، 49، 49ب، 69، 73ب،	ولي- الولاية	18ب، 18، 66
النفس الرحماني	76، 81، 82ب، 84، 86،	اليقظة	106ب
التكاح الإلهي	145، 107ب، 132ب، 141	يقين	12، 65، 145ب
نهر	96، 96ب، 95		108
النيابة	35، 57، 134، 134ب		84ب، 93
الهاجس			
الهجير			

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط
أبو البدر التامشكي	54، 54ب، 55ب
أبو بكر الصديق	41ب، 49، 106، 131، 132
الترمذي (أبو عيسى)	71ب
تقي الدين عبد الرحمن	53
بن علي التوزري	
الجنيد (أبو القاسم)	79ب، 80ب
جبريل	15ب، 54ب، 87، 116، 129ب، 142، 146ب، 157، 157ب
جراح بن خميس الكناني	51ب
جعفر الصادق	60ب، 71ب
الحسن بن علي بن أبي طالب	73ب
الحسين بن علي بن أبي طالب	71ب، 73ب، 80، 80ب
الحكيم الترمذي	45ب، 47، 49، 60ب
الحلاج	16
أبو الحجاج يوسف الشربلي	92ب، 93
حفصة (أم المؤمنين)	39ب

الاسم	صفحة المخطوط
ابن الأزهر	132
الأشعري (أبو الحسن)	80ب
آدم	25، 42، 49، 49ب، 64، 80، 103، 105ب، 114، 120، 139، 146ب، 147، 147ب، 148
آسية (امرأة فرعون)	154ب، 157ب
أحمد بن حنبل	81
أردشير	137
إبراهيم الخليل	89ب، 92، 112ب، 128، 144ب، 149ب
إبليس	73ب، 146، 146ب، 147، 147ب، 148، 157ب
إلياس (النبي)	47ب، 49ب، 128ب
أبو العباس الحصار	149
الباقلاني (أبو بكر بن الطيب)	89
البخاري	79ب
البسطامي (أبو يزيد)	12، 54، 101، 112، 126ب، 126ب، 143ب، 149، 157ب

صفحة المخطوط	الإسم	صفحة المخطوط	الإسم
92ب	صالح البربري	146، 146ب، 147	حواء
39	صالح المؤمنين	11ب، 47ب، 51،	الحضر
48	أبو طالب المكي	51ب، 52، 52ب،	
137ب	أبو طلحة الأنصاري	53، 79، 79ب، 82،	
137ب	طلحة بن عبيد الله	86، 86ب، 87،	
39ب	عائشة (أم المؤمنين)	87ب، 90، 91ب،	
138ب	ابن العريف الصنهاجي (أبو العباس)	92، 132ب، 133،	
51، 129ب	أبو العباس العربي	15ب، 57، 108ب،	روح القدس
48	أبو العتاهية	118ب، 136، 136ب،	
152	أبو عبد الرحمن السلمي	151ب	
132	أبو عبد الله الحاكم	131، 132	زريب بن برثملا
93ب، 92ب	أبو عبد الله الشرفي	57ب	زكريا (النبي)
130	أبو عبد الله الطنجي	56ب	ابن السيد البطليوسي
139ب، 138ب	أبو عبد الله الغزال	15ب، 157، 157ب	السامري
104ب	أبو عبد الله بن الجاهد	54، 54ب، 55ب،	أبو السعود بن الشبل
130	أبو عبد الله بن خرز الطنجي	83، 83ب، 150ب	البغدادى
104ب	أبو عبد الله بن قسوم	48ب، 59	أبو سعيد الخراز
130	أبو عبد الله الحافظ	130ب، 131ب	سعد بن أبي وقاص
51ب	أبو عبد الله الكناني	142	سفيان الثوري
		71، 72ب، 73،	سلمان الفارسي
		73، 74، 76،	
		25، 25ب، 32،	سليمان (النبي)
		144ب	
		108	سهل بن عبد الله
		51، 90	التستري
			صاحب موسى عليه
			السلام

الاسم	صفحة المخطوط
عمر البراز	55ب
عمر الفرقوي	107
عمر بن الخطاب	81، 81ب، 99ب، 106، 130ب، 131، 131ب، 132ب
عيسى (النبي)	13ب، 14ب، 15ب، 48ب، 49، 49ب، 103، 127ب، 128ب، 129، 129ب، 130، 130ب، 131، 131ب، 132، 133، 133ب، 134، 134ب، 135، 135ب، 137، 140، 144ب، 145، 157ب
الفخر الرازي (ابن الخطيب محمد بن عمر)	3ب
الفراء	72
فاطمة الزهراء (بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم)	73، 74ب
فرعون	47ب، 68، 154
أبو كبشة	46ب، 47
قضيبة البان	42، 52ب، 53
ابن لهيعة	132
لوط (النبي)	39ب

الاسم	صفحة المخطوط
أبو عقال المغربي	12
أبو عمرو = أبو عمرو بن العلاء	130
أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك	130
عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي	130ب، 131ب
عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن أب التوزري	53
عبد القادر الجيلي	83، 83ب، 150ب
عبد الله السباد	107
عبد الله بن عباس	80ب، 157
عبد الله بن محمد بن العربي	50ب
عتبة الغلام	150
عريشاه بن محمد بن أبي المعالي العلوي	130
علي المتوكل	52ب
علي بن الحسين بن علي	71ب، 80، 80ب
علي بن أبي طالب	53ب، 71ب، 79ب، 80
علي بن عبد الله بن جامع	52ب
علم الأسود	152

صفحة المخطوط	الاسم
87، 87ب، 90	
90ب، 91ب، 126ب،	
128، 132، 132ب،	
152ب، 153، 153ب،	
154، 154ب، 157	
130ب، 132	نافع
130ب، 131ب،	فضلة بن معاوية
133ب	الأنصاري
79ب، 137ب	أبو هريرة
46ب، 47ب، 48،	هارون (النبي)
154	
129ب	هود (النبي)
92ب	أبو يحيى الصنهاجي
	الضير
121ب، 144ب	يحيى (النبي)
130	يحيى بن أبي طالب
128ب	يعقوب (النبي)
105، 105ب، 106،	يونس (النبي)
130	

صفحة المخطوط	الاسم
132	المهدي (المنتظر)
64	لنابغة
130	أبو المحاسن علي بن أبي الفضل الفارمدي
3ب	أبو المعالي الجويني
53ب	أبو محمد عبد الله الشكاز
72ب	ماعز الأسلمي
130ب، 131ب	مالك بن أنس
130	محمد بن الحسن بن سهل العباسي
53	محمد بن حمويه
54، 83ب	محمد بن قائد الأواني
57، 129، 129ب،	مريم (عليها السلام)
130ب، 131، 131ب،	
157ب	
137	مكي الواسطي
46ب، 47ب، 48، 51،	موسى (النبي)
64، 64ب، 65ب،	
66، 68، 76ب، 79،	
79ب، 86، 86ب،	

فهرس الأمان

صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط	الاسم
93	شبريل	138ب	الأحرش
93	شرف	92ب، 93، 104ب،	أشبيلية
93	شرف إشبيلية	116ب	
78ب	الشرق	53ب	أغرناطة=غرناطة
138ب	الصباحية	50ب، 92ب، 130	الأندلس
27	الطائف	53ب	باغة
130ب، 131ب	العراق	125	بجاية
53ب	غرناطة	51ب، 52، 52ب	البحر المحيط
149، 107	فاس	33	البحرين
130ب	القادسية	52ب	بشكنصار
51ب	مرسى تونس	130	بغداد
51ب	مرسى عيرون	126ب	بيت الأبرار
138ب	المرية	50ب، 116ب	بيت المقدس
92	المسجد الأقصى	26، 51ب	تونس
92	المسجد الحرام	83	جبل أبي قبيس
92ب	مسجد الرطندالي	78ب	الحجاز
92ب	مسجد الزبيدي	130	حلوان العراق
53	مصر	107	دينسر
78ب	المغرب	53	الديار المصرية
		140	سدرة المنتهى

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
المقل	53	الموصل	53
مكة المكرمة	27، 50ب، 83، 116ب،	الهامة	106
	137	اليمن	14ب، 50
المنارة	51ب		

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة المخطوط
الأشعرية	80ب، 56ب، 58ب، 88ب
الحسبانية	58ب
الفلاسفة	67

فهرس الكتب

صفحة المخطوط	المؤلف	الكتاب
101	ابن العربي	إنشاء الجداول والدوائر
93	ابن العربي	الدرة الفاخرة
101	ابن العربي	عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب
60	ابن العربي	المبادي والغايات فيما تحوي عليه حروف المعجم من العجائب والآيات المعرفة
5	ابن العربي	المعرفة
29	أبو العباس بن العريف الصنهاجي	محاسن المجالس
152	أبو عبد الرحمن السلمي	مقامات الأولياء
ب79	البخاري	صحيح البخاري
ب71	الترمذي	الجامع الصحيح
49	محمد بن علي الترمذي	ختم الأولياء

المحتويات

489.....	رموز مستخدمة في التحقيق
493.....	الباب السابع عشر في معرفة انتقال العلوم الكونية ونبذ من العلوم الإلهية الممعة الأصلية
494.....	فصل: (انتقالات العلوم الإلهية)
496.....	مسألة (ظاهر مقول الاختراع، عدم المثال في الشاهد)
496.....	مسألة (الأسماء الإلهية نسب وإضافات ترجع إلى عين واحدة)
496.....	مسألة (الصورة في المرآة جسد برزخي)
497.....	مسألة (أكمل نشأة ظهرت في الموجودات الإنساني)
498.....	مسألة (ليس للحق صفة نفسية ثبوتية إلا واحدة)
498.....	مسألة (جواز أن يكون العباد مرحومين في آخر الأمر)
499.....	مسألة (إطلاق الجواز على الله تعالى،- سوء أدب مع الله)
500.....	الباب الثامن عشر في معرفة علم المتجهدين، وما يتعلق به من المسائل، ومقداره في مراتب العلوم، وما يظهر منه من العلوم في الوجود
504.....	الباب التاسع عشر في سبب نقص العلوم وزيادتها
508.....	الباب العشرون في العلم العيسوي، ومن أين جاء؟ وإلى أين ينتهي؟ وكيفيته؟ وهل تعلق بطول العالم، أو بعرضه، أو بهما؟
513.....	الباب الحادي والعشرون في معرفة ثلاثة علوم كونية، وتوالج بعضها في بعض
517.....	الباب الثاني والعشرون في معرفة علم منزل المنازل، وترتيب جميع العلوم الكونية
518.....	ذكرُ ألقابها وصفات أقطابها
518.....	وأما صفاتهم:
519.....	وأما ذكر أحوالهم:
519.....	ذكر صفات أحوالهم:
519.....	- منزل المدح:
520.....	- منزل الرموز:
521.....	- منزل الدعاء:
522.....	- منزل الأفعال:
523.....	- منزل الابتداء:
524.....	- منزل التقزیه:
524.....	- منزل التقريب:
525.....	- منزل التوقع:

- 525..... منزل البركات: -
- 526..... منزل الأقسام والإيلاء: -
- 527..... منزل الإتيّة: -
- 527..... منزل الدهور: -
- 527..... منزل لام ألف: -
- 529..... منزل التقرير: -
- 529..... منزل المشاهدة: -
- 530..... منزل الألفة: -
- 531..... منزل الاستخبار: -
- 531..... منزل الوعيد: -
- 532..... منزل الأمر: -
- 533..... وَصَلْ (لكلّ منزل من هذه المنازل صنف من الممكنات).
- 534..... وَصَلْ في نظائر المنازل التسعة عشر.
- 534..... وَصَلْ (في منزل المنازل، أو الإمام المبين).
- 536..... الباب الثالث والعشرون في معرفة الأقطاب المصونين وأسرار صونهم.
- 539..... تتمة شريفة لهذا الباب (ومن هذه الحضرة بُعثت الرسل).
- الباب الرابع والعشرون في معرفة جامت عن العلوم الكونيّة وما تتضمّنه من العجائب، ومَن حصلها من العالم، ومراتب أقطابهم، وأسرار الاشتراك بين شريعتين، والقلوب المتعشّقة بعالم الأنفاس، وبالأنفاس، وأصلها، وإلى كم تنتهي منازلها؟
- 540.....
- 543..... وَصَلْ (أسرار الاشتراك بين الشريعتين).
- 546..... وصل (القلوب المتعشّقة بالأنفاس).
- الباب الخامس والعشرون في معرفة وتد مخصوص معرّر، وأسرار الأقطاب المختصّين بأربعة أصناف من العلوم، وسيرّ المنزل والمنازل، ومَن دخله من العالم؟
- 547.....
- 553..... الباب السادس والعشرون في معرفة أقطاب الرموز، وتلويحات من أسرارهم وعلومهم في الطريق.
- 560..... الباب السابع والعشرون في معرفة أقطاب: "صِلْ فقد نُويّت وصَلْكَ" وهو من منزل العلم النورانيّ.
- 564..... الباب الثامن والعشرون في معرفة أقطاب "الم تر كيف".
- الباب التاسع والعشرون في معرفة سيرّ سلمان الذي أحقه بأهل البيت والأقطاب الذين ورثه منهم، ومعرفة أسرارهم
- 569.....
- 576..... الباب الثلاثون في معرفة الطبقة الأولى والثانية من الأقطاب الركبان.
- 583..... الباب الحادي والثلاثون في معرفة أصول الركبان.
- 592..... الباب الثاني والثلاثون في معرفة الأقطاب المدبّرين أصحاب الركاب من الطبقة الثانية.

- الباب الثالث والثلاثون في معرفة أقطاب النّبات وأسرارهم، وكيفية أصولهم، ويقال لهم: النّبَاتِيّون598
- الباب الرابع والثلاثون في معرفة شخص تحقّق في منزل الأنفاس، فعلين منها أموراً أذكرها ابن شاء الله-608
- الباب الخامس والثلاثون في معرفة هذا الشخص المحقّق في منزل الأنفاس وأسراره بعد موته ﷺ617
- الباب السادس والثلاثون في معرفة العيسويّين وأقطابهم وأصولهم627
- الباب السابع والثلاثون في معرفة الأقطاب العيسويّين وأسرارهم636
- الباب الثامن والثلاثون في معرفة من اطلع على المقام المحمديّ ولم ينله من الأقطاب641
- الباب التاسع والثلاثون في معرفة المنزل الذي يحطّ إليه الوليّ إذا طرده الحقّ تعالى- من جواره646
- الباب الأربعون في معرفة منزل مجاور لعلم جزئيّ من علوم الكون، وترتيبه، وجرانه، وأقطابه652

الفهارس

- 663..... فهرس الآيات وفقاً لتسلسل السور والآيات.
- 671..... فهرس الأحاديث النبوية.
- 678..... فهرس الشعر.
- 681..... استشهدات.
- 682..... مصطلحات صوفية.
- 688..... فهرس الأعلام.
- 692..... فهرس الأماكن.
- 693..... فهرس الفرق.
- 694..... فهرس الكتب.

